

(١٥٨٢)

الخنجر

تاريخ وأحداث

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"أخرجه الطيالسى (ص ٢٧٦ ، رقم ٢٠٧٩) ، وأحمد (٢٧٩/٣ ، رقم ١٤٠٠٧) ، ومسلم (١٤٤٢/٣ ، رقم ١٨٠٩) . وأخرجه أيضا : ابن سعد (٤٢٥/٨) ، وابن أبى شيبة (٤١٩/٧ ، رقم ٣٦٩٩٩) ، وعبد بن حميد (ص ٣٦١ ، رقم ١٢٠٢) ، وفيه أن أم سليم اتخذت **خنجرا** يوم حنين فقال أبو طلحة : يا رسول الله هذه أم سليم معها **خنجرا** . فقالت : يا رسول الله اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه ... فتبسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذكره . وأبو عوانة (٣٣١/٤ ، رقم ٦٨٧٣) ، وأبو يعلى (١٣٥/٦ ، رقم ٣٤١١) والطبرانى (١١٩/٢٥ ، رقم ٢٩١) ، والبيهقى (٣٠٦/٦ ، رقم ١٢٥٤٢) وأبو نعيم فى الحلية (٦٠/٢)." (١)

"٣٠٦٧٩- عن ابن شهاب قال : كان أبو بكر وعمر فى ولايتهما لا يلقى العباس منهما واحد وهو راكب إلا نزل عن دابته وقادها ومشى مع العباس حتى يبلغه منزله فيفارقه (ابن عساكر) [كنز العمال ٣٧٣٣٢]

أخرجه ابن عساكر (٣٧٤/٢٦) .

٣٠٦٨٠- عن أبى رافع قال : كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة ابن شعبة وكان يصنع الرحى وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم ، فلقى أبو لؤلؤة عمر فقال : يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل على غلتى فكلمه يخفف عنى ، فقال له عمر : اتق الله وأحسن إلى مولاك ومن نية عمر أن يلقى المغيرة فيكلمه فيخفف عنه فغضب العبد وقال : وسع الناس كلهم عدله غيرى ، فأضمر على قتله فاصطنع **خنجرا** له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به الهرمزان فقال : كيف ترى هذا قال : أرى أنك لا تضرب به أحدا إلا قتلته . فتحين أبو لؤلؤة فجاء فى صلاة الغداة حتى قام وراء عمر وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يتكلم فيقول : أقيموا صفوفكم ، فذهب يقول كما كان يقول ، فلما كبر وجاء." (٢)

"أبو لؤلؤة ، وجأة فى كتفه ووجأة فى خاصرته ، فسقط عمر ، وطعن **بخنجره** ثلاثة عشر رجلا ، فهلك منهم سبعة وفرق منهم ستة . وحمل عمر فذهب به إلى منزله وماج الناس حتى كادت الشمس أن تطلع ، فنادى عبد الرحمن بن عوف يا أيها الناس الصلاة الصلاة ففزعوا إلى الصلاة ، فتقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم بأقصر سورتين فى القرآن فلما قضى الصلاة توجهوا إلى عمر فدعا بشراب لينظر ما

---

(١) جامع الأحاديث، ٩٨/٨

(٢) جامع الأحاديث، ٦٠/٢٨

قدر جرحه فأتى بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يدر أنبيذ هو أو دم ، فدعا بلبن فشربه فخرج من جرحه ، فقالوا : لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال : إن يكن القتل بأسا فقد قتلت ، فجعل الناس يثنون عليه يقولون : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين كنت وكنت ثم ينصرفون ، ويجيء قوم آخرون فيثنون عليه . فقال عمر : أما والله على ما تقولون ، وددت أنى خرجت منها كفافا لا على ولا لى وأن صحبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سلمت لى ، فتكلم عبد الله بن عباس فقال : لا والله لا تخرج منها كفافا." (١)

"٣٠٨١١- عن بن شهاب قال : كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنعا ويستأذنه أن يدخله المدينة ويقول : إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس ، إنه حداد نقاش نجار . فكتب إليه عمر فأذن له أن يرسل به إلى المدينة ، وضرب عليه المغيرة مائة درهم كل شهر ، فجاء إلى عمر يشتكى إليه شدة الخراج ، فقال له عمر : ماذا تحسن من العمل فذكر له الأعمال التى يحسن ، فقال له عمر : ما خراجك بكثير فى كنه عملك ، فانصرف ساخطا يتذمر ، فلبث عمر ليالى ثم إن العبد مر به فدعاه فقال له : ألم أحدث أنك تقول : لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت العبد ساخطا عابسا إلى عمر ومع عمر رهط فقال : لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى العبد أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم : أوعدنى العبد آنفا ، فلبث ليالى ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه فكمن فى زارية من زوايا المسجد." (٢)

"فى غلس السحر ، فلم يزل هنالك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة صلاة الفجر وكان عمر يفعل ذلك ، فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة وقد خرقت الصفاق وهى التى قتلته ، ثم انحاز أيضا على أهل المسجد فطعن من يليه حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلا ثم انتحر بخنجره . فقال عمر حين أدركه النزف وانقصف الناس عليه : قولوا لعبد الرحمن بن عوف : فليصل بالناس ، ثم غلب عمر النزف حتى غشى عليه ، قال ابن عباس : فاحتملت عمر فى رهط حتى أدخلته بيته ، ثم صلى بالناس عبد الرحمن فأنكر الناس صوت عبد الرحمن . قال ابن عباس : فلم أزل عند عمر ولم يزل فى غشية واحدة حتى أسفر الصبح ، فلما أسفر أفاق فنظر فى وجوهنا فقال : أصلى الناس فقلت :

---

(١) جامع الأحاديث، ٦١/٢٨

(٢) جامع الأحاديث، ١٢٦/٢٨

نعم ، فقال : لا إسلام لمن ترك الصلاة ، ثم دعا بوضوء فتوضأ ثم صلى ، ثم قال : اخرج يا عبد الله بن عباس فسل من قتلنى قال ابن عباس : فخرجت حتى فتحت باب الدار فإذا الناس مجتمعون جاهلون بخبر عمر فقلت : من." (١)

"ولقى أبو طلحة أم سليم ومعها **خنجر** فقال أبو طلحة يا أم سليم : ما هذا معك قالت أردت إن دنا منى بعض المشركين أن أبعج به بطنه ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله ألا تسمع ما تقول أم سليم قالت : يا رسول الله اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك يا رسول الله فقال : إن الله قد كفى وأحسن (ابن أبى شيبه) [كنز العمال ٣٠٢٣٤]

أخرجه ابن أبى شيبة (٤١٩/٧ ، رقم ٣٦٩٩٩) .

٣٥٧٨٦- عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعطيت الكفيت قيل وما الكفيت قال قوة ثلاثين رجلا فى البضاع وكان له تسع نسوة وكان يطوف عليهن جميعا فى ليلة [كنز العمال ١٨٦٨٦]

أخرجه عبد الرزاق (٥٠٧/٧ ، رقم ١٤٠٥٢) .

٣٥٧٨٧- عن أنس قال : إنما كرهت الحجامة للصائم مخافة الضعف (ابن جرير) [كنز العمال ٢٤٣٥٨]." (٢)

"٣٥٨٤٢- عن أنس قال : جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ألم تر إلى سليم معها **خنجر** فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يا أم سليم ما أردت إليه قالت : أردت غن دنا إلى أحد منهم طعنته به (ابن أبى شيبه) [كنز العمال ٣٠٢٣٢]

أخرجه ابن أبى شيبة (٤١٦/٧ ، رقم٣٦٩٨٧) .

٣٥٨٤٣- عن أنس قال : جاء أسيد بن حضير إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وقد كان قسم طعاما فذكر له أهل بيت من الأنصار من بنى ظفر فيهم حاجة وجل أهل ذلك البيت نسوة ، فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم - : تركتنا يا أسيد حتى ذهب ما فى أيدينا فإذا سمعت بشىء قد جاءنا فاذكر لى أهل ذلك البيت ، فجاءه بعد ذلك طعام من خيبر شعير أو تمر ، فقسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم

---

(١) جامع الأحاديث، ١٢٧/٢٨

(٢) جامع الأحاديث، ٦٠/٣٣

– فى الناس وقسم فى الأنصار فأجزل ، وقسم فى أهل البيت فأجزل ، فقال أسيد بن حضير متشكرا : جزاك الله أى نبى الله أطيب الجزاء أو قال : خيرا فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – :." (١)

قال ابن حبان: حدث ببغداد سمع منه علي بن موسى بن حمزة البزيعي ببغداد سنة المستعين فذكر عن قتيبة، عن ابن لهيعة عن رباح العلائي، عن جابر رفعه: أتاني جبريل وعليه قباء سواد ومنطقة **وخنجر** فقلت: ما هذا؟ قال: يأتي على الناس زمان يعز الإسلام بهذا فقلت: يا حبيبي من يكون رئيسهم؟ قال: من ولد العباس يتبعهم أهل خراسان.

فقلت: أيش يملك ولد العباس؟ قال: يملك ولد العباس الوبر والمدر والسرير والمنبر إلى المحشر والملك إلى المنشر.." (٢)

"٨٣٩٦ – وهب بن وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القاضي أبو البختري القرشي المدني.

عن هشام بن عروة وجعفر بن محمد.

وعنه المسيب بن واضح والربيع بن ثعلب وجماعة.

سكن بغداد وولي قضاء عسكر المهدي ثم قضاء المدينة ثم ولي حربها وصلاتها وكان جوادا ممدحا لكنه متهم في الحديث.

قال يحيى بن معين: كان يكذب عدو الله.

وقال عثمان بن أبي شيبة: أرى أنه يبعث يوم القيامة دجالا.

توفي سنة مئتين.

وقال أحمد: كان يضع الحديث وضعا فيما نرى.

وقال البخاري: سكتوا عنه.

الربيع بن ثعلب: حدثنا أبو البختري حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول

---

(١) جامع الأحاديث، ٩٤/٣٣

(٢) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ٢٢٩/٤

الله صلى الله عليه وسلم لجاريتي بريرة: اكنسي المسجد يوم الخميس فإن من أخرج من مسجد يوم الخميس بقدر ما ترى العين كان كعدل رقبة. -[٤٠١]-

وبه: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا حجاما حجمه وأعطاه دينارا.

ابن عدي: أخبرنا القاسم بن الليث حدثنا معافى بن سليمان حدثنا أبو البختري عن ابن جريج عن عطاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: من حفظ على أمتي أربعين حديثا مما ينفعه الله به بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما.

بقية: حدثني وهب بن وهب عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر فإذا سيفه وترسه وقوسه معلق في قبلة مسجد بيته فوضعه ونحاه عن القبلة وصلى ركعتين ثم قال: لا تعلقوا على القبلة.

بقية: عن وهب عن ابن عجلان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه مرفوعا: من زوق بيته أو زخرف مسجده لم يمت، أو تصيبه قارعة.

نوح بن الهيثم: حدثنا وهب بن وهب عن ثور بن يزيد عن خالد ... عن معاذ رضي الله عنه: إن الحدة تعتري جماع القرآن قيل: لم يا رسول الله؟ قال: لغيرة القرآن في أجوافهم.

وهذه أحاديث مكذوبة. انتهى.

وقال ابن أبي حاتم: ذكرت لأبي زرعة شيئا من حديثه فقال: لا تجعل في حوصلتك شيئا من حديثه.

وقال أحمد بن حنبل أيضا: هو أكذب الناس. وكذا قال إسحاق بن راهويه وكان وكيع يرميه بالكذب وكذبه حفص بن غياث. -[٤٠٢]-

وقال شعيب بن إسحاق: كذابا هذه الأمة: أبو البختري وذكر آخر.

وقال ابن الجارود: كذاب خبيث كان عامة الليل يضع الحديث.

وقال أبو طالب عن أحمد: ما أشك في كذبه وأنه يضع الحديث.

واتهمه مالك بن أنس فيما حكاه ابن شاهين.

ولما حدث الرشيد أن جعفر بن محمد حدثه، عن أبيه أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء أسود ومنقطة محتجز فيه **بخنجر** جاء يحيى بن معين فقال له: كذبت يا عدو الله فقال للشرطية: خذوه قال يحيى: فقلت لهم: إن هذا يزعم أن جبريل نزل على نبي الله صلى الله عليه وسلم وعليه

قباء فقالوا لي: والله هذا قاض كذاب فانفرجوا عني.

وقال فيه المعافى التميمي:

ويل وعول لأبي البختري ... إذ توافى الناس في المحشر

من قوله الزور وإعلانه ... بالكذب في الناس على جعفر

الأبيات ... وهي مشهورة.

ولما بلغ ابن المهدي موته قال: الحمد لله الذي أراح المسلمين منه.

وقال النسائي في التمييز: ليس بثقة، ولا يكتب حديثه كذاب خبيث.

وقال ابن سعد: كان سخيا سريا من رجال قريش ولم يكن في الحديث بذاك يروي منكرات فترك حديثه.

-[٤٠٣]-

وقال الحاكم: روى عن جعفر وهشام الموضوعات.

وقد روى عنه الشافعي ولم يخبر أمره.

وقال فيه سويد بن عمرو بن الزبير في أبيات:

إنا وجدنا ابن وهب حين حدثنا ... عن النبي أضاع الدين والورعا

يروي أحاديث من إفك مجمعة ... أف لوهب وما روى وما جمعا

وقد روى عنه محمد بن أبي السري فقال: حدثنا وهب بن زمعة القرشي وروى عنه عيسى بن سالم فقال: حدثنا وهب بن عبد الرحمن القرشي نبه على ذلك عبد الغني في الإيضاح.

وحديث ابن أبي السري عنه عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رددت السائل فلم يذهب فلا بأس أن تزبريه.

وذكره العقيلي في الضعفاء وقال: لا أعلم له حديثا مستقيما كلها بواطيل وروى من طريق أبي خليد عتبة بن حماد قال: قال مالك: ما بال أقوام إذا خرجوا من المدينة قالوا: حدثنا جعفر بن محمد وهشام بن عروة فإذا رجعوا انحجروا في البيوت!.

وقال ابن عدي بعد أن ساق له أحاديث: وهذه بواطيل وأبو البختري من الكذابين الوضاعين وكان يجمع في كل حديث يرويه أسانيد من جسارته على الكذب ووضعه على الثقات.

ثم أخرج له حديثا متنه: تسموا بخياركم واطلبوا الخير عند حسان الوجوه، وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. هذا

نوع آخر من الجسارة أن يجمع في متن واحد عدة أحاديث. -[٤٠٤]-

ومن أشنع ما رأيت من صنيع أبي البختري في الحكم ما ذكره ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ست وسبعين أن يحيى بن عبد الله بن الحسن لما خرج على الرشيد وأرسل إليه الفضل بن يحيى فأحضره بالأمان قال: فأحضره بحضرة أبي البختري، ومحمد بن الحسن، وغيرهما فقال لمحمد: ما تقول في هذا الأمان؟ قال: صحيح فحاجه فيه فقال: لو كان محاربا ثم ولي كان آمنا فأمر أبا البختري أن ينظر في كتاب الأمان فقال: منقوض من كذا وكذا فقال: أنت قاضي القضاة وأنت أعلم بذلك ومزق الكتاب.." (١)

"في مخزن الطعام، وعليه جلباب قذر، يتلوى من الجوع، ولم يطف بجفنه النوم، ترتعد فرائصه فرقا في كل صوت يقع على أذنيه. وجاء رسول فاؤون يبلغه أن مجلس الشيوخ قد نادى بأن نيرون عدو الشعب وأمر بالقبض عليه، وقرر أن يعاقب "حسب السنة القديمة". وسأل نيرون عن ماهية تلك السنة فقيل له: "إن الرجل المذنب يجرد من ثيابه، ويصلب جسمه في عمود بمسمار ذي شعب يدق في عنقه، ثم يضرب حتى يقضي نحبه. وارتاع من هول هذا العقاب، فحاول أن يطعن نفسه طعنة تقضي عليه، ولكنه أخطأ إذ جرب سنان الخنجر اولا ووجده حادا لا يطيقه فنادى قائلا: "أي فنانا يموت موتي! ".

وسمع في مطلع الفجر وقع حوافر الخيل، فأدرك أن جنود مجلس الشيوخ قد أدركوه، فأنشد بيتا من الشعر يقول: "استمعوا؛ ها هي ذي أصوات الساعين إلى تقع على أذني"-ثم طعن نفسه بخنجر في حلقه، ولكن يده اضطربت ووهنت فأعانه إبشروديتس أحد معاتيقه على أن يدفع سن الخنجر إلى نهايته. وكان قد طلب إلى من حوله قبل موته أن يحولوا دون تشويه جسمه، وأجابهم رجال جلبا إلى ما طلبوا. وقامت مربياته العجائز وأكتى عشيقته السابقة بدفن جثته في قباب القصر دومتيوس (٦٨) وابتهج كثيرون من العامة بموته، واخذوا يطوفون بأحياء رومة وعلى رؤوسهم قلانس الحرية. ولكن الذين حزنوا كانوا أكثر منهم لأن سخاءه على الفقراء لم يكن يقل عن قسوته الشديدة على العظماء، وأصغوا إلى ما أشيع وقتئذ من أنه لم يمت بحق، بل إنه يقاتل أعداءه في طريق رومة، ولما أن رضوا آخر الأمر بأن يصدقوا نبأ موته، ظلوا شهورا كثيرة يحجون إلى قبره وينثرون الأزهار أمامه (٨٩).." (٢)

(١) لسان الميزان ت أبي غدة، ابن حجر العسقلاني ٤٠٠/٨

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٤٢/١٠

"حديث "عن جمعية النساء" (Curia Mulierum) . وكان في رومة ناد للسيدات، ولا يبعد أن إيطاليا كان بها اتحاد أهلي لنوادي النساء. ومهما يكن من أمر هذه النوادي والمجتمعات فإننا بعد أن نقرأ ما كتبه عنها مارتيال وجوفنال لا نكاد نصدق أنه كان في رومة هذا العدد الكبير من فضليات النساء. كان فيها أكتافيا التي ظلت وفيه لأنطونيوس رغم خياناته الكثيرة لها، تربى أبناءه من زوجات أخرى؛ وكان فيها أنطونيا ابنتها المحبوبة وأرملة دروسس الطاهرة وأم جرمانكوس الكاملة؛ وملونيا Mallonia التي أنبت تيبيريوس على ملأ من الناس لكثرة آلامه ثم قتلت نفسها، وأريابيتا Arria Paeeta التي طعنت صدرها **بالخنجر** حين تلقى زوجها كاسينا بيتس Caecina Paetus أمر كلوديوس بأن يقتل نفسه ثم أسلمت هذا **الخنجر** وهي تحتضر إلى زوجها وهي تؤكد له "أنه لا يؤلم (٤٥) "، وبولينا التي حاولت أن تموت مع سنكا؛ وبولتا التي حاولت أن تموت جوعا حين أمر نيرون بقتل زوجها، ثم انتحرت مع أبيها، لما أن صدر أمر نيرون بقتله (٥٥). وإبكارس Epicharis المعتوقة التي تحملت كل أنواع العذاب ولم تكشف عن مؤامرة بيزو Piso. وإن تنس لا تنس النساء الكثيرات اللاتي أخفين أزواجهن وحمينهن في عهد القتل والتعذيب والتشريد، واللاتي رافقنهم في المنفى، أو دافعن عنهم كما دافعت فانيا Fannia عن زوجا هلفديوس Helvidius، وعرضن أنفسهن لأشد الأخطار" إن هؤلاء وحدهن إذا وزن في ميزان مع العاهرات اللاتي ورد ذكرهن في نكات مارتيال وقوارص جوفنال ليرجحن عليهن بلا ريب.

وكان من وراء هؤلاء النسوة اللاتي اشتهرن ببطولتهن كثيرات من النساء المغمورات اللائي لم يذكر التاريخ أمرهن واللائي كان وفاؤهن لأزواجهن وتضحياتهن في سبيل أبنائهن الدعامة القوية التي أبقت على صرح الحياة الرومانية. لقد ظلت الفضائل الرومانية القديمة- فضائل التقي والوقار." (١)

"Marcus Aninus Verus وكان وقتئذ في السابعة عشرة من عمره، ولوسيوس إيليوس فيري Lucius Aelius Verus، وهو غلام في الحادية عشرة من عمره. وكان أولهما ابن شقيق أنطونينس وثانيهما ابن لوسيوس فيرس. ومنح هدريان أنطونينس في ذلك الوقت لقب قيصر ولم يكن يلقب به قبل ذلك الوقت إلا الأباطرة وأبناؤهم ومن تناسل من أبنائهم الذكور. أما بعده فقد كان الأباطرة يمنحون هذا اللقب كل من وارث للعرش مفترض، ويحتفظون لأنفسهم بلقب أغسطس.

واشتد المرض وقتئذ على هدريان وبرح به الألم، وكثيرا ما كان الدم ينزف من منخاريه. وضاق ذرعا بالحياة،

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣١٩/١٠

وأخذ يتمنى الموت. وكان قد أعد لنفسه قبرا على الضفة الأخرى من نهر التيبر– وهو ذلك الضريح الضخم الذي أضحت بقاياه الآن قلعة القديس أنجيلو Castel Sant, Angelo والذي لا يزال الناس يصلون إليه فوق جسر إبليوس الذي أقامه هدريان. وكان قد تأثر بالمثل الذي ضربه الفيلسوف الرواقي يفراتيز Euphrates، وكان وقتئذ في رومة. ذلك أن هذا الفيلسوف لما وجد أن المرض قد هد جسمه والشيخوخة قد أنهكته طلب إلى هدريان أن يأذن له بأن يقتل نفسه، فلما أذن له تجرع عصير الشوكران (٣١). ورجا الإمبراطور أن يقدم له سما أو سيفا، ولكن أحدا ممن كانوا حوله لم يجب رجاءه، فأمر عبدا من بلاد الدانوب أن يطعنه طعنة قاتلة، ولكن العبد فرمنه؛ ثم أمر طبيبه أن يسمه، فلم يكن من الطبيب إلا أن انتحر (٣٢). ثم عثر بعدئذ على خنجر وهم بقتل نفسه، ولكن الخنجر انتزع منه. وحزن أشد الحزن لأنه، وهو الذي يستطيع أن يقتل أي إنسان، لا يسمح له هو نفسه أن يموت. فلما ضاقت به الحيل صرف أطباءه وأوى إلى بايا Baiae وتعمد أن يأكل ويشرب الأطعمة والأشربة التي تعجل منيته؛ وأخيرا خارت وقواه وجن من شدة." (١)

"كبدوكيا إلى أوربا صور فنان يوناني مثراس راكعا على ظهر ثور يطعنه في خنجر في عنقه، وأضحت هذه الصورة هي الرمز الرسمي لذلك الدين.

وكان اليوم السابع من كل أسبوع يوما مقدسا لإله الشمس، وكان أتباعه يحتفلون في الأيام الأخيرة من ديسمبر بمولد مثراس "الشمس التي لا تغلب" والإله الذي نال نصره السنوي على قوى الظلمة في يوم الانقلاب الشتائي، والذي بدأ من ذلك اليوم يفيض على العالم ضياء يزداد يوما بعد يوم (٩١). ويحدثنا ترتليان Tertullian عن كهنة مثراسيين على رأسهم "حبر أكبر"، وعن عزاب وعذارى في خدمة الإله؛ وكانت القرابين تقرب إليه على مذبحه في كل يوم، كما كان عباده يشتركون في تناول طعام مقدس من الخبز والنبيذ؛ وكانت الإشارة التي يختتم بها عيده هي دقات ناقوس (٩٢). وكان يحتفظ على الدوام بنار متقدة أما القبو الذي يمثل فيه الإله الشاب يطعن الثور بخنجره. وكان الدين المثراسي يحض على الخلق الكريم، ويطلب إلى "جنوده" ألا ينقطعوا طول حياتهم عن محاربة الشر في جميع أنواعه. ويقول كهنته أن الناس كلهم سيحشرون لا محالة أمام مثراس ليحكم بينهم، ثم تسلم الأرواح الدنسة إلى أهرمان لتعذب على يديه عذابا أبديا، أما الأرواح الطاهرة فترتفع خلال طباق سبعة حتى تصل إلى بهاء السماء حيث يستقبلها

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٠/٤١٨

أهورا- مزدا نفسه (٩٣). وانتشرت هذه الأساطير التي تبعث في نفس أصحابها الأمل والقوة في القرنين الثاني والثالث من التاريخ الميلادي في غربي آسية، وانتقلت منه إلى أوربا (متخطية بلاد اليونان)، وشادت معابدها متجهة نحو الشمال حتى وصلت إلى سور هدريان. وروع الآباء المسيحيين ما وجدوه من أوجه الشبه بين دينهم وبين المثراسية، وقالوا إن الثانية قد سرقت هذه العبادات عن المسيحية، أو أنها في المثراسية حيل مضللة احتال بها عليهم الشيطان (صورة من أهرمان). وليس من." (١)

"روحه (١٧). وظلت بلندينا Blandina، وهي أمة صغيرة السن، تعذب يوما كاملا، ثم ربطت في زكيبة، وألقيت في المجتلد ليفتك بها ثور وحشر، وتحملت الفتاة عذابها وهي صامتة، ولذلك اعتقد كثيرون من المسيحيين أن المسيح كان يفقد شهداءه قوة الإحساس بالألم؛ ولعل النشوة الدينية والخوف هما علة عدم الإحساس. وفي ذلك يقول ترتليان: "إن المسيحي كان يلهج بالشكر حتى حين يحكم عليه بالإعدام" (١).

وخفت حدة الاضطهاد في عهد كمودس، ثم عاد إلى ما كان عليه في عهد كبتميوس سفيرس، وبلغ من شدته أن كان التعميد نفسه يعد جريمة تستحق العقاب، وفي عام ٢٠٣ استشهد كثيرون من المسيحيين في قرطاجنة ومن هؤلاء أم في مقتبل العمر تدعى بربتوا Berpetua تركت وراءها وصفا يفتت الأكباد لأيامها التي قضتها في السجن، ورجاء أبيها لها أن تنكر الدين المسيحي. وقد ألقيت هي وأم شابة أخرى إلى أحد الأثوار الوحشية وافترسهما الثور. ولدينا في أحد أسئلتها الأخيرة "حين ألقي بها إلى الثيران" دليل على ما يحدثه الخوف والغيبوبة من تخدير. وتصف لنا قصتها كيف وجهت بنفسها إلى عنقها **خنجر** المجالد الذي أمر على الرغم منه أن يقتلها (١٩). ولم تكن الإمبراطورات السوريات اللائي جلسن على العرش بعد سبتميوس يعنين كثيرا بالآلهة الرومانية. ولقيت المسيحية في أيامهن شيئا من التسامح الناشئ من عدم اهتمامهن بأمرها: ويبدو أن السلم قد سادت جميع الأديان المتنافسة في أيام ألكسندر سفيرس. وانتهت الهدنة بتجدد هجمات البرابرة. وإذا شئنا أن نفهم الاضطهاد في عهد

---

(١) ومعلوماتنا عن الاضطهاد الذي حدث في ليون مستمدة من رسالة بعث بها ((خدام المسيح في

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٤٩/١١

لجدنوم وفينا من أعمال غالة إلى إخوانهم في آسية وفريجا)) وقد بقيت هذه الرسالة في كتاب تاريخ الكنيسة ليوسبيوس ١: ٥. ولعل بعض المغالاة قد سرت إلى هذا التقرير.." (١)

"وإن أرسلوا الهدايا؛ وأقبلت برنهلدا لتزدان بها أبهاء متز وريمز (٥٦٦). ودب الحسد في قلب كلبريك، لأنه لم يكن له إلا زوجة ساذجة تدعى أودوفيرا Audovera وعشيقة فظة تدعى فردجندا Fredegunda، فطلب إلى أثاناجلد أن يزوجه أخت برنهلدا؛ وجاءت جلزونثا Galswintha إلى سوسوان وأحبها كلبريك لأنها جاءت معها بكنوز عظيمة، ولكنها كانت أكبر سنا من أختها؛ فعاد كلبريك إلى أحضان فردجندا. وطلبت جلزونثا أن تعود إلى أسبانيا، فأمر كلبريك بقتلها خنقا (٥٦٧)، وأعلن سجيبرت الحرب على كلبريك وهزمه، ولكن فردجندا بعثت إليه بعبدين قتلا سجيبرت، وقبض على برنهلدا ولكنها استطاعت الفرار وتوجت ابنها الشاب كلدبرت الثاني، وحكمت البلاد باسمه حكما أظهرت فيه كثيرا من الحزم والكفاية.

ويصف المؤرخون كلبريك كأنه نيرون ذلك الوقت وهيروده، يصفونه بأنه غليظ القلب، سفاك للدماء، شهواني نهم شره، في جمع الذهب. ويفسر جريجوري التوري، وهو عمدتنا الوحيد في هذه المعلومات، تلك الصفات إلى حد ما بأن يصوره كأنه فردريك الثاني في عصره، فيقول إن كلبريك كان يسخر من فكرة وجود ثلاثة أشخاص في إله واحد، وبتصوير الله كأنه إنسان، وكان يعقد مع اليهود مناقشات مزرية، ويحتج على ثروة الكنيسة الطائلة، وعلى نشاط الأساقفة السياسي، وألغى الوصايا التي يترك بها الناس ما لهم للكنائس، وكان يبيع كراسي الأساقفة لمن يؤدي أكثر الأثمان، وحاول أن يخلع جريجوري نفسه من كرسي تور (٥١). ويصف الشاعر فرتناتوس هذا الملك نفسه بأنه جماع الفضائل، فهو حاكم عادل لطيف، شيشرون زمانه في الفصاحة؛ ولكن يجب ألا ننسى أن كلبريك قد أجاز فرتناتوس على شعره.

ومات كلبريك بطعنة خنجر في عام ٥٨٤، وربما كان طاعنه مسلطا عليه من برنهلدا، وترك وراءه ولدا رضيعا هو كلوتار الثاني فحكمت فردجندا نستريا." (٢)

"وخلع إدوارد في عام ١٣٠١ لقب أمير ويلز على ولي عهد إنجلترا.

واحتفظ أهل ويلز في أثناء هذا الارتفاع والهبوط بلغتهم وعاداتهم، وظلوا يفلحون أرضهم الصلبة بشجاعة

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٧٦/١١

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٨٧/١٢

وجلد، ويسلون أنفسهم في الليل والنهار بالأقاصيص، والشعر، والموسيقى، والغناء. وصاغ شعراؤهم في ذلك الوقت قصص مابينوجيون Mabinogion، ومزجوا الأدب مزجا فذا مقطوع النظير بالحنان الصوفي ذي النغم الجميل. وكان الشعراء والمغنون الجائلون يجتمعون في كل عام في مجلس وطني نستطيع أن نرجع بتاريخه إلى عام ١١٧٦، تعقد فيه المباريات في الخطابة، والشعر، والغناء، والعزف على الآلات الموسيقية؛ وكان أهل ويلز مقاتلين بواسل، ولكنهم لم يكونوا يصبرون على الحرب الطويلة الأمد، وكانوا يتوقون إلى العودة إلى أوطانهم يحمون بأنفسهم نساءهم وأطفالهم وبيوتهم، وكان من أمثالهم مثل يتمنون فيه أن يكون "كل شعاع من أشعة الشمس **خنجرا** يطعن صدور المحبين للحرب" (٥٥).." (١)

"بتصريف شئون المالية البابوية، ولم يكتف بذلك بل عين رجلين من أعداء الميديتشين-جيرولامو ريارio Girolamo Riario حاكما لإيمولا وفرانتشسكو سلفياني Francesco dalviati كبيرا لأساقفة بيزا، وكانت وقتئذ من أملاك فلورنس. ورد لورندسو على ذلك في ساعة غضبه بعمل عاجل طائش لم يكن كوزيمو ليرضي به: ذلك أنه أتخذ الوسائل المؤدية إلى انهيار شركة باتسي، وأمر بيزا أن تمنع سلفياني من الجلوس على كرسي الأسقفية. واستشاط البابا غضبا من هذا العمل، ووافق على مؤامرة دبرها آل باتسي، ورياريو، وسلفياني يبغون بها إسقاط لورندسو، وقد أبى أن يوافق على اغتيال عدوه الشاب، ولكن المتآمرين لم يجدوا في هذا التأنق عقبة تحول بينهم وبين غرضهم، فدبروا أمر قتل لورندسو وجوليانو أثناء القداس الذي سيقام في الكنيسة الكبرى في يوم عيد الفصح (٢٦ أبريل من اعم ١٤٧٨)، في اللحظة التي يرفع فيها القس القربان المقدس غير مبالين بمخالفة ذلك العمل للأصول الدينية المرعية. وأتفق على أن يستولي سلفياتي وجماعة آخرون على البلاتسو فيتشيو ويطردوا مجلس فلورنس الأعلى.

وجاء لورندسو إلى الكنيسة في اليوم المحدد لا يحمل سلاحا وليس معه حرس جريا على سنته، وتأخر جوليانو عن الموعد المضروب، فذهب إليه فرانتشسكو ده باتسي وبرناردو بنديني، وكانا قد تعهدا باغتياله، وأخذا يمزحان معه، واقنعاه بالذهاب إلى الكنيسة، وفيها وبيننا كان القس يرفع يده بالقربان المقدس طعنه بنديني جوليانو في صدره، فسقط على الأرض مدرجا بدمه، وانقض عليه فرانتشسكو واخذ يكيل له الطعنات بعنف أدى إلى جرح ساقه هو. وهاجم أنطونيو دا فلتيرا Antonio da Volterra وقسيس يدعى استفانوا لورندسو **بخنجريهما**، فاتقى الضربات بذراعيه، ولم يصب إلا جرح خفيف، ثم أحاط به أصدقاؤه

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢١٦/١٥

وساروا به إلى إحدى غرف المقدسات في الكنيسة، وفر المعتديان من الجمهور الغاضب، وحمل جوليانو بعد موته إلى قصر آل ميديتشي.." (١)

"بها الأدي في عام ١٤٤٥ للاستيلاء على بروجيا، وظلوا من ذلك الحين يحكمون المدينة حكم الطغاة وإن كانوا يعترفون رسميا بأنها إقطاعية بابوية ولنترك الآن فرانتشيسكو ماتارتسو Franccsco Matarazzo مؤرخ بروجيا نفسه وصف حكومة البجليوني:

أخذت حال مدينتنا تزداد سواء على سوء منذ اليوم الذي طرد فيه الأدي، والتحق جميع الشبان بحرفة الجندية، ، واضطربت حياتهم جميعا، وانتشرت في كل يوم أخبار عن إيغالهم في اللذات المختلفة، وفقدت المدينة عقلها وعدالتها، فكان كل إنسان يأخذ حقه بيده كأنه هو صاحب السلطان والملك المسيطر. وبعث البابا راجيا أن يعيد بذلك النظام إلى المدينة المضطربة، ولكن كل من بعثهم إليها عادوا فزعين مرعوبين يخشون أن تمزق أجسادهم إربا، لأن البجليوني أنذرهم بأن يلقوا بعضهم من نوافذ القصر، ولهذا لم يجرؤ كردنال أو غيره من الأحبار أن يقترب من بيروجيا إلا إذا كان صديق السرة الحاكمة. وبلغ من تعاسة المدينة أن اصبح أشد الناس خروجا على القانون أعظم أهلها شأنا، وإن كان من قتل منها رجلين أو ثلاثة رجال يسير في داخل القصر كما يشاء، ويذهب وبيده سيفه أو **خنجره** ليخاطب الحاكم أو غيره من ولاة الأمور، كان كل صاحب مقام يتعرض للمهانة ويطأه بالأقدام القتلة المأجورون الذين لهم الحظوة عند الأشراف، ولم يكن في وسع أحد من الأهلين أن يدعي أن شيئا ما ملك له، فقد كان الأشراف ينهب بعضهم ممتلكات البعض الآخر وأرضه، وكانت كل الوظائف تباع أو تلغى، وبلغ من فدح الضرائب وشدة الاغتصاب أن ضج الناس جميعا بالشكوى (١١).

وسأل أحد الكرادلة البابا إسكندر عما عساه أن يفعل مع أولئك الشياطين الذين لا يخشون الماء المقدس؟ (١٢) وكان البجليوني بعد أن طردوا الأدي من المدينة قد انقسموا أحزابا جديدة، وأخذوا يتطاحنون." (٢)

"وتقع ريمنى جنوب الربيكون مباشرة في الموضع الذي يلتقي فيه طريق إيمليا بطرف البحر الأدرياوى. وقد دخلت هذه البلدة في تاريخ النهضة دخولا عنيفا بفضل أسرتها الحاكمة أسرة المالاتيستا Malatesta أي الرؤوس الشريرة. وكان أول ظهور لهذه الأسرة في أواخر القرن العاشر، وكانوا وقتئذ عمالا للدولة الرومانية

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٠٥/١٨

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٣٠/١٩

المقدسة يحكمون تخوم أتكونا من قبل أتو الثالث. وأخذ هؤلاء يناصرون الحلف على الحبلين، ثم يناصرون هؤلاء على أولئك، ويخضعون للإمبراطور تارة، وللبابا تارة أخرى، فاستطاعوا بذلك أن يستحوذوا على السيادة الفعلية، وإن لم يستحوذوا على السيادة الرسمية، في أنكونا، وريميني، وسيزينا، وأن يحكموا هذه البلدان حكم الطغاة المستبدين لا يعرفون من مبادئ الأخلاق سوى الدسائس، والغدر، والسيف، حتى لم يكن كتاب الأمير لمكيفلي إلا صدى خافتا لحكمهم الواقعي، حكم الدم والحديد استحالا مدادا كما استحال حكم بسمارك فلسفة نيتشه. وكان أحد أفراد هذه الأسرة والمسمى جيوفنى هو الذي قتل زوجته فرانتشيسكا دا ريمنى وأخاه باولو (١٢٨٥). وأبلغ سجسمندونالاتيستا Sigismondo Malatesta شهرة الأسرة ذروتها من حيث القوة، والثقافة، والاغتيال. وولدت له عشيقاته الكثيرات عدة أبناء، وكان في بعض الأحيان يجمع بين هؤلاء العشيقات في وقت واحد ويسبب له الجمع بينهن كثيرا من المتاعب (٩). وتزوج ثلاث مرات، وقتل اثنتين من زوجاته متهما إياهن بالزنا (١٠). وقد اتهم بأنه واقع ابنته حتى حملت منه، وأنه حاول أن يأتي ولده، وأن ولده هذا صده عن نفسه **بخنجره** المسلول (١١)، وأنه قد أفرغ شهوته في جثة سيدة ألمانية آثرت أن تموت على أن تحتضنه (١٢)، بيد أننا لا نجد ما يؤيد هذه الأعمال إلا أقوال أعدائه. ولقد كان وفيا وفاء غير معهود لعشيقته الأخيرة إيزتا ديجلى أتى Isott degli Atti، وتزوجها." (١)

"إلى مستوى مزهريات عيلام. وأما صناعة الذهب فقد بلغت مستوى رفيعا كما يدل على ذلك ما وجد في أقدم مقابر أور التي يرجع تاريخ معظمها إلى عام ٤٠٠٠ (٦٦) ق. م من أوان من الذهب تنم عن ذوق راق ومصقولة أجمل صقل. وفي متحف اللوفر مزهرية من الفضة ضخمة كجسم جوديا ولكنها مزينة بطائفة كبيرة من صور الحيوانات المنحوتة نحتا جميلا (٦٧). وأجمل ما وجد من هذه القطع الفنية غمد من الذهب **وخنجر** مطعم باللازورد قد عثر عليها المنقبون في أور (٦٨). وإذا كان لنا أن نحكم على هذه الآية الفنية من صورها الشمسية (١) حق لنا أن نقول إن الفن يكاد يسمو فيها إلى ذروة الكمال. وقد كشف في هذه الخرائب عن عدد كبير من الأختام الأسطوانية معظمها مصنوع من المعادن الثمينة أو الأحجار الكريمة، وعليها نقوش منحوتة فيما لا يزيد على بوصة مربعة أو بوصتين. ويلوح أن السومريين كانوا يستخدمون هذه الأختام فيما نستخدم فيه نحن الإمضاءات، وكلها تشهد بما بلغته الحياة والأخلاق في

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٩/٣٠٠

تلك الأيام من رقي وتهذيب ينقض ما لدينا من فكرة ساذجة عن تقدم الإنسان المتواصل من ثقافات الأيام الخوالي المنحوسة إلى ثقافات هذه الأيام التي بلغت الحد الأقصى من الكمال!

ويمكن أن نلخص الحضارة السومرية تلخيصا موجزا في هذا التناقض بين خزفها الفج الساذج وحليها التي أوفت على الغاية في الجمال والإتقان. لقد كانت هذه الحضارة مزيجا مركبا من بدايات خشنة وإتقان بارع في بعض الأحيان. وفي تلك البلاد- على قدر ما وصل إليه علمنا في الوقت الحاضر- نجد أول ما أسسه الإنسان من دول وإمبراطوريات، وأول نظم الري، وأول استخدام للذهب والفضة في تقويم السلع، وأول العقود التجارية، وأول نظام للائتمان، وأول كتب القوانين، وأول استخدام للكتابة في نطاق واسع، وأول قصص الخلق والطوفان، وأول المدارس والمكتبات، وأول الأدب والشعر، وأول

)١) وأصل هذه التحفة محفوظ الآن في متحف بغداد.." (١)

"الولائم، وقدموا له من الهدايا ما يتناسب مع ما ينتظرونه منه. وقد جاء في أحد النقوش أن نبيلا من النبلاء أهدى أمنحوتب الثاني " عربات من الفضة والذهب وتماثيل من العاج والأبنوس، وجواهر، وأسلحة وتحفا فنية " و ٦٨٠ درعا، و ١٤٠ **خنجرا** من البرنز ومزهريات كثيرة من المعادن الثمينة (٨٩). وجازاه الملك على هذا بأن أخذ ابنه معه ليعيش في قصره- وهي طريقة ماكرة لاتخاذه رهينة يضمن بها ولاء هذا الشريف. وكان يتألف من أكبر رجال البلاط سنا مجلس شيوخ يسمى سارو أي مجلس العظماء مهمته أن يكون مجلسا استشاريا للملك (٩٠). على أن هذه الاستشارة لم تكن في الواقع ضرورية لأن الملك ومن ورائه الكهنة كان يدعى أنه من سلالة الآلهة وأن الآلهة نفسها قد وهبته السلطة والحكمة. وكان اتصاله بالآلهة على هذا النحو مصدر نفوذه وهيبته. ومن أجل هذا كانت تخلع عليه إذا خوطب صفات من الإجلال يدهش لها الإنسان أحيانا. من ذلك ما جاء في قصة سنوحى إذ يحييه مواطن صالح بقوله: "أيها الملك الطويل العمر أرجو أن تهب الواحدة الذهبية (أي الإلهة حتحور) الحياة لأنفك" (٩١).

وكان يقف على خدمة الملك- كما يليق بشخص هذه عظمته- عدد كبير من مختلف الأعوان منهم القواد، وغاسلو الملابس، وقصارها، وحراس خزائنها، وغيرهم من ذوي المراتب الرفيعة. وكان عشرون من الموظفين يشتركون في تزيينه، منهم حلاقون لا يسمح لهم إلا بقص شعره وحلق لحيته، وآخرون لإلباسه قلنسوته وتاج

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢/ ٤٠

رأسه، ومدرمون يقصون أظافره ويدرمونها، ومعطرون يعطرون جسمه ويكحلون جفون عينيه، ويحمرون خديه وشفتيه بالصبغة الحمراء (٩٢). وجاء في نقش على أحد القبور أن صاحب القبر كان "المشرف على صندوق دهان الشعر والوجه، المسيطر على الدهان، حامل خفي الملك، والذي يعني بخفيه العناية التي يرضاها القانون" (٩٣). وكان الانحلال والضعف عاقبة هذا التنعم المفرط، وكان الملك يلجأ في بعض الأحيان إلى الترويح عن نفسه وإزالة ما يعتريه من ملل." (١)

"أراد أن يحرر ميديا وفارس من غزو البدو الهمج الضاربين في أواسط آسية. ويلوح أنه أوغل في حملاته حتى وصل إلى ضفاف نهر جيحون شمالا وإلى الهند شرقا؛ فلما وصل إلى ذروة مجده قتل فجأة وهو يحارب المسجيتة إحدى القبائل المجهولة التي كانت نازلة على السواحل الجنوبية لبحر الخزر، فكان كالإسكندر افتتح إمبراطورية متسعة الرقعة ولكن المنية عاجلته قبل أن ينظمها. لكن أخلاق قورش قد شابتها شائبة كبيرة، تلك هي قسوته المفرطة في بعض الأحيان.

وجاء بعده ابنه قمبيز وكان به شبه جنة، فورث عن أبيه قوته وإن لم يرث عنه شيئا من كرمه. وبدأ قمبيز حكمه بأن قتل أخاه سمرديس منافسه في الملك، ثم أغوته ثروة مصر الطائلة فزحف عليها ليمد حدود الإمبراطورية الفارسية إلى نهر النيل. وأفلح فيما كان يبتغيه، ولكنه على ما يظهر أضاع في سبيل ذلك رشده. ولم يكلفه الاستيلاء على منف كبير مشقة، ولكن الجيش الذي أرسله للاستيلاء على واحة أمون هلك في الصحراء، كما أخفقت حملة سيرها إلى قرطاجنة لأن بحارة الأسطول الفارسي الفينيقيين أبوا أن يهاجموا مستعمرة فينيقية؛ وجن جنون قمبيز، فذهبت عنه حكمة أبيه، وما كان يتصف به من رحمة وتسامح، فأخذ يسخر من دين المصريين، وطعن **بخنجره** العجل أبيس معبودهم وموضع إجلالهم وتقديسهم وهو يستهزئ به. ولم يكفه هذا، بل أخرج الجثث المحنطة من مدافنها ونبش قبور الملوك ولم يبال في ذلك بما كان عليها من لعنات قديمة، ودنس الهياكل وأمر بإحراق ما فيها من الأصنام، ظنا منه أن عمله هذا سوف يشفي المصريين من خرافاتهم وأوهامهم، فلما انتابه المرض- ويلوح أن مرضه كان نوبات مرض تشنجية- لم يبق لدى المصريين شك في أن مرضه إنما هو عقاب حل به من قبل آلهتهم وأن دينهم لم يبق فيه بعدئذ ريبة لمرتاب. وكأن قمبيز قد أراد أن يبرهن مرة أخرى على مساوئ الملكية المطلقة، ففعل ما فعله." (٢)

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٩٤/٢

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٤٠٥/٢

"الله الصالحين؟. وانتشر العنف بين الأفراد انتشارا واسع النطاق. وكان من أسباب قوة النزاع بين الأسر زوال العادات القديمة والعقيدة الدينية، والتراخي في أخذ الناس بالقانون، ولهذا كان الناس يثأرون لأنفسهم بأنفسهم، وظلت الأسر يقتل بعضها بعضا جيلا بعد جيل، كما ظل التبارز عادة مألوفة مشروعة في إيطاليا لا يقف حتى يقتل أحد المبارزين نده، وحتى الأولاد الصغار كان يسمح لهم بأن يقاتل بعضهم بعضا بالمدى، ويعد هذا أيضا من الأعمال المشروعة (٧٥). وكان النزاع بين الأحزاب أشد منه في أي مكان آخر في أوربا، وكانت الجرائم وأعمال العنف يخطئها الحصر. وكان من المستطاع ابتياع السفاحين بأثمان لا تكاد تزيد على أثمان صكوك الغفران، وكانت قصور روما تزدحم بأولئك السفاحين المستعدين لاغتيال أي إنسان بإشارة من سادتهم. وكان كل إنسان يحمل **خنجرا**، وكان عاجنو السموم يجدون كثيرين من طالبي سمومهم، حتى بلغ الأمر أن أهل روما قلما كانوا يعتقدون أن إنسانا ذا شخصية بارزة أو مال موفور مات ميتة طبيعية ... وكان كل ذي شخصية يطلب أن يذوق شخص آخر بين يديه كل ما يقدم له من طعام أو شراب. وانتشرت في روما قصص عن سم بطيء لا يسري مفعوله إلا بعد فترة طويلة تكفي لستر آثار من يقدمه. وكان على الإنسان أن يكون يقظا محاذرا في تلك الأيام؛ فإذا غادر المنزل في ليلة من الليالي، فقد ينصب له كمين ويسرق ماله، ويكون من حسن حظه إلا يلقى حتفه؛ وحتى في الكنيسة نفسها لم يكن الشخص آمنا على نفسه، وكان عليه إذا سار في الطرق العامة أن يستعد لمقاومة قطاع الطرق. ولهذا كان من الواجب أن يصير عقل رجل النهضة حادا كحدة نصل السفاح.

وكانت القسوة أحيانا قسوة جماعية تسري عدواها في الأفراد والجماعات. مثال ذلك أن فتنة اندلع لهيبها في أرتسو عام ١٥٠٢ ضد أحد المندوبين الفلورنسيين، فقتل فيها مئات من أرتسو في شوارعها محيت فيها أسر." (١)

"إلى خارجها، ونظم قوة قوامها ثلاثة آلاف رجل هاجم بهم المحاصرين لكنه هزم وخسر من جنوده ألفي رجل، وأسر هو نفسه، وجيء به أمام فيريدسيو مارمليدي Fadrizio Marmalidi وهو قائد من أهل كلابريا كان على رأس الخيالة في جيش الإمبراطور. وأمر مارمليدي أن يؤتى بفيروتشي Ferucci مقبوضا عليه أمامه، وأخذ يدفع **الخنجر** في صدره حتى فارق الحياة (٥١). وأخذ القائد الذي استأجرته فلورنس ليتولى قيادة المدافعين عنها، وهو مالاتستا بجليوتي، يتفاوض لعقد اتفاق غادر مع المحاصرين،

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢١/١١٧

فأدخلهم المدينة، وصوب مدافعه نحو الفلورنسيين. واضطرت المدينة بتأثير الجوع واختلال النظام إلى التسليم (١٢ أغسطس سنة ١٥٣٠).

وأصبح ألسندرو ده ميديتشي دوقا على فلورنس وجلل أسرته العار بما ارتكبه من أعمال النهب وما أظهره من قسوة، فعذب مئات من الذين حاربوا دفاعا عن الجمهورية، أو نفوا منها، أو قتلوا تقتيلا. وأرسل الراهب بنيديتو إلى كلمنت، فأمر هذا بسجنه في قلعة سانت أنجيلوا، وفيها سجن الراهب حتى هلك من الجوع كما تقول إحدى الروايات التي لا يوثق بصحتها (٥٢). وحل مجلس السيادة الذي كان يتولى حكم المدينة، وأطلق من ذلك الوقت اسم بالاتسو فيتشيو (Palazzo Vacchio أي قصر فيتشيو) على بالاتسو دلا سنيوريا (Palazzo della Sagnoria أي قصر السيادة)؛ وأنزل الناقوس الضخم العظيم الذي يزن أحد عشر طنا والمسمى بالبقرة La Vacco والذي ظل أجيالا طوالا يدعو الناس من البرج الجميل إلى الاجتماع- أنزل هذا الناقوس من موضعه، وحطم تحطيما؛ "حتى لا تستمع بعدئذ إلى صوت الحرية العذب" كما يقول أحد كتاب اليوميات المعاصرين (٥٣).." (١)

"ولم يكن أريتينو يشك في أنه سيحصل على هذا كله. وكأنما أراد أن يثبت هذا فطلب إلى سفير مانتوا أن يرجو فيديريجو أن يهبه "قميصين مطرزين بالذهب ... وآخرين مشغولين بالحرير، ومعها قلنسوتان من الذهب". فلما أبطأت عليه هذه المطالب أنذر بأنه سوف يهجو المركيز هجوا يقضي عليه من فوره. وحذر السفير فيديريجو من هذا بقوله: "إن سموك لتعلم قوة لسانه؛ ولن أقول لك شيئا غير هذا". وسرعان ما وصلت أربعة قمصان مطرزة بالذهب، وأربعة مطرزة بالحرير، وقلنسوتان من الذهب، وقبعتان من الحرير، وكتب السفير يقول: "إن أريتينو راض قانع". وكان في وسع بيترو أن يرتدي وقتئذ رداء الأدواق.

وقضى على فترة الرخاء الثانية في روما حادث روائي إلى إصابته خفية بطعنات **خنجر**. وتفصيل ذلك أن أريتينو قال أبياتا أهان بها فتاة تعمل في مطبخ جبيرتي، فهاجمه خادم آخر من خدم جبيرتي يدعى أتشيلي دلا فولتا Achille della Volta في أحد شوارع المدينة في الساعة الثانية صباحا (١٥٢٥)، وطعنه **بخنجر** في صدره طعنتين، كما طعنه طعنة شديدة في يده اليمنى أدت إلى بتر إصبعين من أصابعهما. ولم تكن الجراح مميتة، وسرعان ما شفي منها أريتينو، وطالب باعتقال أتشيلي، ولكن كلمنت وجبرتي لم يتدخلا في الأمر. وظن بيترو أن جبيرتي يعمل لقتله، فاستقر رأيه على أن الوقت قد آن للطواف مرة أخرى بإيطاليا،

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢١/٢٠٤

فانتقل إلى مانتوا والتحق مرة أخرى بخدمة فيديريجو (١٥٢٥). ولما سمع بعد عام من ذلك الوقت أن جيوفني دلى باندى نيرى يجهز جيشا يقصد به غزو فرندسبرج، ثارت في نفسه ذرة خفية من النبل والكرامة، فسافر راكبا نحو مائة ميل لينضم إلى جيوفني في لودى Lodi. وغلى كل ما في عروقه من الدم حين فكر في أنه وهو الشاعر المسكين قد يصبح رجل جد وعمل، وأنه قد يبلغ من أمره أن ينشئ لنفسه إمارة يتولى هو رياستها، بدل أن يكون مجرد خادم مهين لأمير.." (١)

"طعن رجلا أساء إليه **بخنجر** في عنقه وكانت الطعنة في دقة طعنات المصارعين في ميادين الجلاد قضت على حياة غريمه من فوره (٤١). وفي مرة أخرى "طعنت رجلا تحت أذنه بالضبط، ولم أوجه إليه أكثر من ضربتين لأنه خر ميتا لساعته، على أنني لم أكن أقصد قتله، ولكن الضربات لاتكال للغريم بقدر، كما يقول المثل" (٤٢).

وكان مستقلا في أمور دينه كما كان مستقلا في أخلاقه، وإذ كان دائما على حق- إلا في مرة واحدة- فقد كان يحس أن الله لاشك في جانبه، يقوي ذراعه؛ وكأن يد الله تعينه على من يقتل من أعدائه، ويحمده حمدا كثيرا على نجاحه، على أنه لما لم يستجب الله لدعائه، ولم يعنه على أن يجد حبيبته المفقودة أنجليكا Angelica، اتجه نحو الشياطين يستمد منها ما ينقصه من معونة، فقد أخذه ساحر صقلي أثناء الليل إلى الكلوسيوم المهجورة؛ ورسم على الأرض دائرة سحرية، وأشعل النار، وألقى بعض البخور على اللهب، وتلا عدة رقي عبرية، ويونانية، ولاتينية، استدعى بها الجن واعتقد بينفينوتو بحق أن مئات الأشباح ظهرت أمامه، وتنبأت له بقرب اجتماعه بأنجليكا؛ فعاد إلى بيته، وقضى بقية الليل يرى الشياطين (٤٣).

ولما أن نهب جيش الإمبراطور روما فر تشيليني إلى قلعة سانت أنجيلو، وانخرط في سلك جنود المدفعية، ويعترف بأن إحدى طلقاته هي التي قتلت دوق بوربون، وأن دقة رمايته هي التي أبقت المحاصرين على مبعدة من القلعة، فكان هذا سببا في نجاة البابا، والكرادلة وينفينوتو نفسه، ولسنا نعرف ما في هذا القول من صدق، ولكنه هو نفسه يحدثنا أيضا بأنه لما عاد كلمنت إلى روما، عين تشيليني حامل صولجانه ورتب له ما ئتي كرون في الشهر (٢٥٠٠؟ دولار) وقال: "لو أنني كنت إمبراطورا غنيا لوهبت بنيفينوتو من الأرض بقدر ما تستطيع عيناي أن تقعا عليه؛ أما وأنا الآن." (٢)

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٣٤/٢١

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٢٨/٢١

"ووجد الملك والحاشية في فنتانا بيليو Fontana Belio أي فنتين بلو Fontainebleau، ورحب به فيها أعظم ترحيب، وخصص له قصر حصين في باريس يسكنه ويتعبد فيه؛ ولما أبى من فيه أن يغادروه طردهم منه قوة واقتدارا، ولم يرتح الفرنسيون لآدابه أو لغته، وأغضب ما دام ديتامب Mme d' Etampes عشيقة الملك بقلة مجاملته لحضرتها العلية، ولما سمعت بأنه ألقي من نافذة القصر أثاث السكان الذين أخرجهم منه حذرته منه بقولها إن "ذلك الشيطان سينهب باريس يوما من الأيام" (٤٦). وسر الملك المرح من القصة، وعفا عن عنف تشيليني إكراما لفنه، وخصص له مرتبا سنويا قدره ٧٠٠ كرون (٨٧٥٠؟ دولارا). ووهبه ٥٠٠ كرون أخرى نفقة رحلته من روما، ووعده بمبلغ إضافي عن كل عمل فني يقوم له به، ولشد ما ازدهى بنيفينوتو حين علم أن هذه هي نفس العروض التي قدمت لليوناردو قبل ذلك بعشرين عاما (٤٧).

وتقدم أحد السكان الذين طردوا من القصر إلى القضاء يتهمه بسرقة بعض ممتلكاته، وأدانت المحكمة تشيليني، ولكنه قلب الحكم بطريقته المدهشة وفي ذلك يقول:

فلما رأيت أني خسرت القضية ظلما وعدوانا، لجأت في الدفاع عن نفسي إلى **خنجر** كبير كنت أحمله معي، لأني كنت على الدوام أجد لذة في حمل الأسلحة اللطيفة، وكان أول شخص هاجمته به هو المدعي الذي قاضاني، وجرحته ذات ليلة في ساقيه جراحا شديدة، وحرصت مع ذلك على ألا أقتله، ولكنني حرمته من استخدام ساقيه كلتيهما.

ويلوح أن المدعي لم يسر في القضية إلى أكثر من هذا، واستطاع تشيليني أن يوجه جهوده إلى نواح أخرى، وكان معه في مرسمه بباريس "فتاة فقيرة تدعى كترينا، وكان أهم غرض أستبقيها لدى من أجله هو الفن، لأني لا أستطيع الاستغناء عن نموذج؛ ولكنني وأنا أيضا رجل." (١)

"الكنيسة وتوزيع دخلها على الشعب. وأعقب ذلك نزاع، فقد وصف أحد حاشية الملك، تيلر بأنه لص فأمر تيلر مساعده، بقته فوقف العمدة ولورث في الطريق فما كان من تيلر إلا أن طعن ولورث الذي أنقذه الدرع المستور تحت عباءته وطعن ولورث **بخنجره** تيلر وأنفذ أحد سراة رتشارد سيفه في تيلر مرتين فعاد تيلر إلى رجاله صائحا الخيانة، وسقط ميتا عند أقدامهم فذهلوا من هذه الخيانة المفضوحة وأعدوا سهامهم وتأهبوا لإطلاقها. ومع أن عددهم كان قد أخذ في النقصان إلا أنهم ظلوا قوة لا يستهان بها وقد

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٣٠/٢١

أحصاهم فروسافرت بعشرين ألف رجل من المحتمل أنهم كانوا يستطيعون الإحداق بحاشية الملك. ولكن رتشارد خرج إليهم في شجاعة وهو يصيح "أيها السادة، أتقتلون مليككم؟ سأكون رئيسكم وقائدكم، وستنالون مني ما تطلبون. وليس عليكم إلا أن تتبعوني إلى الحقول بعيدا " ومضى غير واثق أوعوا كلامه؟ أيتركونه حيا؟ وتردد الثوار. ثم اتبعوه واختلط معظم الحرس الملكي بهم.

أما ولورث فقد ركض بفرسه عائدا إلى المدينة، وأصدر أوامره إلى شيوخ النواحي الأربع والعشرين أن ينضموا إليه بكل القوات المسلحة التي يستطيعون حشدها. وكان كثيرون من المواطنين الذين عطفوا على الثورة أول الأمر قد أخذوا يحسون القلق من جراء أعمال القتال والتخريب، وشعر كل امرئ، يمتلك عقارا أن أملاكه وحياته في خطر، وهكذا وجد العمدة لفوره جيشا تحت إمرته يتألف من سبعة آلاف رجل كأنما انشقت عنهم الأرض. فعاد بهم إلى شمثفيلد، وهناك لحق بهم الملك وأحاط به، وعرض عليه أن يعمل السيف في الثائرين. فأبى رتشارد، فهم الذين وهبوا له الحياة عندما كان تحت رحمتهم، وهو لا يريد أن يبدو أقل منهم كرما وقد أعلن إليهم أنهم أصبحوا أحرارا يستطيعون أن يرحلوا بسلام. وسرعان ما انقشع الذين بقوا من ثوار اسكس وهرتفورد، واختفى عصاة لندن." (١)

"بين الحزب البرجندي والحزب الأرمنياكي-وهم أنصار حمى لويس كونت أرمنياك-من اجل السيطرة على السياسة الفرنسية، ومات جون بدوره مقتولا بطعنة **خنجر** من يد مغتال (١٤١٩). وأنكر ابنه فليب الطيب كل سبب من أسباب الولاء لفرنسا، وعقد محالفة بين برجنديا وإنجلترا، وضم تورناي ونامور وبرابانت وهولندة وايزلند، ولمبرج ولوفان. ولما عقد الصلح مع فرنسا (١٤٣٥) فرض الاعتراف بالسيادة العملية لدوقيته، والتنازل عن لكسمبرج، وليج وكامبراي وتراخت. وبلغت برجنديا إذ ذاك أوجها، منافسة في الثروة والسلطان أية مملكة من ممالك الغرب.

وأغلب الظن أن فيليب لم يكسب "الطيب" من القلوب الطيبة. ذلك لأنه لم يكن يترفع عن الغدر والقسوة وسورة الغضب الأهوج. بيد أنه كان ابنا وافيا، وإداريا بارعا وأبا محبا حتى لأبنائه الستة عشر غير الشرعيين. وكان كغيره من الملوك شغوفا بالنساء له أربع وعشرون خليلة، ويصلي ويصوم ويتصدق، وجعل عواصمه-دجون وبروجس وجنت-مراكز الإشعاع الفن للعالم الغربي خارج إيطاليا. وأتاح حكمه الطويل لبرجندنا وولاياتها، من أسباب الترف، ما جعل رعاياه يتسامحون معه ولا يذكر أخطاءه إلا القليل منهم وتدمرت

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٩٠/٢٢

المدن الفلمنكية على حكمه، وتحرقوا شوقا لرؤية تحول، منظماتهم النقابية وحرياتهم الإقليمية، إلى اقتصاد قومي، في ظل حكومة مركزية. وسحق فيليب وابنه شارل ثوراتهم، ولكنهما سمحا بترضية سليمة، لأنهما أدركا أن أعظم موارد الأمارة إنما تستمد من صناعة هذه المدن وتجارتها وليس من شك أن مناطق الرين السفلى، قبل فيليب كانت تختلف في النظم الاجتماعية وشؤون السياسة، اختلافها في العنصر ولغة الحديث، فضمها في دولة موحدة، وأقر فيها النظام، وأعان على ازدهارها.." (١)

"ألمت بي بعض المحن إذ أصبت بالجدري الفرنسي وأقصيت عن بلدي وطردت منها ومع ذلك كنت أرف طوال ذلك الوقت أني سأكون البابا يوما ... وتحقق هذا بمساعدة الفرنسيين من ناحية، والأموال التي اقترضتها بفائدة من ناحية أخرى، وبالوعود التي بذلتها من ناحية ثالثة. وما كان في استطاعة كرويزوس أن يسك كل النقود التي احتاج إليها هذا الأمر. وسوف يقول لك عن هذا المصرفيون. ولكني نجحت وفعلت من أجل الكنيسة والمسيح أكثر مما فعل أي بابا قبلي.

بطرس: ماذا فعلت؟

يوليوس: رفعت الدخل .. ابتدعت وظائف جديدة وبعتها ... وقمت بإعادة سك النقود وربحت مبلغا كبيرا من هذا الطريق. لاشيء يمكن أن يتم بغير المال. ثم ألحقت بولونيا بالسلطة البابوية ... وشددت آذان كل أمراء أوربا. وخرقت المعاهدات واحتفظت بجيوش عظيمة في الميدان. وغمرت روما بالقصور وتركت خمسة ملايين في الخزانة بعد وفاتي ...

بطرس: ولماذا أخذت بولونيا؟

يوليوس: لأستولي على دخلها ...

بطرس: وماذا جرى لفرارا؟

يوليوس: كان الدوق تعسا منكرا للجميل، فقد اتهمني بالتجار بالمقدسات والرتب والوظائف الديني ووصفني بأني أتجر بالرتب الكهنوتية ... لقد أردت دوقية فرارا لأحد أبنائي الذين تستطيع الكنيسة أن تعتمد على إخلاصهم وكان قد طعن **بالخنجر** كاردينال بافيا.." (٢)

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٢/٢٢٥

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٣/١٩٤

"تحول البروتستانت بالحجة فنظمت مناظرة عامة بين علماء اللاهوت المتعارضين في الرأي، ولكنها تبخرت في جدل مرير عقيم. وبعد ذلك بوقت قصير قذف واعظ الأسقف بونر **بخنجر** انطلق من جمهور استاء من وعظه الكاثوليكي، وأنقذه من الموت اثنان من رجال الدين البروتستانت (٣٢). وراع ماري تسامحها فأمرت (١٨ أغسطس سنة ١٥٥٣) بعدم التصريح بعظات تتعلق بالعقائد إلا في الجامعات، وذلك إلى أن يتيسر اجتماع المجلس النيابي وينظر في المشكلات التي أثارها النزاع بين العقائد. وأمر كرانمر، وكان لا يزال رئيسا للأساقفة، بملازمة قصره في لامبث، فرد على ذلك بمهاجمة القداس ووصفه بأنه "كفر بغيض"، وحكم عليه هو ولاتيمر بالسجن في البرج (سبتمبر سنة ١٥٥٣). أما ريدلي أسقف لندن الذي كان قد وصف ماري وإليزابث معا بأنهما ابنتا سفاح فكان قد ذهب إلى سجن البرج قبل ذلك بشهرين. وعلى الجملة فإن سلوك ماري في هذه الشهور الأولى من حكمها فاق في اللين والتسامح سلوك غيرها من عظماء الحكام في عصرها.

وكانت المشكلات التي واجهتها حرية بان تقهر امرأة تفوقها كثيرا من الذكاء والفطنة. وصدمت بالارتباك والفساد السائدين في الإدارة وأمرت بوقف الفساد، غير أنه أخفى رأسه ولم ينقطع. وضربت مثالا حسنا بتخفيض نفقات الأسرة الملكية، وتعهدت بتثبيت قيمة العملة، وتركت انتخابات المجلس النيابي حرة لم تتأثر بأي نفوذ ملكي. وكانت الانتخابات الجديدة "أعدل انتخابات حدثت منذ سنوات (٣٣) "، ولكن تخفيضها للضرائب ترك دخل الحكومة أقل من مصروفاتها، ولكي تحصل على الفرق فرضت ضريبة صادر على القماش وضريبة وارد على الأنبذة الفرنسية وأدت هذه الإجراءات التي كان ينتظر أن تساعد الفقراء إلى نكسة تجارية. وحاولت أن توقف نمو الرأسمالية بتحديد عدد ما يملكه أي فرد بنول أو اثنين. ونددت بـ "القماشين الأغنياء" بسبب دفعهم أجورا منخفضة وحظرت دفع." (١)

"الجدد من التجار والرأسماليين إلى البقاع الريفية الراكدة لهفة شديدة على الربح الذي زاد الإنتاج والبؤس كليهما معا. وأدخل المستوردون المغامرون إلى أوربا مخصبا أو سمادا جديدا غنيا بالفوسفات والنتروجين – وهو روث الطيور الذي يجتمع على شواطئ بيرو. وتأقلمت في تربة أوربا نباتات وشجيرات من آسيا أو أمريكا، مثل البطاطس وشجرة المغنولية (نبات جميل الزهر)، والأغاف الأمريكي، والفلفل والدهلية (زهر جميل)، والكبوسين (أبو **خنجر**) ... وأحضر التبغ من المكسيك إلى أسبانيا ١٥٥٨. وبعد

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٧٢/٢٥

ذلك بسنة واحدة أرسل جان نيكوت السفير الفرنسي في لشبونة بعض بذوره إلى كاترين دي مديتشي، وقد جزى التاريخ هذا السفير خير الجزاء فأطلق اسمه على أحد السموم.

ونمت صناعة صيد السمك بازدياد السكان، ولكن الإصلاح الديني سدد ضربة قاضية إلى تجار السردين بإباحة اللحوم يوم الجمعة، وتقدم التعدين بالتنظيم الرأسمالي. وكانت نيوكاسل تصدر الفحم في ١٥٤٩، وضاعف أصحاب المناجم إنتاجها بحث العمال على بذل جهود أعظم وأكثر نظاما، وتحسين وسائل تنقية المعدن الخام. وفي هذه السطور ينقلنا جورج أجريكولا إلى منجم في القرن السادس عشر:

إن أهم أنواع العمال هم المعدنون، الجرافون، الرافعون، الحمالون، الفرازون، الغسالون، الصاهرون ... وكانت ساعات الليل والنهار الأربع والعشرين، تنقسم إلى ثلاث نوبات كل منها سبع ساعات، والساعات الثلاث الباقية تتوسط النوبات، ليدخل العمال في أثنائها إلى المنجم أو يغادروه. وتبدأ النوبة الأولى الساعة الرابعة صباحا، وتنتهي في الحادية عشرة. وتبدأ الثانية في الساعة الرابعة صباحا، وتنتهي في الحادية عشرة. وتبدأ الثانية في الساعة الثانية عشرة وتنتهي في السابعة مساء. وهاتان نوبتان نهاريتان في الصباح وبعد الظهر. أما الثالثة، وهي النوبة الليلية، فتبدأ في." (١)

"٢ – القانون

لقد كان عصرا قاسيا رهيبا، انسجمت قوانينه مع اقتصاد لا يرحم، وإملاق مخز وفن كئيب، ولاهوت تخلى ربه عن المسيح وتبرأ منه.

وكانت الجريمة أمرا طبيعيا، بين سكان كتب على معظمهم الفقر والفاقة في الدنيا، واللعنة في الآخرة. وكان القتل منتشرا بكثرة في كل الطبقات. وتدلى **الخنجر** من حزام أي رجل ذي وزن، أما الضعفاء فقد اعتمدوا على القانون في إصلاح أخطائهم. وكانت جرائم الهوى والانفعال كثيرة جدا قدر كثرتها في روايات شكسبير. فلم يكن في زمرة الرجال أي "عطيل" أخفق في ذبح زوجته التي اشتبه في سلوكها. واعتبر المسافرون قطع الطرق أمرا مفروغا منه أو قضية مسلما بها، فساروا في جماعات. وكان عدد اللصوص في المدن التي لم تزل غير مضاءة ليلا، وفيرا قدر وفرة العاهرات. وكان لزاما أن يكون بيت الرجل حصنا منيعا. وفي أوج عظمة فرنسوا الأول، أعملت السلب والنهب في باريس في وضح النهار عصابة من اللصوص أطلق عليها اسم "الأولاد الأشرار". ويروي لنا برانتوم، رواية غير موثوقة كما تعودنا منه، كيف أن شار التاسع رغب في أن

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٨١/٢٦

يعرف كيف ينفذ النشالون أفانينهم، "فأمر شرطته بدعوة بعضهم إلى حفلة راقصة ملكية، وطلب بعد انتهاء الحفل أن يرى غنائمهم، فوجد أن ما جمعوه من نقود وحلى وملابس بلغ دون تباه أو تفاخر، في هذا المساء، ما قيمته عدة آلاف من الدولارات، مما ظن معه أن الملك سيموت من كثرة الضحك". ورخص لهم في الاحتفاظ بحصيلة فنهم ودراستهم، ولكنه ضمهم إلى الجيش لأن مماتهم خير من بقائهم على قيد الحياة (١٣). فإذا صنفنا، باعتبارها جرائم، الغش في السلع، والمغالطة التي تتسم بها حيل رجال الأعمال، وتفشى الرشوة في المحاكم، والاستيلاء على أملاك الكنيسة، وتوسيع الحدود بالغزو." (١)

"وصوره المرة بعد المرة، ورسم لبعض كتابات المصلح صورا كاريكاتورية للبابوات، على أنه رسم أيضا صورا لبعض أقطاب الكاثوليك أمثال دوق ألفا وألبرشت رئيس أساقفة ماينز. وقد أوتي عقلية تجارية عملية، فحول مرسمه إلى مصنع لتصوير الأشخاص ورسم الصور الدينية، وإلى جوار المرسم باع الكتب والعقاقير، وأصبح عمدة لفتنبرج في عام ١٥٦٥، ثم مات شبعان مالا وأياما.

كان التأثير الإيطالي خلال ذلك قد وصل إلى فتنبرج. وهو واضح في جمال الصور الدينية التي رسمها كراناخ، وأوضح في صوره الأسطورية، وأكثر وضوحا من هذه وتلك في صورة العارية. وقد أصبح مجمع الآلهة الوثنية ينافس الآن مريم والمسيح والقديسين كما نافسهم في إيطاليا، بيد أن روح الفكاهة الألمانية يضفي الحيوية على التقليدي المتوارث، وذلك بالسخرية من آلهة ماتوا ولم يعد هناك ما يخشى منهم. من ذلك أن لوحة كراناخ "حكم باريز" رسمت العاشق الطروادي (الذي أغوى هيلانه) بمضي إلى فراشه للنوم بينما الحسان المنتفضات من البرد ينتظرن حتى يستيقظ ويقضي بينهن. وفي لوحته "فينوس وكيوبيد" تبدو إلاهة الحب في جسدها العاري كالعادة، إلا من قبعة ضخمة- وكأن كراناخ يلمع في خبث إلى أن الرغبة وليدة العادة، بحيث يمكن تهدئتها بإضافة غير مألوفة. ومع ذلك فقد أقبل الناس على لوحة فينوس، وأخرج كراناخ منها- بمساعدة غيره- أكثر من عشرة أشكال لتضيء في فرانكفورت، ولننجراد، والقاعة البورجية، والمتحف المتروبوليتاني للفن ... وفي فرانكفورت تخفي فينوس مفاتنها ليستشفها الناظر من خلف خيوط رقيقة كنسيج العنكبوت، وهذه أيضا تستخدم في لوحة "لوكريشيا" ببرلين، إذا تتأهب في ابتهاج لافتداء شرفها بطعنة من خنجر صغير. وفي لوحة "حورية الربيع" (نيويورك) رسم كراناخ." (٢)

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٩١/٢٦

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٩٢/٢٧

"وأسدل الستار الآن فجأة على "تاريخه الفاجع" الخاص، ففي ٣٠ مايو ١٥٩٣، اجتمع ثلاثة من جواسيس الحكومة- انجرام فريزي، نيقولا سكيرز، روبرت بولي-بشاعرنا مارلو- وربما كان هو الآخر لا يزال جاسوسا- اجتمع الأربعة للعشاء في منزل أو حانة في دتفورد، على بعد أميال من لندن. وطبقا لما جاء في تقرير وليم دانوبي- المحقق في أسباب الوفيات المشتبه فيها- "تراشق فريزر ومارلو بألفاظ نابية قبيحة في تبيان السبب الذي من أجله لم يتفقا ... على دفع نفقات العشاء. فما كان من مارلو إلا أن استل خنجرا من حزام فريزر وطعنه به فأصابه ببعض جروح سطحية. فأمسك فريزر بيد مارلو وسدد الخنجر إليه فورا، وأصابه بجرح قاتل عمقه بوصتان في عينه اليمنى، ... مات المدعو كرستوفر مورلي متأثرا به في الحال"، حيث وصل النصل إلى المخ. وقبض على فريزر فترافع بأنه كان في حالة دفاع عن النفس، وأفرج عنه بعد شهر. أما مارلو فقد ووری التراب في أول يونيه في قبر غير معروف الآن (٦٢). وقد بلغ من العمر تسعة وعشرين ربيعا.

وبالإضافة إلى Dido ترك مارلو شذرتين غاية في السمو. أما Hero and Leander فهي قصيدة رومانتيكية، من المقاطع ذوات البيتين من نوع الملحمة، عن قصة موزائيس التي حكت في القرن الخامس عن شاب قطع الدردنيل سبحا ليوفي بموعد لقاء. وإن أنشودة "الراعي المشبوب العاطفة في الطريق إلى حبيبته". لهي واحدة من أعظم الغاني الشعبية في عهد إليزابث. واعترف شكسبير اعترافا جميلا بفضل مارلو، فأجرى فقرات من هذه القصيدة على لسان سير هيو أيفانز في رواية "الزوجات المرحات في وندسور"، كما أشار إليها رقيقة في رواية "على هواك As You Like It":

أيها الراعي الذي قضى نحبه، إني أرى الآن قولك المأثور في القوة

"من ذا الذي أحب، إذا لم يكن أحب لأول نظرة؟ "

وهذا هو البيت رقم ٧٦ من رواية مارلو Hero and Leander." (١)

"وفي ٥ أكتوبر ١٦٠٧ هاجم بعض القتلة المستأجرين ساربي وتركوه وهم يحسبونه ميتا، لكنه افاق، وروى أنه علق على الهجوم بهذه الحكمة التي فيها من البراءة ما يجعل صدورها عنه لحظتها بعيد الاحتمال،

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٢٨/٢٨

"انى تبين اسلوب الادارة البابوية الدقيق (٧) " (١). ووجد القتلة الحماية والاستحسان في الدويلات البابوية (٨). بعد هذا عاش ساربي معتكفا في صومعته يتلو القداس كل يوم، ولكن "مرقمه" لم يكن معطلا. ففي عام ١٦١٩ نشر تحت اسم مستعار وعن طريق دار نشر لندنية "تاريخ مجمع ترنت" وهو اتهام ضاف للمجمع، صور فيه حركة الاصلاح الديني تصويرا بروتستنتينيا خالصا، وأدان المجمع لأنه باذعانه التام للبابوات حال دون رأب الصدع في الكنيسة. وتحمس العالم البروتستنتي للكتاب، واطلق ملتن على مؤلفه "ممزق القناع العظيم". أما اليسوعيون فعهدوا إلى فقيه منهم يدعى سفورتزا باللافتشيو بكتابة تاريخ معارض (١٦٥٦ - ٦٤) كشف تحيز ساربي وعدم دقته وباراه فيهما (٩). وعلى الرغم من تحيز الكتابين فانهما سجلا تقدما في جمع الوثائق الاصلية واستخدامها، وفي رسالة ساربي المسهبة سحر البلاغة النارية، وهذا تشويق اضافي ذو خطر. لقد كان الرجل متقدما كثيرا على جيله في الدعوة إلى الفصل التام بين الكنيسة والدولة.

في ظل هذه الحكومة الابية، وفوق تلك القنوات المطمئنة العطرة، واصلت البندقية سعيها وراء المال والجمال تسترضي المسيح بالعمارة، والعذراء بالابتهالات، فلكل اسبوع عيد يتذرع للاحتفال به بقديس ما، وفي رسوم جواردي نرى امثلة من هذه الانتشاءآت الجماهيرية، وتلحظ في صور الأشخاص ذلك الترف الشرقي الحسي، ترف الثياب والحلي.

---

(١) التورية هنا في كلمة Stilus و Style. والكلمة الأولى كانت في الأصل تعني حديدة مستدقة الطرف، ثم سنا من حديد استعمل في الكتابة على ألواح من الشمع، ثم قلما، ثم طريقة في الكتابة، أي أسلوبا. والتصغير الايطالي Stiletto كان له مسميان: المرقم، **والخنجر** الصغير.." (١)

"قررت قط!» (٢٥) وفي المحادثات التمهيدية لمعاهدة كاتو-كاميريزي كان هناك وعد بزواج كارلوس-وهو يومها في الرابعة عشرة- من اليزابث فالوا، ولكن في المعاهدة نفسها اتخذ فليب هذه الأميرة زوجة له بعد أن ترمل بموت ماري تيودور، وذلك ليحول الصداقة الفرنسية من انجلترا إلى أسبانيا، وبعد عام وصلت العروس إلى مدريد (١٥٦٠). ولعل كارلوس حين رأى جمالها المتواري خلف قناع من الحشمة ساءه هذا التحوير لحق «السيد الاقطاعي»، ولكن ليس هناك دليل على وجود اية علاقة غرام بينه وبين

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٩/٢٩

الملكة ذات الأربعة عشر ربيعا (٢٦).

وكان من المسلم به رسميا أن كارلوس وريث للتاج برغم علته. وفي عام ١٥٦١ أرسل إلى جامعة ألكالا «القلعة». وهناك سقط من درجات سلم خلال مطاردته فتاة يغازلها فكسرت جمجمته، وراح يهذي في غيبوبته. ونشر الجراح الكبير فيزاليوس عظم رأسه فأنقذ حياة الصبي، ولكن تحسن حالته عزاه الناس إلى رفات أخ فرنسسكاني تقي- مات قبل قرن-أخذت من تابوتها ووضعت على الفراش إلى جوار الأمير. وخلال نقاهة الفتى الطويلة مكث فليب في «القلعة» وأنفق الوقت الكثير إلى جانبه. وأعيد كارلوس إلى مدريد وهناك استرد من العافية ما سمح له بالانضمام إلى شباب النبلاء في حوادث العنف يرتكبونها في الشوارع ضد الرجال والنساء. وقوت اعتداءاته القاسية الصاخبة، الشبهة في أن سقطته قد ألحقت بمخه أذى لا شفاء له منه. ولم يكن مما يعنيه على كسب عطف فليب أنه أعرب عن تعطفه مع الثوار في الأراضي المنخفضة. ولما عين ألفا قائدا للجيش هناك احتج كارلوس بأن هذه المهمة كان يجب أن تعهد إليه، فنهى ألفا عن الذهاب، وهاجم الدوق **بخنجر** شهره عليه حين أصر على الذهاب (٢٧). ويبدو أن الأمير خطر له حينا أن يهرب إلى الأراضي المنخفضة ويضع نفسه على رأس الثورة (٢٨). وكلف فليب بعض." (١)

"أن يخضع للقيود الدستورية، وأن يكون واجبه الأول فرض الدين الحق- وهو الكاثوليكية في هذه الحالة (٨).

أما هنري الثالث، الموجود الآن في تور مع بعض النبلاء والجنود، فقد وجد نفسه بين نارين. فجيش الحلف يزحف عليه من الشمال بقيادة دوق مايين، وجيش نافار يزحف من الجنوب فاتحا المدينة تلو المدينة، إذن فإحدى القوتين قابضة عليه لا محالة. واغتنم هنري الهيجونوتي فرصته، فأوفد دوبليس- مورني ليعرض على الملك محالفته وحمايته وتأييده. والتقى الهنريان عند بليسي- لي- تور وتعاهدا بوفاء كل منهما لصاحبه (٣٠ ابريل ١٥٨٩). وهزم جيشاهما المتضافران مايين وزحفا على باريس.

وفي العاصمة المسعورة استمع راهب دومنيكي يدعى جاك كليمان في حماسة إلى ما تردد من اتهام لهنري الثالث بالاغتيال. وقد أكدوا له أن القيام بعمل عظيم في سبيل قضية مقدسة سيمحو كل تبعة عن أوزاره، وأثار ثائرته حزن كاترين دوقه مونبنسييه، شقيقة الأخوين القتيلين جيز، وحركة جمالها. فاشترى **خنجرا**،

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٩١/٢٩

وتسلل إلى معسكر الملك، وطعنه في بطنه، فقتله الحراس، ومات واثقا من ثواب الجنة. أما هنري فالوا فقد مات غداة طعنة (٢ أغسطس ١٥٨٩) وهو يتوسل إلى اتباعه أن يلزموا هنري نافار. وانتشرت الفوضى في جيش المحاصرين، وتبدد أكثره، وأجل الهجوم المقترح على باريس. أما في داخل الكنيسة فقد بلغت فرحة الحلف وتابعيه حد الهذيان. ووضعت بعض الكنائس صورة الراهب فوق مذبحها (٩)، وهلل الأتقياء لاغتيال الملك باعتباره أنبل عمل في سبيل الله تم منذ تجسد المسيح (١٠). وأستدعيت أم كليمان من الريف، فوعظت في الكنائس، واحتفل القوم بها بترتيل ترنيمة مقدسة: «طوبى للبطن الذي حملك، وللثدي التي أرضعتك» (١١).

٣ - الطريق إلى باريس
(١٥٨٩ - ١٥٩٤)

بلغ هنري نافار الآن نقطة الحسم في حياته. لقد وجد نفسه فجأة،." [١]

"على فرنسا. ومال كثير من النبلاء إلى هنري بوصفه القائد الحربي الكفيل بكبح جماح فليب، والحاكم الرحيم الذي يستطيع أن يرد العافية إلى وطن استشرت فيه الفوضى حتى كادت تمزق أوصاله. وأعربت مجلة ذكية تدعى «سانتير منيبيه» (١٥٩٣ - ٩٤) عن عواطف جماعة «السياسيين» والبورجوازيين، وسخرت في ظرف وتهكم اليسوعيين والحلف، وأعلنت أنه «ما من سلام بلغ من الظلم ما يجعله لا يرجح أكثر الحروب عدلا (١٨)». وطلب الجميع السلام في شوق، حتى باريس المتعصبة. واستمرت الاشتباكات الصغيرة ثمانية شهور أخرى، ولكن في ٢٢ مارس ١٥٩٤، زحف هنري إلى باريس ودخلها ولم يكد أحد يعترضه، وعظم ترحيب الجماهير به حتى أنه أراد أن يدخل نوتردام لم يكن بد من رفعه فوق الرؤوس. وثبت ملكا في ذلك اللوفر ذاته، الذي كان فيه قبل اثنين وعشرين عاما سجينا قاب قوسين من الموت، واستسلم للبهجة والفرح، فأصدر بطريقته المرحة، عفوا عاما شمل حتى آل جيز وحكومة الستة عشر. وأكتسب بعض أعدائه بالغفران عنهم دون تردد وبالمجاملة السمحة الكيسة ورشا البعض بمال اقترضه.

على أنه لم يكسب الجميع إلى صفه. ففي ليون اشترى بيير باريير مدية وشحذها ثم شد رحاله إلى باريس

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢١٣/٢٩

معلنا نية اغتيال الملك. فقبض عليه في ميلون وشنق دون إبطاء. وقال هنري «وا أسفاه، لو علمت بالأمر لعفوت عنه.» وأرسل البابا كلمنت الثامن للملك حل الكنيسة، ولكن اليسوعيين واصلوا مهاجمته في مواعظهم. وفي ٢٧ ديسمبر هجم فتى في التاسعة عشرة يدعى جان شاتيل على الملك **بخنجر** ولكن لم يصبه بأسوأ من قطع في شفته وكسر في سنه. ومرة أخرى رأى هنري العفو عن هذا المتعصب، ولكن رجال السلطة أوقعوا بشاتيل كل أنواع التعذيب التي نص عليها القانون ضد قتلة الملوك. وقد اعترف الرجل في كبرياء برغبته في قتل الملك لأنه زنديق خطر، وأعلن استعداده لبذل محاولة أخرى في." (١)

"وجنده أن يقيموا تلا من الحجر طوله ١٧٠٠ ياردة بعرض مدخل الميناء، تاركين فتحة لحركة المد والجزر. وقد بلغ عنف هذه الحركة، التي ارتفعت فيها المياه وهبطت اثني عشر قدما، مبلغا جعل تنفيذ المشروع يبدو مستحيلا، ففي كل يوم كان الماء يكتسح نصف الأحجار المبنية يومها. ومل الملك هذه الحرب التي لم تسفك فيها دماء وانطلق إلى باريس، وتوقع كثير من رجال الحاشية أنه طارد ريشليو لعجزه عن أخذ المدينة عنوة. ولكن التل اكتمل بناؤه أخيرا وبدأ مهمته المرسومة. ومات نصف سكان لاروشيل جوعا. ولم يستطع الحصول على القليل من اللحم غير أغنياء القوم، فكانوا يدفعون خمسة وأربعين جنيها ثمنا للقط، وألفي جنيه ثمنا للبقرة. أما جان جيتون عمدة المدينة فقد توعد كل من يجري على لسانه حديث الاستسلام بالقتل **بخنجره**. ولكن المدينة استسلمت في يأسها بعد ثلاثة عشر شهرا من المجاعة والمرض (٣٠ أكتوبر ١٦٢٨). ودخلها ريشليو ممتطيا جواده من خلفه الجند يوزعون الخبز رحمة بالناس. وتصايح نصف فرنسا مطالبا باستئصال شأفة الهيجونوت. ولم يكن في وسعهم–بعد أن أضنتهم الحرب– إلا أن يتوسلوا. ولكن ريشليو فاجأهم بشروط صلح رأى فيها الكاثوليك تساهلا شائنا. صحيح أن لاروشيل فقدت استقلال بلدتها، وحصونها، وأسوارها، ولكن أشخاص سكانها وأملاكهم لم تمس، وسمح لمن بقي من الجنود الهيجونوت بالرحيل بأسلحتهم، ومنحت حرية العبادة في المدينة للبروتستنت والكاثوليك على السواء، وتلقت مدن هيجونوتية أخرى مثل هذه الشروط بعد استسلامها. ووجب رد الأملاك الكاثوليكية التي انتزعها البروتستنت، ولكن القساوسة الهيجونوت الذين فقدوا مأواهم مؤقتا عرضوا باعانة من الدولة بلغت ٢٠٠. ٠٠٠ جنيه، واعفوا من فرضة الرؤوس (آلتاي) شأن الأكليروس الكاثوليك (١٩). ومنح عفو

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢١٧/٢٩

عام لجميع من شاركوا في التمرد. وثبت مرسوم نانت الذي أصدره هنري الرابع في كل نصوصه الجوهرية." (١)

"وفي ١٦٨٨ زار بوجيه باريس، ولكنه وجد طبعه المتكبر وإزميله الغضوب يتنافران مع ظرف البلاط وفنه، فقفل راجعا إلى مرسيليا، وهناك صمم "الميرة" و"سوق السمك"-ولا عجب ففي فرنسا حتى سوق السمك يمكن أن يكون عملا فنيا. ولعل أعظم تماثيله قصد به أن يكون تعليقا على مغامرات الملك الحربية، وهو تمثال للإسكندر راكبا يبدو فيه وسيما مشرقا، يحمل خنجره في يده، ويدوس ضحايا الحرب (٢٣) في غير اكتراث تحت سنابك جواده. وقد أفلت بوجيه من رسمية لبرون وفرساي، ولكنه أفلت أيضا من انضباطهما. وأفضى به طموحه لمنافسة برميني، وحتى ميكل أنجيلو، إلى مبالغات في تصوير عضلات الجسد وتعبيرات الوجه، ومن ذلك "رأس ميدوزا" الرهيب المحفوظ باللوفر. ولكنه كان على الجملة أقوى نحات في وطنه وفي جيله.

وإذ قارب العهد العظيم نهايته، وجرت الهزائم فرنسا إلى حال من اليأس الشديد، انصرفت كبرياء الملك إلى التقوى، وأنتقل االفن من غرور فرساي إلى التواضع الذي يطالعنا في تمثال كواز فوكس لويس الرابع عشر راكعا في النوتردام–هنا نرى الملك وقد بلغ السابعة والسبعين، مزهوا إلى الآن بأثوابه الملكية، ولكنه يضع تاجه في تواضع عند قدمي العذراء. في هذه السنوات الأخيرة تقلص الإنفاق على فرساي ومالي، ولكن خورس النوتردام رمم وجمل. أما عبادة الفن القديم فقد فترت نتيجة لشططها؛ وبدأ الطبيعي يجور على الكلاسيكي، وقضى على دفعة الفن الوثنية إلغاء مرسوم نانت. وتسلط مدام دمانتنون وتلبيه على الملك وشددت الموضوعات الزخرفية الجديدة على الدين لا على المجد، فلقد عرف لويس ربه أخيرا.

إن تاريخ الفن إبان حكم الملك العظيم يعذبنا بأسئلة عويصة. فهل كان تأمين الفنون نعمة أو نقمة؟ وهل حول تأثير كولبير ولبرون والملك تطور." (٢)

"فقال: (حسنا، أنت مسيحي دون ختان، وأنا مسيحي دون تعميد)

وقال الكويكرز إن التعميد مثل الختان من العادات السابقة على المسيحية وقد أبطلها إنجيل السيد المسيح الجديد. ثم استطرد فولتير يتحدث عن الحرب) لن نذهب أبدا إلى الحرب، لا لأننا نخشى الموت، بل

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٩/٢٤٤

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣١/١٥٩

لأننا لسنا ذئابا ولا نمورا، ولا كلابا نحن رجال مسيحيون. أن إلهنا الذي أمرنا نحب أعداءنا يقينا لا يريد منا أن نعبر البحر لنقتل أخوة لنا، لمجرد أن السفاحين الذين يرتدون ثيابا في لون الدم وقبعات عالية ترتفع إلى قدمين يجندون المواطنين بينما يحدثون جلبة باثنتين من العصي ممدتين على جسم حمار. وبعد النصر تتألق لندن كلها في الأضواء وتلتهب سماؤها بالألعاب النارية وطلقات المدافع، على حين نرثي في صمت للمذبحة التي أدت إلى مثل هذا الابتهاج العام (١٣).

لقد أوذيت فرنسا أيما إيذاء، وكادت أن تدمر نفسها لمحاولتها فرض عقيدة واحدة على جميع الفرنسيين. وأسهب فولتير في وصف التسامح بالنسبة للخلافات الدينية في إنجلترا. "هذه بلد الطوائف. والرجل الإنجليزي، باعتباره حرا يسلك إلى السماء الطريق الذي يختاره. (١٤) ووازن فولتير بين أخلاق رجال الدين الإنجليز وأقرانهم الفرنسيين. وهنأ الإنجليز بأنهم ليس لديهم رهبان. إن الإنجليز ليحمدون الله ويشكرونه على أنهم بروتستانت حين يعلمون أن الشبان الفرنسيين المعروفين بفسقهم وفجورهم يرقون إلى مناصب الأساقفة والمطارنة بفعل الدسائس، ويؤلفون الأغاني الرقيقة ويقيمون ولائم العشاء الباذخة كل يوم تقريبا، ويطلقون على أنفسهم أنهم خلفاء الرسل. (١٥) وفي الرسالة الثامنة أدار فولتير **الخنجر** إلى صدر الحكومة في فرنسا: "إن الأمة الإنجليزية وحدها هي التي عرفت كيف تحدد سلطة الملوك بوقوفها في وجههم ... وأخيرا أقامت هذه الحكومة الرشيدة، وفيها يتمتع الملك بكل القوة والسلطة في أن يفعل الخير، على حين تغل يداه عن الإتيان بأي شر أو سوء. (وهنا يردد فولتير عبارة مشهورة مأثورة عن رواية فنليون "تليماك". إن إقرار الحرية في إنجلترا تطلب ثمنا غاليا." (١)

"عليه إهداءها إلى دوق أورليان الحالي الذي يوليني شرف كراهيته لي" وهذا ما حدث فعلا وأرسل الدوق للصحفي الناشيء خمسة وعشرين جنيها (٩٧). وكان متساهلا في نقده للكتب واللوحات والرسوم (فيما خلا رسوم بوشيه) قائلا أنه يؤثر الأشارة إلى الأعمال الجيده على السخرية من الأعمال الرديئة" (٩٨) وكان أكثر الفلاسفة أنسا وودا. وأيد روسو حتى ١٧٥٨، وجريم حتى النهاية تقديرا من ديدرو لخلقه هو نفسه. وقالت مدام أبيناي أنهم تحدثوا عنه "بأعظم الأجلال والأحترام" وأعجبوا بعبقريته، ولكن خلقه كان مثار حماسة خاصة بينهم. ويقول جريم إنه أكمل من عرف من البشر (٩٩). وكانت أخطاؤه في نظر مثل الأصدقاء أخطاء طفل صريح إلى حد السذاجة. وأعتبروا أنه أعمق من فولتير.

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٨٦/٣٦

ومن المحقق أنه كان أكثر ثراء في الأفكار من فولتير، لأنه لم يكن ثمة قيود ولا ضوابط في بنيانه، وكان أكثر خيالا وأقل عقلانية. وكان أكثر تهورا وطيشا، ولم يكن ناضجا قط. يقول فولتير "أن ديدرو أتون شديد الحرارة إلى درجة يحترق معها كل ما يخبز فيه" (١٠٠). ومع ذلك خرجت منه أشياء كثيرة لم يكتمل نضجها ولا خبزها، وكان شديد الحساسية مثل روسو رقيق العاطفة مثله، كما كان مثله مستعدا ليبكي على جمال الطبيعة ومآسي الحياة وأعلن رأيه في الدين وربما عبر هذا الرأي عن نفسه: أن في ذرف الدموع بالنسبة للنفس الحساسة الرقيقة لذة وبهجة (١٠١). ورآه زواره أحيانا بذرف الدمع–أو في سورة غضب– على كتاب، وبما كانت صداقته مع روسو قائمة على التماثيل في المشاعر ونفس قوة الوجدان، ونفس حب الطبيعة ونفس المفهوم الرومانتيكي للعبقرية على أنها غريزة وأنفعال وخيال، ونفس التحمس لقصص رتشاردسن. وتلهف على تحذير كلاريا من Loelace وعندما قرأ عن الملوك القساة كان من اليسير عليه أن يتخيل أنه يستخدم خنجرا في سهولة عجيبة (١٠٢) أن فولتير+ روسو= ديدرو. ولم يغفر أي من هذين الرجلين له أنه جمع بينهما كليهما، على حين بقي هو فريدا مع نفسه.." [١]

""والآن يا مروجي الأكاذيب المقدسة، أمضوا في سحب الجبناء من أنوفهم ... أما أنا فقد انتهى في نظري سحر الحياة واختفت تعويذتها. ولست أرى في الخلق جميعا غير ألعوبة في يد القدر، فإن كان هناك حقا كائن عابس لا يرحم، يسمح لقطيع محتقر من المخلوقات بأن يتكاثر هنا، فهو لا يرى لهم وزنا، وهو ينظر من عليائه إلى مخلوق مثل فالاريس متوجا، أو مثل سقراط مكبلا بالأغلال، إلى فضائلنا ورذائلنا، إلى أهوال الحرب والأوبئة الرهيبة التي تدمر الأرض، وكأنها أشياء لا تهمه. لذلك كان ملجأي الوحيد وملاذي الذي لا ملاذ غيره يا شقيقتي العزيزة، إنما هو في حضن الموت". (٢٩)

وردت علة خطابه (١٥ سبتمبر) بأن أقسمت أن تنتحر مثله:

يا شقيقي العزيز، لقد كان يقتلني خطابك، والخطاب الذي بعثت به إلى فولتير. يا ألهي القدير، أي قرارات رهيبة! أواه يا أخي العزيز، تقول إنك تحبني، ومع هذا فأنت تغمد خنجرا في قلبي. إن خطابك جعلني أذرف أنهارا من الدموع. وأنا الآن خجلة من هذا الضعف ... ومصيرك سيكون مصيري. فلن أعيش بعد عثرات حظك وحظ البيت الذي أنتمي إليه. ولك أن تعتبر هذا قراري الذي لن أحيد عنه.

"ولكن بعد هذا العهد دعني أتوسل إليك أن تعود بفكرك إلى ما كان عليه العدو من حال سيئة وأنت مرابط

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٠٢/٣٨

أمام براغ. إنها دولة الحظ الفجائية يصيب الفريقين. لقد كان قيصر مرة عبدا للقراصنة، ثم أصبح سيدا على العالم. وإن عبقرية هائلة كعبقريتك لتجد لها المنافذ حتى حين يبدو أن كل شيء ضاع. إنني أقاسي أكثر ألف مرة مما أستطيع ذكره لك، ومع ذلك لا يفارقني الأمل ... على أن أختم الآن، ولكني سأظل دائما، مع أعمق الاحترام أختك فلهلميني". (٣٠)

ولجأت إلى فولتير ليعزز رجاءها، فأمن على حججها في مطلع أكتوبر في أول خطاب كتبه لفردريك منذ ١٧٥٣. وقال:." (١)

"الصورة التي وصفه بها دزو تشونج- جي: "على ظهرك حقيبة ملأى بالكتب، تطوف ألف ميل أو أكثر، وفي كمك خنجر وفي جيبك طائفة من القصائد" (٥٠). وقد حبته رفقته القديمة للطبيعة في هذا التجوال الطويل بعزاء وسلوى وراحة تجل عن الوصف؛ وفي وسعنا أن نرى من خلال أشعاره أرض بلاده ذات الأزهار، ونشعر أن حضارة المدن قد أخذ عبئها الباهظ يثقل على الروح الصينية:

لم أعيش بين الجبال الخضراء؟

إني أضحك من هذا السؤال ولا أجيب عنه، إن روحي ساكنة صافية،

إنها تسكن سماء أخرى وأرضا ليست ملكا لإنسان.

إن أشجار الخوخ مزدهرة والماء ينساب من تحتها.

ثم انظر إلى هذه الأبيات:

أبصرت ضياء القمر أمام مخدعي.

فخلته الصقيع على الأرض.

ورفعت رأسي ونظرت إلى القمر الساطع فوق الجبل،

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٩/٨٧

وطأطأت رأسي وفكرت في موطني البعيد.

ولما تقدمت به السن وابيض شعره امتلأ قلبه حنانا للأماكن التي قضى فيها أيام شبابه. وكم من مرة، وهو يحيى في العاصمة حياة اصطناعية، حن قلبه للحياة البسيطة الطبيعية التي كان يحياها في مسقط رأسه وبين أهله:

في أرض وو وأوراق التوت الخضراء،

نام دود الحرير مرات ثلاثا.

وأرض لوه الشرقية حيث تقيم أسرتي،

لا أعرف من يزرع فيها حقولنا.

وليس في وسعي أن أعود لأقوم فيها بأعمال الربيع.." (١)

"إنسان وظيفة كان عليه أن يدفع ثمنها، وإذا شاء إنسان أن يدفع عن نفسه شر الافتراء، فبالمال، وإذا أراد أن يتهم جاره زورا وبهتانا ففي استطاعته بالهدايا أن يضمن نجاح خططه الشريرة" (١٢).

وكان بعض المؤامرات التي تكاثرت من حولها يستهدف إحلال إيفان السادس محلها. وكان قد قضى الآن رهين السجن إحدى وعشرين سنة بعد أن خلعه انقلاب ديسمبر ١٧٤١. ففي سبتمبر ١٧٦٢ أفصح فولتير عن خوفه من أن "إيفان قد يطيح بمن أحسنت إلينا" (١٣)، وكتب يقول: "أخشى أن تقتل إمبراطورتنا العزيزة. " (١٤) فزارت كاترين إيفان، ووجدته "إنسانا مهملا مهجورا تردى في العته نتيجة السجن سنين طويلة" (١٥) ثم تركت لحراسه أوامر بأنه لو بذلت أي محاولة لم تصرح بها هي نفسها للإفراج عنه، فعليهم أن يقتلوا إيفان خيرا من أن يسلموه. وفي منتصف ليلة ٥ - ٦ يوليو ١٧٦٤ ظهر ضابط في الجيش يدعى فاسيلي ميروفتش على باب السجن يحمل ورقة فحواها أنها أمر من مجلس الشيوخ بتسليم إيفان له. ثم

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٢٢/٤

مضى يعينه بعض من الجند وطرق باب الزنزانة التي كان حارسان ينامان فيها مع إيفان، وطالب بالدخول. فلما رفض طلبه أمر بإحضار مدفع لتحطيم الباب. فلما سمع الحارسان الأمر قتلا إيفان. وقبض على ميروفتش وأعلنت وثيقة عثر عليها في جيبه أن كاترين خلعت، وإن إيفان السادس أصبح منذ الآن قيصرا لروسيا. ورفض عند محاكمته أن يفضي بأسماء شركائه. وكان جزاؤه الإعدام. واتهم الرأي العام عموما كاترين بقتل إيفان. (١٦)

واتصلت المؤامرات. ففي ١٧٦٨ أكد ضابط يدعى تشوجلو كوف أنه موكل من الله بالانتقام لمقتل بطرس الثالث، فتسلح **بخنجر** طويل، ووجد طريقة إلى القصر الملكي، واختبأ عند منعطف دهليز ألفت كاترين أن تمر فيه. وسمع جريجوري أورلوف بخبر المؤامرة، فقبض على تشوجلوكوف، الذي اعترف مفاخرا بأنه ينوي قتل الإمبراطورة، وكان جزاؤه، النفي إلى سيبيريا.." (١)

"ما جذبتني بشدة كبراهما مكمسليانة، وإنه لإحساس لذيذ جدا حين يبدأ غرام جديد في التحرك داخلنا قبل أن يخمد القديم تماما. فعند غروب الشمس يود المرء أن يرى القمر يطلع على الجانب المقابل" (٤١). على أن مكسمليانة تزوجت بيتر برنتانو، وولدت بنتا رشيقة اسمها بتينا، وقعت في غرام جوته بعد خمسة وثلاثين عاما. وراض جوته نفسه على حياة فرانكفورت والمحاماة. ولكنه لم يرتض هذه الحياة تماما، فقد فكر حينا في الانتحار. يقول:

"كنت أملك فيما أملك من مجموعة كبيرة من السلاح **خنجرا** جميلا جيد الصقل. وكنت أضعه كل ليلة بجوار فراشي، وقبل أن أطفئ الشمعة جربت إن كان في استطاعتي أن أفلح في إغماد السن الحاد بوصتين في قلبي. فلم أوافق في هذه المحاولة قط، أقلعت أخيرا عن الفكرة بضحكي من نفسي، وكففت عن كل أوهامي ووساوسي، وصممت على أن أعيش.

"ولكي أستطيع هذا العيش في بشر اضطررت إلى حل مشكلة أدبية، تتحول فيها كل مشاعري الماضية ... إلى ألفاظ. فجمعت لهذا الغرض العناصر التي كانت تعتمل في سنوات، واستحضرت في ذهني الحالات التي أثرت في وعذبتني أشد تأثير وعذاب؛ ولكن شيئا لم ينته إلى شكل محدد. فقد افتقدت الحدث، أو الأسطورة، التي يمكن فيها أن ترى هذه الحالات كلا متكاملا" (٤٢).

وقد محام من زملائه في فتسلار هذا الحدث الذي يدمج هذه العناصر. ففي ٣٠ أكتوبر ١٧٧٢ قتل فلهلم

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٤١/٦١

يروزاليم نفسه يأسا من حبه لزوجة صديق له، بعد أن استعار مسدسا من كستنر. قال جوته وهو يستحضر الحدث "وبمجرد سماعي بنبأ موت يروزاليم .... تشكلت خطة "فرتر" في ذهني، وتسابق الكل معا من جميع الجوانب" (٤٣). ربما، ولكنه لم يبدأ تأليف الكتاب إلا بعد خمسة عشر شهرا. وواصل أثناء ذلك مغازلته لمكسمليانة برنتانو- التي كانت قد انتقلت مع زوجها إلى فرانكفورت- بمثابرة وإصرار جعلا الزوج يحتج، فانسحب جوته.

وشتت جهده ألوان مختلفة من المشروعات الأدبية المخففة. فقد داعب." (١)

"وعيناهما تدمعان، وقالا: "لقد أصبت أيها الأخ الصغير، ويحق لك الآن أن تفخر بأنك ابن أبيك"؛ ولما وضعها بينهما، طعن "ساكون" **خنجره** في الجانب الأيسر من بطنه وقال: "انظر، أخي، أتفهم الآن؟ والذي ينبغي أن تراعيه هو ألا تضرب **الخنجر** عميقا حتى لا يطرحك على الأرض، بل كن أميل بجسدك إلى الأمام، واجعل ركبتيك في وضع ثابت". وفعل "نايكي" ما فعله "ساكون" وقال للصبي: "افتح عينيك خشية أن تبدو كالمرأة وهي تحتضر، وإذا أحسست أن شيئا في جوفك يعوق إخراج **خنجرك**، وأن قواك تخور، فاجمع شجاعتك وضاعف جهدك في شد **خنجرك** جانبا لتقطع به البطن قطعا أفقيا" فنظر الصبي إلى أخيه عن يمينه وإلى أخيه عن يساره، حتى إذا ما رآهما قد أسلما الروح، خلع ثيابه هادئا عن نصف جسده، واحتذى حذو ما يراه عن يمينه وعن يساره" (٢٠).." (٢)

"محزنا، قد يفسره شليمان، وهو الذي لا يعدم وسيلة لتفسير كل ما يراه، بأنه اسم ميسيني (٢٧). وأجمل ما وجد في تيرينز وميسيني من آثار معدنية **خنجران** من البرنز مرصعان بمزيج من الذهب والفضة، ومصفحان بالذهب المجلو المصقول، وعليهما نقوش تمثل قططا برية تطارد بطا، وأسادا تطارد فهادا أو تحارب أناسي (٢٩). وأغرب من هذه كلها الأقنعة الذهبية التي كانت على ما يظهر تغطي بها وجوه الموتى من الملوك. ويشبه أحد هذه الأقنعة وجه قطة؛ وقد دفعت شليمان شهامته إلى أن يعزو هذا القناع لأجممنون لا لكليتمنسترا.

ولكن أروع روائع الفن الميسيني بلا جدال لم يعثر عليها في تيرينز ولا في ميسيني، بل عثر عليها في قبرص ففيو Vaphio بالقرب من إسبارطة، حيث كان أحد صغار الأمراء ينافس ملوك الشمال في التفاخر

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٤١/٢٥٦

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٥/٤٣

والعظمة. وقد عثر في ذلك المكان، بين كنز آخر من الحلي، على قدحين من الذهب المطروق بسيطين في شكلهما ولكنهما بذل في صنعهما كل ما يستطيع الفنان المحب لفنه العظيم أن يبذله فيه من الصبر والإتقان. وتشبه صناعة هذين القدحين أحسن الصناعة المينوية، وقد أغرى ذلك بعض العلماء على أن يعزوهما إلى فنان كريتي عظيم بلغ من المنزلة في كريت ما بلغه سليني عند الإيطاليين. ولكننا يحزننا أن تحرم الثقافة الميسينية أحسن ما خلفت من آثار. نعم إن موضوع النقوش التي على القدحين – وهو اقتناص ثور وترويضه – يبدو من الموضوعات التي اختصت بها كريت؛ ولكن كثرة هذا المنظر وأمثاله محفورة على الخواتم والأختام الميسينية، أو مصورة على جدران القصور، تشهد بأن مصارعة الثيران كانت منتشرة في أرض اليونان انتشارها في الجزيرة. وقد نقش على أحد القدحين منظر القور وقد صيد في شبكة من الحبال السميكة، وفتح فاه ومنخريه وهو لا يكاد يستطيع التنفس من شدة." (١)

"الباب الثاني والعشرون

الإسكندر

الفصل الأول

نفسية فاتح

لقد كانت حياة أرسطو العقلية بعد أن غادر تلميذه الملكي مماثلة لحياة الإسكندر العسكرية؛ ذلك أن كلتا الحياتين تعبر عن نزعة الفتح، والبناء، والتركيب. وربما كان الفيلسوف هو الذي غرس في عقل الشاب تحمسه الشديد للوحدة وهو التحمس الذي رفع بعض الشيء من قدرات الإسكندر؛ لكن أرجح من هذا أن هذا التحمس قد انحدر إليه من مطامع أبيه، ثم أحاله دم أمه إلى ولع وهيام. وإذا شئنا أن نفهم الإسكندر على حقيقته، وجب علينا أن نتذكر على الدوام أن عروقه كان يجري فيها نشاط فليب العارم وحدة ألمبياس الهمجية؛ يضاف إلى هذا أن ألمبياس كانت تدعي الانتساب إلى أخيل، ومن أجل هذا كان الإسكندر يهوى الإلياذة ويفتتن بها؛ وكان يفسر عبوره الهلسبنت بأنه تتبع لخطوات أخيل نفسه واستيلاءه على آسية الغربية بأنه إتمام للعمل الذي بدأه جده الأعلى في طروادة. وكان في خلال حملاته العسكرية كلها يحتفظ

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٦/٦٤

معه بنسخة من الإلياذة عليها شروح بقلم أرسطو؛ وكثيرا ما كان يضعها تحت وسادته أثناء الليل بجوار **خنجره**، كأنه يرمز بهذا إلى أداته وهدفه.

وعني ليونداس Leonidas وهو مولوسي Molosian صارم بتربية الغلام الجسمية، وعلمه ليسمخوس الأدب، وحاول أرسطو أن يكون عقله. وكان فليب." (١)

"الفصل السادس

مولد الجمهورية

وهنا تستحيل الرواية التاريخية أدبا، ويمتزج نثر السياسة بشعر الغرام. أنظر مثلا إلى ما يقوله ليفي وهو أن سكستس تاركوين Sextus Tarquin ابن الملك كان في معسكر أبيه في إحدى الليالي يناقش لوسيوس تاركوينيوس كلاتنس Lucius Tarquinius Collatinus أحد أقربائه في فضائل زوجتيهما وأيهما خير من الأخرى، فعرض عليه كلاتنس أن ينطلقا على ظهر جواديهما إلى روما ويفاجئا زوجتيهما بزيارتهما في أواخر الليل. فوجدا زوجة سكستس في وليمة مع بعض صاحباتها، أم لكريشيا Lucritia زوجة كلاننس فكانت تغزل الصوف لتنسج منه ثيابا لزوجها. وتاقت نفس سكتس ليجرب وفاء لكريشيا ويستمتع بحبها، فما كان منه إلا أن عاد في السر بعد بضعة أيام من ذلك الوقت إلى بيت لكريشيا وتغلب عليها بدهائه وقوته. وأرسلت لكريشيا تستدعي أباها وزوجها، وأخبرتهما بما حدث لها، ثم انتحرت بطعنة **خنجر**. وعلى أثر ذلك أهاب لوسيوس جونيوس بروتس Lucius Junius Brutus أحد أصدقاء كلاتنس بجميع الصالحين من الرجال أن يطردوا آل تاركوين كلهم من روما. وكان هو نفسه ابن أخ الملك، ولكن تاركوين كان قد قتل أباه وأخاه، وتظاهر هو بالجنون حتى يبقي تاركوين على حياته فيثأر لمقتل أبيه وأخيه، ولذلك سمي بروتس Brutus أي الأبله. فلما وقعت هذه الحادثة ركب مع كلاتنس إلى العاصمة ليقص قصة لكريشيا على مجلس الشيوخ، وما زال به حتى أقنعه بوجوب إخراج الأسرة المالكة كلها من روما. وكان الملك في أثناء ذلك قد ترك الجيش وعاد مسرعا إلى العاصمة، وعلم بروتس بهذا فسار إلى الجيش على جواده وقص عليه مرة أخرى." (٢)

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٥١٦/٧

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٤/٩

"الحكم الصادر عليه إلى النفي وذلك بالخروج من رومه (٢١). ولهذا فإن عقوبة الإعدام رغم صرامة الألواح الاثني عشر قلما كانت تنفذ في عهد الجمهورية الرومانية.

٤ – جيش الجمهورية

وكان الأساس الذي يعتمد عليه الدستور الروماني في آخر الأمر هو النظام العسكري الذي كان أكثر الأنظمة العسكرية نجاحا في تاريخ العالم كله. لقد كان الجيش هو والمواطنون وحدة وثيقة الارتباط، وكان الجيش مجتمعا في المئات هو الهيئة الرئيسية التي تسن قانون الدولة. وكان الفرسان يؤخذون من المئات الثمان عشرة الأولى، أما "الطبقة الأولى" فكانت تكون فرق المشاة الثقيلة، وكان كل جندي فيها يسلح بحربتين **وخنجر** وسيف، ويلبس خوذة من البرنز، ودرعا من الزرد، وجرموقا، ومجنا. وكان لرجال الطبقة الثانية كل هذه العدد عدا الدروع الزردية وأما رجال الطبقتين الثالثة والرابعة فلم يكن لهم سلاح، ولم يكن لرجال الطبقة الخامسة غير المقاليع والحجارة. وكان الفيلق الروماني هيئة مختلطة تتألف من ٤٢٠٠ من المشاة، و٣٠٠ من الفرسان، وعدة كتائب أخرى إضافية (٢٢)؛ وكان جيش القنصل يتألف من فيلقين. وكان كل فيلق يقسم إلى كتائب، وكانت كل منها في بادئ الأمر تتألف من مائة جندي، ثم أصبحت فيما بعد تتألف من مائتين، ويقودها قواد المئات. وكان لكل فيلق علمه الخاص vexillum. وكان مما يخل بالشرف أن يسقط هذا العلم في أيدي الأعداء. وكان مهرة الضباط في بعض الأحيان يلقون العلم بين صفوف الأعداء ليثيروا حماسة جندهم فيعملوا على استعادته مهما كلفهم ذلك من بذل وتضحية. وإذا نشبت المعركة قذفت صفوف المشاة الأمامية العدو، الذي لم يكن يبعد عنهم أكثر من." (١)

"بقيادة القنصل مانيوس أكوليوس (١٠١)؛ فبارز أثنيون هذا القنصل وقتله في المبارزة، وأصبح الأرقاء بلا قائد، فهزموا وقتل آلاف منهم في الميدان، وأعيد آلاف آخرون إلى سادتهم، ونقل مئات منهم على ظهور السفن إلى رومه ليقاتلوا الوحوش في الألعاب التي أقيمت احتفالا بانتصار أكوليوس، ولكن الأرقاء لم يقاتلوا الوحوش بل أغمد كل منهم **خنجره** في قلب زميله وماتوا عن أخرهم.

وبعد بضع سنين من هذه الحرب- حرب الأرقاء الثانية- امتشقت إيطاليا كلها الحسام. وسبب ذلك أن رومه- وهي أمة صغيرة بين كومي وكيري Caere، وبين جبال الأبنين والبحر- قد ظلت نحو قرنين من

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٧١/٩

الزمان تحكم سائر إيطاليا كما كانت تحكم الشعوب المغلوبة، وبلغ من أمرها أن مدنا قريبة منها مثل تيبور Tibur وبرانستي Praeneste لم يكن لها من يمثلها في الحكومة التي تصرف أمورها، بل كان مجلس الشيوخ والجمعيات والقناصل يصدرون المراسيم والقوانين إلى الهيئات الإيطالية كأنها ولايات أجنبية مغلوبة على أمرها. وكانت موارد هؤلاء "الأحلاف" من مال ورجال تستنزف في الحروب التي لم يكن لها هدف إلا ملء خزائن عدد قليل من الأسر في رومه، ولم تنل الولايات التي ظلت موالية لها في صراعها المرير مع هنيبال على هذا الولاء جزاء يستحق الذكر، أما التي قدمت إلى هنيبال في هذا الصراع شيئا من المعونة أيا كان نوعها فقد كان عقابها أن أخضعت إلى رومه خضوعا أذلها إذلالا جعل كثيرا من أهلها ينضمون إلى الأرقاء في ثورتهم عليها. وكان عدد قليل من أثرياء المدن قد منحوا حق مواطني رومه، وكانت رومه نفسها تستخدم سلطانها في كل مكان لمساعدة الأغنياء على الفقراء، وفي عام ١٢٦ حرمت الجمعية على سكان المدن الإيطالية أن يهاجروا إلى رومه، وفي عام ٩٥ أخرجت هذه العاصمة الغنية كل من لم يكن من أهلها مواطنا رومانيا بل كان مواطنا إيطاليا فحسب.

وحاول أحد الأشراف أن يصلح هذه الحال فكان جزاؤه على هذه." (١)

"السر من زوجها، بأن طعنت نفسها **بخنجر** في فخذها لتبرهن بذلك على أنه ما من أذى يصيبها في جسمها يحملها على أن تنطق بشيء رغم إرادتها. وأصر بروتس في لحظة غير مواتية له على ألا يمس أنطونيوس بأذى.

وحدث في مساء اليوم الرابع عشر من شهر مارس أن عرض٢ قيصر على من كانوا مجتمعين في منزله أن يكون موضوع حديثهم "ما هي خير طريقة للموت؟ " وأجاب هو عن ذلك السؤال بقوله: "إنها الميتة المفاجئة". وتوسلت إليه زوجه في صباح اليوم الثاني ألا يذهب إلى مجلس الشيوخ، وقالت إنها رأته في نومها ملطخا بالدماء؛ وحاول خادم آخر، كان يرى مثل رأيها، أن يفتعل نذيرا بمنع قيصر من الذهاب، فتسبب في سقوط صورة لأحد أسلافه معلقة على جدار، ولكن دسمس بروتس Decimus Brutus، وهو صديق حميم لقيصر وأحد المتآمرين، ألح عليه أن يحضر الاجتماع وإن لم يفعا فيه أكثر من أن يطلب بنفسه في رقة ومجاملة تأجيل الجلسة إلى وقت آخر. وأقبل صديق لقيصر عرف نبأ المؤامرة ليحذره فوجده قد غادر داره في طريقه إلى المجلس. وقابل في طريقه عرافا كان قد أسر إليه من قبل أن "يحذر اليوم

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٥٣/٩

الخامس عشر من شهر مارس" وقال له قيصر وهو يبتسم، إن الخامس عشر من مارس قد جاء ولم يصب فيه بسوء، فأجابه اسبورنا Sburinna " نعم ولكنه لم يمض بعد".

وبينا كان قيصر يقرب القربان الذي كان من المألوف تقريبه قبل الجلسة أمام ملهى بمبي حيث يعقد المجلس اجتماعه إذ وضع أحدهم في يده لوحة صغيرة يحذره فيها من لمؤامرة ولكنه لم يعبأ بها. وتقول الرواية المأثورة إن هذه اللوحة وجدت في يده بعد مقتله (١).

---

(١) وردت هذه القصص الخاصة باليوم الخامس عشر من مارس في مؤلفات سيوتونيوس وأفلوطرخس وأبيان، ولكنها رغم ورودها في هذه المؤلفات كلها قد لا تكون إلا خرافة من الخرافات.." (١)

"في الوقت الذي حياه بروتس **وخنجره** يقطر دما في يده قائلا له مرحبا "بأبي بلده". ولما خرج المتآمرون وجدوا الشعب هائجا في الميدان العام، وأرادوا أن يضموه إلى جانبهم بألفاظ الحرية والجمهورية، ولكن العامة الذين جن جنونهم من هول الحادث لم يعبئوا بهذه الألفاظ التي طالما استخدمت لستر المطامع والشره. ولجأ القتلة إلى البناء القائم على الكبتول ليعتصموا به خوفا على حياتهم، وأحاطوا أنفسهم بحراسهم من المصارعين. وانضم إليهم شيشرون في آخر النهار، وأرسلوا رسلهم إلى أنطونيوس يستطلعون طلعه فأجابهم جوابا وديا.

واحتشد في اليوم الثاني جمع غفير في السوق العامة وأرسل المتآمرين صنائعهم ليبتاعوا تأييدهم وينظموا من هذا الحشد جمعية شرعية. ثم استجمعوا شجاعتهم، ونزلوا من فوق الكبتول، وألقي بروتس على المجتمعين خطبة كان قد أعدها من قبل ليلقيها في مجلس الشيوخ. غير أن هذه الخطبة لم يكن لها أثر في السامعين، وحاول كاسيوس أن يؤثر هو فيهم ولكنهم قابلوه بصمت وفتور، فعاد المحررون إلى الكبتول، حتى إذا ما نقص عدد العامة المحتشدين تسللوا إلى بيوتهم. واعتقد أنطونيوس أنه وارث قيصر، فحصل من كلبيرنيا- وقد أذهلتها الفاجعة وكادت تذهب بعقلها- على كل ما تركه قيصر في القصر من أوراق وأموال، ثم عاد في الوقت نفسه جنود قيصر القدامى المضرسين للحضور إلى رومه. وفي اليوم السابع عشر دعا مجلس الشيوخ إلى الاجتماع مستخدما في ذلك حقه بوصفه تريبونا، وأدهش الأحزاب جميعها بلطفه وهدوئه، فقبل ما عرضه عليه شيشرون وأصدر عفوا عاما، ووافق على أن يعين بروتس وكاسيوس والبين لاثنتين من

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٩/٤٠٠

الولايات، (أي أن يفرا وينجوا ويستمتعا بالسلطان)، على شرط أن يقر مجلس الشيوخ جميع الأوامر والقوانين والتعيينات التي أصدرها قيصر. وإذ كانت كثرة الشيوخ مدينة بمناصبها وأموالها إلى هذه القرارات نفسها فقد وافقت على هذا الشرط، ولما فض الاجتماع أثنى الجميع على أنطونيوس وقالوا إنه هو السياسي." [١]

"فلجنة الأمن العام كانت على خلاف مع لجنة الضمان العام Committee of public Safety بسبب التنازع على السلطة السياسية· وفي هذه اللجنة الأخيرة كان بيو فارين Billaud-varenne وكولو دربوا Collot d'Herbois وكارنو Carnot في حالة ثورة متزايده ضد روبيسبير وسان – جوست· فلما شعر روبيسبير بعداوتهم الشديدة له تحاشى حضور اجتماعات اللجنة في الفترة من أول يوليو إلى ٢٣ من الشهر نفسه لعل هذا يؤدي إلى تخفيف حساسيتهم من زعامته، لكن غيابه هذا أعطاهم الفرصة ليخططوا لإسقاطه· وأكثر من هذا فإن إستراتيجيته راحت تضطرب وتترنح: ففي ٢٣ يوليو أحال المؤيدين له إلى أعداء بتسليمه لنواب السهل (المعتدلين) من رجال الأعمال بتوقيعه مرسوما بتحديد سقف الأجور (الحد الأقصى للأجور)، ومن الناحية الفعلية، وبسبب انخفاض قيمة العملة، خفض المرسوم بعض الأجور إلى النصف ·

وكان هناك الإرهابيون الذين عادوا من الدوائر أو المحافظات – فوشي وفريرو Freron وتاييه وكاريه Carrier – الذين وجدوا أن حياتهم متوقفة على إقصاء روبيسبير، فقد كان هو الذي استدعاهم إلى باريس طالبا منهم تقارير عن مهامهم لقد قال متسائلا: "تعال يا فوشي وأخبرنا من الذي فوضك لتقول للناس إن الله غير موجود؟ " وفي نادي اليعاقبة اقترح روبيسبير التحقيق مع فوشي فيما يتعلق بعملياته في طولون وليون أو سحب العضوية منه، ورفض فوشى أن يجيب عن مثل هذا الاستجواب، وانتقم لنفسه بإشاعة قائمة بأسماء أشخاص زعم أن روبيسبير اعتزم إعدامهم بالمقصلة · أما بالنسبة لتاييه Tallien فلم يكن في حاجة إلى من يحرضه ضد روبيسبير فقد كان هذا الأخير قد أمر بالقبض على خليلته الجذابة في ٢٢ مايو · وتقول الإشاعات أنها أرسلت إلى تاييه خنجرا، فأقسم أن يحررها (يخرجها من المعتقل) مهما كلفه ذلك·

وفي ٢٦ يوليو ألقى روبيسبير آخر خطاب له أمام المؤتمر الوطني الذي كان نوابه معادين له لأن كثيرين

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٤٠٣/٩

منهم كانوا معارضين للتسرع في إعدام دانتون ولام كثيرون منهم روبيسبير لتقليله من شأن المؤتمر الوطني. وحاول روبيسبير أن يدفع هذه التهم عن نفسه:." (١)

"ولسوء الحظ كان الضابط الرئيسي (رئيس الضباط) في هذا اليوم من أعدائه (أي أعداء روبيسبير) الذين أقسموا أن يتخلصوا منه – إنه كولو دربوا Collot d'Herbois. وعندما بدأ سان جوست يقرأ قائمة الاتهامات، توقع تاييه أن يكون من بينهم، فاندفع إلى المنصة وأزاح الخطيب الشاب جانبا، وصاح قائلا: "إنني أطالب بإزاحة الستارة" يقصد كشف حقيقة الأمور. وحاول جوزيف ليباس Joseph Lebas الموالي لسان – جوست أن يأتي لنجدته لكن كلماته ضاعت إذ أسكتته مئات الأصوات، وطلب روبيسبير الفرصة ليسمعوه، فرفع تاييه Tallien السلاح الذي أرسل إليه عاليا وأعلن: "لقد سلحت نفسي **بخنجر** سيتغلغل في جسده إذا لم يكن لدى المؤتمر الوطني الشجاعة الكافية لإصدار قرار باتهامه".

وسلم كولو المقعد لثريو Thuriot الذي كان من أنصار دانتون، واقترب روبيسبير من المنصة صائحا، لكن جرس ثريو بعثر معظم كلمات روبيسبير، واعتلى أحدهم موجة الفتنة وقال: "لآخر مرة يا زعيم الحشاشين Assassins سيكون كلامي بالإذن منك" وارتفعت أصوات أعضاء المجلس الوطني معبرة عن عدم رضائها عن هذه الطريقة في الخطاب، ونطق أحد الأعضاء بكلمات كأنها قدر نزل: "إنني أطالب بالقبض على روبيسبير" فقام أوغسطين روبيسبير يتحدث كرجل روماني: "إذا كان أخي مذنبا فإنني مذنب معه، إنني أشترك معه في فضائله، فليكن اسمي مدرجا في قراركم بالقبض عليه" وطلب ليباس Lebas الطلب نفسه، وبالفعل فقد ناله. وجرى التصويت على القرار فقبض البوليس على الروبيسبيرين (روبيسبير وأخيه) وسان – جوست، وليباس Lebas وكوثون Couthon وأسرع بهم إلى سجن لكسمبرج.

وأمر محافظ باريس (رئيس بلديتها) فلوريو – ليكو Fleuriot Lescot بنقل السجناء إلى دار البلدية فتلقاهم كضيوف مكرمين وبسط عليهم حمايته، وأمر رؤوس الكومون (أولو الأمر فيه) هانريو Hanriot رئيس الحرس الوطني في العاصمة – أن يأخذ جنودا وأسلحة من التوليري Tuileries وأن يحاصر أعضاء

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ملحق/١٩٠

المؤتمر الوطني حتى يسحبوا قرارهم بالقبض على روبيسبير والآخرين الذين قبض عليهم معه لكن هانريو كان ثملا لإفراطه في الشراب فلم ينفذ هذه المهمة." (١)

"للكنيسة والقوى اليسارية. فانسحب إنفانتي من العمل السياسي، ونصح أتباعه بذلك، ورفض المشاركة في المؤسسات الأندلسية الكاذبة التي أسسها النظام، وجعلها في يد اليمينيين. وركز إنفانتي على التفكير في مصير الأندلس، وفي جذور الهوية الأندلسية.

فأدت هذه الحقبة إلى تحول هام في حياته، وبالتالي في مسار الحركة الأندلسية.

ففي ١٥/ ٩ / ١٩٢٣ م، في ذروة معارك الريف، قرر إنفانتي زيارة قبر المعتمد ابن عباد في أغمات بالمغرب، رغم المخاطر. فصحبه رجل اسمه بيدال، وموسى بن عبد المؤمن، ترجمان مسلم من وهران. وصل إنفانتي إلى أغمات، وزار قبر الأمير الأندلسي، وشعر بانطواء الزمن، وحلم برهة وكأن سنين الآلام لم تكن، ولم يكن اضطهاد للشعب الأندلسي، ولا قضي على شخصيته ودينه ولغته وهويته وأرضه وكرامته وعرضه وشرفه، ولم تكن هناك لا قشتالة ولا كنيسة. وتعرف إنفانتي في أغمات على بعض أبناء الأندلس، منهم عمر الدكالي ورجل ينحدر من بني الأحمر، فأشهر بلاس إنفانتي على يديهما إسلامه، وبكى من عظمة اللحظة، فأهداه صديقاه جلبابا وخنجرا، هديتين رمزيتين ظلتا مع بلاس إنفانتي إلى آخر حياته، الأولى إعادة لما عمله رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، بإعطاء برده عليه السلام إلى كعب بن زهير عندما قال: إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول والثانية شعارا للنضال الذي ينتظر إنفانتي من أجل تحرير الشعب الأندلسي من الشتات والضياع والمسخ الثقافي والحضاري، وإرجاعه إلى أصالته وينابيعها الإسلامية. وحاول إنفانتي بعد إسلامه ربط الحركة الأندلسية بالحركات الإسلامية والعربية. ابتدأ إنفانتي، عند رجوعه إلى إيسلا كريستينا بكتابة "جذور الفلامنكو وأسرار الكانتي هوندو". وهو كتاب برهن فيه عن الجذور الإسلامية للأغنية "الفلامنكية" و"الهوندية"، وأنها تعبير لآلام وصيحات الشعب الأندلسي المظلوم أمام إرهاب محاكم التفتيش وتسلط الدولة الإسبانية. وبهذا يكون "الفلامنكو" و"الكانتو هوندو" خيطين من خيوط الهوية الأندلسية التي تربط حاضر الأندلس التعس بماضيها المجيد.

وفي صيف سنة ١٩٢٥ م، رجع إنفانتي مع زوجه إلى منطقة قشريش حيث قضى الصيف مع شقيقه وأهله ووالدتهما. ومرت السهرات في وسط عائلي في الحديث عن الأندلس وأمجادها حول كؤوس القهوة. أما

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ملحق/١٩٣

الخمر فلم يكن بلاس إنفانتي يشربه قط، كما كان تام الاستقامة في حياته الخاصة، لا يعرف عنه أي زيغ.." (١)

"شاعر الإسلام محمد إقبال

(يا ولدي كن برعما في غصن المصطفى، وكن وردة من نسيم ربيعه، وخذ من خلقه الطيب بنصيب).

في (سيالكوت) تلك المدينة التي تقع بإقليم (البنجاب) بالهند، ولد (محمد إقبال) عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، وتفتحت عيناه على مناظر بلاده الجميلة، فالأنهار الجارية تنحدر بين التلال، والعشب الأخضر يملأ الأرض ويكسوها بهاء وجلالا.

ينتمي محمد إقبال إلى أسرة هندوكية من البراهمة، وهي جماعة لها شأن كبير في الهند رغم أنها تعبد الأصنام وتقدس التماثيل، لكن أسرة محمد إقبال تنازلت عن كل هذه العظمة، لتدخل في دين الإسلام الذي لا يفرق بين أبيض وأسود و أصفر أو أحمر إلا بالتقوى، وأصبح الجد الأكبر لمحمد إقبال واسمه (بنديت) فردا عاديا لا يدعي الألوهية كما يفعل البراهمة!! بعد أن هداه الله على يد أحد رجال الإسلام في (كشمير) وأنجبت الأسرة التي كانت بالأمس القريب تعبد الأصنام وتحتقر الآخرين (محمد إقبال) فيلسوف الإسلام الكبير وشاعره، وفضلت الإسلام مع الفقر على عبادة الأصنام مع الغني والعظمة.

ونشأ إقبال في بيت طاهر لأبويين تقيين؛ فكانت أمه نموذجا رائعا للتقوى والورع والالتزام بتعاليم الإسلام، أما والده(محمد نور إقبال) فكان صوفيا زاهدا، تدمع عيناه خوفا كلما ذكرت الجنة والنار، وكلما سمع عن يوم الحساب، والناس كلهم وقوف أمام الله عز وجل ليحاسبوا عما قدموه في حياتهم الدنيا من خير أو شر.

وكان هذا الوالد التقي هو المعلم الأول لمحمد إقبال، فقد حثه على قراءة القرآن وحفظه وتدبره منذ صغره، وكان يقول له كلما رآه يكثر من قراءة القرآن: إن أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك، فأخذ إقبال منذ ذلك الحين يتدبر آيات القرآن الكريم، ويتفهم معانيه ويغوص في بحار علومه؛ حتى انطبع نور القرآن في قلبه، وفاض على لسانه، وأصبح دليله ومرشده في جميع خطوات حياته.

وقد ربي محمد نور الدين إقبال ولده (محمدا) تربية إسلامية سليمة تعتمد على الكتاب والسنة والقدوة الحسنة، فكان يوقظ طفله الصغير ليصلى صلاة الفجر كل يوم، وكان يرشده دائما لعمل الخير والابتعاد

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/٢٨٥

عن الشر.. حكى إقبال في كتاباته قصة جليلة عن والده تكشف عن عمق إيمان الأب وعن أسلوب التربية الإسلامية الحقة، قال: (جاء سائل، فطرق بابنا بعنف، فضربته بعصا على رأسه، فتناثر ما جمعه، فتألم والدي وسال الدمع من عينيه وقال: (يا بني غدا تجتمع أمة خير البشر أمام مولاها، ويحشر أهل الملة البيضاء حكماؤها والشهداء والعلماء والعصاة ويأتي هذا السائل المسكين صائحا شاكيا، فماذا أقول إذا قال لي النبي -صلى الله عليه وسلم-: إن الله أودعك شابا مسلما، فلم تؤدبه بأدبي، بل لم تستطع أن تجعله إنسانا، فانظر يا ولدي عتاب النبي الكريم ومقامي في خجلي بين الخوف والرجاء، أتفضح أباك أمام مولاه؟! يا ولدي كن برعما في غصن المصطفى، وكن وردة من نسيم ربيعه، وخذ من خلقه الطيب بنصيب).

بدأ إقبال التعليم في طفولته على يد والده، ثم أدخل كتابا ليتعلم القرآن، وانتقل إلى مدرسة (سيالكوت) ولما أتم دراسته الثانوية التحق بكليتها، فدرس اللغة الفارسية والعربية على يد أستاذه (مير حسن) ولفت الأنظار إليه بذكائه الشديد، وأخلاقه الكريمة؛ فاحترمه

الجميع؛ زملاؤه وأساتذته، وحصل على الكثير من الجوائز، ونال فرصة الدراسة مجانا، وتخرج من الكلية عام ١٨٩٧م.

وفي هذه الفترة ازداد تفكير محمد إقبال، وشعر بالألم والحسرة، فهو ينظر إلى المسلمين، فيراهم مستسلمين لأعدائهم، فتسيل الدموع من عينيه، وينشد قائلا:

مسلما إن ترد حياة فيها ما بغير القرآن تأتي الحياة

وفتحت كلية الحكومة في (لاهور) ذراعيها للشاب الذكي فتفوق على زملائه، وحصل على ميداليتين ذهبيتين، ثم حصل على درجة الماجستير في الآداب والفلسفة، ومن فوق منبر جمعية حماية الإسلام أخذ محمد إقبال يردد قصائده ويلقيها على السامعين، حتى اشتهر وأصبح معروفا بين الناس، وظل يدافع عن الإسلام والمسلمين، ويدعوهم إلى الكفاح والجهاد في سبيل الله، حتى تم اختياره سكرتيرا لجمعية حماية الإسلام.

والتقى (محمد إقبال) في كلية الحكومة بـ(لاهور) بأستاذه المستشرق (توماس أرنولد) وهو من كبار علماء الغرب الذين درسوا الإسلام عامة والتصوف خاصة، فكان يرشده ويعينه في الدراسة، وكان توماس يفخر بذكاء تلميذه، ويعتز بصداقته.

وبعد أن أنهى (محمد إقبال) دراسته الجامعية بـ(لاهور) عين أستاذا للتاريخ والفلسفة والسياسة المدنية

بالكلية الشرقية بـ(لاهور) ثم أستاذا للفلسفة واللغة الإنجليزية في الكلية الحكومية التي تخرج فيها، لكنه كان طموحا يريد مزيدا من العلم، ويتمنى أن يرى البلاد الأوربية ومضارتها؛ فسافر إلى أوروبا سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م حيث نال درجة في الفلسفة من جامعة (كمبردج) ودرجة في القانون من كلية لندن للعلوم السياسية، وعمل أستاذا للغة العربية في جامعة لندن، كما حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة (ميونيخ) بألمانيا، وعاد مرة أخرى إلى لندن، فلم يضيع وقته في العبث واللهو، بل نال شهادة المحاماة من جامعة لندن.

وهناك في بلاد الغرب كان محمد إقبال يدعو إلى دين الإسلام، ويدافع عنه دفاعا صادقا من خلال المقالات التي كان ينشرها والقصائد الشعرية التي كان يبدعها، وكان دائما يفخر بالإسلام الذي حرر الرءوس، وطهر النفوس، وأصلح الأرض وحصن العرض، ولم يعجبه الفسق والكفر الذي يعيش فيه الأوربيون، وقال لهم محذرا: (يا أهل الغرب إن أرض الله ليست دار تجارة، ولسوف تنتحر حضارتكم **بخنجرها**؛ لأنها كالعش الذي بني على غصن ضعيف لا قوة له).

رجع إقبال إلى لاهور عام ١٩٠٨م بعد رحلة استغرقت ثلاث سنوات، وبدأ العمل بالمحاماة، يدافع عن المظلومين، وعرف عنه في أثناء عمله بها أنه لا يقبل إلا قضايا الحق، كما عرف عنه أيضا اقتداره في مهنته، وكان مؤهلا لبلوغ أعلى الدرجات فيها، لكنه ترك المحاماة وعمل أستاذا للفلسفة واللغة الإنجليزية في الكلية الإسلامية في (لاهور) ثم استقال من منصب الأستاذية، واشتغل بالسياسة، فانتخب عام ١٩٢٦م في الجمعية التشريعية في (بنجاب) وعمل في حزب الرابطة الإسلامية، ورأس المؤتمر السنوي لها في (إله آباد) سنة ١٩٣٠م، واشترك إقبال في مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٣١م،١٩٣٢م في لندن للنظر في وضع دستور للهند.

وقد كان إقبال يحلم بإنشاء دولة إسلامية لمسلمي الهند، وسخر منه الناس حينئذ، ولكن تحققت فكرته بقيام دولة باكستان الإسلامية، زار (إقبال) كثيرا من الدول الإسلامية، فزار مصر، وأفغانستان كما زار قرطبة، وصلى في مسجد قرطبة الشهير، وظل طيلة حياته المجيدة يدافع عن الإسلام والمسلمين في المحافل الدولية والمؤتمرات الإسلامية والكتب والأشعار التي أبدعها، ويحاول قدر طاقته إيقاظ المسلمين من غفلتهم، ومساعدة الأمة الإسلامية على النهوض، وكان إقبال دائما يعطف على الفقراء والمساكين، يجلس معهم، ويهتم بأمرهم، ويخالطهم في الطعام والشراب.

كما كان يدعو المسلمين إلى المشاركة في حركة الحضارة والتقدم، وينبذ الفكر الذي يكتفي من الدين بالعلاقة بين العبد وربه في صورة العبادات، وكان له موقف أصيل من التصوف، يقوم على رفض التصوف الذي يخالف الكتاب والسنة ويتأثر بفلسفات وثنية، كما رفض التصوف الذي يجعل من المسلم سلبيا لا يشارك في خدمة مجتمعه، ومقاومة الظلم والدفاع عن المسلمين وكان يسمى هذا اللون من التصوف بالتصوف الأعجمي.

وكان صلى الله عليه وسلم إقبال) يدعو المسلمين إلى التمسك بدينهم، ثم بالعلم الذي هو السبب في تقدم الأمم، وبذل جهودا كبيرة في الدعوة إلى وحدة المسلمين تحت راية الجامعة الإسلامية التي تضم المسلمين جميعا مع اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم.

ولم يترك إقبال فرصة إلا نصح فيها إخوانه من المسلمين، فيخاطب المسلم ويقول له: (اقرأ مرة أخرى في سيرتك الأولى، اقرأ دروس الصدق والعدل والشجاعة، لأنك أنت المنشود؛ لتسود العالم مرة ثانية، أنت تملك العالم بالأخوة وتحكمه بالمحبة، ما الذي محا استبداد (قيصر) وشدة (كسرى)؟! أكانت هناك قوة في العالم تحارب الجبابرة سوى قوة (علي) كرم الله وجهه، وفقر (أبي ذر) وصدق (سليمان) رضي الله عنهم؟!) وأبدع إقبال العديد من الدواوين الشعرية الرائعة منها:

(صلصلة الجرس) ونشر عام ١٩٢٤م، ويحتوي على حوالي ستين قصيدة وقطعة نظمها في بداية شبابه حتى سفره إلى أوربا، بالإضافة إلى ثلاثين قصيدة نظمها في أوربا، وأهم قصائد هذا الديوان قصيدته الشهيرة: (طلوع الإسلام).

* (رسالة المشرق) : وهي رد على ديوان الشاعر الألماني (جوته).

* (زبور العجم): وهو ديوان من أروع ما كتب إقبال، وأهم قصائده: (حديقة السر الجديدة) وهي قصيدة في الحب الإلهي.

* (ما ينبغي أن نعمل يا أمم الشرق) وهي منظومات تدعو المسلمين إلى الاتحاد لمقاومة الاستعمار الأجنبي.

* (هدية الحجاز) وهو ديوان أغلبه يدور حول موضوعات هامة مثل: الحديث عن الله وعن الرسول –صلى الله عليه وسلم– وعن الأمة وعن العلم الإنساني، وعن رفاق الطريق إلى الله، وأهم قصائد الديوان قصيدة تدور حول إبليس ومعاونيه.

ومن أهم مؤلفاته: (تطور الفكر الفلسفي في إيران) و(تجديد التفكير الديني في الإسلام) ومن شعره المترجم إلى العربية:

ملكنا هذه الدنيا قرونا وأخضعها جدود خالدونا

وسطرنا صحائف من ضياء فما نسى الزمان ولا نسينا

وأجاد محمد إقبال الكثير من اللغات كالأوردية، والفارسية والإنجليزية، والألمانية، وكان يعرف العربية، وتحمل كل هذا العناء لكي يزيل عن أمته ظلام الجهل والتأخر.

وبعد رحلة مريرة بما فيها من مصاعب، مباركة بخدمتها المسلمين، تكالبت أمراض كثيرة على الشاعر الفيلسوف، فقد ضعف بصره، وأصابته آلام، وأزمات كثيرة نتيجة حصوات تكونت في الكلى، لكن المرض لم يقعده عن كتابة الشعر، وفي إبريل سنة ١٩٣٨م رحل(إقبال) وفاضت روحه التي أجهدها العناء الطويل في سبيل هداية البشر، وعلت شفتيه البسمة الهادئة فرحا بلقاء ربه.

وذاع خبر موت (إقبال)، ففجع الناس فيه، وصعقهم النبأ، وهزمهم الأسى، وعمهم الحزن، وكان يوما عصبيا في حياة جماهير الهند عامة، والجماهير المسلمة خاصة، ونعاه قادة الهند وأدباؤها من المسلمين والهندوس على السواء.. رحم الله الفيلسوف الشاعر الذي أحدث برحيله فراغا كبيرا في عالمنا الإسلامي،رحم الله إقبال القائل:

وما فتئ الزمان يدور حتى مضي بالمجد قوم آخرونا

وأصبح لا يرى في الركب قومي وقد عاشوا أئمته سنينا

وآلمني وآلم كل حر سؤال الدهر أين المسلمونا

." (١)

"وكان علماء المسلمين وشيوخهم يتجولون بين الجنود ويقرأون على المجاهدين آيات الجهاد والقتال وسورة الأنفال ، ويذكرونهم بفضل الشهادة في سبيل الله وبالشهداء السابقين حول القسطنطينية وعلى رأسهم أبو أيوب الأنصاري ويقولون للمجاهدين : لقد نزل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عند هجرته إلى المدينة في دار أبي أيوب الأنصاري ، وقد قصد أبو أيوب إلى هذه البقعة ونزل هنا ، وكان هذا القول يلهب الجند ويبعث في نفوسهم أشد الحماس والحمية[٧٨].

(١) مشاهير أعلام المسلمين، ص/٦٦

وبعد أن عاد الفاتح إلى خيمته ودعا إليه كبار رجال جيشه أصدر إليهم التعليمات الأخيرة ، ثم ألقى عليهم الخطبة التالية: "إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث من أحاديث رسول الله ومعجزة من معجزاته وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير فأبلغوا أبناءنا العساكر فردا فردا ، أن الظفر العظيم الذي سنحرزه سيزيد الإسلام قدرا وشرفا ، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه التعاليم ، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى ، ويدعوا القسس والضعفاء والعجزة الذين لا يقاتلون . . .[٧٩].

وفي هذا الوقت كان الإمبراطور البيزنطي يجمع الناس في المدينة لإقامة ابتهال عام دعا فيه الرجال والنساء والصبيان للدعاء والتضرع والبكاء في الكنائس على طريقة النصارى لعله أن يستجاب لهم فتنجوا المدينة من هذا الحصار ، وقد خطب فيهم الإمبراطور خطبة بليغة كانت آخر خطبة خطبها ، حديث أكد عليهم بالدفاع عن المدينة حتى لو مات هو ، والاستماتة في حماية النصرانية أمام المسلمين العثمانيين ، وكانت خطبة رائعة كما يقول المؤرخون أبكت الجميع من الحاضرين ، كما صلى الإمبراطور ومن معه من النصارى الصلاة الأخيرة في كنيسة آياصوفيا أقدس الكنائس عندهم[٨٠] ثم قصد الإمبراطور قصره يزوره الزيارة الأخيرة فودع جميع من فيه واستصفحهم وكان مشهدا مؤثرا وقد كتب مؤرخو النصارى عن هذا المشهد ، فقال من حضره، لو أن شخصا قلبه من خشب أو صخر لفاضت عيناه بالدموع لهذا المنظر[٨١].

وتوجه قسطنطين نحو صورة يزعمون أنها صورة المسيح معلقة في أحد الغرف فركع تحتها وهمهم بعض الدعوات ثم نهض ولبس المغفر على رأسه وخرج من القصر عند نحو منتصف الليل مع زميله ورفيقه وأمينه المؤرخ فرانتزتس ثم قاما برحلة تفقدية لقوات النصارى المدافعة ولاحظوا حركة الجيش العثماني النشطه المتوثبة للهجوم البري والبحري . وقبيل ذلك الليل بقليل رذت السماء رذا خفيفا كأنما كانت ترش الأرض رشا فخرج السلطان الفاتح من خيمته ورفع بصره إلى السماء وقال: لقد أولانا الله رحمته وعنايته فأنزل هذا المطر المبارك في أوانه فإنه سيذهب بالغبار ويسهل لنا الحركة[٨٢].

الحادي عشر: "فتح من الله ونصر قريب"

عند الساعة الواحدة صباحا من يوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الأولى سنة ٨٥٧هـ الموافق ٢٩ مايو ١٤٣٥م بدأ الهجوم العام على المدينة بعد أن أصدرت الأوامر للمجاهدين الذين علت أصواتهم بالتكبير وانطلقوا نحو الأسوار ، وخاف البيزنطيون خوفا عظيما ، وشرعوا في دق نواقيس الكنائس والتجأ إليها كثير من النصارى

وكان الهجوم النهائي متزامنا بريا وبحريا في وقت واحد حسب خطة دقيقة أعدت بإحكام ، وكان المجاهدون يرغبون في الشهادة ولذلك تقدموا بكل شجاعة وتضحية وإقدام نحو الأعداء ونال الكثير من المجاهدين الشهادة ، وكان الهجوم موزعا على كثير من المناطق ، ولكنه مركز بالدرجة الأولى في منطقة وادي ليكوس ، بقيادة السلطان محمد الفاتح نفسه ، وكانت الكتائب الأولى من العثمانيين تمطر الأسوار والنصارى بوابل من القذائف والسهام محاولين شل حركة المدافعين ، ومع استبسال البيزنطيين وشجاعة العثمانيين كان الضحايا من الطرفين يسقطون بأعداد كبيرة[٨٣]، وبعد أن انهكت الفرقة الاولى الهجومية كان السلطان قد أعد فرقة أخرى فسحب الأولى ووجه الفرقة الثانية ، وكان المدافعون قد أصابهم الإعياء ، وتمكنت الفرقة الجديدة ، من الوصول إلى الأسوار وأقاموا عليها مئات السلالم في محاولة جادة للإقتحام ، ولكن النصارى استطاعوا قلب السلالم واستمرت تلك المحاولات المستمية من المهاجمين ، والبيزنطيون يبذلون قصارى جهودهم للتصدي لمحاولات التسلق ، وبعد ساعتين من تلك المحاولات أصدر الفاتح أوامره للجنود لأخذ قسط من الراحة ، بعد أن أرهقوا المدافعين في تلك المنطقة ، وفي الوقت نفسه أصدر أمرا إلى قسم ثالث من المهاجمين بالهجوم على الأسوار من نفس المنطقة وفوجئ المدافعون بتلك الموجة الجديدة بعد أن ظنوا ان الأمر قد هدأ وكانوا ، قد أرهقوا ، في الوقت الذي كان المهاجمون دماء جديدة معدة ومستريحة وفي رغبة شديدة لأخذ نصيبهم من القتال[٨٤] كما كان القتال يجري على قدم وساق في المنطقة البحرية مما شتت قوات المدافعين وأشغلهم في أكثر من جبهة في وقت واحد، ومع بزوغ نور الصباح أصبح المهاجمون يستطيعون أن يحددوا مواقع العدو بدقة أكثر ، وشرعوا في مضاعفة جهودهم في الهجوم وكان المسلمون في حماسة شديدة وحريصين على إنجاح الهجوم ، ومع ذلك أصدر السلطان محمد الأوامر إلى جنوده بالإنسحاب لكي يتيحوا الفرصة للمدافع لتقوم بعملها مرة أخرى حيث أمطرت الأسوار والمدافعين عنها بوابل من القذائف ، واتعبتهم بعد سهرهم طوال الليل ، وبعد أن هدأت المدفعية جاء قسم جديد من شجعان الإنكشارية يقودهم السلطان نفسه تغطيهم نبال وسهام المهاجمين التي لا تنفك عن محاولة منع المدافعين عنها وأظهر جنود الإنكشارية شجاعة فائقة وبسالة نادرة في الهجوم واستطاع ثلاثون منهم تسلق السور أمام دهشة الأعداء ، ورغم استشهاد مجموعة منهم بمن فيهم قائدهم فقد تمكنوا من تمهيد الطريق لدخول المدينة عند طوب قابي ورفعوا الأعلام العثمانية[٨٥].

مما زاد في حماس بقية الجيش للاقحام كما فتوا في عضد الأعداء ، وفي نفس الوقت أصيب قائد المدافعين

جستنيان بجراح بليغة دفعته إلى الانسحاب من ساحة المعركة[٨٦] مما أثر في بقية المدافعين ، وقد تولى الإمبراطور قسطنطين قيادة المدافعين بنفسه محل جستنيان الذي ركب أحد السفن فارا من أرض المعركة ، وقد بذل الامبراطور جهودا كبيرة في تثبيت المدافعين الذين دب اليأس في قلوبهم من جدوى المقاومة، في الوقت الذي كان فيه الهجوم بقيادة السلطان شخصيا على أشده، محاولا استغلال ضعف الروح المعنوية لدى المدافعين.

وقد واصل العثمانيون هجومهم في ناحية اخرى من المدينة حتى تمكنوا من اقتحام الأسوار والاستيلاء على بعض الأبراج والقضاء على المدافعين في باب أدرنة ورفعت الاعلام العثمانية عليها، وتدفق الجنود العثمانيون نحو المدينة من تلك المنطقة، ولما رأى قسطنطين الأعلام العثمانية ترفرف على الأبراج الشمالية للمدينة، أيقن بعدم جدوى الدفاع وخلع ملابسه حتى لايعرف ، ونزل عن حصانه وقاتل حتى قتل في ساحة المعركة[٨٧].

وكان لانتشار خبر موته دور كبير في زيادة حماس المجاهدين العثمانيين وسقوط عزائم النصارى المدافعين وتمكنت الجيوش العثمانية من دخول المدينة من مناطق مختلفة وفر المدافعون بعد انتهاء قيادتهم، وهكذا تمكن المسلمون من الاستيلاء على المدينة وكان الفاتح رحمه الله مع جنده في تلك اللحظات يشاركهم فرحة النصر، ولذة الفوز بالغلبة على الأعداء من فوق صهوة جواده وكان قواده يهنئونه وهو يقول : الحمد لله ليرحم الله الشهداء ويمنح المجاهدين الشرف والمجد ولشعبي الفخر والشكر[٨٨].

كانت هناك بعض الجيوب الدفاعية داخل المدينة التي تسببت في استشهاد عدد من المجاهدين ، وقد هرب أغلب أهل المدينة الى الكنائس ولم يأت ظهيرة ذلك اليوم الثلاثاء ٢٠ جمادي الأولى ٨٥٧هـ الموافق ٢٩ من مايو ١٤٥٣م، إلا والسلطان الفاتح في وسط المدينة يحف به جنده وقواده وهم يرددون : ما شاء الله ، فالتفت إليهم وقال : لقد أصبحتم فاتحي القسطنطينية الذي أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنأهم بالنصر ونهاهم عن القتل، وأمرهم بالرفق بالناس والإحسان إليهم ، ثم ترجل عن فرسه وسجد لله على الأرض شكرا وحمدا وتواضعا لله تعالى[٨٩].

الثاني عشر: معاملة محمد الفاتح للنصارى المغلوبين:

توجه محمد الفاتح الى كنيسة آيا صوفيا وقد اجتمع فيها خلق كبير من الناس ومعهم القسس والرهبان الذين كانوا يتلون عليهم صلواتهم وأدعيتهم، وعندما اقترب من أبوابها خاف النصارى داخلها خوفا عظيما، وقام

أحد الرهبان بفتح الأبواب له فطلب من الراهب تهدئة الناس وطمأنتهم والعودة الى بيوتهم بأمان، فأطمأن الناس وكان بعض الرهبان مختبئين في سراديب الكنيسة فلما رأوا تسامح الفاتح وعفوه خرجوا وأعلنوا إسلامهم، وقد أمر الفاتح بعد ذلك بتحويل الكنيسة الى مسجد وأن يعد لهذا الأمر حتى تقام بها أول جمعة قادمة، وقد أخذ العمال يعدون لهذا الأمر ، فأزالوا الصلبان والتماثيل وطمسوا الصور بطبقة من الجير وعملوا منبرا للخطيب، وقد يجوز تحويل الكنيسة الى المسجد لأن البلد فتحت عنوة والعنوة لها حكمها في الشريعة الاسلامية.

وقد اعطى السلطان للنصارى حرية إقامة الشعائر الدينية واختيار رؤسائهم الدينين الذين لهم حق الحكم في القضايا المدنية، كما أعطى هذا الحق لرجال الكنيسة في الأقاليم الأخرى ولكنه في الوقت نفسه فرض الجزية على الجميع[٩٠].

لقد حاول المؤرخ الأنجليزي ادوارد شيبردكريسي في كتابة "تاريخ العثمانيين الاتراك أن يشوه صوره الفتح العثماني للقسطنطينية ووصف السلطان محمد الفاتح بصفات قبيحة حقدا منه وبغضا للفتح الإسلامي المجيد[٩١] وسارت الموسوعة الأمريكية المطبوعة في عام ١٩٨٠م في حمأة الحقد الصليبي ضد الإسلام ، فزعمت أن السلطان محمد قام باسترقاق غالبية نصارى القسطنطينية، وساقهم الى اسواق الرقيق في مدينة ادرنة حيث تم بيعهم هناك[٩٢].

إن الحقيقة التاريخية الناصعة تقول أن السلطان محمد الفاتح عامل أهل القسطنطينية معاملة رحيمة وأمر جنوده بحسن معاملة الأسرى والرفق بهم، وافتدى عددا كبيرا من الأسرى من ماله الخاص وخاصة أمراء اليونان، ورجال الدين ، واجتمع مع الاساقفة وهدأ من روعهم ، وطمأنهم الى المحافظة على عقائدهم وشرائعهم وبيوت عبادتهم، وأمرهم بتنصيب بطريرك جديد فانتخبوا أجناديوس برطيركا، وتوجه هذا بعد انتخابه في موكب حافل من الاساقفة الى مقر السلطان، فاستقبله السلطان محمد الفاتح بحفاوة بالغة وأكرمه أيما تكريم، وتناول معه الطعام وتحدث معه في موضوعات شتى، دينية وسياسية واجتماعية وخرج البطريرك من لقاء السلطان، وقد تغيرت فكرته تماما على السلاطين العثمانيين وعن الأتراك، بل والمسلمين عامة، وشعر انه أمام سلطان مثقف صاحب رسالة وعقيدة دينية راسخة وانسانية رفيعة، ورجولة مكتملة ، ولم يكن الروم أنفسهم أقل تأثرا ودهشة من بطريقهم، فقد كانوا يتصورون أن القتل العام لابد لاحقهم، فلم تمض أيام قليلة حتى كان الناس يستأنفون حياتهم المدنية العادية في اطمئنان وسلام[٩٣].

كان العثمانيون حريصون على الالتزام بقواعد الاسلام، ولذلك كان العدل بين الناس من أهم الأمور التي حرصوا عليها، وكانت معاملتهم للنصارى خالية من أي شكل من أشكال التعصب والظلم ، ولم يخطر ببال العثمانيين أن يضطهدوا النصارى بسبب دينهم[٩٤].

إن ملل النصارى تحت الحكم العثماني تحصلت على كافة حقوقها الدينية ، وأصبح لكل ملة رئيس ديني لا يخاطب غير حكومة السلطان ذاتها مباشرة، ولكل ملة من هذه الملل مدارسها الخاصة وأماكن للعبادة والأديرة، كما أنه كان لا يتدخل أحد في ماليتها وكانت تطلق لهم الحرية في تكلم اللغة التي يريدونها[٩٥].

إن السلطان محمد الفاتح لم يظهر ما أظهره من التسامح مع نصارى القسطنطينية إلا بدافع إلتزامه الصادق بالإسلام العظيم، وتأسيا بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، ثم بخلفائه الراشدين من بعده، الذين أمتلأت صحائف تاريخهم بمواقف التسامح الكريم مع أعدائهم[٩٦].

الفاتح المعنوي للقسطنطينية

الشيخ آق شمس الدين

هو محمد بن حمزة الدمشقي الرومي ارتحل مع والده الى الروم، وطلب فنون العلوم وتبحر فيها وأصبح علم من أعلام الحضارة الإسلامية في عهدها العثماني.

وهو معلم الفاتح ومربيه يتصل نسبه بالخليفة الراشد أبي بكر الصديق t، كان مولوده في دمشق عم ٧٩٢هـ ١٣٨٩م حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره، ودرس في أماسيا ثم في حلب ثم في انقرة وتوفي عام ١٤٥٩هـ.

درس الشيخ آق شمس الدين الأمير محمد الفاتح العلوم الأساسية في ذلك الزمن وهي القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه والعلوم الإسلامية واللغات العربية ، والفارسية والتركية وكذلك في مجال العلوم العلمية من الرياضيات والفلك والتاريخ والحرب وكان الشيخ آق ضمن العلماء الذين أشرفوا على السلطان محمد عندما تولى إمارة مغنيسا ليتدرب على ادارة الولاية، وأصول الحكم .

واستطاع الشيخ آق شمس الدين أن يقنع الأمير الصغير بأنه المقصود بالحديث النبوي: لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش[٩٧].

وعندما أصبح الأمير محمد سلطانا على الدولة العثمانية، وكان شابا صغير السن وجهه شيخه فورا الى التحرك بجيوشه لتحقيق الحديث النبوي فحاصر العثمانيون القسطنطينية برا وبحرا. ودارت الحرب العنيفة

٥٤ يوما.

وعندما حقق البيزنطيون انتصارا مؤقتا وابتهج الشعب البيزنطي بدخول أربع سفن ارسلها البابا إليهم وارتفعت روحهم المعنوية اجتمع الأمراء والوزراء العثمانيون وقابلوا السلطان محمد الفاتح وقالوا له : إنك دفعت بهذا القدر الكبير من العساكر الى هذا الحصار جريا وراء كلام أحد المشايخ -يقصدون آق شمس الدين- فهلكت الجنود وفسد كثير من العتاد ثم زاد الأمر على هذا بأن عون من بلاد الأفرنج للكافرين داخل القلعة، ولم يعد هناك أمل في هذا الفتح...[٩٨]. فأرسل السلطان محمد وزيره ولي الدين أحمد باشا الى الشيخ آق شمس الدين في خيمته يسأله الحل فأجاب الشيخ: لابد من أن يمن الله بالفتح[٩٩].

ولم يقتنع السلطان بهذا الجواب، فأرسل وزيره مرة أخرى ليطلب من الشيخ أن يوضح له أكثر، فكتب هذه الرسالة الى تلميذه محمد الفاتح يقول فيها: هو المعز الناصر ... إن حادث تلك السفن قد أحدث في القلوب التكسير والملامة وأحدث في الكفار الفرح والشماتة. إن القضية الثابتة هي : إن العبد يدبر والله يقدر والحكم لله... ولقد لجأنا الى الله وتلونا القرآن الكريم وماهي إلا سنة من النوم بعد إلا وقد حدثت ألطاف الله تعالى فظهرت من البشارات مالم يحدث مثلها من قبل[١٠٠].

أحدث هذا الخطاب راحة وطمأنينة في الأمراء والجنود. وعلى الفور قرر مجلس الحرب العثماني الاستمرار في الحرب لفتح القسطنطينية، ثم توجه السلطان محمد الى خيمة الشيخ شمس الدين فقبل يده، وقال : علمني ياسيدي دعاء أدعو الله به ليوفقني ، فعلمه الشيخ دعاء، وخرج السلطان من خيمة شيخه ليأمر بالهجوم العام[١٠١].

اراد السلطان أن يكون شيخه بجانبه أثناء الهجوم فأرسل إليه يستدعيه لكن الشيخ كان قد طلب ألا يدخل عليه أحد الخيمة ومنع حراس الخيمة رسول السلطان من الدخول وغضب محمد الفاتح وذهب بنفسه الى خيمة الشيخ ليستدعيه، فمنع الحراس السلطان من دخول الخيمة بناء على أمر الشيخ، فأخذ الفاتح **خنجره** وشق جدار الخيمة في جانب من جوانبها ونظر الى الداخل فإذا شيخه ساجدا لله في سجدة طويلة وعمامته متدحرجة من على رأسه وشعر رأسه الأبيض يتدلى على الأرض، ولحيته البيضاء تنعكس مع شعره كالنور، ثم رأى السلطان شيخه يقوم من سجدته والدموع تنحدر على خديه، فقد كان يناجي ربه ويدعوه بأنزال النصر ويسأله الفتح القريب[١٠٢].

وعاد السلطان محمد الفاتح عقب ذلك الى مقر قيادته ونظر الى الأسوار المحاصرة فإذا بالجنود العثمانيين

وقد أحدثوا ثغرات بالسور تدفق منها الجنود الى القسطنطينية[١٠٣].

ففرح السلطان بذلك وقال ليس فرحي لفتح المدينة إنما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زمني[١٠٤].

وقد ذكر الشوكاني في البدر الطالع أن الشيخ شمس الدين ظهرت بركته وظهر فضله وأنه حدد للسلطان الفاتح اليوم الذي تفتح فيه القسطنطينية على يديه[١٠٥].

وعندما تدفقت الجيوش العثمانية الى المدينة بقوة وحماس، تقدم الشيخ الى السلطان الفاتح ليذكره بشريعة الله في الحرب وبحقوق الأمم المفتوحة كما هي في الشريعة الاسلامية[١٠٦].

وبعد أن أكرم السلطان محمد الفاتح جنود الفتح بالهدايا والعطايا وعمل لهم مأدبة حافلة استمرت ثلاثة أيام اقيمت خلالها الزينات والمهرجانات، وكان السلطان يقوم بخدمة جنوده بنفسه متمثلا بالقول السائد سيد القوم خادمهم. ثم نهض ذلك الشيخ العالم الورع آق شمس الدين وخطبهم، فقال: ياجنود الاسلام. اعلموا واذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في شأنكم: لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش[١٠٧]. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا ويغفر لنا. ألا لاتسرفوا في ما أصبتم من أموال الغنيمة ولاتبذروا وأنفقوها في البر والخير لأهل هذه المدينة، واسمعوا لسلطانكم وأطيعوه وأحبوه. ثم التفت الى الفاتح وقال له : ياسلطاني ، لقد أصبحت قرة عين آل عثمان فكن على الدوام مجاهدا في سبيل الله. ثم صاح مكبرا بالله في صوت جهوري جليد[١٠٨].

وقد اهتدى الشيخ آق شمس الدين بعد فتح القسطنطينية الى قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري بموضع قريب من سور القسطنطينية[١٠٩].

وكان الشيخ آق شمس الدين أول من ألقي خطبة الجمعة في مسجد آيا صوفيا[١١٠].

الشيخ شمس الدين يخشى على السلطان من الغرور:

كان السلطان محمد الفاتح يحب شيخه شمس الدين حبا عظيما، وكانت له مكانة كبيرة في نفسه وقد بين السلطان لمن حوله -بعد الفتح- : إنكم ترونني فرحا . فرحي ليس فقط لفتح هذه القلعة إن فرحي يتمثل في وجود شيخ عزيز الجانب، في عهدي، هو مؤدبي الشيخ آق شمس الدين.

وعبر الشيخ عن تهيبه لشيخه في حديث له مع وزيره محمود باشا. قال السلطان الفاتح: إن احترامي للشيخ آق شمس الدين، احترام غير اختياري . إنني أشعر وأنا بجانبه بالانفعال والرهبة[١١١].

ذكر صاحب البدر الطالع أن :... ثم بعد يوم جاء السلطان الى خيمة صاحب الترجمة – أي آق شمس

الدين – وهو مضطجع فلم يقم له فقبل السلطان يده وقال له جئتك لحاجة قال: وماهي؟ قال: ان ادخل الخلوة عندك فأبى فأبرم عليه السلطان مرارا وهو يقول: لا. فغضب السلطان وقال أنه يأتي إليك واحد من الاتراك فتدخله الخلوة بكلمة واحدة وأنا تأبى علي فقال الشيخ: إنك اذا دخلت الخلوة تجد لذة تسقط عندها السلطنة من عينيك فتختل أمورها فيمقت الله علينا ذلك والغرض من الخلوة تحصيل العدالة فعليك أن تفعل كذا وكذا وذكر له شيئا من النصائح ثم ارسل إليه ألف دينار فلم يقبل ولما خرج السلطان محمد خان قال لبعض من معه: ماقام الشيخ لي. فقال له: لعله شاهد فيك من الزهو بسبب هذا الفتح الذي لم يتيسر مثله للسلاطين العظام فاراد بذلك أن يدفع عنك بعض الزهو....[١١٢].

هكذا كان هذا العالم الجليل الذي حرص على تربية محمد الفاتح على معاني الإيمان والاسلام والإحسان ولم يكن هذا الشيخ متبحرا في علوم الدين والتزكية فقط بل كان عالما في النبات والطب والصيدلة، وكان مشهورا في عصره بالعلوم الدنيوية وبحوثه في علم النبات ومدى مناسبتها للعلاج من الأمراض. وبلغت شهرته في ذلك أن أصبح مثلا بين الناس يقول: إن النبات ليحدث آق شمس الدين[١١٣].

وقال الشوكاني عنه: ...وصار مع كونه طبيبا للقلوب طبيبا للأبدان فإنه اشتهر أن الشجرة كانت تناديه وتقول: أنا شفاء من المرض الفلاني ثم اشتهرت بركته وظهر فضله... [١١٤].

وكان الشيخ يهتم بالأمراض البدنية قدر عنايته بالأمراض النفسية.

واهتم الشيخ آق شمس الدين اهتماما خاصا بالامراض المعدية، فقد كانت هذه الامراض في عصره تسبب في موت الآلاف، وألف في ذلك كتابا بالتركية بعنوان "مادة الحياة" قال فيه: من الخطأ تصور أن الأمراض تظهر على الاشخاص تلقائيا، فالأمراض تنتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى. هذه العدوى صغيرة ودقيقة الى درجة عدم القدرة على رؤيتها بالعين المجردة. لكن هذا يحدث بواسطة بذور حية [١١٥].

وبذلك وضع الشيخ آق شمس الدين تعريف الميكروب في القرن الخامس عشر الميلادي. وهو أول من فعل ذلك ، ولم يكن الميكروسكوب قد خرج بعد. وبعد أربعة قرون من حياة الشيخ آق شمس الدين جاء الكيميائي والبيولوجي الفرنسي لويس باستير ليقوم بأبحاثه وليصل الى نفس النتيجة.

وأهتم الشيخ آق شمس الدين أيضا بالسرطان وكتب عنه وفي الطب ألف الشيخ كتابين هما: مادة الحياة ، وكتاب الطب ، وهما باللغة التركية والعثمانية. وللشيخ باللغة العربية سبع كتب، هي : حل المشكلات، الرسالة النورية ، مقالات الأولياء، رسالة في ذكر الله، تلخيص المتائن، دفع المتائن، رسالة في شرح حاجي

بايرام ولي[١١٦].

وفاته:

عاد الشيخ الى موطنه كونيوك بعد أن أحسس بالحاجة الى ذلك رغم إصرار السلطان على بقائه في استنبول ومات عام ٨٦٣هـ/١٤٥٩م فعليه من الله الرحمة والمغفرة والرضوان[١١٧].

وهكذا سنة الله في خلقه لايخرج قائد رباني ، وفاتح مغوار إلا كان حوله مجموعة من العلماء الربانيين يساهمون في تعليمه وتربيته وترشيده والأمثلة في ذلك كثيرة وقد ذكرنا دور عبدالله بن ياسين مع يحيى بن ابراهيم في دولة المرابطين، والقاضي الفاضل مع صلاح الدين في الدولة الأيوبية ، وهذا آق شمس الدين مع محمد الفاتح في الدولة العثمانية فرحمة الله على الجميع وتقبل الله جهودهم وأعمالهم وأعلى ذكرهم في المصلحين.

أثر فتح القسطنطينية على العالم الأوروبي والإسلامي

كانت القسطنطينية قبل فتحها عقبة كبيرة في وجه انتشار الإسلام في أوروبا ولذلك فإن سقوطها يعني فتح الاسلام لدخول أوروبا بقوة وسلام لمعتنقيه أكثر من ذي قبل ، ويعتبر فتح القسطنطينية من أهم أحداث التاريخ العالمي، وخصوصا تاريخ أوروبا وعلاقتها بالإسلام حتى عده المؤرخون الأوروبيون ومن تابعهم نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة[١١٨].

وقد قام السلطان بعد ذلك على ترتيب مختلف الأمور في المدينة، وإعادة تحصينها، واتخذها عاصمة للدولة العثمانية وأطلق عليها لقب اسلام بول أي مدينة الاسلام[١١٩].." (١)

"رأى خلة من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

أبو شهاب محمد بن مهرويه البصري. وقيل اسمه عبد الله بن مهرويه رثى أبا نواس وقد تقدم خبره.

محمد بن الحارث التميمي البصري. من عبد شمس بن زيد مناة بن تميم مأموني يقول:

كأن طرف المحب حين يرى ... حبيبه خنجر على كبده

قد يكره الشيء وهو ينفعه ... ويطرف المرء عينه بيده

وله:

ويخال ما ضربوا بهن جداولا ... ويخال ما طعنوا به أشطانا

---

(١) مشاهير أعلام المسلمين، ص/١٥٣

وله:

كأن شهري ربيع يوم ضحكته ... ويوم عبسته أيام تشرين

أبو مسلم الخلق اسمه محمد بن صباح. فلج في آخر عمره وكان الجماز صديقه وعشيره. وكان أبو مسلم مملقا وله في ذلك:

عجبت لحملي المفتاح إمسائي وإصباحي ... وما ساوى الذي في منزلي قيمة مفتاحي

ولأبي هاشم العتبي في أبي مسلم يلومه على تركه ملازمة حلقته من أبيات:

يا من هواه خلاف كنيته ... والدين منه مشاكل اللقب

خلق تقضب عنه جدته ... بل لم يكن في عدة القشب

فأجابه أبو مسلم:

حي الصيانة ميت الطرب ... لباك إذ ناداك من كثب

لو شئت خفت الله في صفتي ... بل لا أقول نطقت بالكذب

تركي لها عن غير مقلية ... مني لفائدة ولا أرب

لكنني أخشى بها رشا ... لحظاته تدعو إلى العطب

محمد بن عبد العزيز الغزي يكنى أبا جعفر. هجا ابنا للعباس بن محمد الهاشمس وكان سمينا ضخما ومعه أخ له مثل البندقة فشكاه العباس إلى المأمون فأمر بصلبه على خشبة عند الحبس يوما إلى الليل فصلب فلما أنزل عنها دعا بحمال ليحمله فقيل له ما هذا. فقال: أول خملان حملني عليه أمير المؤمنين ألا أضيعه. وحمله فباعه وأسلى به دراهم فاشترى منها زبيبا وعنبا لصبيانه. فرفع خبره إلى المأمون فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم. ثم اتخذه إسحاق بن إبراهيم بعد ذلك مؤدبا لولده. والشعر الذي هجا به ابن العباس بن محمد قوله:

كنت عند الجسر محتبيا ... حين ولى الليل والغلس

إذا أتاني راكب عجل ... قد علاه البهر والنفس

قال هل جازتك قنبلة ... حولها الأجساد والحرس

قلت مرت بي قلنسوة ... فوق سرج تحتها فرس

حولها شونيزة معها ... دنفخ في ظهره قعس

أبو غسان محمد بن يحيى بن علي الكاتب المدني الراوية مأموني. روى عنه عمر بن شبة وهو القائل لعبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن:

لطيت بأجبال الحجاز كأنها ... لك اليوم أم ترضع الدر أو أب

وأنت ترى أن الألى لست دونهم ... ببغداد قد نالوا الثراء وأتربوا

وأنت امرؤ ضخم الحمالة ما جد ... عليك قبول والمكشف أطيب

فأجابه عبد الله بأبيات منها:

لحاني أبو غسان في ضعف همتي ... وإني لا أغشى الملوك فأترب

وإني بأدنى العيش والرزق قانع ... وإني أسباب الغنى أتجنب

فلم أر هذا الرزق عن حيلة الفتى ... ولكنه كاللحم حين يؤرب

حظوظ وأقسام تقسم بينهم ... فكلهم من قسمة الله منصب

الأمين أبو عبد الله محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. قال في كوثر خادمه:

ما يريد الناس من صب ... بمن يهوى كئيب

كوثر ديني ودنيا ... ي وسقمي وطبيبي

أعجز الناس الذي يل؟ ... حي محبا في حبيب

وله في طاهر:

زعم العبد طاهر ... أنني اليوم غادر

كذب العبد وهو عن سبل الرشد جائر

نقض العهد والذي ينقض العهد كافر

مظهر سوء فعله ... معلن لا يساير

وعليه تدور بالبغي منه الدوائر أبو أيوب محمد بن هارون الرشيد. أمه أم ولد يقال لها خلوب. له خبر مع المأمون وهو القائل:

وشادن حملني حبه ... منتقل الصبوة ما لا أطيق." (١)

---

(١) معجم الشعراء، ص/١١٢

"محمد بن سعد العامري الدمشقي من شعراء دمشق كان يظهر التشيع فاغتاله قوم منأهل دمشق فقتلوه لرفض بلغهم عنه ولقوله في قصيدة طويلة سب فيها أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أولها:

لقد غشيت أدهرا وأدهرا ... سكران لا آلف إلا السكرا

ولا أرى المعروف إلا المنكرا فإن يكن سري قد تسفرا

عني وعاد الصفو عني كدرا ... وصرت زهما جنفا مكسرا

وحاد مني ناظري وشبكرا ... فطال ما كنت عضيضا أحورا

وطالما كنت فتى حزورا ... مزعفرا معطرا معنبرا

أسحب بردا وأجر مئزرا ... إذا مشيت للصبى التبخترا

ثم ضممت الكف إلا الخنصرا ... وقد حملت للمجون خنجرا

وصلت الكاعب تلحى المعصرا ... وهي تراني كمثل ما ترى

سقيا لذالك ما ألذ منظرا ... بدلت بالنوم الطويل السهرا

ومت ولا موتا ولكن كبرا ... ومن وقار المرء أن يوقرا

لزاجر من المشيب زجرا ... أن يألف العرف ويأبى المنكرا

محمد بن حبيب الضبي أبو الحسيِن. كان يظهر القول بالإمامة وهو القائل في محمد بن زيد العلوي:

إن ابن زيد كل يوم زائد ... علا علوا لا يسامته أحد

لو صال بالطود إذا لذله ... أوزجر البحر إذا صار زبد

وله من قصيدة طويلة:

وصى محمد حقا علي ... وقتال الجبابرة القرومد

وخازن علمه وأبو بنيه ... ووارثه على رغم المليم

شفاعته لمن والاه حتم ... إذا فر الحميم من الحميم

ومن يعلق بحبل الله فيه ... فقد أخذ الأمان من الجحيم

محمد بن أحمد أبو نصر العسقلاني الكناني يقول:

تركتني رحمة أبكي ويبكي لي ... تراك أفكرت يوم القرق في حالي

أذاب فقدك أوصالي فلو خرجت ... نفسي لما علمت بالنفس أوصالي

قد جاء بعدك عذالي فما برحوا ... حتى بكى لي مع الباكين عذالي

وله:

كل شيء يبلى وحبك باق ... علم الله علم ما أنا لاق

كنت يوم الفراق جلدا وإلا ... فلماذا بكيت يوم الفراق

ليت أني يوم العناق أتاني ... أجل ضمني بضم العناق

ليس أمر العشاق أمرا بديعا ... كم مضى هكذا من العشاق

محمد بن سعد بن ضمضم بن الصلت بن المثنى بن المحلق أبو مهدي الكلابي. هو شاعر وأبو أبيه ضمضم شاعر ومحمد شاعر فصيح أعرابي مدح محمد بن عبد الله بن طاهر ورثاه بعد وفاته وبقي إلى قبيل الثمانين والمائتين. وهو القائل:

إن القطوف إذا ما مد غايته ... يوم الرهان الجياد القرح انبهرا

ليس الذي حلب الأيام أشطره ... كمثل من كان من تجريبها غمرا

وله من قصيدة:

حيا الإله تحيات مضاعفة ... عصر الشباب وعهد البدن الخرد

أمزمان قلت لعذالي وقد عذلوا ... يوم الطريقة بين الرمل والجرد

يا عاذلي اتركا لومي فإنكما ... لا تملكان هوى غي ولا رشد

محمد بن سعيد البلخي أبو بكر الضرير يقول:

أفدي بأمي وأبي ... من لا تبالي غضبي

ووجهها كان إلى ... كل سقام سببي

لهفي على فائتة ... لم أقض منها أربي

غابت ولكن ذكرها ... عني لما يغب

تلك إذا ما نزحت ... عن بلد لم يطب

وله:

نأى عني لنأيكم الرقاد ... وحالفني التذكر والسهاد

علام صددت يا تفديك نفسي ... ولج بك التجنب والبعاد

ولو لم أحي نفسي بالأماني ... وبالتعليل لانصدع الفؤاد
محمد بن سعيد السلمي الصوفي أبو بكر من شعراء مصر. كان يمازح المريمي والمعوج ويقاولهما وله:
أما آن تغدو إلى الراح وأن تصبو ... وأن تجلو صدا السمع بما يستعذب القلب
محمد الواو. قال الصولي: كان أحمد بن قرة البغدادي يهاجي محمدا المعروف بالواو فقال فيه من أبيات:." (١)

"فمضى أبو بكر رضه على منهاج نبيه صلى الله عليه وسلم باذلا نفسه وماله في إظهار دين الله والذب عن حرماته والقيام بنا يوجبه الدين إلى ان حلت المنية به ليلة الاثنين لسبع عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما وله يوم مات اثنتان وستون سنة ودفن بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونزل قبره عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن أبى بكر رضهم أجمعين وورثه أبو قحافة السدس [٣] عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك أبو حفص العدوى وأم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أخت أبى جهل وكان قد استخلفه أبو بكر الصديق في حياته بعهد كتب له في علته التي توفى فيها فقام عمر بن الخطاب رضه الله عنه يذب عن دين الله وي‍بالغ المجهود في إظهار سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضه عنه إلى أن فتح الله عليه الامصار وجبى إليه الاموال من غير ان لوث نفسه بشئ من حطام هذه الفانية الزائلة إلى ان حلت به المنية قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة **بخنجر** وجاءه يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذي الحجة عند قيامة إلى صلاة الفجر طعنه ثلاث طعنات في ثنته وتوفى عمر رضه وله خمس وخمسون سنة وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال ودفن بجنب أبى بكر الصديق ودخل قبره عثمان بن عفان وعبد الله بن عمر [٤] عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وكان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى وأم عثمان أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمها البيضاء أم حكيم بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف استخلف عن شورى من ستة أنفس على وعبد الرحمن وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسادس القوم عثمان رضه الله عنه

---

(١) معجم الشعراء، ص/١٣١

وعنهم أجمعين على حسب ما تقدم ذكرنا ذلك في كتاب الخلفاء فمضى عثمان بن عفان لازما للدين الصحيح وان لوثه الناس ببعض اللوث في حياته." (١)

"وقال أبو أحمد بن خليفة الجمحي قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: قال أبو علقمة لغلام له: خذ من غريمنا هذا كفيلا، ومن الكفيل أمينا، ومن الأمين زعيما، ومن الزعيم عزيما، فقال الغلام للغريم: مولاي كثير الكلام فمعك شيء؟ فأرضاه وخلاه فلما انصرف قال يا غلام: ما فعل غريمنا؟ قال: سقع قال ويلك ما بقع؟ قال بقع. قال ويلك وما يقع؟ قال استقلع: قال ويلك ما استقلع؟ قال انقلع، قال ويلك لم طولت علي؟ قال منك تعلمت. الهيثم بن عدي. ركب أبو علقمة النميري بغلا فوقف على أبي عبد الرحمن القرشي فقال: يا أبا علقمة إن لبغلك هذا منظرا، فهل مع حسن هذا المنظر من خير؟ قال سبحان الله أو ما بلغك خيره؟ قال لا، قال: خرجت عليه مرة من مصر فقفز بي قفزة إلى فلسطين. والثانية إلى الأردن. والثالثة إلى دمشق. فقال له أبو عبد الرحمن: تقدم إلى أهلك يدفنوه معك في قبرك، فلعله يقفز بك الصراط. ذكر أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان في كتاب الثقلاء من تصنيفه: أخبرنا إسحاق بن محمد ابن أبان الكوفي، حدثني بشر بن حجر قال: انقطع إلى أبي علقمة النحوي غلام يخدمه، فأراد أبو علقمة الدخول في بعض حوائجه فقال له: يا غلام أصقعت العتاريف؟ فقال له الغلام: زقفيلم، قال أبو علقمة: وما زقفيلم؟ قال له وما معنى صقعت العتاريف؟ قال: قلت لك أصاحت الديوك؟ قال: وأنا قلت لك لم يصح منها شئ.

قال محمد بن خلف: حدثنا أبو بكر القرشى، حدثني جعفر بن نصير قال: بينما أبو علقمة النحوي في طريق من طرق البصرة إذ ثار به مرار. وظن من رآه أنه مجنون، واقبل رجل يعض أصل أذنه ويؤذن فيها، فأفاق فنظر إلى الجماعة حوله فقال: ما لكم تكأكأتم على كما تتكأكئون على ذي جنة، افرنقعوا عني. قال: فقال بعضهم لبعض: دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهندية.

قال ابن المرزبان: حدثني عبد الله بن مسلم: دخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب فقال له: أمتع الله بك، إني أكلت من لحوم هذه الجوازل فطسأة طسأة، فأصابني وجع بين الوابلة إلى دأية العنق فلم يزل ينمي حتى خالط الخلب وألمت له الشراسيف فهل عندك دواء؟ قال أعين: خذ حرقفا وسلقفا وشرقفا مزهزقه ورقرقه واغسله بماء روث واشربه بماء الماء. فقال له أعين: لعن الله أقلنا إفهاما لصاحبه، ويحك،

---

(١) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ()، ص/٢٣

وهل فهمت عنك شيئا مما قلت؟ قرأت في كتاب النوادر الممتعة جمع ابن جني عن محمد ابن المرزبان قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن عبد الصمد قال: حدثني محمد بن معاذ البصري قال: بينا أبو علقمة النحوي يسير على بغلة إذ نظر إلى عبدين أحدهما حبشي والآخر صقلي، فإذا الحبشي قد ضرب بالصقلي الأرض وأدخل ركبتيه في بطنه، وأصابعه في عينيه، وعض أذنيه، وضربه بعصا كانت معه فشجه وأسال دمه، فجعل الصقلي يستغيث فلا يغاث، فقال لأبي علقمة: اشهد لي فقال: قدمه إلى الأمير حتى أشهد لك، فمضيا إلى الأمير فقال الصقلي: إذن هذا ضربني وشجني واعتدى علي فجحد الحبشي. فقال الصقلي: هذا يشهد لي، فنزل أبو علقمة عن بغلته وجلس بين يدي الأمير فقال له الأمير: بم تشهد يا أبا علقمة؟ فقال: أصلح الله الأمير، بينا أنا أسير على كودني هذا إذ مررت بهذين العبدين، فرأيت هذا الاسحم قد مال علي هذا الأبقع فمطأه على فدفد، ثم ضغطه برضفتيه في أحشائه حتى ظننت أنه تدمج جوفه، وجعل يلج بشناتره في جحمتيه يكاد يفقأهما، وقبض على صنارتيه بمبرمه، وكان يجذهما جذا ثم علاه بمنسأة كانت معه فعفجه بها، وهذا أثر الجريال عليه بيننا وأنت أمير عادل، فقال الأمير: والله ما أفهم مما قلت شيئا، فقال أبو علقمة قد فهمناك إن فهمت، وعلمناك إن علمت، وأديت إليك ما علمت، وما أقدر أن أتكلم بالفارسية، فجعل الأمير يجهد أن يكشف الكلام فلا يفعل حتى ضاق صدره، فقال للصقلي: أعطني خنجرا فأعطاه وهو يظن أنه يريد أن يستفيد له من الحبشي، فكشف الأمير رأسه وقال للصقلي: شجني خمسا وأعفني من شهادة هذا. الصنارتان: الأذنان بلغة سمير. الكودن: الغليظ من الدواب، مطأه: صرعه، والفدفد: الغليظ من الأرض، ورضفتاه: ركبتاه، وشناتره، أصابعه، والجحمتان: العينان لغة يمانية، والمنسأة: العصا، عجفه أي ضربه بها، والجريال الأحمر: فاستعارة للدم.." (١)

"عن أسرارها ونقض ما تبني عليه دعوتها من الغزالي وكان لكتابات الغزالي أثر قوي في مجال الرد على الباطنية، فقد استطاع بفكره القوي وبما نال من شهرة أن يكون ذا تأثير قوي في مقاومة الباطنية وأن يناصر المذهب السني، فقد استطاع توظيف العلوم الشرعية والعلوم العقلية من الفلسفة والمنطق والكلام في نسف جذور المذهب الباطني وقال فيهم كلمته التي طار بها الركبان وسارت مسير الأمثال : ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، فهم يتسترون بالتشيع وما هم من الشيعة في شيء وإنما هو قناع يخفون وراءه كيدهم لأهل الإسلام (١) ومما يذكر للغزالي : استمراره على نقد هذه الطائفة وكشف اللثام عن تناقض

---

(١) معجم الأدباء، ٢٣/٢

أفكارها وفضائح أعمالها وسوء نواياها، برغم ما كان معلوما في ذلك الوقت أن هذا النقد قد يكلفه حياته، وقد رأى بنفسه مصرع رجل الدولة الكبير الوزير نظام الملك وكان الشيعة الباطنية تهدد كل من يرونه خطرا عليهم من رجال الملك أو رجال العلم بالانتقام في صورة طعنة في خنجر، أو سم يدس في طعام أو غير ذلك من الأساليب التي أتقنوها ونفذوها بكل دقة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شجاعة الغزالي في صدعه بالحق، ومواجهة الباطل، مهما تكن النتيجة ولن يصيبه إلا ما كتب الله له (٢). وهذا درس وتذكير للعلماء المعاصرين أن يصدقوا الله في مقاومة الباطنيين الجدد، وقد رأيت بعض المحسوبين على العلماء يخشونهم، ويخافون من القتل والاغتيال أو تهمة الطائفية أو بعضهم وقع تحت تأثير أبر التخدير الباطنية ومجاملات لا وزن لها في ميزان الشريعة أو حسابات دنيوية زائلة ولذلك تركوهم يعيثون بعقائد الأمة ومقدساتها وساهم بعض علماء الأمة في تخدير الجمهور العريض من أبناء المسلمين مع علم هؤلاء العلماء بخطر هؤلاء القوم على عقائد الأمة وأخلاقها، أما يخشى هؤلاء الناس من يوم تتقلب فيه القلوب

---

(١) الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه ص ٦٠.

(٢) الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه ص ٦٢.." (١)

"بل إنه كان يضع جيشه في حالة استعداد وترقب دائمين، ولا ينقطع عن القيام بمناوشته خشية غدره وكذا كان صلاح الدين يستشير مجلس حربه حين يعزم على الاتفاق مع العدو لايقاف القتال (١).

عاشرا: أسلحة الجيش الأيوبي: إن استمرار حالة الحرب مع الغزاة الصليبيين التي عاشتها المنطقة، لاسيما بلاد الشام، أدى إلى قيام صناعات حربية نشطة خاصة وأن هذه المنطقة تتوافر فيها بعض موادها الأولية إلى جانب فئة من الصناعيين المهرة، فبلاد الشام عرفت بتوفر مادة الخشب فيها من غابات الجبال الكثيفة، لاسيما أشجار الصنوبر والسنديان والبلوط والزان وغيرها، إلا أن المنطقة عرفت بقلة وجود الحديد فيها، وقد عوض المسؤولون — لاسيما صلاح الدين — عن هذا النقص باستيراد الحديد من إيطاليا وغيرها واقتصر وجوده على بعض أجزاء الشام والموصل ومن الراجح أن هذا الحديد ظل يستخرج من مناجمه في عهد الحروب الصليبية، سواء من قبل المسلمين أو من قبل الصليبيين حين احتلوا هذا الجزء. هذا إضافة إلى غنى منطقة الموصل بالحديد والقير والنفط الأبيض الضروري لقاذفات النار (٢) وكانت الموصل تمد صلاح

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ٢٢٥/١

الدين بين فترة وأخرى، بما تجود به أرضها وأيدي صناعها، فكانت ترسل إليه " أحمالا من النفط الأبيض ومن التراس والرماح ومن كل جنس أحكمه وأقومه وأجوده (٣) وأما مصر فقد كانت غنية بأنواع الخشب التي استخدمت في صناعة السفن (٤) ، وأما أنواع الأسلحة فهي .

١- الأسلحة الفردية: أ- السيف. ب- **الخنجر**. ج- الرمح. ح- الفأس. خ- العمود والدبوس. د- القوس. ذ- المقاليع (٥) .

٢- الأسلحة الثقيلة: أ- النفط وقاذفات النار. ب- الآلآت الجماعية، كالمنجنيق والدبابة وملحقاتها.

---

(١) الجيش الأيوبي ص ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٤.

(٣) الفتح القسي ص ٣٥٠.

(٤) الجيش الأيوبي ص ٢٦٤.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٦٦ إلى ٢٩٠.." [١]

""""" صفحة رقم ٣٢٩ """"

النهار

قال محمد بن مقاتل فسألته عن ذلك قال بلغني في حديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال (حبب إلي الصلاة في الحيطان) وذلك أن أهل اليمن يسمون البستان الحائط

قال محمد بن الحسين فخرجت إلى حائط لي لأصلي فيه الفجر رغبة في الثواب والأجر فعارضني لص جريء القلب خفيف الوثب في يده **خنجر** كلسان الكلب ماء المنايا يجول على فرنده والآجال تلوح في حده فضرب بيده إلى صدري ومكن **الخنجر** من نحري وقال لي بفصاحة لسان وجراءة جنان انزع ثيابك واحفظ إهابك ولا تكثر كلامك تلاق حمامك ودع عنك التلوم وكثرة الخطاب فلا بد لك من نزع الثياب فقلت له يا سبحان الله أنا شيخ من شيوخ البلد وقاض من قضاة المسلمين يسمع كلامي ولا ترد أحكامي ومع ذلك فإني من نقلة حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منذ أربعين سنة أما تستحيي من الله أن يراك حيث نهاك

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ٧٩/٢

فقال لي يا سبحان الله أنت أيضا أما تراني شابا ملء بدني أروق الناظر وأملأ الخاطر وآوي الكهوف والغيران وأشرب ماء القيعان والغدران وأسلك مخوف المسالك وألقي بيدي في المهالك ومع ذلك فإني وجل من السلطان مشرد عن الأهل والأوطان وحشي أن أعثر بواحد مثلك وأتركه يمشي إلى منزل رحب وعيش رطب وأبقى أنا هنا أكابد التعب وأناصب النصب وأنشأ اللص يقول." (١)

" قال ثابت فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم الاسلام

وعنه أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يكن يدخل بيتا بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه فقيل له فقال إني أرحمها قتل أخوها معي

وعنه قال كان النبي صلى الله عليه و سلم يدخل على أم سليم فتبسط له النطع فيقيل عندها فتأخذ من عرقة فتجعله في طيبها

وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم

دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فإذا هي الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك

وعنه قال جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم من أم سليم فقال يا رسول الله ألم تر إلى أم سليم معها خنجر فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم ما تصنعين به يا أم سليم قالت أردت إن دنا أحد منهم مني طعنته

وعنه قال كان يوم أحد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم ." (٢)
"

مرات وقال إلى متى يعبد الحجر ولا محمد ولا علي أفيمنعني محمد مما أفعله فإني اليوم أهدم هذا البيت فاتقاه أكثر الحاضرين وكاد يفلت وكان أحمر أشقر جسيما طويلا وكان على باب المسجد عشرة فوارس ينصرونه فاحتسب رجل فوجأه بخنجر ثم تكاثروا عليه فهلك وأحرق وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته واختبط الوفد ومال الناس على ركب المصريين بالنهب وتخشن وجه الحجر وتساقط منه شظايا يسيرة

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى . ، ٣٢٨/٩

(٢) صفة الصفوة، ٦٦/٢

وتشقق وظهر مكسوره أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل حب الخشخاش فعجن الفتات بالمسك واللك وحشيت الشقوق وطليت فهو يبين لمن تأمله

وفيها توفي بشيراز سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة الديلمي صاحب العراق وفارس ولي السلطنة بعد أبيه وهو صبي وأرسل إليه القادر بالله خلع الملك إلى شيراز وقد قدم بغداد في وسط سلطنته وكانت دولته ضعيفة متماسكة وعاش اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر

وفيها أبو القسم صدقة بن محمد بن أحمد بن محمد بن القسم بن الدلم القرشي الدمشقي الثقة الأمين محدث دمشق ومسندها روى عن أبي سعيد بن الأعرابي وأبي الطيب بن عبادل وطائفة ومات في جمادى الآخرة

وفيها أبو المطرف القنازعي الفقيه عبد الرحمن بن مروان القرطبي المالكي ولد سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وسمع من أبي عيسى الليثي وطبقته وقرأ القراءات على جماعة منهم علي بن محمد الأنطاكي ورحل فأكثر عن الحسن ابن رشيق وعن أبي محمد بن أبي زيد ورجع فأقبل على الزهد والانقباض ونشر العلم والإقراء والعبادة والأوراد والمطالعة والتصنيف فشرح الموطأ وصنف كتابا في الشروط وكان أقرأ من بقي بالأندلس

وفيها أبو القسم عبد العزيز بن جعفر بن خواشتي أبو القسم الفارسي ثم البغدادي المقرئ المحدث مسند أهل الأندلس في زمانه ولد سنة عشرين

". (١)

"

وفيها مراد بن أورخان ثالث ملوك بني عثمان ولي السلطنة بعد موت أبيه سنة إحدى وستين وسبعمائة وكان شديد البطش والفتك في الكفار وافتتح كثيرا من البلاد منها أدرنة ولما ضاق الكفار به ذرعا أظهر واحد من ملوكهم الطاعة له وقدم ليقبل يده فضرب السلطان **بخنجر** كان بيده فاستشهد رحمه الله تعالى

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٣/١٩٨

وفيها شرف الدين موسى بن عمر بن منصور اللوبياني الشامي ولد بعد سنة عشرين وسمع من الحجار وكان فقيها نبيها أذن له ابن النقيب في الإفتاء وكان يدرس ويفتي ويرتزق من الشهادة توفي في ربيع الأول سنة أربع وتسعين وسبعمائة

في شعبانها كان الحريق العظيم بدمشق فاحترقت المأذنة الشرقية وسقطت واحترقت الصاغة والدهشة وتلف من الأموال ما لا يحصى وعمل في ذلك تقي الدين ابن حجة الحموي مقامة في نحو عشر أوراق من رائق النثر وفائق النظم وهي أعجوبة في فنها قاله ابن حجر وفيها ثار الغلاء المفرط بدمشق

وفيها رجع تمرلنك إلى بلاد العراق في جمع عظيم فملك أصبهان وكرمان وشيراز وفعل بها الأفاعيل المنكرة ثم قصد شيراز فتهيأ منصو رشاه لحربه فبلغ تمرلنك اختلاف من في سمرقند فرجع إليها فلم يأمن منصور من ذلك بل استمر على حذره ثم تحقق رجوع تمرلنك فأمن فبغته تمرلنك فجمع أمواله وتوجه إلى هرمز ثم انثنى عزمه وعزم على لقاء تمرلنك فالتقى بعسكره وصبروا صبر الأحرار لكن الكثرة غلبت الشجاعة فقتل منصور في المعركة ثم استدعى ملوك البلاد فأتوه طائعين فجمعهم في دعوة وقتلهم أجمعين وفيها توفي ناصر الدين إبراهيم ابن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن إسمعيل بن عمر بن مختار الصالحي المعروف بابن السلار ولد سنة أربع وسبعمائة وسمع من عبد الله بن أحمد بن تمام وابن الزراد وست الفقهاء بنت الواسطي وهو آخر من روى عن الدمياطي بالإجازة وكان له

---

(١) ".

"١٩٨ مرات وقال إلى متى يعبد الحجر ولا محمد ولا علي أفيمنعني محمد مما أفعله فإني اليوم أهدم هذا البيت فاتقاه أكثر الحاضرين وكاد يفلت وكان أحمر أشقر جسيما طويلا وكان على باب المسجد عشرة فوارس ينصرونه فاحتسب رجل فوجأه بخنجر ثم تكاثروا عليه فهلك وأحرق وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته واختبط الوفد ومال الناس على ركب المصريين بالنهب وتخشن وجه الخنجر وتساقط منه شظايا يسيرة وتشقق وظهر مكسوره أسمر يضرب إلى صفرة مجببا مثل حب الخشخاش فعجن الفتات بالمسك واللك وحشيت الشقوق وطليت فهو بين لمن تأمله وفيها توفي بشيراز سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة الديلمي صاحب العراق وفارس ولى السلطنة بعد أبيه وهو صبي وأرسل إليه

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٣٣٢/٦

القادر بالله خلع الملك إلى شيراز وقد قدم بغداد في وسط سلطنته وكانت دولته ضعيفة متماسكة وعاش اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وفيها أبو القسم صدقة بن محمد بن أحمد بن محمد بن القسم بن الدلم القرشي الدمشقي الثقة الأمين محدث دمشق ومسندها روى عن أبي سعيد بن الأعرابي وأبي الطيب بن عبادل وطائفة ومات في جمادى الآخرة وفيها أبو المطرف القنازعي الفقيه عبد الرحمن بن مروان القرطبي المالكي ولد سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وسمع من أبي عيسى الليثي وطبقته وقرأ القراءات على جماعة منهم علي بن محمد الأنطاكي ورحل فأكثر عن الحسن بن رشيق وعن أبي محمد بن أبي زيد ورجع فأقبل على الزهد والانقباض ونشر العلم والإقراء والعبادة والأوراد والمطالعة والتصنيف فشرح الموطأ وصنف كتابا في الشروط وكان أقرأ من بقي بالأندلس وفيها أبو القسم عبد العزيز بن جعفر بن خواشتي أبو القسم الفارسي ثم البغدادي المقرئ مسند أهل الأندلس في زمانه ولد سنة عشرين." (١)

"٣٣٢ وفيها مراد بن أورخان ثالث ملوك بني عثمان ولي السلطنة بعد موت أبيه سنة إحدى وستين وسبعمائة وكان شديد البطش والفتك في الكفار وافتتح كثيرا من البلاد منها أدرنة ولما ضاق الكفار به ذرعا أظهر واحد من ملوكهم الطاعة له وقدم ليقبل يده فضرب السلطان **بخنجر** كان بيده فاستشهد رحمه الله تعالى وفيها شرف الدين موسى بن عمر بن منصور اللوبياني الشامي ولد بعد سنة عشرين وسمع من الحجار وكان فقيها نبيها أذن له ابن النقيب في الإفتاء وكان يدرس ويفتي ويرتزق من الشهادة توفي في ربيع الأول سنة أربع وتسعين وسبعمائة في شعبانها كان الحريق العظيم بدمشق فاحترقت المأذنة الشرقية وسقطت واحترقت الصاغة والدهشة وتلف من الأموال ما لا يحصى وعمل في ذلك تقي الدين ابن حجة الحموي مقامة في نحو عشر أوراق من رائق النثر وفائق النظم وهي أعجوبة في فنها قاله ابن حجر وفيها ثار الغلاء المفرط بدمشق وفيها رجع تمرلنك إلى بلاد العراق في جمع عظيم فملك أصبهان وكرمان وشيراز وفعل بها الأفاعيل المنكرة ثم قصد شيراز فتهيأ منصو رشاه لحربه فبلغ تمرلنك اختلاف من في سمرقند فرجع إليها فلم يأمن منصور من ذلك بل استمر على حذره ثم تحقق رجوع تمرلنك فأمن فبغته تمرلنك فجمع أمواله وتوجه إلى هرزم ثم انثنى عزمه وعزم على لقاء تمرلنك فالتقى بعسكره وصبروا صبر الأحرار لكن الكثرة غلبت الشجاعة فقتل منصور في المعركة ثم استدعى ملوك البلاد فأتوه طائعين فجمعهم في دعوة وقلتهم أجمعين وفيها توفي ناصر الدين إبراهيم ابن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن إسمعيل بن عمر بن مختار الصالحي

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ١٩٧/٣

المعروف بابن السلار ولد سنة أربع وسبعمائة وسمع من عبد الله بن أحمد بن تمام وابن الزراد وست الفقهاء بنت الواسطي وهو آخر من روى عن الدمياطي بالإجازة وكان له." (١)

"٣ . شجاعتها وجهادها في اليرموك مع زوجها:

وأما شجاعتها وجراءتها وجهادها في سبيل الله فأمر يفوق الخيال: فمن ذلك خروجها مع الجيش يوم اليرموك، فلقد شهدت اليرموك مع زوجها الزبير وابنها عبد الله(١)، ومن شجاعتها استعدادها التام لمواجهة اللصوص الذين كثروا في يوم من الأيام بالمدينة، عن فاطمة بنت المنذر أن أسماء بنت أبي بكر اتخذت خنجرا زمن سعيد بن العاص . أي في زمن إمارته المدينة وكانوا قد كثروا في المدينة، فكانت تجعله تحت رأسها(٢).

٤ . علاقتها بالقرآن الكريم :

كانت رضي الله عنها قد تربت على كتاب الله وهدي النبي صلى الله عليه وسلم وإليك هذه الصورة المشرقة من حياتها مع القرآن الكريم فذات يوم دخل عليها ابنها وهي تصلي فسمعها تقرأ هذه الآية ((فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) (الطور ، الآية : ٢٧). فبكت واستعاذت... فقام وهي تستعيذ. فلما طال عليه أتى السوق وقضى منه حاجته.. ثم رجع فوجدها ما تزال في بكائها تستعيذ(٣). وكانت إذا أصيبت بالصداع تضع يدها على رأسها وهي تقول: بذنبي وما يغفر الله أكثر(٤). وهذا فهم عميق لقول الله تعالى: ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (الشورى: ٣٠) وقد أفرد الدكتور محمد بن لطفي الصباغ رساله قيمة في حياة السيدة أسماء رضي الله عنها، وسيأتي الحديث عن بعض الدروس والعبر في حصار الحجاج لأبنها عبد الله بمكة بإذن الله.

خامسا: أولاد ابن الزبير وزوجاته:

---

(١) طبقات ابن سعد (٨/٢٥٣) أسماء بنت أبي بكر للصباغ ص٣٣ .

(٢) طبقات ابن سعد (٨/٢٥٣) أسماء بنت أبي بكر ص٣٣ .

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٦/٣٣١

(٣) الحلية (٢/٥٥) أسماء بنت أبي بكر صـ٩ .

(٤) الحلية (٢/٥٥) أسماء بنت أبي بكر صـ٣٣ .." [١]

"اتكأ فضيلة الدكتور على رواية ؛ من خلالها بث شكوكه ؛ بل اتهامه الصريح في حق كعب الحبر ، ونصها كما ذكرها :

كان عمر بن الخطاب يطوف في السوق ، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعدني على المغيرة ، فإن علي خراجا كثيرا ، فقال عمر : وكم خراجك ؟ قال : درهمان كل يوم ، قال عمر : وأيش صنعتك ؟ قال : نجار نقاش حداد ، قال عمر : فما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الأعمال ، وقد بلغني أنك تقول : لو أردت أن أصنع رحى تطحن بالريح لفعلت ، قال : نعم ، قال عمر : فاعمل لي رحى ، قال : لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه . فقال عمر : لقد توعدني العبد الآن ، ثم انصرف عمر إلى منزله .

فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، اعهد فإنك ميت في ثلاث ليال ، قال عمر : وما يدريك ؟ قال كعب : أجد في كتاب التوراة ، قال عمر : أتجد عمر بن الخطاب في التوراة ؟ قال كعب : اللهم لا ، ولكني أجد حليتك وصفتك ، وأنك قد فني أجلك ، فلما كان الغد جاءه كعب ، فقال : بقي يومان ، فلما كان من غد الغد جاءه كعب ، فقال : مضى يومان وبقي يوم ، فلما أصبح عمر خرج إلى الصلاة ، فدخل أبو لؤلؤة في الناس ، وبيده **خنجر** له رأسان ، نصابه في وسطه ، فضرب عمر ست ضربات ؛ إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته ، وطعن اثني عشر رجلا ؛ مات منهم سبعة وجرح خمسة(١) .

---

(١) سيأتي تخريج القصة .." [٢]

"الاشتقاق لابن دريد ص ١٠٩.

الصحاح للجوهري ج ١ ص ٥٨٦.

نهاية الارب للقلقشندي مخطوط ق ١٠٨ - ٢، ١٠٩ - ١.

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ٢/٣٧٠

(٢) كعب الأحبار، ص/٣٨

تاج العروس

للزبيدي ج ٥ ص ٣٢٤.

لسان العرب لابن منظور ج ٩ ص ٤٣٤.

الانساب للسمعاني ق ٢٠٨ – ١.

شرح الحماسة ج ١ ص ١٩٧.

القاموس للفيروز ابادي ج ٣ ص ١٩).

الخنافرة: عشيرة صغيرة، تقيم بمنبج أحد أقضية حلب في أم العظام، وتنتمي إلى الموالي.

(عشائر الشام لوصفي زكريا ج ٢ ص ٢١٧، ٢١٨) الخنافرة: فرقة من بني سعيد احدى عشائر سورية الشمالية.

(عشائر الشام لوصفي زكريا ج ٢ ص ٢١٢) الخنافرة: عشيرة من المقطة، من قبيلة برقة التي تمتد منازلها في الشرق حتى الوشم، والقصيم.

(قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص ١٨١) الخنافيس: بطن من بني راشد، من الحميديين، من هلباء سويد، من جذام، من القحطانية.

كانت مساكنهم الحوف الشرقية بالديار المصرية.

(نهاية الارب للقلقشندي مخطوط ق ٦١ – ١) الخناقون: يطلق هذا الاسم على بكر، ورزاح، ومالك، وعدي بنو

معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان.

(نهاية الارب للنويري ج ٢ ص ٣٣٤).

الخنان: بطن من الفريج، من الجبور، من الكعابنة، من بني صخر احدى قبائل بادية شرقي الاردن.

(تاريخ شرقي الاردن لبيك ص ٢٢١) **خنجر**: فرع من البقارة، إحدى قبائل الفرات.

.(124

.nomade des etats du levant

خندف: انظر: إلياس بن مضر. p -) Les tribus monades et semi

الخنذع: بطن من همدان، من مالك بن زيد بن كهلان، من من القحطانية.

(الاشتقاق لابن دريد ص ٢٥٢.

المشتبه للذهبي ص ١٢١) خنس: حي.

(تاج العروس للزبيدي ج ٤ ص ١٤٣).." (١)

"وحوله أهله وقرابته، وعلى رأسه إكليل من الريحان، وقد قشر جلده عن رأسه، وعليها الجمر وعليها الكبريت والسندروس، فيسير وهامته تخترق رروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورقي التنبول وحب الفوفل، والتنبول في بلادهم ورق ينبت كأصغر ما يكون من ورق الأترج يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل، وهو الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت مضغه بدلا من الطين، ويكون عند الصنادلة للورم وغير ذلك، وهذا إذا مضغ على ما ذكرنا بالورق والنورة شد اللثة، وبعث على الباه، وحمر الأسنان حتى تكون كأحمر ما يكون من حب الرمان، وأحدث في النفس طربا وأريحية، وقوي البدن، وأثار من النكهة روائح طيبة خمرة، والهند خواصها وعوامها تستقبح من أسنانه بيض، وتجتنب من لا يمضغ ما وصفنا، فإذا طاف هذا المعذب لنفسه بالنار في الأسواق وانتهى إلى تلك النار وهو غير مكترث ولا متغير في مشيته ولا متهيب في خطوته، ففيهم من إذا أشرف على النار وقد صارت جمرا كالتل العظيم يتناول بيده **خنجرا** ويدعى الجريء عندهم فيضعه في لبته، وقد حضرت ببلاد صيمور من بلاد الهند من أرض اللازمن مملكة البلهرا، وذلك في سنة أربع وثلثمائة، والملك يومئذ على صيمور المعروف بحاج، وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة الاف قاطنين بياسرة وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الأمصار ممن قد تأهل وقطن في تلك البلاد، وفيهم خلق من وجوه التجارمثل موسى بن إسحاق الصندالوني وعلى الهزمة يومئذ أبو سعيد معروف بن زكريا، وتفسير الهزمة يراد به رآسة المسلمين يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون أحكامهم مصروفة إليه، ومعنى قولنا البياسرة يراد به من ولدوا من المسلمين بأرض الهند، يدعون بهذا الاسم، واحدهم بيسر، وجمعهم بياسرة، فرأيت بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم، فلما دنا من النار أخذ **الخنجر** فوضعه على فؤاده فشقه، ثم أدخل يمه الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها **بالخنجر**، فدفعها إلى بعض إخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة، ثم هوى بنفسه في النار، وإذا مات الملك من ملوكهم أو قتل نفسه حرق خلق من الناس

---

(١) معجم قبائل العرب، ٣٦٣/١

أنفسهم لموته، يدعون هؤلاء البلانجرية، واحدهم بلانجري، وتفسيرذلك المصادق لمن يموت فيموت بموته، ويحيا بحياته.وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعها النفس: من أنواع الآلام والمقاتل التي تألم عند ذكرها الأبدان، وتقشعر منها الأبشار، وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان.فلنرجع الآن إلى خبر ملك الهند ومسيره إلى بلاد سجستان، وقصده مملكة السريانيين، ونعدل عما احتذينا من أخبار الهند، فنقول:كان هذا الملك من ملوك الهند يقال له زنبيل، وكل ملك يلي هذا البلد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم زنبيل إلى هذا الوقت، وهوسنة اثنتين وثل‌اثين وثلثمائة، وكان بين الهند وملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة، فقتل ملك السريانيين، واحتوى ملك الهند على الصقع، وملك جميع ما فيه، فسار إليه بعض ملوك العرب، فأتى عليه وملك العراق، ورد ملك السريانيين، فملكوا عليهم رجلا منهم يقال له:تستر وكان ولد المقتول، فكان ملكه إلى أن هلك ثمان سنين.

أهريمون هوريا ما روب

ثم ملك بعده أهريمون وكان ملكه اثنتي عشرة سنة.

ثم ملك بعد ابن يقال له هوريا فزاد في العمارة، وأحسن في الرعاية، وغرس الأشجار، وكان ملكه إلى أن هلك اثنتين وعشرين سنة.ثم ملك بعده ماروب واستولى على الملك وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة، وقيل: ثلاثة وعشرين سنة.

أزور وخلنجاس وأول من شرب الخمر." (١)

"والفيلة في بلاد الزنج في نهاية الكثرة، وحشية كلها غير مستأنسة، والزنج لا تستعمل منها شيئا في حروب ولا غيرها، بل تقتلها، وذلك أنهم يطرحون لها نوعا من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم في الماء، ويختفي رجال الزنج، فترد الفيلة لشربها، فإذا وردت وشربت من ذلك الماء حرقها وأسكرها، فتقع، ولا مفاصل لقوائمها ولا ركب على حسب ما قدمنا، فيخرجون إليها بأعظم ما يكون من الحراب فيقتلونها لأخذ أنيابها؛ فمن أراضيهم تجهز أنياب الفيلة، في كل ناب منها خمسون ومائة من، بل أكثر من ذلك والاثنان منها ثلثمائة من، وأكثر من ذلك فيجهز الأكثر منها من بلاد عمان إلى أرض الصين والهند، وذلك أنها تحمل من بلاد الزنج إلى عمان، ومن عمان إلى حيث ذكرنا؛ ولولا ذلك لكان العاج بأرض الإسلام كثيرا، وأهل الصين يتخذ ملوكها وقوادها وأراكنتها الأعمدة من العاج، ولا يدخل قوادها ولا

---

(١) مروج الذهب، ٩١/١

أحد من خواصها على ملوكها بشيء من الحديد، بل بتلك الأعمدة المختلفة من العاج، ورغبتهم فيما استقام من أنياب الفيلة ولم يتقوس، لاتخاذ الأعمدة منها على ما ذكرنا، ويستعمل العاج في دخن بيوت أصن أمه ا وأبخرة هياكلها، كاستعمال النصارى في الكنائس الدخنة المعروفة بدخنة مريم وغيرها من الأبخرة، وأهل الصين لا يتخذون الفيلة في أرضهم، ويتطيرون من اقتنائها عندهم والحرب عليها؛ لخبر كان لهم في قديم الزمان في بعض حروبهم.

لعب الشطرنج ومقامرة الهندبه

والهند كثيرة الاستعمال لما يجهز إليهم من العاج في نصب الخناجر، وهي الحراري، أحدها حري، وفي قوائم سيوفها، وهي القراطل، وأحدها قرطل، وهي سيوف معوجة، والأغلب في استعمال الهند العاج اتخاذها منه الشطرنج والنرد، والشطرنج ذو صور وأشكال على صور الحيوان من الناطقين وغيرهم، كل قطعة من الشطرنج كالشبر في عرض ذلك بل أكثر، فإذا لعبوا بها فإنما يقوم الواحد منهم قائما فيىنقلها في بيوتها، والأغلب عليهم القمار في لعبهم بالشطرنج والنرد على الثياب والجواهر، وربما أنفد الواحد منهم ما معه فيلعب في قطع عضو من أعضاء جسمه، وهو أن يجعلوا بحضرتهم قدرا من النحاس صغيرة على نار فحم فيها دهن لحم أحمر فيغلي ذلك الدهن المدمل للجراح والماسك لسيلان الحم، فإذا لعب في إصبع، من أصابعه وقمر قطعها بذلك الخنجر، وهو مثل النار، ثم غمس يده في ذلك الدهن، فكواها، ثم عاد إلى لعبه، فإذا توجه عليه اللعب أبان إصبعا ثانية، وربما توجه عليه اللعب في قطع الأصابع والكف ثم الذراع والزند وسائر الأطراف، وكل ذلك يستعمل فيه الكي بذلك الدهن وهو دهن عجيب يعمل من أخلاط وعقاقير بأرض الهند عجيب المعنى، لما ذكرنا، وما ذكرناه عنهم فمستفيض من فعلهم.

الفيل ببلاد الهند

والهند تتخذ الفيلة في بلادها وتتناتج في أرضها، ليس فيها وحشية، وإنما هي حربية ومستعملة كاستعمال البقر والإبل، وأكثرها يأوي إلى المروج والضياع والغياض كالجواميس في أرض الإسلام، والفيلة تهرب من المكان الذي يكون فيه الكركدن على حسب ما قدمنا، فلا ترعى في موضع تشم فيه رائحة الكركدن، ويعمر الفيل بأرض الزنج نحوا من أربعمائة سنة، كذلك يذكر الزنج؛ لأنها تعرف في ديارها ومفاوزها، والفيل العظيم مما لا يتأتى لهم قتله، ومنها الأسود والأبيض والأبلق والأغبر، وفي أرض الهند منها ما يعمر المائة سنة

والمائتين، ويضع حمله في كل سبع سنين.
حيوان الزبرق." (١)

"وقد تنازع الناس – ممن سلف وخلف في عام القادسية والعذيب فذهب كثير من الناس إلى أن ذلك كان في سنة ست عشرة، وهذا قول الواقدي عن آخرين من الناس، ومنهم من ذهب إلى أن ذلك كانفيسنة خمس عشرة، ومنهم من رأى أنه كان في سنة أربع عشرة، والذي قطع عليه محمد بن إسحاق أنها كانت في سنة خمس عشرة، وقال: في سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام في شهر رمضان لصلاة التراويح والذين ذهبوا إلى أن وقعة القادسية كانت في سنة أربع عشرة احتجوا بهذ الرواية، وكتب عمر إلى الأمصار بإقامة صلاة التراويح، وذهب كثير من الناس منهم المدائني وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة إلى البصرة فنزلها ومصرها، وذهب كثير من الناس أنها مصر تفير بيع سنة ست عشرة، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من حرب جلولاء وتكريت، وأن عتبة قدم البصيره وهي يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الخريبة ومصر سعد بن أبي وقاص الكوفة في سنة خمس عشرة، ودلهم على موضعها ابن نفيلة الغساني، وقال لسعد: أدلك على أرض ارتفعت ع البر وانحدرت عن الفلاة، فدله على موضع الكوفة اليوم.

أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة

قال المسعودي: وكان عمر لا يترك أحدا من العجم يدخل المدينة فكتب إليه المغيرة بن شعبة: إن عندي غلاما نقاشا نجارا حدادا فيه منافع لأهل المدينة، فإن رأيت أن تأذن لي في الإرسال به فعلت، فأذن له، وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين، وكان يدعى أبا لؤلؤة، وكان مجوسيا من أهل نهاوند، فلبث ما شاء الله، ثم أتى عمر يشكو إليه ثقل خراجه، فقال له عمر: وما تحسن من الأعمال؟ قال: نقاش نجار حداد، فقال له عمر: ما خراجك بكثير في كنه ما تحسن من الأعمال، فمضى عنه وهو يتذمر، قال: ثم مر بعمر يوما آخر وهو قاعد، فقال له عمر: ألم احدث عنك أنك تقول: لو شئت أن أصنع رحا تطحن بالريح لفعلت، فقال أبو لؤلؤة: لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها، ومضى أبو لؤلؤة، فقال عمر: أما العلج فقد توعدني انفا، فلما أزمع بالذي أوعد به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس، وكان عمر يخرج في السحر فيوقظ الناس للصلاة، فمر به، فثار إليه فطعنه ثلاث

(١) مروج الذهب، ١/١٧٠

طعنات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته، وطعن اثني عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقي ستة، ونحر نفسه بخنجره فمات، فدخل عليه ابنه عبد الله بن عمر وهو يجود بنفسه، فقال له: يا أمير المؤمنين، استخلف على أمة محمد؛ فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها للمته وقلت له: كيف تركت أمانتك ضائعة؟ فكيف يا أمير المؤمنين بآمة محمد؟ فاستخلف عليهم، فقال: إن أستخلف عليهم فقد استخلف عليهم أبو بكر، وإن أتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه.

وكان إسلام عمر قبل الهجرة بأربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم.

أولاد عمر

وكان له من الولد: عبد الله، وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وعاصم، وعبيد الله، وزيد، من أم، وعبد الرحمن، وفاطمة، وبنات آخر، وعبد الرحمن الأصغر - وهو المحدود في الشراب، وهو المعروف بأبي شحمة - من ام.

عمر وابن عباس." (١)

"إني لأحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا

أشقى مراد إذا عدت قبائلها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا

كعاقر الناقة الأول التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا

قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها ... قبل المنية أزمانا فأزمانا

فلاعفا الله عنه ماتحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا

لقوله في شقي ظل مجترما ... ونال ماناله ظلما وعدوانا

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من في العرش رضوانا

بل ضربة من غوي أورثته لظى ... مخلدا قد أتى الرحمن غضبانا

كأنه لم يرد قصدا بضربته ... إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

ولعمران بن حطان ولأبيه حطان أخبار كثيرة قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان في باب أخبار الخوارج من الأزارقة والأباضية والحمرية والصفرية والنجدية وغيرهم من فرق الخوارج إلى سنة ثمان عشرة

---

(١) مروج الذهب، ١/٢٩٩

وثلثمائة. وكان آخر من خرج منهم ربيعه المعروف بغيرون، فأدخل علی المقتدر بالله، بعث به ابن حمدان من كفرتوتا، وقد كان خرج في أي أمه أيضا المعروف بأبي شعيب.

وقد رثى الناس أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه في ذلك الوقت وإلى هذه الغاية، وذكروا مقتله، وممن رثاه في ذلك الوقت أبو الأسود الدؤلي من أبيات:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرت عيون الشامتينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طرا أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا ... ودللها و من ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذأها ... ومن قرأ المثاني والمبينا

إذا اسقبلت وجه أبي حسين ... رأيت النور فوق الناظرينا

لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرهم حسبأ ودينا

البرك ومعاوية

وانطلق البرك الصريمي إلى معاوية فطعنه **بخنجر** في آليته وهو يصلي فأخذ وأوقف بين يديه، فقال له: ويلك! وما أنت؟ وما خبرك؛ قال: لا تقتلني وأخبره، قال: آنا تبايعنا في هذه الليلة عليك وعلى علي وعلى عمرو؛ فإن أردت فأحسبنی عندك، فإن كانا قتلا وإلا خليت سبيلي فطلبت قتل علي، ولك علي أن أقتله وأن أتيك حتى أضع يدي في يدك، فقال بعض الناس: قتله يومئذ، وقال بعضهم: حسبه حتى جاءه خبر قتل علي فأطلقه.

زادويه وعمرو بن العاص

وانطلق زادويه – وقيل: إنه عمرو بن بكر التميمي – إلى عمرو بن العاص، فوجد خارجة قاضي مصر جالسا على السرير يطعم الناس في مجلس عمرو، وقيل: بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم، وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض، فضربه بالسيف، فدخل عليه عمرو وبه رمق، فقال له خارجة: والله ما أراد غيرك، فقال عمرو: ولكن الله أراد خارجة، وأوقف الرجل بين يدي عمرو، فسأله عن خبره؛ فقص عليه القصة وأخبره أن عليا ومعاوية قد قتلا في هذه الليلة، فقال: إن قتلا أو لم يقتلا فلا بد من قتلك، فبكى، فقيل له: أجزعا من الموت مع هذا الإقدام؟! قال: لا والله، ولكن غما أن يفوز صاحباي بقتل علي ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو، فضربت عنقه وصلب.

وكان علي رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل:

تلكم قريش تمناني لتقتلني ... فلا وربك ما بروا وما ظفروا

فإن هلكت فرهن ذمتي لهم ... بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين:

أشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت ... إذا حل بواديكا

وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه، فإنه قد خرج إلى المسجد، وقد عسر عليه فتح باب داره، وكان من جذوع النخل، فاقتلعه وجعله ناحية، وانحل إزاره، فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين.." (١)

"وفي نسخة أنه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية في الخضراء، وكبر أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرضة من خوخة لها، فقالت: سرك الله يا أمير المؤمنين! ما هذا الذي بلغك. قال: أتاني البشير بصلح الحسن وانقياده، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبني هذا سيد أهل الجنة، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فالحمد لله الذي جعل فئتي إحدى الفئتين.

ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية – وذلك بالكوفة – أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس، فكره ذلك معاوية، وقال: ما أريد أن يخطب بالناس، قال عمرو: لكني أريد أن يبدو عيه في الناس بأنه يتكلم في أمور لا يدري ما هي، ولم يزل به حتى أطاعه؟ فخرج معاوية فخطب الناس، وأمر رجلا أن ينادي بالحسن بن علي، فقام إليه، فقال: قم يا حسن فكلم الناس، فقام فتشهد في بديهته، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول، قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : " قل إن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون، إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين " ثم قال في كلامه ذلك: يا أهل الكوفة، لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم لأبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم في بطني، وإني قد بايعت معاوية، فاسمعوا له وأطيعوا.

وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورحله، وطعنوا **بالخنجر** في جوفه، فلما تيقن ما نزل به انقاد

---

(١) مروج الذهب، ٣٤٢/١

إلى الصلح.

خطبة للحسن

وقد كان علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه اعتل، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلى بالناس يوم الجمعة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله لم يبعث نبيا إلا اختار له نقيبا ورهطا وبيتا، فو الذي بعث محمدا بالحق نبيا لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله مثله، ولا تكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين.

خطبة أخرى

ومن خطب الحسن رضي الله عنه في أيامه في بعض مقاماته أنه قال: نحن حزب الله المفلحون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون، وأهل بيته الطاهرون الطيبون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثاني كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، والمعول عليه في كل شيء، لا يخطئنا تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا، فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر مقرونة فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول... ولو رعوه إلى الرسول، وإلى أولي الأمر منهم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان إنه لكم عدو مبين، فتكونون كأوليائه الذين قال لهم: " لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال: إني بريء منكم إني أرى مالا ترون " فتلقون للرماح أزرا، وللسيوف جزرا، وللعمد خطأ، وللسهام غرضا، ثم لا ينفع. نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيرا، والله أعلم.

ذكر خلافة معاوية بن أبي سفيان

وبويع معاوية في شوال سنة إحدى وأربعين، ببيت المقدس، فكانت أيامه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر، وتوفي في رجب سنة إحدى وستين، وله ثمانون سنة، ودفن بدمشق بباب الصغير، وقبره يزار إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس.

ذكر لمع من أخباره وسيره

ونوادر من بعض أفعاله

مقتل حجر الكندي

وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجربن عدي الكندي، وهو أولى من قتلصبرا في الإسلام: حملة زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها، فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقول، ولا عقب له من غيرها:

ترفع أيها القمر المنير ... لعلك أن ترى حجرا يسير

يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله، كذا زعم الأمير." (١)

"وكذلك ما عليه غير أهل الإمامة من أصحاب الدور والسيرورة، وما يراعونه من الظهور، وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا، وما وصفنا فيها من الأقاويل في الظاهر والباطن والسائر والدائر والوافر، وغير ذلك من أمورهم وأسرارهم.

قال المسعودي: وكان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع شائعة من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمزة من غوطة دمشق على الوليد بن يزيد، لما ظهرمن فسقه، وشمل الناس من جوره، فكان من خبرمقتل الوليد ما قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفصلا، وذكرناه في هذا الكتاب مجملا.

أم يزيد أم ولد

وكان يزيد بن الوليد أول من ولي هذا الأمر وأمه أم ولد، وكانت أمه سارية بنت فيروز بن كسرى، وهو الذي يقول في ذلك: أنا ابن كبسرى، وأبي مروان وقيصر جدي، وجدي خاقان.

وكان يكنى بأبي خالد، وأم أخيه إبراهيم أم ولد تدعى بدبرة، والمعتزلة تفضل في الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز، لما ذكرناه من الديانة.

ظهور مروان بن محمد الحمار

وفي سنة سبع وعشرين ومائة أقبل مروان بن محمد بن مروان من الجزيرة فدخل دمشق، وخرج إبراهيم بن الوليد هاربا من دمشق، ثم ظفر به مروان فقتله وصلبه، وقتل من مالأه ووالاه، وقتل عبد العزيز بن الحجاج، ويزيد بن خالد القسري، وبدأ أمر بني أمية يؤول إلى ضعف. وذكر اليحصبي عن الخليل بن إبراهيم السبيعي، قال: سمعت ابن الجمحي يقول: قال لي العلاء ابن بنت ذي الكلاع: إنه كان مؤانسا لسليمان بن عبد الملك لا يكاد يفارقه، وكان أمر المسودة بخراسان، والمشرق قد بان، ودنا من الجبل، وقرب من العراق، واشتد إرجاف الناس، ونطق العدو بما أحب في بني أمية وأوليائهم، قال العلاء: فإني لمع سليمان وهو

---

(١) مروج الذهب، ٣٤٨/١

يشرب حذاء رصافة أبيه، وذلك في آخر أيام يزيد الناقص، وعنده حكم الوادي، وهو يغنيه بشعر فبعرجي :

إن الحبيب تروحت أحماله ... اصلا، فدمعك دائم إسباله

آقن الحياء فقد بكيت لعولة ... لوكان ينفع باكيا إعواله

يا حبذا تلك الحمول، وحبذا ... شخص هناك، وحبذا أمثاله

فأجاد بما شاء، فشرب سليمان بالرطل، وشربنا معه، حتى توسدنا أيدينا، فلم أنتبه إلا بتحريك سليمان إياي، فقمت إليه مسرعا، فقلت له: ما شأن الأمير. فقال لي: على رسلك، رأيت كإني في مسجد دمشق، وكأن رجلا في يده خنجر وعليه تاج أرى بصيص ما فيه من جوهر، وهو رافع صوته بهذه الأبيات:

أبني أمية قد دنا تشتيتكم ... وذهاب ملككم وأن لا يرجع

وينال صفوته عدو ظالم ... للمحسنين إليه ثمة يفجع

بعد الممات بكل ذكرصالح ... ياويله من قبح ماقديصنع

فقلت: بل لا يكون ذلك، وعجبت من حفظه، ولم يكن من أصحاب ذلك، فوجم ساعة ثم قال: يا حميري، بعيد ما يأتي به الزمان قريب، قال: فما اجتمعنا على شراب بعد ذلك.

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكان من أمر المسودة ومروان بن محمد الجعدي ما كان.

سبب زوال ملك الأمويين

وذكر المنقري قال: سئل بعض شيوخ بني أمية ومحصليها عقيب زوال الملك عنهم إلى بني العباس: ما – كان سبب زوال ملككم، قال: إنا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا فظلمنا رعيتنا، فيئسوا من إنصافنا، وتمنوا الراحة منا، وتحومل على أهل خراجنا، فتخلوا عنا، وخربت ضياعنا، فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا، فاثروا مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم أعادينا، فتظافروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا.

ذكر السبب في العصبية بين النزارية واليمانية

الكميت يعرض شعره على الفرزدق." (١)

---

(١) مروج الذهب، ١/٤٤٦

"وقوى أمر مساور الشاري، ودنا في عسكره من سامرا، وعم الناس بالأذى، وانقطعت السابلة، وظهرت الأعراب، فأخرج المهتدي بالله موسى بن بغا وبايكيال إلى حرب الشاري، وخرج معهما فشيعهما، ثم قفلا من غير أن يلقيا شرا، فلما استشعر المهتدي رجوعهما خرج فعسكر بجسر سامرا في جمع من المغاربة والفراغنة وغيرهم من الرسوم ليحارب بايكيال، وقد قيل إن بايكيال أقرأ موسى كتابا للمهتدي بقتل موسى والفتك به، وإنه كتب إلى موسى بمثل ذلك، وإنهما علما بتضريب الأمر بينهما، فرجعا عما خرجا إليه، وأشرف بايكيال على المهتدي فانصرف موسى على ظهر سامرا متحرجا لقتال المهتدي، فكانت بين المهتدي وبين بايكيال حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس، وانكشف بايكيال، واستظهر المهتدي عليه، فخرج كمين بايكيال على المهتدي وفيه يارجوج التركي فولى المهتلي وأصحابه، ودخل سامرا مستغيثا بالعامة مستنصرا بالناس يصيح في الأسواق فلا مغيث، وقدامه أناس من الأنصار، فمضى مؤيسا من النصر إلى دار ابن خيعونة بسامرا مختفيا، فهجموا عليه وعزلوه، وحملوه منها إلى دار يارجوج، وقيل له: أتريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها؟ فقال: أريد أن أحملهم على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء الراشدين، فقيل له: إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم، وأنت إنما رجالكم ما بين تركي وخزري وفرغاني ومغربي وغير ذلك من أنواع الأعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم، وإنما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا، فكيف تحملهم على ما ذكرت من الواضحة؟ فكثر منهم ومنه الكلام والمراجعة في هذا المعنى وأشباهه، ثم انقادوا إليه على حسب ما ظهر للناس من ذلك، فلما كاد الأمر أن يتم قام فيهم سليمان بن وهب الكاتب – وقيل: غيره – وقال: هذا سوء رأي منكم، وخطأ في تدبيركم، إن أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا، قال: وسيأتي عليكم جميعا، ويفرق جمعكم، فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجاءوه بالخناجر، فكان أول من جرحه ابن عم لبايكيال، جرحه بخنجر في أوداجه، وانكب عليه فالتقم الجرح والدم يفور منه، وأقبل يمص الدم حتى روي منه، والتركي سكران، فلما روي من دم المهتدي قام قائما وقد مات المهتدي، فقال: يا أصحابنا قد رويت من دم المهتدي كما رويت في هذا اليوم من الخمر.

وقد تنوزع فيما ذكرنا من قتل المهتدي، والأشهر ما ذكرناه من قتله بالخناجر، ومنهم من رأى أنه عصرت مذاكيره حتى مات، ومنهم من رأى أنه جعل بين لوحين عظيمين وشد بالحبال إلى أن مات، وقيل: قتل خنقا، وقيل: كبس عليه بالبسط والوسائد حتى مات.

فلما مات داروا به ينوحون ويبكون عليه، وندموا على ما كان منهم من قتله، لما تبينوا من نسكه وزهده، وقيل: إن ذلك كان يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، وكان موسى بن بغا ويارجوج التركي غير داخلين في فعل الأتراك.

سبب حنق الأتراك

وكان حنق الأتراك على المهتدي بسبب قتله بايكيال، وذلك أن بايكيال وقع بيد المهتدي فضرب عنقه، ورمى به إلى أصحابه، ومنهم من رأى أنه قتل في الحرب المتقدم ذكرها في الموضع المعروف بجسر سامرا. وقد كان المهتدي لما أفضت الخلافة إليه أخرج أحمد بن إسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب إلى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان، فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط، فماتا، وذلك لأمور كانت منهما استحقا عند المهتدي فيما يجب في - الشريعة أن يفعل بهما ذلك.

وقتل المهتدي وله من الولد سبعة عشر ذكرا وست بنات.

ابن المدبر

وقد كان المهتدي ولى أحمد بن المدبر خراج فلسطين، وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا، وأخبار ابن المدبر لما - وصل إلى فلسطين وما حمل إلى سامرا، وقيل: إن المعتز بالله كان أخرجه إلى الشام، ولأحمد بن المدبر أخبار حسان، ولإبراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب الزنج أخبار حين أسره.

مع طفيلي." (١)

" بن حسان القرشي الجبيلي والعباس بن الوليد بن مزيد بن عمرو بن محمد بن يحيى العثماني بالمدينة والحسن بن سعيد بن مرزوق الحذاء روى عنه الطبراني ومحمد بن الوليد بن العباس البزاز العكاوي بمدينة جونية قال الحافظ ومحمد بن أحمد بن عمرو أبو الحسن البغدادي وقيل الواسطي البزاز نزيل جونية وإمامها وخطيبها حدث عن الحسن بن علي القطان وأبي بكر السراج

الجو بالفتح وتشديد الواو وهو في اللغة ما اتسع من الأودية قال بعضهم خلا لك الجو فبيضي واصفري وجو اسم لناحية اليمامة وإنما سميت اليمامة بعد باليمامة الزرقاء في حديث طسم وجديس وقد ذكر في اليمامة قال جحدر اللص وإن امرأ يعدو وحجر وراءه وجو ولا يغزوهما لضعيف إذا حلة أبليتها

---

(١) مروج الذهب، ١١٨/٢

ابتعت حلة كسانيها طوع القياد عليف سعى العبد إثري ساعة ثم رده تذكر تنور له ورغيف وقال بعضهم تجانف عن جو اليمامة ناقتي وما عدلت عن أهلها لسواكا و جو الخضارم باليمامة و جو الجوادة باليمامة و جو سويقة وقد ذكرت فيما أضيفت إليه جو و جو أثال و جو مرامر يقال لهما الجوان وهما غائطان في بلاد بني عبس أحدهما على جادة الطريق و جو قرية بأجإ لبني ثعلبة بن درماء وزهير وفيها يقول شاعرهم وأجأ وجوها فؤادها إذا القني كثر انخضادها وصاح في حافاتها جذاذها قال القني جمع قنو وهي أعذاق النخل

وجذاذها صرامها

و جو أيضا أرض لبني ثعل بالجبلين قال امرؤ القيس تظل لبوني بين جو ومسطح تراعي الفراخ الدارجات من الحجل ولعلها التي قبلها

و جو برذعة في طرف اليمامة في جوف الرمل نخل لبني نمير

و جو أوس لبني نمير أيضا قال أبو زياد وهذه الجواء لبني نمير في جوف الرمل وليس في قعرها رمل إنما الرمل محيط بها وربما كان سعة الجو فرسخا أو أقل من ذلك

و جو الضبيب تصغير ضب لبني نمير أيضا فيه نخل وهو أوسع كما ذكرت لك وأضخم ومعهم فيه حلفاؤهم بنو وعلة بن جرم بن ربان

و جو الملا موضع في أسفل الملا كان لبني يربوع فحلت عليها فيه بنو جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين بن أسد وذلك في أول الإسلام فانتزعته منهم ففي ذلك يقول **الخنجر** الجذمي ومن يتداع الجو بعد مناخنا وأرماحنا يوم ابن ألية تجهل وليس ليربوع وإن كلفت به من الجو إلا طعم صاب وحنظل وليس لهم بين الجناب مفازة وزنقب إلا كل أجرد عنتل وكل رديني كأن كعوبه نوى القسب عراص المهزة منجل ". (١)

" فما أصبح المرآن يفترطانه زبيد ولا عمرو بحق مؤثل كأنهم ما بين ألية غدوة وناصفة الغراء هدي محلل الغراء جو في رأس ناصفة قويرة ثم وقعت الخصومة حتى صار لسعد بن سواءة وجذيمة بن مالك **وخنجر** من بني عمرو بن جذيمة

---

(١) معجم البلدان، ٢/١٩٠

الجوة بزيادة الهاء من مياه عمرو بن كلاب بنجد كذا في كتاب أبي زياد وأخاف أن يكون الخوة بالخاء والظاهر الجيم لأن تلك لبني أسد والله أعلم

الجوة بالضم قرية باليمن معروفة ينسب إليها أبو بكر عبد الملك بن محمد بن إبراهيم السكسكي الجوي حدث بها عن أبي محمد القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي روى عنه أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي

جوهة بالضم ثم السكون وفتح الهاء الأولى بليدة بالمغرب في أقصى إفريقية وهي قصبة كورة مجاورة لبلاد الجريد تسمى ورجلان

جويبار بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء تحتها نقطتان وباء موحدة وآخره راء في عدة مواضع منها جويبار من قرى هراة قال أبو سعد ينسب إليها الكذاب الخبيث أبو علي أحمد بن عبد الله بن خالد بن موسى بن فارس بن مرداس التيمي الجويباري الهروي يروي عن ابن عيينة ووكيع وقد ذكر في جوبار و جويبار أيضا قرية من قرى سمرقند في ظنه ينسب إليها أبو علي الحسن بن علي بن الحسن الجويباري السمرقندي روى عن عثمان بن الحسن الهروي روى عنه داود بن عفان النيسابوري وداود متروك الحديث

و سكة جويبار بمدينة نسف منها أبو بكر محمد بن السري يلقب جم شيخ صالح كان يغسل الموتى لقي محمد بن إسمعيل البخاري روى عن إبراهيم بن معقل وغيره سمع منه عبد الله بن أحمد بن محتاج

و جويبار من قرى مرو منها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفضل البوشنجي أبو الفضل الجويباري من قرية جويبار وقال أبو سعد كان شيخا صالحا متميزا من أهل الخير صحب أبا مظفر السمعاني يحضر درسه وسمع بقراءته أبا محمد عبد الله بن أحمد السمرقندي سمع منه كتاب شرف أصحاب الحديث لأبي بكر الخطيب سمع منه أبو سعد السمعاني ومولده في حدود سنة ٤٥٠ ومات بقرية جويبار في ذي الحجة سنة ٥٢٨

الجويث بالفتح وكسر الواو وتشديدها وياء ساكنة وثاء مثلثة بلدة في شرقي دجلة البصرة العظمى مقابل الأبلة وأهلها فرس ويقال لها جويث باروبة رأيتها غير مرة وبها أسواق وحشد كثير ينسب إليها أبو القاسم نصر بن بشر بن علي العراقي الجويثي ولي القضاء بها وكان فقيها شافعيا فاضلا محققا مجودا

مناظرا سمع أبا القاسم بن بشران روى عنه أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطي ومات بالبصرة في ذي الحجة سنة ٧٧٤

الجويث بتخفيف الواو وفتحها موضع بين بغداد وأوانا قرب البردان قال جحظة أسهرت للبرق الذي باتت لوامعه منيره وذكرت إقبال الزما ن عليك في الحال النضيره ." (١)

" دعا نهشلا إذ حازه الموت دعوة وأجلين عنه كالحوار المجدل فإنك قد أوعدتني غضب الحصى وأنت بذات الرمث من بطن خنثل ولكنما أوعدتني ببسيطة ال عراق الذي بين المضل وحومل وقلت لأصحابي النجاء فإنما مع الصبح إن لم تسبقوا جمع نهشل فأصبحن يركضن المحاجن بعدما تجلى من الظلماء ما هو منجلي فاستعدت بنو تميم على مربع عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأحلفه خمسين يمينا أنه ما قتله فحلف فخلى سبيله فقال الفرزدق بني نهشل هلا أصابت رماحكم على خنثل فيما يصادفن مربعا وجدتم زمانا كان أضعف ناصرا وأقرب من دار الهوان وأضرعا قتلتم به ثول الضباع فغادرت مناصلكم منه خصيلا مرصعا فكيف ينام ابنا صبيح ومربع على خنثل يسقى الحليب المقنعا وقال جرير زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع

خنداذ بالضم ثم السكون وآخره ذال معجمة قرية بين همذان ونهاوند

خندروذ بالفتح ثم السكون وفتح الدال وراء وآخره ذال معجمة موضع بفارس

الخندق بلفظ الخندق المحفور حول المدينة محلة كبيرة بجرجان وقد نسب إليها قوم منهم أبو تميم كامل بن إبراهيم الخندقي الجرجاني سمع منه زاهر بن أحمد الحليمي وأبو عبد الله النيلي وغيرهما

و الخندق قرية كبيرة في ظاهر القاهرة بمصر يقال هي ثنية الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ينسب إليها أبو عمران موسى بن عبد الرحمن الخندقي ثم الرميسي لسكناه ببركة رميس من الفسطاط روى عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم المقري المعروف بالكيراني روى عنه جماعة وأقرأ القرآن مدة سمع الإمام الزكي أبا محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري عن أصحابه

و خندق سابور في برية الكوفة حفره سابور بينه وبين العرب خوفا من شرهم قالوا كانت هيت وعانات مضافة إلى طسوج الأنبار فلما ملك أنوشروان بلغه أن طوائف من الأعراب يغيرون على ما قرب من السواد

---

(١) معجم البلدان، ١٩١/٢

إلى البادية فأمر بتجديد سور مدينة تعرف بالنسر كان سابور ذو الأكتاف بناها وجعلها مسلحة تحفظ ما قرب من البادية وأمر بحفر خندق من هيت يشق طف البادية إلى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ إلى البحر وبنى عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعا لأهل البادية من السواد فخرجت هيت وعانات بسبب ذلك الخندق من طسوج شاه فيروز لأن عانات كانت قرى مضمومة إلى هيت

خندمة بفتح أوله جبل بمكة كان لما ورد النبي صلى الله عليه و سلم عام الفتح جمع صفوان بن

" دفعوا لها دجاجة فقطعت رأسها ورمت به فأخذوا الدجاجة وألقوها في السفينة فسألت الترجمان عن فعلها فقال قالت في المرة الأولى هوذا أرى أبي وأمي وقالت في المرة الثانية هوذا أرى جميع قرابتي الموتى قعودا وقالت في المرة الثالثة هوذا أرى مولاء قاعدا في الجنة والجنة حسنة خضراء ومعه الرجال والغلمان وهو يدعوني فاذهبوا بي إليه فمروا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كانا معها فدفعتهما إلى المرأة العجوز التي تسمى ملك الموت وهي التي تقتلها ونزعت خلخالين كانا عليها ودفعتهما إلى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا المعروفة بملك الموت ثم أصعدوها إلى السفينة ولم يدخلوها إلى القبة وجاء الرجال ومعهم التراس والخشب ودفعوا إليها قدحا من نبيذ فغنت عليه وشربته فقال لي الترجمان إنها تودع صواحباتها بذلك ثم دفع إليها قدح آخر فأخذته وطولت الغناء والعجوز تستحثها على شربه والدخول إلى القبة التي فيها مولاها فرأيتها وقد تبلدت وأرادت الدخول إلى القبة فأدخلت رأسها بين القبة والسفينة فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها القبة ودخلت معها العجوز وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها فيجزع غيرها من الجواري فلا يطلبن الموت مع مواليهن ثم دخل القبة ستة رجال فجامعوا بأسرهم الجارية ثم أضجعوها إلى جنب مولاها الميت وأمسك اثنان رجليها واثنان يديها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلا مخالفا ودفعته إلى اثنين ليجذباه وأقبلت ومعها **خنجر** عظيم عريض النصل فأقبلت تدخله بين أضلاعها موضعا موضعا وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت ثم وافى أقرب الناس إلى ذلك الميت فأخذ خشبة فأشعلها بالنار ثم مشى القهقرى نحو قفاه إلى السفينة والخشبة في يده الواحدة ويده الأخرى على استه وهو عريان حتى أحرق ذلك الخشب الذي قد عبوه تحت السفينة من بعد ما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها ثم وافى الناس بالخشب والحطب ومع كل واحد خشبة وقد ألهب رأسها فيلقيها في ذلك الخشب فتأخذ النار في الحطب ثم في السفينة ثم في القبة والرجل والجارية وجميع ما فيها ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتد لهب النار واضطرم تسعرها وكان

إلى جانبي رجل من الروسية فسمعته يكلم الترجمان الذي معه فسألته عما قال له فقال إنه يقول أنتم معاشر العرب حمقى لأنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم وأكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب فتأكله الهوام والدود ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته ثم ضحك ضحكا مفرطا وقال من محبة ربه له قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعته فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والرجل الميت والجارية رمادا رمددا ثم بنوا على موضع السفينة وكانوا أخرجوها من النهر شبيها بالتل المدور ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس وانصرفوا قال ومن رسم ملوك الروس أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده فهم يموتون بموته ويقتلون دونه ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه وتصنع له ما يأكل ويشرب وجارية أخرى يطؤها وهؤلاء الأربعمائة يجلسون تحت سريره وسريره عظيم مرصع بنفيس الجواهر ويجلس معه على السرير أربعون جارية لفراشه وربما وطىء الواحدة منهن بحضرة أصحابه ." (١)

" أنصاب الحرم عن يمينك إذا خرجت من المأزمين تريد الموقف قال الأزرقي حيث ضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم في حجة الوداع وكذلك عائشة

ونمرة أيضا موضع بقديد عن القاضي عياض إن لم يكن الأول

نمرى بلد من كورة الغربية من نواحي مصر عن الزهري

نمكبان بفتح أوله وثانيه وسكون الكاف وباء موحدة وألف ونون من قرى مرو على طرف البرية قريبة من سنج عباد

نميرة تصغير نمرة موضع يقال له نميرة بيدان جبل للضباب وقال جرير يرثي أم حزرة امرأته يا نظرة لك يوم هاجت عبرة من أم حزرة بالنميرة دار قال أبو زياد ومن مياه عمرو بن كلاب النميرة وقال الراعي لها بحقيل فالنميرة منزل ترى الوحش عوذات به ومتاليا وقال أبو زياد النميرة هضبة بين نجد والبصرة بعد الدهناء

نميسة بالفتح ثم الكسر وياء مثناة من تحت وسين مهملة بلدة بطبرستان يقال لها طميسة ذكرت هناك

---

(١) معجم البلدان، ٨٢/٣

نميط تصغير نمط وهو الطريقة والنمط النوع من الشيء والنميط رملة معروفة بالدهناء وقيل بساتين من حجر وقيل هو موضع في بلاد تميم قال ذو الرمة ." (١)

"فيها توفي خوات بن جبير الأنصاري البدري أحد الشجعان المذكورين وأبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري. نزل بماء،وقيل على ماء بدر،فقيل له البدري،وهو ممن شهد العقبة.وأبو أسيد الساعدي مالك بن ربيعة بدري مشهور،وقيل بقي إلى سنة ستين ومعيقيب الدوسي هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا على اختلاف.وفيها مات الأشعث بن قيس الكندي بالكوفة في ذي القعدة،وكان شريفا مطاعا جوادا شجاعا وله صحبة،ثم إنه ارتد،ثم أسلم فحسن إسلامه،وكان من أجل أمراء علي رضي الله عنه،وتزوج أخت أبي بكر الصديق،وأمر غلمانه أن ينحروا ويذبحوا ما وجدوا من البهائم في شوارع المدينة،ففعلوا ذلك،فصاح الناس،وقالوا:ارتد الآشعث،اشرف عليهم من الدار،فقال:يا أيها الناس إني قد تزوجت عندكم ولو كنت في بلادي لأولمت وليمة مثلي ولكن قلت:اقتلوا ما حضر من هذه البهائم وكل من له منها شيءفليأتني أسلم له قيمته.وكان في أول الإسلام ممن هاجر من أهل اليمن في ثمانين رجلا من قومه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه عمرو بن معد يكرب الزبيدي من زبيد،رتدا معا بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم،ثم أسلما في أيام أبي بكر وحسن إسلامهما،وشهد المشاهد المشهورة بهما هكذا ذكر الإمام ابن سمرة في كتابه الموسوم بطبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار رؤساء الزمن.وفي السنة المذكورة استشهد أمير المؤمنين سامي المفاخر والمناقب أبو الحسن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه،ولا زالت نفحات رحمته واصلة إليه،وثب عليه أشقى من أجرم عبد الرحمن بن ملجم الخارجي،فضربه في يافوخه **بخنجر**،فبقي يوما ثم قتل ابن ملجم وأحرق وما كان كفوءا لشجاعة علي رضي الله عنه ولا عليه من ذوي الاقتدار لولا مساعدة الأقدار ولقد صدق فيه الذي قال:

وما كنت من أنداده يا ابن ملجم ... ولولا قضاء ما أطقت له عينا

وليس في الخلفاء الأربعة ولا في غيرهم من الصحابة من هو أقرب نسبا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواه،فإنه يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عبد المطلب،بين كل واحد منهما وبينه أب واحد.فهو صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب وهو علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم الرسول وزوج البتول،وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم

---

(١) معجم البلدان، ٣٠٥/٥

بن عبد مناف أول هاشمية ولدت الهاشمي،ويكنى أبا الحسن،وكناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا تراب لما وجده نائما في المسجد وقد علق التراب بجسمه،فأيقظه صلى الله عليه وآله وسلم وقال: " قم أبا تراب " ويلقب أيضا حيدرة،كانت أمه قد أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة،فخلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قميصه وألبسه إياها وتولى دفنها،وقال: "كانت أحسن خلق الله صنيعا إلي بعد أبي طالب " ،وكان قتله رضي الله عنه صبيحة ليلة الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان وقد نيف على ستين.وقيل ابن ثلاث وستين.وقيل ثمان وخمسين،وصلى عليه ابنه الحسن،ودفن في قصر الإمارة عند الجامع وغيب قبره،وكانت خلافته أربع سنين وأربعة أشهر وأياما،وكان إسلامه وهو ابن ثمان سنين.وقيل تسع،وقيل غير ذلك.ومن مناقبه رضي الله عنه:قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر: " لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه،يحب الله ورسوله،ويحبه الله ورسوله " الحديث الصحيح.وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى." (١)

"في ربيع الآخر منها سار أمير المؤمنين الحسن بن علي في جيوشه،وسار معاوية في جيوشه،يقصد كل منهما صاحبه للقتال،فالتقوا في ناحية الأنبار فوفق الله تعالى الحسن لحقن الدماء.والتحقيق بما أشار إليه جده المطلع على الأنباء صلى الله عليه وآله وسلم: " إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين " .فصالح معاوية،فأخرج نفسه عن أمر الخلافة بعد أن شرط عليه شروطا،وبرز بين الصفين،وقال:اني قد اخترت ما عند الله وتركت هذا الأمر لك،فإن كان لي فقد تركته لله،وإن كان لك فما ينبغي لي أن أنازعك،فكبر الناس واختلطوا في تلك الساعة وسميت تلك السنة سنة الجماعة.فقيل له:يا مذل المؤمنين فقال:بل أنا معز المؤمنين.هكذا نقل بعض أهل العالم.وروينا في صحيح البخاري عن الحسن البصري قال:سمعت أبا موسى يقول:استقبل والله الحسن بن علي إلى معاوية بكتائب أمثال الجبال،فقال عمرو بن العاص:اني لأرى كتائب لا تتولى حتى تقتل أقرانها،فقال معاوية:وكان والله خير الرجلين،اي عمر وإن قتل هؤلاء هؤلاء،وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور المسلمين من لي بنسائهم؟من لي بضعفتهم؟فبعث معاوية رجلين من قريش من بني عبد شمس عبدالله بن سمرة وعبدالله بن عامر،فقال:اذهبوا إلى هذا الرجل فاعرضوا عليه،وقولا له واطلبا إليه،فأتيا فدخلا عليه وتكلما،فقالا له وتطلبا إليه فقال الحسن بن علي:انا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال،وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها قالا فإنه يعرض كذا وكذا ويطلب

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١/ ٥٠

إليك ويسألك،قال:فمن لي بهذا؟قالا:نحن لك به.فما سألهما شيئا إلا قالا نحن لك به فصالحه.قال الحسن:ولقد سمعت أبا بكرة يقول:رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه،وهو يقبل على الناس تارة وعليه أخرى،ويقول: " إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين " .قلت فهذا الحديث الصحيح كما نرى.و,رووا في التواريخ:ان أهل العراق بايعوا الحسن،وسار بهم نحو الشام وجعل على مقدمته قيس بن سعد،وأقبل معاوية حتى نزل منبج،فبينما الحسن بالمداين إذ نادى مناد في عسكره:قتل قيس بن سعد،فشد الناس على خيمة الحسن فنهبوها،وطعنه رجل **بخنجر،**فتحول إلقصر الأبيض وسبهم وقال:لا خير فيكم قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا.ثم ذكروا أموراً أخرى في الصلح رأيت حذفها أصلح ومن إثباتها أملح.

وفي السنة المذكورة توفيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر.وقيل توفيت سنه خمس وأربعين.وصفوان بن أمية الجمحي ، وكان قد شهد اليرموك أميرا وله رواية في صحيح مسلم.فهو من أشراف قريش وأعيانهم قيل ملك قنطارا من الذهب.

وقيل توفي فيها لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المشهور الذي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم " أصلق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد ألاكل شيء ما خلا الله باطل " ،وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إسلامه.وقيل:مات في إمرة عثمان بالكوفة ابن مائة وخمسين سنة.

سنة اثنتين وأربعين

فيها توفي عثمان الحجبي،وغزا عبد الرحمن بن سمرة سجستان فافتتح بعضها،وسار راشد بن عمرو وشن الغارات وتوغل في بلاد السند.

سنة ثلاث وأربعين." (١)

"فلي نفس تجرع كل يوم ... عليك بهن كاسات المنون

إذا أمنت قلوب الناس خافت ... عليك خفي ألحاظ العيون

فكيف وأنت دنياي ولول ... عتاب الله فيك لقلت ديني

وقوله:

أحين علمت أنك نور عيني ... وأني لا أرى حتى أراكا

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١/٥٥

جعلت مغيب شخصك عن عياني ... يغيب كل مخلوق سواكا

وبلغ جملة الكتاب الذي ألفه العبيدي ألف ورقة، جمع فيه المفرق من الكتب النفيسة على أقصر سبيل، وأقرب ما يؤخذ، وأوضح طريق، وكأنه قد اقترح عليه أن يؤلفه على حروف المعجم، على وجه لم يسبق إليه كما تقدم.

سنة ثلاث عشرة وأربع مائة

فيها تقدم بعض الباطنية من المصريين إلى الحجر الاسود، فضربه بدبوس، فقتلوه في الحال. قال محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي: قام يضرب الحجر ثلاث ضربات،وقال: إلى متى يعبد الحجر؟ ولا محمد ولا علي فيمنعني ما أفعله، فإني اليوم أهدم هذا البيت. فأنفاه أكثر الحاضرين، وكاد أن يفلت وكان أحمر أشقر جسيما طويلا وكان على باب المسجد عشر فوارس ينصرونه، فاحتسب رجل، ووجأه **بخنجر**،ثم تكاثروا عليه،فهلك، وأحرق، وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته، واختبط الوفد، ومال الناس على ركب مصريين بالنهب. وتخشن وجه الحجر، وتساقط منه شظايا يسيرة، وتشقق، وظهر مكسرة أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل الخشخاش، فعجن الفتات بالمسك،وأكد، وحشيت الشقوق، وطلبت، فهو يبين لمن تأمله.وفيها توفي عالم الشيعة وإمام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيد وبابن المعلم أيضا،البارع في الكلام والجدل والفقه. وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية. قال ابن أبي طي: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، وقال غيره: كان عضد الدولة ربما زار الشيخ المفيد، وكان شيخا ربعة نحيفا أسمر، عاش ستا وسبعين سنة، وله اكثر من مائتي مصنف، كانت جنازته مشهودة، وشيعه ثمانون ألفا من الرافضة والشيعة، وأراح الله منه. وكان موته في رمضان.

سنة أربع عشرة وأربع مائة

فيها توفي الشيخ أبو الحسن، المعروف بابن جهضم الهمداني، شيخ الصوفية بالحرم الشريف ومؤلف كتاب بهجة الأسرار في التصوف وفيها توفي الحافظ ابن الحافظ أبو القاسم تمام بن محمد البجلي الرازي الدمشقي.وفيها توفي القاضي عبد الجبار بن أحمد، من رؤوس أئمة المعتزلة وشيوخهم،صاحب التصانيف و الخلاف العنيف.

سنة خمس عشرة وأربع مائة

فيها توفي الإمام أبو الحسن المحاملي، شيخ الشافعية، أحمد بن محمد الضبي، تفقه على والده وعلى الشيخ أبي حامد الاسفرائيني، وبرع في الفقه،ودرس في أيام شيخه أبي حامد وبعده، وسمع الحديث من محمد بن المظفر وطبقته،ورحل به أبوه إلى الكوفة،وسمعه بها،وصنف عدة كتب منها المجموع والمقنع والقباب،وصنف في الخلاف كثيرا. وكان عديم النظير في الذكاء. وقال الشيخ أبو حامد: هو اليوم أحفظ للفقه مني ,والمحاملي نسبة إلى عمل المحامل الذي يركب فيها في السفر.

سنة ست عشرة وأربع مائة

فيها انتشر العيارون ببغدا،وخرقوا الهيبة،واصلوا العملات والقتل،وأخذوا الناس نهارا جهارا. وكانوا يمشون بالليل بالشمع والمشاعل، ويكبسون البيوت، ويأخذون أصحابها، ويعذبونهم إلى أن يقروا لهم بذخائرهم، وأحرقوا دار الشريف المرتضى. ولم يخرج فيها ركب من بغداد.وفيها توفي أبو عبدالله بن الحذاء القرطبي اليمني المالكي المحدث، مؤلف كتاب البشرى في تعبير الرؤيا في عشرة أسفار، وتولى قضاء إشبيلية وغيرها وفيها توفي أبو الحسن علي بن محمد التهامي، الشاعر المشهور. ومن شعره في ذم الدنيا:

طبقة على كدر وأنت تريدها ... صفوا من الأقذاء والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

وإذا رجوت المستحيل فإنما ... تبني الرجاء على شفير هار

سجن في القاهرة، ثم قتل سرا، ورآه بعض أصحابه في النوم فقال: ما فعل الله بك؟فقال: غفر لي، فقال: بأي عمل؟ قال: بقولي في مرثية ولدي الصغير:

جاورت أعدائي وجاور ربه ... شتان بين جواره وجواري." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٩٤ """"""""

يوسف بن الكسار بالحطب ، وأراد إحراق حانوت النجارة التي للضارب ، فمنعه أهل السوق ، فهاش **بخنجره** وأتى إلى علي بن الحبال اللحام بالسويقة المحروقة ، ولم يكن له يد في قتل رفيقه ، فضربه **بخنجره** في رقبته ، فهرب ومات بعد ساعة . ثم أتى الوالي وختم على حوانيت السويقة المحروقة ، ثم ذهب إلى المضروب أولا فمر على أحد زعر الشويكة ، فهرب إلى زقاق ينفذ إلى بستان ، وفي الزقاق بيت الخواجا ابن الماجوري ، فدخل الوالي بجماعته إلى الزقاق ، وهجموا على حريم ابن الماجوري ، ونهبوا له غالب

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١/٤١٠

موجوده ، وخرجوا وختموا على باب البستان عجزا عن تحصيل الهارب ، وأمر بدفن المقتولين في اليوم المذكور . ويوسف بن الطيان هو الذي عارض شيخنا محيي الدين النعمي ومعه رفيقه أحمد المعتوه ، وفي صبحة يوم الجمعة حادي عشر رمضان من السنة الماضية ، وأخذا شاشه ، وأرادا إعدامه ، فسلمه الله منهما ، وهما ورفيقهما الهارب اللحام من حين قتلوا الشريف المذكور قد تجبروا على السرقة والتجني في البساتين ، ونهب دواب الناس ، والسفر إلى صفد وطرابلس وغيرهما في بيع ما أخذوه ، وعرف ذلك أهل الحارات بحيث أنهم صاروا في غنية بعد فقر ، وهم في هيئة مجرمة من لبس الأبشات بالكمام الكبار ، لتستر البولاد الذي حاملوه خوفا من أعدائهم . وفي هذه الأيام كثر الكلام عن السلطان الجديد قانصوه الغوري ، وأشاعوا عجزه ، وكان قد عزم كثير من الناس على الحج ، ثم أراد بعضهم ترك ذلك ، وتردد بعضهم ، وقوي عزم بعضهم ، بواسطة قيام نائب الغيبة برد بك تفاح ، وإقامته تمرباي القجماسي المشهور بأبي قوره في أمرة الحج ، في ثالث عشر شوال . وفيها غلا القمح إلى قريب كل كيل بثلاثين درهما ، والدبس بأكثر من ثلثمائة القنطار ؛ وبلغني أن الزرع غير المسقي تلف في جميع البلاد الحورانية . وفي يوم الاثنين ثاني عشريه خرج الوفد من دمشق إلى الحجاز ، وأميرهم تمرباي القجماسي ، وخرج معه حج كثير من الأروام والحلبيين والدمشقيين وغيرهم . وفي يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة منها ، ورد مرسوم شريف إلى دمشق ، بأن الأمراء الذين أطلقوا من حبس القلعة يأتون إلى مصر ، وكان قد انضم إليهم جماعة أخر من المنفيين ، وقد سالموا وعاطوا بدمشق ، وجميعهم بالقلعة ؛ وبلغ ما يحتاجون إليه من الشعير في كل يوم." (١)

""""""" صفحة رقم ٢٦٧ """""""

والشهاب الرملي ، إلى كاتب السر فسلما ثم رجعا ، ثم بعد ظهر اليوم ذهب الرملي إلى المحلي ، الذي يعضده ، فسلم عليه ورجع ، ففي الحال جاءه قاصد ابن موسى وأخذه إلى الترسيم . ثم قبل المغرب أتى القاضي شهاب الدين الحمصي ، إلى الشيخ تقي الدين وولده ، وجيء بالعشاء فأكلوا ؛ ففي أثنائه جاء قاصد ابن موسى وأخذ ولد الشيخ ، ولم يتم عشاءه بحضرة والده ، وذهب به إلى الترسيم أسوة بالرملي وحطا عند السيد إبراهيم الصلتي ، ثم غلظ على الصلتي ، ورفع إلى القلعة ، وطلب منه عشرة آلاف دينار ، وأن المصريين ترجموا قاضي المالكية خير الدين قبل دخوله مصر ، ولم يترجموا الشيخ تقي الدين ، بل

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/١٩٤

أنكروا عليه في فتواه ، في الواقعة الحيطية . وفي يوم الخميس ثالث عشريه نودي بدمشق ، من قبل نائب الغيبة الخزندار ، أن على كل حارة جماعة من الزعر ، يخرجون مددا لملك الأمراء ببلاد حوران ، إلى قتال العرب ، وان تكون كلفتهم من مال عرفاء الحارات ، لا على الناس ؛ فعرضوا يوم السبت خامس عشريه ، ثم في يوم الخميس سافروا . وفي يوم الجمعة مستهل ربيع الأول منها ، وهو سلخ حزيران ، اشتهر بدمشق بأنه رسم على السيد كمال الدين بن حمزة ، وعلى قاضي المالكية بدمشق خير الدين ، وأنه لما أحضر على السلطان سأله ما السبب لهذا الاختلاف ، فأنطقه الله بشيء كان سببا لنصر المحب الأسلمي ، فقال : حظوظ النفس ، وضغائن في القلوب ؛ فقال السلطان : في هذا الجواب كفاية ، فكيف تكون الأحكام الشرعية بالحظوظ والضغائن ؟ فجعل ذلك حجة له ، بعد أن كان جانبه مترجما ، ولا قوة إلا بالله . وفيها اشتهر أن إبراهيم بن علي بن سبيل ، كبير السفارة بدرب الحجاز ، توفي بالحبس بمصر ، لأنه كان ، هو وأبو قورة القجماسي ، السبب في تعطيل طريق الحج الشامي ، واستمر أبو قورة بالحبس . وفي يوم الأحد سابع عشره ضرب نائب الغيبة لرجل أزعر من العريم بالمقارع ضربا مبرحا ، وأشهره في البلد ، وأمر أن لا يحمل أحد خنجرا ، وأشهره في البلد ، وأمر أن لا يحمل أحد خنجرا ؛ ففي تلك الحال أتى شخص في صورة فلاح ، وعليه بشت مطيلس ، حتى لا يعرف ، وقبض عبد القادر بين قرنبع ، ورماه من أعلى المصطبة ، وضربه بالخنجر ، فقتله ، ثم هرب ، وقيل أنه هو الذي قتل ولده .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٨٨ """""""

وفي يوم الاثنين ثامن عشره دخل من مصر إلى دمشق ، حاجبها الكبير الجديد ، برد بك تفاح ، ولم يتلقاه النائب لوجع يده وتلقاه القاضيان المالكي والحنبلي ، وبقية أرباب الدولة ، ونزل في بيت ابن بيغوت ، الذي كان به يخشباي . وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره أخبر رجل أتى من مصر ، أنه شاهد سودون العجمي مخلوعا عليه بالأمرة الكبرى ، في يوم الاثنين سابع عشري ربيع الأول المذكورة قبله . وفيه كتبت ورقة وأوصلت إلى السيد كمال الدين بن حمزة ، بها أمور ابن زريق بن البصروي ، زوج بنته من المصرية ، وما هو عليه وما أشيع عنه من الفواحش ، وكان قد كتب كتابه في ليلة الاثنين تاسع عشر رمضان ، سنة خمس عشرة وتسعمائة ، على مائتي دينار ، وكان وكيل السيد في الإيجاب القاضي برهان الدين الإخنائي ، ووكيل الزوج الشيخ بها الدين بن سالم ، والشهود يونس بن شعبان ، وبركات بن سقط ، وأولم لذلك وقرئ له مولد

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/٢٦٧

بقراءة ابن البزة . وفي يوم الأربعاء سابع عشريه أفرج النائب عن جماعة من المحابيس ، لأجل عافيته من وجع يده من السقطة من الفرس . وفي يوم الخميس ثامن عشريه جلس تقي الدين في مجلسه على العادة ، ونودي بالزينة بدمشق وفي تاليه يوم الجمعة ركب وصلى بالجامع الأموي على العادة . وفي يوم الأحد مستهل جمادى الأول منها ، سلم شيخنا محيي الدين النعيمي على النائب ، شرقي الاصطبل ، عقب لعب مماليكه الصغار بالرمح ، والخيل الخاص تسير قدامه ، فقال له النائب : ما أرخت في أمر الصوفي ؟ فقال : ما أرخت من أمره شيئا ، فقال : أما سمعت قوله في كتابه إلى السلطان : السيف **والخنجر** ريحاننا . . . أف على النرجس والآس شرابنا دماء أعدائنا . . . وكاسنا جمجمة الراس فأجيب على لسان السلطان في كتابه بقولة : العلم والحلم ريحاننا . . . والجود والإحسان للناس شمسنا العدل لكل الورى . . . مع شدة القوة والباس شرابنا الذكر وكأس التقى . . . أف على جمجمة الراس وفي يوم الاثنين ثانيه قرئ مرسوم ورد على يد شخص جوخي ، كان سافر مع." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٣٥ """""""

الأمراء الراجعين مع ولد السلطان إلى دمشق ، في اصطبل دار السعادة ، واتفقوا أيضا على أن ولوا طرابلس ، وصفد لشخصين آخرين ، وخلع عليهم ، ومشوا مع الغزالي إلى دار السعادة ، ونادي بالأمان وفتحت أبواب دمشق بعد غلقها ، وحرج على الغز أن لا يسافروا إلى مصر ، حتى يأتي جواب طومان باي الدوادار الكبير من مصر . وفي يوم الأحد عاشره وصل أدربش دوادار النائب سيباي ، بعد أن كان جزم أهله والناس بقتله ، راكبا حمارا مع بعض الفلاحين إلى قارا ، وركب منها إلى دمشق فرسا ، وفرح به أهله بذلك فرحا شديدا ، وأردبش هذا هو ناظر الخاتونية العصمتية ، وخلع عليه الغزالي .

وشاع بدمشق أن ملك الروم سليم خان دخل قلعة حلب ، وتسلم المال الذي بها ، ووزنه ، وأرصده ، وأقام بالقلعة نائبا له ، قيل بحضرة الخليفة والقضاة . وفي يوم السبت سادس عشره وصل دوادار الغزالي إلى دمشق ، بعد أن كان وجهه أستاذه إلى حلب ، ليكشف خبر ملك الروم ، وأخبر عنه أنه ملك حلب بأمان من أهلها ، وكذا قلعتها . وقد كان نائبها تسحب مع العسكر المهزوم ، وأنه بالتحقيق أخذ جميع ما فيها من المال ، ويقال إنه مائة وثمانية عشر حملا ، خلا ما كان فيها قبل ذلك ، وملكها لشخص من جهته . ثم سد أبواب حلب خلا بابين ، أحدهما من جهة الروم ، والآخر من جهة دمشق ؛ وسكن في القلعة ،

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/٢٨٨

وعلى سور البلد أناس من رماة البندق ، أخذ جميع ما فيها من الودائع عند أهلها للمنهزمين ، وأحسن إلى فقهائها وفقرائها ، ودهخل تحت طاعته نائب حلب خير بك ، فأكرمه . وفي يوم الأحد سابع عشره ولي الغزالي حمص وحماة لشخصين ، وتوجه متسلمهما إليهما . وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره شاع بدمشق أن السلطان لم يمت ، وأنه وصل إلى مصر ومعه سيباي ، وفيه عرض العسكر بالمصطبة . وفي يوم الأربعاء عشريه عزم أهل ميدان الحصى الغزالي ، لوليمة صنعوها له ، فذهب إليهم ، وصحبته المحب ناظر الجيش . وفي هذه الساعة أتى اثنان حمويان إلى غلام مصري ، كان أمرهما بالمعروف ، فضرباه **بخنجر** بحضرة أهل السويقة المحروقة حتى مات ، ثم هربا فعدا خلفهما جماعة فأدرك أحدهما وقتل . وفي هذا اليوم جاء ابن الحنش إلى المزة ، في جماعات من الخيل ، حين طلبه الغزالي ،." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٨٩ """""""

وفي يوم السبت تاسعه جاء عمر الإسكاف بالعتيبة ، المتصوف ، إلى عند المحيوي بن العربي بجماعته ، وهم معظمون له ، فذكر ، ثم أخذ يفسر الخواطر على طريقة الشيخ علي بن ميمون ، متشبها به ، وليته لم يفعل ذلك ، فإنه رجل عامي ، بخلاف الشيخ علي فإنه عالم عامل . وفيه قتل الزعر شيخ باب الجابية بن قديدار ، عند باب داره ، غربي مسجد هشام . وفي يوم الأربعاء ثالث عشره دقت البشائر بدار السعادة ، بسب أنه جاء الخبر من عند النائب ، بأنه كبس على أمير العرب جفيمان ، وهو نازل على معان ، فجاءه النذير ، ففر هو وأعيان جماعته وحريمهم إلى الجون ، فنزل بالبرية ، وظفر النائب بضعفة جماعته وبعض جمال وغنم ، ثم عزم النائب على الرجوع على الكرك إلى الرملة ، فيجلس هناك إلى أن يأتي الحاج ، وقد جاءه الخبر مع العربان الطائعة بأنهم بخير ، وأنهم مرخصون . وفي يوم الخميس رابع ؏شره سافر قاضي البلد للدورة على بلاده ، بعد أن زار الباب الصغير ، ولم يزر المحيوي بن العربي كما هو عادة الأروام عد سفرهم ، وتوجه على مسجد القصب ، وعلى وسطه **خنجر** لطيف وسيف مسقط ، وأقام المحيوي بن يونس عوضا عنه في عرض الأوراق ، وصهر خير بك نائب مصر ، قازان غر الجركسي ، في التكلم على العمارة الخنكغارية ، مع مشاورة البرهان بن الأخنائي نائبه . وفي يوم الجمعة ثاني عشريه صلى غائبه بالجامع الأموي على العلامة شس الدين محمد بن النجمي الحنفي ، توفي بمكة ولم يخلف بعده فيها مثله علما وعملا . وفي يوم الاثنين خامس عشريه دقت بشائر دمشق ، بسبب وصول كتاب من النائب من

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/٣٣٥

بيت المقدس ، بالتهنئة بسلامة الحاج . وفي يوم الثلاثاء سادس عشريه وصل إلى دمشق ، ومر علينا بالصالحية ، الأمير يوسف سنان الرومي ، جاء متكلما على البلاد البقاعية ، وما انضاف عليها ، عوضا عن حسن باك ، ومعه نحو المائة رمح ، وقدامه نحو العشرين بندقانيا ، ولا قاه الأمير إسماعيل بن الأكرم ، والأمير أبو بكر بن طالوا ، ونزل بالمرجة . وفي يوم الأربعاء سابع عشريه وصلت كتب الحاج ، وفيها أن هذه الحجة كانت طيبة لحصول الرخص والأمان بالطريق ومكة المشرفة ، وأن الوقفة كانت يوم الجمعة ، ولكن كان في الجمال رائحة .." (١)

"وفي تلك الأثناء أخذ الفدائيون ينقضون على الإفرنج ويطاردونهم، وقد "ألهبوهم بالنهب والسلب، وسلطوا عليهم، وكمنوا له تحت كل رابية" (١) وكان معسكر الإفرنج يومئذ في بيت نوبة حيث أقاموا بضعة أسابيع تمهيدا للهجوم على بيت المقدس.

ولقد تكاثرت غارات الفدائيين الأبطال على معسكرات الإفرنج ومراكز تجمعهم من خليج عكا شمالا حتى ضواحي القدس جنوبا، فأوقعت الرعب والفزع في صفوف الإفرنج وأنزلت بهم خسائر جسيمة، ويروي التاريخ أن صلاح الدين كان يرعى الفدائيين، فيؤثرهم بعنايته وتقديره. ويتولى أمرهم بنفسه، وكثيرا ما جردهم" على مزارع العدو فحصدوا غلاته، ولم يبرح هو مكانه حتى يعودوا بجمالهم وأحمالهم، وقد خف زرع الفرنج مما فعلوا ... "

وكان الفدائيون كما يروي التاريخ "إذا دخلوا خيمة العدو ووضعوا **الخنجر** على نحر النائم، وأيقظوه وأخذوه فلا يستطيع أن يتكلم، وقد تكلم منهم جماعة فذبحوا، فصار من أصابه ذلك لا يتكلم ويختار الأسر على القتل، وقد داموا على ذلك مدة طويلة" (٢) .

وقد سمي الفدائيون "لصوص الخيام"، لأنهم كانوا "يسرقون الرجال أحياء " وكانت هذه التسمية تندرا وتفكهة، فلم يكن أولئك الفدائيون في نظر صلاح الدين خونة أشرارا، يطاردون ويجردون من أسلحتهم ثم يسجنون ويعذبون أو يقتلون.

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص/٣٨٩

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢ ،ص٣٨٢.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٢٥.." (١)

"فخلافة أبي بكر ومدة ولايته سنتان وأربعة أشهر. ومدة خلافة عمر بن الخطاب عشر سنين وستة أشهر. ومدة ولاية عثمان بن عفان اثنتا عشرة سنة. ومدة ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه أربعة سنين وتسعة أشهر.

فجميع تلك المدة تسعة وعشرين سنة وسبعة أشهر، وبقي إلى تمام ثلاثين ستة أو خمسة أشهر، وهذه المدة بقي الذي كان فيها أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما مستندا بالخلافة قبل مصالحة أهل الشام.

كنيته أبو محمد. وكان دون الطويل وفوق الربعة، جميلا أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله. وكان يخضب بالحناء والكتم، وهم ممن لبس الطيلسان.

وبويع له يوم الأحد التاسع عشر من رمضان، وقيل: في الثاني والعشرين من رمضان سنة أربعين، بايعه أهل الحل والعقد ومن بقي من المهاجرين والأنصار، ومن نكل من بيعة الله فقد بايعه طوعا إلا من كان بدمشق. ومدة ولايته خمسة أشهر، ثم صالح معاوية وعمره ما بين الأربعين والخمسين. وقيل: عاش اثنتا وأربعين سنة. وقيل: ثمان. وهو أصح. وكان الجراح بن سنان رماه **بخنجر**، وقيل: بمقول في فخذه حين طلبوا منه الأمان وضيعوه، فلما أفردوه أمضى الصلح.

وولادته كانت بالمدينة. وأمروا والي المدينة سعيد بن العاص حتى سقاه السم مع سعد بن أبي وقاص وجماعة من المهاجرين، فمات الحسن رضي الله عنه مسموما بعد يومين، وسعد بن أبي وقاص في يومه. وقيل: سقته جعدة بنت أبي الأشعث بن قيس وكانت زوجته. وصلى عليه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وقيل: كان نقش خاتمه الله أكبر وبه أستغيث.

وكان كاتبه خاله من قبل هند بن أبي هالة، ولفاطمة الزهراء رضي الله عنها أخ من الأم يقال له: هند بن أبي هالة له روايات عن النبي صلى الله عليه وآله، ولا يدخل حجرة فاطمة رضي الله عنها من الرجال إلا رسول الله صلى الله عليه وآله والعباس ثم علي رضي الله عنه ثم الحسن والحسين رضي الله عنهما ثم هند

---

(١) معارك العرب، ص/٢٣٥

بن أبي هالة وهو أخوها من أمها، ولهذا قيل لخديجة: أم هند.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن ابني هذا لسيد له سؤددي وهيبتي والحسين هذا ابني أيضا له جرأتي وجودي.

وللحسن بن علي رواية عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعن أمه فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

وقيل: لما ولدت فاطمة رضي الله عنها حملته أسماء بنت عميس، وقالت: يا رسول الله هذا صبي حسن، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله حسنا، فلما ولدت فاطمة رضي الله عنها الحسين رضي الله عنه حملته أسماء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا رسول الله هذا أحسن من أول، فسماه حسينا.

وقيل: إن الحسن بن علي رضي الله عليهما كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله من الصدر إلى السرة، والحسين أشبه الناس به من السرة إلى القدم.

وقال واحد لأبي جحيفة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله هل رأيت الحسن؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإن الحسن بن علي رضي الله عنهما كان يشبهه.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من أحب الحسن والحسين أحبني.

وقيل: اضطرع الحسن والحسين رضي الله عنهما عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هيه يا حسن فخذ حسينا، فقالت فاطمة الزهراء رضي الله عنها: يا رسول الله أتنهض الكبير على الصغير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا جبرئيل يقول: أيها حسين خذ الحسن فاضطرعا، ولم يصرح واحد منهما صاحبه.

وقال عبد الله بن عمر: حج الحسن بن علي رضي الله عنهما عشرين حجة ماشيا وإن النجائب ليقاد معه.

وقيل: كانت ولادة الحسين رضي الله عنه بعد ولادة الحسن رضي الله عنه بثلاثة عشر شهرا.

وقال النجاشي الشاعر يرثي الحسن بن علي رضي الله عنهما:

يا جعدة بكية ولا تسأمي ... بكاء حق ليس بالباطل

على ابن بنت الطاهر المصطفى ... وابن عم المصطفى الفاضل

أعني فتى أسلمه قومه ... للزمن المستحرج الماحل

نعم فتى الهيجاء يوم الوغا ... والسيد القابل والفاعل." (١)

"العامية المغربية" لتعرف مدى فصاحة الاستعراب في هذه المفردات التي نجد منها في الصفحات الأولى للمعجم ألفاظا كالإشفى (مخرز الإسكافي) والبريمة والبرمة والبرميل والبوطة والبلور والتبان والترس وتفصيلة الثوب وتكريشه تقبيضه) والتكة والتنجرة والتومة (القرط) والثلج والخبل (لفظة يمنية) والحنوط والخرقة والخميرة **والخنجر**. ثم إن الفكر العلمي الأندلسي الذي حماه البلاط الموحدي بمراكش لم يكن يخلو من مظاهر اجتماعية تمثله. مثال ذلك البيمارستان(١) الذي احتوى على »النقوش البديعة والزخارف

---

(١) ... المعجب، ص. ١٧٧.." (٢)

"وفي يوم لجأ إليه شاب وفتاة لحمايتهما"دخلا عليه" من سطوة وخشونة ذوي الفتاة ، بسبب خطيئة ارتكباها ، ولجلال قدر أبي مثقال ، طلبوا منه حق العرف العشائري ، فما كان من الشيخ إلا أن أحضر **خنجرا** ، أعطاه لأخيها وهو أمسك بالغمد ، وطلب منه أن يدخل **الخنجر** في الغمد ، وراح أخوها يحاول ، وكلما قارب أن ينجح يفشله الشيخ باهتزازة بسيطة ، فهم الحضور حكمة الشيخ وما يرمي إليه ، وانتهت المشكلة بزواج الشاب من الفتاة بعد تقديم ما يلزم من الحقوق .

ودعا الشيخ أبو مثقال جميع الحضور إلى وليمة صلح في منزله بالبيارات قرب مدينة تدمر فقال أحد الحضور شعرا :

علي حقن قضية بالإنصاف قضوه ما قضاها لقمان

الصخر ما يبلع المي و يعاف والرمل يبلعه لو كان طوفان

هو يريد البنت و الحسن ينحاف وكلن يريد الحسن شمر وعجمان

و طيئ و قيس كلهم وقاف لأجل العيون السود والموت دان

سلام مني ما به لك خلاف شيخ ضيغمي وبك لايذا آني

يا بو مثقال يا حر ينشاف يا اللي النقيصة ما تداني

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، ص/٢٠

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/١٥٤١٣

حقنت رودة يا دم الرعاف هذه عشر أيام والنوم ما جاني

سلام ربي عدد ما طار رداف على كل فكاك عقد بي آني

المفردات .

لقمان الحكيم . المي : الماء . ينحاف : مرغوب به . الحر : الصقر . رودة : قتال .

رداف : الطير . عقد : جمع مشكلة .

وقي مدح علي القشعم (أبو مثقال) قال حسين عليوي الفتح الله قصيدة مخاطبا ولده شهير منها هذه الأبيات :

يا شهير قوم شد منطار في الجيش ثنتين لا زرفلن ياشهير مثل الظبية

مرن على زلخا بهدوة من الليل مصبحهن دراج فوق الهبية

على مرق ودهان و ذناب خرفان يلفن على أبو مثقال ذيب السرية

المفردات :

منطار : جبل غربي تدمر . ثنتين : يقصد ناقتين . لا زرفلن : زرفلن : مشي النوق هرولة .

زلخا : جبل شمال غرب تدمر . دراج : جبل بالقرب من تدمر .

الهبية : أرض سهلية فيها نبع ماء اسمه الهبية قرب تدمر .

ذيب السرية : سيد قومه . حسين : هو صديق لأبي مثقال وملازما له .." (١)

"توكل جميع الأغنام والماعز لشخص مجند نفسه لهذه المهنة مقابل أجر معلوم ، وكل أسرة تضع علامة١- خاصة في ناحية من نواحي جسم الدابة للدلالة على ملكيتها ، ويطلقون اسم (الراعي) لمن يقوم بهذا العمل

وتوكل جميع الأبقار لشخص آخر ، يطلقون عليه اسم(العجال)٢- لمن يقوم بهذا العمل .

وأيضا تجمع الإبل لشخص ثالث ، يوليها الاهتمام والرعاية التامة ،ويطلقون اسم (الجمال)٣- لمن يقوم بهذا العمل .

وخصص كل فصيلة لشخص يقوم بمهمة رعيها ، ذلك لاختلاف سلوكية ومرعى هذه الحيوانات .

ويطلقون اسم(الحلال)على المواشي والأبقار والإبل مجتمعة ، يساق الحلال مع طلوع الشمس إلى المرعى

---

(١) لكود القشعم، ٣٤٧/١

، وكل إنسان يتأخر عن هذا الموعد ، يتوجب عليه إرسال الحلال إلى المرعى بنفسه.
والملاحظ عند عودة الحلال من المرعى ، إن كل دابة تعرف طريقها إلى دار صاحبها.
٩–الصيد :
آ–صيد الوحوش :
١–الضبع :هو حيوان مفترس ،بوزه٤–أسود له أنياب حادة **كالخنجر** وأضراسه قوية تطحن الأحجار، يداه الأماميتان أطول من رجليه ، ذيله مثل ذيل الكلب شعره خشن رمادي اللون مبرقع بالأبيض ، رائحته كريهة جدا ، تلد أنثاه جراء اثنين أو ثلاثة تهتم برعايتهم وحمايتهم وتدريبهم على الصيد ، وهو شرس جدا ليلا وجبان نهارا، ذكي وماكر وحريص يناور فريسته ، إذا كان إنسانا ، يمر بجانبه مسرعا ويحتك به لاختباره فإن كان شجاعا يتركه وشأنه لأنه يعرف بحواسه نوع فريسته ، أما إذا كان خائفا يبتعد مقدار عشرة أمتار ثم يقعد على مؤخرته وينتصب قليلا ومترقبا بحذر ثم يذهب ثانية ويكررها عدة مرات ، وفي." (١)
"تعالى؛ وأخذ اللغة عن أبيه وعن أبي بكر الزبيدي وغيرهما.
والتياني: أظنه منسوبا إلى التين وبيعه، والله أعلم.
١٢٥ - (١)
تميم بن المعز الفاطمي
أبو علي تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي؛ كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب، وهو الذي بنى القاهرة المعزية - وسيأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى - وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته - وسيأتي ذكر الباقين إن شاء الله تعالى - ؛ وكن تميم المذكور فاضلا شاعرا ماهرا لطيفا ظريفا، ولم يل المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز فوليها بعد أبيه، والعزيز أيضا أشعار جيدة وقد ذكرهما أبو منصور الثعالبي في " اليتيمة " (٢) ، وأورد لهما كثيرا من المقاطيع، فمن شعر تميم المذكور (٣) :
ما بان عذري فيه حتى عذرا ... ومشى الدجى في خده فتحيرا
همت تقلبه عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها **خنجرا**
والله لولا أن يقال تغيرا ... وصبا وإن كان التصابي أجدرا
لأعدت تفاح الخدود بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا وله أيضا (٤) :

---

(١) لكود القشعم، ٢/ ٢٠

(١) ترجمة تميم في الحلو السيراء ١: ٢٩١ ومسالك الأبصار (أول الجزء ١٢) ومقدمة ديوانه (ط. دار الكتب ١٩٥٧).

(٢) اليتيمة ١: ٣٠٨ وقد عاد الثعالبي فأفرد لتميم ذكرا ص: ٤٥٢ من الجزء نفسه.

(٣) أضيفت إلى الديوان: ٤٦٤ ولم تكن في الأصول، عن اليتيمة وغيرها.

(٤) ديوانه: ٣٩٨.." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء ومنطقة، فقال أبو البختري: حدثني جعفر بن محمد، يعني جعفر الصادق، عن أبيه قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ومنطقة مخنجرا (١) بخنجر، فقال المعافى التميمي (٢) :

ويل وغول لأبي البختري ... إذا توافى الناس للمحشر

من قوله الزور وإعلانه ... بالكذب في الناس على جعفر

والله ما جالسه ساعة ... للفقه في بدو ولا محضر

ولا رآه الناس في دهره ... يمر بين القبر والمنبر

يا قاتل الله ابن وهب لقد ... أعلن بالزور وبالمنكر

يزعم أن المصطفى أحمدا ... أتاه جبريل التقي البري

عليه خف وقبا أسود ... مخنجرا في الحقو بالخنجر وحكى جعفر الطيالسي أن يحيى بن معين وقف على حلقته وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق، فقال له: كذبت يا عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأخذني الشرط، فقلت لهم: هذا يزعم أن رسول رب العالمين جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قباء، قال: فقالوا لي: هذا والله قاض كذاب، وأفرجوا عني.

وقال ابن قتيبة في كتاب " المعارف " (٣) : وكان أبو البختري ضعيفا في الحديث، وقال الخطيب في تاريخه (٤) : قال إبراهيم الحربي: قيل لأحمد بن حنبل تعلم أحدا روى " لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح " فقال: ما روى هذا إلا ذاك الكذاب أبو البختري.

وله من التصانيف كتاب " الروايات " (٥) . كتاب " طسم وجديس " . كتاب

---

(١) وفيات الأعيان، ٣٠١/١

(١) ن: محتجرا.

(٢) تاريخ بغداد: التيمي.

(٣) المعارف: ٥١٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٣: ٤٥٥.

(٥) ص ع ر: الرايات.." (١)

"فوضى على غير تعبية ولا أهبة، ودهمتهم خيل العدو، فقمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها، وتركت الأرض حصيدا خلفها، وصرع ابن عباد وأصابه جرح أشواه؛ وفر رؤساء الأندلس وأسلموا محلاتهم، وظنوا أنها وهية لا ترقع ونازلة لا تدفع، وظن الأذفونش أن أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين، فركب أمير المسلمين أحدق به أنجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل، فعمدوا إلى محلة الأذفونش فاقتحموها ودخلوها وقتلوا حاميتها، وضربت الطبول فاهتزت الأرض وتجاوبت الآفاق، وتراجع الروم إلى محلتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها، فصدموا أمير المسلمين فأفرج لهم عنها، ثم كر فأخرجهم منها، ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها، ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان، فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها، وتلاحق الأذفونش بأسود نفدت مزاريقه بالقذف، فأهوى ليضربه بالسيف، فلصق به الأسود وقبض على أعنته وانتضى **خنجرا** كان منتطقا به، فأثبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه، وكان وقت الزوال من ذلك اليوم، فهبت ريح النصر وأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه، وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه، فأخرجوهم عن محلتهم، فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم، والسيوف تصفعهم إلى أن لحقوا بربوة لجأوا إليها واعتصموا بها، وأحدقت بهم الخيل؛ فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من الربوة، وأفلتوا بعدما نشبت فيهم أظفارهم، واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الأثاث والآنية والمضارب والأسلحة، وأمر ابن عباد بضم رءوس قتلى الروم، فنشر منها أمامه كالتل العظيم، ثم كتب ابن عباد إلى ولده الرشيد كتابا وأطار به الحمام يوم السبت سادس عشر المحرم يخبره بالنصر.

(١) وفيات الأعيان، ٤٠/٦

وقد روي أيضا أن أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المعونة على ما هو بصدده، فوصل كتابه إلى المرية في هذا المعنى، وذكر فيه أن جماعة أفتوه." (١)

"وفي أعلى الأرض من هذا الجزء صحارى عيذاب وهي متصلة الخلاء ليس بها ساكن ولا ينزلها قاطن إلا قوم من البجة رحالة قليلو الإقامة فيها لعدم الماء بأمكنتها وقلة وجوده بها وعرض هذه الصحراء يقطعه السالك من قوص إلى عيذاب في عشرين يوما إلى ما دونها وفي هذه الصحراء يكون جب حميرة وهو من أعجب العجب وذلك أن ماءه لا ينزل به من شربه من حيث تنزل المياه من الإنسان ولا يقيم بالمعدة شيئا وإنما هو إذا شربه الإنسان لم يلبث أن ينزل به من مقعدته مسرعا من غير تأخير ولا إقامة وهذه الصحراء لا تسلك في اشتداد الحر وحموم القيظ لجفوف الماء بها ورياحها المنشفة وأرضها النارية المهلكة وإنما يمر بها السالكون في آخر أيام الخريف.

وفي أعلى هذه الصحراء في ضفة البحر الملح مدينة عيذاب وأهلها سود وشربهم من آبار وليست بالكبيرة القطر ولا بالآهلة العامرة بالخلق ومنها المجاز إلى جدة وعرضه هناك مجرى يوم وليلة ومدينة عيذاب ينزلها عامل من قبل رئيس البجة وعامل من قبل ملك مصر يقتسمون جبايتها بنصفين وعلى عامل صاحب مصر القيام بجلب الأرزاق والمعيشة إلى عيذاب وعلى رئيس البجة القيام بحمايتها من الحبشة والرئيس المقيم بعيذاب من قبل ملك البجة ينزل الصحارى ولا يدخل المدينة إلا غبا وأهل عيذاب يتجولون في كل النواحي من أرض البجة يشترون ويبيعون ويجلبون ما هنالك من السمن والعسل واللبن وبالمدينة زوارق يصاد بها السمك الكثير اللذيذ الطعم الشهي المأكل وبها يؤخذ المكس في وقتنا هذا من حاج الإسلام القاصدين من بلاد المغرب وهذا المكس مبلغه على كل رأس ثمانية دنانير من أي الذهب كان مسبوكا أو مكسورا أو مسكوكا ولا يعبر أحد من حاج المغرب إلى جدة إلا أن يظهر مكسه ومتى جوزه رباني بحر القلزم ولم يكن عنده مكس غرمه الرباني فلذلك لا يجوز أحد من عيذاب إلى جدة حتى يظهر الرباني البراءة مما يلزمه فإذا جاز المركب البحر وسهل الله عليه الوصول إلى جدة أرسى على بعد ودخل الثقات من ناحية والي جدة فحرزوا ما هنالك من الموجودات الممكسة اللازمة وأثبتوها في دواوينهم ثم نزلوا ونزل الناس بجملتهم فتقتضى منهم المكوس اللازمة لهم الواجبة عليهم فإن عثروا على رجل منهم لا مكس معه لزم حقه على الرباني الذي جوزه وربما سجن الرجل الحاج حتى يفوته الحج وربما قيض الله له من يفرج عنه بما لزمه من

---

(١) وفيات الأعيان، ١١٨/٧

المكس وهذا المكس يأخذه الهاشمي صاحب مكة فينفقه في أرزاق أجناده إذ منافعه قليلة وجباياته لا تفي بلوازمه ورزق من معه.

وهذا البحر الذي ضمه هذا الجزء بحر صعب المجاز كثير القالات والتروش والجبال الناتئة وفيه عدة جزائر خالية في زمن الشتاء وفي مدة خوض البحر وركوبه في أيام السفر فيه قوم يعمرون هذه الجزائر حمر الألوان يأتون إليها في زوارقهم فيتصيدون فيها السمك الكثير ويجففونه في الشمس ثم يطحن,نه ويخبزونه ويتعيشون منه أكثر دهرهم ولزومهم في هذه الجزائر لصيد الحوت واستخراج اللؤلؤ الدقيق منه وأخذ السلاحف البحرية التي يكون على ظهورها الذبل وهو بها كثير حسن الصفة.

وأكبر جزيرة فيه من هذا الجزء جزيرة النعمان وبها قوم لازمون لها ساكنون بها ومنها جزيرة السامري يسكنها قوم يهود سامرية وعلامتهم أن يقول أحدهم إذا لقي إنسانا " لا مساس " وبهذه اللفظة يعرف أنهم من اليهود المنسوبين إلى السامرى صاحب العجل في زمن موسى عليه السلام.

وفي هذا البحر من السمك حوت مربع عرضه قريب من طوله يقال له اليهار وربما بلغ وزن الحوت منه نصف قنطار أو نحوه وهو حوت أحمر شهي الطعم حسن الذوق ولا سهك به وفيه سمك آخر طوله شبر ونصف له رأسان رأس في موضع رأسه ورأس في موضع ذنبه وفي كل رأس من هذين الرأسين عينان وفم وتصرفه في البحر يزج مرة إلى أمامه وتارة إلى خلفه ويسمى هذا السمك **الخنجر** وفي هذا البحر أيضا سمك يقال له القرش وهو نوع من كلاب البحر في فمه سبعة صفوف أضراس ويكون منه ما طوله عشرة أشبار وأكثر وأقل من ذلك وضرره بمن أمكنه في البحر كثير جدا.." (١)

" ومات عمر – [رضي الله عنه] – مقتولا ، طعنه أبو لؤلؤة فيروز – غلام المغيرة بن شعبة – **بخنجر** في خاصرته ، وهو في صلاة الصبح في يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة – . قاله معدان بن أبي طلحة وزيد بن أسلم ، وتابعهما غير واحد – . إنتهى . قلت : ودام جريحا ، إلى أن توفي ، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة ، وهو بن أربع – أو خمس – وخمسين سنة ؛ [لأن مولده كان بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة] . والأصح أنه مات وهو ابن ثلاث وستين [سنة] – في عمر النبي – [صلى الله عليه وسلم] – وأبي بكر الصديق – [رضي الله عنه] – . وكانت خلافته عشر سنين ونصفا . ومات عمر ولم يعهد بالخلافة لأحد ، وجعلها شورى في ستة من

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص/٤١

الصحابة العشرة وهم : عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد – [رضوان الله عليهم] – .

". (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٥٥ """""""

يحل لي ، وهو أمانة غيري إلا بحقه ، وما كان قط أحرم علي منه حين وليته ؛ فعاد أمانتي ، وقد أنفقت عليك شهرا من مال الله ، ولست زائدك عليه ؛ وقد أعنتك بثمن مالي ؛ فبعه ، ثم قم في السوق إلى جنب رجل من قومك ؛ فإذا صفق بسلعة ، فاستشركه ؛ ثم بع وكل ، وأنفق على أهلك " .

وأما عبيد الله بن عمر ، فكان رجلا ذا شكيمة ، هو الذي قتل جفينة والهرمزان وبنت أبي لؤلؤة ، وأراد قتل العجم بالمدينة ، حتى حال المسلمون بينه وبين ذلك ، وان اتهمهم في قتل عمر : كان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شهد على أنه طلع على أبي لؤلؤة والهرمزان وجفينة ، وهم نجي ؛ ففزعوا منه ؛ فسقط منهم خنجر له رأسان مملكه في وسطه ؛ فأتى عبد الرحمن بالخنجر الذي قتل به عمر ؛ فقال : " هو هذا " . فقتل بعد ذلك عبيد الله بن عمر بصفين مع معاوية . وفي ذلك يقول كعب بن جعيل التغلبي :

ألا إنما تبكي العيون لفارس . . . بصفين أجلت خيله وهو واقف

يبدل من أسماء أسياف وائل . . . وكان فتى لو أخطأته المتالف." (٢)

"عنك فخيل البريد. قلت: الحضرة وجباتها، والمزرعة العظمى ونباتها وأفتتح الصرائم بمحمد بن أبي القاسم. فقال: شيخ موقر، والمنصب ما لم يصنه محقر، مرع على رتب الخدمة. قديم الاصطناع والنعمة، مؤتمن على الحساب منتسب للأمانة أتم الانتساب، نبيه العقار والاكتساب، موجب حق أولي الأحساب قلت)بياض(قال فارس زمام، ومتمسك بذمام، ومصل خلف إمام. يناقش ويدقق ويعاود ويحقق، وهو عن الصبوح يرقق. فغريمه متعب. مهما عسر وصعب، واستوفى واستوعب:

كعصفورة في كف طفل يسومها ... ترود حياض الموت والطفل يلعب

وعلى الرتبة الشماء. والخلق اللطيفة كالماء، فبينه وبين ابن عمه ريحانة الكرماء وشهاب الظلماء ما بين

---

(١) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ٥٢/١

(٢) نسب قريش . ، ٣٥٥/١٠

الحروف والأسماء، لا بل بين الأرض والسماء:

وقد يسمى سماء كل مرتفع ... وإنما الفضل حيث الشمس والقمر

قلت)بياض(قال: خدوم، وقاضي سدوم، وموجود معدوم، مخيل بالنبل، ومحيد عن السبل، ويخلط أرضا وسماء، ومسميات وأسماء، يحسبه الظمآن ماء. قلت: فابن القوار؟ فقال: شختور يسبح، وقصاب يذبح، وتاجر في كل نفس يربح، انسحب عليه القبول من لدن صباه، وصاح به الجد فلباه، شأنه الدهر غمز وإشارة، ونذارة وبشارة، محظوظ مجدود، عقد حرصه مشدود، وهو في الكفاة معدود. قلت)بياض(؟ قال: فارة، وقضاء وكفارة،)وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون(تحت غفارة، وبعوضة في الآذان، تغني عن الاستئذان، وتطرق حتى سبات الإقامة والأذان، قادر على تلفيق الثبوت، وحمل اليهود على نسيان السبوت، يرى الحكمة خبيئة جيبه، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه. قلت: فابن جدار؟ قال: ألوف ودود، أنوف عن الخبث صدود، محسوب من الأسرياء معدود، كثير الهشاشة والأريحية، مبذول المشاركة شائع التحية، بادي النبل والظرف، مؤتمر لوحي الطرف، عدة للعدل والصرف، ينظم الأبيات ويوضح من الفضل الغرر والشيات:

عليك بكاتب لبق ذكي ... أديب في شمائله حرارة

تشير له بلحظك من بعيد ... فيفهم طرفه عنك الإشارة

قلت: فالو إلى الريب؟ فشد خيشومه، واستدفع بيمن الله شومه، ثم قال: الروض الأنف، محتاج إلى الكنف. اعلم أنني على طول تجربتي، وتكرر تشريقتي وتغريبتي، لم أعثر له على شبيه، فلعنة الله عليه وعلى أبيه، الجهل والرعونة،والطلعة الملعونة، والخيانة التي يعرفها الوجود، واليد التي في غير الخنا لا تجود، نار الخيانة التي تأكل في اللحظة الواحدة بجطامها، وخنجر الأمانة الذي يقد حبالها، المارن على النكال والعقاب، المخل بالألقاب، الخامل البيت والهمة، الكثير الذام القليل الذمة، ولله در أبي محمد العلكوم ذي العارض المركوم حيث يقول:

لأبي الفضل بن الريبب خلال ... شهدت بالوفاء والفضل فيه

ساقط الأصل عاهر الفرج مذ كا ... ن سفيها قد بذ كل سفيه

ذي محيا من الحياء عديم ... وقفا ممتل وشكل كريه

سلحفاة قد عممت وجراز ... في رداء موشع يلويه

يحمل السرج منه دن رجيع ... يعرف الناس ذوقه من فيه

حجر الله جوده ونداكفي ... ه إلا عن أسود يشفيه

فهو لا يستكفه من بلاء ... ومجابي البلاد لا تكفيه

قلت للناس والسؤال شفاء ... وهو قدما شأن النبيل النبيه." (١)

"الأخرى فوالله ما ارسلني وجدت ريح الموت ولولا ان الدم نزفه لقتلني فسقط وضربته فقتلته وأجهضني القتال من استلابه فلما وضعت الحرب اوزارها قلت يا رسول الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب واجهضني عنه القتال فما أدري من استلبه فقال رجل من اهل مكة صدق يا رسول الله فأرضه عني من سلبه فقال ابو بكر رضي الله عنه والله لا يرضيه تعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلب قتيله وفي لفظ قال ابو بكر رضي الله عنه أي للنبي صلى الله عليه وسلم كلا تعطيه أضيبع من قريش وتدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله والأضيع تصغير ضبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق اردد عليه سلبه قال ابو قتادة رضي الله عنه فأخذته منه فاشتريت بثمنه أي السلب الذي جمعته الذي جمعته بستانا وادرك ربيعة بن رفيع دريد ابن الصمة فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه أمرأة فإذا هو شيخ كبير اعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد قال اقتلك قال ومن أنت قال انا ربيعة بن رفيع السلمي ثم ضرب بسيفه فلم يغن شيئا فقال له يسخر به بئس ما سلحتك أمك بن خذ سيفي هذا من مؤخرة الرحل ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أحبر ربيعة أمه بقتله فقالت له أما والله لقد اعتق اثنين بل ثلاثا وقالت له ألا تكرمت عن قتله لما اخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لاتكرم عن رضا الله ورسوله

أي وقيل القاتل لدريد بن الصمة الزبير بن العوام رضي الله عنه وقيل عبد الله بن قبيع وكانت أم سليم رضي الله عنها مع زوجها أبي طلحة رضي الله عنه وهي حازمة وسطها ببرد لها وفي حزامها **خنجر** وكانت حاملا بابنها عبد الله فقال لها زوجها ابو طلحة ما هذا **الخنجر** معك يا أم سليم قالت إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به فقال ابو طلحة الا تسمع يا رسول الله ما تقول ام سليم الرميصاء فأعادت عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك أي وكان يقال لها العمصياء والرميصاء وهي التي يخرج القذى من عينها ومن ثم قال بعضهم قيل له لها الرميصاء لرمص كان في عينها

---

(١) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ص/٤٢

وعن ولدها أنس بن مالك رضي الله عنه الله عنه قال قد مات ابي مالك عنها مشركا ثم خطبها عمي ابو طلحة وهو مشرك فأبت ودعته الاسلام فأسلم فقالت له إني أتزوجك ولا

". (١)

"فإن معي **خنجرا** بفتح الخاء المعجمة كجناح النسر وإني عارف بالطريق فقال له أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال له اطو أمرك وخرج ليلا إلى أن قدم المدينة ثم اقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل عليه وكان صلى الله عليه وسلم في مسجد بني عبد الأشهل فعقل راحلته وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال إن هذا يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فجاء ليجني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه اسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه بداخلة إزاره أي بحاشيته من داخل فإذا **بالخنجر** فأخذ أسيد يخنقه خنقا شديدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقنى قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بأمره فخلى عنه رسول الله فأسلم أي وقال يا رسول الله ما كنت أخاف الرجال فلما رأيتك ذهب عقلي وضعفت نفسي ثم أطلعت على ما هممت به فعلمت أنك على الحق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم

فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومن تقدم معه إلى أبي سفيان بمكة أي وذلك بعد قتل خبيب عن عدي رضي الله عنه وصلبه على الخشبة

ومضى عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن ابي سفيان رضي الله تعالى عنهما فعرفه فأخبر قريشا بمكانه فخافوه لأنه كان فاتكا في الجاهلية وقالوا لم يأت عمرو بخير واشتدوا في طلبه

قال وفي رواية لما قدما مكة حبسا جمليهما ببعض الشعاب ثم دخلا ليلا فقال له صاحبه يا عمرو ولو طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ثم طلبنا أبا سفيان فقال عمرو إني أعرف بمكة من الفرس الأبلق أي وإن القوم إذا تعشوا جلسوا على أفنيتهم فقال كلا إن شاء الله قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا لطلب أبي سفيان فلقيني رجل من قريش فعرفني وقال عمرو بن أمية فأخبر قريشا بي فهربت أنا وصاحبي انتهى أي وصعدنا الجبل وخرجوا في طلبنا فدخلنا كهفا في الجبل ولقي عمرو رجلا من قريش فقتله أي قتل ذلك

---

(١) السيرة الحلبية، ٧٢/٣

الرجل عمرو فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا ونحن في الغار فقلت لصاحبي إن رآنا صاح بنا فخرجت إليه ومعي خنجرا عددته لأبي سفيان فضربته على يده فصاح صيحة اسمع أهل مكة فجاء الناس يشتدون فوجدوه بآخر رمق

". (١)

"كان في الخلافة سبعة اشهر وقيل ستة اشهر ولما سار إلى قتال معاوية كان معه أكثر من أربعين ألفا فلما سار عدا عليه شخص وضربه بخنجر في فخذه ليقتله فقال الحسن قتلتم ابي بالأمس ووثبتم علي اليوم تريدون قتلي زهدا في العادلين ورغبة في القاسطين لتعلمن نبأ بعد حين

أي ويذكر انه بينما هو يصلي إذ وثب عليه شخص فطعنه بخنجر وهو ساجد ثم خطب الناس فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا } فما زال يقولها حتى ما بقي احمد من أهل المسجد إلا وهو يبكي

ثم كتب إلى معاوية رضي الله عنهما بتسليم الأمر أي بعد أن أرسل إليه معاوية رضي الله عنه رجلين يكلمانه في الإصلاح فإن عمرو بن العاص لما رأى الكتائب مع الحسن أمثال الجبال قال لمعاوية إني لأرى هذا الكتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها فخلع الحسن رضي الله عنه نفسه وسلم الأمر إلى معاوية تورعا وزهدا وقطعا للشر وإطفاء لثائرة الفتنة وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله المتقدم وغص منه شيعته حتى قال له بعضهم يا عار المؤمنين سودت وجوه المؤمنين فقال العار خير من النار وقال له بعضهم السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال له لا تقل ذلك كرهت أن أقتلكم في طلب الملك وعند ذلك أي لما انبرم الصلح طلب منه معاوية رضي الله عنها أن يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم أنه سلم الأمر إلى معاوية فأجابه إلى ذلك وصعد المنبر وحمد الله إلى أن قال في خطبته أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا إلا إن أكيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت أنا ومعاوية فيه إما أن يكون أحق به مني او يكون حقي فان كان حقي فقد تركته لله ولصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم ثم التفت رضي الله عنه إلى معاوية وقال { وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى

---

(١) السيرة الحلبية، ١٨٨/٣

حين } أي ثم انتقل من الكوفة إلى المدنية وأقام بها وكان من جملة ما اشترطه على معاوية رضي الله عنه أن يكون الأمر شورى بين المسلمين بعده ولا يعهد إلى أحد من بعده عهدا

وقيل على أن يكون الأمر للحسن بعده فلما سم الحسن اتهم ذلك زوجته بنت الأشعث بن قيس وأن ذلك بدسيسة من يزيد ولد معاوية ووعدها أن يتزوجها وبذل

". (١)

"١٦٤- خليل بن أمير ان شاه بن تيمورلنك

ملك بعد موت جده تيمور كما تقدم تحقيقه في ترجمته وكان ذلك في حياة والده وأعمامه لكونه كان معه عند وفاته في سنة ٨٠٧ فلم يجد الناس بدامن سلطنته واستولى على الخزائن وتمكن من الامراء ببذله وفيه رفق وتودد مع حسن سياسة وصدق لهجة وجمال صورة وأخذ في تمهيد مكله وملك قلوب الرعية فاستفحل أمره وجرت حوادث الى أن مات بالرى مسموما فى سنة ٨٠٩ تسع وثمان مائة ونحرت زوجته المسماة شادملك نفسها **بخنجر** من قفاها فهلكت من ساعتها وقد وصف مؤلف سيرة تيمور من أحواله وأشعاره بلسان قومه ومزيد عشقه لزوجته هذه وافراط محبته لها ما يقضى منه العجب حتى قال انه يقف معها فى قميص واحد يدخلان فيه جميعا لمزيد شغف كل واحد منهما بالاخر فلهذا قتلت نفسها بعد موته ووصف من جماله ما تعذر معه زوجته وكذلك وصف من جمالها ما يخفف عنه الملامة فيما تهتك به من عشقها حتى كان ذلك سبب ذهاب ملكه ونفسه والامر لله." (٢)

"مراد بن أورخان بن عثمان الغازى سلطان الروم وابن سلاطينها

ولد سنة ٧٢٧ سبع وعشرين وسبعمائة وجلس على التخت سنة ٧٦١ وافتتح كثيرا من البلاد منها أدرنه وهو أول من اتخذ المماليك والبسهم اللباد المثنى إلى خلف وسماهم العسكر الجديد وكان عظيم الصولة شديد المهابة واجتمعت النصارى عليه مع سلطانهم فقابلهم صاحب الترجمة وهزمهم وقتل سلطانهم وأسر جماعة من ملوكهم فأظهر واحد من الملوك الطاعة للسلطان وطلب تقبيل كفه فأذن له بذلك فلما قرب منه أخرج **خنجرا** كان أعده في كمه فضرب السلطان مراد فقتله وفاز بالشهادة في سنة ٧٩٢ اثنتين وتسعين وسبعمائة

---

(١) السيرة الحلبية، ٣/٣٥٩

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ١/٢٣١

فصار القانون ألا يدخل على السلطان أحد إلا بعد تفتيش ثيابه ويكون بين رجلين يكتنفانه مراد بن سليم بن سليمان بن سليم بن بايزيد بن أورخان ابن عثمان سلطان الروم ولد سنة ٩٥٣ ثلاث وخمسين وتسعمائة وجلس على التخت سنة ٩٨٢ وهو من أعظم سلاطين الروم وأكابر ملوكها استولى على ما كان تحت يد آبائه من الممالك وزاد عليه فتوحات واسعة وهو الذى اتم عمارة الحرم الشريف بعد أن كان حصل فيه حريق أخرب كثيرا منه فأمر بهدمه جميعا والده السلطان سليم بن سليمان وشرع في عمارته على هيئة نفيسة وأسلوب غريب ثم مات بعد أن شرع في العمارة وكمله صاحب الترجمة وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في تاريخ كمال العمارة وهو هذا البيت بتمامه فإنه مع انسجامه وسلاسته وحسن نظمه جميعه تاريخ لتمام العمارة وهو (جدد المسجد الحرام مراد *** دام سلطانه ودام زمانه) وأرخ تمام العمارة بعضهم في نثر فقال عمر الحرم سلطان مراد وقد وصف القطب الحنفى في الأعلام كيفية هذه العمارة وأطال في ذلك في آخر كتابه الأعلام وختم ترجمة صاحب الترجمة في ذلك الكتاب ولم يذكر تاريخ موته وهو في سنة ١٠٠٣ ثلاث وألف." (١)

" سنة أربعين

٤٠ - فيها توفي خوات بن جبير الأنصاري البدري أحد الشجعان المذكورين

وأبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري نزل ماء ببدر فقيل له البدري ولكنه شهد العقبة

وأبو أسيد الساعدي مالك بن ربيعة بدري مشهور وقيل بقي إلى سنة ستين

وفيها ليلة الجمعة سابع عشر رمضان استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وثب عليه عبد الرحمان بن ملجم الخارجي فضربه في يافوجه **بخنجر** فبقى يوما وتوفي وعاش نيفا وستين أو دونها رضي الله عنه

ثم قتل ابن ملجم وأحرق ولله الحمد

وفيها مات (١٠ آ) الأشعث بن قيس الكندي بالكوفة في ذي القعدة وكان شريفا مطاعا جوادا شجاعا له صحبة ثم ارتد ثم حسن إسلامه وكان أجل أمراء علي

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ٢٩٢/٢

". (١)

"

وفيها مات معيقيب الدوسي هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا بخلف وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم له حديثان سنة إحدى وأربعين

٤١ – في ربيع الآخر سار أمير المؤمنين الحسن بن علي في جيوشه يقصد معاوية وسار معاوية في جيوشه فدخل العراق وتنازل الجمعان بمسكن من ناحية الأنبار فرأى الحسن من عسكره الاختلاف عليه وقلة الخير وكان سيدا وادعا لا يرى سفك الدماء واتفق أنه وقع في عسكره هوشة وخبطة ووقع النهب حتى إنهم نهبوا فسطاطه وضربة رجل من الخوارج بخنجر مسموم في إليته فخدشه فتألم ومقت أهل العراق ورأى الصلح أولى تحقيقا لقول جده المصطفى صلى الله عليه وسلم إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين

". (٢)

"

فراسل معاوية وشرط عليه شروطا بادر إليها معاوية بالإجابة ثم سلم إليه الخلافة على أن يكون الأمر من بعده للحسن وعلى أن يمكنه أخذ ما شاء من بيت المال ليقضي منه دينه وعداته وغير ذلك

فروى مجالد عن الشعبي ويونس بن أبي إسحاق عن أبيه أن أهل العراق بايعوا الحسن وسار بهم نحو الشام وجعل على مقدمته قيس بن سعد وأقبل معاوية حتى نزل منبج فبينا الحسن بالمدائن إذ نادى مناد في عسكره وقتل قيس بن سعد فشد الناس على خيمة الحسن فنهبوها وطعنه رجل بخنجر فتحول إلى القصر الأبيض وسبهم وقال لا خير فيكم قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا ثم كتب إلى معاوية على أن يسلم إليه بيت المال وأن لا يسب عليا بحضرته وأن يحمل إليه خراج فسا ودارا بجرد كل سنة فأجابه

فكتب إليه أن (١٠ ب) أقبل فسار معاوية من منبج إلى مسكن في خمسة أيام فسلم إليه الحسن الأمر ثم سارا حتى دخلا

---

(١) العبر في خبر من غبر،   ٤٦/١

(٢) العبر في خبر من غبر،   ٤٧/١

". (١)

" ضربات وقال إلى متى يعبد هذا الحجر ولا محمد ولا علي أفيمنعني محمد مما أفعله فإني اليوم أهدم أكثر هذا البيت فاتقاه أكثر الحاضرين وكاد أن يفلت وكان أحمر أشقر جسيما طويلا وكان على باب المسجد عشرة فوارس ينصرونه فاحتسب رجل ورماه **بخنجر** ثم تكاثروا عليه فهلك وأحرق وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته واختبط الوفد ومال الناس على ركب المصريين بالنهب وتخشن وجه الحجر وتساقطت منه شظايا يسيرة وتشقق وظهر مكسره أسمر يضرب إلى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فعجن بالمسك واللك الفتات وحشيت الشقوق وطليت فهو يبين لمن يتأمله

وفيها توفي بشيراز سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة الديلمي صاحب العراق وفارس ولي السلطنة وهو صبي بعد أبيه وأرسل إليه القادر بالله خلع الملك إلى شيراز وقد قدم إلى بغداد في وسط مملكته ورجع وكانت دولته ضعيفة متماسكة وعاش اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر

". (٢)

"كان رضي الله عنه ساكنا تجاه المجانين بالمارستان المنصوري، وكان له كشف، ومثاقلات للناس الذين ينكرون عليه، وكان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان، ويقول أنا معتوق أعتقني ربي، وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال، وأرسل لي مرة رغيفا مع إنسان، وقال قل له يأكل هذا الرغيف، وطوى فيه مرض سبعة، وخمسين يوما فلم يأكله فأكله القاصد فمرض سبعة، وخمسين يوما فقال للقاصد لا تخف إن شاء الله تعالى أصطاده في مرة أخرى فلم يقدر له ذلك، وكان رضي الله عنه يتظاهر يبلع الحشيش فوجدوها يوما حلاوة، وكان قد أعطاه الله تعالى التمييز بين الأشقياء، والسعداء في هذه الدار، وكان أصله جمالا عند بعض الأمراء ثم حصل له الجذب، وكان سيدي على الخواص رضي الله عنه جاءه الشريف ورد عنه الطعنة، وقال لم يجئني أحد في مصر غير الشريف فكان لا ينساها له ثم إنهم طعنوه مرة أخرى فأصابته، وذلك أن الشفاعات كثرت على سيدي علي الخواص رضي الله عنه أيام السلطان ابن عثمان وكان أصحاب

(١) العبر في خبر من غبر، ٤٨/١

(٢) العبر في خبر من غبر، ١١٣/٣

النوبة بمصر عجما فكانوا لم يزالوا يعارضونه، ويعارضهم فطعنوه **بخنجر** في مشعره ولم يزل به إلى أن مات بعد ثلاثين يوما رضي الله عنه.

ومنهم سيدي علي الدميري المجذوب
رضي الله تعالى عنه

كان رضي الله عنه جالسا ليلا، ونهارا، على دكان يباع الرقاق تجاه حمام المارستان، وكان رضي الله عنه لا يتكلم إلا نادرا، وكان مكشوف الرأس ملفوفا في بردة كلما تتقطع يبدلونها له بأخرى أقام على هذه الحالة نحو عشرين سنة وكان كلما رآني تبسم. مات رضي الله عنه سنة خمس، وعشرين وتسعمائة، ودفن بالمسجد الذي بقرب باب النصر اليشبكي، وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه.

ومنهم شيخي، وأستاذي سيدي علي الخواص البرلسي
رضي الله تعالى عنه ورحمه." (١)

"متأنقا في ملبسه ومشيته ومسكنه وخدمته وهيبته عطر الرائحة حسن العمة بهجة في أموره كلها بارا بكثير من الفقهاء والفقراء ساعيا في إيصال البر إليهم حسن السفارة لهم وبغيرهم ممن يقصده من جيرانه فمن دونهم مقبول الكلمة خصوصا عند الزيني بن مزهر صاحبه وقد جر إليه خيرا كثيرا وحصل لفقراء الحرمين بواسطته بر وفضل، وبالجملة فكان في أواخر عمره حسنة من حسنات دهره، ومما بالغ في أذيته وتقبيح سيرته وطويته ورميه الدائم بالعظائم البقاعي بحيث قال لي صاحب الترجمة قد عجزت عن استرضائه ليكف كل ذلك لكونه لما بلغه قوله في قصيدة " وما أنيسي إلا السيف في عنقي " قال يستحق مع ملاحظة كون الناس استحسنوا قصيدة صاحب الترجمة في ختم فتح الباري على قصيدته وكونه عمل مرثية لشيخنا على روى قصيدته الثقيلة وزنها فكانت بديعة الانسجام والرقة مع انه لخوفه من شره لم يبرزها إلى غير ذلك بل كاد مرة أن يقتله فإنه برك عليه في مجلس الإملاء **والخنجر** بيده هذا مع مطارحة بينهما فكان جواب البقاعي:تأنقا في ملبسه ومشيته ومسكنه وخدمته وهيبته عطر الرائحة حسن العمة بهجة في أموره كلها بارا بكثير من الفقهاء والفقراء ساعيا في إيصال البر إليهم حسن السفارة لهم وبغيرهم ممن يقصده من جيرانه فمن دونهم مقبول الكلمة خصوصا عند الزيني بن مزهر صاحبه وقد جر إليه خيرا كثيرا وحصل لفقراء الحرمين بواسطته بر وفضل، وبالجملة فكان في أواخر عمره حسنة من حسنات دهره، ومما بالغ في أذيته وتقبيح

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٣٨٠

سيرته وطويته ورميه الدائم بالعظائم البقاعي بحيث قال لي صاحب الترجمة قد عجزت عن استرضائه ليكف كل ذلك لكونه لما بلغه قوله في قصيدة " وما أنيسي إلا السيف في عنقي " قال يستحق مع ملاحظة كون الناس استحسنوا قصيدة صاحب الترجمة في ختم فتح الباري على قصيدته وكونه عمل مرثية لشيخنا على روى قصيدته الثقيلة وزنها فكانت بديعة الانسجام والرقة مع انه لخوفه من شره لم يبرزها إلى غير ذلك بل كاد مرة أن يقتله فإنه برك عليه في مجلس الإملاء **والخنجر** بيده هذا مع مطارحة بينهما فكان جواب البقاعي:

أيا من سما حذقا وحفظا ومقولا ... فكان إياسا أحمدا وكذا قسا

معاذ إلهي أن أفرط في الذي ... جعلت لنابسطا بنظمك أو أنسى

وبين يدي الله تلتقي الخصوم، وقد صحبته كثيرا وسمعت من نظمه ونثره مما كتبت منه جملة في المعجم والوفيات وغيرهما وكتبت عنه القصيدة المشار إليها وأودعتها في الجواهر بل وسمعت أيضا ولكنه لم يسمح لي بكتابتها لما قلت ومن نظمه في مليح منجم:

لمحبوبي المنجم قلت يوما ... فدتك النفس يا بدر الكمال

براني الهجر واكشف عن ضميري ... فهل يوما أرى بدري وفي لي

أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الصدر أبو البركات بن المجد المكراني الشافعي نزيل مكة وأخو محمد الآتي. اشتغل في الفقه والعربية والصرف ونحوها يسيرا ولازمني بمكة في المجاورة الثالثة فسمع على كثيرا ومن ذلك مجالس من شرحي للألفية بحثا وكتبت له إجازة وهو ساكن جامد اضطرب في اسم أبيه فقال مرة هكذا ومرة عبد القادر لكونه لا يعرفه إلا بلقبه وكأن إسماعيل أصح.." (١)

"٧٣٩ - خليل بن أميران شاه بن تيمور كور الماضي أبوه وجده ملك سمرقند بعد جده في حياة والده وأعمامه لكونه كان معه عند وفاته سنة سبع وثمانمائة فلم يجد الناس بدا من سلطنته وعاد بجنة جده يريد سمرقند وقد استولى على الخزائن وتمكن من الأمراء والعساكر ببذله لهم الأموال العظيمة حتى دخلوا في طاعته سيما وفيه رفق وتودد مع حسن سياسة وصدق لهجة وجميل صورة فلما قارب سمرقند تلقاه من بها وهم يبكون وعليهم ثياب الحداد ومعهم التقادم فقبلها منهم ودخلها وجثة جده في تابوت أبنوس بين يديه وجميع الملوك والأمراء مشاة مكشوفة رءوسهم حتى دفنوه وأقاموا عليه العزاء أياما ثم أخذ صاحب

---

(١) الضوء اللامع، ١/١٤٩

الترجمة في تمهيد مملكته، وملك قلوب الرعية بالاحسان واستفحل أمره وجرت حوادث إلى أن مات بالري مسموما في سنة تسع، ونحرت زوجته ساد ملك نفسها بخنجر من قفاها فهلكت من ساعتها ودفنا في قبر واحد، ثم قتل والده أميران بعده بقليل، وولي مكانه بير عمر، وطول يوسف بن تغري بردى ترجمته تبعا للمقريزي في عقوده.

٧٤٠ – خليل بن أبي البركات بن موسى صلاح الدين بن سعد الدين ويعرف كسلفه بابن أبي الهول. أحد كتاب المماليك. مات في رمضان سنة ثلاث وثمانين وهو صاحب الجامع الذي ببركة قرموط، وكان مسجدا قديما فوسعه وعمل فيه خطبة ورتب فيه أرباب وظائف، وحج غير مرة.

٧٤١ – خليل بن أبي بكر بن علي بن عبد الحميد غرس الدين الأندلسي الأصل القاهري الشافعي والد الشمس محمد وأخو عمر الآتيين ويعرف كسلفه بابن المغربل. نشأ فحفظ القرآن وقطعة من التنبيه ثم اشتغل بالقيام بعياله وتزوج صالحة ابنة النور علي بن السراج بن الملقن وأنجبها ولده المشار إليه وداوم التلاوة والعبادة حتى مات في ثامن عشر رمضان سنة ثمان وثلاثين عن أربع وستين سنة.

خليل بن حسن بك بن علي بك بن قرا يلوك.

٧٤٢ – خليل بن حسن بن حرز الله قاضي الفلاحين. كانوا يرجعون إليه في أمور الفلاحة؛ وكان شاهدا ببعض المراكز وقد حضر على الحجار وغيره. مات في جمادى الآخرة سنة إحدى. ذكره شيخنا في أنبائه.

٧٤٣ – خليل بن خضر العجمي. حديث بالخليل سنة أربع وثمانمائة في جماعة بالمسلسل بالأولية عن الميدومي. رواه لنا عنهم التقي أبو بكر القلقشندي.

٧٤٤ – خليل بن دنكز أحد الأمراء العشرات. مات في صفر سنة ثلاث. أرخه العيني.

٧٤٥ – خليل بن سبرج – بكسر المهملتين بينهما موحدة ساكنة وآخره جيم وضبطه شيخنا في سنة تسعين من تاريخه بضم أوله وثالثه فيحرر – غرس الدين الكمشبغاوي كمشبغا خازندار صرغتمش المالكي؛ كان أبوه نائب قلعة مصر فولد له هذا وذلك في سنة أربع وثمانين وسبعمائة، ومات أبوه وهو ابن ست في سنة تسعين فحفظ القرآن عند الشرف موسى الدفري المالكي والرسالة لابن أبي زيد واللمع للتلمساني، واشتغل يسيرا وسمع بعض الترغيب للأصفهاني على النجمي البالسي والحلاوي في سنة ثمان وتسعين وأجاز له فيها أبو هريرة بن الذهبي وأبو الخير بن العلائي وأبو العباس بن العز وابن أبي النجم وابن صديق وابنة ابن المنجا وآخرون، وحدث وأسمع شيخنا أبو النعيم عليه ولده ودلني عليه فقرأت عليه جزءا بإجازته من أبي

هريرة قبل أن أقف على مسموعه المشار إليه، وكان خيرا. مات في صفر سنة سبع أو ثمان وستين رحمه الله.

٧٤٦ - خليل بن سعد بن عيسى بن علي القرشي القاهري القاري امام مدرسة آل مالك بالقرب من المشهد الحسيني. ولد بعد الأربعين وسبعمائة تقريبا وعني بالقراءات وسمع على ابن القاري مشيخته تخريج العراقي وعليه وعلى خليل بن طرنطاي صحيح البخاري، وحدث سمع منه الطلبة سمع عليه من شيوخنا الزين رضوان وعبد السلام البغدادي والتقي الشمني والعز الكناني الحنبلي ومن قبلهم الكلوتاتي والكمال الشمني؛ وذكره شيخنا في معجمه فقال أجاز لابني محمد؛ ومات في أوائل سنة تسع عشرة. قلت وهكذا أرخه المقريزي في عقوده ورأيت من قال سبع عشرة وكأنه تحرف فالله أعلم.

٧٤٧ - خليل بن سلامة بن أحمد بن علي الأذرعي القابوني والد شيخنا الزين عبد الرحمن لعله الآتي في ابن عبد الله، وقفت على الموجود من صحيح ابن خزيمة بخطه.." (١)

"" أبو يزيد " بن مراد باك بن أرخان بن أردن علي بن عثمان بن سليمان بن عثمان خوندكار سلطان الروم ويعرف بيلدرم بايزيد وهو التركي البرقي ويكنى به عن الصاعقة، أقيم في ممالك الروم التي كرسيها برصا بعد موت أبيه في سنة ست وتسعين بعهد منه فأربى على سلفه وعمر جامع برصا ورخم ظاهره وباطنه وجعل الماء في سطحه ينزل منه فيجري في عدة أماكن وعمر البيمارستان وأنشأ نحو ثلثمائة غراب وملأها بالأسلحة والأزودة، واشتهر بالجهاد في الكفار حتى صيته وكاتبه الظاهر برقوق وهاداه، وكان يقول لا أخاف من اللنك فكل أحد يساعدني عليه إنما أخاف من ابن عثمان؛ وكان ملكا عادلا عاقلا شفوقا على الرعية كثير الغزو واتسعت مملكته وأمن الناس في بلاده وخفف عنهم المكس بل يقال أنه أبطله إلى أن كان كسره على يد تمرلنك وأسره وأخذ برصا وبعض بلاد الروم وخربها واستمر معه في الأسر حتى مات في ذي القعدة سنة خمس عن نحو خمسين سنة كان تسع سنين منها فالمملكة واضطربت بموته مملكة الروم حتى قام بالأمر ابنه محمد كرشجي ثم مات فاستقر بعده حفيده مراد باك ثم بعد موته وقع الخلف بين أولاده وكلهم من خيار ملوك الدنيا ومن محاسن الزمان وسياج للإسلام قديما وحديثا، وقد طول ابن خطيب الناصرية وغيره ترجمته وكذا شيخنا في حوادث سنة خمس من أنبائه، ويقال إن أصلهم من الحجاز وإن عثمان الأول قدم من المدينة النبوية إلى بلاد قرمان ونزل قونية فارا من غلاء كان بالحجاز والشام واتصل

(١) الضوء اللامع، ١٠٣/٢

ببني قرمان وبأتباع السلطان في سنة نيف وخمسين وستمائة وتزيا بزي أهل قونية فولد له سليمان فسلك طريق أبيه في خدم القرمانية والسلجوقية وعرف بالشجاعة، وتولى بعض الحصون وصارت له أتباع وأعوان كثيرة وخرج عن طاعة المشار إليهم وأخذ في غزو الكفار حتى افتتح عدة حصون وافتتح برصافي حدود الثلاثين وسبعمائة ثم ما يليها وانتشرت عساكره وتزايدت أمواله، ومات عن حفيده أردن علي بن عثمان فملك بعده واستفحل أمره وواصل غزو الكفار أيضا وافتتح عدة حصون تلي خليج قسطنطينية فحسده ملوك الروم وخافوا تسلطه عليهم وكانت ممالكهم منقسمة بين جماعة فكان كل يروم قتاله فيكفه أرباب دولته لعلمهم بعدم مقاومته وربما قاتله بعضهم وانهزم غير مرة، ولا زال ملكه يعظم وجنده يتزايد وهو قائم بنشر العدل في رعيته وبتقريب العلماء والصلحاء إلى أن مات وخلفه ابنه أرخان سالكا طريقته ثم ابنه مراد وكان شجاعا مقداما طوالا أسمر اللون أقنى الأنف ولم يقتصر على ما بيديه بل ركب البحر ولم يركبه أحد من آبائه وغزا ما يقابل كالي بولي فأخذها وهي التي تلي قبلي خليج قسطنطينية ثم أخذ كالي بولي أيضا وفتح أراضي قسطنطينية شيئا بعد شئ وحاصر الفرنج والأفلاق والإنكرس وغيرها حتى أذعنوا لحمل الجزية، وأخذ في إظهار العدل وجعل سائر الأمور معذوقة بقضاة الشرع واستكثر من العساكر إلى أن انتدب لقتاله بعض ملوك الفرنج وسار لحربه في نحو ثلثمائة ألف فلما التقى الجمعان قصد مراد ملك الفرنج بنفسه وحمل عليه بمن معه إلى أن قبض عليه وصارا يتعالجان على فرسيهما والعسكران يتقابلان فألقى الكافر مرادا عن فرسه ووقع عليه وضربه بخنجر كان معه فلم يتمكن منه ثم أخذ يضرب وجهه بما على رأسه من الخوذة حتى أثخن جراحه وأخذت الكافر سيوف أصحاب ابن عثمان فدقته دقا إلى أن تلف وحملوا أميرهم إلى مخيمه وهو يجود بنفسه فأشار بولاية ابنه أبي يزيد صاحب الترجمة من بعده وبإمساك صوجي ابنه الآخر وقتله لأن أمه نصرانية وقد دخل بلاد الكفر مرارا وتنصر ثم بعد مات بعد نحو عشرين سنة فالمملكة واستقر ابنه وقتل الآخر فكان ما أشير إليه من نشر العدل، وقد طول المقريزي في عقوده ترجمة أبي يزيد في نحو نصف كراس والله أعلم.

" أبو يزيد " الأردبيلي شيخ مسجد خان الخليلي في محمد بن أحمد بن محمد بن هلال.

" أبو يزيد " من طرباي الأشرفي برسباي رأس نوبة الجمدارية ووالد حافظ الدين محمد وأحمد الماضيين، مات في ليلة الثلاثاء ثالث عشري ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين وصلى عليه السلطان وغيره من المقدمين وغيرهم من الغد بمصلى المؤمني ثم دفن بتربته من جهة باب الوزير، وكان لا بأس به محبا في العلماء

والصلحاء راغبا في الإطعام والبرالنسبي، وحج غير مرة وكان الأشرف قايتباي يميل إليه ويبجله رحمه الله وإيانا.." (١)

" السجن كأنه مدرسة بكثرة القراءة والصلاة وتفقه عليه جماعة هنالك فلما علم صاحب الحصن خشي منه فأطلقه وله مصنف في الفروع أودعه جملة مستحسنة من الدرر ومن ذريته الفقهاء اليحيويون الآتي ذكر من استحق الذكر منهم مع أهل طبقته

ومنه الوزراء صدر الدولة المؤيدية وكانت وفاته يوم الجمعة لأربع خلون من صفر الكائن سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ولم يذكره ابن سمرة وإنما كتبت إلى بعض الفقهاء في ناحيته من ذريته أستخبره عن من يحققه من أصحابهم فأخبرني بهذا وما ذكرته عنه

ومن بعدان إبراهيم بن الفقيه يعقوب بن أحمد مقدم الذكر تفقه بأبيه وكان زاهدا ورعا ذكره ابن سمرة بذلك

ومن قرية الملحمة وقد ذكرت أبو الخطاب عمر بن محمد بن عمر بن الفقيه أحمد بن الفقيه إبراهيم مقدم الذكر كان فقيها خيرا من ذريته الفقهاء بنو مضمون المعروفون بفقهاء الملحمة

قال الحافظ العرشاني الآتي ذكره أخبرني شيخي يحيى بن محمد عن جده هذا عمر أنه قال كنت بمكة عام كذا وأربعمائة فكنت يوما في الحرم عند القيلولة في شدة الحر وما في المطاف إلا رجل أو رجلان وإذا برجل عليه طمران مشتمل على رأسه أقبل يسير رويدا حتى قرب من الركن الأسود ولا أعلم ما يريد وأنا أنظر إليه فأخرج من تحته معولا وضرب الركن ضربة شديد ة حتى خفقه الخفقة التي فيه ثم رفع يده يريد يضربه ثانيا ليذهبه فابتدره رجل من أهل اليمن ثم من السكاسك كان في الطواف فطعنه **بخنجر** كان معه طعنة عظيمة فأسقطه فأقبل الناس من نواحي المسجد لينظروه فوجدوه وقد مات وهو رومي معه معول عظيم قد حد ليقطع به الركن ثم إن الناس أخرجوه من الحرم وجمعوا له الحطب وأحرقوه بالنار ولم أجد له تاريخا

ومن المشيرق ثم من بني ملامس الأخوان محمد وعلي ابنا أسعد الفقيه بن الفقيه خير بن الإمام يحيى بن عيسى بن ملامس أخذا عن أبيهما وسمعا عليه البخاري من جملة جماعة فمحمد سمعه سنة خمسمائة وعلي سمعه من جملة

---

(١) الضوء اللامع، ٥/٣١٠

". (١)

"اللباس غير مكترث بمداراة الناس يقول الحق ويعمل به راجيا للثواب من ربه وقد ذهب عمره بالتجرد والانفراد ولم يقيد نفسه بقيودالاهل والاولاد وكان رحمه الله نافذ الكلام صاحب القبول التام موقرا عند الملوك والوزراء مقبولا لدى الحكام والامراء بحيث لا يرد له كلام ولا يفوته مرام ولا يعوزه مطلوب سبحان من سخر له القلوب ومنهم المولى شمس الدين احمد ابن الشيخ مصلح الدين المشتهر بمعلم زاده

كان الشيخ مصلح الدين المزبور من المشايخ المقبولة في الدولة العثمانية على ما ذكر مفصلا في الشقائق النعمانية ينتهي نسبه الى قطب العارفين وقدوة الواصلين العمدة المفخم الشيخ إبراهيم بن ادهم قرأ رحمه الله في اوان طلبه على المولى سعد بن عيسى بن امير خان ثم صار معيدا لدرس المولى محيي الدين المشتهر بداية وهو مدرس باحدى المدارس الثمان وكان له عنده رتبة جليلة ومنزلة جزيلة يحكى انه مرض وهو يسكن في بعض الحجرات فعاده المولى المرحوم فيها ثلاث مرات ولما صار ملازما منه درس اولا بمدرسة بايزيد باشا بمدينة بروسه بعشرين ثم بمدرسة واجد باشا بكوتاهيه بخمسة وعشرين ثم بمدرسة القاضي الاسود بتره بثلاثين ثم بالمدرسة **الخنجرية** في بروسه باربعين ثم بالمدرسة المشهورة بمناستر في المدينة المسفورة بخمسين ثم نقل الى مدرسة رودس بالوظيفة المزبورة ثم عاد الى مغنيسا بسبعين ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى قضاء بروسه ثم صار قاضيا بالعسكر في ولاية اناطولي وبقي فيه عدة اشهر فنقل الى قضاء العسكر في ولاية روم ايلي ودام فيه خمس سنين كان بينه وبين عطاء الله معلم السلطان مصاهرة واتصال فحصل له بسببه شوكة العظمة والاقبال فنال ما نال من الامتعة والاموال ولم يقدر احد على المعارضة والسؤال الى ان اشرف المولى عطاء الله جلبي على الموت والانتقال فتحرك عداه واغتنموا الفرصة على اذاه ودب عقاربهم وقام

". (٢)

" وممن تشرفت بنظمه هذه القلادة المولى علي بن عبدالعزيز المشتهر بأم الولد زاده

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ١/٢٧٧

(٢) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/٤٢٥

كان ابوه قد تولى قضاء حلب في الدولة العثمانية على ما هو المذكور في الشقائق النعمانية نشأ رحمه الله متأنقا في رياض المعارف والعلوم ومتدرجا في معارج المنثور والمنظوم فاقتطف من ازاهيرها ابهاها واجتنى من ثمارها الذها واحلاها وسقته شآبيب العلوم زلالها ومدت دوحة المعارف عليه ظلالها وجدد من مباني العلوم ما خلق ودرس وشيد قواعد البيان وأسس ولما صار ملازما من المولى محيي الدين الفناري درس بمدرسة بايزيد باشا في مدينة بروسه بخمسة وعشرين ثم بمدرسة والده بقسطنطينية بثلاثين ثم بمدرسة هراز غراد باربعين ثم بالمدرسة **الخنجرية** في بروسه بخمسة وأربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم انفصل وبقي في شدائد العزل عدة سنين وجرعه الدهر الغشوم بكاسات الغموم والهموم وألبسه ملابس الذل والهوان حتى اضطره الى مضايق الامتحان ونعما قيل ** لا تنكري يا عز ان ذل الفتى ** ذو الاصل واستعلى لئيم المحتد ** ** ان البزاة رؤوسهن عواطل ** والتاج معقود برأس الهدهد **

ثم قلد مدرسة ابي ايوب الانصاري عليه رحمة الباري ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان ثم قلد قضاء حلب فباشره بالعفة والامانة والنزاهة والديانة وقبل ان يقضي منه الوطر غاض منهل عيشه وتكدر ومات بعد عدة اشهر ولم يكمل سنة في شهر محرم سنة احدى وثمانين وتسعمائة كان رحمه الله عالما اديبا وفاضلا لبيبا مبرزا في ميدان الفضل والبراعة حائزا قصبات السبق في مضمار هذه الصناعة حمل الوية العلم والادب بأيدي الهمة والطلب فملك تخوم اسرار كلام العرب وقلد جيد الزمان بخرائد بدائع البيان وقد اثبت من هذه الخرائد ما يزين به صدور الصحف والجرائد في رسالته القلمية يسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه

". (١)

"بقسطنطينية في المدرسة الخاتونية بعشرين ثم مدرسة الامير بخمسة وعشرين ثم مدرسة بنت السلطان بايزيد خان المعروف **بخنجرلي** بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان عليه الرحمة والغفران بأربعين الكل في مدينة بروسه ثم مدرسة علي باشا الجديدة ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بأدرنه ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم نقل الى مدرسة السلطان سليم خان العتيقة ثم الى مدرسة السلطان سليم خان الجديدة توفي مدرسا بها في اول الربيع الاخر سنة تسع وثمانين وتسعمائة كان المرحوم مشاركا في العلوم حديد

---

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/٤٣٠

الذهن قوي المناظرة واسع التقرير كثير التلطف عاريا عن التكلف في الطعام واللباس ومعاملة الناس محبا للصلحاء مترددا الى مجالسهم اللطيفة ومستمدا من انفاسهم الشريفة غير انه كثير الاقتحام في مصالح الفئام باذلا عرضه الخطير في الامر الحقير عامله الله بلطفه الكثير ومن المخاديم الاعيان وخلص ابناء العصر والاوان محمد بن المولى سنان ولد رحمه الله وآثار النجابة في مطالع شمائله ظاهرة وانوار المجد والشرف في طوالع مخايله باهرة ونشأ في روضة المعارف مقتطفا من ازهارها ودوحة العلوم واللطائف مجتنيا من ثمارها حتى استأهل الحضور في مجالس الفحول والصدور فقرا مدة على ابيه وحصل عنده ما يعنيه ثم عكف على التحصيل والاستفادة من المولى احمد المعروف بقاري زاده وبعدبرهة من الزمان صار ملازما من المولى مصلح الدين الشهير ببستان ثم درس بمدرسة داود باشا بأربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى المدرسة المعروفة بخانقاه ثم الى المدرسة الخاصكية ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان خان ثم الى احدى المدارس السليمانية ومات فيها في آخر الربيعين سنة سبع وثمانين وتسعمائة كان رحمه الله مخدوما عظيم الشان باهر البرهان من حدة ذهنه وصفاء فطنته وفرط ذكائه ونقاء قريحته وقوة بحثه وحسن تقريره وتحرير المعضل وتصويره مع الاتساع وطول الباع في العلوم المتداولة كتب رحمه الله

." (١)

"ملك شمائله كزهر رياضها ... ونداه فاض بها كفيض عبابها

أعلى ملوك الصيد من أعلامها ... وأجلها من صفوة ولبابها

غارت بغرة شمس الضحى ... وتنقبت خجلا بثوب ضبابها

والبدر حين بدت أشعتها له ... حسنا تضاءل نوره وخبا بها

لله حضرته التي قد شرفت ... خدامها فسمو بخدمة بابها

فاللثم في يمناه يبلغها المنى ... والمدح في علياه من أسبابها

و تذكرت بقوله رحمه الله تعالى:

أيها الحافظون عهد الوداد ... جددوا أنسنا بباب الجياد

---

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص/٤٩٣

قصيدة أبي المكارم منديل بن آجروم في ذكر فاس المحروسة وباب الفتوح منها وموضع من متنزهاتها ولا شك أن كل واحدة من هاتين القصيدتين تنظر إلى الأخرى وناظماها متعاصران فالله أعلم أيهما أخذ من الآخر على أن الورى مختلف وقد يقال إن ذلك من باب توارد الخواطر.

و نص قصيدة أبن آجروم المذكور:

أيها العارفون قدر الصبوح ... جددوا أنسنا بباب الفتوح

جددوا ثم أنسنا ثم جدوا ... نسرح الطرف من مكان فسيح

حيث شابت مفارق اللوز نورا ... وتساقطن كاللجين الصريح

وبدا منه كل ما أحمر يحكى ... شفقا مزقته أيدي الريح

وكأن الذي تساقط منه ... نقط لحن من دم مسفح

وإذا ما وصلتم للمصلى ... فلتحلوا بموضع التسبيح

وبطيفورها فطوفا لكيما ... تبصروا من ذراه كل سطوح

ولتقيموا هناك لمحة طرف ... لتردوا بها دماء الروح

ثم حطوا رحالكم فوق نهر ... كل في وصفه لسان المديح

فوقحافاته حدائق خضر ... ليس عنها لعاشق من نزوح

وكأن الطيور فيها قيان ... هتفت بين أعجم وفصيح

وهي تدعوكم إلى قبة الجو ... ز هلموا إلى مكان مليح

فيه ما تشتهون من كل نور ... مغلق في الكمام أو مفتوح

وغصون تهيج رقصا متى ما ... سمعت صوت كل طير صدزح

فأجيبوا دعاءها أيها الشر ... باب وخلوا مقال كل نصيح

واجنحوا للمجون فهو جدير ... وخليق من مثلكم بالجنوح

واخلعوا ثم للتصابي عذارا ... إن خلع العذار غير قبيح

وإذا شئتم مكانا سواه ... هو أجلى من ذلكم في الوضوح

فاجمعوا أمركم لنحو أتى ... جاء كالصل من قفار فيح

عطرت جانبيه كف الغوادي ... بشذا عرف زهرها الممنوح

قل لمهيار إن شممت شذاها ... قول مستخير أخي تجريح

أين هذا الشذا الذكي من القي ... صوم والرند والغضا والشيح

حبذا ذلك المهاد مهادا ... بين دان من الربا ونزوح

ثم من ذلك المهاد أفيضوا ... نحو هضب من الهموم مريح

فيه للحسن دوحة وزوايا ... وانشراح لذي فؤاد قريح

وحجار تدعى حجار طبول ... غير أن التطبيل غير صحيح

تنشر الشمس ثم كل غدو ... زعفرانا مبللا بنضوح

وسبو من هناك يسبي عقولا ... ويجلي لحاظ طرف طموح

وعيون بها تقر عيون ... وكلام يأسو كلوم الجريح

فرشت فوقها طنافس زهر ... ليس كالعهن نسجها والمسوح

كلما مر فوقهن طليح ... عاد من حسنهن غير طليح

فانهضوا أيها المحبون مثلي ... لنرى ذات حسنها المملوح

هكذا يربح الزمان وإلا ... كل عيش سواه غير ربيح

نظم ابن خميس

رحمه الله

و من بديع نظمه قصيدة مدح الوزير أبن الحكيم.

قال أبن الخطيب: وهي من مشاهير أمداحه فيه، وكتب بها إليه من المرية، وألم فيها بذكر بلده تلمسان، وما حل بها من البلاء والحصار في ذلك التاريخ من قبل السلطان أبي يعقوب يوسف أبن السلطان المجاهد الكبير أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، نفعنا الله ببركاته، في أهل تلمسان المحصورين فلم يقبل شفاعتهم، فقال الشيخ سيدي أبو زيد كلاما معناه: إن سعادة يقضي هذا ، ورجع الشيخ إلى فاس ، فاتفق هذا العبد كان مع السلطان في الحمام، وكان له عليه حقد، فانتهز فيه الفرصة ووجأه **بخنجر**، فكان في ذلك حتفه، فنفس الله أهل تلمسان بعد حصارها نحو العشر سنين.." (١)

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/٢١٦

٢٤٨/١"

ابن أبي قباحة الزهري؛ قال: حدثني أبو سعيد العقيلي، وكان من ظرفاء الناس، وشعرائهم؛ قال: لما قدم الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي صلى الله عليه وسلم في قباء أسود، ومنطقة؛ فقال له أبو البختري: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه؛ قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عليه قباء ومنطقة محتجزا فيها **بخنجر**؛ فقال: المعافي التيمي.

ويل وعول لأبي البختري ... إذا توافى الناس في المحشر

من قوله الزور وإعلانه ... بالكذب في الناس على جعفر

والله ما جالسه ساعة ... للفقه في بدو ولا محضر

ولا رآه الناس في دهره ... يمر بين القبر والمنبر

يا قاتل الله ابن وهب لقد ... أعلن بالزور وبالمنكر

يزعم أن المصطفى أحمدا ... أتاه جبريل التقي السري

عليه خف وقباء أسود ... محتجزا في الحقو **بالخنجر**

أخبرنا أبو سعيد الحارثي عبد الرحمن بن محمد بن منصور؛ قال:حدثنا عبد الرحمن بن يحيى العذري؛ قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله العمري، الذي كان قاضي المدينة؛ قال: أرسل إلى هارون أمير المؤمنين،." (١)

"وقد ظهر في العراق احتساب الشيخ عبد الكريم على المنكرات؛ حيث إنه سمع رجلا يسب ملة إبراهيم عليه السلام فصكه على وجهه مرة تلو أخرى، حتى اجتمع الناس، وأخذوه إلى الشرطة، فقال الشرطي للدرويش: كم كفا صفعته؟

فقال الرجل: ضربني ثلاثة عشر كفا.

فقال الشرطي: الكف بروبية، فعد الدرويش ما معه ثم قال: هذه ثلاث عشرة روبية، ومعي روبية زائدة أريد بها كفا زيادة!!

فقال الشرطي: لماذا ضربته؟

فقال: سب ملة إبراهيم، وهي ملتي وديني.

---

(١) أخبار القضاة، ٢٤٨/١

فقال الشرطي: خذ فلوسك؛ ليس له شيء عندك؛ لأن سب الأديان ممنوع عندنا ((ومن يتق الله يجعل له مخرجا)) [الطلاق:٢].

ويقال: إنه لما كان في العراق كان الرافضة يلعنون الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في الأذان، وكان الشيخ رحمه الله يسمعهم، فضاق من هذا، فاتفق مع أحد أبناء عمومته على أن يكمن كل واحد منهما عند أحد المساجد ويأخذ **خنجرا**، فإذا أذن مؤذن مسجد الروافض لصلاة الفجر قال أحدهم: أنا أبو بكر وطعن المؤذن، وقال الثاني: أنا عمر وطعن المؤذن.

فكان الذي طعن ساب أبي بكر رضي الله عنه هو الشيخ عبد الكريم، والذي قتل ساب عمر رضي الله عنه هو عبد ربه(١) حتى سحب أمعاء الرجل بيده. فلما حصل ما أراده الشيخ امتنع الروافض عن لعن الشيخين في الأذان.

ثم فرا من العراق إلى الجزيرة العربية بعد هذه الحادثة.

خروجهم من العراق:

---

(١) قال عبد ربه وهو في مرض موته للشيخ عبد الكريم: «رأيت في المنام أن عمر بن الخطاب يكنس لي الطريق، وما أظن هذا إلا من فعلتنا تلك»..." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٦٤ """""""

حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ، ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفي إلا ضربت عنقه ، وإني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة .

وأقبل أبو سعيد بعد إطلاق العباس على جمع الخيل ، وإعداد السلاح ، ونسج الدروع والمغافر ، واتخاذ الإبل ، وإصلاح الرجال ، وضرب السيوف والأسنة ، واتخاذ الروايا والمزاد والقرب ، وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الأعراب من قريته ، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال ، وإصلاح أراضي المزارع وأصول النخل ، وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقدها ، ونصب الأمناء على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقده أن الشاة إذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من

---

(١) أخبار الشيخ الزاهد عبد الكريم الدرويش، ص/١٠

ترسم لهم ، ويدفع الرأس والأكارع والبطن إلى العبيد والإماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله ، ثم يدفعه إلى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ، ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد إلى الدباغ ، ثم إلى خرازى القرب والروايا ، والمزاد ؛ وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفا فأعمل منه ، ثم يجمع ذلك كله إلى خزائن . فكان ذلك دأبه لا يغفله ، ويوجه كل قليل خيلا إلى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت ، وتصير بهم إليه ويستعبدهم ، فزادت بلاده ، وعظمت هيبته في صدور الناس .

وواقع بني ضبة وقائع مشهورة فظفر بهم ، وأخذ منهم خلقا ، وبنى لهم حبسا عظيما جمعهم فيه ، وسده عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فصاحوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهرا ، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى ، ويسيرا بحال الموتى وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فحصاهم وخلاهم فمات أكثرهم .

وكان قد أخذ من عسكر العباس خادما له جعله على طعامه وشرابه ، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا صلاة واحدة ، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره ، فأضمر الخادم قتله ، حتى إذا دخل الحمام معه وكانت الحمام في داره فأعد الخادم خنجرا ماضيا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٤ """""""""

يعتمدون عليه ويرجعون إلى رأيه . فأحضره الوزير ، وفاوضه في أمر اليازوري ، وأخذ رأيه فيما يعمل مع ؛ فأشار عليه بأن يحسن للخليفة أن يقلده القضاء ، ظنا منه أنه إذا تقلد القضاء فإنه يقع في أمر كبير ، ويشغله ذلك عن ملازمة السيدة ، فيجد الوزير سبيلا إلى استخدام ولده مكانه ، ويتقوى له الأمر فيه ، ويملك جهة الخليفة والسيدة . وكان قد تكلم في قاضي القضاة من أيام أبي سعيد ، وذكر أن أمور الناس ناقصة في حكوماته ، وأن له غلمانا قد استحوذوا على الحكم ، وهم الذين يوقفون أمور الناس ؛ فاستخدم أبو سعيد شاهدا يعرف بابن عبدون ، خليفة القاهرة ، وتقدم إلى قاضي القضاة ألا يفصل حكما بين اثنين إلا بحضوره . وضبط ابن عبدون أمر الحكم ضبطا شديدا ؛ وكان الخصوم يجتمعون بباب القاضي والشهود بين يديه ، فلا يمضي حكما إلا في دعوى بين اثنين ، وما يحتاج إليه من إقامة بينة ، أو منازعة أمرأة مع بعل لها في فرض ، وما يجري هذا المجرى . وأما في تثبيت أو قصص مستعجمة الحكم ، وما يحتاج فيه إلى مناظرات ومنازعات فلا يتكلم في شيء من ذلك إلا عند حضور ابن عبدون ؛ وحجج الناس يحتاط عليها في قمطر ، وتحمل بين يدي القاضي ؛ فإذا حضر ابن عبدون أحضرت وفصل الحكم فيما بين

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١/١٦٤

أصحابها . وما زال كذلك حتى حضر إليه خصم في مرات ، فخاف عليه وتشفع إليه بأصدقائه ، فلم يعره فرضة يوما حتى خرج من مجلس قاضي القضاة وركب ، فتقدم إليه وقبل ركابه ، وخضع له وتلطف في أمره ، فلم يلتفت إليه ؛ فعاد إلى من خرج إليه من الشهود وسألهم سؤاله ، فانتهره . فلما أيس منه وثب عليه **بخنجر** وخرق به بطنه ، فخر إلى الأرض ميتا . وأخذ الرجل إلى أبي سعيد ، فنكل به وقطع يديه ورجليه ، وضرب عنقه . ثم استخدم أبو سعيد بعد ابن عبدون القضاعي وابن أبي زكرى وأقامهما خليفتي قاضي القضاة ، وأمرهما بسلوك طريق ابن عبدون في الأحكام ؛ فلم يقوما مقامه ، وكانا يجاملان القاضي ؛ فعاد الأمر إلى ما كان عليه قبل ابن عبدون ، إلا في فصل الأحكام فإنها كانت لا تنفصل إلا بحضورهما . فثقل ذلك على القاضي لاستيلاء غلمانه عليه ، واتهامه أن أمور الناس واقفة ، وأنه لا ينفذ له حكم ولا أمر ولا نهي .." (١)

"(٢) إن وسوست في وجهه فسوة يقل لها يا طيبها نخره وكل زناء يرى بولة ال قحبة في صبحته نشره وكل بنت ما لها عذرة لكن هواها من بني عذره سحاقة قد كلكلت بظرها وما لها في دلكها شعره وكل خمار وفي كفه كأس على عاتقه جره ومن حشيشي سطيل على شاربه قد بقلت خضره ومن بني حام له مزرة صفى لها صاحبه المزره وكل بغاء به أبنة مبادل أبغى من الإبره وكل جلاد على خلوة عمرة هاجت به عميره ومن خيالي ومن مطرب وزامر قد جاء في الزمره فقلت يا إبليس ماذا الذي أسال من مقلتك العبره وما الذي أزعج أشياعك النوكى وإن كانوا ذوي شره فقال لي يا بأبي أنت قد وقعت في مس أخت ما أكره قلت جيوشي ووهى منصبي وعدت لا أمر ولا إمره وأصبح الخمار لا يلتقي في بيته كوزا ولا جره ومنزل المزار صفر وقد علته من ذلته صفره وبات قلي الفار في حسرة وقلبه يقلى على جمره وكاد أن يسطو الحشيشي وأن يجرح **بالخنجر** والشفره ؟." (٣)

"""""""" صفحة رقم ١٦٣ """""""

أقبلت في غلالة زرقاء . . . لازوردية كلون سماء فتأملت في الغلالة ألقى . . . قمر الصيف في ليالي الشتاء ليتني كنت للمليحة عقدا . . . أو لثاما للوجه مثل الرداء أو قميصا من الحرير خفيفا . . . لاصقا

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢/٢٠٤

(٢) ٤٢٩

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق، ٤/٤٢٩

بالفؤاد والأحشاء ضربتني **بخنجر** العشق حتى . . . صرت ملقى مخضبا بدمائي تركتني على الطريق ونادت . . . من يصلي على قتيل هوائي ثم إني لما فرغت من قراءة الأشعار قالت لجاريتها : هات لي بذلة قماش ، ثم غيرت ما كان عليها ، وجلست ثم أمرت بإحضار المائدة وقالت : بسم الله ، كل يا أبا الحسن . فقلت : لا والله لا أكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضي حاجتي . فقال : كان هذا من الأول لكن والله قد وقعت من عيننا برواحك إلى الأمير عمرو قبل مجيئك إلينا . فقلت لها : أنا ما رحت . فقالت : تكون شيخا وتكذب ، أنت ما عبرت عليه ولقيت الطبيب ، وهو يقول له : كيت وكيت ، وجرى لك معه كذا وكذا ، وهذا الكتاب في طي عمامتك وبالأمارة قال لك : إن ردت الجواب أعطيتك ألف دينار وإن لم ترد لي الجواب أعطيتك مائة دينار ؟ فقلت : يا ستي من أعلمك بهذا ؟ فقالت : أليس القائل يقول : قلوب العاشقين لها عيون . . . ترى ما لا يراه الناظرونا وأنا يا شيخ أبا الحسن أعشق منه وأرى أكثر مما يراه . فقلت : صدقت يا مولاتي ، كان ذلك . ثم ناولتها الكتاب ففضته وقرأته ثم إنها مزقته وبصقت عليه ، وداسته ورمته في البركة . فلما رأيت ذلك قلت في نفسي : هذا بذاك وفرض الدين لا بد له من وفاء إلا أني حصل لي بعض غيظ على الألف دينار التي تفوتني ، فنظرت غلي وعرفت مني ذلك فقالت : يا شيخ أبا الحسن مم غيظك ؟ إن كان وعدك بألف دينار ، فبت الليلة عندي وكل واشرب والتذ واطرب ، وخذ لك غدا مني ألف دينار وامض في حفظ الله . فقلت : يا سيدتي يكاد الأمير عمرو أن يموت . فقالت : دعنا من هذا الكلام .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩٥ """""""

جرابي ، وكل ما فيه قماشي وثيابي . فقلت : يا معشر الناس قد اعتراني الوسواس . فقال الناس جميعا : امضوا إلى القاضي ، وكل بحكمه راضي . فدخلنا عليه ، وتمثلنا بين يديه ، فقال القاضي : في أي شيء جئتما ؟ فقال الكردي : نحن خصمان . قال : أيكما المدعي ؟ فتقدم الكردي ، وقال : أيد الله مولانا القاضي هذا الجراب جرابي ، وكل ما فيه قماشي وثيابي ، وقد ضاع ووجدته مع هذا الرجل . فقال القاضي : ومتى ضاع منك ؟ فقال الكردي : ضاع مني بالأمس . فقال القاضي : إن كنت عرفته فصف لي ما فيه . فقال الكردي : إن في جرابي هذا مرودين من لجين ، وأكحالا لعينين ، ومنديلا لليدين ، ومشربتين مذهبتين ، وشمعدانين ومكبتين وطبقين ، وإبريقين ، وصينية وطشتين ، وقدر ودستين ، ومغرفة وملعقتين ،

---

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص/١٦٣

ومسلة ومقلمة وملبتين ، وقعبا وقصعتين ، ومخدة ونطعين ، وجبة وفروتين ، وبقرة وعجلتين ، وعنزا وشاتين ، ونعجة وخروفين ، وقطين أبلقين ، وجملا وناقتين ، وبقرة وثورين ، ولبوة وسبعين ، ودبة وثعلبين ، ومرتبة وسريرين ، وطبقة وقاعتين ، ورواقا ومقعدين ، ومطبخا ببابين ، وجماعة أكراد يشهدون أن الجراب جرابي . فقال القاضي : فما تقول أنت يا علي ؟ فتقدمت يا أمير المؤمنين ، وقد بهتني كلامه فقلت : أعز الله مولانا القاضي ، أنا ما في جرابي إلا دويرة حراب وأخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشبان يلعبون بالكعاب ، وفيه عساكر وأطناب ومدينة بصرى وبغداد ، وقصر كنعان بن شداد ، وكور وحداد ، وشبكة وصياد وعصا وأوتاد ، وبنات وأولاد وألف قواد يشهدون أن الجراب جرابي . فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال : يا سيدي القاضي ، جرابي هذا معروف ، وكل ما فيه موصوف ، في جرابي هذا حصون وقلاع وقرى وضياع وطابق للصراع ووحوش وضباع ورجال يلعبون الطابة والرقاع ، وإن في جرابي هذا حجرة ومهرين وفحلا وحصانين ورمحين طويلين وسبعا وأرنبين ، وسكينا وخنجرين ، وبحرا وخليجين ، وكمرا وجوختين ، وعشاري وموكبين ، وصاري وقريتين ، وكورا ودكانين ، ومنقلة ونردين ، وعجوزا وقحبتين ، وقوادا وشاطرين ومخنثا وعلقين وأعمى وبصيرين وأعرج وكسيحين وعيارا وأزعرين وجامعا ومدرستين وديرا وكنيستين وقسيسا وشماسين وبطركا وراهبين وقاضيا وشاهدين يشهدون أن الجراب جرابي . فقال القاضي : ما تقول أنت يا علي . فبادرت يا أمير المؤمنين ، وقد امتلأت غيظا وزدت في الحمق وقلت : أيد الله مولانا القاضي إن في جرابي هذا زردخانات صفاح ، وخزائن سلاح ، وألف كبش نطاح في عشرين مراح ، وأربعين كلبا نباح ، وبساتين وكروم عنب وتين وتفاح ، وصورا وأشباحا وقناني وأقداحا وعرائس ملاحا ومغاني وأفراحا وهرجا وصياحا وعبدا وفلاحا وأخاه." (١)

"أأنتن أنجم ذا الجو أم ... بروج النجوم جلا بيبكنه؟

ولم أر غيدا سواكن مسن ... فأشبهن في لينهن الأعنه

فضحنن بالكحل أدم الظباء ... وعبتنهن بأجياد كنه

ألستن كنتن قلتن لي ... بأن لا تحولن عن عهدكنه؟

فيا ما أعيذب ألفاظهن ... ويا ما أميلح ألحاظهنه!

إذا رمن ظلما فسلطانهن ... علينا ملاحة أحداقهنه

---

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص/١٩٥

برزن لنا عطرات الجيوب ... بسفح العراق ووادي بونه

فعطرن من ريحهن النسيم ... وأبدين من لوعتي المستكنه

فلله هاتا غداة انقضت ... بطاعتنا وبعصيانهنه

وصهباء تغدو لشرابها ... إذا ابتكروها من الهم جنه

تروح علينا بأقداحها ... حسان حكتهن من نشرهنه

نواعم لا يستطعن النوض ... إذا قمن من ثقل أردافهنه

حسن كحسن ليالي العزيز ... وجئن ببهجة أيامهنه

إمام يضن على عرضه ... ولا يعتريه على المال ضنه

فسل هل غدت قط أمواله ... وأمسين في جوده مطمئة

وسل هل وأت قط أرماحه ... عيون العدا غير زرق الأسنه؟

سحائب كفيه منهلة ... علينا بمعروفه مرجحنه

منعت الخلافة منع الأسود ... إذا ما غضبن لأشبالهنه

وأمضيت عزمك حتى أخفت ... به في بطون النساء الأجنه

كلا راحتيك ندى أو ردى ... كأنك للناس نار وجنه

يليق بك الملك حسنا كما ... تليق المعالي بأربابهنه

وإني وإن كنت نجل المعز ... لعبدك والحق ما لم أجنه

رأى الخير من أضمر الخير فيك ... وكوفئ بالشر من قد أكنه

ورأيت له هذه الأبيات في بعض التعاليق وهي مستوفية لجمل الجمال، وإن كانت من عداد التفاريق:

ما بان عذري فيه حتى عذرا ... ومشى الدجى في خده فتبخترا

همت تقبله عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها خنجرا

قوله: همت تقبله عقارب صدغه، كناية حسنة عن عطفة الصدغ يدل على من انعطافها بحيث دنت من الشفة وكادت تقبله وكأن انعطافها إلى جانب المقبل منه طمأ منها إلى التقبيل. وقلما تتفق مثل هذه الاستعارة من هذا القبيل. عاد الشعر

والله لولا أن يقال: تغيرا ... وصبا وإن كان التصابي أجدرا

لأعدت تفاح الخدود بنفسجا ... لثما، وكافور الترائب عنبرا

أبو القاسم الوزير المغربي

قرأت من رسائل أبي العلاء المعري إليه ما نبهني عليه، وعرفني درجته في البلاغة، واختصاصه من صناعة النظم والنثر بحسن الصياغة وكان يلقب بالكامل ذي الجلالتين. ولم يقع إلي من شعره إلا ما أنشدنيه الأديب مسعود بن أحمد النيسابوري.

قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محمد البغدادي له في غلام يسبح ليعبر:

علمت منطق حاجبيه ... والبين ينشر رايتيه

ولقد أراه في الخليج، يشقه من جانبيه

والنهر مثل السيف وه ... و فرنده في صفحتيه

قلت: هذا لعمري أفضل تشبيه ماله شبيه، وتمثيل هو لمخترعه مجد أثيل:

لا تشربوا من مائه ... أبدا، ولا تردوا عليه

قد دب فيه السحر من ... أجفانه أو مقلتيه

ها قد رضيت من الحيا ... ة بنظرة مني إليه." (١)

"فلا زال للنعمى وللعز والعلا ... وأعداؤه للحبس " والحصر والهصر "

وضم إلى هذه الروضة غديرا، فقال:

أبا قاسم لا زلت فينا عطية ... من الله لا أمست يد الدهر مجذوذه

طبعت على طبع ولا طبع به ... نصول المعاني منه أرهقن مشحوذه

جلوت علينا دمية القصر غادة ... فأضحت بألحاظ البرية مأخوذه

وقد نبذ الناس اليتيمة بعدها ... ولا عجب، إن اليتيمة منبوذه

فخفت عليها العين من كل عاشق ... وقد عبتها كذبا يكون لها عوذه

وثناه الشيخ الإمام أبو عامر الفضل بن إسماعيل بن الفضل التميمي الجرجاني فقال، والقول ما قالت حذام، وكلامه أعذب من ابنة الكرم، شيبت بماء الغمام:

ما دمية القصر إلا روضة أنف ... تحوي محاسن أهل البدو والحضر

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص/١٢

من كل لفظ كنظم الدر مخترع ... وكل معنى كنفث السحر مبتكر

ابقت أسامي في فيها مخلدة ... منقوشة بين سمع الدهر والبصر

فليحسنن من نظام الملك موقعها ... فغنها عصرة من أعظم العصر

يشفى بها كاتب ماتت خواطره ... وشاعر ملكته عقدة الحصر

وهي العرائس لا ترضى لبهجتها ... أن تستباح بلا ألف من البدر

فذاك يدعو عليا أن يشيعها ... بكل باهرة أضوا من القمر

فهو الإمام الذي تندى خواطره ... بكل معجزة تعيا على البشر

وثلثه الأستاذ الإمام يعقوب بن أحمد، وهو المطرز لهذا الكتاب، والحالي لهذه الكعاب:

أغار علي بالكتاب أمله ... وشرفه باسم الوزير أبي علي

عقائل خدر آنسات كأنها ... بدور سماء للنواظر تنجلي

فيا دمية القصر اسحبي ذيل عزة ... وتيمي فقد وشاك ما شاءه علي

ولم يبق في قوس التصنع منزعا ... ولم تخط مرماه صوائب أنصل

فأعين أهل الفضل أضحت قريرة ... به وبعقد منه جد مفصل

فلا زال مولانا، الذي هي باسمه ... تشرف، ذا جاه وعز مؤثل

لينتاش منكوبا ويفتك عانيا ... وينجح حاج المستميح المؤمل

وربعه الغمام أبو الفضل الخيري، وهو الإمام الأصيل، ومن لم يفته فيما يكنى به التحصيل. فقد زويت إليه جملته والتفصيل:

ودمية القصر آتت كاسمها معشوقة المنظر والمخبر

لقد جلاها أوحد العصر في ... معرض حسن رائق أزهر

طرازها من حسن ألفاظه ... وحليها ذكر الوزير السري

أبي علي من علا أمره ... فجاوز العيوق والمشتري

يعتاض حمد الناس من ماله ... أكرم به من رابح مشتر

قد بسط العدل وأحيا الورى ... برأيه النافذ **كالخنجر**

لا زالت الأيام طوعا له ... في دولة تبقى إلى المحشر

وخمسه الشيخ الأديب علي بن أحمد الفنجكردي، فتثبت على ذيل فضله بالخمس، إذ حصل إلي اليوم منه ما لم يكن بالأمس:

أروضة أنف يعتادها بكرا ... عهاد غادية هطالة مصره

فاحت روائحها حتى إذا انتشرت ... دعت إليها نفوسا أصبحت ضجره

ففرجت غمها عنها ببهجتها ... وأودعتها سرورا فانبرت أشره

تحلو العيون إذا أبصرن خضرتها ... لم تشك أجفانها من بعد ذاك مره

أم غادة فردة في الحسن غانية ... فتانة أقبلت في حليها عطره

فرعاء بهكنة خود منعمة ... غيداء خمصانة وهنانة خفره

تبدو قليلا فإن أوليتها نظرا ... عادت على فورها في الخدر مستتره

باهى ابوها بها شمس النهار كما ... باهت بها أمها في ليلها قمره

أم دمية القصر وافت في محاسنها ... تميس في حلل الإعجاز مبتدرة." (١)

"الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الصفدي المعروف بالخالدي الفقيه الأديب الحنفي كان أماما بارعا فقيها مطلعا وكان حسن المطارحة كثير الفنون ولد بصغد وبها نشأ ثم ارتحل إلى القاهرة وأخذ بها عن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي الهنسي العقيلي الشافعي المصري وأجازه بالبخارى في سنة أربع وتسعين وتسعمائة وعن أحمد بن محمد بن شعبان العمرى الحنفي وأجاز له جميع مروياته ومؤلفاته التي من جملتها تشنيف المسع وأجاز له أيضا على بن حسن الشر نيلالي ومحمد بن محيى الدين النحريرى الحنفيان جميع ما يحوز لهما وعنهما وعمر بن منصور الحنفي جميع ما يجوز له والشيخ عبد الله بن بهاء الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن نور الدين الطنبغا التركى الشهير نسبه بالعجمة الشنشورى الغرضي الشافعي الخطيب بالجامع الأزهر سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة بجميع مروياته ومؤلفاته وأجاز له الشيخ على ابن محمد بن علي المعروف بابن غانم الخزرجي المقدسي ثم المصري متن الكنز وسائر كتب الفقه والحديث والتفسير والتاريخ وغيرها في سنة ثلاث وتسعين ومحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكرى الصديقة سبط آل الحسن بجميع ما يجوز له والشيخ ابراهيم العلقمي بجميع مروياته وعبد الرحمن المسيرى الحنفي المعروف بابن الذئب جميع ماله روايته وأبو النجا سالم بن محمد عز الدين بن ناصر

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص/٢٣٧

الدين السنهورى المالكي بجميع مروياته ويحيى القرشي الأسدي الزبيري الشهير بالقارفى الشافعي بالصحيحين وجيمع مروياته ورجع إلى صفد ودرس وافتى وناب في القضاء وألف ومن تآليفه شرح على ألفيه ابن مالك وكتاب في العروض وله رحلة إلى الحج وأخرى إلى بيت المقدس نظما وخمس خمزية إلا بوصيرى وبرأته وله غير ذلك ومن شعره قوله من قصيدة مطلعها

من لى بهيفاء لا أسطيع سلوانا ... عنها وفي دمع عينى عين سلوانا

وكانت وفاته بصفد في سنة أربع وثلاثين وألف ودفن بمصلى العيدين والخالدي نسبة إلى خالد بن الوليد الصحابى رضى الله عنه الشيخ أحمد بن محمد السعدي الحلبي الشهير بابن خليفة التركي أخو الشيخ وفاء خليفة بنى سعد الدين الجباوي ينبحلب آلت غليه الخلافة بعد موت أخيه المذكور فلازم حلقة الذكر بعد صلاة الجمعة في الجامع الكبير بحلب وصبر على مرارة الفاقة وتحمل أحوال المريدين ولازم زاويته لا يخرج إلا للذكر غالبا ويبذل قراه للواردين وكان كلما عمره ازداد خيرا وصلاحا ودينا وفلاحا ولما كان الشيخ عبد الرحيم يذكر بالقرب منه كان إذا قام الفقراء للذكر أخذ الفقراء وأبعد عن فقراء الشيخ عبد الرحيم الخليفة الثاني للسعديين هربا من الجدال والعداوة بخلاف أخيه فإنه كان يقرب من الشيخ عبد الرحيم حكى بعض الثقات العدول من كراماته انه أمر نقيبه أن يأخذ على الحمار حمل حنطة ليطحنها فطلب لنقيب منه عثمانيين لأجل اليسقية قال والله ما معي صبرهم فتوجه النقيب وفم العدل مربوط والحنطة نازلة عند فم العدل وعند عقيه حتى يحصل التعادل فلما وصل إلى اليسقى امتنع من ترك العثمانيين وقطع الحبل المربوط به فم العدل بالخنجر والحنطة متراكمة عند فم العدل فلم يسقط منها حبة واحدة فضج اليسقى بالبكاء وذهب إلى الشيخ تائبا خاضعا معتقدا ووالده شيخ عالم شرح البخارى على أساليب مجالس الوعظ وذكر فيه مسائل حسنة وفوائد نفيسة وله تأليف جمع فيه مناقب شيخه سعد الدين ومناقب أولاده من بعد وكانت وفاته سنة أربع ثلاثين وألف ودفن بزاوية جده رحمه الله تعالى الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمود المعروف بابن الفرفور الفقيه الأديبي الحنفى الدمشقي ذكره البديعى في ذكرى حبيب وقال في حقه هو من ذوى الحسب والعراقه وأرباب اللسن والطلاقه وآباؤه صدور الدروس وزينة الأزمنة والطروس

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم ... بعد الممات جمال الكب والسير

قلت وكان أحمد هذا واسطة قدهم وفذلكة حساب مجدهم كما قال فيه أبو بكر ابن أحمد الجوهرى

أبناء فرفور لقد حازوا العلى ... حتى علوافى المجد هام الغرقد

ورثوا الفضائل كابرا عن كابر ... وكمال ذلك بالشهاب الأحمد." (١)

"شحادة بن إبراهيم الحلبي الشافعي نزيل القاهرة قال بعض الأفاضل في وصفه علامة المعقول والمنقول وشيخ أهل الفروع والأصول ووحيد عصره وعميد مصره وشيخ الجامع الأزهر ومشكاة مصباحه الأنور وليث العلم الذي لا يجارى وغيث الفضل الذي لا يبارى ولد بمصر وبها نشأ وجد في الاشتغال بالعلم حتى بلغ الغاية القصوى وشدت إليه الرحال وأخذ عنه أكابر الرجال وأدار عليه من أبحاثه بسلاف لفظه الرقيق ما يقوم مقام الرحيق ومن شيوخه خاتمة الفقهاء الشهاب أحمد الرملي وخاتمة المحدثين النجم محمد الغيطي وخاتمة المحققين الشهاب أحمد بن قاسم العبادي وغيرهم وعنه أخذ كثير كالشيخ العلامة إبراهيم المأموني والشهاب القليوبي والأديب الفاضل درويش محمد أبو المعالي الطالوي وذكره في سانحاته وأثنى عليه وقدره بين علماء القاهرة ممتاز مسلم ولم يشتهر له تأليف سوى رسالة لطيفة قرظ بها على رسالة في نسب بني طالو لتلميذه أبي المعالي وكانت وفاته يوم الاثنين حادي عشرى جمادى الآخرة سنة عشرة وألف بالقاهرة وقد جاوز الثمانين الأمير شديد بن أحمد الأمير حاكم العرب وهو من آل جبار حكام العرب أبا عن جد يقال إنهم من ذرية جعفر البرمكي ومقام هؤلاء في بلاد سلمية وعانا والحديثة ومن عادتهم أن من استولى منهم على خيمة المال والسلاح يكون حاكما على العرب جميعهم ذلك أن لهم خيمة من الشعر كبيرة جداولها نواطير وحرس بالنوبة في اليوم والليلة وكلها صناديق مقفلة بالأقفال الحديد المحكمة والصناديق مملوءة من الذهب والفضة والجوهر والسلاح وغير ذلك من نفائس الأشياء النفيسة وكان شديد استولى عليها بعد أبيه أحمد وكان ظالما جبارا عنيدا متكبرا خسيسا قبيح المنظر والفعل والوصف غير محسن في شيء من الأشياء ولم يزل حاكما إلى أن مات في سنة ثمان عشرة بعد الألف واتفق في هلكه عجيبة أنه كان في خيمة في بعض صحاري حلب وكان ابن عمه مدلج بن ظاهر معه في الخيمة وكان شديد يلعب بالشطرنج مع بعض أقاربه ولم يكن عنده من إخوته أحد فاختلس مدلج الفرصة في خلو الأمير فناداه وهو يلعب يا شديد يا شديد فقال نعم فما أتم قوله نعم إلا ومدلج قد ضربه **بخنجر** في بطنه خرج من ظهره ولم يحتج في إخراج روحه إلى ضربة أخرى ولقد أرسل الأمير فخر الدين بن معن مكتوبا يخبر فيه عن قتل شديد وقال في مكتوبه إن تاريخ قتله قد اتفق في هذه الكلمات وهي قوله " مدلج قتل شديد ولد أحمد "

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ١/١٨٨

ومن العجب أن والد شديد أحمد كان قتل ظاهرا والد مدلج في بيته وهو ضيف عنده فقدر الله أن ولد المقتول قتل ولد القاتل قلت وهذا ظاهر هو ابن مدلج المترجم في الكواكب السائرة وهو ظاهر بن عساف بن عجل بن مظين بن قدموس كان أمير عرب الشام وله قوة وبطش بحيث يمسك الدرهم من الفضة بأصبعيه ويفركه فيذهب نقشه ويفتت الحنطة بين أصبعيه ومن عجيب أمره أنه دخل عليه ولده قرموش وهو مريض ليقتله فضربه بسيف فقتله وشرب شخص لبنا حليبا وكان بيد امرأة فشكته إليه فاستخبره فأنكر وحلف بحياته أنه لم يشربه فطعنه برمح كان بيده فإذا اللبن خارج من جوفه فأمر المرأة بأخذ بعير من بعرانه عوض لبنها ومات على فراشه وذلك في سنة خمس وأربعين وتسعمائة انتهى." (١)

"المتاع وأكتم هذا السر وقد ورنت عنك لكيوان كذا وكذا فما يسع الرجل إلا أن يدفع إليه المال ويتحمل منته ولم يزل كيوان على تجربة حتى وقع بينه وبين الجند بعد أمور جرت وبقيت الضغينة في قلبه لهم ولما كانت منته الأمير علي بن جانبولاذ تعسين لمحاربته الأمير يوسف بن سيفا كما تقدم ومعه أمراء الشام فبعثوا كيوان إلى أحمد باشا أمير غزة ليأتي به فوافق وصوله موت أمير غزة وكان ابن سيفا والعساكر تلاقوا مع ابن جانبولاذ وكسروا فوصل خبر الكسرة إلى غزة فرجع كيوان منها إلى ابن معن حمله على معاونة ابن جانبولاذ واغتنم الفرصة وما زال بابن معن حتى قوى رأس ابن جانبولاذ على المسير إلى دمشق وانتهاك حرمتها وانتبهوا ما أمكنهم نهبه من خارجها ثم إن السلطان عين الوزير مراد باشا لمقاتلة ابن جانبولاذ فلما وصل إلى حلب قاتله وفتك فيه وفي أعوانه من السكبانية حتى كاد يستأصلهم فذهب أهل الشام إليه للشكاية على ابن معن فتوجع كيوان إلى جانب الوزير وخدعه بمال كثير كان معه من ابن معن فترك الوزير ابن معن واستقر قليلا ثم عاد إلى الفتن ورجع ابن معن إلى التمرد على حكام الشام حتى وليها الحافظ أحمد باشا الوزير فكاتب في شأنه إلى عتبة السلطان فجهز إليه العساكر من أول ولاية أنا طولي إلى أرض دمشق ثم خرج إلى ابن معن فحصل له ولكيوان رعب شديد واقتضى رأيهما آخر إلى أن نزلا البحر ولحقا ببلاد الفرنج واستقرا هناك إلى أن عزل الحافظ عن ولاية الشام فخرج إليه الأمير يونس بن الحرفوش أمير بعلبك وكيوان وتوافقا معه على أن يهدما قلعة الشقيف وقلعة بانياس ويسلما إليه مالا وتعطي البلاد لابنه الأمير على وطلبا الأمان للأمير فخر الدين فجاء من بلاد الفرنج وكان كيوان قد استقر بدمشق فأظهر كثيرا من عمل الخير وسمى نفسه الحاج كيوان وأمسك عن قبول هدية الناس وبقى في انفراده وصدارته إلى أن

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤٥٨/١

تحرك ابن معن على البقاع وخرج لمقاتلته الوزير مصطفى باشا الخناق نائب الشام وكان كيوان ممن سارع إلى ابن معن لمعاونته ولما انكسر عسكر الخناق وقبض ابن معن عليه وقعت الفتنة بين ابن معن وكيوان بسبب ذلك وآل الأمر بينهما إلى أن ضرب ابن ممن كيوان بخنجره في رأسه فقتله وكان قتله في صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وألف ودفن عند باب دمشق من أبواب بعلبك وقيل في تاريخ قتله: وأكتم هذا السر وقد ورنت عنك لكيوان كذا وكذا فما يسع الرجل إلا أن يدفع إليه المال ويتحمل منته ولم يزل كيوان على تجربة حتى وقع بينه وبين الجند بعد أمور جرت وبقيت الضغينة في قلبه لهم ولما كانت منته الأمير علي بن جانبولاذ تعسين لمحاربته الأمير يوسف بن سيفا كما تقدم ومعه أمراء الشام فبعثوا كيوان إلى أحمد باشا أمير غزة ليأتي به فوافق وصوله موت أمير غزة وكان ابن سيفا والعساكر تلاقوا مع ابن جانبولاذ وكسروا فوصل خبر الكسرة إلى غزة فرجع كيوان منها إلى ابن معن حمله على معاونة ابن جانبولاذ واغتنم الفرصة وما زال بابن معن حتى قوى رأس ابن جانبولاذ على المسير إلى دمشق وانتهاك حرمتها وانتبهوا ما أمكنهم نهبه من خارجها ثم إن السلطان عين الوزير مراد باشا لمقاتلة ابن جانبولاذ فلما وصل إلى حلب قاتله وفتك فيه وفي أعوانه من السكبانية حتى كاد يستأصلهم فذهب أهل الشام إليه للشكاية على ابن معن فتوجع كيوان إلى جانب الوزير وخدعه بمال كثير كان معه من ابن معن فترك الوزير ابن معن واستقر قليلا ثم عاد إلى الفتن ورجع ابن معن إلى التمرد على حكام الشام حتى وليها الحافظ أحمد باشا الوزير فكاتب في شأنه إلى عتبة السلطان فجهز إليه العساكر من أول ولاية أنا طولي إلى أرض دمشق ثم خرج إلى ابن معن فحصل له ولكيوان رعب شديد واقتضى رأيهما آخر إلى أن نزلا البحر ولحقا ببلاد الفرنج واستقرا هناك إلى أن عزل الحافظ عن ولاية الشام فخرج إليه الأمير يونس بن الحرفوش أمير بعلبك وكيوان وتوافقا معه على أن يهدما قلعة الشقيف وقلعة بانياس ويسلما إليه مالا وتعطي البلاد لابنه الأمير على وطلبا الأمان للأمير فخر الدين فجاء من بلاد الفرنج وكان كيوان قد استقر بدمشق فأظهر كثيرا من عمل الخير وسمى نفسه الحاج كيوان وأمسك عن قبول هدية الناس وبقى في انفراده وصدارته إلى أن تحرك ابن معن على البقاع وخرج لمقاتلته الوزير مصطفى باشا الخناق نائب الشام وكان كيوان ممن سارع إلى ابن معن لمعاونته ولما انكسر عسكر الخناق وقبض ابن معن عليه وقعت الفتنة بين ابن معن وكيوان بسبب ذلك وآل الأمر بينهما إلى أن ضرب ابن ممن كيوان بخنجره في رأسه فقتله وكان

قتله في صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وألف ودفن عند باب دمشق من أبواب بعلبك وقيل في تاريخ قتله:." (١)

"إذا تذكرت أيامي الألى سلفت ... يسيل من عبراتي السهل والوعر

أيام أنسى التي كان الزمان بها ... في غفلة ليس تدري شانها الغير

وكلما خطرت أمنية قضيت ... ويكمل السعد لما يحصل الوطر

هذا الذي ذكره أنسى الحياة إلى ... أن صرت حيا مع الأموات ادكر

لا الشوق ينسى ولا دهري يعود بما ... قد كان منه وليس القلب يصطبر

لكنها حسرة تبدو لسفك دمي ... بها وإن دما أهل الهوى هدر

منها في المدح:

يكاد بدر الدجى ينمي لطلعته ... لو كان يمشي على وجه الثرى القمر

قضى الإله بأن يفدي بحاسده ... فما له حاسد باق له عمر

والدهر لو أنه ناواه لانقلصت ... ظلاله ورأينا الناس قد حشروا

وله من قصيدة أخرى أولها:

دمت يا مربع الأحبة تندي ... كاسيا بالزهور بردا فبردا

يا له مربعا إذا جاده النو ... ء فساقي الصبوح يقطف وردا

وإذا انساب في جداوله الم ... اء حساما جلى النسيم الفرندا

جنة والغصون في حلل الأزه ... ار حور بها ترنح قدا

وتهادى معاطف البان سكرا ... بتهادي العناق أخذا وردا

وتدير الصبا كؤوس شذا الن ... ور على نعمة البلابل سردا

كيف جزت الطريق جوزا ومن خ ... وفك دمعي بالسيل يسلك سدا

لو رعيت العهود أحسنت لكن ... قلما تحفظ المليحة عهدا

وله من أخرى مطلعها:

صبابة اصطبار يضمرها ... ومهجة لا خليل يعذرها

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣٠٥/٢

ودمعة لا الزفير ينضبها ... وزفرة لا الدموع تضمرها

وعشقة قد أبان أولها ... إن هلاك المحب آخرها

فكل نار إذا علت خمدت ... سوى التي جمره تسعرها

ويح جريح اللحاظ علته ... في الطب حيث الطبيب خنجرها

تبات عين الحبيب ليلته ... كالنجم لكن أبيت أسهرها

لولا الكرى قامت مرنحة ... لم تك أيدي الجفون تهصرها

لي زفرة لم أزل أصعدها ... ودمعة لم أزل أقطرها

ما العشق إلا كالكيمياء أنا ... دون جميع الأنام جابرها

تبسم إن كلمت مشاكلها ... ودر دمعي غدا يناظرها

هيفاء ما الغصن مثل قامتها ... لكن أعطافه أشايرها

أعشق من أجلها الكثيب إذا ... تضم أمثاله مآزرها

وأحسد البدر في محبتها ... فغيره لا يكاد ينظرها

وألثم المسك والعبير عسى ... يكون مما فتت ظفائرها

لله ما في الهوى أعالج من ... لواعج في الهوى أصابرها

يا حبذا خلسة ظفرت بها ... في غفلة للزمان أشكرها

حيث لعهد غدت تمديدا ... لم تدر أسرارها أساورها

يسألها خاطري الوصال ولا ... يجيب عنه إلا خواطرها

ليت ليالي الوصال لو رجعت ... أو ليت قلبي معي فيذكرها

ومن مقطوعاته قوله:

لا تلم من شكا الزمان وإن لم ... تشف شكواه علة المجهود

إنما يحوج الكرام لشكوى ... شوق ما في طباعهم من جود

وله غير ذلك وكانت وفاته في سنة خمس وثمانين وألف والبيلوني تقدم الكلام عليها في ترجمة والده.." (١)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢/٤٩٢

"الصلحاء في منامه شيخ الإسلام صنع الله بن جعفر وهو يأمره بقراءة هذا الدعاء وهو اللهم قو قلوب المؤمنين بقوة الكرام البرزه وألق الرعب في قلوب الكفرة الفجرة فشاع هذا الدعاء وداوم على قراءته الناس فظهر أثره ولله الحمد وفي عاشوراء محرم سنة عشر ورد خبر وفاة الوزير الأعظم إبراهيم باشا فصير حسن باشا اليمشجي مكانه وسافر على وجه السرعة إلى بلغراد وصار خليل باشا قائما مقامه وفي هذه السنة استولت النصارى على استون بلغراد وصار وكثرت الجلالية والزرب بدار السلطنة وبالغوافي التعدي والشقاوة فاجتمع العلماء وذهبوا إلى خليل باشا القائم مقام وأقاموا النكير عليه وذكروه ما يفعله القوم من خرق حرمة الشرع فعرض ما قالوه على السلطان فكان جوابه لكل شيء وقت وزمان وفي أوائل ذي القعدة عزل خليل باشا الساعتجي مكانه وفي أوائل جمادى الأولى من سنة إحدى عشرة قتل عبد الرحمن المعروف بصارى عبد الرحمن مدرس مدرسة بهرام كتخدا وقد ثبت أنه ملحد زنديق وفي عشرة رحب اجتمع العسكر وطلبوا عزل الساعتجي فعزل وصير مكانه محمود باشا وفيه اجتمع السباهية وطلبوا أن يرتب السلطان ديوانا يحضر فيه أعيان العلماء ليعرضوا على السلطان بعض أمور بالمشافهة فجمع إليه السلطان المفتي صنع الله والقائم مقام وقاضي العسكر ونحو ثلاثين مدرسا وعالما ثم دخل من السباهية حسين خليفة وبويراز عثمان وكاتب حزي وذكروا أن رؤوس العساكر خلت منهم بلادنا طولى فكان ذلك سببا لاتصال الطغاة بهذه البلاد وما ذاك إلا من إهمال وكلاء الدولة ومسامحة المقربين للسلطنة فظن السلطان أنهم يعنون الساعتجي والطرنقجي فأمر بإحضارهما فأظهر القوم براءة ذمتهما أحالوا الأمر على غضنفر آغا حافظ الباب السلطاني وعثمان آغا ضابط الحرم فأمر السلطان بقتلهما فقتلا وفي هذه السنة استرد اليمشجي قلعة استونلي بلغراد وقدم إلى مقر الملك فلما وصل إلى قريب من قسطنطينية أعمل عليه محمود باشا حيلة أدت إلى تحريك الأشقياء وطغيانهم وذلك أنه استفتى المفتي فيه بنسبة التقصير في أمر المسلمين وسوء التدبير في أمر الحرب وأعطى الفتيا للسباهية فبلغ الوزير الخبر فأسرع في الدخول إلى داره وفي ثاني يوم اجتمع إليه العسكر واختفى المفتي صنع الله ومحمود باشا ووجد في مجلسه أبو الميامن فوجهت إليه مشيخة الإسلام ثم اقتضى الرأي أن يوجه ضابط الجند إلى السباهية وكانوا مجتمعين بآت ميدان فهجم عليهم وفرق جمعهم ثم استحضر منهم بويراز عثمان واكوز محمود به كور رضوان بعد تفتيش بليغ فقتلوا في حضرة السلطان وفي أواخر ذي الحجة سنة إحدى عشرة بلغ السلطان عن ولده محمود وهو أكبر أولاده بعض أمور تتعلق بالملك فأحضره وقال له مالك تدخل في أمور الملك فأجابه بجواب ما أرضاه فضربه **بخنجر** فقتله وكان عمره نحو ثمان

عشرة سنة ثم ندم على ذلك الندم الكلي وفي سنة اثنتي عشرة عين الوزير اليمشجي وزراء كثيرين وأمراء للمافظة وتلافى أمر الطغاة بالصلح وانتقم من أعدائه وظهر له أنه أستقل بأمر الملك فتمرد وأجحف وكثر شاكو ظلمه وفساده فعز له السلطان في سلخ ربيع الآخر وصير ياوز علي باشا مكانه ومحمد باشا الجراح قائما مقام الوزير وفي هذه الأثناء أعطى ضابط الجند قاسم باشا رتبة الوزارة وفي أوائل جمادى الأولى طلب الجند إعادة اليمشجي إلى الوزارة فغضب السلطان من جراءتهم في الطلب فأرسل إلى اليمشجي من قتله وكان ببستانه المعروف في قصبة سوليجه وفي خامس عشرة جمادى الآخرة عزل الجراح لمرض كان اعتراه وصير مكانه قاسم باشا وفي سلخ هذا الشهر ورد من محافظ عجوان أمير باشا كتاب يذكر فيه أن شاه العجم نقض عقد الصلح واستأجر محافظ تبريز واضطرب أمر المسلمين فضمت تبريز إلى وان واعتبر وزارة ووجهتا لكافل حلب نصوح باشا مع ضم السردارية وفي ذلك الأثناء ورد من حسن باشا الساعتجي كتاب يذكر فيه أن الأمر مقتض لعسكر يرسل إلى تبريز فعين السلطان عسكرا جرارا وأردف بهم نصوح باشا إلى هنا انتهت الوقائع الصادرة في زمن السلطان محمد وقد ذكرنا تتمتها في ترجمة ابنه السلطان أحمد وكانت ولادته في الليلة السابعة من ذي القعدة سنة أربع وسبعين وتسعمائة وتوفي يوم الأحد سابع عشر رجب سنة اثنتي عشرة بعد الألف وحكى ابن نوعي أنه وقع له في ثاني عشرة جمادى الأولى وكان متوجها إلى دار سعادته فاستقبله شخص." (١)

"وإنما ذكرت رجال هذه الطريقة على التفصيل لكونها خاصة بهذا البيت ويتعلق بالمقام فائدة جليلة في لبس الخرقة التي تقدم ذكرها وهي ما قال الصلاح إن من القرب لبس الخرقة التي تقدم ذكرها وهي ما قال الصلاح أن من القرب لبس الخرقة وقد استخرج لها بعض المشايخ أصلا من السنة وهي حديث أم خالد قالت أتى النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال ائتوني بأم خالد فأتى بي قالت فالبسنيها بيده وقال ابلي وأخلقي وهو مخرج في الصحيح قال ولي في الخرقة إسناد عال جدا وذكره ثم قال وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة غير متصل إلى منتهاه على شرط أصحاب الحديث في الأسانيد فإن المراد ما تحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من الصالحين انتهى يوسف بن عبد الملك البغدادي الدمشقي المعروف بالحمار كان أحد الأعاجيب في حسن العشرة ومخالطة الناس وسعة الرواية في الأخبار والنوادر وكان وجيها كبير العمة أبيض اللحية وصرف عمره في الطلب والقراءة وحضور

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٦٤/٣

دروس العلم ولزم الشيخ رمضان العكاري والشيخ عبد الباقي الحنبلي وغيرهما إلا أنه لم يحصل شيئا إلا القليل لغباوة كانت فيه ولهذا لقب بالحمار وإنما ذكرته لأن كثيرا من الأدباء كانوا يعرضون به في بعض أشعارهم ويبنون على لقبه أشياء وكانت وفاته ليلة الأربعاء سابع عشري شهر رمضان سنة تسع وستين وألف وخلف مالا كثيرا وقال الأمير منجك في التعريض به

قيل عاشت بموته وارثوه ... حيث كانوا من فقرهم في اكتئاب

قلت لا بدع قد سمعنا قديما ... يوم موت الحمار عيد الكلاب

يوسف بن عمران الحلبي الشاعر المشهور قال الخفاجي في ترجمته أديب نظم ونثر فأصبح ذكره جمال الكتب والسير إلا أنه لعبت به أيدي النوى رحلة ونقله فجعل الآمال على كؤوس الآداب نقله وهو لعمري أديب أريب ما له في ضروب النظم ضريب وحاله غير محتاج لدليل أنى ولا لمى فإنه كما عرفت الشاعر الأمي كما قيل

أصبحت بين الناس أعجوبة ... بين ذوي المعقول والفهم

حموي جدي فاعجبوا وانظروا ... عمي خالي وأبي أمي

وفي آخر عمره داسته أقدام النوب وأدركته حرفة الأدب فصبر على الأيام المكدرة إلى أن صفت وعلى الليالي الجائرة فما أنصفت وقال السيد أحمد ابن النقيب الحلبي في حقه هو أحد المشهورين بهذه الصناعة والمتعيشين بكسب هذه البضاعة وكان في أول أمره ذا تجارة ومال ونباهة وحسن حال فقارن الأدباء من أبناء عصره وتشبث بأذيالهم وقصد أن ينخرط في سلكهم وينسج على منوالهم فنثر ونظم واستسمن كل ذي ورم وأقام على ذلك مدة مديدة بحلب إلى أن أدركته بها حرفة الأدب فطاف بلاد الشام والقاهرة المعزية ثم توجه إلى دار السلطنة السنية وامتدح أكابر علمائها وانتجع ندى رؤسائها ومن شعره

قولوا لمن بهزال الفقر يذكرني ... ظننت أنك في أمن من المحن

فالشاة يؤكل منها اللحم إن عجفت ... وليس يؤكل لحم الكلب بالسمن

وقد جمع ديوانا من شعره كتب عليه بعض الشعراء

لشعر يوسف بحر في تموجه ... يهدي لافها منار وحاور يحانا

ذو منطق ساحر مطر وذا عجب ... للسحر ينشئه وهو ابن عمرانا

ومن منتخبات أشعاره قوله

غصن تمايل في قباء أخضر ... بين الكثيب وبين بدر نير

ريم أحم المقلتين إذا رنا ... فتن الأنام بسحر طرف أحور

يسطو علي بأبيض من أسود ... ومن القوام إذ أثناه بأسمر

سلب النهى منه بقوسي حاجب ... إذ حل صبري عقد بند **الخنجر**

ومنها في المدح

يعطي الكثير عفاته ويظنه ... نزرا فيشفعه حيا بالأكثر

لما أراني جعفرا من جوده ... فأريته شعر الوليد البحتري

وله

جاءت تهز قوامها الأملودا ... حسناء ألبسها الجمال برودا

حورية في الليل إن هي أسفرت ... خرت لطلعتها البدور سجودا

لم يكفها تحكي الغزالة طلعة ... حتى حكتها مقلتين وجيدا

لعساء باردة اللمى وجناتها ... كالجمر أحرقت الفؤاد وقودا." (١)

"وإن هم قد جنوا عمدا وجهلا ... وما راعوا وما طلبوا اعتذارا

فإن البدر لا يشنيه شيء ... من العجما صباحا أو جؤارا

وأنت على أذاهم ذو اقتدار ... على أن لا تسامي أو تباري

فطب نفسا فكلهم ذليل ... لعزتك اختيارا واضطرارا

وللسيد المذكور أيضا

ومالي والهم الذي أنا حامل ... ولي صلة من لطف ربي وعائد

إذا عادة الله التي أنا آلف ... تذكرتها هانت علي الشدائد

فلا تتقي هولا وارهب طارفا ... ولي ثقة بالله ما قام عابد

وأنشدني صاحبنا الشيخ أحمد الجوهري له قال كتب إلي وقد طلبت منه شرح النهج لابن أبي الحديد في بيتين من الشعر

أتاني نظمك المنضود يمشي ... من الاحسان في ثوب جديد

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢٤٦/٣

ووافى جوهري اللفظ لطفا ... ومعنى صيغ من در نضيد

سمحت بذاك وهو أجل قدرا ... لأن يأتيك بابن أبي الحديد

ربحنا في التجارة وارتضينا ... لطيف الدر عن ثقل الحديد

قال فراجعته بقولي

أخا الهيجاء ذا الرأي السديد ... غياث الملتجي مأوى الطريد

طويل الباع في كسب المعالي ... بسيط الفضل كالبحر المديد

أتاني منك نظم فوق طرس ... كدر زان في نجر وجيد

فما أبصرت بيتا منه إلا ... وقلت بأنه بيت القصيد

فشعرك يعجز الشعراء عنه ... ونثرك مخجل لابن العميد

وقد حزت المعاني كالمعالي ... وقت بها على جمع عديد

فلا زالت بك الأيام تزهو ... وجاهك كل يوم في مزيد

قال وكتب أيضا

صوغ القريض على اختلاف رجاله ... ما بين حصبا لا تعد وجوهر

وإذا أردت بأن تفوز بدرة ... نظما فخذه من صحاح الجوهري

السيد محمد بن أحمد

بن الامام حاكم بندر المخا سابقا

رأيت منسوبا إليه في بعض الدفاتر بيتين دلا على إن حسام أدبه مرهف باتر وهما قوله

شبهت نرجسة وافى إلي بها ... خلي وقد جئت في التشبيه بالعجب

كف من الفضة البيضاء ساعدها ... زمرد حملت كأسا من الذهب

قلت حق له التصديق ووجب ... فقد جاء في التشبيه بالعجب

السيد إسمعيل بن إبراهيم الحجاف

كتب إلى السيد زيد بن علي المقدم الذكر قوله

يا غائبين وفي قلبي محلهم ... وعاتبين لبعد العهد بالكتب

وصفي لشوقي محال أن أسطره ... فالشوق نار وأقلامي من القصب

فأجابه الشيخ أحمد الجوهري عن ذلك

الشوق نار له الأقلام عاجزة ... عن أن تسطره في الصحف والكتب

لكن معجز قلبي قد أثار هوى ... مؤلفا بين نار الشوق والقصب

السيد محمد بن عبد القادر

المقاطعجي اليمني

أحد سحرة القريض. ومقتطفي نور روضه الأريض. نطق عن لسان الاحسان. ونثر من البلاغة رفرفها الخضر وعبقريها الحسان. إلى مجد ونسب. ومنطق يملك الأسماع إذا مدح أو نسب. وله ديوان يشتمل على غرر وقلائد. وفرائد تحسدها عقود الولائد وقفت عليه فاخترت منه قوله من قصيدة يمتدح بها السيد الحسن بن الامام القاسم أخا الامام محمد المؤيد ملك اليمن ويهنيه بعيد الفطر أولها

ألام هلال لاح أم نون حاجب ... بدا بجبين الأفق في ليلة الفطر

أم العيد من صافي اللجين **بخنجر** ... تمنطق أم سيفا تقلد من تبر

أقوس لملك الغرب صيغ بعسجد ... وعلق موتورا على قصره الدري

أم الكأس ساقي القوم ليلا أدارها ... ليسقى النداما قهوة العيد كالخمر

أشكل سوار ذاك أم شق دملج ... بساعد ليلي بأن في غرة الشهر

أم الغادة الحسناء خلخال ساقها ... ابانته للعشاق من كوة القصر

توهمت ليس الأمر ما قد ذكرته ... وشبهت والتشبيه يحسن في الشعر." (١)

"وما هو إلا هيكل في قلادة ... على طوق ملك قلد الملك بالفخر

هو السيد المعروف معروف جوده ... ومن كفه بالغيث تزري وبالبحر

هو الحسن الأخلاق والأسم من سما ... بهمته قدرا على فلك النسر

هزبر الوغى ليث الشري ضيغم العدى ... مؤيد أعلام المؤيد بالنصر

خضم الندى من في أكف عطائه ... زمام الغني المغني لراجيه باليسر

أتحسب إن السحب يمطر صيبا ... وإن بطون البحر تقذف بالدر

وما ذاك إلا أن نائل جوده ... أنال سحاب الغيث فانهل بالقطر

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/٢٦٤

وما الدر إلا أن نيسان كفه ... حشا البحر حتى عاد فيضا إلى البر

وما أحمر شفاف اليواقيت مشرقا ... فأصبح منظوم العقود على النحر

ولكنه من نار غيظ حيائه ... توقد حتى صار في شعلة الجمر

وما انفتحت أكمام روض وعطرت ... بنفحتها الآفاق بالنور والزهر

ولكنه أخلاقه الغر أثرت ... وفيها سرت طيبا ففاح شدي النشر

وما غردت في الأيك يوما حمامة ... ولا ناح من شوق به صادح القمري

ولكنها تدعو الإله تضرعا ... ليبقى له ملك الولاية في القطر

وما اكتسب البدر المنير ضياءه ... من الشمس لما لاح في ليلة البدر

ولكن لاحت من محياه لمعة ... فعمته بالأنوار في عالم الأمر

وما البرق إلا لمحة من حسامه ... إذا شمته في الجو يلمع أو يسري

ولا ساعقات الجو إلا قواطع ... بأحكامه ان نقدتها يد القهر

وقائعه تنبي اللبيب بشأنه ... وأخباره تهدي التحير للفكر

هذا ما وقع عليه الاختيار منها وقد شبه الهلال في أولها بعشرة أشياء قال الصفدي وقد جمع بعض الأفاضل في أولها تشبيه الهلال ما يقارب السبعين قلت وجمع الشيخ جمال الدين بن نباتة جملة منها في قصيدته الرائية التي مدح بها الملك المؤيد صاحب حماه التي أولها قوله

يا شاهر اللحظ حبي فيك مشهور ... وكاسر الجفن قلبي منك مكسور

فإنه هناه فيها بعيد الفطر واستطرد فيها إلى تشبيه الهلال فقال

كان شكل هلال العيد في يده ... قوس على مهج الأعداء موتور

أو مخلب مده نسر السوء لهم ... فكل طائر قلب منه مذعور

أو منجل لحصاد الصوم منعطف ... أو خنجر مرهف الحدين مطرور

أو فصل تبر أجادت في هديته ... إلى جواد ابن أيوب المقادير

أو راكع الظهر شكرا في الظلام إلى ... من فضله في السماء والأرض مشكور

أو زورق جاء فيه العيد منحدرا ... حيث الدجى كعباب البحر مسجور

أولا فقل شفة للكأس مائلة ... تذكر العيش إن العيش مذكور

أولا فنصف سوار قام يطرحه ... كف الدجى حين عمته التباشير

أولا فقطعة قيد فك عن بشر ... أخنى الظلام عليه فهو مأسور

أولا فمن رمضان النون قد سقطت ... لما مضى وهو من شوال محصور

وزاد على ذلك فخر الدين بن مكانس في ارجوزته المشهورة التي سماها عمدة الحرفا. وقدوة الظرفا. فقال يصف ليلة أنس

يا طيبها من ليلة لو أنها طويلة ... ساعاتها قصار وكلها أنوار

بدا بها الهلال يزينها الجمال ... من جانب الغمامه كالحب في العمامه

ولمعة السراج والصدع في الزجاج ... وجانب المرآة والنصل في الفلاة

أو كشفاه الأكوس والحاجب المقوس ... قلت له حين وفا ورق لي وانعطفا

كغصن بان أعوج والفخ أو كالدملج ... معوجا كالنون وهيئة العرجون

يشبه طوق الدره في الصحو بين الخضره ... يا صفوة الأقمار يا مبدأ الأنوار." (١)

"كل ما غنى الهوى لي أرقص القلب وأطرب ... وغدا يسقيه كاسات صبابات فيشرب

فالذي يطمع في سلب هوى قلبي أشعب ... قلت للمحبوب حتام الهوى للقلب ينهب

وبميدان الصبا واللهوساء أنت تلعب ... قال ما ذنبي إذا شاهدت نار الخد تلهب

فهوى قلبك فيها ذاهبا في كل مذهب ... قلت هب أن الهوى هب فألقاه يهب هب

أفلا تنقذ من يه ... واك من نار تلهب

وقوله

طال في الحب غرامي إذ رمى المهجة رامي ... فأصاب القلب مجروحا بمسموم السهام

والهوى فوقي وتحتي وورائي وأمامي ... ويميني ويساري وهو لا شك أمامي

قايدا قلبي إلى نار هوان وهيام ... قلت للمحبوب حتام نيران الغرام

من ضريع الشوق والأحزان أكلي وطعامي ... وشرابي من حميم الهجر أغرى بي حمامي

لا تغنى في أراك الوصل في وقت حمامي ... قال قف واصبر على بلوى الهوى صبر الكرام

فعسى تحظى بجنا ... ت وصالي وسلامي

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/٢٦٥

ومن موشحاته الفايقة

قل لأهل العذل لو وجدوا ... من رسيس الحب ما نجد

أوقدوا في كل جارحة ... زفرة في القلب تتقد

فاسعد الهايم. أيها اللايم ... فالهوى حاكم. إن عصى أحد

أو أراد القلب أن يردد ... سنة العشاق أو يبعد

قال سلطان الغرام اعبد ... خاضعا واسجد كما سجدوا

فاتركن الصب. دمعه ينصب ... فالهوى بالقلب يتحد

فاعذرن إن كنت لا تسعد ... لو تهم العين إن ترقد

صاح ناطور الهيام اقعد ... ساير العشاق ما رقدوا

فاتبع الزفره. وكف العبره ... لا تدع قطره. ليها الكمد

واترك الأقوال والأهوا ... وانتظم في سلك من تهوى

ظاميا في الحب لن تروى ... واردا في العشق ما وردوا

واقض بالحسره دايم الفكره ... واجهد القدره كلما جهدوا

واصطبر للضرب من بتار ... طرف ريم أدعج سحار

واصطبر للطعن من خطار ... مايس ما شانه أود

والحط الجؤذر قد نضا **الخنجر** ... طرفه الأحور حوله الأسد

بينما المجروح بسهام قد ... قلبه المفرى من قناة القد

راح مطعونا وإن يجحد ... فيه من كل الورى شهدوا

ها أنا القايل طرفه الذابل ... بل ومن ذابل قده عمدوا

فاسقني خمر الهوى يا ريم ... وادخلن في جنة النعيم

عاشقا من شانه التسليم ... وهو للعشاق مستند

مغرم يروى من حر جوى ... علم الأهوا كل من يرد

بجرود ذاخر لجي ... يغرق العشاق لا ينجي

مظلما من نوره الزنجي ... تبصر الأمواج ترتعد

قاتم الأعماق سفنه الأشواق ... تحمل العشاق تطرد

كم بها من صايح باكي ... يشتكي من لحظ فتاك

ظالم لا يرحم الشاكي ... قلبه مستجمد صلد

معجب مختال فإنك قتال ... حامل عسال لا يجد

غير طعن في حشا الناظر ... بعد ضرب الصارم الباتر

من غرير ساهر ماهر ... ما نجا من سحره أحد

كم وكم تيم. بل وكم هيم ... عاشقا مغرم شفه الكمد

كلما هاجت لظى الأشواق ... واعتدى في دمعه المهراق

سابحا في بحره الدقاق ... صاح يا سبوح يا صمد

سكن الحسره واحبس العبره ... وادفع العسره ما بقى جلد." (١)

"قال العلامة المسعودي في المروج: يقال: إن هذا الاسم - يعني الهند - مأخوذ من التهنيد، وهو لغة: سلب العقل من المحبة والعشق والهوى، قد هندته النساء؛ فهو مهند، أي: سلبته عقله؛ ولذلك كثر في النساء اسم هند. ثم استطرد فقال: ويقال: إن أهل بلد الهند أكثر البلدان جهلا بالدين، وأصحها عقلا في أمور الدنيا؛ مثل الحساب والصنائع، وهم ابتدعوا الجبر والمقابلة، ونصبوا الأحرف التسعة، ومنهم صصه واضع الشطرنج، وقصة تمنيه على الملك في مقابلة وضعه له بالتضعيف أعجب من وضعه.

قلت: في ذكرى ورود حديث فيها هو: الهند بلاد الغفلة عن ذكر الله، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

قال المسعودي: ويحكى أن الزنى والفساد ببلد الهند أكثر منه من كل بلد من بلدان الدنيا؛ لقول الفلاسفة: إن شهوة النكاح إنما تكون أكثرها فيما يقطعه الخاتن والخافضة من ذكر الغلام وفرج الجارية، فلما كانت الهند لا تستعمل لا في الذكر ولا في الأنثى، كثر عندهم الزنى؛ لكثرة الشبق في الرجال والنساء؛ للعلة المذكورة، وكذلك كل بلد حاله في ترك الختان حال الهند.

وليس في الهند شيء من النخل ولا من الكرم، ولا يعرفونهما إلا بالوصف أو يجلب إليها.

ومن جهل أهل الهند: أن أحدهم يبيع رأس نفسه فيقطعه بيده على أن يعود حيا بعد ثلاثة أيام، ومن ذلك: أن أحدهم يطرح نفسه في النار بحضرة أبيه وأخيه وابنه وأقاربه؛ فلا يمنعه منهم أحد ويغبطونه على ذلك

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/٣٠٦

ويحمدونه، وعجائب من مثل هذه الأفعال تأباها البهائم، وتفر إلى الحياة خوفا من الموت؛ ذكر هذا أبو الفتح أحمد بن المطرف في كتاب الترتيب.

قلت: ورأيت في مروج الذهب ما نصه: الهند تعذب أنفسها بالنار، وقد تيقنت أن ما ينالها من النعيم في المستقبل مؤجلا هو ما أسلفته وعذبت به أنفسها في هذه الدار معجلا. ومنهم من يسير إلى الملك فيستأذنه في إحراقه نفسه، ثم يدار به في الأسواق، وقد أججت له نار عظيمة، وقد وكل بها ناس لإيقادها، فيسير في الأسواق والشوارع قدامه الطبول والصنوج، وعلى بدنه أنواع من الحرير قد مزقها على جسده، وحوله إخوته وقرابته وأهله، وعلى رأسه إكليل من الريحان، وقد قشر جلدة رأسه العليا، وقد وضع مكانها الجمر، وقد عمل عليه الكبريت والسندروس، فيسير وهامته تحترق وروائح دماغه تفوح، وهو يتبختر ويمضغ التنبل وحب الفوفل إلى أن ينتهي على تلك الحالة إلى النار، وقد صارت كالتل العظيم.

قال: ولقد حضرت ببلاد من الهند يقال لها: صيمور، فرأيت فتى من فتيانهم وقد طيف به على ما ذكرنا، فلما دنا من النار، أخذ **الخنجر** فوضعه على فؤاده فشقه، ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده، فجذب منها قطعة وهو يتكلم، قم قطعها **بالخنجر**، ودفعها إلى بعض إخوانه تهاونا بالموت – ولذة بالنقلة، ثم أهوى بنفسه في النار، فسبحان مقسم العقول، لا إله غيره.

أقول: ذكرت بقول المسعودي الهند تعذب أنفسها... إلى آخر ما ذكره قول القاضي ناصح الدين أبي بكر أحمد بن الأرجاني قاضي تستر الشاعر المشهور في وصف الشمعة حيث يقول: من البسيط

صفراء هندية في اللون إن نعتت ... والقد والدين إن أتممت تشبيها

فالهند تقتل بالنيران أنفسها ... وعندها أنها إذ ذاك تحييها

وهذان البيتان له من قصيدة يمدح بها قاضي القضاة بفارس طاهر بن محمد، صدرها بوصف الشمعة بما لم يسبق إلى مثله في سالف الأعصار، ولم يشق له إلى غابر الزمن غبار، وهي طويلة مشهورة.

قال: ومن قلة عقولهم وسفاهة أحلامهم المغالاة في اللعب بالشطرنج بما فيه ذهاب المال؛ بل النفس، والأغلب على استعمالهم اتخاذه من العاج يجعلون كل قطعة كالشبر في عرض ذلك، وإذا لعبوا بها، قام الواحد على قومه، والأغلب عليهم في اللعب القمار على الثياب والمال والجواهر، وربما نفد ما عنده أحدهم؛ فيلعب على قطع عضو من أعضائه، ويجعل في جانبه قدرا صغيرا من النحاس على نار فحم فيها دهن لحم أحمر؛ فيغلي ذلك الدهن وهو دهن مدمل للجرح ماسك للدم، فإذا قمر وقطعت أعضاؤه واحدا

بعد واحد، غمس يده في ذلك الدهن فاندمل، ثم عاد إلى اللعب، وربما توجه عليه اللعب في قطع جميع أصابعه وكفه وذراعه وزنده، وكل ذلك يستعمل له الكي بذلك الدهن، وهو دهن أحمر عجيب يعمل من أخلاط وعقاقير بأرض الهند، قال: وما ذكرناه عنهم مستفيض عن فعلهم.." (١)

"وعبد الله بن رواحة في ثلاثين رجلا إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر، فقتل، وقتل معه نحو الثلاثين.

وكرز بن جابر في عشرين رجلا إلى العرنيين الذين اجتووا المدينة، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يشربوا من لقاحه ويتداووا، فلما أصبحوا، قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم يسارا النوبي، واستاقوا اللقاح، فأتى بهم فقطع أيديهم وسمل أعينهم وكانوا ثمانية، ونزل: " إنما جزؤوا الذين يحاربون الله ررسوله... " الآية المائدة: ٣٣.

وعمرو بن أمية الضمري، انظر ومعه سلمة بن أسلم؛ ليصادفا غرة من أبي سفيان بن حرب، فيقتلاه، ففطن لذلك وهرب.

وسبب ذلك: أن أبا سفيان أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من يقتله غدرا، فأقبل الرسول ومعه **خنجر** ليغتاله، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا ليريد غدرا، فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره، فإذا **بالخنجر** فسقط في يده، فقال صلى الله عليه وسلم: " اصدقنى ما أنت؟ " قال: وأنا آمن؟ قال: " نعم " ، فأخبره بخبره، فخلى عنه صلى الله عليه وسلم.

وبعث عمرو بن أمية، ومعه سلمة بن أسلم، ويقال: جبار بن صخر إلى أبي سفيان، وقال: إن أصبتما منه غرة فاقتلاه.

ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا، فرآه معاوية بن أبي سفيان، فأخبر قريشا بمكانه، فخافوا وطلبوه، وكان فاتكا في الجاهلية، فحشد له أهل مكة وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التميمي فقتله وقتل آخر، ولقي رسولين لقريش بعثا يتجسسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر، فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو - عليه الصلاة والسلام - يضحك.

حوادث السنة السابعة

فيها غزوة خيبر في جمادى الأولى، وقاتل بها صلى الله عليه وسلم أشد القتال، وقتل من أصحابه خمسة، ومن اليهود ثلاثة وتسعون، وفتحها الله عليه حصنا حصنا.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ١/٤٩

وفيها حرم لحوم الحمر الأهلية، ونهى عن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم، وألا توطأ جارية حتى تستبرأ، وعن متعة النساء. ووضعت له السم في الشاة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، فأخبرته الذراع بذلك.

وفتح وادي القرى في جمادى الآخرة بعد ما حاصرهم أربعا أو أكثر، وصالحه أهل تيماء على الجزية.

قال في المواهب: هي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام.

قال ابن إسحاق: خرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم سنة سبع، فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها.

وقيل: كانت في آخر سنة ست، وهو منقول عن مالك، وبه جزم ابن حزم.

قال الحافظ ابن حجر: والراجح ما ذكره ابن إسحاق.

ويمكن الجمع: بأن من أطلق سنة ست، بناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي، وهو ربيع الأول.

وأغرب ابن سعد وابن أبي شيبة، فرويا من حديث أبي سعيد الخدري: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان، وإسناده حسن؛ لكنه خطأ، ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت.

وتوجيهه: بأن غزوة خيبر كانت ناشئة عن غزوة الفتح، وغزوة الفتح خرج صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان جزما.

قال: وذكر الشيخ أبو حامد في التعليقة أنها كانت سنة خمس، وهو وهم، ولعله انتقال من الخندق إلى خيبر.

وكان معه – عليه الصلاة والسلام – ألف وأربعمائة راجل، ومائتا فارس، ومعه أم سلمة زوجته.

وفي البخاري: من حديث سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر، فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر، هل تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلا شاعرا، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما أبقينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

وألقيق سكينة علينا ... إنا إذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

وفي رواية إياس بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أحمد في هذا الرجز زيادة:

إن الذين قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا." (١)

"قالت: فلم ندر ذا الراكب من هو، وكنا نتحدث أنه من الجن، فرجع عمر من تلك الحجة، وطعن في ذي الحجة وقولها: لما كان آخر حجة؛ وذلك لأن سيدنا عمر - رضي الله عنه - حج عشر سنين متواليات بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم آخرهن سنة ثلاث وعشرين من الهجرة حج بهن في الهوادج عليهن الستور، ووصى عليهن ابنه عبد الرحمن، فكان ينزلهن في الشعب، لا منفذ له صونا لهن، وينزل هو عند بابه.

وروي عن سيدنا عمر - رضي الله تعالى عنه - أنه لما وصل إلى المدينة قال: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك. كذا في البخاري.

وقال معدان بن أبي طلحة اليعمري: خطب عمر بعد رجوعه إلى المدينة يوم جمعة، فذكر نبي الله وأبا بكر، ثم قال: رأيت كأن ديكا نقرني نقرة أو نقرتين، وإني لا أراه إلا لحضور أجلي، وإن قوما يأمرونني أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته، فإن عجل بى أمري فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عنهم راض: عثمان، وعلي، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن ابن عوف، وسعد.

وقال الزهري: كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة - وهو عامله على الكوفة - يذكر له أن عنده غلاما عنده صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويقول؛ إن عنده أعمالا كثيرة يحسنها فيها منافع للناس، إنه: حداد، نقاش، حجار؛ فأذن له أن يرسل به، وضرب عليه المغيرة بن شعبة مائة درهم في الشهر، فجاء إلى عمر فشكا كثرة الخراج عليه، فقال له عمر: ما خراجك بكثير وأنت تحسن هذه الصنائع، فانصرف ساخطا يتذمر، ويقول: وسع عدل عمر العالمين غيري، فمكث عمر ليال ثم دعاه، فقال له: ألم أخبر أنك لو تشاء لصنعت رحى تطحن بالريح. فالتفت إلى عمر عابسا، وقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فلما ولى قال عمر لأصحابه: توعدني العبد آنفا، ثم اشتمل العبد

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ١/٣٢٣

واسمه: فيروز، وكنيته: أبو لؤلؤة على **خنجر** ذي رأسين، فقبضه في وسطه، فكمن له في زاوية من زوايا المسجد في الغلس، وكان عمر يقول للناس حال القيام للصلاة: أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر، فجاء هذا الغلام المجوسي: فيروز أبو لؤلؤة، وقام حذاءه في الصف، فلما كبر عمر للصلاة ضربه بين كتفيه وفي خاصرته فسقط.

قال عمرو بن ميمون: إني لقائم في الصلاة وما بيني وبين عمر إلا ابن عباس، فما هو إلا أن كبر بعد أن ضرب، فسمعته - رضي الله عنه - يقول: قتلني الكلب، وطار العلج، لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا، مات منهم سبعة أو تسعة، فطرح رجل عليه برنسا وضمه، فلما علم عدو الله أنه مأخوذ نحر نفسه، ثم قال عمر - رضي الله عنه - : الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي على يد أحد يدعي الإسلام.

قال ابن خلكان: ذكر أنه لما طعن عمر اختار من الصحابة - رضي الله عنهم - الستة النفر الذين تقدم ذكرهم، وكان سعد غائبا، فأرسل إليه، فجعل أمره إلى عبد الرحمن بن عوف كما سأذكره، وجعل ابنه عبد الله بن عمر مشيرا، وليس له من الأمر شيء، وأمر المسور بن مخرمة - وفي رواية أمر أبا طلحة الأنصاري - أن يكون في خمسين رجلا يكونون مع هؤلاء النفر أهل الشورى، قال فإنهم فيما أحسب يجتمعون في بيت، فقم أنت في أصحابك على بابه فلا تترك أحدا يدخل عليهم، ثم إن اتفقوا على واحد إلى ثلاثة أيام، وإلا فاضربوا أعناق الكل؛ فلا خير للمسلمين فيهم، ولو افترقوا فرقتين فالفرقة التي فيها عبد الرحمن بن عوف وأوصى أن يصلي بالناس صهيب بن سنان الرومي في تلك الثلاثة الأيام.

عن أبي الحويرث قال: لما مات عمر، ووضع؛ ليصلى عليه، أقبل علي وعثمان أيهما يصلي عليه، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف: إن هذا لهو الحرص على الإمارة، لقد علمتما ما هذا إليكما، وقد أوصى به إلى غيركما، يا صهيب تقدم فصل عليه.." (١)

"وقريب من هذه ما وقع لولده سالم بن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهم - وهو ما رأيته بخط العلامة: نجم الدين بن عمر بن فهد القرشي، ما نصه: أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، وذكر سندا، انتهى فيه إلى الزبير بن بكار قاضي مكة قال: حدثني عمي عن أشعب الطماع قال: كان عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان شفعني وبسخني ويدعوني، فأحدثه وألهيه، فمرض، ولهوت عنه في بعض

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ١/٤٥٩

جرياتي أياما، ثم جئت منزلي، فقالت لي زوجتي بنت رومان: ويحك أين كنت؟ عبد الله بن عمرو كان ينفعك، مرض، فهو يقلق بالنهار ويسهر بالليل، أرسل إليك؛ تلهيه وتعلله فلم يجدك. قلت: إنا لله، ثم فكرت ساعة، ثم قلت: هات لي قارورة دهن خلوفية ومنديل الحمام، ففعلت، وخرجت أريد الحمام، فمررت بسالم بن عبد الله بن عمرة فقال لي: يا أشعب، هل لك في هريس أهديت إلي؟ قلت: نعم، جعلني الله فداك، فدعا بها؛ فأتى بصحفة كبيرة فأكلت حتى شبعت، فجعلت أتكاره عليها، فقال: ويحك يا أشعب لا تقتل نفسك!! فإن ما فضل عنك نبعث به إلى بيتك. قلت: وتفعل؟ قال: ما أردت إلا ذاك، فكففت يدي، فبعث بها إلى بيتي، وخرجت فدخلت الحمام فاطليت، ثم صببت علي دهن الخلوفية، ثم سكبت علي ماء، وخرجت وعلي صفرة الدهن، وقد صار لوني أصفر كأنه الزعفران. قال فلبست أطماري، وعصبت رأسي، وأخذت معي وصبة، ثم خرجت أمشي متكئا عليها حتى جئت باب عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلما رأني حاجبه قال: ويحك يا أشعب ظلمناك، وغضضنا منك، وأنت قد بلغت ما أرى من العلة. قال: قلت: أدخلني على سيدي أخبره، فأدخلني عليه، فإذا عنده سالم بن عبد الله بن عمر، أتى إليه، يعوده، وعبد الله بن عمرو بن عثمان المذكور: ابن أخت سالم بن عبد الله المذكور، فقال لي عبد الله بن عمرو بن عثمان: ويحك يا أشعب ظلمناك، وغضضنا عليك، وقد بلغت من العلة ما أرى؟ قال: فتضاعفت، ثم قلت: أي سيدي، كنت عند بعض من أغشاه فأصابني قيء وبطن، فما حملت إلى منزلي إلا جنازة، فبلغني عنك، فخرجت أدب إليك. قال أشعب: فنظر إلي سالم، قال لي: أشعب؟ قلت: أشعب. قال: ألم تكن عندي آنفا. قلت: ومن أين أكون عندك جعلني الله فداك، وأنا أموت؟! فجعل سالم يمسح عينيه، ثم يقول: لم تأكل الهريس آنفا عندي؟ فأقول: هل بي آكل جعلني الله فداك مع العلة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، يا أشعب إني لأرى الشيطان يتمثل على صورتك، ما أرى مجالستك تحل. قال أشعب: وفطن بي عبد الله بن عمرو، فقال لي:أشعب، أتخدع خالي؟! اصدقني خبرك. قال: قلت: بالأمان؟ قال: بالأمان، حدثته حديثي، فضحك ضحكا شديدا طويلا، انتهى. والحديث شجون، يجر الفن منه إلى فنون.

والثاني من أولاده الذكور – رضي الله عنه – عبد الرحمن الأكبر شقيقه، أمهما: زينب بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون الجمحي.

والثالث: زيد الأكبر، أمه: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، رمي بحجر فمات، وقد تقدم ذكره عند ذكر أمه أم كلثوم هذه، رضي الله عنها.

والرابع: عاصم، أمه: أم كلثوم جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، حمى الدبر، وهي التي كان اسمها: عاصية، فسماها عمر: جميلة، فذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليغير لها اسمها فسماها كما سماها عمر: جميلة، وقد تقدم ذكر ذلك.

والخامس: زيد الأصغر. والسادس: عبيد الله، أمهما: مليكة بنت جرول الخزاعية: كان عبيد الله شديد البطش، ولما قتل عمر قتل الهرمزان، وقتل جفينة وهو رجل نصراني وقتل ابنة صغيرة لأبى لؤلؤة؛ فأخذ عثمان عبيد الله ليقتص منه، فاعتذر بأن عبد الرحمن بن أبي بكر أخبره أنه رأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة – وهو الرجل النصراني من أهل الحيرة – يدخلون يتشاورون، وبينهم خنجر له رأسان، مقبضه في وسطه، فقتل عمر صبيحة تلك الليلة. فاستدعى عثمان عبد الرحمن بن أبي بكر فسأله، فقال: انظروا إلى السكين، فإن كانت ذات طرفين؛ فما أرى القوم إلا قد اجتمعوا على قتله. فنظروا إليها فوجدوها كما وصف عبد الرحمن، فقال عمرو بن العاص: قتل أمير المؤمنين بالأمس، ويقتل ابنه اليوم؟! والله هذا لا يكون أبدا! فترك عثمان قتله.." (١)

"وقلبا إذا استنطقته العيو ... ن أربى عليها تراه درر

ولست بإمعة في الرجا ... ل أسأل هذا وذا ما الخبر

ولكنني مدره الأصغرين ... أبين من صاحبي ما غمر

وقال ابن النجار: أخبرني يوسف بن المبارك بن كامل، قال: أنشدني أبو الفتح مفلح بن أحمد الرومي قال: أنشدنا أبو الحسين بن أبي القاسم التنوخي عن أبيه عن أجداده إلى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال: من المتقارب:

أصم عن الكلم المحفظات ... وأحلم والحلم بي أشبه

وإني لأترك جهم الكلام ... لكيلا أجاب بما أكره

إذا ما احترزت سفاه السفيه ... علي فإني لا أسفه

فكم من فتى يعجب الناظرين ... له ألسن وله أوجه

ينام إذا حضر المكرمات ... وعند الدناءة يستنبه

وأما خطبه ومواعظه ووصاياه فإنها لا تحصى، وأدناها لا يستقصي. رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وكرم وجهه

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ١/٤٦٢

ومن والاه، آمين.

؟

خلافة أمير المؤمنين أبي محمد الحسن بن علي

بن أبي طالب رضي اللہ عنهما

قال الحافظ الذهبي في تاريخه دول الإسلام: قال جرير بن حازم: بايع أهل الكوفة الحسن بن علي بعد أبيه وأحبوه أكثر من أبيه، ثم سار حتى نزل بالمدائن، وبعث قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفا، فبينما الحسن بالمدائن إذ نادى مناد: ألا إن قيسا قد قتل. فاختبط الناس وانتهبت الغوغاء سرادق الحسن حتى نازعوه بساطه تحته، وطعنه رجل من الخوارج **بخنجر** مسموم في فخذه؛ فوثب الناس على الرجل فقتلوه، لا رحمه الله، ونزل الحسن القصر الأبيض بالمدائن، وكاتب معاوية في الصلح. وقال نحو هذا ابن إسحاق والشعبي.

وروى أنه لما خلع نفسه قام فيهم فقال: ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، لكن كنتم في مسيركم إلى صفين، ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم. وتوجع الحسن من تلك الطعنة، ثم عوفي ولله الحمد.

ثم سار الحسن يريد الشام، وأقبل معاوية، وكان اجتماعهما بمسكن وهي من أرض السواد من ناحية الأنبار.

قال ابن عيينة: حدثنا أبو موسى قال: سمعت الحسن البصري يقول: استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: والله إني لأرى كتائب لا تولى أو تقتل أقرانها. فقال معاوية، وكان خير الرجلين: أرأيت إن قتل هؤلاء هؤلاء من لي بذراريهم، من لي بأمورهم، من لي بنسائهم؟ قال: فبعث عبد الرحمن بن ميسره فصالح الحسن معاوية وسلم الأمر له، وبايعه بالخلافة على شروط اشترطها ووثائق، وحمل إليه معاوية مالا، يقال: خمسمائة ألف. قلت: لم أجد تعيين هذه الخمسمائة ألف؛ هي دنانير أم دراهم فيما اطلعت عليه من التواريخ، وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين.

قال أبو عبد الله الهمداني محمد: حدثنا أبو العريف قال: لما ورد الحسن إلى الكوفة بعد مبايعته معاوية، قال له رجل من همدان يقال له أبو عامر: السلام عليك يا مذل المسلمين. فقال: لست بمذل المسلمين، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك. ثم قال له آخر: يا عار المسلمين. فقال: العار خير من النار.

ثم إن الحسن – رضي الله تعالى عنه – رجع مع آل بيته من الكوفة ونزل المدينة، وسمي هذا العام المذكور

– وهو عام إحدى وأربعين – عام الجماعة لاجتماع الأمة على خليفة واحد، هو معاوية بعد نزول الحسن – رضي الله عنه – له بها.

ثم دخل معاوية الكوفة، وخرج عليه عبد الله بن أبي الحوساء بالنخلة، فسير عليه؛ فقتله، وخرج عليه بالبصرة خوارج فقتل فريقا وأمن فريقا. وسيأتي ذكر ذلك عند ذكر خلافته إن شاء الله تعالى.

مناقب الحسن بن علي

رضي الله تعالى عنه

هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، الهاشمي، أبو محمد، سبط النبي صلى الله عليه وسلم وشبيهه، يكنى أبا محمد، أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وريحانة النبي صلى الله عليه وسلم ويلقب بالتقي والسيد.." (١)

"محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم بن الرشيد هارون بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله كان بديع الحسن جدا، مليح الصورة ليس في الخلق أجمل منه حسنا، كان مستضعفا مع الأتراك، وكان صالح بن وصيف مستوليا عليه، وهو خائف منه، فاجتمع الجند عليه، وطلبوا منه أرزاقهم، ووعدوه أنه إذا أنفق عليهم أرزاقهم ركبوا معه على صالح بن وصيف، فيقتلوه ويصفو الملك له، ولم يكن في خزائنه مال يصرفة عليهم فطلب من أمه وكانت تركية اسمها قبيحة لفرط جمالها بين النساء، فأبت أن تعطيه وشحت عليه بالمال، وسخت بولدها وكان معها مال عظيم فاتفق الأتراك على خلعه، وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا وهجموا عليه وجروا برجله، وأوقفوه في الشمس، فصار يرفع رجلا ويضع رجلا، وعذبوه وهم يلطمونه ويقولون: اخلعها ويتقي بيديه ويأبى، ثم أجابهم، وخلع نفسه؛ فأدخلوه الحمام، ومنعوه الماء إلى أن مات عطشا. وقيل: أتوه بماء مالح فشربه وسقط ميتا، ثم أخرجوه وأشهدوا عليه أنه لا أثر به، وصادر صالح بن وصيف قبيحة أم المعتز وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار ذهبا ونصف أردب لؤلؤ ومثله زمرد وسدس أردب ياقوت أحمر، ثم أخرجت إلى مكة وأقامت بها إلى أن ماتت، وأقل الناس الترحم عليها؛ حيث إن هذا المال عندها وشحت به عن ولدها عند احتياجه؛ فكان عليه ما كان.

توفي في ثالث شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين. مدة خلافته سنتان وأحد عشر شهرا، وعمره اثنتان

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٣٥/٢

وعشرون سنة وسبعة أشهر.

خلافة المهتدي بالله

أبو إسحاق بن الواثق هارون بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور الخليفة الصالح، ولد في خلافة جده، سنة بضع عشرة ومائتين، وبويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، وما قبل بيعة أحد حتى أتى إليه بالمعتز قبل قتله، فلما رآه قام له وسلم على المعتز بالخلافة وجلس بين يديه فجيء بالشهود والقاضي ابن أبي الشوارب فشهدوا على المعتز أنه عاجز عن الخلافة، واعترف بذلك ومد يده وبايع المهتدي، فارتفع حينئذ المهتدي إلى صدر الديوان، وقال: لا يجتمع سيفان في غمد، وتمثل بقول أبي ذؤيب: من الطويل:

تريدين كيما تجمعيني وخالداوهل يجمع السيفان ويحك في غمد

وكان المهتدي بالله أسمر، رقيقا، مليح الوجه، ورعا متعبدا، عادلا، قويا في أمر الله تعالى، بطلا شجاعا، لكنه لم يجد ناصرا ولا معينا على الحق والخير. قال أبو بكر بن الخطيب: قال أبو موسى العباسي: لم يزل صائما منذ ولي إلى أن قتل، قال العباس بن هاشم بن القاسم: كنت بحضرة المهتدي عشية في رمضان، فوثبت لأنصرف، فقال لي: اجلس فجلست، وتقدم فصلى بنا ثم دعا بالطعام، فإذا طبق عليه خبز وآنية فيها ملح وخل وزيت، فدعاني إلى الأكل فقال: كل واستوف فليس هاهنا من الطعام غير ما ترى؛ فعجبت، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، قد أسبغ الله نعمته عليك، فقال: إن الأمر على ما وصفت، ولكني فكرت في أنه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز، فكان من التقلل والتقشف على ما بلغك، فغرت على بني هاشم فأخذت نفسي بما رأيت.

وقال ابن عرفة النحوي: حدثني بعض الهاشميين، قال: كان للمهتدي سفط فيه جبة صوف وكساء، وكان يلبسه بالليل ويصلي فيه، وكان قد اطرح الملاهي، وحرم الغناء، وحسم عن الظلم، وكان يشرف على الدواوين بنفسه، ويجلس الكتاب بين يديه، فتبرم به بابك التركي وانحصر، وكان ظلوما، غشوما فأمر المهتدي بقتله، فلما قتل هاجت الأتراك، ووقع الحرب بينهم وبين المغاربة؛ فقتل من الفريقين أربعة آلاف، وخرج المهتدي والمصحف في عنقه، وهو يدعو الناس إلى نصرته، والمغاربة معه وبعض العامة، فحمل عليهم طنبغا أخو بابك فهزمهم، ومضى المهتدي منهزما والسيف في يده وقد جرح جرحين، حتى دخل دار محمد بن أبي داود، فتجمعت الأتراك وهجموا عليه، وأخذوه أسيرا، وحمل على دابة، وأردف خلفه سائس بيده **خنجر**،

وأدخل إلى دار بعضهم وجعلوا يصفعونه ويقولون: اخلعها، فأبى عليهم، فسلم إلى رجل منهم فوطئ مذاكيره حتى قتله. وتوفي في رجب سنة ست وخمسين ومائتين، وكانت مدة خلافته سنة واحدة إلا خمسة عشر يوما، عمره ثمان وثلاثون سنة وأربعة أشهر.

خلافة المعتمد على الله

أبي جعفر، أحمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور.." (١)

"ودخل مكة بهذه الصفة إلى أن وصل مدرسته، فترجل له الناس، وسلم عليهم، ودخل المدرسة، ومد له الشريف سماطا، واستمر على ذلك تمد له صبحا وليلا الأسمطة الجليلة الجميلة، ومد له ثاني يوم القاضي إبراهيم بن ظهيرة سماطا بالمدرسة، واستمر بالمدرسة ما ظهر لأحد إلى أن طلع عرفة، وكانت الوقفة بالإثنين فأفاض مع الناس، وأتم حجه، وقرب أغناما كثيرة، وكان يناسب أن ينحر شيئا من الإبل فما أشار عليه به أحد.

وركب مرة إلى درب اليمن يشاهد ما قدمه له الشريف محمد من الإبل، والخيل وتشكر من فضل الشريف، ثم سافر ظهر يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بعد أن طاف للوداع، والريس يدعو له على قبة زمزم، ومشى القهقري إلى أن خرج من باب الحزورة وركب معه الشريف وأولاده، والقاضي إبراهيم إلى الزاهر، ثم ودعهم وودعهم وسافر إلى مصر وعاد إلى مملكته، ولم يختل شيء من ملكه مع غيبته عن تخت مصر نحو ثلاثة أشهر، وذلك لإتقانه أمر الملك وتدبيره وضبطه. ولقد كان واسطة عقد الشراكسة وأقربهم إلى قلوب الرعية، وأجملهم حالا وأحسنهم إحسانا وأفضلهم عقلا، وأكملهم نبلا، وأكثرهم في جهات الخير إيثارا وآثارا، وأكبرهم عمائر وأوقافا وأدوارا، وأطولهم طولا وزمانا، وأمكنهم ملكا وقوة وإمكانا. وكانت أيامه كالطراز المذهب، ودولته تنجلي كالعروس في حلل الجوهر والذهب، حتى قدم عليه بريد الأجل، وما أغنى عنه ما جمعه من الخيل والخول، وكان انتقاله إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ٩٠١ إحدى وتسعمائة، وكانت مدة تصرفه ثلاثين سنة إلا ثلاثة أشهر.

ثم تولى الملك الناصر أبو السعادات محمد ابن السلطان قايتباي:

وكان يغلب عليه الجنون والسفه، وما كان له التفات إلى الملك، ولا تدبير السلطنة، بل غلب عليه اللهو واللعب والحركات المستبشعة.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٢٣٠

يحكى عنه أمور قبيحة منها: أنه كان إذا سمع بامرأة حسناء هجم عليها، وقطع دائر فرجها ونظمه في خيط أعده لنظم فروج النساء.

ومنها: أن والدته كانت من عقلاء النساء وأجملهن هيأت له جارية جميلة، وجمعتها به في بيت مزين أعدته لهما فدخل بها وقفل الباب على نفسه وعليها، وربطها وشرع يسلخ جلدها عنها كالجلاد، وهي بالحياة، وهي تصرخ، فلما سمعوا صراخها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لأنه قفل الباب من داخل واستمر كذلك إلى أن سلخها، وحشا جلدها بالأثواب السندسية وخرج يظهر للناس أستاذيته في السلخ، وأن الجلادين يعجزون عن كماله في صنعته قبح هو وصنعته.

ومنها: أنه مر في موكبه بدكان حلواني، ودار حوله أمراؤه فأقامه من دكانه، وجلس كأنه يبيع الحلاوة، وأخذ بيده الميزان فصار يزن لهم حتى جبرت الحلاوة.

وكان يقلي الجبن المقلي بنفسه يبيعه للجند ويأمرهم بشرائه منه، ويأخذ أكياس الذهب إلى طرف النيل فيرمي دينارا فيقول: هذا قال: بق، ويرمي الآخر فيقول: هذا ما قال: بق، ثم يحضر الأمراء الكبار ويأمر بذبحهم في الديوان، فصار الشخص منهم إذا أضجع للذبح صوت صوت الغنم، فيضحك ويطلقه.

وكانت له حركات من هذه الخرافات منها ما يضحك ومنها ما يبكي، إلى أن سقط من أعين الناس والعسكر وسطوا عليه كما سطا بالحسام الأيتر، وسلخوه من الملك كما سلخ الضعيفة **بالخنجر**، ومزقوه كل ممزق ولعذاب الآخرة أكبر.

وسبب قتله أنه من غروره خرج مختفيا منفردا من خدمه وعبيده متباعدا عن خوله وحشمه، فتوجه يمشي وحده إلى بر الجزيرة، فكمن له عشرة أنفس من مماليك أبيه في خيمة على ممره، فلما وصل إليهم خرجوا له من الخيمة، فأمسكوا بلجام فرسه، وضربوه بالسيوف إلى أن قطعوه، وجاؤوا به مقتولا إلى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه سنة ٩٠٤ أربع وتسعمائة، وكانت مدة سلطنته ثلاث سنين.

ثم تولى بعده خاله الملك الظاهر قانصوه:." (١)

"وكان جميل الصورة حتى قيل: ثالث القمرين. وكان يحب الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والأيتام فيجمع أنواع الطعام وأصناف الحلوى، فيطبخ لهم بعد كل ثلاثة أيام سماطا عظيما يأكل منه الخاص والعام ممن ذكر وغيرهم.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٣٠٦/٢

وكان الموجود له عند موته فرس وسيف ودرع ونحو ذلك من اللباس والفراش. كذا قاله العلامة محمد شلبي والد أحمد شلبي النشانجي قاضي محكمة مكة الشريفة سابقا، وهو ابن أرطغرل بن سليمان شاه، وكان لجده سليمان أربعة أولاد منهم اثنان توجها إلى بلاد العجم وهما سنقر ودندار، وتوجه إلى بلاد الروم اثنان أرطغرل وكون وقدما على السلطان علاء الدين السلجوقي وكان سلطان بلاد قرمان، فأكرمهما وأذن لهما في الإقامة، وصار دأبهم الجهاد في سبيل الله إلى أن صار أمر أرطغرل إلى ما صار كما تقدم ذكر ذلك. وخلف أرطغرل أولادا نجباء أقواهم جأشا السلطان عثمان، فاستمر إلى أن توفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة وكانت مدته ستا وعشرين سنة.

ثم تولى السلطان

أورخان الغازي

ابن السلطان عثمان خان

مولده سنة سبع وثمانين وستمائة، وجلس على تخت السلطنة سنة ست وعشرين وسبعمائة وفتح إزنيق وبروسا وغيرهما.

وأرسل ابنه سليمان باشا إلى روع إيلي مع أربعين نفرا ففتحوا قلعة ملقرة وأبسالة وبولاير، ووزه، وكان السلطان أورخان فاق والده في الجهاد وفتح البلاد وبذل الاجتهاد، وهو الذي افتتح بروسا في حياة والده ثم جعلها مقر سلطنته، واتسعت مملكته ونفذت كلمته.

واجتمعت ملوك النصارى وجميع الكفرة على قتال العساكر السلطانية الإسلامية واجتمعوا على أن يتعدوا من بلاد روميلي إلى جهة أنادول ويقاتلوا السلطان أورخان، وكان له ولد نجيب اسمه سليمان بك، فاستأذن والده في قتالهم، فوقع حرب شديد كان الظفر فيه لسليمان بك، وهو أول من كتب على السكة من آل عثمان فكتب في وجه: محمد رسول الله، وفي الوجه الآخر اسمه الشريف، وه, أول من رتب طبقات العساكر وسمى الطبقات المذكورة بأسمائها المشهورة، وكان أول سلطنته ببروسا وأعمالها، ثم ملك عدة من البلاد الإسلامية وغزا الكفار وفتح ممالك متعمدة، وغنم بلادا وأموالا، وبنى الجوامع ومساجد ومدارس ومطبخا للمسافرين، وللمقيمين في غالب الممالك التي تحت سلطانه، وعمر في الطرقات والمفاوز، ومحال الخوف والمقطعة سبلا وخانات وقصورا وجسورا وأمثال ذلك من الخيرات العميمة، وسلك سبيل العدل والجود والفضل والإحسان على نمط والده المرحوم الساكن بأعالي الجنان. وتوفي السلطان أورخان حميدا

سنة إحدى وستين وسبعمائة عن ثلاث وثمانين سنة.

ثم تولى السلطان

مراد خان الغازي

خدا وندكار ابن السلطان أورخان:

وجلس على سرير الملك والسلطنة سنة إحدى وستين وسبعمائة في بروسا، ولي السلطنة وعمره أربع وثلاثون سنة، وافتتح كثيرا من البلاد منها أدرنة سنة إحدى وستين وسبعمائة، وهو أول من اتخذ المماليك، وسماهم ينيشري يعني: العسكر الجديد، وألبسهم اللباد الأبيض المثني إلى خلف، وسماه بركلة بالضم للموحدة وسكون الراء، ثم توجه إلى فتح قوصوة، فلما وصل إليها التقى الجمعان، وانهزمت الكفار، ثم اجتمعت النصارى على سلطانهم أسبوت فقاتلهم السلطان مراد قتالا عظيما فقتل سلطانهم، فأظهر واحد من ملوكهم الطاعة، وتقدم ليقبل يد السلطان، فلما قرب أخرج **خنجرا** فضرب به السلطان مرادا فاستشهد، فصار من يومئذ لا يدخل على السلطان أحد بسلاح، بل يدخل بين رجلين يكتنفانه، وكانت مدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة.

وفي مورد اللطافة، فيمن ولي السلطنة والخلافة عن السلطان مراد ما نصه: كان ملكا جليلا، ذا هيبة وعظمة، وشدة بطش، فتح الممالك العظيمة كقلعة نكبولي ونحوها، وحاصر الفرنج برا وبحرا، وضيق عليهم المسالك فانتدب لحربه بعض ملوكهم، فلما التقى الجمعان، وتصاف العسكران تحاربا وتعاركا وتضاربا، فقصد السلطان ملك الفرنج وحمل عليه مرة بعد أخرى فتقاربا وتعاركا وتضاربا وهما على ظهور الخيل، فسقطا معا على الأرض فانقلب عدو الله على السلطان وضربه **بالخنجر** صادف مقتله، فأدركه معسكره، واحتملوه إلى خيمته وهو يجود بنفسه، فعهد بالملك إلى ابنه يلحرم بايزيد في التاريخ الآتي ذكره، ومات بعد ذلك سنة ست وتسعين وسبعمائة رحمه الله تعالى.." (١)

"قال ابن السبكي: ولما كان موسم ثلاث عشرة وأربعمائة: جرت فيه كائنة غريبة هي: أن رجلا من المصريين من أصحاب الحاكم العبيدي اتفق مع جماعة من حجاج المصريين على أمر سوء، فلما كان يوم الجمعة وهو يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء كأنه يريد تقبيله فضربه بدبوس، معه ثلاث ضربات متواليات وقال: إلى متى يعبد هذا الحجر؟! إلى متى يقبل؟!، ولا محمد

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٣١٣/٢

ولا علي فيمنعني من ذلك فإني أهدم اليوم هذا البيت، وجعل يرتعد، فاتقاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه، وذلك أنه كان رجلا طويلا جسيما أحمر اللون أشقر الشعر، وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن أراده بسوء، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه **خنجر** فوجأه به، وتكاثر عليه الناس فقتلوه وقطعوه قطعا وحرقوه. وتتبعوا أصحابه فقتل منهم جماعة، ونهب أهل مكة ركب المصريين وتعدى النهب إلى غيرهم، ثم إنه سكن الحال، غير أنه سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل الخشخاش، فأخذ بنو شيبة تلك الفلق، فعجنوها بالمسك واللاذن واللك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت، فاستمسك على ما هو عليه الآن، وهو ظاهر لمن تأمله.

ولما بويع القائم العباسي سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة أمر أن يجهز الحاج فلم يقدر لاستيلاء العرب، وانحلال إمرة بني بويه، ثم خطب بمكة سنة سبع وعشرين وأربعمائة للمستنصر بن الظاهر العبيدي.

ولما كان سنة ثلاثين وأربعمائة: تولى أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان رئيس مكة وبني سليمان وكانت مدة إمارته ثلاثا وأربعين سنة. ثم ولى بعده ابنه شكر بن أبي الفتوح، وجرت له مع أهل المدينة خطوب ملك فى أثنائها المدينة وجمع بين الحرمين، واستمر إلى أن مات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، فكانت مدته ثلاثا وعشرين سنة، ولم يعقب ولا ولد له قط، وقبل خلف بنتا هي التي تزوجها محمد بن جعفر أول أمراء الهواشم الآتي ذكرهم الآن.

وذكر ابن حزم أن عقب جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان انقرض، وأن مكة وليها بعد شكر عبد كان له لأنه قال وقد انقرض عقب جعفر المذكور لأن ابنه أبا الفتوح لم يكن له ولد ألا شكر ولم يولد له، وصار أمر مكة إلى عبد له. انتهى كلام ابن حزم.

قال العلامة محمد بن جار الله في تاريخه الجامع اللطيف: ثم ولي بعد شكر بنو أبي الطيب الحسنيون وهم من جماعة شكر الذين يقال لهم: السليمانيون، ولم يذكر العلامة الفاسي عدتهم، وأما العلامة ابن خلدون فلم يذكر بني أبي الطيب أصلا، بل ذكر بعد موت شكر استيلاء أول أمراء الهواشم أبي هاشم محمد بن جعفر ابن محمد أبي هاشم بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرم بن موسى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وعلى موت شكر انقرضت دولة بني سليمان بمكة وجاءت دولة الهواشم.

ذكر دولة الهواشم

هؤلاء الهواشم من ولد أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرم بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كانت بين هؤلاء الهواشم وبني السليمانيين فتن متصلة. ولما مات شكر ذهبت الرئاسة من بني سليمان؛ لأن شكرا آخرهم ولم يعقب.

وتقدم فيهم طراد بن أحمد لم يكن من بيت الإمارة وإنما كانوا يؤملونه لإقدامه ورأيه وشجاعته، وكان رئيس الهواشم يومئذ أبو هاشم محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد المذكور، وكان قد ساد في الهواشم، وعظم ذكره فاقتتلوا سنة أربع وخمسين وأربعمائة بعد موت شكر فهزم الهواشم بني سليمان، وطردوهم عن الحجاز، فساروا إلى اليمن وكان لهم به ملك، فاستقل بإمارة مكة الأمير أبو هاشم محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن المذكور وخطب للمستنصر العبيدي.." (١)

"فلما بلغ السلطان ذلك تغير خاطره على محمد بن أحمد وعلى عمه كبيش بن عجلان، وولى إمرة مكة للسيد عنان بن مغامس، وكتم ذلك عن الناس، وخادع محمد بن أحمد وعمه كبيش بن عجلان بإرسال الخلع والمراسيم وزينت مكة، فلما تجهز الحاج خرجوا معهم بالسيد عنان بن مغامس كآحاد الناس لا يلتفت إليه إذا حضر كل ذلك لما أضمروه، فلما وصل الحاج إلى الزاهر بعثت أم محمد الشريفة فاطمة بنت ثقبة إلى أمير الحاج شركس الخليلي أمير آخور بعد أن أهدت إليه هدايا تسأله عن حال ابنها محمد وعنان فذكر لها أنه لا يعلم على ابنها سوءا وربما حلف لها على ذلك، فانشرح لذلك خاطرها وحسنت لابنها الإقدام على ملاقاة المحمل المصري، وما زالت به حتى وافقها فخرج في عسكره إلى لقائه على العادة هو وعمه كبيش، فلما أراد أن يقبل الجمل - على ما كان يفعله الشراكسة من الجهل - وثب إليه اثنان من الزعر من المحمل كل واحد بيده **خنجر** طعناه فمات من حينه، فعوجل بالعقوبة في هذه المدة اليسيرة إذ قد تقدم أن مدة ولايته مستقلا مائة يوم، نسأل الله حسن الخاتمة ونعوذ به من سوء القضاء.

وفر عمه كبيش إلى جده فتبعوه فلم يحصلوه، وألبسوا الشريف عنان بن مغامس الخلعة، ودخلوا به مكة فوليها عنان بن مغامس، فلما وصلوا إلى أجياد تلقاهم بعض أصحاب الشريف محمد من العبيد والقواد، فتقاتلوا معهم فلم يلبثوا أن ولوا هربا.

وحج بالناس الشريف عنان والناس في غاية الاضطراب والخوف.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٣٨٤

ثم لما عزم الحاج أرسل عنان إلى كبيش عسكرا ليخرجه من جدة ففر منها.
وسامح الشريف عنان الشيبيين فترك ما كان تأخذه الأشراف منهم بالقوة وهو خمسة آلاف درهم في كل عام وجانب من الكسوة مع البرقع وثوب مقام الخليل.
وجرى بينه وبين كبيش فتن وجموع، ولم تصف البلاد له بحيث إنه عجز عن إقامة الجند والأشراف، فأخذ حاصل السلطان وما فيه، ونهب جدة وأموال التجار والمراكب غير مرة.
ثم إن كبيش المذكور عاد إلى جدة وحده، فنهبها وعاث عبيده في الطرقات، فخشي عنان من كثرتهم، وأشرك معه في الإمرة ابني عمه أحمد بن ثقبة، وعقيل بن مبارك ثم أخاه علي بن مبارك ثم دعا لهم معه على المنبر وزمزم، وظن بذلك أن يقوي أمره، ولم يساعده القدر فبلغت أحواله إلى السلطان برقوق بمصر، فعزل عنان في رجب سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم ولى عوضه علي بن عجلان.
فوليها علي بن عجلان في السنة المذكورة بعد عزل عنان حنقا عليه لما اتفق في ولايته من استيلاء كبيش، وجماعة عجلان وابنه أحمد ومن انضم إليهما وعجز عنان عن دفعهم عن الاستيلاء على جدة، فوصل النجاب إلى عنان ليسلم مكة لعلي بن عجلان، وجماعته في النصف الثاني من شعبان من السنة المذكورة، فأقبل علي بن عجلان في جموع متقدما فمنعهم عنان وأصحابه من دخول مكة، وامتنع هو وجماعته من آل أبي نمي من تسليم مكة لآل عجلان، فتحارب الفريقان بالقرب من ثنية أذاخر في التاسع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فقتل كبيش بن عجلان، وطائفة من عسكر علي بن عجلان.
فتم النصر لعنان ورجع علي ومن معهم إلى محلهم وهو القصر من وادي مر وذلك في سلخ شعبان من السنة المذكورة.
وفي شهر رمضان توجه علي إلى مصر، فأقبل عليه السلطان، وولاه إمرة مكة فأقبل صحبة الحاج المصري في ظل من ولاه.
واستمر عنان بعد خروج علي إلى القصر، ومن معه مقيما لم يبرح حتى فارقها هو ومن معه عند وصول الحاج المصري إليها وصحبته علي بن عجلان المذكور، فخرج عنان ومن معه وقصدوا الزيمة، فدخلها على وقرئ توقيعه على مقام الحنابلة، وحج بالناس، وعنان مقيم بالزيمة بوادي نخلة اليمانية وكان أصحابه سبقوه إليها، فقصدهم علي بن عجلان في طائفة من الترك فوجدوهم محاربين لقافلة بجيلة فلما أحسوا بهم هربوا وقتل أصحاب علي بن عجلان منهم مبارك بن عبد الكريم من الأشراف وابن شكران من أتباعهم، وعادوا

إلى مكة ومعهم من خيل الأشراف خمس، ومن دروعهم ثلاثة عشر درعا ووصلت قافلة بجيلة إلى مكة فانتفع الناس بها، وعادوا إلى مكة عشري ذي الحجة الحرام.." (١)

"وفي سادس عشري جمادى الآخرة: سطا على بعض الأتراك عبد له **بخنجر** فمات بعد خمسة أيام، فقطع الغلام يداه ورجلاه وبرئ وعاش.

وفي يوم الخميس سادس عشر شوال: وصل مولانا الشريف أحمد - رحمه الله تعالى - إلى مدينة جده صلى الله عليه وسلم عائدا من بلاد عنزة، فنزل بالمحل المعروف ببئر ميزان بالقرب منها، وخرج إليه من أهلها القضاة والأعيان، فقال به يومه، ثم وصل منه إلى ضريح سيد الشهداء عم جده - عليهما الصلاة والسلام - فبات به ليلة الجمعة، ثم ركب منه فدخل المدينة يوم الجمعة سابع عشر الشهر المذكور، فزار قبر جده، وتملا بأنوار سعده.

وفي يوم الأحد سادس عشري الشهر المذكور: وصل قاصد من الوزير المذكور أيضا بهدية منها فرو وسيف لمولانا المرحوم الشريف، ووصل معه قفطان لشيخ الحرم النبوي داود أغا من الوزير المذكور أيضا، فلبسه شيخ الحرم بالمسجد النبوي، واستمر مولانا الشريف بالمدينة الشريفة إلى أن أبرز منها ثاني ذي القعدة الحرام، ودخل مكة محرما بالعمرة ليلة هلال ذي الحجة من السنة المذكورة، فطاف لعمرته وسعى - شكر الله سعيه - ، ثم عاد إلى مخيمه بالزاهر على عادة أسلافه الأكرمين، ثم دخل صبيحة ذلك اليوم في موكب يبهر الناظرين، ويسر البادين والحاضرين.

وفي يوم الأربعاء رابع ذي الحجة من السنة المذكورة: وصل إلى مكة من الأبواب العالية قفطان من السمور الملوكي عاليه صوف أبيض، يصحبه مرسوم سلطاني، ومرقوم خاقاني، يفصح بالثناء على مولانا الشريف، بالنعت الأكرم الأمجد، فألبسه بالحطيم، وقرئ ذلك المنشور الكريم، وكان الواصل به فخر الأغوات العظام، إبراهيم أغا فكان أعظم موكب في ذلك المقام، وسر به الخاص والعام.

وفي يوم الخميس عشري ذي الحجة منها: أمر صاحب جدة أحمد باشا بهدم كل خلوة بالمسجد الحرام فهدمت، وما لم يمكن هدمه منها لكونه من بنية المسجد في نفس جداره أو لكونه فوقه بناء سده ببناء مدعيا أن لذلك سببا هو سماعه بحصول فسق في بعضها، والله أعلم بالحقائق.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين، وكان هلالها بالإثنين، ففي يوم الثلاثاء تاسع محرم الحرام منها كانت واقعة

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٤١٣/٢

من أحمد باشا المذكور إلى الأفندي عبد الله عتاقي زاده مفتي السادة الحنفية ثار بسببها الخاص والعام، فاستدعى إلى الحاكم الشرعي، فاعتذر عن الحضور، خشية ما لا يخفى على العاقل من حوادث الأمور. ثم استدعاه مولانا الشريف ليلا لذلك المرام، وقبح عليه فعله، وأوقر سمعه بأليم الكلام، فاعترف بخطئه وخطله، واستعفى طالبا التجاوز عن زيغه وزلله.

وفيها أواخر المحرم منها: كان ابتداء عمل الحائط على المقبرة، ابتدئ، من أعلى ثنيتي الحجون بجدرين واصلين إلى الطريق بين قبتي الشريف أبي نمي، وولده الشريف حسن منعطفين من ذلك الطريق، أحدهما: صعدا يتصل إلى قرب حائط ابن دخان، والآخر: سفلا إلى المحل المعروف بالحافظية فصلا بأبواب مرتفعة الأعتاب؛ صونا للمقبرة عن انتهاك حرمة قبور المسلمين، وعن التلويث والوقيد بنزول الحجاج والمسافرين، وكان هذا الخير مسطرا في صحائف الوزير الأعظم سليمان باشا، ومتولي ذلك وزير مكة عثمان ابن الخواجا زين العابدين حميدان، وتلك طرق خير رضى الله عن قاصديها.

هذا مما أحدث في هذه السنة، نسأله سبحانه اللطف بنا وبالمسلمين فيها وفيما يليها.

وفيها – ليلة الثلاثاء لأربع خلون من ربيع الآخر منها – : كانت وفاة الشيخ الصالح، ذي القدم الراسخ الرابح، العلامة الفهامة الراقي أوج المعزة في الفضل والكرامة، إمام الطريقة والحقيقة، والمتكلم على معانيهما بالإشارات الدقيقة. شاهد مشاهد أهل العرفان، عاقد عقائد أكاليله التي يخرج منها اللؤلؤ والمرجان، منور لبصر والبصيرة، موصل الحضور بحضرة القصيرة التي عنها يد من سواه قصيرة، مولانا وعزيزنا المرحوم، بسحاب الرضوان المركوم، مولانا الشيخ محمد الشهير البخشي الدمشقي – رحمه الله برحمته الواسعة وغفر له مغفرة جامعة – توفي بمكة المشرفة في التاريخ المذكور، ودفن بالمعلاة أمام قبة السيدة خديجة أم المؤمنين، قد أناف على الستين.." (١)

"الرياحين لليافعي وقرأ عليه السيرة النبوية للشيخ الحلبي وسمع عليه شرحه على الديوان الفارضي بقراءة الشيخ الفاضل الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي وسمع من لفظه صحيح البخاري بتمامه في الأشهر الثلاثة واجتمع بجدي العارف الشيخ مراد البخاري وزاره مرات وتبرك به وسمع من فوائده ومهر في العلوم وتفوق بها وجلس لاشتغال الطلبة بالعلوم والتدريس في المدرسة العمرية بصالحية دمشق من ابتداء سنة اثنين وعشرين ومائة وكان في أيام الشتاء يتحول إلى داره في دمشق ويجلس في الجامع الأموي ولما تولى

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٨٤/٣

تدريس المدرسة الشامية البرانية مع الافتاء على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه في أواخر شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائة وألف شرع في إلقاء الدروس بها في المنهاج ولما تولى تدريس الحديث في الجامع الأموي تجاه ضريح سيدنا يحيى عليه السلام شرع في قراءة صحيح البخاري من أوله وألف تاريخا سماه ديوان الاسلام يجمع العلماء والمشاهير والملوك وغيرهم وكان رحمه الله تعالى ماهرا وعمدة في التاريخ والأدب وحفظ الأنساب والأصول وتراجم الأسلاف وبالجملة فقد كان فرد الزمان وله شعر باهر وفضل ظاهر فمن شعره قولهن لليافعي وقرأ عليه السيرة النبوية للشيخ الحلبي وسمع عليه شرحه على الديوان الفارضي بقراءة الشيخ الفاضل الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي وسمع من لفظه صحيح البخاري بتمامه في الأشهر الثلاثة واجتمع بجدي العارف الشيخ مراد البخاري وزاره مرات وتبرك به وسمع من فوائده ومهر في العلوم وتفوق بها وجلس لاشتغال الطلبة بالعلوم والتدريس في المدرسة العمرية بصالحية دمشق من ابتداء سنة اثنين وعشرين ومائة وكان في أيام الشتاء يتحول إلى داره في دمشق ويجلس في الجامع الأموي ولما تولى تدريس المدرسة الشامية البرانية مع الافتاء على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه في أواخر شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائة وألف شرع في إلقاء الدروس بها في المنهاج ولما تولى تدريس الحديث في الجامع الأموي تجاه ضريح سيدنا يحيى عليه السلام شرع في قراءة صحيح البخاري من أوله وألف تاريخا سماه ديوان الاسلام يجمع العلماء والمشاهير والملوك وغيرهم وكان رحمه الله تعالى ماهرا وعمدة في التاريخ والأدب وحفظ الأنساب والأصول وتراجم الأسلاف وبالجملة فقد كان فرد الزمان وله شعر باهر وفضل ظاهر فمن شعره قوله

سقيا لآدم الصبا المعهود ... ما بين رامة والنقا فزرود

ومراتع الآرام من سفح اللوى ... ترعى ظلال زلاله المورود

ولبان وادي المنحني وأراكه ... وتنعمي في ظله الممدود

أيام عيشي في النضارة مشبه ... خضر العوارض في بياض خدود

أيام لا أنفك طالب رشفه ... من مبسم أو قبلة من جيد

أيام أجنى الوصل من غصن المنى ... وأرى جني الآمال غير بعيد

ما ينقضي ليل يضئ سناءه ... إلا ويعقبه كيوم العيد

والوقت صاف والعيون قريرة ... والسمع خلو من ملام حسود

والحب واف والعذول مساعد ... مغض عن التقريع والتفنيد

كم جاءني فيها المفدى زائرا ... عفوا كغصن البانة الأملود

متورد الخدين من خفر الحيا ... متبسما عن لؤلؤ منضود

ومنها

آها على ذاك الزمان وطيبه ... وهني عيش مرفيه رغيد

ولبست من صافي الصبابة حلة ... زانت مطارف طارفي وتليدي

لا ناظري يهفو لطلعة أهيف ... والسمع لا يصغي لنغمة عود

والطرف ملآن الجفون من الكري ... خال من التعذيب والتسهيد

وشرعت في تبييض غر صحائفي ... من بعد ذاك الشين بالتسويد

وقوله رحمه الله تعالى

البدر من لمحانه ... والمسك من نفحاته

والند من أخلاقه ... والورد من وجناته

والشمس من أزراره ... والسحر من لحظاته

والدر من ألفاظه ... والشهد من رشفاته

وإذا مشى سرقت ظبا ... ء البان من لفتاته

يا مالكي رفقا بمن ... أضنيت قبل مماته

ذو **خنجر** ألحاظه ... أغنته عن طعناته." (١)

"ثم أورد مثالا لإحدى التجارب في هذا الموضوع وهي أن باحثا أمريكيا أحضر صورة لرجل زنجي أمريكي حسن الهندام يقف بجوار رجل أبيض يحمل **خنجرا** كبيرا. وعرض الباحث هذه الصورة على جماعة من الأمريكيين الذين عرفوا بالتعصب ضدا على الزنوج، ثم بعد مدة عاد فسألهم عن ما شاهدوه في الصورة، فأجاب أكثرهم بأن **الخنجر** كان بيد الزنجي. أما غيرهم ممن لم تظهر عليه علامات التعصب العنصري فقد ذكر الصورة على أصلها وهي أن **الخنجر** بيد الرجل الأبيض. يقول الأستاذ مالك البدري:" وكلما ارتبطت هذه الاتجاهات بالجوانب الانفعالية الحماسية وكلما نشط الأفراد في الدعوة لأفكارهم وكلما شعروا

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٩٨/٢

بتهديد المجتمع لاتجاهاتهم الشاذة، كلما ازدادت ظاهرة الإدراك الانتقائي هذه"(١)(٢)
فلهذا كله ندرك قيمة كلام سعيد النورسي وأمره بتقديم العقل أولا وإعمال النظر العلمي المجرد عن عواطف القلب وما يحب وما يكره . فلو أحب القلب عالما وتفاني في حبه، وجاء الحق على خلاف كلامه، فإن نور الحق يجب أن يغلب قوة هذا الحب، بل الحب الحقيقي لا يكون إلا للحق حيث كان . وفي هذا المعنى جاء الحديث النبوي: " الحكمة ضالة المؤمن أنه وجدها فهو أحق الناس بها ." (٢) ومنه قول الله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وإن تلووا أو تعرضوا فإن كان بما تعملون خبيرا ". وقوله تعالى :" ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى". فالحق والعدل حجة على الرجال وليس الرجال حجة على الحق، فالعبرة بالحق وليس بالرجال، والنظر المعتبر يكون للأفكار وليس للأشخاص .

---

(٢) – جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة.." [1]

" وفي الثاني من صفر اشتد القتال وحمل شيخ بمن معه فانهزم أصحابه وثبت هو ثم تراجعوا وصدقوا الحملة فانهزم أصحاب الناصر ووصل شيخ إلى طرف القنوات فجاء دمرداش فأعلم الناصر أنه قد سهل القبض عليه وسأله أن يندب معه رجالا فناداهم فلم يجبه أحد فأعاد فأجابه بعضهم بجواب فيه جفاء وإذا العسكر قد احتيط بأن نوروز كبسهم فهربوا بحيث لم يبق بين يدي الناصر أحد فملك شيخ الميدان والإصطبل فأشار دمرداش على الناصر أن يرحل إلى حلب فقام فدخل حريمه ليلا وتجهز فلم يخرج فاستبطأه دمرداش فتركه وسار وقام ناس على الأسوار فنادوا : نصر الله أمير المؤمنين !

فلما سمع الرماة ذلك تخوفوا على أنفسهم ففروا فركب الناصر فرسه ودار على السور فلم يجد أحدا فعاد إلى القلعة فركب شيخ ودخل من باب القصر وملك المدينة ونزل بدار السعادة وامتدت أيدي الغوغاء إلى النهب فبالغوا ونزل المستعين في البلد ويقال إن دمرداش لما رأى أن حال الناصر تلاشى احتال لنفسه فقال للناصر : أروح أنا وابن أخي واجمع عسكرا من التركمان وغيرهم فمال الناصر لكلامه وأعطاه مالا كثيرا لذلك فتوجه من دمشق ومعه نحو مائتي نفس فلما رأى الذين مع الناصر ذلك خارت قواهم ووهنوا فرأى

---

(١) رسائل عن النورسية، ٦٢/١

الناصر علامة الخذلان فقال لهم : من شاء أن يستوثق لنفسه فليفعل فتفرقوا ثم تحول شيخ إلى الإصطبل وأنزل بكتمر جلق في دار السعادة فلما كان يوم الأحد بعث الناصر يطلب الأمان ويستحلف الأمراء فحلفوا له على ما أراد وأرسلوا له أخا الخليفة لأمه محمد بن مبارك الطازي فطال بينه وبينه الكلام ولم يفترقا على طائل فعاد والرمي عليهم من أعلى القلعة فعادوا الحصار فاضطره الأمر إلى أن ينزل ليلة الاثنين ومعه أولاده يحمل بعضهم ويحمل معه بعضهم وهو يمشي من باب القلعة إلى الإصطبل فلما رآه شيخ قام وقبل الأرض وأجلسة بصدر المجلس فسكن روعه فبات تلك الليلة وأصبح شيخ يوم الاثنين فلم يجتمع به واجتمع الأمراء عند المستعين يوم الثلثاء بدار السعادة فاشتوروا فيما يصنعونه بالناصر فاتفق رأيهم على أن يمضوا فيه حكم ابن العديم فأخذ في ليلة الأربعاء من الإصطبل فحبس في مكان من القلعة وحده لا يصل إلا من يناوله حاجة المأكول والمشروب خاصة وترك فريدا إلى ليلة السبت سادس عشر صفر فدخل عليه محمد بن مبارك الطازي ورجل من خواص شيخ وآخر من خواص نوروز ورجلان من المشاعلية فلما رآهم أحس بالشر فقام ودافع عن نفسه فبادره المشاعلية حتى صرعاه بعد ما أثخنا جراحه وتقدم أحدهما فخنقه فلما ظن أنه أتلفه قام عنه فتحرك فعاد مرة بعد مرة ففرى أوداجه بخنجر كان معه ثم سحبه بعد ما سلبه فألقاه على مزبلة تحت السماء ليس عليه سوى لباسه وعيناه مفتوحتان يمر به القريب والبعيد وقد صرف الله قلوبهم عنه فلا أحد يترقق له ولا يحن له بل ربما مد بعضهم يده فعبث بلحيته ثم حمل ليلة الأحد فغسل وكفن وصلى عليه ودفن بقبر بباب الفراديس ولم تكن له جنازة مشهودة فسبحان المعز المذل !

وكان شيخ يحلف أنه لم يكن يريد قتله ولم يرد إلا أن يسجنه ببعض الأماكن مرفها ويرتب له ما يأكل ويشرب ووافقه جماعة من الأمراء منهم يشبك ابن أزدمر إلا أن نوروز وبكتمر جلق لم يأمنا عاقبته فحرضا على قتله وساعدهما حكم ابن العديم فقتله بسيف الشرع فقتل ولقد كان الناصر هذا أعظم الناس خذلانا لدين الإسلام وأشأمهم طلعة على المسلمين والعجب أنه ولد لما أقبل يلبغا الناصري ومنطاش فبشر أبوه فسماه بلغاق – يعني فتنة فما خلص أبوه من الكرك سماه فرجا فكان اسمه الأول هو الحقيقي ." (١)

"ليبثه في يومه مستعليا ... حتى تميل ذكاؤه لغروب

ولقد يريك بصفحتيه سوسنا ... ما بين ورد بالحياء مشوب

ويريك من مثل الدمشق ملاءة ... لم ترمها عين رنت بعيوب

---

(١) انباء الغمر، ص/٣٩٣

ترنو إلى عينيه إذ يذكيهما ... فتقول ماء جال في الهوب

قال ابن الأبار: معاني هذه الأبيات من قول أبي العلاء المعري:

أيا ديك عدت من اياديك صيحة ... بعثت بها ميت الكرى وهو نايم

عليك ثياب خاطها الله قادرا ... بها ريمتك العاطفات الروايم

وتاجك معقود كأنك هرمز ... تباهي به أملاكه وتوايم

وعيناك سقط ما خبا عند قرة ... كلمعة برق ما لها الدهر شايم

ورثت هدى التذكار من قبل جرهم ... أوان ترقت في السماء النعايم

وما زلت للدين القويم دعامة ... إذا قلقت من حامليه الدعايم

واورد ابن الأبار لابن معمعة قصيدة في ديك منها:

لي ديك حضنته وهو في البي ... ضة من منصب كريم الحيم

يأكل العفو كيف ما شاء من ما ... لي كأكل الوصي مال اليتيم

أبيض اللون افرق العرف نظا ... ئر بعين كأنها عين ريم

وعلى نحره وشاحان من شذ ... ر نثير ولؤلؤ منظوم

رافع راية من الذنب المش ... رف يسعى بها كسعى الظليم

وإذا ما مشى التبهنس مشى ... الطرب المنتشى في الخرطوم

وسم الأرض وسم طين كتاب ... بحواتيم كاتب مختوم

وله خنجران في قصب السا ... قين قد ركبا لحفظ الحريم

وعليه من ريشه طيلسان ... صيغ من صنعة اللطيف الحكيم

وإذا ما رأيته بين خمس ... من دجاجاته كبار الجسوم

قلت ملك يخدمنه فتيات ... يتهادين بي زنج وروم

وترى عرفه فتحسبه التا ... ج على رأس كسروى كريم

ثاقب العلم بالمواقيت ليلا ... ونهارا وحاذق بالنجوم

ويحث الجيران حولي على الب ... ر كحث المدير كأس النديم

قلت: وقصيدة ابن زريق الكاتب التي يرثى بها ديكه من أجل القصايد في هذا المعنى وستأتى في ترجمته،

وما أحسن قول القايل:

يا رافعا قوس السماء ولا بسا ... للحسن روض الحزن غب سماء

ايقنت أنك في الطيور مملك ... لما رأيتك سرت تحت لواء

البسطامي اللغوي محمد بن بكر البسطامي، قال ياقوت: لا أعرف من حاله إلا ما ذكره حمزة الأصبهاني وقد ذكر الخليل وغيره ثم قال وصنف بالأمس محمد بن بكر البسطامي كتابا على كتاب محمد بن الحسن بن دريد المسمى الجمهرة وقال كان السبب لوضعي هذا الكتاب نظري في الكتاب المسمى كتاب الياقوتة أن منصفه حشا أكثر الكتاب بما لم تنطق به العرب وعزاه إلى ثعلب وقد طلبنا ما ادعى من ذلك على العرب في المصنفات فلم نجده ثم سألنا عنه أصحاب ثعلب فلم يعرفوه والذي صنف هذه الكتب لم يقم على ما اودعه شاهدا ولا دليلا من القرآن ولا من الحديث ولا من المثل ولا نحا قيما رواه إلا إلى أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي فتمت له رواية تلك الأباطيل بين قوم لم يطالبوه بدليل ثم ذكر كتاب العين وأنه من نصنيف تلاميذ الخليل.

الوتار محمد بن أبي بكر بن سيف شمس الدين أبو عبد الله التنوحي الموصلي الوتار، ولد بالموصل سنة تسع وسبعين وخمس مابة واشتغل بها في الأدب وسكن دمشق مدة وتولى خطابة المزة وخطب بها إلى أن توفى في ذى الحجة سنة اثنتين وستين وست مابة، ومن شعره:

وكنت وإياها مذ اختط عارضي ... كروحين في جسم وما نقصت عهدا

فلما أتاني الشيب يقطع بيننا ... توهمته سيفا فالبسته غمدا." (١)

"وذر ولكن لم يدنسه غايص ... وماء ولكن في محازن من حمر

وقال أيضا:

لما بدا ليل عارضيه لنا ... يحكى سطورا كتبن بالمسك

تلى علينا العذار سورة وال ... ليل وغنى لنا قفا نبك

وله أيضا:

تجلى لنا شمعة تشابهني ... وقدا ولونا وادمعا وفنا

قلت: شعر جيد وله أرجوزة في مخارج الحروف محمد بن حرب بن خربان أبو عبد الله الواسطي النشائي

---

(١) الوافي بالوفيات، ٢٥٧/١

وقيل النشاستجى، روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود قال أبو حاتم: صدوق، توفي سنة خمس وخمسين وماتين.

التميمي البصري محمد بن الحرث التميمي البصري من عبد شمس بن زيد مناة بن تميم، قال ابن المرزبان: مأموني يقول:

كأن طرف المحب حين يرى ... حبيبه **خنجر** على كبده

قد يكره الشيء وهو منفعة ... ويطرف المرء عينه بيده

العبشمي والى مصر محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة العبشمى أبو القسم، قتله شيعة عثمان بفلسطين سنة ثمان وثلثين للهجرة، وكان أبوه أبو حذيفة قد استشهد يوم اليمامة وكان ابنه محمد صغيرا فكفله عثمان بن عفان رضى الله عنه واحسن كفالته ورباه واجمل تربيته فلما ترعرع سأل عثمان أن يوليه ولاية فأبى فتنسك وتعبد وقيل أنه خرج إلى مصر وبها عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل عثمان فوفد عبد الله بن سعد على عثمان فانتزى محمد بن أبي حذيفة على مصر وأخذها فلما عاد ابن سعد إليها منعه من دخولها فرجع ابن سعد إلى عسقلان وأقام بها وأقام ابن أبي حذيفة على مصر حتى ولى على عليه السلام على مصر قيس بن سعد وعزل عنها ابن أبي حذيفة فخرج إلى الشام فقتله مولى لعثمان، وقال هشام بن الكلبي: استأذن محمد عثمان في غزو البحر فأذن له وخرج إلى مصر فلما رأى الناس وزهده وعبادته اعظموه واطاعوه وكان جهورى الصوت فكبر يوما خلف ابن سعد تكبيرة أفزعته فشتمه ابن سعد وقال أنت حدث أحمق ولولا ذلك قاربت بين خطاك، وكان ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر يعيبان على عثمان توليته ابن سعد ويؤلبان عليه فكتب ابن سعد إلى عثمان أخبره فكتب إليه عثمان أما ابن أبي بكر فيوهب لأبيه ولعايشة وأما ابن أبي حذيفة فابنى وتربيتي وهو فرخ قريش فكتب ابن سعد أن هذا الفرخ قد نبت ريشه وما بقى إلا أن يطير فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلثين ألفا وكسوة فجمع محمد المصريين ووضع المال في المسجد وقال أن عثمان يريد أن يخدعني ويرشوني عل ديني وفرقه فيه فازداد في عيون القوم وازدادوا طغيانا على عثمان فاجتمعوا وبايعوا محمدا على رياستهم فلم يزل يؤلبهم على عثمان حتى ساروا إليه وقتلوه، وقال غيره: قدم معوية مصر سنة ثلثين ونزل عل عين شمس وكتب إلى محمد بن أبي حذيفة يخدعه ويقول أنا لا نريد قتال أحد من المسلمين وأنا جئنا نطلب القود لعثمن فادفعوا إلينا قاتليه ابن عديس وكنانة بن بشر فهما رأسا القوم فقال ابن أبي حذيفة أني لم أكن لاقيد بعثمان حدثا فقال معوية اجعلوا بيننا وبينكم اجلا حتى يجتمع

الناس على أمام وارهنوا عندنا رهنا فأجابه محمد إلى ذلك واستخلف على مصر وخرج مع الرهن في هذا العهد إلى الشام فلما نزلوا بلد سجنهم معوية وقيل سجن ابن أبي حذيفة بدمشق وابن عديس ببعلبك فهرب ابن أبي حذيفة وما كان معوية يختار قتله وكان يود هروبه أرسل خلفه عبد الله بن عمرو الخثعمي وكان عثمانيا فوجده قد دخل غارا فدخل خلفه وقتله مخافة أن يطلقه معوية وعلى الجملة فاختلفوا في كيفية قتله.

السمتي محمد بن حسان السمتي البغداني، روى عنه أبو داود وأبو بكر ابن أبي الدنيا، قال الدار قطني: ثقة يحدث عن الضعفاء، توفي سنة ثمان وعشرين وماتين.

الأزرق محمد بن حسان الأزرق الشيباني الواسطي، وثقه الدار قطني وغيره وروى عنه الترمذي، توفي سنة ثمان وخمسين وماتين.

المهذب الدمشقي محمد بن حسان بن أحمد بن الحسين بن الخضر المهذب أبو طالب الدمشقي المولد اليمنى الأصل، قال العماد الكاتب: زارني في المدرسة التي ادرس بها في شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وخمسماية وأنشدني لنفسه:

اظبى تجرد من عيون ظباء ... يوم الأبيزق تحت ظل خباء

أم أسد خيس أبرزت لطعاننا ... ورماحهن لواحظ الاطلاء." (١)

"باسم عن لآلناسم عن عطرنافر كالغزالسافر كالبدر

أي بدر ربيب ... لي فيه أرب

ذو رضاب ضريب ... للطلا والضرب

يا له من حبيب ... ضاحك عن حبب

باخل بالوصالسامح بالهجرلي أبقى الخبالحين أفنى صبري

أغيد إن رنا ... سل بيض الصفاح

وإذا ما انثنى ... هز سمر الرماح

لقتالي دنا ... ذا أمير السلاح

ضارب بالنصالطاعن بالسمرراشق بالنبالنافث بالسحر

---

(١) الوافي بالوفيات، ١/٢٨٣

فالنضيد النظيم ... الشتيت الشنيب
والأسيل الوسيم ... الخضيب الخصيب
والقوام القويم ... القضيب الرطيب
غصن ذو اعتدالمورق بالشعرمزهر بالجمالمثمر بالبدر
من لدحية شقيق ... خده كالشقيق
أو كنار الحريق ... والحيا والرحيق
والعذار الأنيق ... لازورد سحيق
فوق خديه سالفهو في زنجفرشبه نمل يخالواقفا لا يسري
لو رآه إبليس ... بالسجود اشتهر
أو رأته بلقيس ... حار منها النظر
خاله مغنطيس ... لحديد البصر
فرعه كالليلفرقه كالفجرحرت بين الضلالوالهدى في أمري
قلت: وقد نظم في عصري في وقت جماعة وعارضوه فمنهم من خالف قوافيه وأقفاله ومنهم من لم يخالف أقفاله، وكلفت شيئا من ذلك فقلت موافقا له في سائر أقفاله وقوافي حشواته وهو:
جامع في الدلالجانح للهجرخاطر في الجمالعاطر في النشر
غصن بان رطيب ... قد زها بالطرب
ينثني في كثيب ... بالصبا عن كثب
ما لقلبي نصيب ... منه غير النصب
قمر في كمالفوق غصن نضرطالعا لا يزالفي دياجي الشعر
كم جلا بالسنا ... فرقه لي صباح
وحلا في الجنا ... مبسم كالأقاح
إن رنا وانثنى ... أو تبدى ولاح
يا حياء الغزالوافتضاح السمرواختفاء الهلالوكسوف البدر
للعذار الرقيم ... خاله كالرقيب

حول روض وسيم ... وسط نار تذيب

في النعيم المقيم ... يتشكى اللهيب

ذاق برد الظلالفي لهيب الجمرواهتدى في الضلالببروق الثغر

شق خد الشقيق ... منه خد أنيق

والقوام الرشيق ... فيه معنى دقيق

كم سقاني الرحيق ... من فم كالعقيق

بعد ذاك الزلالما حلالي صبريوالقوام الممالقام فيه عذري

غصن بان يميس ... في رياض الزهر

؟ريقه الخندريس في زلال ظهر

فيه در نفيس ... في عقيق بهر

جفنه حين صالفي خبايا صدريلو كفاني النباللاكتفى بالسحر

ومن موشحات الموصلي وقد عارض موشحة للقاضي الفاضل رحمه الله تعالى وسيأتي في ترجمته إن شاء الله:

بي من حوى الحسن كلهوفاق غيد الأكلهبدر تمام مصورما فيه نقص الأهلة

فشعر لليالي ... وفرقه للصباح

وجفنه للنصال ... وقده للرماح

وريقه للزلال ... وثغره للأقاح

فلو رأى قيس دلهأنساه حسن المذلهولو تعناه عنترسلا محبة عبله

لي جنة وحرير ... بخده واحمراره

ونضرة وسرور ... بصدغه واخضراره

؟أعنبر أم عبير يجري بخط عذاره

يحار فيه ابن مقلهحماه جفن ومقلهفذا يجرد خنجروذا يفوق نبله

من حمرة وبياض ... الاجتماع تولد

في وجنة كالرياض ... جنانها الخال أسود

وبالصحاح المراض ... صان النقي من الخد

؟وكنتن أضمرت قبله لذا الجميل الجبره بنظرة لي تظهر وتلتقي الصدغ غفله

فخده للهيب ... ونشره للغوالي

وردفه للكثيب ... وجيده للغزال

وعطفه للقضيب ... ووجهه للهلال

مذ أطلع الصدغ نملهفقلت للقلب نم لهلعل بالصبر تظفربوصله يا موله

جفا الرقاد جفوني ... وبالسهاد ولوعي

والعاديات شجوني ... والنازعات ضلوعي

والذاريات شؤوني ... والمرسلات دموعي." (١)

"وعن علي: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاطمة أن لا تسبقه برضاع ولدها فسبقته برضاع الحسين، وأما الحسن، فإنه صلى الله عليه وسلم، صنع في فيه شيئا لا يدري ما هو؛ فكان أعلم الرجلين "
.

وفي صحيح البخاري ومسلم والترمذي والنسائي جملة من فضائله.

وقال ابن الزبير: " لا والله ما قامت النساء عن مثله - يعني الحسن. وكان الحسين يجله ويرد الناس عنه إذا ازدحموا عليه، ويمتثل أوامره.

ونشأ الحسن كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عابدا عالما، جوادا فاضلا مهيبا، وقورا حليما فصيحا، وحج خمسا وعشرين حجة ماشيا، وإن النجائب لتقاد معه.

ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات حتى أنه يعطي الخف ويمسك النعل.

وقال ابن سيرين: كان الحسن يجيز الرجل الواحد بمائة ألف درهم، وكان رضي الله عنه مطلاقا. قيل إنه أحصن بسبعين امرأة، وقلما تفارقه أربع حرائر، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه.

وكان يوم الجمل على الميمنة، وقيل على الميسرة، وكان يكره القتال ويشير على أبيه بتركه.

وبويع بعد قتل أبيه بالخلافة، بايعه أهل الكوفة، وكانوا تسعين ألفا أو نحوها، وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه، فبقي فيها ستة أشهر أو سبعة أو نحو ذلك فتمت بها خلافة النبوة ثلاثين سنة.

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣٣٠/٢

ثم إنه صالح معاوية سنة إحدى وأربعين بسواد الكوفة، فسمي عام الجماعة، وسلم الأمر إليه، وكان هذا هو الصلح الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الحسن: " فوالله والله بعد أن ولي لم يهرق في خلافته ملء محجمة من دم. " وكان أهل العراق قد خذلوه في قتال معاوية، ونهب سرادقه، وطعن **بخنجر**، فكتب إلى معاوية بالصلح، فقدم عليه، وبايعه، على أن جعل العهد من بعده للحسن، واشترط عليه أخذ ما في بيت المال، وكان سبعة آلاف ألف درهم، وأن لا يسب عليا، وهو يسمع وأن يحمل إليه خراج فسا ودارابجرد من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي، فأجابه معاوية إلى ذلك. ثم كان يجري عليه كل سنة ألف ألف درهم، ولم يحمل إليه الخراج.

وعرض للحسن رجل، فقال: يا مسود وجوه المسلمين. وقال آخر: يا مسخم وجوه المؤمنين، وكان أصحابه يقولون: يا عار المؤمنين. فيقول لهم: العار، خير من النار.

ثم إنه مات مسموما؛ قيل إن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس، أمرها بذلك يزيد بن معاوية لتكون ولاية العهد له، ووعدها أن يتزوجها، فلما مات الحسن، قال يزيد: والله لم نرضك للحسن فكيف نرضاك لأنفسنا، ولم يتزوجها.

وكان الحسن توضع تحته طست وترفع أخرى نحوا من أربعين يوما، فقال الطبيب: هذا رجل قطع السم أمعاؤه. وأقام نساء بني هاشم عليه النواح شهرا.

ولما مات ارتجت المدينة صياحا؛ وكان قد أوصى أن يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن تخاف فتنة، فحال مروان بمن معه دون ذلك، فقال: والله لا يدفن في الحجرة وقد دفن عثمان في البقيع. وبلغ ذلك معاوية فاستصوبه، فدفن عند قبر أمه فاطمة، وصلى عليه سعيد بن العاص وهو أمير المدينة.

ومات وله سبع وأربعون سنة أو ست وأربعون، وقيل ثمان وخمسون سنة. رضي الله عنه.

ولما بايع الحسن معاوية؛ قال عمرو بن العاص وأبو الأعور السلمي: لو أمرت الحسن، فصعد المنبر، فتكلم فإنه عيي في المنطق فيزهد فيه الناس فقال معاوية: لا تفعلوا، فوالله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص لسانه وشفته، ولن يعيي لسان مصه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو شفة.

الأطروش العلوي

الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه؛ الناجم بطبرستان، أبو محمد الأطروش.

خرج بالديلم أيام أحمد بن إسماعيل الساماني صاحب خراسان، فهزمهم واستولى على طبرستان.

وكان شاعرا، ومن شعره: من الكامل

لهفان جم بلابل الصدر ... بين الغياض بساحل البحر

يدعو العباد لرشدهم وكأن ... ضربوا على الأذقان بالوقر

كيف الإجابة للرشاد وهم ... أعداؤه في السر والجهر

متبرم بحياته قلق ... قد مل صحبة أهل ذا الدهر

دفعوا الإمامة عن أسنهم ... أهل التقى والنهي والأمر

وبنوا معالمها على جرف ... هار وعقدتها على غدر." (١)

"وعن عائشة، قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: " قد كان في الأمم قبلكم محدثون. فإن يكن في هذه الأمة أحد فعمر بن الخطاب " .

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: " بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت حتى رأيت الري يخرج بين أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر " . قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: " العلم " .

وعن جابر أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: " دخلت الجنة، فرأيت فيها دارا - أو قال قصرا - وسمعت فيها ضوضأة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لرجل من قريش فظننت أني أنا هو، فقلت: من هو؟ فقيل: عمر بن الخطاب؛ فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته " . فبكى عمر بن الخطاب، فقال: أعليك يغار، أو قال: أغار، يا رسول الله؟! وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: " رأيتني في المنام، والناس يعرضون علي،عليهم قمصهم، قمص منها إلى كذا ومنها إلى كذا، ومر علي عمر بن الخطاب يجر قميصه " فقيل: يا رسول الله، ما أولت ذلك؟ قال: " الدين " .

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: خير الناس بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أبو بكر، ثم عمر. وقال أيضا: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر. وقال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٦٢/٤

وقال حذيفة: كان علم الناس كلهم قد دس في جحر مع علم عمر. وقال ابن مسعود: لو وضع علم أحياء العرب في كفة ميزان، ووضع علم عمر في كفة، لرجح علم عمر. ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم، ولمجلس كنت أجلسه مع عمر أوثق في نفسي من عمل سنة. وقال عمر، رضي الله عنه: ما سبقت أبا بكر قط إلى خير، إلا سبقني إليه، ولوددت أني شعرة في صدر أبي بكر.

وذكر الزبير، قال: قال عمر لما ولي: كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فكيف يقال لي خليفة خليفة، يطول هذا؟! فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أميرنا ونحن المؤمنون، فأنت أمير المؤمنين. قال: فذاك إذن.

وتزوج عمر، رضي الله عنه، زينب بنت مظعون، فولدت له عبد الله وحفصة وعبد الرحمن. وتزوج مليكة الخزاعية، فولدت له عبيد الله، وقيل أمه وأم زيد الأصغر أم كلثوم بنت جرول. وتزوج بنت الحارث هشام المخزومية، فولدت له فاطمة. وتزوج جميلة بنت عاصم بنت ثابت، فولدت له عاصما. وتزوج أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء، فولدت له زيدا ورقية. وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل التي تزوجها بعده الزبير.

واستشهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، مصدرا من الحج في آخر سنة ثلاث وعشرين للهجرة؛ طعنه أبو لؤلؤة، غلام المغيرة بن شعبة، **بخنجر** ذي رأسين، نصابه في وسطه، وهو كامن له قي زوايا المسجد، بغلس. وطعن معه اثني عشر رجلا، مات منهم ستة. وألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا، فلما اغتم قتل نفسه.

قال سعيد بن المسيب: قبض عمر، رضي الله عنه، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقال الواقدي: ستين. وقال قتادة: إحدى وستين.

وكان إسلام عمر، رضي الله عنه، في السنة السادية من البعثة، وروى له الجماعة. وصلى عمر على أبي بكر حين مات، وصلى صهيب على عمر. وروي عن عمر، رضي الله عنه، أنه قال في انصرافه من حجته التي لم يحج بعدها: الحمد لله، ولا إله إلا الله، يعطي من يشاء ما يشاء. لقد كنت بهذا الوادي – يعني ضجنان – أرعى غنما للخطاب، وكان فظا غليظا يتعبني إذا عملت، ويعذبني إذا قصرت، وقد أصبحت وأمسيت، وليس بيني وبين الله أحد أخشاه. ثم تمثل:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها برد

أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوما كما وردوا

قال ابن عبد البر: وروينا عن عمر أنه قال في حين احتضر، ورأسه في حجر ابنه:." (١)

"وفيها - ذكر سيف عن مشايخه: أن سارية بن زنيم قصد فسا ودارابجرد واجتمع له جموع من الفرس والأكراد عظيمة ودهم المسلمين منهم أمر عظيم، ورأى عمر بن الخطاب في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في وقت من نهار وأنهم في صحراء، وهناك جبل إن استندوا إليه لم يؤتوا إلا من جهة واحدة، فنادى عمر من الغداة للصلاة جماعة حتى إذا كانت الساعة التي كان رأى أنهم اجتمعوا فيها خرج إلى الناس، فصعد المنبر فخطب الناس وأخبرهم بما رأى ثم قال: يا سارية، الجبل الجبل ! ثم قال: إن لله جنودا ولعل بعضها أن يبلغهم ؛ قال: ففعلوا ما قال عمر، فنصرهم الله على عدوهم وفتحوا البلد؛ وقيل في رواية أخرى: إنما كان عمر في خطبة الجمعة.

- وفيها حج عمر بن الخطاب بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي آخر حجة حجها.

وفيها غزا معاوية بن أبي سفيان الصائفة حتى بلغ عمورية.

وفيها توفي قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب واسمه ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أبو عمرو الأنصاري الظفري أخو أبي سعيد الخدري لأمه وقتادة الأكبر. شهد قتادة وقعة بدر، وأصيبت عينه ووقعت على خده في يوم أحد فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فغمز حدقته وردها إلى موضعها فكانت أصح عينيه.

وفيها توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، أبو حفص القرشي العدوي الفاروق. استشهد في يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة وقيل لأربع، وسنه يوم مات نيفت على ستين سنة، وقيل غير ذلك على أقوال كثيرة. ضربه أبو لؤلؤة - واسمه فيروز - عبد المغيرة بن شعبة **بخنجر** في خاصرته وهو في صلاة الصبح فمات بعد ثلاثة أيام؛ وتولى الخلافة بعده عثمان بن عفان - رضي الله عنهما؛ وكانت خلافته عشر سنين ونصف لأنه ولي بعد وفاة أبي بكر الصديق في ثامن جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٤٢/٧

قلت: ويضيق هذا المحل عن ذكر شيء من بعضي مناقبه وما ورد في حقه من الأحاديث، وقد ذكرنا ذلك في غير هذا المكان.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعا؛ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا.

السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص

الأولى على مصر

وهي سنة أربع وعشرين من الهجرة: فيها سار منويل الخصي إلى الإسكندرية فسأل أهل مصر عثمان إرسال عمرو بن العاص لقتال منويل المذكور، فجاء إليها عمرو،وحارب حتى افتتحها الفتح الثاني في هذه السنة، وقيل: بل كان ذلك في سنة خمس وعشرين وهو الأصح.

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان – رضي الله عنه.

وفيها – في قول سيف – عزل عثمان سعدا عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط مكانه، فكان هذا مما نقم على عثمان، وكنيته أبو وهب، وهو أخو عثمان لأمه، وله صحبة ورواية، روى عنه أبو موسى الهمذاني والشعبي وحارثة بن مضرب وغيرهم.

وفيها فتح معاوية بن أبي سفيان الحصون وولد له ابنه يزيد.

وفيها توفي سراقة بن مالك بن جعشم أبو سفيان المدلجي.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ذراعان وأربعة عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وستة أصابع.

ولاية أبن أبي سرح على مصر

هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، واسمه الحسام وسرح بالسين والحاء المهملتين والحسام بن الحارث بن حبيب بالحاء المهملة مصغرا بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، أبو يحيى العامري عامر قريش. ولي إمرة مصر بعد عزل عمرو بن العاص في سنة خمس وعشرين، كما تقدم ذكره، من قبل عثمان بن عفان، وجاءه الكتاب بولايته وهو بالفيوم، فجعل لأهل الجواب جعلا فقدموا به مصر، وسكن الفسطاط ومكث أميرا على مصر مدة ولاية عثمان بن عفان كلها وهو أخو عثمان لأمه؛ قاله ابن كثير، قال: وهو الذي شفع له يوم الفتح حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دمه. يأتي ذكر

ذلك مفضلا في آخر ترجمته من كلام ابن حجر بعد أن نذكر نبذة من أموره.
ولما ولي مصر أحسن السيرة في الرعية، وكان جوادا كريما؛ ثم أمره عثمان." (١)

"قال هلال بن الصابيء: وجدت كتابا كتب من مصر في سنة أربع عشرة وأربعمائة على لسان المصريين، وهو كتاب طويل، فمنه: وذهبت طائفة من النصيرية إلى الغلو في أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، غلت وأدعت فيه ما ادعت النصارى في المسيح. ونجمت من هؤلاء الكفرة فرقة سخيفة العقول ضالة بجهلها عن سواء السبيل، فغلوا فينا غلوا كبيرا، وقالوا في آبائنا وأجدادنا منكرا من القول وزورا، ونسبونا بغلوهم الأشنع، وجهلهم المستفظع، إلى ما لا يليق بنا ذكره. وإنا لنبرأ إلى الله تعالى من هؤلاء الجهلة الكفرة الضلال. ونسأل الله أن يحسن معونتنا على إعزاز دينه وتوطيد قواعده وتمكينه، والعمل بما أمرنا به جدنا المصطفى، وأبونا علي المرتضى، وأسلافنا البررة أعلام الهدى. وقد علمتم يا معشر أوليائنا ودعاتنا ما حكمنا به من قطع دابر هؤلاء الكفرة الفساق، والفجرة المراق، وتفريقنا لهم في البلاد كل مفرق، فظعنوا في الآفاق هاربين، وشردوا مطرودين خائفين. وكان من جملة من دعاه الخوف منهم إلى الانتزاح رجل من أهل البصرة أهوج أثول، ضال مضل، سار مع الحجيج إلى مكة حرسها الله فرقا من وقع الحسام، وتستر بالحج إلى بيت الله الحرام. فلما حصل في البيت المفضل المعظم، والمحل المقدس المكرم، أعلن بالكفر، وما كان يخفيه من المكر، وحمله لمم في عقله على قصد الحجر الأسود حتى قصده وضربه بدبوس ضربات متواليات، أطارت منه شظايا وصلت بعد ذلك. ثم إن هذا الكافر عوجل بالقتل على أسوإ حاله وأضل أعماله، وألحق بأمثاله من الكفرة الواردين موارد ضلاله، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. ولعمري إن هذه لمصيبة في الإسلام قادحة، ونكاية فادحة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. لقد ارتقى هذا الملعون مرتقى عظيما، ومقاما جسيما، أذكر به ما كان أقدم عليه غلام ثقيف المعروف بالحجاج لعنه الله من إحراق البيت وهدمه، وإزالة بنيانه وردمه. ثم ذكر كلاما طويلا في هذا المعنى يطول الشرح في ذكره. انتهى كلام ابن الصابيء.
وروى ابن ناصر بإسناد إلى أبي عبد الله محمد بن علي العلوي، قال: وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة كسر الحجر الأسود لما صليت الجمعة يوم النفر الأول بمنى، ولم يكن رجع الناس بعد من منى، قام رجل ممن ورد من ناحية مصر بيده سيف مسلول وبالأخرى دبوس، بعدما قضى الإمام الصلاة، فقصد الحجر الأسود

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣١/١

ليستلمه على الرسم، فضرب وجه الحجر ثلاث ضربات متواليات بالدبوس، وقال: إلى متى يعبد الحجر! ولا محمد ولا علي يقدران على منعي عما أفعله، إني أريد أن أهدم هذا البيت وأرفعه. فاتقاه الحاضرون وتراجعوا عنه، وكاد يفلت. وكان رجلا تام القامة أحمر اللون أشقر الشعر سمينا، وكان على باب المسجد عشرة فرسان على أن ينصروه، فاحتسب رجل من أهل اليمن أو من أهل مكة أو غيرها نفسه، فوجأه **بخنجر** واحتوشه الناس فقتلوه، وقطعوه وأحرقوه بالنار، وثارت الفتنة، وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين غير ما أخفي منهم. وتقشر بعض وجه الحجر في وسطه من تلك الضربات وتخشن. وزعم بعض الحجاج أنه سقط منه ثلاث قطع، وكأنه ثقب ثلاثة ثقوب، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار، وموضع الكسر أسمر يضرب إلى صفرة، محبب مثل الخشخاش. فجمع بنو شيبة ما تفرق منه وعجنوه بالمسك، وحشوا تلك المواضع وطلوها بطلاء من اللك، فهو بين لمن تأمله، وهو على حاله إلى اليوم. انتهى.." (١)

"وفيها توفي الشيخ المسلك أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الدوني الصوفي، أحد كبار مشايخ الصوفية في شهر رجب. وكان له قدم في علم التصوف.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثماني عشرة إصبعا.

السنة السابعة من خلافة الآمر منصور

وهي سنة اثنتين وخمسمائة.

فيها توفي إسماعيل بن إبراهيم بن العباس بن الحسن، الشريف أبو الفضل الحسيني الدمشقي المعروف بابن أبي الجن. كان فقيها فاضلا ثقة. ولي قضاء دمشق مدة، وبها توفي.

وفيها توفي ملك المغرب تميم بن المعز بن باديس أبو يحيى صاحب إفريقية، وينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان، قاله السمعاني. ولد سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وعاش ثمانين سنة، وأقام في الإمرة ستا وأربعين سنة، وخفف مائة ولد لصلبه، قاله صاحب مرآة الزمان؛ قال: لأنه كان مغرى بالجواري مع اهتمامه بالملك؛ وقيل: إنه مات وله خمسون ولدا. وكان مقامه بالمهدية. وكان عظيم القدر شاعرا جوادا ممدحا. وله ديوان شعر. ومن شعره: الكامل

ما بان عذري فيه حتى عذرا ... ومشى الدجى في خده فتحيرا

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٧٢/١

همت تقبله عقارب صدغه ... فأسل ناظره عليها **خنجرا**

والله لولا أن يقال تغنى ... وصبا وإن كان التصابي أجدرا

لأعدت تفاح الخدود بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا

وله أيضا: الطويل

أما والذي لا يعلم السر غيره ... ومن هو بالسر المكتم أعلم

لئن كان كتمان المصائب مؤلما ... لإعلامها عندي أشد وآلم

وفيها توفي الحسن العلوي، أبو هاشم رئيس همذان. كان جوادا ممدحا ممولا شجاعا صاحب صدقات وصلوات. صادره السلطان محمد شاه السلجوقي على تسعمائة ألف دينار، أداها في نيف وعشرين يوما، ولم يبع فيها عقارا.

وفيها توفي الشيخ أبو القاسم علي بن الحسين الربعي البغداي الفقيه المحدث. مات في شهر رجب.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثماني عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا.

السنة الثامنة من خلافة الآمر منصور

وهي سنة ثلاث وخمسمائة.

فيها كاتب السلطان محمد شاه السلجوقي الأمير سكمان بن أرتق صاحب أرمينية وأخلاط وميافارقين، والأمير شرف الذين مودودا صاحب الموصل، ونجم الدين إيلغازي صاحب ماردين بالاجتماع على جهاد الفرنج؛ فاجتمعوا وبدؤوا بالرهاء. وبلغ الفرنج، فاجتمع طنكري صاحب إنطاكية، وابن صنجيل صاحب طرابلس، وبغدوين صاحب القدس، وتحالفوا هم أيضا على قتال المسلمين، وساروا؛ فكانت وقعة عظيمة نصر الله المسلمين فيها وغنموا منهم شيئا كثيرا.

وفيها توفي عمر بن عبد الكريم بن سعدويه، الحافظ أبو الفتيان الدهستاني. كان إماما حافظا محدثا، رحل البلاد وسمع الكثير، وروى عنه أبو بكر الخطيب وغيره، واتفقوا على صدقه وثقته ودينه. ومات في شهر ربيع الأول.

وفيها توفي وجيه بن عبد الله بن نصر الأديب الفاضل أبو المقدام التنوخي.

كان شاعرا فصيحا. ولما أخربت الفرنج المعرة، أنشد في المعنى لمحمود بن علي: الخفيف

هذه صاح بلدة قد قضى الل ... ه عليها كما ترى بالخراب

وقف العيس وقفة وابك من كا ... ن بها من شيوخها والشباب

واعتبر إن دخلت يوما إليها ... فهي كانت منازل الأحباب

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو سعيد محمد بن محمد الأصبهاني المعروف بالمطرز. مات في شوال.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثماني عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس أصابع.

السنة التاسعة من خلافة الآمر منصور

وهي سنة أربع وخمسمائة.

فيها بنى الخليفة المستظهر بالله العباسي على الخاتون بنت ملكشاه السلجوقي أخت السلطان محمد شاه.

وفيها أيضا جهز السلطان محمد شاه المذكور العساكر إلى الشام لقتال الفرنج، وندب جماعة من الملوك معهم، منهم شرف الذين مودود صاحب الموصل، وقطب الدين سكمان بن أرتق صاحب ديار بكر فاجتمعوا ونزلوا على تل باشر ينتظرون البرسقي صاحب همذان، فوصل إليهم وهو مريض، فاختلفت آراؤهم لأمور وقعت، ورجع كل واحد إلى بلاده.." (١)

"وفيها توفي الأمير موعود صاحب الموصل. كان قدم الشام لمساعدة الأتابك ظهير الدين طغتكين وكسر الفرنج. وكان مودود هذا يدخل كل جمعة فيصلي بجامع دمشق ويتبرك بمصحف عثمان رضي الله عنه. فدخل على عادته ومعه الأتابك طغتكين يمشي في خدمته والغلمان حوله بالسيوف مسللة؛ فلما صار في صحن الجامع وثب عليه رجل لا يؤبه له، وقرب من مودود هذا كأنه يدعو له، وضربه **بخنجر** أسفل سرته ضربتين، أحداهما نفذت إلى خاصرته، والأخرى إلى فخذه، والسيوف تأخذه من كل ناحية؛ وقطع رأسه ليعرف شخصه فما عرف. ومات مودود من يومه، وكان صائما فلم يفطر، وقال: والله ما ألقى الله إلا صائما. وكان من خيار الملوك دينا وشجاعة وخيرا. ولما بلغ السلطان محمدا شاه السلجوقي موته أقطع الموصل والجزيرة لآق سنقر البرسقي، وأمره بتقديم عماد الدين زنكي والرجوع إلى إشارته. وزنكي هذا هو

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٥٠/٢

والد الملك العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيد، المنشئ لدولة بني أيوب.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثماني أذرع وخمس عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وإصبعان.

السنة الثالثة عشرة من خلافة الآمر منصور
وهي سنة ثمان وخمسمائة.

فيها واطأ لؤلؤ خادم رضوان على قتل ابن أستاذه ألب أرسلان، ففتكوا به في قلعة حلب.
وفيها نزل الأمير نجم الدين إيلغازي بن أرتق على حمص، وفيها خير خان بن قراجا، وكان عادة نجم الدين إذا شرب الخمر وتمكن منه أقام أياما مخمورا لا يفيق لتدبيره، ولا يستأمر في أمور. وعرف منه خير خان هذه العادة فتركه حتى سكر، فهجم عليه برجاله وهو في خيمته، فقبض عليه وحمله إلى قلعة حمص وسجنه بها أياما، حتى أرسل إليه طغتكين يوبخه ويلومه فأطلقه.
وفيها هلك بغدوين الفرنجي صاحب القدس من جرح أصابه في وقعة طبرية، وأراح الله المسلمين منه، ومصيره إلى سقر.
وفيها قتل الأمير أحمد يل الروادي صاحب مراغة؛ قتله باطني ضربه بسكين في دار السلطان محمد شاه ببغداد. وكان شجاعا جوادا؛ وكان يركب في خمسة آلاف فارس. وكان إقطاعه أربعمائة ألف دينار في السنة.
وفيها توفي علي بن محمد بن محمد بن محمد بن جهير، الصاحب أبو القاسم الوزير ابن الوزير؛ وزر لجماعة من الخلفاء غير مرة. ومات في سابع عشرين شهر ربيع الأول. وكان وزيرا عاقلا حليما سديد الرأي، حسن التدبير والثبات، من بيت رياسة ووزارة.
وفيها توفي الشريف الحسيب النسيب أبو القاسم علي بن إبراهيم الحسيني خطيب دمشق في شهر ربيع الآخر. وكان فاضلا فصيحا خطيبا.
فيها توفي الحافظ الفقيه أبو عبد لله أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني القرطبي، كان عالم بلاده ومفتيها.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وأربع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع.

السنة الرابعة عشرة من خلافة الآمر منصور

وهي سنة تسع وخمسمائة.

فيها صالح الأفضل أمير الجيوش مدبر مملكة الآمر صاحب الترجمة بردويل الفرنجي صاحب القدس. وكان بردويل قد أخذ قافلة عظيمة من المسلمين بالسبخة المعروفة الآن بسبخة بردويل. فرأى الأفضل مهادنته لعجزه عنه، وأمر الناس بذلك، وساروا إلى الشام وغيره.

وفيها توفي علي بن جعفر بن القطاع، أبو القاسم السعدي الصقلي، من أولاد كبار علماء صقلية وقدم مصر ومدح الأفضل أمير الجيوش. وكان شاعرا بارعا. ومن شعره: الطويل

ألا فليوطن نفسه كل عاشق ... على سبعة محفوفة بغرام

رقيب رواش كاشح ومفند ... ملح ودمع واكف وسقام

وفيها توفي محمد بن علي – وقيل محمد بن محمد – بن صالح الشيخ الأديب أبو يعلى العباسي المعروف بابن الهبارية الشاعر البغدادي. كان فيه إقدام بالهجو على أرباب المناصب. وقدم أصبهان وبها السلطان ملكشاه السلجوقي ووزيره نظام الملك حسن الطوسي، فدخل على النظام المذكور ومعه رقعتان، رقعة فيها هجوه والأخرى فيها مدحه؛ فأعطاه التي فيها الهجو يظن أنها التي فيها المدح. وكان الهجو: الكامل

لا غرو أن ملك ابن إس ... حاق وساعده القدر

وصفا لدولته وخ ... ص أبا المحاسن بالكدر

فالدهر كالدولاب لب ... س يدور إلا بالبقر." (١)

"زار الحبيب فحيا ... يا حسن ذاك المحيا

من صده كنت ميتا ... من وصله عدت حيا

وتوفي الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الظاهري الدمشقي الشافعي مدرس الفروخشاهية. كان فقيها فاضلا. مات بدمشق عن نيف وثمانين سنة. وكان له نظم وينشيء المقامات؛ وله القصيدة الحجازية التي أولها:

سرت نسمة الوادي فأذكرت الصبا ... ليالي منى فانصب مدمعه صبا

وتوفي الشيخ الإمام جمال الدين محمد بن علاء الدين على بن الحسن الهروي الحلبي الحنفي، المعروف

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٥٣/٢

بالشيخ زادة. كان فقيها متصوفا زاهدا. قال ابن حبيب: أنشدني بيتين بالفارسي، وذكر لي معناهما، وآقترح علي نظمهما بالعربي، فقلت:

ألحاظه شهدت بأني مخطىء ... وأتت بخط عذاره تذكارا

يا حاكم الحب اتئد في قصتي ... فالخط زور والشهود سكارى

ومن إنشاء الشيخ زادة المذكور قوله:

وما العيش إلا والشبيبة غضة ... ولا الحب إلا والمحبون أطفال

وهم زعموا أن الجنون أخو الصبا ... فليت جنونا دام والناس غفال

وكانت وفاته بحلب عن نيف وخمسين سنة.

وتوفي الشريف علاء الدين أبو الحسن علي ابن الشريف عز الدين حمزة بن علي بن حسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة بن الحسين الحلبي، نقيب الأشراف بحلب؛ وبها مات عن نيف وسبعين سنة؛ وكان رئيسا كاتبا مجيدا عارفا مثريا.

وتوفي الصاحب الوزير علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم، الشهير بابن زنبور، المصري القبطي المقدم ذكره. ولي الوزارة ونظر الجيش والخاص، ولم تجتمع لأحد قبله. ثم نكب وصودر وأخذت أمواله وذخائره التي وصفناها في ترجمة الملك الصالح، ومات بقوص معتقلا.

وتوفي الوزير الصاحب موفق الدين أبو الفضل هبة الله بن سعيد الدولة القبطي المصري. ولي نظر الدولة ثم الخاص ثم الوزارة إلى أن مات. وكان مشكور السيرة حسن الأخلاق، وعنده تواضع وكريم ومعرفة وعقل.

وتوفي الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي الناصري، نائب طرابلس. مات بها وتولى عوضه منجك اليوسفي الوزير أخو بيبغا أرس. وكان أيتمش وافر الحشمة، لين الجانب، بعيد الشر قريب الخير، وعنده عقل وسكون ووقار. ولي الحجوبية والوزارة بالديار المصرية، ثم ولي نيابة دمشق مدة سنين، إلى أن قبض عليه وسجن بثغر الإسكندرية؛ ثم أطلق وولي نيابة طرابلس بعد بكلمش الناصري، فدام على نيابتها إلى أن مات.

وتوفي السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج صاحب الأندلس وما والاها؛ طعن **بخنجر** في جبينه في يوم عيد الفطر، فمات منه، وتسلطن بعده ابنه أبو عبد الله محمد بن يوسف.

وتوفي الأمير سيف الدين إياجي بن عبد الله الناصري، نائب قلعة دمشق. كان شجاعا مقداما، أظهر في فتنة الأمير بيبغا أرس أمرا عظيما من حفظ قلعة دمشق، وقاتل بيبغا أرس قتالا عظيما، وقام في ذلك أتم

قيام.
وتوفي الأمير سيف الدين مغلطاي بن عبد الله الناصري، بطالا في عاشر شهر رمضان؛ وكان من أعيان مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخاصكيته؛ وتولى رأس نوبة، ثم صار أمير شكار، ثم ولي الأمير آخورية الكبرى، ثم أمسك وحبس بعد أمور وقعت له، ثم أطلق وأخرج إلى الشام بطالا، فدام به إلى أن مات رحمه الله تعالى.
وتوفي تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام القبطي المصري في شوال تحت العقوبة؛ وهو أحد الكتاب المعدودة، وتولى عدة وظائف وباشر عدة مباشرات؛ وكان مشكور السيرة. رحمه الله.
أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثلاث عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعا وخمس أصابع.
سلطنة الناصر حسن الثانية
قد تقدم ذكره في سلطنته الأولى من هذا الكتاب، وذكرنا أيضا سبب خلعه من السلطنة بأخيه الملك الصالح صالح، ثم ذكرنا في ترجمة أخيه الصالح سبب خلع الصالح وإعادة الناصر هذا فلا حاجة لذكر ذلك ثانيا. والمقصود هنا الآن ذكر عود الملك الناصر حسن إلى ملكه فنقول:." (١)
"ثم استدعى السلطان القضاة والأمراء والأعيان، فلما اجتمعوا أظهر زكرياء المذكور عهد عمه المعتضد له بالخلافة، فخلع السلطان عليه خلعة غير خلعة الخلافة ونزل إلى داره. فلما كان يوم الخميس ثامن عشرينه طلع الخليفة زكرياء المذكور إلى القلعة وأحضر أعيان الأمراء والقضاة والشيخ سراج الدين عمر البلقيني، فبدأ البلقيني بالكلام مع السلطان في مبايعة زكرياء على الخلافة فبايعه السلطان أولا، ثم بايعه من حضر على مراتبهم، ونعت بالمستعصم بالله، وخلع عليه خلعة الخلافة على العادة، ونزل إلى داره وبين يديه القضاة وأعيان الدولة. ثم طلع زكرياء المذكور في يوم الاثنين ثاني ذي القعدة وخلع عليه السلطان ثانيا بنظر المشهد النفيسي على عادة من كان قبله من الخلفاء، ولم تكن هذه العادة قديما، بل حدثت في هذه السنين.
وفي خامس عشرين ذي الحجة قدم مبشر الحافي السيفي بطا الخاصكي وأخبر أن الأمير آقبغا الماريني

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٧٦/٣

أمير الحاج لما قدم مكة خرج الشريف محمد بن أحمد بن عجلان أمير مكة لتلقيه على العادة ونزل وقبل الأرض ثم قبل خف جمل المحمل. وعندما انحنى وثب عليه فداويان، ضربه أحدهما **بخنجر** في عنقه وهما يقولان: غريم السلطان فخر ميتا وتم نهاره ملقى حتى حمله أهله وواروه. وكان كبيش على بعد، فقتل الفداوية رجلا آخر يطنوه كبيشا. وأقام أمير الحافي لابس السلاح سبعة أيام خوفا من الفتنة، فلم يتحرك أحد. ثم خلع أمير الحافي على الشريف عنان باستقراره أمير مكة عوضا عن محمد المذكور وتسلمها.

ثم في تاسع عشرين ذي الحجة قدمت رسل الحبشة بكتاب ملكهم الحطي واسمه داود بن سيف أرعد ومعهم هدية على عشرين جملا، فيها من طرائف بلادهم، من جملتها قدور قد ملئت حمصا صنع من ذهب إذا رآه الشخص يظنه حمصا، وغير ذلك.

ثم في يوم السبت سابع عشر صفر من سنة تسع وثمانين وسبعمائة قدم الأمير ألطنبغا الجوباني نائب الكرك باستدعاء، فأخلع عليه السلطان باستقراره في نيابة دمشق عوضا عن إشقتمر المارديني، وعزل إشقتمر ولم تكمل ولايته على دمشق عشرة أشهر. وأقام ألطنبغا الجوباني بالقاهرة ثلاثة أيام، وسافر في يوم تاسع عشره بعدما أنعم عليه الملك الظاهر بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم فضة وفرس بسرج ذهب وكنبوش زركش، وأرسل إليه الأمير أيتمش بمائة ألف درهم وعدة بقج ثياب. واستقر مسفره الأمير قرقماس الظاهري، وفرج الجوباني من مصر بتجمل عظيم. ثم رسم باستقرار الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك المهمندار في نيابة حماة عوضا عن الأمير سودون العثماني، واستقر سودون العثماني على إقطاع محمد بن المهمندار المذكور بحلب.

وفي آخر جمادى الآخرة من السنة وهي سنة تسع وثمانين ورد الخبر على السلطان بأن تيمورلنك صاحب بلاد العجم كبس الأمير قرا محمد صاحب مدينة تبريز وكسره، ففر منه قرا محمد في نحو مائتي فارس وتوجه بهم إلى جهة ملطية ونزل هناك ونزل تيمورلنك على آمد. فاستدعى السلطان القضاة والفقهاء والأمراء وتحدث معهم في أخذ الأوقاف من البلاد بسبب ضعف عسكر مصر، فكثر الكلام في ذلك وآل الأمر إلى أنه يأخذ متحصل الأوقاف لسنة وصمم الملك الظاهر على إخراج الجميع للجند، ثم رجع عن ذلك ورسم بتجهيز أربعة أمراء من أمراء الألوف بالديار المصرية وهم: الأمير ألطنبغا المعلم أمير سلاح، والأمير قردم الحسني رأس نوبة النوب، والأمير يونس النوزوزي الدوادار الكبير، والأمير سودون باق، وسبعة أمراء أخر من أمراء الطبلخانات، وعين معهم من أجناد الحلقة ثلاثمائة فارس. فتجهز الجميع وخرجوا من القاهرة

في أول شهر رجب، وساروا إلى حلب ونائبها يوم ذاك سودون المظفري، وقد وصل الخبر بأن قرا محمدا واقع ابن تيمورلنك وكسره ورجع إلى بلاده.." (١)

"وفي يوم السبت خامس عشرين المحرم، خلع الخليفة المستعين بالله الملك الناصر فرج من السلطنة، واتفق الأمراء على إقامة الخليفة المستعين بالله المذكور في السلطنة لتستقيم بسلطنته الأحوال، وتنفذ الكلمة، وتجتمع الناس على سلطان. وثبت خلع الملك الناصر على القضاة، وأجمعوا على إقامة الخليفة سلطانا، فامتنع الخليفة من ذلك غاية الامتناع، وخاف ألا يتم له ذلك فيهلك، وصمم على الامتناع، وخاف من الملك الناصر خوفا شديدا. فلما عجز عنه الأمراء دبروا عليه حيلة، وطلبوا الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك شاه الطازي – وهو أخو الخليفة المستعين بالله لأمه – وندبوه بأن يركب ومعه ورقة تتضمن مثالب الملك الناصر ومعايبه، وأن الخليفة قد خلعه من الملك وعزله من السلطنة، ولا يحل لأحد معاونته ولا مساعدته.

فلما بلغ الخليفة ذلك لام أخاه ناصر الدين بن مبارك شاه المذكور على ذلك، وأيس الخليفة عند ذلك من انصلاح الملك الناصر له، فأذعن لهم حينئذ بأن يتسلطن؟ فبايعوه بأجمعهم، وحلفوا له بالأيمان المغلظة والعهود على الوفاء له وعلى القيام بنصرته ولزوم طاعته.

وتم أمره على ما يأتي ذكره في أوائل ترجمته من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأما الملك الناصر، فإنه لما تسلطن الخليفة، وخلع هو من الملك، نفر الناس عنه، وصاروا حزبين: حزبا يرى أن مخالفة الخليفة كفر، والناصر قد عزل من الملك، فمن قاتل معه فقد عصي الله ورسوله، وحزبا يرى أن القتال مع الملك الناصر واجب، وأنه باق على سلطنته، ومن قاتله إنما هو باغ عليه وخارج عن طاعته. ومن حينئذ أخذ أمر الملك الناصر في إدبار، إلى أن قتل في ليلة السبت سادس عشر صفر من سنة خمس عشرة وثمانمائة بالبرج من قلعة دمشق بعدما حوصر أياما، كما سيأتي ذكره مفصلا في ترجمة المستعين بالله، إلى أن حبس بقلعة دمشق.

وخبره: أنه لما حبس بقلعة دمشق – بعد أمور يأتي ذكرها في سلطنة المستعين وأقام محبوسا بالبرج إلى ليلة السبت سادس عشر صفر المذكور – دخل عليه ثلاثة نفر هم،: الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك شاه الطازي أخو الخليفة المستعين بالله لأمه، وآخر من ثقات شيخ، وآخر من أصحاب نوروز، ومعهم

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢٦٩/٣

رجلان من المشاعلية، فعندما رآهم الملك الناصر فرج قام إليهم فزعا، وعرف فيما جاؤوا، ودافع عن نفسه، وضرب أحد الرجلين بالمدورة صرعه. ثم قام الرجل هو ورفيقه ومشوا عليه وبأيديهم السكاكين، ولا زالوا يضربونه بالسكاكين المذكورة وهو يعاركهم بيديه، وليس عنده ما يدفع عن نفسه به، حتى صرعاه، بعد ما أثخنا جراحه في خمسة مواضع من بدنه. وتقدم إليه بعض صبيان المشاعلية فخنقه وقام عنه، فتحرك الملك الناصر، فعاد إليه وخنقه ثانيا حتى قوي عنده أنه مات، فتحرك، فعاد إليه ثالثا وخنقه، وفرى أوداجه **بخنجر** كان معه، وسلبه ما عليه من الثياب، ثم سحب برجليه حتى ألقي على مزبلة مرتفعة من الأرض تحت السماء، وهو عاري البدن، يستر عورته وبعض فخذيه سراويله، وعيناه مفتوحتان، والناس تمر به ما بين أمير وفقير ومملوك وحر قد صرف الله قلوبهم عن دفنه ومواراته. وبقيت الغلمان والعبيد والأوباش تعبث بلحيته وبدنه.

واستمر على المزبلة المذكورة طول نهار السبت المذكور. فلما كان الليل من ليلة الأحد حمله بعض أهل دمشق وغسله وكفنه، ودفنه بمقبرة باب الفراديس احتسابا لله تعالى، بموضع يعرف بمرج الدحداح، ولم تكن جنازته مشهودة، ولا عرف من تولى غسله ومواراته.." (١)

"عن هشام بن عروة عن أسماء ابنة أبى بكر أنها اتخذت **خنجرا** في زمن سعيد ابن العاص في الفتنة فوضعته تحت مرفقتها فقيل لها ما تصنعين بهذا قالت إن دخل على لص بعجت بطنه: قال وكانت عمياء قالوا ماتت أسماء بعد قتل ابنها عبدالله بن الزبير بليال وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٧٣ * ومارية سرية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسلم وأم ابنه إبراهيم عليه السلام كان المقوقس صاحب الاسكندرية أهداها مع أخت لها يقال لها سيرين مع أشياء أخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر ابن عمر أن يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة حدثه عن عبدالله بن عبدالرحمن ابن أبى صعصعة قال بعث المقوقس صاحب الاسكندرية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٧ من الهجرة بمارية وأختها سيرين وألف مثقال من ذهب

وعشرين ثوبا لينا وبغلته دلدل وحماره عفير ويقال يعقور ومعهم خصى يقال له مابور شيخ كبير كان أخا مارية وبعث به كله مع حاطب بن أبى بلتعة فعرض حاطب على مارية الاسلام ورغبها فيه فأسلمت وأسلمت أختها وأقام الخصى على دينه حتى أسلم في المدينة بعد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٤٨٤/٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم معجبا بأم إبراهيم وكانت بيضاء جميلة فأنزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعالية في المال الذى يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إليها هناك وضرب عليها الحجاب وكان يطأها بملك اليمين فلما حملت وضعت هناك وقبلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو رافع زوج سلمى فبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبراهيم فوهب له عبدا وذلك في ذى الحجه من سنة ٨ وتنافست الانصار في إبراهيم وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبى صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من هواه فيها * قال ابن عمر وكانت مارية من حفن من كورة أنصنا * قال وحدثنا أسامة بن زيد الليثى عن المنذر بن عبيد عن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه وكانت أخت مارية يقال لها سيرين فوهبها النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت فولدت عبدالرحمن." (١)

"القاضي، الخطيب، الأمين، ولد بالكوفة في حدود سنه ثمان وأربعمئة، ونشأ بها وقرأ القرآن بروايات، وسمع بها الحديث من خاله أبي طالب بن النجار الكوفي، ودخل بغداد، فأقام بها وقرأ بها الأدب على أبي الفتح ابن برهان، ثم قدم دمشق في صحبة والده، وسمع بها الحديث من جماعة، وأقام بها مدة يتولى القضاء والخطابة نيابة عن الشريف أحمد الزيدي، ثم خرج بعد ذلك إلى طرابلس فأقام بها، وبلغه أن أهل وابنه أبا القاسم قد توجهوا إلى طرابلس، فخرج لتلقيهم، فأدركه أجله بحصن المنيطرة، فمات آخر سنة ثمان وستين وأربعمئة، ذكر ذلك ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحسين، وأنشد له: كتب عمي إلى ابن الماشكي الوزير:

أسيدنا الوزير نسيت نذري ... وقد شبكت خمسك بين خمسي

وقولك: إن وليت الأمر يوما ... لأتخذن نفسك مثل نفسي

فلما أن وليت جعلت حظي ... من الإنصاف بيعك لي ببخس

١٨٤ - محمد بن حسان الضبي أبو عبد الله

شاعر أديب، ضمه المأمون إلى العباس ولده يؤدبه وهو القائل يرثي قوما: رمل مجزوء:

خل دمع العين ينهمل ... بان من تهواه فاحتملوا!

كل دمع صانه كلف ... فهو يوم البين مبتذل

يا أخلائي في الذين نأت ... بهم الطيات وانتقلوا

---

(١) المنتخب من ذيل المذيل، ص/١٠٨

قد أبى ان تنثني بكم ... أوبة يحيا بها الأمل

ومن قوله: طويل:

ففيم أجن الصبر والبين حاضر ... وأمنع منهل الدموع السواكب

وقد فرقت جمع الهوى طية النوى ... وغودرت فردا شاهدا مثل غائب

ومن قوله: كامل:

طامن حشاك فكلنا ميت ... وإذا ظفرت فقصرك الفوت

حكم الإله على البرية كلها ... أن الحياة قصارها الموت

١٨٥ - محمد بن حبيب المهدوي القلانسي

شاعر مجيد من أهل المهدية، مذكور في زمانه، فمن شعره: قوله: طويل:

بدور وجوه في ليالي ذوائب ... لعبن بلبي بين تلك الملاعب

ترفعن من خوف العيون وإنما ... طلعن شموسا تحت غر السحائب

وفوقن من تحت البراقع أسهما ... من اللحظ ترمى عن قسي الحواجب

١٨٦ - محمد بن الحارث التميمي البصري

من عبد شمس بن زيد مناة بن تميم، شاعر مذكور في زمان المأمون هو الذي يقول: منسرح:

كأن طرف المحب حين يرى ... حبيبه خنجر على كبده

قد يكره الشيء وهو منفعة ... ويطرف المرء عينه بيده

وله: بسيط:

كان شهري ربيع يوم ضحكته ... ويوم عبسته أيام تشرين

١٨٧ - محمد بن حامد القيرواني أبو عبد الله

شاعر مجيد، خرج عن القيروان إلى الديار المصرية، وكان نزه النفس عن قصد الأداني، أنبأنا شهاب بن محمود الهروي، أخبرنا عبد الكريم بن محمد السمعاني، أنشدنا أبو الفتوح محمد بن الفضل المهرجاني بدرب زاخي، أنشدنا أبو القاسم نصر بن محمد بن علي بن زيرك الهمذاني بهمذان، أنشدنا والدي أبو بكر عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحد بن روزبه الفارسي، أنشدنا أبو عبد الله محمد بن حامد القيرواني بدمياط: خفيف:

فا سأل العرف إن أردت كريمايعرف العز والغنى واليسارا

فقليل الكريم يورث مجدا ... وكثير اللئيم يورث عارا

وإذا لم يكن من الذل بدفالق بالذل إن لقيت الكبارا

ليس إجلالك الكبار بذل ... إنما الذل أن تجل الصغارا

١٨٨ - محمد بن حمران بن أبي حمران الجعفي، لقبه الشويعر

لقبه بذلك بيت شعر قاله فيه امرؤ القيس بن حجر الكندي وهو: خفيف:

أبلغا عني الشويعر أني ... عمد عين قلدتهن حريما

وهو أحد من سمي محمدا في الجاهلية، وهو القائل من أبيات: كامل مجزوء: بلغ بني حمران أن - ني عن عداوتكم غني

يكفيك نعي الأبلح ال ... جبار إن نزل النصي

في نحره متقبضا ... كتقبض النبع الرمي

١٨٩ - محمد بن حيدرة بن حمدان." (١)

"شاعر كان في خدمة محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر فلما زال أمره على يد يعقوب الصفار، قال محمد بن سليمان: كامل:

من كان يدري أن مثل محمد ... يغتاله خطب الزمان الأنكد

وهو الذي لولاه ما افترع الندى ... عذر المكارم والنهى والسؤدد

قل للخلافة فلتمت إن لم يمت ... يعقوب ميتة حائر متلدد

٣١١ - محمد بن سعيد العامري الدمشقي

شاعر مذكور في وقته، وهو القائل: كامل:

لما اعتنقنا للوداع وأعربت ... عبراتنا عنا بدمع ناطق

فرقن بين محاجر ومحاجر ... وجمعن بين بنفسج وشقائق

وأنا الفداء لظبية أحداقنا ... موصولة من وجهها بحدائق

٣١٢ - محمد بن سعيد بن خداش بن إبراهيم بن

---

(١) المحمدون من الشعراء، ص/٦٦

ميسرة، أبو خداش الباخرزي له شعر يعتمد فيه الرقة دفعة والإغراب أخرى، فمن شعره: متقارب:

أطاع النهى قلبه المختلب ... وعاصى دواعي الهوى والطرب

وشمر ذيل الصبا نازعا ... عن الواسمات له بالريب

يراعى النجوم بعين الهمو ... م كئيبا، ومن يغترب يكتئب

ثوى بالمدينة عاما بها ... دراكا إلى رجب من رجب

ومنها:

وبيضاء كالشمس رؤد الشبا ... ب ربيبة بيت عزيز الطنب

كأن بفيها بعيد الرقا ... د وقد صعد النجم إذ قد كرب

عتيق العقار بمسك التجا ... ر بأري يشاب ولم يؤتشب

تمتعت منها بطيب السما ... ع وجانبت في الله ما لم يطب

وصفراء كالمسك إن ذقتها ... بشم وفي لونها كالذهب

إذا هي ريضت بقرع المزا ... ج ترامى لها شرر كالشهب

فمنها مصابيح شرابها ... وطيب الندامى إذا ما تصب

شهدت مجالسها للحدي ... ث وعاصيت في شربها من شرب

ومنها:

أجارة بيتي بعض الملا ... م فلومك نار وقلبي حطب

٣١٣ - محمد بن سعيد العامري الدمشقي

من شعراء دمشق؛ كان متشيعا، يظهر التشيع، فاغتاله قوم من أهل دمشق، فقتلوه لرفض بلغهم عنه، ولقوله في قصيدة طويلة سب؟ فيها أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - أولها: رجز:

لقد غنيت أدهرا وأدهرا ... سكران لا آلف إلا المسكر

ولا أرى المعروف إلا المنكرا ... فان يكن سري قد تسررا

عنى وعاد الصفو مني كدرا ... وصرت هما حنفا مكسرا

وخان عيني ناظري وسكرا ... وطال ما كنت غضيضا أحورا

وطالما كنت فتى حزورا ... مزعفرا معطرا معنبرا

أسحب بردا وأجر مئزرا ... إذا مشيت للصبى التبخترا

ثم ضممت الكف إلا الخنصرا ... وقد حملت للمجون خنجرا

وظلت الكاعب تلحى المعصرا ... وهي ترى في كمثل ما ترى

سقيا لذاك ما ألذ منظرا ... بدلت بالنوم الطويل السهرا

ومت لا موتا ولكن كبرا ... ومن وقار المرء أن يوقرا

لزاجر من المشيب زجرا ... أن يألف العرف ويأبى المنكرا

٣١٤ – محمد بن سعيد بن ضضم بن الصلت بن المثنى بن المحلق الكلابي، أبو مهدي

شاعر، وأبوه ضمضم الكلابي شاعر، وهو أعرابي فصيح، مدح محمد ابن عبد الله بن طاهر ورثاه بعد مماته، وبقي إلى قبيل الثمانين والمائتين، وهو القائل: بسيط:

إن القطوف إذا ما مد غايته ... يوم الرهان الجياد القرح انبهرا

ليس الذي حلب الأيام أشطرها ... كمثل من كان من تجريبها غمرا

وله من قصيدة: بسيط:

حيا الإله تحيات مضاعفة ... عصر الشباب وعهد البدن الخرد." (١)

"ولما كان الثالث عشر من رمضان رأى السلطان أن يتأخر العسكر الجميل ليتمكن الناس من إنقاذ دوابهم إلى العلوفة، فإنا كنا على الرملة قريبين من العدو، ولا يمكن التفريط في الدواب خشية المهاجمة، فرحل ونزل على جبل متصل بجبل النطرون بالثقل الكبير وجمع العساكر ما عدا اليزك على العادة، وذلك بعد خراب الرملة ولد، ولما نزل هناك دار حول النطرون وأمر بخرابها، وكانت قلعة منيعة حصينة من القلاع المذكورة فشرع في خرابها.

وترددت الرسل بين الملك العادل والأنكتار يذكرون أنه قد سلم أمر الصلح إلى الملك العادل، وأخلد إليه، وخرج في عشرة أنفس إلى اليزك، فأخبروه بأخبار طيبة وكتب بها إلى السلطان في السابع عشر، وكان مما اخبره به أخوه أن الملك افرنسيس مات، وكان موته بأنطاكية عن مرض عرض له، وأن الأنكتار عاد إلى

(١) المحمدون من الشعراء، ص/١١٣

عكا، وكان سبب عوده أنه صح عند مراسلة المركيس للسلطان وبلغه أن المركيس قد انتظم الحال بيننا وبينه وأنه قد استقرت القاعدة على عكا، فعاد هو إلى عكا لفسخ هذه المصالحة واسترجاع المركيس إليه، فركب السلطان إلى اليزك واجتمع بأخيه في لد، وسأله عن الأخبار، وعاد إلى المخيم وقت العصر، وأتى باثنين من الإفرنج قد تخطفهم اليزك فأخبروا بصحة موت الإفرنسيس وعود الأنكتار إلى عكا.

ذكر مسير الملك العادل إلى القدس

ولما كان التاسع عشر اقتضى الحال تفقد القدس والنظر في عمارته، وكان الملك العادل قد عاد من اليزك وعلم بعد مسير مقدمي الإفرنج عنا فرأى أن يكون هو الذي يسير، فسار في هذا اليوم لهذا الغرض. وفي تاريخ هذا اليوم وصل كتاب من تقي الدين يخبر فيه أن قزل صاحب ديار العجم ابن يلدكز قفز عليه أصحابه فقتلوه، وقيل أن ذلك كان من تحت يد زوجته تعصبا للسلطان طغريل، وجرى بسبب قتله خبط عظيم في بلاد العجم، وكان قتله في أوائل شعبان من هذه السنة.

ولما كان الحادي والعشرون من رمضان قدم الملك العادل من القدس، وفي هذا التاريخ وصل كتاب من الديوان العزيز النبوي يذكر فيه قصد الملك المظفر تقي الدين خلاط ويذكر فيه العناية التامة ببكتمر ويشفع في حسن بن قفجاق والتقدم بإطلاقه، وكان قد قبض عليه مظفر الدين بن زين الدين بإربل ويتقدم بمسير القاضي الفاضل إلى الديوان لبث حال وفصل أمر وسير الكتاب إلى الفاضل ليقف عليه ويكتب إلى تقي الدين.

ذكر أخبار يزك كان على عكا

ولصوص دخلوا في خيام العدو

ولما كان الثاني والعشرون أحضر لصوص فرسا وبغلة قد دخلوا إلى خيم العدو وسرقوهما، وكان قد رتب رحمه الله ثلاثمائة لص من شلوح العرب يدخلون ويسرقون منهم أموالهم وخيولهم ويسرقون الرجال أحيانا، وذلك أنه يكون الواحد منهم نائما فيوضع على حلقه **الخنجر** ثم يوقظ فيرى الشلح وقد وضع **الخنجر** على نحره فيسكت ولا يتجاسر أن يتكلم فيحمل وهو على هذا الوضع إلى أن يخرج من الخيم ويؤخذ أسيرا، وتكلم منهم جماعة فنحروا، فصار من أصابه ذلك لا يتكلم، واختاروا الأسر على القتل، وداموا على ذلك مدة طويلة إلى انتظام الصلح.

وفي ذلك اليوم وصل من اليزك من أخبر أنهم خرجوا من عكا يتفسحون وأن اليزك حمل عليهم فأسر منهم

أحدا وعشرين نفسا، وأن الأسرى أخبروهم بصحة عود الأنكتار إلى عكا وأنه مريض بها، وخبروا عن ضعف أهل عكا وفقرهم وقلة الميرة عندهم. وفي هذا التاريخ وصل للعدو مراكب عدة قيل أنها وصلت من عكا وأن فيها الأنكتار قد عاد بجماعة عظيمة ليقصد عسقلان ويعمرها، وقيل يقصد القدس، والله اعلم.

ولما كان الرابع والعشرون وصل الأسرى المذكورون من الزيب وكان وصولهم فرحا للمسلمين مبشرا بكل خير وفيه وصل رسول قزل وكان قد سيره قبل وفاته، ورسول ابن أخيه إيناج، وفي عشيته وصل رسول من الأنكتار معه حصان إلى الملك العادل في مقابلة هدية كان أنفذها عليه، وفيه وصل خبر وفاة حسام الدين لاجين بدمشق لمرض كان اعتراه فصعب على السلطان موته وشق عليه، وفيه وصل كتاب من سامة يذكر فيه أن البرنس أغار على جبلة واللاذقية وانه كسر كسرة عظيمة وقتل منه جماعة وعاد إلى أنطاكية.

ذكر رسول الملك العادل إلى الأنكتار." (١)

"ومن هذا المجرى الذي فتحه عمر انساقت إليه بقية الزوايا المبثوثة على الجبل الأخضر وبرقة البيضة بل وتونس والجزائر والسودان والتشاد وجبل أبي قبيس بمكة المكرمة . وما إن استوت هذه الإصلاحات بالزوايا على سوقها وعمرت بشباب يدرس ويغرس ويصنع في هذا الفجر البهيج والمبشر بالفتح حتى بزغ هنا بطرابلس فجر آخر موحش اظلمه دخان قنابل إيطاليا التي غزت مدينة طرابلس الغرب في شهر سبتمبر من عام ١٩١١ ... وهنا تاقت نفس الشاب عمر المختار إلى الجهاد بعد أن امسك **بخنجره** الصغير لا غير واقسم ليجاهدن في سبيل الله.

... النفوس الكبيرة

..قال ذلك عنوة أمام طلبته وما قصده منهم حصل . وقالوا بصوت واحد (إحنا وراك يا عمر..) .. وسار عمر إلى درنة وفي طريقه الطويل من زاوية العبيد إلى درنة وهذا يكاد يكون طول الجبل كله أي ٣٢٠ كيلومتر وعمر المختار يخطب بأعلى صوته وقوة نبراته في "النجوع " التي يمر بها . وتبع ذلك الصوت عدا طلبته المئات من راغبي الجهاد وساروا يواكبونه حتى وصل "ذور" وهذه اللفظة تعني المعسكر درنة وهناك التقوا في وادي أبي منصور وشلالاته بالسيد احمد الشريف وهو متمنطق بكامل عدته ومعه فرسان

---

(١) النوادر السلطانية، ص/٨٧

المدينة فانضم إليهم الوافدون وانضم الجميع إلى الجيش التركي والذي كان يقوده القائد التركي المؤمن "أنور باشا" وكان لسان حال مسيرتهم ينشد " أنا وأخي وابن عمي على عدوي..."

..بقي عمر المختار يقوم بالواجب في الجهاد وتفقد خطته الأساسية المكلف بها ألا وهي مشيخة الزاوية فتجده هنا كما تجده هناك يطارد ضيوف الشيطان .. وما أقسى هؤلاء الطليان الذين مهما كتب فيهم الكاتب وأبدع لا يأتي إلا بحبة من حمل نخلة.. ثم إن الاستعمار الإيطالي ذاق المرارة التي لم يكن يتصورها.." (١)

"المصك الطائي

- هـ / - م

المصك الطائي.

شاعر من الخوارج يروى أنه حاول قتل سيف بن هانئ وذلك عندما تجمع بعض الخوارج بالفلوجة أيام الجماجم ، فاشترى حمارا وخرج إلى راذان فرآه سيف في الصف الأول فاستراب به.

فقال لأصحابه: خذوه حتى أصلي، وفتش فوجد معه **خنجر**، فضرب سيف عنقه.

له شعر في شعر الخوارج.." (٢)

" فقال وهل العلماء الا شعبة من شعبة وقال أبو قطن قال شعبة لي ما شيء اخوف عندي ان يدخلني النار من الحديث وقال عنه وددت اني وقاد حمام ولم اعرف الحديث اتفقوا على موت شعبة سنة ستين ومائة فيقال مات في أولها رحمه الله تعالى

١٨٨٤٨٤ ٨ - ٤ المسعودي الامام الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي الكوفي أحد الاعلام وهو أخو أبي العميس عتبة حدث عن عون بن عبد الله وعلي بن الأقمر وعلقمة بن مرثد وسعيد بن أبي بردة وزياد بن علاقة وعمرو بن مرة وطبقتهم حدث عنه بن المبارك وابن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي وأبو المغيرة الحمصي ويزيد بن هارون وجعفر بن عون وأبو

---

(١) تراجم شهداء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث١، ص/٣٧

(٢) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/٨٢١

داود وأبو نعيم والمقبري وعلي بن الجعد وخلق وكان مداخلا للدولة يلبس قباء اسود وفي وسطه **خنجر** وعلى رأسه الطويلة فتوقف بعض العلماء عن الأخذ عنه لذلك وقد تغير بعض حفظه في الآخر وثقه احمد بن حنبل وابن معين وابن المديني وقال علي قد كان يغلط في ما روى عن عاصم بن بهدلة وسلمة وقال بن نمير ثقة واختلط بأخرة وقال النسائي ليس به بأس وعن مسعر قال ما أعلم أحدا أعلم بابن مسعود من المسعودي وقال أبو حاتم كان اعلم أهل زمانه بحديث بن مسعود تغير قبل موته بسنة أو بسنتين وقال شعبة هو صدوق قال طائفة توفي سنة ستين ومائة ." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣١ """"""""

من هو أفضل مني ، في الوجه الذي تحب ، تعفيني فقال له : نعم فدله عيسى ابن مسكين . وكان بالحضرة حمديس ؛ فقال : إنه ، والله أيها الأمير ، صاحبنا عند سحنون . جمع الله فيه خلال الخير بأسرها فأرسل فيه إبراهيم إلى كورة الساحل ، وأوصله إلى نفسه ، وقال : تدري لم بعثت لك ؟ قال : لا . قال : لأشاورك في رجل قد جمع الله فيه خلال الخير . أردت أن أوليه القضاء ، وألم به شعث هذه الأمة ؛ فامتنع . قال : يلزمه أن يلي . قال : تمنع . قال : يجبر على ذلك قال : تمنع . قال : يجلد قال : قم فأنت هو قال : ما أنا الذي وصفت وتمنع . فأخذ الأمير بمجامع ثيابه ، وقرب السيف من نحره ؛ فتقدم إليه **بخنجره** . قال حمديس : وكنت في المجلس ؛ فقمت من مكاني ، لئلا يصيبني من دمه . فلم يزل به حتى ولى على شروط ، منها قال له : أستعفيك في كل شهر قال : نعم قال : وأجعلك ، وبني عمك ، وجندك ، وفقراء الناس ، وأغنياءهم في درجة واحدة . قال : نعم قال : ولم توجه ورائي ، وكذا وكذا . فمتى لم تف لي بشرط ، عزلت نفسي . قال : نعم وعرض عليه عند ذلك الكسوة والصلة . فامتنع وقال له : أنا رجل طويل الصمت ، قليل الكلام ، غير نشيط في أمور ، ولا أعرف أهل البلد . فقال له الأمير : عندي مولى نشيط ، قد تدرب في الأحكام . أنا أضمه إليك : يكون عنك كتابا يصدر عنك في القول . فما رضيت منه ، أمضيت ؛ وما سخطت ، رددت . فضم إليه عبد الله بن محمد بن مفرج . قال المخبر : فكثيرا ما كنت آتي مجلسه وهو صامت لا يتكلم ؛ وابن مفرج يقضى . وسئل عن فرط انقباضه في قضائه . فقال : ابتليت بجبار عنيد ، خفت أن يبعث إلي من طعامه ، أو يدعوني إليه . ولا آتيه ؛ فحملت نفسي على ذلك ، ليقطع طمعه مني ومن كلام هذا القاضي رحمه الله : من قاس الأمور ، علم المستور . من حصن شهوته ، صان قدره .

---

(١) تذكرة الحفاظ، ١٩٧/١

في تقلب الأحوال ، علم جواهر الرجال . الحسن النية ، يصحبه التوفيق . المعاش مذل لأهل العلم . كفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك . قارب الناس في عقولهم ، تسلم من غوائلهم . وكان ، إذا تحدث عن أيام قضائه ، يقول : كنت." (١)

"وعلى نحره وشاحان من شذ ... ر نثير ولؤلؤ منظوم

رافع راية من الذنب المش ... رف يسعى بها كسعي الظليم

وإذا ما مشى التبهنس مشي ال ... طرب المنتشي من الخرطوم

وسم الأرض وسم طين كتاب ... بخواتيم كاتب مختوم

وله خنجران في قصب السا ... قين قد ركبا لحفظ الحريم

وعليه من ريشه طيلسان ... صيغ من صنعة اللطيف الحكيم

وإذا ما رأيته بين خمس ... من دجاجاته كبار الجسوم

قلت ملك يخدمنه فتيات ... يتهادين بين زنج وروم

وترى عرفه فتحسبه التا ... ج على رأس كسروي كريم

ثاقب العلم بالمواقيت ليلا ... ونهارا وحاذق بالنجوم

ويحث الجيران حولي على الب ... ر كحث المدير كأس النديم

ابن صاحب الصلاة

أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فتوح، الحضرمي الأستاذ الداني النحوي المعروف بعبدون وبابن صاحب الصلاة. أقرأ النحو بشاطبة زمانا، وأدب بني صاحب بلنسية، وكان مبرزا في العربية مشاركا في الفقه ويقول الشعر، وفيه تواضع وطيبة أخلاق. توفي ببلنسية مستهل رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وأخذ عنه جلة منهم أبو جعفر الذهبي، وأبو الحسن ابن حريق وأبو محمد ابن نصرون، وأبو الربيع ابن سالم، ومن شعره في ابن سعد وقد كبت به البغلة:

إن تكب في السير بنت العير بالملك ... فليس يدركها في ذاك من درك

عذر الملومة فيها أنها حملت ... ما ليس يحمل غير الأرض والفلك

الدهر والبحر والطود الأشم ذرى ... والبدر بدر الدجى والشمس في الحلك

---

(١) تاريخ قضاة الاندلس، ص/٣١

وهذا مأخوذ من قول ابن المعتز في رئيس سقط عن بغل:

لا ذنب عندي لابن العير يوم وهت ... قواه من خور فيها ومن لين

حملتموه سوى ما كان يحله ... فره البغال وأصناف البراذين

الشمس والبدر والطود المنيف ولي ... ث الغاب والبحر والدنيا مع الدين

وللشعراء في هذا أبيات نادرة، وهو من تحسين القبيح، منها قول أبو بكر ابن مجبر:

لا ذنب للطرف إن زلت قوائمه ... وهضبة الحلم إبراهيم يجريها

وكيف يحمله طرف وخردلة ... من حلمه تزن الدنيا وما فيها

وله أيضا:

ألا اصفح عن الطرف الذي زل إذ جرى ... أيثبت طرف فوقه الناس والدهر

تداخله كبر لئن كنت فوقه ... فتلك لعمري زلة جرها الكبر

ثبت عليه حين زل رجاحة ... أيخرج عن أثناء هالته البدر

ولم يدر هل أمسكته أو ركضته ... وللعجب سكر ليس يعدله سكر

ومن شعر عبدون أيضا:

يا من محياه جنات مفتحة ... وهجره لي ذنب غير مغفور

لقد تناقضت في خلق وفي خلق ... تناقض النار بالتدخين والنور

ومنه ما ألغزه في باكورة تين:

وما شيء نماه العود حتى ... تناهى بالنماء إلى الصلاح

تكفله الهواء بدر سكرى ... من الأنواء صيبة رداح

طلته الشمس مسكا ثم خطت ... بكافور عليه يد الرياح

خطوطا بالبياض على سواد ... كما خط الدجى ضوء الصباح

ولعبدون في رحلته عن شاطبة إلى بلنسية – وكان الرئيس أبو الحجاج يوسف بن سعد هو الذي نقلها منها واستأدبه لبنيه لما كان عليه من التصاون والعدالة، وأباح له الإقراء، فكان يعلمهم العربية بالقصر فإذا انفصل عنهم علم الناس أيضا بمسجد رحبة القاضي من بلنسية، إلى أن توفي في التاريخ المتقدم ذكره:

سأرحل عن دار نبت بي ولم يقم ... بها أحد بي حين أقعدني الدهر

ففي الناس صحب إن جفاني صاحب ... وفي الأرض قطر حافل إن نبا قطر
ألم تر أن الماء بالجري أزرق ... وبالمكث في مستنقع الماء مصفر
ورحلة أهل الفضل عن أهل بلدة ... شهيد بنقص فيهم ولها خسر." (١)

"...وأما شجاعتها وجراءتها وجهادها في سبيل الله فأمر يفوق الخيال: فمن ذلك خروجها مع الجيش يوم اليرموك، فلقد شهدت اليرموك مع زوجها الزبير وابنها عبد الله٣٥٤٨، ومن شجاعتها استعدادها التام لمواجهة اللصوص الذين كثروا في يوم من الأيام بالمدينة، عن فاطمة بنت المنذر أن أسماء بنت أبي بكر اتخذت خنجرا زمن سعيد بن العاص . أي في زمن إمارته المدينة وكانوا قد كثروا في المدينة، فكانت تجعله تحت رأسها٣٥٤٩.

٤ . علاقتها بالقرآن الكريم :

...كانت رضي الله عنها قد تربت على كتاب الله وهدي النبي صلى الله عليه وسلم وإليك هذه الصورة المشرقة من حياتها مع القرآن الكريم فذات يوم دخل عليها ابنها وهي تصلي فسمعها تقرأ هذه الآية ((فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) (الطور ، الآية : ٢٧). فبكت واستعاذت... فقام وهي تستعيذ. فلما طال عليه أتى السوق وقضى منه حاجته.. ثم رجع فوجدها ما تزال في بكائها تسـتعيذ٣٥٥٠. وكانت إذا أصيبت بالصداع تضع يدها على رأسها وهي تقول: بذنبي وما يغفر الله أكثر٣٥٥١. وهذا فهم عميق لقول الله تعالى: ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (الشورى: ٣٠) وقد أفرد الدكتور محمد بن لطفي الصباغ رساله قيمة في حياة السيدة أسماء رضي الله عنها، وسيأتي الحديث عن بعض الدروس والعبر في حصار الحجاج لأبنها عبد الله بمكة بإذن الله.

خامسا: أولاد ابن الزبير وزوجاته:

كان له من الولد خبيب وحمزة وعباد وثابت وأمهم تماضر بنت منظور الفزاري، وهاشم وقيس وعروة . قتل مع أبيه . والزبير، وأمهم أم هاشم بنت حلة بن منظور وعامر وموسى وأم حكيم وفاطمة وفاختة، وأمهم جثيمة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وبكر ورقية وأمهم عائشة بنت عثمان بن عفان، وعبد الله ومصعب

---

(١) تحفة القادم، ص/٢٠

من أم ولد٣٥٥٢.

سادسا : ابن الزبير في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم:." (١)

"ويوضح للقارئ حقيقة الدولة العثمانية والأسس التي قامت عليها والأعمال الجليلة التي قدمتها للأمة؛ كحماية الأماكن المقدسة الإسلامية من مخططات الصليبية البرتغالية، ومناصرة أهالي الشمال الأفريقي ضد الحملات الصليبية الإسبانية وغيرها، وإيجاد وحدة طبيعية بين الولايات العربية ، وإبعاد الزحف الاستعماري عن ديار الشام ومصر، وغيرها من الاراضي الاسلامية، ومنع انتشار المذهب الاثنى عشري الشيعي الرافضي الى الولايات الاسلامية التابعة للدولة العثمانية ومنع اليهود من استيطان فلسطين، ودورها في نشر الاسلام في أوروبا ويتحدث هذا البحث عن سلبيات الخلافة العثمانية ، والتي كان لها الأثر في إضعاف الحكم، كأهمال اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف في أخر عهدها، وعدم الوعي الاسلامي الصحيح، وانحرافها عن شرع الله تعالى وتأثرها بالدعوات التغريبية،

ويتكلم عن حقيقة الصراع بين الحركة الوهابية والدولة العثمانية، وعن الدور المشبوه الذي قام به محمد علي لصالح بريطانيا وفرنسا في ضربه للتيار الاسلامي في مصر، والحجاز ، والشام، وعن حركته التغريبية التي كانت خطوة نحو الإنسلاخ عن المبادئ الاسلامية الأصيلة ويتحدث عن الدعم الماسوني الذي كان خلف سياسات محمد علي المدمرة للأمة الاسلامية ويوضح الكتاب أن محمد علي كان مخلبا وخنجرا مسموما استعمله الأعداء في تنفيذ مخططاتهم ولذلك وقفوا معه في نهضته العلمية ، والاقتصادية والعسكرية بعد أن أيقنوا بضعف الجانب العقدي والإسلامي لديه ولدى أعوانه وجنوده، وكيف ترتب على دور محمد علي في المنطقة بأسرها أن تنبهت الدول الأوروبية الى مدى الضعف الذي أصبحت عليه الدولة العثمانية، وبالتالي استعدادها لتقسيم أراضيها حينما تتهيأ الظروف السياسية.." (٢)

"بعد الانتصار في قوصووه، قام السلطان مراد يتفقد ساحة المعركة ويدور بنفسه بين صفوف القتلى من المسلمين ويدعوا لهم، كما كان يتفقد الجرحى، وفي أثناء ذلك قام جندي من الصرب كان قد تظاهر بالموت وأسرع نحو السلطان فتمكن الحراس من القبض عليه، ولكنه تظاهر بأنه جاء يريد محادثة السلطان ويريد أن يعلن اسلامه على يديه، وعند ذلك أشار السلطان للحرس بأن يطلقوه فتظاهر بأنه يريد تقبيل يد

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٢٧٥/٢

(٢) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ٣/١

السلطان وقام في حركة سريعة بإخراج خنجر مسموم طعن به السلطان فاستشهد رحمه الله في ١٥ شعبان ٧٩١هـ(١).

أ- الكلمات الأخيرة للسلطان مراد:

" لايسعني حين رحيلي إلا أن أشكر الله إنه علام الغيوب المتقبل دعاء الفقير، أشهد إن لا إله إلا الله ، وليس يستحق الشكر والثناء إلا هو، لقد أوشكت حياتي على النهاية ورأيت نصر جند الاسلام. أطيعوا ابني يزيد، ولاتعذبوا الأسرى ولا تؤذونهم ولا تسلبوهم وأودعكم منذ هذه اللحظة وأودع جيشنا الظافر العظيم الى رحمة الله فهو الذي يحفظ دولتنا من كل سوء"(٢) لقد استشهد هذا السلطان العظيم بعد أن بلغ من العمر ٦٥ عاما.

ب- دعاء السلطان مراد قبل إندلاع معركة قوصوه:

---

(١) انظر: تاريخ سلاطين آل عثمان للقرماني ، ص١٦.

(٢) انظر: الفتوح الاسلامية عبر العصور، ص٣٩١.." (١)

"اراد السلطان أن يكون شيخه بجانبه أثناء الهجوم فأرسل إليه يستدعيه لكن الشيخ كان قد طلب ألا يدخل عليه أحد الخيمة ومنع حراس الخيمة رسول السلطان من الدخول وغضب محمد الفاتح وذهب بنفسه الى خيمة الشيخ ليستدعيه، فمنع الحراس السلطان من دخول الخيمة بناء على أمر الشيخ، فأخذ الفاتح خنجره وشق جدار الخيمة في جانب من جوانبها ونظر الى الداخل فإذا شيخه ساجدا لله في سجدة طويلة وعمامته متدحرجة من على رأسه وشعر رأسه الأبيض يتدلى على الأرض، ولحيته البيضاء تنعكس مع شعره كالنور، ثم رأى السلطان شيخه يقوم من سجدته والدموع تنحدر على خديه، فقد كان يناجي ربه ويدعوه بأنزال النصر ويسأله الفتح القريب(١).

وعاد السلطان محمد (الفاتح) عقب ذلك الى مقر قيادته ونظر الى الأسوار المحاصرة فإذا بالجنود العثمانيين وقد أحدثوا ثغرات بالسور تدفق منها الجنود الى القسطنطينية(٢).

ففرح السلطان بذلك وقال ليس فرحي لفتح المدينة إنما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زمني(٣).

وقد ذكر الشوكاني في البدر الطالع أن الشيخ شمس الدين ظهرت بركته وظهر فضله وأنه حدد للسلطان

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ٨٢/١

الفاتح اليوم الذي تفتح فيه القسطنطينية على يديه(٤).

وعندما تدفقت الجيوش العثمانية الى المدينة بقوة وحماس، تقدم الشيخ الى السلطان الفاتح ليذكره بشريعة الله في الحرب وبحقوق الأمم المفتوحة كما هي في الشريعة الاسلامية(٥).

---

(١) العثمانيون في التاريخ والحضارة ، ص٣٧٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص٣٧٤.

(٣) انظر: البدر الطالع (١٦٧/٢).

(٤) المصدر السابق نفسه (٢/١٦٦).

(٥) انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص٣٧٤.." [1]

"لما عاد خير الدين إلى الساحل وأنزل مدافعه فوجهها نحو قلعة عدن منتظرا القوة البرية لتتم محاصرة عدن ففاجأهم الزيود، وإذا بالأمير ماحي قد وصل وأحاطوا بعدن من كل جانب، فهجموا عليها هجمة واحدة ودخلوا عليها من كل جانب، وأعطى خير الدين الأمان للأهالي الذين جاءوا بقاسم بن شويع وولده وذويه، وإذا بشخص منهم تقدم ليقبل يد خير الدين، فضربه **بخنجر** في بطنه وجرح خير الدين على أثرها، وتقدم الأمير ماحي، وقطع رأس بن شويع لاتهامه بهذه الخيانة وأراد قتل ولده وجميع أتباعه فمنعه الأمير خير الدين عند ذلك فرح لذلك الفتح الوزير سنان باشا وشاركه في ذلك الجنود وزينوا زبيد وتعز وسائر الممالك السلطانية في اليمن، ثم عين الوزير سنان باشا ابن اخته الأمير حسين، وأرسل معه مئتين من الجنود، ورقى جميع الجنود الذين فتحوا عدن(١).

الرابع عشر: دخول صنعاء :

---

(١) انظر: البرق اليماني في الفتح العثماني، ص٢٤٩-٢٥٥.." [2]

"لقد كانت للحملة الفرنسية أثر بالغ في مصر خصوصا والشرق عموما وستعرف ذلك في المباحث القادمة بإذن الله تعالى وكيف أستطاعت المحافل الماسونية اليهودية الفرنسية أن تشق طريقها لطعن الاسلام

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ١٥٢/١

(٢) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ٣٧٩/١

بخنجرها المسموم، لقد استطاع الفرنسيون أن يزرعوا أفكارهم ويجدوا لهم عملاء في المنطقة ، واستفادوا بعد خروجهم العسكري من الدور الخطير الذي قام به محمد علي باشا حاكم مصر فيما بعد. لقد كانت الحملة الفرنسية على مصر وخروجها وظهور شخصية محمد علي باشا في زمن السلطان سليم الثالث الذي تم عزله بسبب أنه أدخل أساليب الفرنجة وعوائدهم الى الجيش ولم يقف عند الاستفادة بالتقنية الحديثة، مما يشكل خطرا على عقائد الامة، وهذا ماورد في نص الفتوى التي أصدرها المفتي: (كل سلطان يدخل نظامات الإفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على اتباعها لا يكون صالحا للملك) لكن يظل الأمر محاط بالغموض، بل إن دراسة تاريخ السلطان سليم الثالث تظهر لنا إنه كان حريصا على إحياء فريضة الجهاد كما كانت على عهد أجداده وآبائه، فهل هذا هو السبب وراء المؤامرة التي أطاحت به في جمادى الأولى عام ١٢٢٣هـ/٢٨ يونيو ١٨٠٨م)(١).

(١) انظر: الدولة العثمانية، د. جمال عبدالهادي، ص٩١.." (١)

"(الماسونية آلة صيد بيد اليهود، يصرعون بها كبار الساسة، ويخدعون الأمم الغافلة والشعوب الجاهلة. الماسونية خطر كامن وراء الرموز والألفاظ والطلاسم، **وخنجر** غمده اليهود في قلب الشعوب، وأقاموا لها عدوا من داخلها وعلة من وسطها. الماسونية عقرب لدغ الشعوب قرونا، متجليا رداء الحرية والمساواة والإخاء ....)(١).

(فالماسونية ماهي إلا يهودية الأصل والمنبت ومادامت كذلك فهي تجيد المكر والخداع، وتتقن أساليب التشكيك في العقائد، والنيل من الأنبياء والرسل عليهم السلام، وتشيع الإلحاد والكفر في ربوع الأرض، وتدعو الى الإباحية والفساد والرجس، واليهود تاريخهم معروف في تحريف الكتب السماوية، وقتل الأنبياء، وإطفاء كل باقة من نور، إنهم أتباع الشيفات، وعبدة الذهب وأصحاب الاحتكار وجمع الأموال وغير ذلك من الرذائل التي اتصفوا بها. ولم يعد اليوم خافيا على أحد أن الماسونية منظمة يهودية يراد منها تخريب العالم اجتماعيا، وأخلاقيا، ودينيا ... وتمتد أذرعتها المسمومة الى كل المبادئ والقيم بغية تدميرها والقضاء عليها)(٢).

لقد انتشرت المحافل الماسونية في مصر والشام وتركيا وكانت تعمل ليلا ونهارا من أجل تفتيت وإضعاف

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ١/٤٤٣

الدولة العثمانية بمعاولها الفاسدة التي لاتكل ولا تمل ولقد استطاعت المحافل الماسونية الفرنسية في مصر أن تجعل فرنسا تحتضن محمد علي يقول الاستاذ محمد قطب: (واحتضنته احتضانا كاملا لينفذ لها كل مخططاتها: ؛ فأنشأت له جيشا مدربا على أحدث الأساليب ومجهزا بأحدث الأسلحة المتاحة يومئذ بإشراف سليمان باش الفرنساوي:)(٣).

---

(١) انظر : حقيقة الماسونية لمحمد علي الزعبي، ص٧٠.

(٢) انظر: الماسونية وموقف الاسلام منها، د.حمود الرحيلي، ص١٨.

(٣) انظر: واقعنا المعاصر، ص٢٠٥.." (١)

"لقد كانت المصالح الفرنسية ترى دعم محمد علي ليتحقق لها أطماعه المستقبلية في حفظ وتقوية محافلها الماسونية ، وإضعاف الدولة العلية العثمانية، وزرع **خنجرها** المسموم في قلب الدولة العثمانية ولذلك أنشأت لمحمد على اسطولا بحريا متقدما متطورا، وترسانة بحرية في دمياط، والقناطر الخيرية لتنظيم عملية الري في مصر، أو لمحمد علي، إنما كان لتنفيذ المخطط الصليبي الذي فشلت الحملة الفرنسية عن تنفيذه بسبب اضطرارها الى الخروج.

لقد قام محمد علي بدور مشبوه في نقل مصر من انتمائها الاسلامي الشامل الى شيء آخر يؤدي بها في النهاية الى الخروج عن شريعة الله وكانت تجربة محمد علي قدوة لمن بعده من أمثال مصطفى كمال أتاتورك وجمال عبدالناصر...الخ.

إن المسلم الحق لا يمكن أن يقوم بمثل هذا الدور لا واعيا ولا مستغفلا ، لأن إسلامه يمنعه أن يتلقى التوجيه من أعداء الاسلام.." (٢)

"بينما كانت جيوش محمد علي تمكن النصارى في بلاد الشام، وتضعف شوكة المسلمين بها، كانت جيوش فرنسا في عام ١٨٣٠م تغتصب الجزائر بعد ماضعفت الخلافة العثمانية ودخلت القوات الفرنسية بما يعادل ٢٨ ألف مقاتل، وأسطولا يضم مائة سفينة ، وثلاث سفن تحمل ٢٧ ألف جندي بحري، وكانت الدول الأوروبية مؤيدة لهذا الاغتصاب السافر فقد حان توزيع تركت الرجل المريض وحل المسألة الشرقية

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ٤٥٣/١

(٢) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ٤٥٤/١

بالطريقة الأوروبية.

وهنا نتساءل اين محمد علي باشا والي مصر عندما قام الفرنسيون باحتلال الجزائر؟ لماذا سكت ؟ هل لأن إمكانياته لاتسمح بدعم جهاد شعب الجزائر المسلم أو أنها بعيدة عنه؟ أو لأن السكوت ثمن ووعد من دول أوروبا ومنها فرنسا لمحمد علي بأن يظل واليا على مصر، ويتركوا له الفرصة لضم بلاد الشام، أو غير ذلك من الوعود الظلامية التي تحبك خلف الكواليس؟

لقد كان محمد علي مخلبا **وخنجرا** مسموما استعمله الأعداء في تنفيذ مخططاتهم ولذلك وقفوا معه في نهضته العلمية، والاقتصادية والعسكرية بعد أن أيقنوا بضعف الجانب العقدي والإسلامي لديه ولدى أعوانه وجنوده(١).

لقد ترتب على دور محمد علي في المنطقة بأسرها أن تنبهت الدول الأوروبية إلى مدى الضعف الذي أصبحت عليه الدولة العثمانية، وبالتالي استعدادها لتقسيم أراضيها حينما تتهيأ الظروف السياسية(٢).

وفي أعقاب هزيمة الجيوش العثمانية أمام جيوش محمد علي في الشام والأناضول اضطرت الدولة العثمانية للاستنجاد بروسيا بعد أن لمست أن " محمد علي " يحظى بتأييد بريطانيا وفرنسا، وعقدت معاهدة

---

(١) انظر: الدولة العثمانية ، د. جمال عبدالهادي ، ص١٠٣،١٠٢.

(٢) انظر: قراءة جديدة في التاريخ العثماني، ص١٩٧.." (١)

"" انكيار اسكله سي" سنة ١٨٣٣م في أعقاب هدنة كوتاهيه، وكانت المعاهدة بمثابة تحالف دفاعي بين روسيا والعثمانيين، مما أدى إلى مسارعة كل من بريطانيا وفرنسا بالتصدي لمحمد علي خشية المزيد من التدخل الروسي، وفرضت عليه اتفاقية لندن سنة ١٨٤٠م. وقد ترتب على هذه الأحداث إجهاض محاولة الإصلاح التي حاول السلطان محمود الثاني أن يقوم بها في الدولة العثمانية واضطرت الدولة العثمانية لقبول وصاية الدول الأوروبية في مقابل حمايتها من أطماع محمد علي(١). وهكذا كانت سياسة محمد علي خطوة مدروسة من قبل أعداء الإسلام لتهيئة المنطقة بأكملها لمرحلة استعمارية مازالت آثارها تعاني منها الأمة حتى اليوم. لقد استطاعت السياسة النصرانية الأوروبية أن تحقق أهدافها الآتية بواسطة عميلها المخلص محمد علي:

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ١/٤٩٠

١- تحطيم الدولة السعودية الأولى التي كادت أن تكون **خنجرا** مسموما في ظهر الأطماع البريطانية في الخليج العربي خصوصا والمشرق عموما.

٢- فتح الأبواب على مصراعيها لإقامة مؤسسات معادية للدين الإسلامي والمسلمين في محافل ماسونية وإرساليات تبشيرية وأديرة وكنائس ومدارس في بذر بذور التيارات القومية المعادية للإسلام، وبث الأفكار المعادية لمصالح الأمة الإسلامية.

٣- إتاحة الفرصة لشركات تجارية أوروبية تتحكم في الاقتصاد.

٤- منح امتيازات واسعة للأوروبيين، ومنع أهالي مصر والشام من تلك الامتيازات.

٥- خنق التيار الإسلامي الأصيل، وضيق على العلماء والفقهاء ولم يسمح للمسلمين أن يتكتلوا من أجل أهدافهم النبيلة.

٦- أصبح محمد علي نموذجا تحتذي به الدولة الأوروبية في صنع عملائها في داخل ديار المسلمين، كمصطفى كمال، وغيره.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص١٩٨.." (١)

"وفي القرن الثالث عشر الهجري تفاقم أمر النصيرية وتعاظم خطرهم في بلاد الشام مما حدا بـ(يوسف باشا) والي الشام أن يقود جيشا بنفسه ويقاتلهم حيث (انتصر عليهم وسبي نساؤهم وأولادهم ، وكان قد خيرهم بين الدخول في الاسلام أو الخروج من بلادهم فامتنعوا وحاربوا وانخذلوا وبيعت نساؤهم وأولادهم، فلما شاهدوا ذلك أظهروا الاسلام تقية، فعفا عنهم وعمل بظاهر الحديث وتركهم في البلاد....)(١).

وقد قاموا بثورة كبيرة عام ١٨٣٤م وهاجموا مدينة اللاذقية ونهبوها وفتكوا بأهلها. وقد حاول السلطان عبدالحميد الثاني أن يعيدهم الى حظيرة الاسلام وأرسل رجلا من خاصته اسمه (ضيا باشا) جعله متصرفا على لواء اللاذقية في بداية القرن الرابع عشر الهجري فأنشأ لهم المساجد والمدارس، فأخذوا يتعلمون ويصلون ويصومون، وأقنع الدولة بأنهم مسلمون فلم يعصوا له أمرا، وبعد أن ترك هذا المتصرف منصبه خربت المدارس وحرقت الجوامع أو دنست(٢).

وهذا من تفريط المسلمين تجاههم وكم خدعت تلك العقيدة الخطيرة (التقية) المسلمين حكاما ومحكومين

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ٤٩١/١

علماء ومتعلمين ، فأين علماء السنة الذين لاتنطلي عليهم دسائس الباطنين؟

إن تاريخ النصيريين ، تاريخ أسود ملطخ بالدماء ضد أهل السنة، وكانوا دائما **خنجرا** مسموما في جنب الأمة الاسلامية، يتآمرون ضدها في الخفاء، ويظهرون لها العداء كلما وجدوا لذلك سبيلا، والتاريخ يشهد بأنهم كانوا دائما في تحالف مع أعدء الاسلام.

وكان أمير الدروز بشير الشهابي المتوفى سنة ١٢٦٦هـ يقف بجنوده بجانب جيش محمد علي عند احتلاله للشام، مما سهل على جيش محمد علي هزيمة الجيش العثماني في حمص، وعبر جبال طوروس، وأوغلت جيوشه في قلب بلاد الترك، وكان هناك مراسلات بين نابليون والدروز عند حصار الفرنسيين (عكا)(٣).

---

(١) انظر: حلية البشر (٣/١٦٠٠).

(٢) انظر: خطط الشام (١/٢٦٠).

(٣) انظر: الانحرافات العقدية والعلمية (١/٥٧٧).." [١]

"اضطرت الحملة الفرنسية إلى مغادرة مصر بسبب الهجوم المشترك الذي قام به الانجليز والعثمانيون على الفرنسيس في مصر وقد تظافرت عوامل عدة أرغمت المحتلين الفرنسيس على الخروج من مصر في النهاية، منها تحطيم اسطولهم في معركة أبي قير البحرية وسيطرة الانجليز البحرية في البحر المتوسط، وتشديدهم الحصار على الشواطئ المصرية، مما أعجز الحكومة الفرنسية عن إرسال النجدات والإمدادات إلى فرنسا في مصر.

كان للحملة الفرنسية أثر بالغ في مصر خصوصا والشرق عموما واستطاعت المحافل الماسونية اليهودية الفرنسية أن تشق طريقها لطعن الإسلام **بخنجرها** المسموم، واستطاع الفرنسيون أن يزرعوا أفكارهم ويجدوا لهم عملاء في المنطقة، واستفادوا بعد خروجهم العسكري من الدور الخطير الذي قام به محمد علي باشا حاكم مصر فيما بعد.

تولى الحكم السلطان محمود الثاني في عام ١٢٢٣هـ واستطاع أن يتخلص من الإنكشارية وأزالها من الوجود وأصبح بعد ذلك حرا في تطوير جيشه، فترسم خطى الحضارة الغربية واستبدل الطربوش الرومي بالعمامة، وتزيا بالزي الأوربي، وأمر أن يكون هو الزي الرسمي لكل موظفي الدولة.

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ٢/١٧٨

في تلك الفترة الحرجة من التاريخ العثماني انتشرت المحافل الماسونية في مصر والشام وتركيا وكانت تعمل ليلا ونهارا من أجل تفتيت وإضعاف الدولة العثمانية بمعاولها الفاسدة التي لاتكل ولاتمل.

كانت المحافل الفرنسية ترى دعم محمد علي ليتحقق لها أطماعه المستقبلية في حفظ وتقوية محافلها الماسونية، وإضعاف الدولة العلية العثمانية وزرع **خنجرها** المسموم في قلب الدولة العثمانية ولذلك أنشأت لمحمد علي أسطولا بحريا متقدما متطورا، وترسانة بحرية في دمياط.

قام محمد علي بدور مشبوه في نقل مصر من انتمائها الإسلامي الشامل إلى شيء آخر يؤدي بها في النهاية إلى الخروج عن شريعة الله وكانت تجربة محمد علي قدوة لمن بعده من أمثال مصطفى كمال أتاتورك وجمال عبدالناصر .. الخ.." (١)

"قام محمد علي نيابة عن فرنسا وبريطانيا وروسيا والنمسا وغيرها من الدول الأوروبية بتوجيه ضربات موجعة للاتجاه الإسلامي في كل من مصر، والجزيرة العربية، والشام، والخلافة العثمانية مما كان لها الأثر في تهيئة العالم الإسلامي للأطماع الغربية.

كان محمد علي مخلبا **وخنجرا** مسموما استعمله الأعداء في تنفيذ مخططاتهم ولذلك وقفوا معه في نهضته العلمية، والاقتصادية والعسكرية بعد أن أيقنوا بضعف الجانب العقدي والإسلامي لديه ولدى أعوانه وجنوده.

ترتب على دور محمد علي في المنطقة بأسرها أن تنبهت الدول الأوروبية إلى مدى الضعف الذي أصبحت عليه الدولة العثمانية، وبالتالي استعدادها لتقسيم أراضيها حينما تتهيأ الظروف السياسية.

تولى الحكم في الدولة العثمانية بعد وفاة السلطان محمود الثاني ابنه عبدالمجيد الأول وكان ضعيف البنية، شديد الذكاء واقعيا ورحيما وهو من أجل سلاطين آل عثمان قدرا.

كان السلطان عبدالمجيد خاضعا لتأثير وزيره رشيد باشا الذي وجد في الغرب مثله وفي الماسونية فلسفته، ورشيد باشا هو الذي أعد الجيل التالي له من الوزراء ورجال الدولة، وبمساعدته أسهم هؤلاء في دفع عجلة التغريب التي بدأها هو.

كانت حركة الإصلاح والتجديد العثماني تدور حول نقاط ثلاثة هامة: الاقتباس من الغرب فيما يتعلق بتنظيم الجيش وتسليمه في نظم الحكم والإدارة، الاتجاه بالمجتمع العثماني نحو التشكيل العلماني، الاتجاه نحو مركزية السلطة في استانبول والولايات.

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ٢/٢١٣

تكلل خطا كلخانة وهمايون بدستور مدحت باشا عام ١٨٧٦م ولأول مرة في تاريخ الإسلام ودوله يجري العمل بدستور مأخوذ عن الدستور الفرنسي والبلجيكي والسويسري وهي دساتير وضعية علمانية.." (١)

"عبد الله **بخنجره** فقضى عليه مع مولاه. وأخرج رأس المنذر للوقت من قصره فوق قناة ينادى عليه: هذا جزاء من عصى أمير المؤمنين هشاما ودفع حقه، يريد بذلك الرجل الذي كان يدعى له يومئذ بإشبيلية، تعلقا من هذا المارد لولايته، وتوطئة لقيامه، إذ كان هذا القتيل ممن رد طاعة هشام تأسيا بوالده يحيى وبخاله إسماعيل بن ذي النون؛ فنزلت بسرقسطة يومئذ حادثة عظيمة، وأشرف أهلها على فتنة شديدة، واضطربت لها حالهم ، وطمع فيهم أكثر من كان يجاورهم ، وأذعنوا لهذا الغوي المتوثب عليهم آنفا، ورهبوه لاستجاشته الغوغاء والسلفة؛ فملك البلد لنفسه.

وكان سليمان بن هود الجذامي صاحب لاردة وقته مقيما بتطيلة بجمعه ، فسارع إلى سرقسطة ساعة سمع بخبر منذر رجاء في دخولها، فمنعه هذا الفتى القاتل، ثك جاءه إسماعيل بن ذي النون خال منذر ممتعضا لما جرى على ابن أخته، فامتنع ابن حكم بالقصبة، واتصلت الفتنة، ونال أهل سرقسطة يومئذ جهد شديد وخربت أحوالهم.

قال ابن حيان: وكان ركب ابن حكم القاتل من خطة التغرير." (٢)

"أنا تكلفت صيد ال - ... عنقاء بالورشان

أنا بعثت رسولا ... للفرس عن ترجمان

وسست نمرود حتى ... تمت له الهرمان

أنا رأيت بعيني ... تسافد الغربان

أنا أدرت برأيي ... ناعورة الخذلان

لكنها لم تقدر ... للحين بالدوران وله من مقطعات اندرجت في رسائله الهزلية:

طرة مسك وشارب أخضر ... وثغر در ومقلتا جؤذر

ريم إذا رمت أن أكلمه ... كلمني من جفونه **خنجر**

وإن تعرضت من عوارضه ... لثما تجني علي واستكبر

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ٢/٢١٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ١/١٨٦

كأن خيلانه ووجنته ... سماء حسن نجومها تزهر

طرز فيه الجمال مبتدعا ... وشيا بلطف المهيمهن الأكبر

وقام في خده لعاشقه ... عذر بذاك العذار إذ غدر وقال أيضا:

قل للذي دلهني حبه ... أفسدت ما أصلحته أولا

لما بدا وجهك في حسنه ... كالبدر وافى السعد واستكملا

كأنما طرفك من سحره ... من مقل الحور قد استكحلا." (١)

"وهذا من قول الحسن ، وزاد في التشبيه، فأجاد ما أراد فيه، وهو:

وقد غلبتها عبرة فدموعها ... على خدها بيض وفي نحرها صفر وقال :

ليس ليوم البين عندي سوى ... مدامع نجيعها سكب

كأنما فض بأجفانها ... رمانة فانتشر الحب وقال:

عوذت قلبي منه ... بكل ما يتعوذ

كأنما خده وال ... عذار حين تأخذ

تفاحة علقت في ... سلاسل من زمرذ وقال:

قمر لوى من فوقه ... من صدغ غالية حنش

ودنا ليلثم جمرة ... من وجنيته فانكمش وأملح من هذا التشبيه، قول تميم بن المعز فيه :

طمعت تقبله عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها **خنجرا**." (٢)

"فأجابه ابن الأبار:

لعمرك إن الظبي غير غرير ... وإن محيا البدر غير منير

بدت لحية في وجهه هي لحنة ... أتاحت له موتا بغير نشور [٤٣أ] ومنها:

إذا لم أقل إلا براح وراحة ... فما قدر ذنبي في اغتفار قدير

ساقعد عن ناهي النهى في اجتنابها ... وإن قام في فودي شاهد زور

هل العيش إلا أن أقبل ثغرها ... وأصغي إلى بم أجش وزير

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٥٥٦/١

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٧٩٢/٢

خبرت بني الأيام شرقا ومغربا ... فآثرتها إذ لم أفز بأثير وأنشد له أيضا بما خاطب به ابن الأبار:

أما وخد له معذر ... ومبسم الخاتم المجوهر

وخصره المتعب المعنى ... بثقل ما ضاق عنه مئزر

ولمة أسبلت أثيثا ... كأنه وابل معطر

وورد خديه بعد سكر ... والغنج من حظه المحير

إن لعينيه في فؤادي ... أشد من وقع كل **خنجر**

إن خلته ضيغما قطوبا ... أو أسدا عابسا غضنفر

فهو من الحسن كل بدر ... وهو من الطيب كل عنبر

ريقته خمرة ولكن ... شيب شذاها بطعم سكر

لو كان في الخلد مثل هذا ... تاه على الحور أو تكبر

في شبهه قال مثل هذا ... من أحسن الوصف ثم ندر

" مظفر كاسمه مظفر ... أخلاق ليث وخلق جؤذر "." (١)

"به وهو عبد الملك الأصغر من اخوته، لم يستشر في الفتك به غير نفسه . فلما كان في يوم السبت لسبع بقين لرمضان سنة خمس وخمسين أعد له رجالة في فصيل أبيه، واقام هو ينتظره، وأرسل عنه رسولا كان أبوه يوجهه عنه. فلما وصل إلى باب ابن جهور ومعه من أصحابه الناشبين معه نزر يسير، وأراد النزول على حجر لاصق بالباب، وإذا بعبد الملك قد قام عليه **بخنجر** أعده له فضربه ثم خرج عليه الرجالة المعدون له وابتدروه كالصقور بالسيوف وحزوا رأسه. وركب من حينه عبد الملك وجعل رأسه على رمحه وطيف به البلد كله حتى انتهى إلى داره " دار اللذة " ورمى رأسه للعامة، فعاثت فيه، وكسروا أنيابه ونتفوا لحيته، فأصبح شأنه عجبا. واحتوى عبد الملك على تلك الدار وحازها بما فيها، وعلى أصاغر غلمانه. واجتاز على السجن وأطلق من فيه. وسمع أبوه محمد بن جهور خبر الواقعة فخرج دهيشا، ورآه مجدلا فارتاع وتلهف، وانتهز ابنه وهو يحاول تطويف الرأس ولم يقف على أبيه. وأمر ابن جهور بستر جسده في دهليز الإصطبل. وتقدم بإصلاح أبواب المدينة، وركب إلى المسجد الجامع وقد دخل الناس في السلاح وجاشوا جيشا عظيما، وأبدوا بقتل ابن السقاء سرورا عظيما، وأعلنوا بالشمات به وإقداح القول فيه.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٢٠٨/٣

وقعد ابن جهور بالمسجد الجامع على كرسي المصحف، وبادر المجيء إليه لأول الهيشة الوزير الزمن، بقية وزراء الفتنة، أبو إسحاق." (١)

"وقد نوت مقلتاه نوما وددت لو كان في ذراعي

فكان لي موقف افتراق وللهوى موقف اجتماع

وقال (١) :

همت عذاراه بتقبيله فاستل من عينيه سيفين

وذلك المحمر من خده دماء ما بين الفريقين

وقال (٢) :

غنني يا أعز ذا الخلق عندي " حي تجدا ومن بأكناف نجد "

واسقني ما يصير ذو البخل منها حاتما والجبان عمرو بن معدي

في أوان الشباب عاجلني الشي - ب فهذا من أول الدن دردي

وقال (٣) :

اشترى خنجرا لقت - لي وما ذاك يجمل

فسلوه فإن عن مثل ذا الشان يسأل

كيف يمشي بنجر من بعينيه يقتل

وقال (٤) :

شكوت بالحب إلى ظالمي فقال [لي] مستهزئا ما هو

قلت غرام ثابت قال لي اقرأ عليه " قل هو الله "

وقال (٥) : / [١٧٦]

معتدل القامة والقد مورد الوجنة والخد

---

(١) ديوانه: ٢١٤ والمسالك: ٢٣٢ والشريشي ٤: ٢٩٠.

(٢) ديوانه: ٦٢ والشريشي ٣: ٢٠٢.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٧/٢٤٤

(٣) المسالك (الأول والثالث): ٢٣٢.

(٤) ديوانه: ٢٢٢ والشريشي ١: ١٥٣.

(٥(ديوانه: ٦١ والشريشي ١: ١٥٣ والأول والثاني في المسالك.." [١]

"فإن أبا عبيدة قد أحيط به، وكتب إليه: سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند وليأت الرقة فإن أهل الجزيرة ثم استطاروا (١) الروم على أهل حمص، فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب، ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص أن الجنود قد خرجت من الكوفة تفرقوا في بلدانهم خوفا عليها وخلوا الروم، فقالوا فيما بينهم: إنكم بين أهل العراق وأهل الشام فما بقاؤكم على حرب هؤلاء؟ فرغبوا في الصلح، فقبل منهم وهم أهل الرقة ونصيبين وحران وكلهم دخلوا على الجزية، فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمرا. وقال في ذلك سهل بن عدي (٢) :

فضاربنا العداة غداة سرنا ... إلى أهل الجزيرة بالعوالي

ولم نثن الأعنة حين سرنا ... بجرد الخيل والأسل النهال

وأجهضنا الأولى ثاروا بحمص ... وقد منوا أماني الضلال

أخذنا الرقة البيضاء لما ... رأينا الشهر لوح بالهلال

وأزعجت الجزيرة بعد خفض ... وقد كانت تخوف بالزوال

وصار الخرج صافيه (٣) إلينا ... بأكناف الجزيرة عن قتال والجزيرة أيضا بالأندلس، وتعرف بالجزيرة الخضراء وسيأتي الكلام عليها في حرف الخاء المعجمة إن شاء الله تعالى.

وفي قبلي تونس من إفريقية جزيرة شريك العبسي (٤) وكان عاملا عليها، وأم أقاليمها مدينة باشو، وهي عمل كبير محتو على بلاد وقرى وأنظار كثيرة.

وكذلك أعمال صطفورة، وتعرف الآن ببنزرت، من جملة كورها عمل الجزيرة، ويقال جزيرة بنزرت لإحاطة البحر بها ولها أيضا كور وأقاليم وبلاد وأعمال.

جزيرة القرود (٥) :

بالقرب من جزيرة الرانج وبمقربة من أرض الحبشة، وهي جزيرة كبيرة فيها غياض وشجر وجراف منيعة وبها أنواع من التمر، والقرود بهذه الجزيرة كثيرة تتولد وتتزايد حتى إنها قد تغلبت على هذه المدينة لكثرتها،

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٦٠٨/٨

ويقال إن لها أميرا تنقاد إليه وتحمله على أعناقها ويحكم عليها حتى لا يظلم بعضها بعضا، ,ألوان هذه القرود إلى الحمرة، وهي ذات أذناب ولها ذكاء وحدة فهم، وإذا انكسر على جزيرتها مركب أو لجأ إليها أحد من الناس عذبته عذابا بليغا بالعض والرجم بالقاذورات وعبثت بمن سقط في أيديها عبثا عظيما وربما قتلته سرعا، وقد يتصيدها الناس ويخرجونها إلى بلاد اليمن فتباع بالثمن الكثير، وتجار اليمن يتخذونها في حوانيتهم حراسا كالعبيد تحرس أمتعة مواليها فلا يقدر أحد على خدعتها ولا على أخذ شيء مما بأيديها لما هي عليه من نهاية الذكاء.

جزيرة السامري (٦) :

في بحر القلزم، ويسكنها قوم من اليهود السامرية، وعلامتهم أن يقول أحدهم إذا لاقى إنسانا: لا مساس، وبهذه اللفظة يعرف أنهم من اليهود المنسوبين إلى السامري صاحب العجل في زمن موسى عليه السلام.

وفي هذا البحر من السمك حوت مربع عرضه قريب من طوله، وربما بلغ الواحد منه قنطارا وهو حوت أحمر شهي الطعم حسن الذوق لا سهك فيه (٧) ، ,وفيه سمك آخر طوله شبر ونصف له رأسان: رأس في موضع رأسه ورأس في موضع ذنبه، وفي كل واحد من هذين الرأسين عينان وفم، وتصرفه في البحر يكون مرة إلى هاهنا ومرة إلى هاهنا، إلى أمام وإلى خلف، ويسمى هذا السمك **الخنجر**، وفيه سمك يقال له القرش، هو نوع من كلاب البحر، في فمه سبعة صفوف أضراس، فيه ما طوله عشرة أشبار وأكثر وأقل، ومراكب هذا البحر كلها مؤلفة بالدسر، محررة (٨) بحبال

---

(١) الطبري: هم الذين استثاروا.

(٢) هو أخو سهيل بن عدي.

(٣) ع: إليه.

(٤) البكري: ٤٥.

(٥) نزهة المشتاق: ٢٣، وابن الوردي: ٦٣.

(٦) كلها عن نزهة المشتاق: ٤٩.

(٧) نزهة المشتاق: ولا شوك به.

(٨) نزهة المشتاق: مجرورة.." (١)

"عليها ملوك الكفر، كالخزر واللان وغيرهم، لا يمضي على المسلمين هناك حكم لكافر، ولا يقيم عليهم شهادة إلا المسلمون، وإن قلوا.

وببلاد البلهرا مساجد تقام فيها الصلوات والجمع وتقام الجمعات بالأذان والأعلام، وهي مملكة عريضة، وزي المسلمين هناك واحد في اللبسة وإرسال الشعر، وزعموا أن الهند اسم نهر هناك وبه تسمى الهند.

وصيمور (١) أيضا جزيرة من جزائر بحر الصين، بها من المسلمين نحو من عشرة آلاف، ومن مذاهب هؤلاء الصينيين أن ما ينالهم من النعيم في المستقبل مؤجلا بقدر ما تعذب به أنفسها في هذه الدار معجلا، قال المسعودي: رأيت منهم رجلا ببلاد صيمور وهو يطوف في أسواقهم ومعه جماعة أهله وقد أضرمت له النار وقد وضع على رأسه الجمر والكبريت، فيسير وهامته تحترق، وروائح دماغه تتضوع فلما دنا من النار أخذ **خنجرا** فوضعه على فؤاده فشقه، ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم، فقطعها **بالخنجر**، ودفعها إلى بعض إخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه في النار.

صهيون (٢) :

كنيسة عند بيت المقدس جليلة حصينة، فيها العلبة التي أكل فيها المسيح مع تلامذته.

الصين:

بلاد في مطلع الشمس، يقال إن فيها ثلثمائة مدينة ونيفا عامرة كلها سوى القرى والرساتيق، ومن خرج إليها قطع سبعة أبحر، لكل بحر منها لون وريح وسهك ليس في غيره، أول بحورهم بحر فارس.

وفي الصين عجائب كثيرة، والأصل في ذلك أن قوما من بني عامور بن يافث قطعوا إلى ناحية الصين، وكان عامور قد عمل فلكا حكى به سفينة جده نوح صلى الله عليه وسلم، فركب فيها هو وولده وأهله، وقطع البحار إلى الصين، فبنى هو وولده المدائن وعملوا الحكم ودقائق الصناعات، وملكهم ثلثمائة سنة، وملك ابنه صاين مائتي سنة وبه سميت الصين، ومدينتهم العظمى يقال لها انموا (٣) بينها وبين خانقو (٤) التي تنزل فيها مراكب التجار ثلاثون يوما، وأهل الصين بيض إلى الصفرة فطس، يبيحون الزنا ولا ينكرون شيئا منه، ويورثون الأنثى أكثر من الذكور، ولهم عند دخول الشمس في الحمل عيد كبير يأكلون فيه ويشربون

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/١٦٥

سبعة أيام.
وأشرف حليهم (٥) من قرون الكركدن، لأنها متى قطعت قرونها ظهرت فيها صور عجيبة مختلفة، والكركدن دابة لها قرن واحد في الجبهة طوله ذراع، وغلظه قبضتان، فيه صور من أوله إلى آخره، وإذا شق رأيت الصورة بيضاء في سواد صورة إنسان أو دابة أو سمكة أو غير ذلك، فيتخذه أهل الصين مناطق تبلغ المنطقة منه مائتين وثلثمائة دينار إلى ثلاثة آلاف دينار إلى أربعة آلاف.
والذهب عندهم هين حتى يتخذون منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم، ووراءهم صين الصين وهم أمم عراة يلتفون في شعورهم ، ومنهم أمم زعر لا شعر لهم، وأمم حمر الوجوه شقر الشعور.
وبحر الصين (٦) بحر خبيث بارد، ريحه من قعره تغلي كغليان الماء على جاحم النار، ويخبر الثقات من ركابه أنه بحر مسكون له أهل في بطن الماء، وأنهم يرونهم إذا هاج البحر ليلا كهيئة الزنج، ويطلعون المراكب. وفي بحر الصين سمكة مثل الحراقة يرمي بها الموج إلى الساحل، فإذا جزر الماء بقيت على الطين، فلا تزال تضطرب حتى تنسلخ في اضطرابها من إهابها، فيكون لها جناح تستقل به فتطير، وفيه سمكة تلتقم الناس، وربما مات الرجل من ركاب البحر فيرمى به في البحر فلا يخطئ فاهة السمكة، كأنما كانت له رصدا. وفي هذا البحر يرى وجه عظيم على صورة الإنسان إلا أنه مفرط الكبر مستدير يشبه لون القمر.
وفي تخوم (٧) بحر الصين جزيرة النساء، ليس يسكنها أحد إلا النساء، وهن يلقحن من الريح ويلدن النساء، وقيل: إنهن

---

(١) البكري (مخ): ٣٣، وقد كتبت عنده ((صيمون))، وأجاز ياقوت الوجهين.
(٢) ص ع: صيهور؛ وانظر ياقوت (صيهون)؛ والزيات للهروي: ٢٧ قال: وكنيسة صيهون يقال إن المائدة نزلت على عيسى بن مريم والحواريين بها، وورد عند ياقوت ((صيهون)) وأنه اسم جبل، ولعله صورة أخرى من ((صيهون)) فيكونورود المادة هنا مقبولا مع تغيير الراء فقط إلى نون.
(٣) ص ع: انكو.
(٤) وردت في هذه المادة بالقاف.
(٥) قارن بما في أخبار الصين: ١٣ – ١٤، والبكري (مخ): ٣٣.

(٦) البكري (مخ): ٣٧.

(٧) البكري (مخ): ٣٩.." (١)

"وينبت في أرض كوكو العود المسمى بعود الحية، من خاصته أنه إذا وضع على جحر الحية خرجت إليه بسرعة، ثم إن ماسك هذا العود يأخذ من الحيات ما شاء بيده من غير جزع يدركه ويجد في نفسه قوة عند أخذها، والصحيح عند أهل المغرب الأقصى وأهل واركلان أن هذا العود إذا أمسكه ماسك بيده أو علقه في عنقه لم تقربه حية ألبتة كصفة العاقر قرحا، لكنه أسود اللون. ومن كوكو إلى غانة شهر ونصف.

كوثا (١) :

مدينة بالعراق إلى جانب بابل، فيها ولد إبراهيم الخليل عليه السلام، وفيها المكان الذي فيه كان حبس إبراهيم الخليل عليه السلام والبيت الذي كان محبوسا فيه، ويقال إن بها طرح إبراهيم الخليل عليه السلام في النار، وبها تلول رماد عالية قد لزق بعضه ببعض يقال إنه رماد نار النمرود بن كنعان الذي طرح فيها إبراهيم عليه السلام.

ولما انقضى (٢) أمر القادسية قدم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه زهرة بن حوية ثم اتبعه الجند، فلقي بأطراف كوثا جمعا من جموع العجم مقدمهم شهريار، فخرج ينادي: ألا رجل ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إلي حتى أثكلكم (٣) به، فقال له زهرة، وقد كايده، لقد أردت أن أبادرك، فإما اذ سمعت قولك فإني لا أخرج إليك إلا عبدا، فإن أقمت قتلك إن شاء الله، وإن فررت منه فإنما فررت من عبد، ثم أمر أبا نباتة نائلا الأعوجي، وكان من شجعان بني تميم، فخرج إليه، مع كل واحد منهما الرمح، وكلاهما وثيق الخلق، إلا أن شهريار مثل الجمل، فلما رأى نائلا ألقى الرمح ليعتنقه، وألقى نائل رمحه ليعتنقه، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا بهما ثم اعتنقا فخرا عن دابتيهما فوقع شهريار على نائل كأنه بيت فضغطه بفخذه، وأخذ الخنجر وأراد حل أزرار درعه ليذبحه، فوقعت إبهامه في فم نائل، فمضغها فحطم عظمها، وأحس منه فتورا فثاوره فجلد به الأرض، ثم قعد على صدره، وأخذ خنجره فكشف درعه عن بطنه فطعنه في بطنه وجنبه حتى مات، وأخذ فرسه وسواريه وسلبه، وانكشف أصحابه فذهبوا في البلاد، وأقام زهرة بكوثا حتى قدم سعد عليه، فغنم سعد نائلا ذلك السلب كله وقال: عزمت عليك يا نائل إلا لبست سواريه وقباءه ودرعه وركبت دابته، وانطلق فتدرع سلبه ثم أتاه في سلاحه على دابته، فقال له سعد: اخلع سواريك إلا أن ترى

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٣٧٠

حربا فالبسهما، فكان أول رجل من المسلمين سور بالعراق. وأقام سعد بكوثا أياما، وأتى المكان الذي حبس فيه إبراهيم عليه السلام بكوثا والبيت الذي كان فيه محبوسا فنظر إليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى إبراهيم وعلى أنبياء الله أجمعين. وقرأ " وتلك الأيام نداولها بين الناس " ، وقد مر في ذكر افرندين أن المسلمين لما دخلوا المدائن وناداهم رسول كسرى: هل إلى الصلح من سبيل، أجابه رجل من المسلمين بلسانهم، وكان لا يعرف منه شيئا: لا، حتى نأكل عسل افرندين بأترج كوثا، والقصة مشروحة هناك.

كويابة (٤) :

مدينة لصنف من الترك يسمون الروس، ومبلغ تجار المسلمين من أرمينية إلى كويابة، وبينها وبين ارثان (٥) ثمان مراحل، وأرثان لا يدخلها أحد من الغرباء لأنهم يقتلون كل غريب يصل إليهم، فلا يتجرأ أحد أن يدخل أرضهم، ويخرج من عندهم جلود الأنمار السود والثعالب السود والرصاص، ويخرجها من عندهم تجار كوباية. والروس يحرقون موتاهم ولا يتدافنون، وبعض الروس يحلقون لحاهم، وبعضهم يفتلها مثل أعراف الدواب ويضفرها ولباسهم القراطق الصغار، ولباس الروس غير لباس الخزر.

كوشة (٦) :

بينها وبين مدينة نوابية في بلاد النوبة ستة أيام، وهي تبعد عن النيل يسيرا، وموضعها فوق خط الاستواء، وأهلها قليلون،

---

(١) انظر معجم ما استعجم ٤: ١١٣٨، وياقوت (كوثي).

(٢) الطبري ١: ٢٤٢٢.

(٣) قد نقرأ ((أنكلكم)) كما في بعض أصول الطبر، وفي المتن: أنكل.

(٤) كوكبانه في ص ع؛ وأصل المادة عن الاصطخري (الكرخي): ١٣٢ حيث يسميها ((كويابة)) بينما يوردها ياقوت نقلا عن الاصطخري: كوثابة؛ وعند البكري (ح): ١٥٣: كودانية، كويانة، وقد رجعت إلى مخطوطة الرباط من المسالك والممالك للبكري (رقم ٤٨٨ ق) فوجدتها وردت عنده في موضعين ((كوبانة)) – وهي كالتي أثبتها المؤلف باسقاط الكاف الثامية؛ ولعل الصواب ((كويابة)) وربما كانت تقابل لفظة (Kiev). انظر مينورسكي: ٤٣٤.

(٥) الكرخي: أرثا؛ ياقوت: اربا، البكري (ح): أوثان (وقال المحقق: يمكن أن نقرأ أرثان)، وقد قدر فران (Frahn) أن تكون أرثا (أو أرثان) هي Erz'a وهي اسم لأحد القسمين الكبيرين في موردفا (Mordva) غير أن تحديدها على هذا النحو يتعارض مع قول الاصطخري: أن كويابه أقرب إلى البلغار؛ وقد جاءت أرثا في بعض المصادر على صورة ((ابارقه)) مما حدا بشفولسون إلى أن يقرأ ((أبارمه)) اي Perm (انظر مينورسكي ٤٣٥ – ٤٣٦ والحواشي).

(٦) النص عن الإدريسي (د): ١٩ (OG: 37)، وفي ص ع: كوسه – بالسين المهملة – وهي كذلك في بعض أصول نزهة المشتاق.." [١]

"المغرب (١) وفي حوادث ٤١٤هـ قام رجل من المصريين (العبيديين) لضرب الحجر الأسود بآلة ثقيلة والسيف في يده الأخرى وهو يقول : إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد وعلي، فتمكن منه أحد الحجاج من اليمن فضربه **بخنجر** فقتله (٢)، وكل الإرهاب الذي زرعه الحشاشون في أنحاء العالم الإسلامي إنما هو ثمرة من ثمار الدعوة الإسماعيلية العبيدية الفاطمية في مصر فإن حسن الصباح زعيم قلعة الموت الذي أرسل رجاله يقتلون العلماء والأمراء المجاهدين إنما تلقي الدعوة على أيدي أصحابها في مصر (٣)، وقد ناقش مجموعة من العلماء وطلاب العلم عقائدهم مثل الدكتور سليمان السلومي في كتابه أصول الإسماعيلية، وأستاذي وشيخي الدكتور أحمد محمد جلي في كتابة دراسة الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة، والأستاذ علوي طه الجبل، الشيعة الإسماعيلية رؤية من الداخل، والدكتور محمد أحمد الخطيب في كتابة الحركات الباطنية والدكتور غالب العواجي في كتابه فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، والأستاذ محمد بن أحمد الجوير في كتابه الإسماعيلية المعاصرة، فمن أراد التواسع فليرجع إليها وإن مد الله في العمر وبارك في الوقت، فلنا لقاء موسع لدراسة الدولة الفاطمة العبيدية، فنسأل الله التوفيق والسداد.

حكم العلماء في الفرق الباطنية :

يقول الإمام محمد محمد الغزالي في كتابه فضائح الباطنية وهو من مشاهير أهل العلم الذين خبروهم وعرفوا أسرارهم : أن مذهب الباطنية – مذهب ظاهره الرفض وباطنة الكفر المحض (٤).

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٣.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٥٠٣

(٢) المصدر نفسه ص ٤٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٣.

(٤) فضائح الباطنية للغزالي ص ٣٧.." [١]

"يظهر أن الالتحام مع العدو عند السلاجقة يتم على مرحلتين :

مرحلة الالتحام الأولى : يقوم الجيش السلجوقي بالالتحام مع الأعداء في البداية لإبهام العدو ببدء المعركة، وهو ما وصفه ابن الأثير بقوله : فصبر لهم ساعة (١)، في ذكره أحداث المعركة بين السلاجقة والعرب الذين خرجوا عن الطاعة في عهد السلطان طغرل بك (٢)، فقد التحم السلاجقة مع أعدائهم لفترة وجيزة ثم تراجعوا كالمنهزمين نحو كمائنهم، فكان هذا الالتحام المبدئي لإقناع الجانب الآخر بالبدء الفعلي للمعركة ثم الانتظار قبل بدء تطبيق خطة التراجع الزائف لإبهام الأعداء بالهزيمة ومن ثم نجاح الكمائن في مفاجأة الأعداء ومباغتتهم، وتحقيق النصر عليهم (٣).

مرحلة الالتحام الكامل : لم يقتصر استخدام السلاجقة للقوس والسهم على الالتحام المبدئي فقط، بل نجد استخدام السلاجقة لها في الالتحام الكامل كذلك، فقد استخدموها بفعالية واضحة في جميع الحروب الميدانية التي خاضوها ضد أعدائهم (٤) وكان السيف أحد الأسلحة الخفيفة التي يستخدمها السلاجقة في الالتحام مع العدو، بل كان من أهم الأسلحة التي استخدمها المحارب السلجوقي في التحامه مع العدو(٥) ويصف البيهقي وهو شاهد عيان لحروب السلاجقة مع الغزنويين بقوله : وعلت قعقعة السيوف (٦)، كما استخدمه السلطان ألب أرسلان في معركة ملاذكرد أثناء اشتباكه مع أعدائه البيزنطيين (٧)، كما وجد استخدام السيف عند السلاجقة في حروبهم مع الصليبيين (٨)، كما استخدم السلاجقة الرمح **والخنجر** عند الالتحام(٩).

رابعا : الاستنزاف :

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٩٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٩٣.

---

(١) السلاجقة، ١/٧٥

(٤) تاريخ البيهقي ص ٦٢٨، أخبار الدولة السلجوقية ص ٢٩٣.

(٥) الحروب الصليبية ص ٤٦ ، ٤٧ عزيز عطيه.

(٦) تاريخ البيهقي ص ٦٣٥.

(٧) أخبار الدولة السلجوقية ص ٤٩.

(٨) النظم الحربية عند السلاجقة ص ٤٩.

(٩) المصدر نفسه ص ٢٩٤.." (١)

"وأما موقفهم من التكاليف الشرعية، ينبني على استباحة المحظورات واستحلالها وإنكار الشرائع (١) إن هذه الصفات والمعتقدات تسوي الباطنية بالكفار إلا أن الكفار يهددون الإسلام من الخارج في حين أن الباطنية يهددونه من الداخل، فهم عنصر مخرب من داخل العقيدة ذاتها بما أنهم ينتسبون إلى الإسلام ويستظلون برايته ويدعون أنهم حماته والمعبرون عنه بصدق، لذلك فإن طريقة التعامل معهم يجب أن تكون أشد وأقصى من تلك التي يعامل بها الكفار (٢)، كان لكتابات الغزالي أثر قوي في مجال الرد على الباطنية، فقد استطاع بفكره القوي وبما نال من شهرة أن يكون ذا تأثير قوي في مقاومة الباطنية، وأن يناصر المذهب السني، فقد استطاع توظيف العلوم الشرعية، والعلوم العقلية من الفلسفة، والمنطق والكلام في نسف جذور المذهب الباطني وقال فيهم كلمته التي سارت مسير الأمثال : ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، فهم يتسترون بالتشيع وما هم من الشيعة في شيء وإنما هو قناع يخفون وراءه كيدهم لأهل الإسلام (٣)، ومما يذكر للغزالي : استمراره على نقد هذه الطائفة، وكشف اللثام عن تناقض أفكارها، وفضائح أعمالها، وسوء نواياها، برغم ما كان معلوما في ذلك الوقت أن هذا النقد قد يكلفه حياته، وقد رأى بنفسه مصرع رجل الدولة الكبير، الوزير نظام الملك وفخر الملك ابن نظام الملك – أيضا، فلم يجد بدا أمام ضغطه من الإذعان وكان الباطنية يهددون كل من يرونه خطرا عليهم من رجال الملك أو رجال العلم – بالانتقام في صورة طعنة في خنجر، أو سم يدس في طعام أو غير ذلك من الأساليب التي أتقنوها ونفذوها بكل دقة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شجاعة الغزالي في صدعة بالحق، ومواجهة الباطل، مهما تكن النتيجة ولن يصيبه إلا ما كتب الله له (٤)

---

(١) السلاجقة، ٤٠٣/١

(١) المصدر نفسه ص ٤٤.

(٢) الجهاد من الهجرة إلى الدعوة إلى الدولة ص ١٤٩،

(3) الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه للقرضاوي ص ٦٠.

(٤) الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه ص ٦٢.." [١]

"الوزير نظام الملك السلجوقي ... ٥٨٥هـ ... تقدم إليه باطني في صورة مستغيث ولما اقترب منه طعنه بسكين وقتله.

الوزير نظام الملك (أبو نصر) ... ٥٠٣هـ ... وثب عليه جماعة من الباطنية وهو يؤدي الصلاة في الجامع وجرحوه عدة جراحات.

الوزير أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني ... ٤٩٥هـ ... عدا عليه شاب باطني وجرحه عدة جراحات مات بعدها.

الوزير الكمال أبو طالب السميرمي ... ٥١٦هـ ... وثب عليه الباطنية وهو سائر في طريق ضيق وقتلوه.

الوزير معين الملك (أبو نصر) ... ٥٢١هـ ... وثب عليه باطني وهو غافل مطمئن فقتله، وكان هذا الباطني يعمل سائسا لخيل معين الملك ليصل إلى هدفه.

الوزير عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء ... ٥٧٣هـ ... تقدم إليه جماعة من الباطنية في صورة فقراء ومعهم رقاع وهو في طريقه إلى الحج فتقدم إليه أحدهم وضربه بسكين وتبعه ثان وثالث حتى قتلوه.

الوزير نظام الملك مسعود بن علي ... ٥٩٦هـ ... قتله الباطنية غدرا.

الوزير فخر الملك أبو المظفر علي بن نظام الملك ... ٥٠٠هـ ... تقدم إليه شاب من الباطنية وهو يتظلم وفي يده رقعة، وبينما كان يقرؤها الوزير وثب عليه ذلك الشاب **بخنجر** كان معه وقتله.

(١) الكامل : ج ٨/ ٢٠٠.

(٢) الكامل : ج ٨/٣١٩.

(٣) هذا الجدول نقل من كتاب الجهاد والتجديد ص ١٤٦ ، ١٤٧.

جدول بأسماء القادة والعلماء الذين اغتيلوا بيد الباطنية :

اسم المغتال ... السنة ... كيفية وقوع حادث الاغتيال

---

(١) السلاجقة، ٢/٦١

الأمير بلكابك سرمز ... ٤٩٣هـ ... طعنه الباطنية بسكاكينهم غدرا فقتلوه.
الأمير مودود ... ٥٠٧هـ ... وثب عليه الباطنية بعد فراغة من أداء صلاة الجمعة في جامع دمشق وقتلوه.
الأمير أحمد بن إبراهيم الروادي ... ٥١٠هـ ... تقدم إليه رجل من الباطنية وهو يتظلم ويبكي ومد إليه رقعة سأله أن يوصلها له إلى السلطان، فلما أخذها منه وثب عليه ذلك الرجل على الفور بسكينه وقتله.." (١)

"ومن غرائب الاتفاق فيما سبق أنه كان لقراسنقر فراش من العليقة، وله معرفة بأهل مصياف، فتتبع نواحي توريز حتى ظفر بفداوي رسله السلطان الناصر محصد لقتل قراسنقر، فإذا هو أخوه، فاستماله وقربه من قراسنقر. فأعطاه قراسنقر مائة دينار ورتب له في كل شهر ثلاثمائة درهم، وخدم عنده فراشا رفيقا لأخيه، وزاد في الإنعام عليه حتى بلغت عطيته له خمسمائة دينار. فأعلم هذ الفداوي قراسنق بما ندب إليه من قتله، وضمن له أنه يعرفه بجميع من يرد من الفداوية. فسر قراسنقر بذلك وأعلم جوبان والوزير ناصر الدين خليفة، فكبسوا على جماعة ممن دلهم عليهم، فظفروا، بواحد، وفر بعضهم، وقتل بعضهم نفسه، وجيء بالفداوي المقبوض عليه، فعوقب حتى مات ولم يعترف بشيء.
واشتد الأمر بتوريز وغيرها على الغرباء، وقصاد السلطان تطالعه بذلك في كل وقت، إلى أن كتبوا إليه نائب بغداد بلغه عن تاجر أنه اشترى مملوكين للسلطان بمائة وعشرين ألف درهم، فأحضر نائب بغداد التاجر وألزمه بإحضارهما، فافتدى بأربعمائة دينار حتى تركه، وأخرجه من بغداد. فبعث التاجر بطائفة من الفداوية لقتله، وقتل قراسنقر، فتفرقوا بالأردو وتوريز وبغداد، وأقاموا في الانتظار لانتهاز الفرصة. فبينا نائب بغداد يوما وقد مر في الشارع، إذا وثب عليه أحد الفداوية وصاح. ياللملك الناصر، وضربه **بالخنجر** في صدره، ومر يعدو فلم يقدر عليه. وعاد الفداوي إلى مصياف، وكتب إلى السلطان الناصر محمد بما جرى وقتل نائب بغداد. فلما بلغ ذلك قراسنقر وجوبان اشتد حذرهما، وألزم قراسنقر فراشه وأخاه الفداوي حتى دلاه على أربعة من الفداوية، فقبض عليهم، فاعترف أحدهم، وحكى له المنبر بنصه فقتلوا وشهروا. وأقام رجال جوبان مدة في طلب الفداوية، فلم يدخل منهم أحد إلا ظفر به. فلما قدم المجد السلامي إلى القاهرة وصحب كريم الدين الكبير، واتصل بالسلطان، أقامه السلطان عينا له ببلاد الشرق، وبعثه بالهدايا والتحف. فصحب المجد السلامي جوبان والوزير، ولزمهما، وطالع السلطان بالأحوال. ثم بعث السلطان إليه بعدة من الفداوية، وكان من لطف الله به أنه يوم قدم المجد السلامي توريز قبض بها على ثلاثة من أربعة من

---

(١) السلاجقة، ٤١٢/٢

الفداوية، وفر الرابع الذي معه كتاب السلطان إليه. فعوقب الثلاثة حتى ماتوا، ولم يعترفوا بشيء ووصل الذي فر إلى مصياف وكتب إلى السلطان بما جرى. فمازال السلامي يقرر الصلح بين الوزير خواجا علي شاه وجوبان وبين السلطان إلى أن تم، وشرطوا فيه ألا يدخل إليهم فداوي.

ثم حدث أنه بينما قراسنقر في عدة من أمراء الساحل يتصيد إذ وثب عليه من خلفه فداوي وضربه، فوقعت الضربة في خاصرة الفرس، ألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض فسلم، وقتل أصحابه الفداوي. ثم لما توجه الأمير أيتمش بن عبدالله المحمدي الناصري في المرة الثانية إلى أبي سعيد بعث السلطان الناصر في أثره فداويين قبض على أحدهما، وقتل الأخر نفسه، فلم يعترف المقبوض عليه بشيء حتى مات قتلا بحضور أيتمش. وعتب جوبان على أيتمش بسبب ذلك، وأنه وقع الصلح على ألا يدخل أحد من هؤلاء إلينا، فاعتذر أيتمش بأن هؤلاء إلينا كانوا فداوية فقد كانوا في البلاد من قبل تقرير الصلح، وضمن أن السلطان لا يعود إلى إرسال أحد منهم فمشى ذلك على جوبان، وأعيد أيتمش إلى مصر.." (١)

"ومات الأمير علاء الدين مغلطاي - أمير شكار واصر أخور - بطالا بدمشق. كان من خواص الناصري، فترقى في خدمته، حتى صار رأس نوبة كبير أمير مايه، واستقر أمير شكار واصر آخور، ثم قبض عليه وأخرج إلى طرابلس، ثم نقل إلى دمشق، فمات بها في عاشر رمضان، وكان حاد الخلق.

ومات جمال الدين أبو الطب الحسين، ابن قاضى قضاة دمشق تقي الدين أبى الحسن على بن عبد الكافي بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري السبكي، بدمشق، في يوم السبت ثاني شهر رمضان، ومولده. بمصر سنة إحدى وعشرين. كتب بديوان الإنشاء في وزارة أبيه، ثم ولى استيفاء الصحبة. وتقلد في سنة تسع وثلاثين إلى نظر الدولة، واستقر عوضه في استيفاء الصحبة أخوه كريم الدين، حتى أمسك مع أبيه في نوبة النشو وعوقبوا. ثم توجه بعد موت أبيه إلى القدس وأقام به مدة. ثم طلب وولى نظر البيوت، فاستعفى منها، وولى نظر النظار بالشام. ثم استعفى منها أيضا وقدم القاهرة حتى ولى نظر الجيش بعد ابن زنبور، وأضيف اليه نظر الخاص وكان فاضلا كريما درس بعدة مواضع.

توفي تاج الدين أبو الفضايل أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام في رابع شوال تحت العقوبة، كما تقدم. وهو أحد كتاب مصر المعدودة، وكان يخدم جريدته بيده، ولا يحتاج إلى كشف عامل ولا غيره، بل يكاد أن يعمل محاسبة كل أحد من ذهنه لفرط ذكائه وشدة فطنته، مع العفة والأمانة، أو التشدد على

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٥٨/٢

الناس، والتوفير من الأرزاق حتى لم يعهد أنه جرى على يده رزق لأحد، بل ما برح يومر المال للسلطان إلى أن كان من أمره ما كان. وكان لا يراعى أحدا، ولا يحابى، ويكثر من المحاققة والضبط.

توفي الأمير سيف الدين أياجى نائب قلعة دمشق وتوفى الشريف علاء الدين أبو الحسن على بن عز الدين حمزة بن الفخر على بن الحسن الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة الحسيني الحلبي، نقيب الأشراف بحلب. قدم القاهرة، وكتب بديوان الإنشاء مدة، ثم عاد إلى حلب، وولى وكالة بيت المال ونقابة الأشراف لها حتى مات، وقد أناف على السبعين.

وتوفي الوزير الصاحب، موفق الدين، أبو الفضل، هبة الله بن سعيد الدولة إبراهيم، في يوم الجمعة ثاني عشرين ربيع الآخر. وكان كاتبا مجيدا مشكور السيرة. له بر ومعروف. باشر أولا نظر الدولة ثم تنقل إلى الوزارة فلم يزل وزيرا حتى مات، ودفن بتربته من القاهرة، وكانت جنازته حفلة.

وتوفي متملك الأندلس أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن الأحمر في صلاة عيد الفطر، طعن بخنجر وهو ساجد، فكانت منيته.

وتوفي قاضي القضاة المالكية ببلاد الشرق عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي المطرزي المعروف بالعضد الشيرازي الشافعي مسجونا في سخط صاحب كرمان ومولده سنة ثمانين وستمائة. وله شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول صلى الله عليه وسلم المواقف، وكتاب القواعد الغياثيِة. وكان إماما في المعقولات والنحو والأصول والمعاني والبيان، مشاركا في الفقه. وله سعادة ضخمة، وكلمة نافذة. وولاه أبو سعيد القضاء وسكن سلطانية ثم شيراز. وبينه وبين فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردى مناظرات.

سنة ست وخمسين وسبعمائة

في المحرم: شرع الأمير شيخو في هدم أملاك ابتاعها بخط صليبة جامع ابن طولون. فكانت مساحتها زيادة على فدان، واختط موضعها خانكاه، وحمامين وحوانيت، يعلوها رباع. وجد في بنائها بحيث أنه عمل فيها بنفسه ومماليكه، حتى انتهت عمارتها، وأشهد عليه بوقفها. ووقف عليها عدة جهات بأرض مصر والشام. ورتب بها دروس الفقه للمذاهب الأربعة، وشيخا للصوفية، ومدرسا للحديث النبوي، وشيخا لإقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع، وغير ذلك من الفراشين والقومة والمباشرين.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/٢٢٢

"نعود ولما أرست المراكب الحربية ببحر السلسلة مبرزة عن الساحل اعتد أهل الإسكندرية للقتال والحرب والنزال، فتعمرت القلاع التي من جهة البحر والجزيرة، بالرماة الكثيرة وانتشر الناس على السور، وصار برماة الجرخ معمور، فخرج من مراكب الفرنج قارب يجس الميناء بقميرة، فرمى المسلمون عليه بالسهام، فولى هاربا حتى لصق بالمراكب. فلما كان بعد الغروب، أوقدت الفوانيس على السور، فضاء السور بالنور، وبات المسلمون متأهبين بالسور، محدقين والعدو خانس لم يتحرك من الموضع الذي أرسى به. وصارت تلك المراكب منضمة بعضها إلى بعض، كالطوق الصغير في البحر الكبير، فاستهون المسلون أمره وقالوا: " ما يقدر هذا على هذه المدينة المسورة الحصينة. والقلاع المشيدة المتينة " . فلما كان بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة، انتشر على الساحل بالجزيرة خلق من المسلمين كثيرة، منهم من معه سيفه وترسه، ومنهم من معه نبله وق,سه، ومنهم من معه رمحه **وخنجره**، ومنهم من ليس عليه سوى ثوبه الذي يستره، وبعضهم قد لبس الزرد المنضد، وبعضهم من هو عاري مجرد. وكانت الباعة خرجوا من البلد بطباليهم وقدورهم ودسوتهم ملآنة بالطعام، يبيعونه على من بالجزيرة من الخاص والعام، وذلك من ليلة الخميس ليكسبوا معايشهم، وهم معلنون بلعن كل راهب وقسيس، وذلك من غير خوف من المراكب التي رؤيت يوم الأربعاء في البحر. ثم إنهم ما فزعوا من الإفرنج باجتماع أفروطتهم يوم الخميس، بل صاروا يلعنون القبرسي كلعنهم لإبليس لأنهم فيما تقدم لهم من بيعهم على الطوائف المتقدم ذكرهم. فكان أحدهم يغضب إذا أنقص له المشترى حبة أو حبتين، ويفرح إذا غلب المشتري بحبة واحدة، فيصير البائع كما قال الشاعر:

لاتغضب السوقي ... فبالحبة ترضيه

وأخذ الفلس من يده ... كأخذ الفرس من فيه

فصاروا يشترون من الباعة، ويأكلون كما كانوا في خروجهم مع الطوائف، يعهدون ول‍يس كل منهم مفكر في أسطول الإفرنج، ولا منه خائف. وصارت الحرافيش والعوام يشتمون القبرسي بالصريح، ويسبونه بكل لفظ قبيح، والقبرسي يسمعهم من مراكبه، وهو ساكن، وكل من معه لم ينطق بكلمة، بل كل منهم صامت فقيل: إن القبرسي رمى من أعلى الجزيرة في الليل جواسيسه في زي لباس المسلمين، مستعربين كالشياطين، فاحتاطوا بالمسلمين متجسسين، فرأوهم من لباس الحرب عارين، فاشتروا كما قيل من المأكول، وأتوا به لصاحب قبرس بالأسطول، وقالوا: له ليس بالجزيرة أحد من الشجعان وليس بها إلا من هو من لباس الحرب عريان، يأكلون ويشربون،وبعضهم يحفر في الرمل حفائر وبها ينامون فلما كان قبل الشمس من يوم الجمعة

.أقبلت العربان من كل ناحية ومكان، قد تخللوا بالكسيان. وكانت النسوان ينظرن إلى مراكب الفرنج من رءوس الكيمان التي هي داخل السور، المشرفة على القبور،فزرغتت النسوان لتلك العربان. وقلن قد أتت الشجعان، يقتلون عباد الصلبان، فصاروا يتطاردون على خيولهم تحت الكيمان، وقد أرخوا لها الأعنة، عند سماعهم الزرغتة ، وتلك العربان كالمطر من كثرتهم، خارجين من الباب الأخضر. فصاروا في الجزيرة كالجراد المنتشر، وكل من سرابيل الحرب منتشر، ليس مع كل واحد منهم غير سيفه ، الأجرب ورمحه، قاصدا إما لقتله أو لجرحه، فقال أحد المغاربة وغيره للأمير جنغرا: " هذا عدو ثقيل، وقد خرج الناس من الثغر عرايا للبلايا، والمصلحة دخولهم المدينة يتحصنون بأسوارها الحصينة. ويقاتلون من خلف الأسوار. ليظن العدو أن خلفها كل رجل كالأسد المغوار، يذيقونه برميهم عليه الشدة. إلى أن تصل من مصر النجحة " ، فقال ممن له رباط بالجزيرة: قد انصرف على بنائه ألوف كثيرة، بنيت بين مقابر الأموات لمبيت طوائف القاعات: " ما نترك هؤلاء الفرنج الذي كل منهم رجس مقامر، تطرق بأرجلها ترب المقابر " . قالوا ذلك خوفا على ربطهم تخربها الفرنج إذا نزلوا الجزيرة بجموعهم الكثيرة. فقال عبد الله التاجر لجنغرا: " دخول المسلمين البلد أصلح لهم " فقالت " أرباب الربط: " أنتم مغاربة أخربتم بلدكم طرابلس بأخذ الفرنج وتريدون أن تخربوا ربط المسلمين بدخول المسلمين البلد كذلك ولا كرامة، بل نمنعهم النزول من المركب، نذيقهم بالسهام العذاب والرعب.." (١)

"وفي خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وفيهم بطا الخاصكي، وأخبروا أن أقبغا المارديني – أمير الحاج – لما قدم مكة في أول ذي الحجة خرج الشريف محمد بن أحمد عجلان لتلقيه على العادة، وقبل الأرض، ثم خف الجمل. وعندما انحنى ليقبل عقب الرمح، وثب عليه فداويان ضربه أحدهما **بخنجر** في جنبه، وضربه الآخر **بخنجر** في عنقه، وهما يقولان: " غريم السلطان " فخر ميتا وترك نهاره ملقى، ثم حمله أهله، وواروه، وكان كبيش على بعد، فقتل الفداوية رجلا يظنوه كبيشا، ففر كبيش، وأقام الأمراء لابسين السلاح سبعة أيام، خوفا من الفتنة. فلم يتحرك أحد ولبس الشريف عنان خلعته، وتسلم مكة، وخطب له بها.

وفي تاسع عشرينه: قدمت رسل الحبشة بكتاب ملكهم الحطي، واسمه داود بن سيف أرعد، ومعهم هدية على أحد وعشرين حمالا، فيها من ظرائف بلادهم، ومن جملتها قد ملئت قد صيغ على قدرالحمص.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٤٦/٢

ومات في هذه السنة من الأعيان

أديب مصر بدر الدين أحمد بن الشرف محمد بن الوزير الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا ، في يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الآخرة.بمدينة مصر، عن نيف وسبعين سنة.

وتوفي الشريف أبو سليمان أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسني أمير مكة، في حادي عشرين شعبان عن نيف وستين سنة.بمكة، ودفن بالمعلا، وكان حسن السيرة.

وتوفي الشيخ المعتقد شهاب الدين أحمد بن شرف الدين عبد الهادي بن الشيخ أبي العباس أحمد الشاطر الدمنهوري ، الأديب الشاعر ذو الفنون، في المحرم وهو عائد من الحج.

وتوفي شهاب الدين أحمد بن محمد بن على الزركشي - أمن الحكم - فجأة في ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول. واتهم أنه سم نفسه، فإنه نقص من مال الأيتام عليه نحو خمسمائة ألف درهم، ذهبت كأمس الذاهب.

ومات أحمد بن الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاون، في ليلة الخميس رابع عشر جمادى الآخرة، ودفن.بمدرسة أبيه، وكان أسن أولاده.

وتوفي عماد الدين إسماعيل بن الزمكحل الناسخ، أحد الأفراد، كان يكتب سورة " قل هو الله أحد " بكمالها على حبة أرز، كتابة بينة لا يطمس فيها واوا، إلى غير ذلك من بدائعه.

ومات الأمير جلبان الحاجب، أحد أمراء الطبلخاناه، في أخريات شهر رمضان. وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر، كبير التركمان البزوقية، وأمير أبلستين ، قتيلا في الحرب، مع الصارم إبراهيم بن همز التركماني، قريبا من مدينة مرعش، عن نيف وستين سنة.

ومات الأمير سودن العلاي، نائب حماة، قتيلا في محاربة التركمان.

وتوفي المقرىء فتح الدين عبد المعطي بن عبد الله في سادس عشر رمضان، وقد أسن. أخذ القراءات عن أثير الدين أبي حيان.

وتوفي الشريف محمد بن عطيفة بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني، أمير المدينة النبوية.

وتوفي أحد الأفراد في العبادة والزهد والورع، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القرمي بالقدس، في صفر. ومولده في ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبعمائة. كان لا يزال يتلو القرآن، فيقال إنه قرأ في اليوم

والليلة ثماني ختمات، وقدم القاهرة.

وتوفي الشديد في الله، الورع، شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس القونوي الحنفي، بدمشق، عن نيف وسبعين سنة. قدم القاهرة غير مرة. وأقسم بالله أنه إذا رأى منكرا يحم.

وتوفي قاضي الحنابلة بدمشق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن تقي الدين عبد الله بن محمد ابن محمود بن أحمد بن عزاز الحنبلي، المعروف بابن التقي.

وتوفي شيخ أهل الميقات ناصر الدين محمد بن الخطائي في يوم الأربعاء ثالث عشرين شعبان.

وتوفي قرينه في العلم بالميقات شمس الدين محمد بن الغزولي، في رابع رجب.

وتوفي زين الدين أبو بكر بن نور الدين علي بن تقي الدين محمد بن يوسف السعدي الخزرجي الأنصاري، المعروف بالسندوبي، أحد موقعي الدست، في يوم الخميس ثالث ربيع الأخر، وهو أحد من أدركناه من الأفراد، في الجود و الكرم.

وتوفي شرف الدين موسى بن الفافا، أستادار الأمير أيتمش الأتابك، في تاسع شوال، وكان من رءوس الظاهرية.

وتوفي الشريف هيازع بن هبة بن جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسيني ، أمير المدينة النبوية، في سجنه بالإسكندرية، لأيام من شهر ربيع الأول.." (١)

"وأخذ الناصر يرمي من أعلى القلعة يومه، وبات ليلة الأحد على ذلك، فلما كان يرم الأحد عاشره بعث بالأمير أسندمر أمير أخور ليحلف له الأمراء فكتب نسخة اليمين، فحلفوا له، ووضعوا خطوطهم. وكتب أمير المؤمنين خطه أيضا. وصعد به إليه ناصر الدين محمد بن مبارك أخو الخليفة، فطال الكلام بينهما، وكثر الترداد بغير طائل. وعاد الناصر إلى الرمي من القلعة بمدافع النفط، والنشاب. فركب القوم وأحاطوا به يريدون قتاله. فأرسل يسأل في الكف عنه، فضايقوا القلعة خشية أن يفر منها، فأضطره الحال إلى أن نزل ليلة الاثنين حادي عشره، ومعه أولاده يحملهم ويحملون معه، وهو ماش من باب القلعة إلى الإصطبل، حيث منزل الأمير شيخ، فقام إلى لقائه وقبل له الأرض، وأجلسه بصدر المجلس، وسكن روعه، وتركه وانصرف عنه، فأقام بمكانه إلى يوم الثلاثاء ثاني عشره، فجمع فقهاء مصر والشام بدار السعادة بين يدي أمير المؤمنين، وقد تحول إليها وسكنها، فأفتوا بإراقة دم الناصر شرعا. فأخذ في ليلة الأربعاء من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٨٦/٢

الإصطبل، وأنزل بموضع من قلعة دمشق وحده، وقد ضيق عليه، وأفرد من خدمه إلى ليلة السبت سادس عشره دخل عليه ثلاثة، أحدهم ابن مبارك أخو الخليفة، وآخر من ثقات الأمير شيخ، وآخر من ثقات الأمير نوروز، ومعهم رجلان من المشاعلية، فعندما رآهم ثار إليهم، ودافع عن نفسه فساوره الرجلان حتى صرعاه، بعدما أثخنا جراحه. وتقدم إليه بعض صبيان الفداوية **بخنجر** فخنقه، وقد أصابته الجراحة في خمسة مواضع. فلما ظن أنه قد أتى على نفسه وقام عنه، تحرك فعاد وخنقه مرة ثانية، حتى قوى عنده أنه هلك تركه، فإذا به يتحرك، فعاوده مرة ثالثة، وفرى أوداجه **بخنجر**، وسحب بعدما سلب جميع ما عليه من الثياب. وألقى على مزبلة مرتفعة عن الأرض تحت السماء، وهو عاري البدن، يستر عورته وبعض فخذيه سراويله، وعيناه مفتوحتان، والناس تمر به، ما بين أمير ومملوك، قد صرف الله قلوبهم عنه. وغوغاء العامة وأراذل الغلمان تعبث بلحيته ويديه ورجليه طول نهار السبت، نكالا من الله له، فإنه كان مستخفا بعظمة الله سبحانه، فأراه الله قدرته فيه:

لا تيأسن على شيء فكل فتى ... إلى منيته يستن في عنق

بأيما بلدة تقدر منيته ... ألا يسارع إليها طالعا يسق

وقد أخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة: حدثنا يزيد بن أبي حبيب أن قيس بن سعد بن عبادة – رضي الله عنه – قال: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " من شدد سلطانه بمعصية الله عز وجل، أوهن الله كيده إلى يوم القيامة " .

فلما كانت ليلة الأحد: حمل وكفن بعدما غسل، وصلى عليه، ودفن بمقبرة باب الفراديس، بموضع يعرف بمرج الدحداح، ولم يكن له جنازة مشهودة، ولا عرف من تولى غسله وكفنه، ويقال أنه تصدق عليه بالكفن، فسبحان المعز المذل.

وقد كان الأمير شيخ لا يريد قتله، وعزم على أن يحمله مع الأمير طوغان الدوادار إلى الإسكندرية ويسجنه بها، فقام الأمير نوروز والأمير بكتمر حلق في قتله قياما بذلا فيه جهدها، فإن الأمير يشبك بن أزدمر ممن امتنع من الموافقة على قتله، وشنع في ذلك، واحتج بالأيمان التي حلفت له، فتقوى نوروز وبكتمر بالخليفة، فإنه اجتهد هو وكاتب السر فتح الله في ذلك، وحمي الفقهاء والقضاة على الكتابة بإراقة دمه. وتجرد قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفي لذلك، وكافح من خالف في قتله، وأشهد على نفسه أنه حكم بقتله شرعا، فأمضى قتله، وقتل كما تقدم ذكره.

وكان الناصر هذا أشأم ملوك الإسلام، فإنه خرب بسوء تدبيره جميع أراضي مصر وبلاد الشام، من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات، فطرق الطاغية تيمورلنك بلاد الشام في سنة ثلاث وثمانمائة، وخرب حلب وحماة وبعلبك ودمشق، وحرقها، حتى صارت دمشق كوما ليس بها دار، وقتل من أهل الشام ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى، وقطع أشجارها حتى لم يبق بدمشق حيوان، ونقل إليها من مصر، حتى الكلاب، وخربت أراضي فلسطين بحيث أقامت القدس مدة إذا أقيمت صلاة الظهر بالمسجد الأقصى لا يصلى خلف الإمام سوى رجلين.." (١)

"وفي رابع عشرينه: وصل محمد بن بشارة شيخ بلاد صفد في الحديد وكان قد خرج عن طاعة السلطان، فتطلبه زمانا، وأزعجه من بلاد صفد إلى أن ترامي بدمشق على الأمير ناصر الدين محمد بن منجك أحد خواص السلطان وقدم عليه في سابع صفر، وقد بعث إليه بأمان السلطان، وخلع عليه، وأنزله فلما ظن أنه أمن، تصرف في أشغاله، وركب في أرجاء دمشق. فبينما هو في ذات يوم قد وقف بسوق الخيل – هو وابن منجك – إذ دعاه إلى الدخول على الأمير نكباي نائب الغيبة بدمشق، فدخل معه إليه، ووقف أصحابه – وهم نحو العشرين – على خيولهم، خارج باب السعادة، فما هو إلا أن استقر بابن بشارة المجلس، أشار ابن منجك إلى نكباي بطرفه أن اقبضه، فأحيط به، فأخذ ليدفع عن نفسه، وسل سيفه، فقبض عليه، فسل خنجره، وجرح به من تقدم إليه، فتكاثرت السيوف على رأسه، وأخذ، وقيد، وقبض على العشرين من أصحابه، ووسط منهم أربعة عشر، واعتقل أربعة مع ابن بشارة، ثم حمل محتفظا به، فاعتقل.

وفي سابع عشره: أخذ قاع النيل فجاء أربعة أذرع، تنقص إصبعين. ونودي بزيادة ثلاثة أصابع. وقدم الخبر بأن ابن السلطان وصل إلى نكدة في ثامن عشر شهر ربيع الآخر، فتلقاه أهلها، وقد عصت عليه قلعتها، فنزل عليها وحصرها، وركب عليها المنجنيق، وعمل النقابون فيها، وأن محمد بن قرمان تسحب من مدينة نكدة في مائة وعشرين فارسا، هو وولده مصطفى.

وفي سلخه: رسم للأمير التاج الشويكي أن يتوجه إلى البلاد الشامية، مبشرا بولادة الأمير أحمد ابن السلطان، فسار من غده.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد: أهل والسلطان ملازم الفراش، وقد تزايد ألمه، والأسعار مرتفعة، والخبز يعز وجوده بالأسواق أحيانا، لكثرة اختزان الغلال، طلبا للزيادة في أسعارها.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/١٥٠

وفي خامسه: أفرج عن شمس الدين محمد الهروي، ونزل إلى داره في هيئة جميلة.
وفي ثاني عشره: قدم الخبر بأن ابن السلطان حاصر قلعة نكدة سبعة وعشرين يوما، إلى أن أخذها عنوة، في رابع عشر جمادى الأولى، وقبض على من فيها وقيدهم، وهم مائة وثلاثة عشر رجلا، ثم توجه في سادس عشره إلى مدينة لارندة.
وفي سادس عشره: استدعى قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري الحنفي – محتسب القاهرة – صدر الدين أحمد بن العجمي طلبا مزعجا، لما بلغه أنه انتقص عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فأوقفه بين يديه، وادعى عليه مدع أنه قال: وإيش هو عبد الله بن عباس بالنسبة إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله، فأمر به فسجن بالمدرسة الصالحية حتى تقام عليه البينة بذلك، وكان سبب هذا أن السلطان لما اشتد به المرض، أفتاه بعض الفقهاء أن يجمع بين كل صلاتين ما دام مريضا، فلما فعل ذلك أنكره صدر الدين على مقتضى مذهبه، وهو المنع من الجمع بين الصلاتين في المرض والسفر، وقال للسلطان: مذهبك حنفي، ولا يجوز تقليدك غير مذهب أبي حنيفة، فناظره بعض من هناك على جواز الجمع، وأنه ثبت في صحيح مسلم وغيره، وقد ذهب عبد الله بن عباس إلى الجمع بين الصلاتين في الحضر من غير عذر، واختار طائفة من أهل العلم الجمع في حال المرض، فلم يحسن الرد، وقال في مسلم عدة أحاديث غير صحيحة، وأخذ في تفصيل أبي حنفية بما نسبوه فيه إلى غضه من ابن عباس وترجيح أبي حنيفة عليه، فشنعوا عليه ذلك، وقد حرك منهم أحقادا في أنفسهم أنتجها جرأته وإقدامه، حتى رسم السلطان بإمضاء حكم الشرع فيه، فكان ما ذكر.
وفي سابع عشرينه: ركب السلطان من القلعة، يريد النزول بدار ابن البارزي على النيل فلم يطق حركة الفرس لما به من الألم، فركب المحفة إلى البحر وحمل منها على الأعناق حتى وضع على فراشه، ونقل حرمه معه، ونزل الأمراء في عدة من دور الناس التي حوله، وصارت الطبلخاناه تدق هناك، وتمد الأسمطة، وتعمل الخدمة على ما جرت به العادة في القلعة، ولم نعهد بمصر نظير هذا.
وفي تاسع عشره: طلب صدر الدين المحتسب من الصالحية إلى بيت ابن الديري، ليعزره، فسار ماشيا ومعه من العامة خلائق لا يحصى عددها إلا الذي خلقها، وقد تعصبوا له، وجهروا بسب من يعاديه ويعانده، حتى دخل إلى بيت الديري، فأدبه بما اقتضاه رأيه من غير إقامة بينه عليه. ثم أفرج عنه، فترك الحكم، والنظر في أمر الحسبة إلى أن خلع عليه في ثالث عشرينه ببيت كاتب السر بين يدي السلطان، فسر الناس

به سرورا كبيرا.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:." (١)

"وفي يوم الاثنين رابعه: اتفق بالقاهرة حادثة شنعاء لم ندرك مثلها، وهي أن رجلا من العشير ببيروت من سواحل الشام – يقال له شعث بن أبي بكر بن الحمراء – قدم ليسعى في بعض تعلقاته، فخرج سحر هذا اليوم من داره على فرسه، ومعه غلامه، وقد سايره رجل من أهل بلاده، وأخذ يحادثه حتى وصلا بين القصرين عند شروق الشمس، فأخرج الرجل خنجرا وضرب به ابن الحمراء ضربة وأتبعها بأخرى فسقط عن فرسه. وساق الرجل فرسه فلم يتبعه أحد. وبقي ابن الحمراء طريحا عدة ساعات، ثم دفن. وبلغ الخبر السلطان، فطلب القاتل فلم يقدر عليه. وكان سبب هذا أن ابن الحمراء قتل والد هذا الرجل من سنين عديدة، وابنه هذا صبي، فتحول إلى القاهرة، وربي بها، وصار من جملة الأجناد بخدمة الأمراء. فلما قدم ابن الحمراء في هذه الأيام القاهرة، تردد إليه هذا الرجل من أجل أنه من أهل بلاده، فأنس به وغفل عما كان منه، إلى أن جاءه الرجل في هذا اليوم على عادته، وركب معه، فوجد الفرصة قد أمكنته من عدوه، ففعل ما فعل، وأخذ بثأره.

وفي هذا الشهر: انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا سواء.

وفيه ارتفع سعر القمح حتى تجاوز الأردب مائتي درهم من الفلوس.

وفيه هدم السلطان خرائب الطظر بقلعة الجبل، وكانت خطا كبيرا يشتمل عل مساكن عديدة، فسوى بها جميعها الأرض.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه: نودي على الفلوس أن يتعامل الناس بها من حساب اثني عشر درهما الرطل. وكانت قد قلت وعز وجودها لشح الناس بإخراجها، فربح من كان عنده منها شيء، وخسر من له مطالبات، فإنه صار درهمه نصفا.

شهر ذي الحجة، أوله السبت.

في سابعه: اتفقت حادثة شنعاء، وهي أن الخبز قل وجوده في الأسواق، فعنده خرج بدر الدين محمود العينتابي – محتسب القاهرة – من داره سائرا إلى القلعة صاحت عليه العامة، واستغاثوا بالأمراء، وشكوا إليهم المحتسب، فعرج عن الشارع وطلع إلى القلعة وهو خائف من رجم العامة له، وشكاهم إلى السلطان.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٣٣/٣

وكان يختص به، ويقرأ له في الليل تواريخ الملوك، ويترجمها له بالتركية. فحنق السلطان وبعث طائفة من الأمراء إلى باب زويلة، فأخذوا على المارة أفواه السكك ليقبضوا على الناس. فرجى بعض العبيد أحد الأمراء بحجر أصابه، فقبض عليه، وضرب. وقبض على جماعة كبيرة من الناس، وأحضروا بين يدي السلطان، فرسم بتوسيطهم ثم أسلمهم إلى الوالي فضربهم وقطع آنافهم وآذانهم، وسجنهم ليلة السبت. ثم عرضوا من الغد على السلطان فأفرج عنهم – وعدتهم اثنان وعشرون رجلا من المستورين – ما بين شريف وتاجر، فتنكرت القلوب من أجل ذلك، وانطلقت الألسنة بالدعاء وغيره.

وفي هذه الأيام: ارتفع سعر اللحم، وعدم أياما من الأسواق. وارتفع سعر القمح أيضا، وعز وجوده، مع كثرته بالشون والمخازن، وعلو النيل وثباته.

وفي حادي عشرينه: خلع على شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين بن محمد المعروف بابن المحمرة، واستقر في مشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء، بعد وفاة شمس الدين محمد بن أحمد البيري، المعروف بأخي جمال الدين الأستادار. وابن المحي هذا كان أبوه سمسارا في الغلال بساحل بولاق، وعمه طحانا، وولد هو بظاهر القاهرة، وقرأ القرآن وقرأ عدة كتب ما بين فقه ونحو وغيره، واشتغل على شيوخ العصر حتى برع في الفقه على مذهب الشافعي. وشارك في فنون، وجلس في حوانيت الشهود زمانا، واستنابه في الحسبة بالقاهرة بوساطة الأمير يلبغا السالمي، وكان من أصحابه. ثم ناب في الحكم بالقاهرة عن قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقيني مدة سنين. وأثرى في قضائه، وكثر ماله. ثم صرف عن الحكم، ودرس الفقه بخانكاة شيخو بمال وزنه في التدريس، ثم ولي الخانكاة.." (١)

"وأن يناصر المذهب السني، فقد استطاع توظيف العلوم الشرعية والعلوم العقلية من الفلسفة والمنطق والكلام في نسف جذور المذهب الباطني وقال فيهم كلمته التي طار بها الركبان وسارت مسير الأمثال : ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، فهم يتسترون بالتشيع وما هم من الشيعة من شيء وإنما هو قناع يخفون وراءه كيدهم لأهل الإسلام (١) ومما يذكر للغزالي : استمراره على نقد هذه الطائفة وكشف اللثام عن تناقض أفكارها وفضائح أعمالها وسوء نواياها، برغم ما كان معلوما في ذلك الوقت أن هذا النقد يكلفه حياته، وقد رأى بنفسه مصرع رجل الدولة الكبير الوزير نظام الملك وكان الشيعة الباطنية تهدد كل من يرونه خطرا عليهم من رجال الملك أو رجال العلم بالانتقام في صورة طعنة في **خنجر**، أو سم يدس في طعام أو

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٢٩٢

غير ذلك من الأساليب التي أتقنوها ونفذوها بكل دقة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شجاعة الغزالي في صدعه بالحق، ومواجهة الباطل، مهما تكن النتيجة ولن يصيبه إلا ما كتب الله له (٢) . وهذا درس وتذكير للعلماء المعاصرين أن يصدقوا الله في مقاومة الباطنين الجدد، وقد رأيت بعض المحسوبين على العلماء يخشونهم، ويخافون من القتل والاغتيال أو تهمة الطائفية، وبعضهم وقع تحت تأثير أبر التخدير الباطنية ومجاملات لا وزن لها في ميزان الشريعة أو حسابات دنيوية زائلة ولذلك تركوهم يعيثون بعقائد الأمة ومقدساتها وساعدهم بعض علماء الأمة في تخدير الجمهور العريض من أبناء المسلمين مع علم هؤلاء العلماء بخطر هؤلاء القوم على عقائد الأمة وأخلاقها، أما يخشى هؤلاء الناس من يقوم يتقلب فيه القلوب والأبصار ويسأل الله فيه الصادقين عن صدقهم.

ثانيا : الحملات النورية العسكرية على مصر :

---

(١) الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه ص ٦٠.

(٢) الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه ص ٦٢.." (١)

"وكانت القاعدة عندهم أنه إذا ظهر حاكم قوي في البلاد الإسلامية المجاورة، أسرع الفدائيون منهم إلى اغتياله ليأمنوا جانبه، وكان هدفهم الأول من وراء ذلك هو بث الرعب والفزع في نفوس الجميع ونشر الاضطرابات والفتن وإشاعة الفوضى في صفوف المعادين لمذهبهم، فراح ضحيتهم كبار الشخصيات في الدولة السلجوقية حتى جردوها من قوتها الفعالة وعقولها المدبرة، مما أدى بها إلى نهايتها المؤسفة، فلقد قتلوا أعظم وزراء السلاجقة على الإطلاق وأكبر عقلية مفكرة في دولتهم، ألا وهو الخواجة "نظام الملك"، وكان ذلك بأن تقدم إليه أحد الفدائيين من هذه الطائفة على هيئة رجل صوفي، وطعنه بخنجره طعنة نجلاء خر على أثرها صريعا سنة ٤٨٥هـ. ١٠٩٢م. فكان أول شخصية كبيرة فقدها العالم الإسلامي بسبب هذه الطائفة الدموية(١). وقد قام الولاة والحكام المسلمون بتسليط بعض أفراد هذه الطائفة ضد بعضهم بعضا، ومن أمثلة ذلك عندما قام الصراع بين الخلفاء العباسيين والسلاجقة، اتهم السلطان "مسعود" بأنه هو الذي أوعز إلى جماعة من الفدائيين بالتخلص من الخليفة "المسترشد" فقتلوه سنة ٥٢٩هـ. ١١٣٤م. ومثلوا به أشنع تمثيل، إذا أنهم قطعوا أنفه وأذنيه وتركوه عريانا(٢)، كذلك قتل ابنه "الراشد" بمدينة "أصفهان" سنة

---

(١) السيرة الزنكية، ٢/٣٢٩

٥٣٢هـ - ١١٣٧م - لأن محاربة الخلفاء العباسيين هدف يتفق مع مبادئهم، كما سبق أن قامت هذه الطائفة باغتيال "أغلمش" نائب الخوارزميين في العراق العجمي، بإيعاز من الخليفة "الناصر"، وقد قام صراع بين الإسماعيلية والدولة الخوارزمية سبب للطرفين خسائر فادحة(٣)،

---

(١) المصدر نفسه صـ٥٣.

(٢) العالم الإسلامي والغزو المغولي صـ٥٤.

(٣) المصدر نفسه صـ٥٤ نقلا عن سيرة جلال الدين منكبرتي صـ٥٥..." [١]

"وذات مرة دخلت امرأة تتارية بيتا متزينة بزي الرجال وقتلت جميع أفراد الأسرة، وعرف أحد المسجونين الذي كان معها أنها امرأة فقتلها، وقد حدث بعض الأحيان أن تتاريا أسر مسلما وقال له ضع رأسك على هذا الحجر حتى آتي **بالخنجر** فأذبحك، وخضع له المسلم ولم يسعه أن يبرح مكانه ذاك ثم أتى التتاري **بالخنجر** من المدينة وذبحه(١). كان غارة التتار فتنة عظيمة، ومحنة كبيرة، هزت العالم الإسلامي هزا عنيفا، وتركت المسلمين مبهوتين مشدوهين واستولى الرعب والخوف على العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وغلب على الناس اليأس والتشاؤم، فكانوا يعتبرون التتار بلاء سماويا ومقاومتهم مستحيلة، وانهزامهم فوق القياس، حتى ساد المثل ((إذا قيل لك التتار انهزموا فلا تصدق))، فكل بلاد أو دولة توجهوا إليها عرف أنها أبيدت وخربت، ولم يبق فيها شيء من مقدسات المسلمين إلا وانتهكت حرمتها، فكان اتجاه التتار إلى جهة يرادف معنى التدمير والإبادة والذلة، وانتهاك الأعراض، ولا شك أن العالم الإسلامي كله ولا سيما الجزء الشرقي منه وقع تحت هذه الفتنة العمياء على بكرة أبيه، إن المؤرخ يشغل بتسجيل كل لون من ألوان الأحداث والوقائع، وتمر به مناظر كثيرة لإبادة الأمم والبلدان حتى يتعود احتمال كل ذلك، فيجري قلمه بتسجيل هذه الحوادث من غير أن يرق له قلبه، وتدمع له عينه، ولكن المؤرخ الشهير ابن الأثير لم يتمكن من إخفاء شعوره الجريح وتألمه النفسي حينما وصل إلى ذكر حادث التتار(٢)

---

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ١/٥٠

(١) المصدر نفسه (١ ـ ٢٨٢)، نقلا عن الكامل في التاريخ.
(٢) المصدر نفسه..." (١)

"للبيت المسلم مثالا عز أن يتكرر، وقل أن يوجد نظيره، لقد ضربت أسماء رضي الله عنها بهذه المواقف لنساء وبنات المسلمين مثلا هن في أمس الحاجة إلى الاقتداء به والنسج على منواله (١).

٢ – صلة أسماء لأمها المشركة: عن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فاستفتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم، صلي أمك» (٢)، قال ابن حجر: وفي قولها: وهي راغبة أقوال، والذي عليه الجمهور من هذه الأقوال أنها قدمت طالبة من بر ابنتها لها، خائفة من ردها إياها خائبة. وفي هذا الحديث من الفوائد ما ذكره الخطابي: إن الرحم الكافرة توصل بالمال ونحوه كما توصل المسلمة (٣). وقد قال تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين –
إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون" [الممتحنة: ٨، ٩]. وهاتان الآيتان رخصة في الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين، وجواز برهم، وإن كانت الموالاة منقطعة (٤).

٣ – شجاعتها وجهادها في اليرموك مع زوجها: وأما شجاعتها وجراءتها وجهادها في سبيل الله، فأمر يفوق الخيال؛ فمن ذلك خروجها مع الجيش يوم اليرموك، فلقد شهدت اليرموك مع زوجها الزبير وابنها عبد الله (٥). ومن شجاعتها استعدادها التام لمواجهة اللصوص الذين كثروا في يوم من الأيام بالمدينة، عن فاطمة بنت المنذر أن أسماء بنت أبى بكر اتخذت خنجرا للصوص زمن سعيد بن العاص – أي في زمن إمارته المدينة – وكانوا قد كثروا في المدينة، فكانت تجعله تحت رأسها (٦).
٤ – علاقتها بالقرآن الكريم: كانت رضي الله عنها قد تربت على كتاب الله وهدى النبي – صلى الله عليه وسلم –، وإليك هذه الصورة المشرقة من حياتها مع القرآن الكريم؛ فذات يوم دخل عليها ابنها وهي تصلى

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ٢٢٩/١

فسمعها تقرأ هذه الآية: "فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم" [الطور: ٢٧]. فبكت واستعاذت ... فقام وهي تستعيذ. فلما

---

(١) الهجرة النبوية المباركة ص١٢٨.

(٢) البخاري رقم ٢٦٢٠.

(٣) فتح الباري (٥/ ٢٧٧).

(٤) شرح منظومة الآداب (١/ ٢٩٧)، بر الوالدين، أم حفص عبير بنت محمد ص ٣٦.

(٥) ، (٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٥٣)، أسماء بنت أبى بكر، للصباغ ص ٣٣.

(٦) طبقات ابن سعد (٨/ ٢٥٣)، أسماء بنت أبى بكر، للصباغ ص ٣٣.." (١)

"وحكي أن بعض الفقهاء ارتحل إلى الشيخ أبي العون يقصد الزيارة، فلما دخل على الشيخ أبي العون رأى ي جماعته الغث والسمين، والبر والفاجر، فقال في نفسه: لا ينبغي أن يكون أصحاب الشيخ كلهم إلا أخيارا، ولا يليق بصحبته مثل هؤلاء الأشرار، أو نحو هذا الكلام، فما استتم هذا الخاطر حتى قال له الشيخ أبو العون: يا أخي إن الشيخ عبد القادر الجيلاني - رضي الله تعالى عنه -كان في جماعته البر والفاجر، فأما الأبرار، فكانوا يزدادون به برا، وأما الأشرار، فكان الله يصلحهم بصحبته، فعرف الفقيه أن الشيخ كاشفه بخاطره، فاستغفر الله تعالى، واعتذر من الشيخ، ومن تصرفات الشيخ أبي العون في الوجود ما حكاه الشيخ موسى الكناوي رحمه الله تعالى، وهو أن امرأة من أهل حلب خرجت من الحمام في جماعة من النسوة، فاحتملها رجل من الجند من جماعة نائب حلب، وأراد أن يذهب بها إلى الفاحشة، وعجز الناس عن خلاصها، فـجاء رجل يقال له: قاسم بن زنزل بزائين مفتوحتين بينهما نون ساكنة، وكان من أهل الشجاعة والزعارة، فضرب الجندي ليستخلص منه المرأة، فقضى عليه، فمضى قاسم لوجهه هاربا، ثم لما أصبح عاد إلى المدينة، ودخل الحمام، فلما أحس به نائب حلب بعث في طلبه جماعة، فدخلوا عليه الحمام، فقال لقيم الحمام: أعطني سراويلي **وخنجري**، فخرج عليهم، فتفرقوا عنه، فهرب منهم، ووثب إلى بستان هناك، واستغاث بأبي العون الغزي، وكان قد رأى الشيخ أبا العون قبل ذلك واعتقده، فحماه الله تعالى منهم ببركة الشيخ أبي العون، فاستمر على وجهه على طريق الساحل حتى دخل جلجوليا فدخل على

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ٥٥٨/١

الشيخ أبي العون ودخل تحت ذيله، فدعا له الشيخ وكاشفه بما وقع، وقال له: كيف تقتل مملوك السلطان؟ فاعتذر بما فعله الجندي، فقال له: لك الأمان، ثم كتب الشيخ له كتابا إلى نائب دمشق قانصوه اليحياوي، وكتابا إلى نائب حلب، وقال له: اسق الماء واترك الزعارة، قال: نعم، ثم لما كتب له الكتاب إلى نائب حلب قال: يا سيدي أخاف أن لا يقبل ويقتلني، وكان في المجلس إذ ذاك الشيخ نعمة الصفدي فمد يده، وقال له: إن كلمك أقلع عينه بيدي، فأمسك أبو العون على يد الشيخ نعمة قبل أن يتم رفع يديه، وقال له: لو مكنته من رفع يده لقلع عينه، ثم ذهب قاسم إلى دمشق بكتاب الشيخ أبي العون إلى اليحياوي فأكرمه ودفع إليه نحو مائة درهم لكرامة الشيخ، ثم كتب إلى نانب حلب بإكرامه والعفو عنه لأجل الشيخ، فأكرمه نائب حلب وعفا عنه، واستمر قاسم يسقي الماء، ويلازم زي الفقراء حتى صار رجلا مذكورا، وستأتي ترجمته في الطبقة الثانية، وحج الشيخ أبو العون في سنة سبع وتسعين وثمانمائة، فدخل القدس الشريف من جلجوليا في يوم السبت سابع عشر شوال، وتوجه من القدس إلى زيارة الخليل عليه السلام قاصدا مكة المشرفة بعد الظهر يوم الاثنين تاسع عشر الشهر المذكور، فقضى مناسكه، وزار النبي صلى الله عليه وسلم، وعاد إلى محل وطنه ذكر ذلك صاحب الأنس الجليل فيه.

وممن أخذ عن الشيخ أبي العون شيخنا الشيخ حسن الصلتي مقرئ دمشق، ومن طريقه تحصل لنا طريقة الصحبة المتصلة بالشيخ أبي العون مع العلو الزائد – رضي الله تعالى عنهما – ولسيدي الشيخ أبي العون – رضي الله تعالى عنه – شعر قوي متين يشتمل على حماسة العارفين، فمنه ما قرأته بخط الشيخ أبي البقا البقاعي خطيب الأموي بدمشق أنه من كلام الشيخ أبي العون رضي الله تعالى عنه:

يا حاضرا في ضمير القلب ما غابا ... لولاك ما لذ لي عيش ولاطابا

آثار فعلك كانت أصل معرفتي ... ويجعل الله للتوفيق أسبابا

ومن كلامه أيضا رضي الله تعالى عنه:

حياكم الله وأحياكم ... ولا عدمنا قط رؤياكم

ولا حضرنا مجلسا بعدكم ... محسنا إلا ذكرناكم

وقال أيضا رضي الله تعالى عنه:

أقول وقد نوديت سيما، وقيل لي ... فإنك في حفظ، وإنك في حرز

أنا قادري الوقت صاحب عصره ... لوائي لواء الفتح والنصر والعز

فهذا زماني ليس فيه مشارك ... أزمة أعلام الطريقة في حوزي

مريدي إذا ما ضقت شرقا ومغربا ... فناد بأعلى الصوت غوثك يا غزي." (١)

"برأس الأب إلى ملك الروم السلطان سليم، وبرأس الابن إلى الغوري، وكتب إلى الأول رسالة مطلعها:برأس الأب إلى ملك الروم السلطان سليم، وبرأس الابن إلى الغوري، وكتب إلى الأول رسالة مطلعها:

نحن أناس قدغدا شأننا ... حب علي أبي طالب

يعيبنا الناس على حبه ... فلعنة الله على العائب

وكتب إلى الثاني رسالة مطلعها:

السيف والخنجر ريحاننا ... أف على النرجس والآس

وشربنا من دم أعدائنا ... وكأسنا جمجمة الرأس

فرد عليه الأول بهذين البيتين:

ما عيبكم هذا، ولكنه ... بغض الذي لقب بالصاحب

وكذبكم عنه وعن بنته ... فلعنة الله على الكاذب

ورد عليه الثاني بمقاطيع منها قول شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف:

السيف والخنجر قد قصرا ... عن عزمنا في شدة الباس

لو لم ينازع حلمنا بأسنا ... أفنيت سلطا سائر الناس

فكانت هذه القصة محركة للسلطان سليم خان – رحمه الله تعالى – إلى السفر إلى قتال شاه إسماعيل، وشجعته السنة عليه، وأنهضه حب الشيخين إليه، وأما الغوري فوقع رعبها في قلبه حتى قرب رجلا أعجميا بسبب ذلك، وكان الأعجمي ينسج المودة في الباطن بينه وبين شاه إسماعيل حتى أخرجه من مصر قاصدا للإصلاح بينه وبين السلطان سليم، فلما كان مبطنا مودته لأهل البدعة رد الله تعالى كيده في نحره، وسلط عليه ملك الروم، فتوجه إليه السلطان سليم خلفه قاصده، وخرج الغوري إليه من حلب في التاريخ المذكور، فوصل إلى مرج دابق ليلة الخميس ثاني عشري رجب سنة أثنتين وعشرين وتسعمائة، ونزل عند القبر المنسوب لنبي الله عواد عليه الصلاة والسلام، ومكث عنده ثلاثة أيام، ثم في ظهر يوم السبت رابع عشري رجب صاح عسكره في الوطاق، وصل عسكر الروم، فركبوا جميعهم إلى آخر الوطاق، فلم يجدوا أحدا، ثم

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ص/٤٥

عادوا إلى مخيمهم، فأمرهم الغوري بالرحيل صلتا، ويأخذون طعامين، وعليقة، فخرجوا من وطاقهم، وباتوا خارجين عنه إلى صباح يوم الأحد، ثم عادوا إلى وطاقهم، فمكثوا فيه إلى قريب الظهر، ثم جاءتهم العساكر الرومية، فركبوا على خيولهم، فوقع الحرب بينهم، فدفع عليهم العسكر الرومي بالعرادات ، ورموا بها عليهم، فأظلم الأفق، وصار له دوي، وجفلت الخيل فقاتلوهم ساعة، ثم هرب الغلمان وبعض العسكر، وقتل جماعة من أمراء الجراكسة، ثم غشي على الغوري، وكان بطينا سمينا، فطاح عن فرسه، ثم طاح عنها ثانيا، فأقعدوه وقالوا له: أثبت لنا فقال لهم: ما بقي شيء فرغت وأسكت من وقته، ثم زحف عليهم عسكر الروم، فتفرق عنه عسكره وتركوه ملقى على الأرض، فمات ولم يعلم به أحد، وصار عبرة لمن اعتبر، وصارت حاله كما قيل:

جاءته من قبل المنون إشارة ... فهوى صريعا لليدين وللفم

ورمى بمحكم درعه وبرمحه ... وامتد ملقى كالفنيق الأعظم

لايستجيب لصارخ إن يدعه ... أبدا ولا يرجى لخطب معظم

ثم ملك السلطان سليم بلاد حلب وما والاها من بلاد الشام، ودخل إلى دمشق كما تقدم في ترجمته، وإلى مصر، ثم عاد إلى تخت ملكه، وصارت البلاد لأولاد عثمان إلى الآن – وفقهم الله تعالى – والغوري آخر ملوك الجراكسة.

٥٩٤ – قايتباي سلطان مكة: قايتباي بن محمد بن بركات الشريف سلطان مكة. توفي في سنة ثماني عشرة وتسعمائة، وفيها توفي سلطان الروم أبو يزيد خان بن عثمان، وسلطان اليمن عامر بن محمد رحمهم الله تعالى.." (١)

"قاسم بن زلزل بن أبي بكر، القادري أحد أرباب الأحوال المشهورين بحلب، وقد اشتهر بابن زلزل – بلامين – كما ذكره ابن الحنبلي، وذكر الشيخ موسى الكناوي أنه كان يعرف بقاسم بن زنزل بالنون عوضا عن اللام الأولى قال ابن الحنبلي: كان في بدء أمره ذا شجاعة حمى بها أهل محلته المشارقة بحلب من اللصوص، وكان يعارضهم ليلا في الطرقات، ويقول لهم: ضعوا ما سرقتم، وفوزوا بأنفسكم أنا فلان، فلا يسعهم إلا وضعه، ثم كان مريدا للشيخ حسين بن أحمد الأطعاني كما كان أبوه مريدا لأبيه، ثم صار على يد الشيخ محمد الغزي الجلجولي مريدا لابن أرسلان الرملي، ثم المقدسي، وعلى يده حصلت له حال،

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ص/١٨٦

وهو الذي حمله على سقاية الماء، فكان يسقي في الطرقات، وهو يذكر الله تعالى، ويحصل له الحال الصادقة، فيرفع رجله، ويبطش بها على الأرض. قيل: وكان أحيانا يذكر الله تعالى بالزاوية الاطعانية، فيحصل له الحال، فيبادر إلى جرن حمام موضوع هناك لمصالحها فيضعه على رأسه كأنه تاج ويدور به دورة، ثم يضعه ويصلي كثيرا وراء إمام كان حسن الصوت، فيحصل له الحال بحيث يغيب بها في نفسه فيصيح وهو في الصلاة صيحة عظيمة، ثم يفيق فيعيد الصلاة، وكان يحضر سماعات الشيخ محمد الخراساني النجمي، وينشد فيها كلام القوم قال: ولما قدم حلب الوزير الأعظم إبراهيم باشا في سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة، رأى الشيخ على حالة اقتضت الفحص عنه، ثم إحضاره فأحضره إليه فإذا الذي رآه في المنام هو هو فجعل له علوفة في المملحة فأبي، فجعلها لأولاده قال: ومما حكي عنه بعد وفاته أنه خرج به قديما الحب الفارسي، فطلبوا مداواته فأبى فعافاه الله تعالى منه بدون مداواة، وحكي أنه أراد زيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني، فصرفه عنها الشيخ علي المصارع البيري الأردبيلي الطريقة، فلم يقبل منه فلما دخل إلى الرها كاشفه بها بعض الرجال، وصرفه عن الزيارة، فلم يقبل قال: فبينما أنا قاعد بالموضع الذي كان منجنيق نمرود إذا بامرأة أقبلت علي تسأل عن قاسم بن زلزل، فاعطتني رغيفين، وأخبرتني أنها رأت مناما يقتضي أني لا أسافر إلى بغداد. قال: فما وسعني إلا العود إلى الشيخ علي البيري وكنت لما فارقته لم أصل إلى الرها إلا وفي ساقي وفخذي وجع شديد، فلما عدت إليه لم يبق منه شيء بإذن الله تعالى، ذكر ذلك ابن الحنبلي في تاريخه وقرأت بخط الشيخ موسى الكناوي، أنه اتفق للشيخ أبي العون محمد الغزي الجلجولي كرامة مع قاسم بن زلزل، ولعلها هي السبب في إهتمام أبي العون بأمره، وإعتقاد قاسم فيه، وهي أنه وقع بمدينة حلب أن امرأة خرجت من الحمام فحملها رجل جاهل من الجند، فعجز الناس عن خلاصها منه فجاء قاسم بن زلزل فضربه، فقتله وانفلتت المرأة، وذهبت في سبيلها، ومضى لوجهه هاربا، فدخل الحمام فكبسه الجند وهو في الحمام، فقال للحمامي: إئتني بلباسي **وخنجري**، فخرج عليهم وتفرقوا عنه وطاح إلى بستان هناك واستغاث بأبي العون الغزي، وكان قاسم قد اجتمع بأبي العون قبل ذلك وشاهد بركاته، فحماه الله تعالى منهم ببركته، واستمر على وجهه على طريق الساحل إلى جلجوليا، فدخل على الشيخ فكاشفه الشيخ بما وقع وقال له: كيف تقتل مملوك السلطان، فاعتذر بما فعله الجندي ودخل تحت ذيل الشيخ فقال له: الشيخ: لك الأمان وكتب له كتابا إلى نائب دمشق قانصوه اليحياوي، وكتابا إلى نائب حلب. وقال له الشيخ: إسق الماء واترك الزعارة، فأكرمه قانصوه اليحياوي وأعطاه ألف درهم إكراما للشيخ أبي

العون، وكتب به كتابا إلى نائب حلب يأمره فيه بإكرامه، وعدم التعرض له مما يؤذيه لأجل خاطر الشيخ أبي العون، وحذره من تكدير خاطر الشيخ عليه، فقدم قاسم على نائب حلب فأكرمه، وعفا عنه ببركة الشيخ واستمر قاسم في يومئذ يسقي الماء بيده في شربتين، ولزم طور الفقراء، وترك ما كان عليه من أطوار الشطار والزعار. قال ابن الحنبلي: توفي الشيخ قاسم في أواخر سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة.

قاسم بن عبد الكريم الفاسي." (١)

" إن أبا لؤلؤة قد كان بالأمس هو والهرمزان وجفينة رجل من أهل الحيرة وكان نصرانيا وكان يكون على خيل سعد بن أبي وقاص فوثب عبيد الله على الهرمزان فقتله وقتل جفينة فبلغ ذلك عمر فطلبه فهرب فلم يزل هاربا حتى مات عمر

قال ابن إسحاق عن صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال كان الذي شبه عليهم في جفينة والهرمزان أن عبد الله بن أبي بكر قال أني قد مررت بهم أمس وجفينة والهرمزان وأبو لؤلؤة جلوس يتناجون فمرت بهم دابة ففرقت منهم فبرز منهم سهم **خنجر** له رأسان فإن كان الذي أصيب به عمر هذه الصفة فلا أرى القوم إلا قد كانوا فيه جميعا فنظر إلى **الخنجر** فإذا هو كما وصف فمن ثم استحل عبيد الله من القوم ما استحل

وحدثني يحيي بن عبد العزيز قال حدثنا بقي بن مخلد عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال أصيب عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة

وحدثني محمد بن عمر بن عبد الرحيم البرقي قال حدثنا ابن بكير عن الليث قال قتل عمر (٤)

". (٢)

"

حدثني عيسى بن مسكين وغيره عن سحنون عن ابن وهب قال وأخبرني يحيي ابن أيوب عن زيد بن أبي حبيب عن عروة بن أبي قيس قال رصد عثمان بن عفان رجل **بخنجر** فلما جاء عثمان ليدخل تلقاه

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ص/٣٣٩

(٢) المحن، ص/٧٠

الرجل **بالخنجر** ليضربه ثم انه دهش فقال عثمان خذوا الرجل ولا يقتل فأخذ ثم قال ما ترون فيه قالوا أقتله يا أمير المؤمنين قال أنقتله قالوا نعم قال ولم قالوا إنه أراد قتلك قال وأراد قتلي ولم يرد الله فتركه ولم يقتله

قال ابن وهب وأخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود بذلك وقال الرجل ابن ضابئ التميمي

قال ابو العرب فقتل الحجاج بن يوسف ابن ضابئ بعد ذلك

قال أبو العرب ومعبد بن العباس بن عبد المطلب خرج غازيا في خلافة عثمان رحمه الله إلى إفريقية مع معاوية بن حديج أو ابن أبي سرح فاستشهد معبد بها رحمه الله

".(١)

"ومن أعيادهم عيد الحنكة، وسعناه التنظيف، وهو ثمانية أيام، أولها الخامس والعشرون من كسليو، يسرجون في الليلة الأولى سراجا، وفي الثانية اثنين، وكذلك حتى يسرجوا في الثامنة ثمانية سرج، وذلك تذكار أصغر ثمانية أخوة، قتل بعض ملوك اليونان، فإنه كان قد تغلب عليهم ملك من اليونان ببيت المقدس، وكان يفترع البنات قبل الإهداء إلى أزواجهن، وكان له سرداب قد أخرج منه حبلين عليهما جلجلان، فإن احتاج إلى امرأة حرك الأيمن فتدخل عليه، فإذا فرغ منها حرك الأيسر فيخلى سبيلها، وكان في بني إسرائيل رجل له ثمانية بنين وبنت واحدة، فتزوجها إسرائيلي وطلبها، فقال له أبوها: إن أهديتها إليك افترعها هذا الملعون، ووبخ بنيه بذلك، فأنفوا من ذلك، ووثب الصغير منهم فلبس ثياب النساء، وخبأ **خنجرا** تحت قماشه، وأتى باب الملك على أنه أخته، فلما حرك الجرس أدخل عليه فحين خلا به قتله وأخذ رأسه، وحرك الحبل الأيسر وخرج خلي سبيله، فلما ظهر قتل الملك، فرح بذلك بنو إسرائيل واتخذوه عيدا في ثمانية أيام تذكارا للأخوة الثمانية.

ومن أعيادهم المظال وهي سبعة أيام، أولها خامس عشر تشرين الأول، يستظلون فيها بالخلاف والقصب وغير ذلك، وهو فريضة على المقيم دون المسافر، وأمروا بذلك تذكارا لأظلال الله تعالى إياهم بالغمام في التيه، وآخر المظال وهو حادي عشرين تشرين، يسمى عرابا وتفسيره شجر الخلاف وغدعرابا، وهو اليوم الثاني والعشرون من تشرين يسمى التبريك وتبطل فيه الأعمال، ويزعمون أن التوراة فيه استتم نزولها، ولذلك يتبركون فيه بالتوراة، وليس في صياماتهم فرض غير صوم الكبور، هو عاشر يوم من تشرين اليهود، وابتداء

---

(١) المحن، ص/٩٤

الصوم من اليوم التاسع قبل غروب الشمس بنصف ساعة، إلى بعد غروبها من اليوم العاشر بنصف ساعة، تمام خمس وعشرين ساعة، وكذلك غيره من صياماتهم النوافل والسنن.

أمة النصارى

وهم أمة المسيح

عليه السلام

من كتاب الملل والنحل للشهرستاني قال: وللنصارى في تجسد الكلمة مذاهب. فمنهم من قال: أشرقت على الجسد إشراق النور على الجسم المشف، ومنهم من قال: انطبعت فيه انطباع النقش في الشمعة، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن بالماء.

واتفقت النصارى على أن المسيح قتلته اليهود وصلبوه، ويقولون أن المسيح بعد أن قتل وصلب ومات، عاش فرأى شخصه شمعون الصفا، وكلمه وأوصى إليه، ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء. قال: وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، وكبارهم ثلاث فرق، الملكانية والنسطورية، واليعقوبية.

أما الملكانية فهم أصحاب ملكا الذي ظهر ببلاد الروم، واستولى عليها، فصار غالب الروم ملكانية، وهم يصرحون بالتثليث وعنهم أخبر الله تعالى بقوله: " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة " " المائدة: ٧٣ " وصرحت الملكانية أن المسيح ناسوت كلي، وهو قديم أزلي من قديم أزلي، وقد ولدت مريم إلها أزليا، والقتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معا، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله تعالى وعلى المسيح حقيقة، وذلك لما وجدوا في الإنجيل: إنك أنت الابن الوحيد، ولما رووا عن المسيح أنه قال حين كان يصلب: أذهب إلى أبي وأبيكم.

وحرموا أريوس لما قال: القديم هو الله تعالى والمسيح مخلوق، واجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة بالقسطنطينية، بمحضر من قسطنطين ملكهم، وكانوا ثلاثمائة ثلاثة عشر رجلا، واتفقوا على هذه الكلمة اعتقادا ودعوة وذلك قولهم: نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى، وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، الذي بيده اتفقت العوالم، وكل شيء الذي من أجلنا وأجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وولد من مريم البتول، وصلب ودفن ثم قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين

أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية، وبقيام أبداننا، وبالجياة الدائمة أبد الآبدين.." (١)

"ومنهم الجنوية، منسوبون إلى جنوة، وهي مدينة عظيمة، وبلاد كثيرة، وهي غربي القسطنطينية على بحر الروم. ومنها البنادقة، وهم أيضا طائفة مشهورة، ومدينتهم تسمى البندقية، وهي على خليج يخرج من بحر الروم، يمتد نحو سبعمائة ميل في جهة الشمال والغرب، وهي قريبة من جنوة في البر، وبينهما نحو ثمانية أيام، وأما في البحر فبينهما أمد بعيد أكثر من شهرين، لأنهم يخرجون من شعبة البحر التي على طرفها البندقية، وقدرها سبعمائة ميل إلى بحر الروم مشرقا، ثم يسيرون فيه مغربا إلى جنوة، وأما رومية فهي مدينة عظيمة، تقع غربي جنوة والبندقية، وهي مقر خليفتهم، واسمه البابا، وهي شمالي الأندلس بميلة إلى الشرق. ومن أمم النصارى، الجلالقة وهم أشد من الفرنج، وهم أمة يغلب عليهم الجهل والجفاء، ومن زيهم أنهم لا يغسلون ثيابهم، بل يتركونها عليهم إلى أن تبلى، ويدخل أحدهم دار الآخر بدون استئذان، وهم كالبهائم، ولهم بلاد كثيرة في شمالي الأندلس، ومنها الباشقرد، وهم أمة كثيرة ما بين بلاد الألمان وبلاد إفرنجة، وملكهم وغالبهم نصارى، وفيه أيضا مسلمون، وهم شرسو الأخلاق.

أمم الهند

وهم فرق كثيرة، قال الشهرستاني: ومن فرقهم الباسوية زعموا أن لهم رسولا ملكا روحانيا، نزل بصورة البشر، فأمرهم بتعظيم النار والتقرب إليها بالطيب والذبائح، ونهاهم عن القتل والذبح لغير النار، وسن لهم أن يتوشحوا بخيط، يعقدونه من مناكبهم الأيامن إلى تحت شمائلهم، وأباح لهم الزناء، وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها، ويتضرعون في التوبة إلى التمسيح بها.

قال ومنهم اليهودية ومن مذهبهم أن لا يعافوا شيئا، لأن الأشياء جميعها صنع الخالق، ويتقلدون بعظام الناس، ويمسحون رؤوسهم وأجسادهم بالرماد، ويحرمون الذبائح والنكاح، وجمع الأموال، ومنهم عبدة الشمس وعبدة القمر، ومنهم عبدة الأصنام، وهم معظمهم. ولهم أصنام عدة، كل صنم لطائفة، ويكون لذلك الصنم شكل غير شكل الصنم الآخر، مثل أن يكون أحدها بأيد كثيرة، أو على شكل امرأة ومعه حيات، ونحو ذلك.

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٥٧/١

ومنهم عباد الماء ويقال لهم الجلهكينية، ويزعمون أن الماء ملك، وهو أصل كل شيء، وإذا أراد الرجل عبادة الماء تجرد وستر عورته، ثم دخل الماء حتى يصل إلى وسطه، فيقيم فيه ساعتين أو أكثر، ويأخذ مهما أمكنه من الرياحين فيقطعها صغارا ويلقيها في الماء وهو يسبح، ويقرأ، وإذا أراد الانصراف، حرك الماء بيده ثم أخذ منه، فنقط على رأسه ووجهه، ثم يسجد وينصرف.

ومنهم عباد النار ويقال لهم الإكنواطرية، وصورة عبادتهم لها أن يحفروا في الأرض أخدودا مربعا ويؤججوا النار فيه، ثم لا يدعون طعاما لذيذا ولا شرابا لطيفا ولا ثوبا فاخرا ولا عطرا فائحا ولا جوهرا نفيسا إلا طرحوه في تلك النار، تقربا إليها. وحرموا إلقاء النفوس فيها، خلافا لطائفة أخرى.

ومنهم البراهمة أصحاب الفكرة وهم أهل العلم بالفلك والنجوم، ولهم طريقة في أحكام النجوم تخالف طريقة منجمي الروم، والججم، وذلك أن أكثر أحكامهم باتصالات الثوابت، دون السيارات، وإنما سموا أصحاب الفكرة لأنهم يعظمون أمر الفكرة، ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول، ويجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الفكر عن المحسوسات، فإذا تجرد الفكر عن هذا العالم، تجلى له ذلك العالم، فربما يخبر عن المغيبات، وربما يوقع الوهم على حي فيقتله، وإنما يصرفون الفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة المجهدة، وبتغميض أعينهم أياما، والبراهمة لا يقولون بالنبوات وينفونها بالكلية، ولهم على ذلك شبه مذكورة في الملل والنحل لا تليق بهذا المختصر. ومن كتاب ابن سعيد المغربي ونقله عن المسعودي: أن الهنود لا يرون إرسال الريح من بطونهم قبيحا، والسعال عندهم أقبح من الضراط، والجشاء أقبح من الفساء، ومما نقله عن المسعودي أيضا: إن الهنود يحرقون أنفسهم، وإذا أراد الرجل منهم ذلك أتى إلى باب الملك واستأذنه في إحراق نفسه، فإذا أذن له ألبس ذلك الرجل أنواع الحرير المنقوش، وجعل على رأسه إكليلا من الريحان، وضربت الطبول والصنوج بين يديه، وقد أججت له النيران، ويدور كذلك في الأسواق وحوله أهله وأقاربه، حتى إذا دنا من النار أخذ خنجرا بيده وشق به جوفه، ثم يهوي بنفسه في النار.." (١)

"ثم توجه إلى الإسكندرية ففتحها عنوة بعد قتال كثير، وفيها أعني سنة عشرين توفي بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مولى أبي بكر الصديق، واسم أمه حمامة، وهو من مولدي الحبشة، أسلم بعد إسلام أبي بكر الصديق، ولم يؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلب من أبي بكر أن يرسله إلى الجهاد، فسأله أبو بكر أن يقيم معه فأقام معه حتى تولى عمر، فسأله عمر ذلك، فأبى

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٦٠/١

بلال وسار إلى دمشق وأقام بها حتى مات ودفن عند الباب الصغير.
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين فيها كانت وقعة نهاوند مع الأعاجم وكان قد اجتمعوا في مائة وخمسين ألفا ومقدمهم الفيرزان، فجرى بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة آخرها أن المسلمين هزموا الأعاجم وأفنوهم قتلا، وهرب الفيرزان مقدم جيش الأعاجم، فلما وصل إلى ثنية همذان، وجد بغالا محملة عسلا، فلم يقدر على المضي، فنزل عن فرسه وهرب في الجبل، فتبعه القعقاع راجلا وقتله فقال المسلمون إن لله جندا من عسل.
وفي هذه السنة فتحت الدينور والصيميرة وهمذان وأصفهان. وفي هذه السنة توفي خالد بن الوليد، واختلف في موضع قبره، فقيل بحمص، وقيل بالمدينة.
ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين فيها فتحت أذربيجان والري وجرجان فزوين وزنجان وطبرستان.
وفيها سار عمرو بن العاص إلى برقة، فصالحه أهلها على الجزية، ثم سار إلى طرابلس الغرب، فحاصرها وفتحها عنوة.
وفي هذه السنة غزا الأحنف بن قيس خراسان، وحارب يزد جرد وافتتح هراة عنوة، ثم سار إلى مرو روز، وكتب يزد جرد إلى ملك الترك يستمده، وإلى ملك الصغد وإلى ملك الصين يستمدهما، وانهزم يزد جرد إلى بلخ ثم سار إليه المسلمون فهزموه، وعبر يزد جرد نهر جيحون، ثم إن يزد جرد اختلف هو وعسكره، فإنه أشار بالمقام مع الترك، وأشار عسكره بمصالحة المسلمين والدخول في حكمهم، فأبى يزد جرد ذلك، فطرده عسكره، وأخذوا خزانته، وسار يزد جرد مع الترك في حاشيته، وأقام بفرغانة زمن عمر كله، وبقي عسكره في أماكنهم وصالحوا المسلمين.
وفيها توفي أبي بن كعب بن قيس، وهو من ولد مالك بن النجار، وكان يكنى أبا المنذر، أحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أمر الله تعالى رسوله عليه السلام أن يقرأ القرآن على أبي بن كعب المذكور، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرأ أمتي أبي بعدي، وقيل مات في سنة ثلاثين في خلافة عثمان، ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين.
مقتل عمر
رضي الله عنه
وفي هذه السنة طعن أبو لؤلؤة واسمه فيروز عبد المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب وهو في الصلاة، **بخنجر**

في خاصرته، وتحت سرته، وذلك لست بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة، وتوفي يوم السبت سلخ ذي الحجة، ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، ودفن عند النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وعهد بالخلافة إلى النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد رضي الله عنهم، بعد أن عرضها على عبد الرحمن بن عوف فأبى.

وكان عمر رضي الله عنه طويل القامة أبيض أصلع أشيب، وكان عمره خمسا وخمسين سنة، وقيل ستين، وقيل ثلاثا وستين، وكان له من الفضل والزهد والعدل والشفقة على المسلمين القدر الوافر، فمن ذلك أنه جاء إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي في بيته ليلا؛ فقال عبد الرحمن: ما جاء بك يا أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ فقال: إن رفقة نزلوا في ناحية السوق، خشيت عليهم سراق المدينة، فانطلق لنحرسهم، فأتيا السوق، وقعدا على نشز من الأرض يتحدثان ويحرسانهم.

وعمر أول من سمي بأمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ، وأرخ من السنة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من عس بالليل، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس في صلاة الجنازة على أربع تكبيرات، وكانوا قبل ذلك يكبرون أربعا وخمسا وستا، وأول من جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح في رمضان، وكتب بذلك إلى سائر البلدان وأمرهم به، وأول من حمل الدرة وضرب بها، ودون الدواوين.." (١)

"٢٧٢ و من مذاهبهم أن ما ينالهم «٤» من النعيم في المستقبل مؤجلا هو بقدر ما تعذب «٥» به أنفسهم في هذه الدار معجلا. قال: و لقد رأيت منهم رجلا

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ١٩٥

ببلاد صيمور و بها من المسلمين نحو من عشرة آلاف و ذلك سنة أربع و ثلاثين و ثلاثمائة، و هو يطوف في أسواقهم و معه جماعة من أهله و قد ظهرت له الناس و قد وضع على رأسه الجمر و الكبريت، فيسير و هامته تحترق و روائح دماغه تتضوع. فلما دنا من النار أخذ **خنجرا** «١» فوضعه على فؤاده فشقه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة و هو يتكلم فقطعها **بالخنجر** و دفعها إلى بعض إخوانه تهاونا بالموت و لذة بالنقلة، ثم هوى بنفسه في النار.

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ١١٣/١

زعموا أن جزيرة الصنف بينها و بين قمار التي يجلب منها العود القماري مسيرة شهر و بين قمار «٢» و نيومة- و هي الجزيرة التي يكون بها العود الهندي- خمسة أيام. و ذكروا أن شجرة العود الطيب تكون بقدر شجر الرمان إلا أن ورقها مثل ورق الريحان، فما كان منها بين الحجارة فهو العود الطيب يكون رطبا و سائره يكون أجناسا عشرة كل جنس لا يشبه الآخر، فمنه ما يكون ورقه مثل ورق الكمثرى و الخوخ و ذلك في جبل الصنف و تساير في جبل الصنف هذا إذا جئت في البحر بالريح الطيبة نحو خمسة عشر يوما، و أكثر شجرها عود و منه عامة ما يخرج إلى البلاد. و اللك فيه كثير أيضا. و من حيوان هذا الجبل الفيل و الكركدن «٣».." (١)

"و كان جميلا، و كان أبرهة قصيرا ذميما منكر الفؤاد، فاستحيى أرياط من الملوك أن يجبن، فبرز بين الصفين و مشى كل واحد منهما إلى صاحبه، فحمل أرياط على أبرهة فضربه ضربة وقع منها حاجبه و عامة أنفه، فعمد أبرهة إلى عمامته فشد بها وجهه و سكن الدم، و أخذ عودا و جعله في فيه و قال: أيها الملك أنا شاة فاصنع ما بدا لك فقد أبصرت أمري. ففرح أرياط، فلما رأى أبرهة أرياط قد انكسر عنه و هو ينظر يمينا و شمالا لأن تراه ملوك الحبشة شد عليه. و كان أبرهة قد أبطن فخذه **خنجرا** كأنه [خافية نسر] «١»، فطعنه طعنة من فرج الدرع أثبته فخر على قفاه، و قعد أبرهة على صدره فأجهز عليه. فسمي أبرهة الأشرم من ذلك اليوم من تلك الضربة التي ضربت وجهه.

٥٨٤ و ملك اليمن أبرهة، فلما بلغ ذلك النجاشي حلف بالمسيح أن يجز ناصيته و يريق دمه و يطأ تربته، يعني أرض اليمن. فبلغ ذلك أبرهة فجز ناصيته و جعلها في حق و جعل من دمه في قارورة و جعل من تراب اليمن في جراب «٢» و ضم ذلك في هدايا كثيرة و ألطاف جمة، و كتب إليه يعترف بالعبودية و رغب إليه أن يبر قسمه بما بعث إليه، فيجز ناصيته بيده و يريق دمه و يطأ تربته، فصفح عنه النجاشي. و كان ذلك في زمان قباذ ملك الفرس.

٥٨٥ و سار أبرهة إلى مكة لخراب الكعبة لأربعين سنة خلت من ملك أنو شروان و بعث معه ثقيف بأبي رغال ليدله على أسهل الطريق، فقتل أبو رغال في

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٣٤٩

طريقه ذلك في موضع يقال له المغمس بين الطائف و مكة، فلم يزل قبره يرجم إلى يوم القيامة. قال جرير

---

(١) المسالك والممالك ـ البكري، ١/١٦٢

[وافر]:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

٥٨٦ و قد قيل في أبي رغال إن ثقيفا قتلته شنيعة، و لذلك سمي قسيا «١»، و ذلك أن صالحا النبي صلعم بعثه مصدقا، فأساء السيرة و حنف، و لذلك يقول [أمية بن أبي الصلت الثقفي] «٢» [وافر]:

نفوا عن أرضهم عدنان طرا و كانوا للقبائل قاهرينا." (١)

"وماء مكارم الأخلاق منه ... يكاد يرد صاعدة الزفير

وأغراس الأماني في يديه ... تهز معاطف الروح النضير ويدل ما تبقى من رسائله على أ،ه تعرف في حضرة غليالم إلى القائد غارات ابن جوشن " خاصة المملكة الغليلمية بصقلية " وفي كتاب له كتبه إليه شكر على ما لقيه في جنابه من حفاوة وإكرام " فقد فارق جنابها (الحضرة) الكريم ممتلىء اليد نعمة، والفم نغمة والخاطر آمالا، والناظر أموالا، اصطناعا منها، وتفضلا أبى الله أن يصدر إلا عنها " (١) .

وكات كذلك السديد الحصري وهو اسم يذكرنا بمنافس ابن الحجر الذي يسميه هوجر فلقندو Sedictus وفي كتابه إليه دعابة تدور حول شهر رمضان، وأنه شهر عظيم البركة، ثقيل الحركة، ودعاء لعله أن يمضي سريعا، ويقضي **بخنجر** الفطر صريعا (٢) . ولكنه كان أكثر أنسا بشخص ثالث اسمه ابن فاتح وهو شيخ فقيه أديب بصقلية، يطلب إليه في رسالة عونا على السفر " فإن رأت (الحضرة) أن تيسر له أسباب سفره، وتفتح له أبواب ظفره، قبل خروج ركابها العالي، فلسان شكره ينقلب دعاء، ويكون له سمع الإجابة وعاء " (٣) .

فهذه الرسائل قد عرفتنا بثلاثة من المسلمين في بلرم ولعلهم كانوا جميعا من رجال الدولة ومن الزعماء في بني قومهم.

ولكن ابن قلاقس في صقلية اختص بمدائحه أبا القاسم بن الحجر، ابن حمود زعيم المسلمين حينئذ في الجزيرة والذي نعرفه من التاريخ أن أبا القاسم

---

(١) ترسل ابن قلاقس: ٣٤ من نسخة خطية رقم ٦١٧ أدب بالتيمورية.

---

(١) المسالك والممالك ـ البكري، ١/٢٩٢

(٢) المصدر نفسه: ٤٧ – ٤٨.

(٣) لمصدر نفسه: ٤٣.." (١)

"فانكر الحج راجعا، وصعد هو وجماعته إلى أعلى مكان، وعمل المتاريس وجعل الحج في جهة العدو في أسفل التل، وطالع القنبرات، وتهيأ للقتال، ثم مسك كبار الحج عنده، ورتب المدافع والقنبرات واستعد لقتال العسكر الراكب عليه، ولما كانت الناس يوم الجمعة آخر محرم السابق ذكره، ورد بكرة النهار من العساكر ما لا يحصيه إلا الله من ناحية برج الروس، حتى أخبرني من أثق به أنه قال: لي من العمر نحو الثمانين ما رأيت أكثر من هذا العسكر، حتى رحلت أهل القرى منهم.

ثم نزلوا دمشق وملوا المرجة واللوان وتلك النواحي، ورحلوا في الليل تلك الليلة، متوجهين إلى الباشا نواحي قبة الحاج. وقيل إن وراءهم باشات كثيرة.

تحركه نحو القدم

وكان يقدم دخول العسكر المرقوم، يوسف باشا طبل، وشركس محمد الموجه له دمشق في التاريخ عن ناصيف، مترسما، ثم رحل العسكر المذكور يوم السبت نزلوا عند القدم. وخيموا هناك، وكان بلغهم يوم الدخول مسكه الحج، فرجعوا في ثاني يوم لملاقات الحج وقتل الباشا، لكن يقدموا رجلا ويؤخروا أخرى، خوفا على الحج الشريف، لأنه يخشى الرمي من طرف الباشا والباشاوات الأخر، ومكثوا في القدم يوم الأحد لأن الحج يكون في الوسط.

سيرة ناصيف باشا:

وكان ناصيف مستعدا بمدافع نحو العشرين، وأيام الحج يصحبها معه على الجمال، واصطنعها غريبة الشكل، طويلة رفيعة، ومعه من القنبرات شيء كثير واستعداد تام، وكان شجاعا لا يعد الرجال، يهجم على الألف وحده، ويغير زيه، ويأمر العسكر بالتأخر عنه حال كونه في الأربعين، وكان بارعا في تدبير القتال وحيل الحرب. فأول ما بدأ به بالشام يوم دخوله أنه دخل مدرعا مغرقا بآلة الحرب، وكان لبس الدرع من حرستا ولبس البيضة على رأسه، والبيضة عليها كرخور أحمر لا يظهر وجهه لأحد من كثرة توشحه بالدراوي، وتقدم. ولفرسه، بركسات. خوفا من وهدة فيقع فيتمكن منه العدو.

وكان بلغه عن دمشق، بأن بها زربا للتركمان الحقلجية. ثم مكث أربعة أشهر لا يحرك ساكنا، لما أن دولة

(١) العرب في صقلية، ص/٢٨٩

الشام والتركمان، لما لاقوا له جمعوا عسكرا كثيفا فوقع في الوهم، فرأى أن معاداتهم لا تخلص له، ولا خلاص إلا بالحيلة.

حكايته مع كليب

وكان لهم قوة باذخة، وكانوا أرسلوا لكليب بالجيء، فجاء ونزل دار قاسم آغا لصيق باب الله، عند الزيتون، وشكوا له أمر الباشا وأنهم خايفون من غدره، فقال لهم: أضع رمحي في سراياه، ومكث عند قاسم آغا باش زربا وكبيرهم، ثلاثة أيام، ولكن خفية، وربطوا معه على الباشا، وبلغ كل ذلك للباشا، فصبر عليهم إلى أن حج ورجع، فلما وصل لمرحلة المزيريب جاء كليب إلى عنده ليسلم، وذلك بالخيمة التي نصبت بعيدا عن الحج لأجل اجتماع الباشا بشيخ البلاد الحورانية، لأن شيخ البلاد لا يركن أن يدخل خيام الدولة خوفا من الغدر به.

وكان محمد بن كليب مع الباشا في الحج فكان يكرمه غاية الإكرام، وأعطاه من الذهب شيء كثير قدمه لأبيه، فاطمأن في ذلك ولم يعلم بما مكتوب عليه في تقدير الله. فلما صافحه للسلام عليه، وكان العرب واقفين بعيدين عنه وعن الخيمة؛ بمقدار بعيد، نحو رمية سهم، فضربه **بخنجر** كان معه أرماه، ثم احتز رأسه الجوخدار، ثم ضرب بارودة يعلم بالأمر العسكر، وأن كليب قتل، فهرعوا إلى عند الباشا، فهربت العرب هربا فاحشا وأبقوا بيوتهم ونجعهم، لا يلوون على شيء.

هروب التركمان الأشقياء

ثم إن الباشا حل من فوره خوفا من أن يشتغل العسكر بالنهب فينهب الحج ويؤخذ. ثم لما وصل ثاني يوم أرسل للزربا عسكرا، فقام ابن الدرزي قاسم وخرج من داره على حصان ولم يبال بأحد، ثم تتابع الزربا خلفه ولم يخافوا من العسكر الوارد، وخلصوا وتركوا بيوتهم، فلما فاتوا أخذوا في النهب، وكان مع عسكر الباشا من الزربا، عمر شيخ الأتمزلي، وكان من أعيانهم، لكنه خرج عنهم ورتب ما وقع، وقال له أنا أكفيك أمرهم، وهرب ابن المهيني وكان عمل قصرا عاليا، عالي جدا، فأمر الباشا بهدمه وهدم داره وضبط موجوده وهدم أكثر بيوت الزربا، ثم حبس كبار الحقلجية وخرجوا على مال، ولم يعلم عنهم شيء وتركهم.

وقعاته مع أهل البلقاء الدروز

ثم بعد مدة تراجعوا وأرسل طيب خاطرهم فدخلوا للسرايا وألبسهم وأحسن إليهم وتركهم من خاطره.." (١)

---

(١) يوميات شامية، ص/٥٤

"ذو القعدة، أوله الأربعاء أو الثلاثاء. يوم الأحد ثاني عشر الشهر كنا في سهرة عند أخينا وتابعنا السيد أحمد المستوي، وكانت مشتملة على ذكر الأولياء والصالحين، خالية من اللهو الهرج والمرج ولله الحمد، وتكلف كلفة باذخة جزاه الله خيرا. وكنا نحو سبعة أنفار، حتى خالية من الغناء والسماع والدخول ولعب المنقلة والشطرنج، كما هي عادة أهالي دمشق، ونسأله الحماية والمزيد من فضله، آمين.

زوج المؤلف

يوم الاثنين رابع عشر ذي القعدة، توفيت حرمتنا فاطمة بنت عبد الله، من أهالي الصالحية، كانت صالحة سليمة الصدر، تتحمل الأذى وتقنع بالميسور، ولا تعرف الصياح ولا تراددٍ في الجواب، وتكثر الصوم، ولها رقة في الكلام ومودة وتؤدة ودماثة الأخلاق، وصلي عليها بعد الظهر بيسير بالسليمية، ودفنت بالروضة الفسيحة بالصالحية، رحمها الله تعالى آمين.

خسوف القمر

وفي الخامس عشر، ليلة الأربعاء، كسف القمر، وكان آخر الليل، وصلى الناس جماعة بالخاتونية بالصالحية.

الشيخ مصطفى الخلوتي

وفي يوم الخميس، صلي على الشيخ مصطفى بن عمر الخلوتي، وكان صالحا وعليه اعتقاد، ودفن بالسفح غربي الجوعية بالصالحية، بعدما صلي عليه بجامع الأموي. وقيل صعدوا به عند الفجر، ولم يعلم به أحد، ولعله أوصى بذلك. وكان في بدايته أخذ طريق السادة الخلوتية عن شيخه عيسى بن كنان الخلوتي الصالحي، عفي عنه، آمين.

السيد أحمد نهجي زاده

وفيه توفي السيد أحمد نهجي زاده الخلوتي الرومي الأصل، وهو شيخ تكية أحمد شمسي باشا، شرقي القزمازية.

الشيخ محمد أبو المواهب

يوم الأربعاء، آخر القعدة، توفي الفقيه الشيخ محمد بن أبي المواهب مفتي الحنابلة بدمشق آنا ومدرس السياغوشية، ودفن بتربة الفراديس الشرقية عند أهله.

الحجة، أوله الخميس. فيه سافر باشة الجردة، كافل محروسة ترابلس، ثم كان محصل حلب في الأصل، ثم صار يتولى الباشويات.

رجل يقتل ولده

وفيه قتل رجل ولده بخنجر فجاء في خاصرته فمات في الحال، وكان أرسله في حاجة فأطال، والغضب من الشيطان، والتؤدة من الرحمن. وورد خبر: ما أعطي العبد خيرا من التؤدة والرحمة. قال عليه السلام: بعثت بمكارم الأخلاق.

يوم العيد، العاشر، يوم السبت، وعيد الناس، والوقفة كانت الجمعة بالثبوت لدى القاضي.

قتل المشد والشوباصي

وفي هذا الشهر، بلغ خبر، وذلك يوم الاثنين خامس الشهر، قتل المشد والشوباصي على البقاع، قتله الدروز أهل تلك البلاد لشدة ظلمه وعتوه وسفهه، وقطعوه حين نزل دير بالا، دخلوا عليه بالسيوف وقتلوا من جماعته بعض أناس، وكان ظلم ظلما كثيرا في تلك البلاد، ولا يفلت أحد من شره، والبغي مصرع مبتغيه وخيم، فقد ورد: اثنان يعجل الله عقوبتهما في الدنيا قبل الآخرة: البغي وعقوق الوالدين كذا أورد هذا الحديث الأردبيلي في تفسيره.

قصر منجك

يوم السبت، ثالث عشرين ذي الحجة كنا بقصر ابن منجك المطل على المرجة في الشرق القبلي، وكان جدده عبد الله باشا كافل دمشق سنة أربع وأربعين وماية وألف.

محرم الحرام سنة ١١٤٩

محرم الحرام سنة تسع وأربعين وماية وألف

١٢ - ٥ - ١٧٣٦م

الحكومة

وسلطان المملكة الرومية وبعض العربية والعجمية السلطان محمود بن مصطفى خان بن محمد خان بن عثمان، والباشا بالحج الشريف سليمان باشا، وقاضي الشام محمد صالح، والمفتي حامد أفندي، والمدرسون وبقية الناس على حالهم.

عملية سطو في دمشق

وأوله السبت، ثانيه نزلت الحرامية ليلا على دار ابن خليفة، من كتابة الدفتار والحرمين والمصريين، وكان في همة زواج أحد ولده، ونقل الجهاز إلى داره، فأصبحوا لم يجدوا شيئا من المتاع والحلي ونحوه على ما

قيل، واتهم بعض الجيران، وحبس ناس منهم في الحبس، وحبس ناس وأطلق الناس.

سقبا، ومعالمها

وفي ليلة السبت الثامن من محرم الحرام، ذهبنا إلى سقبا إلى عند صاحبنا أبي علي يوسف السقباني. ومكثنا أربعة أيام وخمس ليال، وكان أيام الورد. وفيها زيارتان: عبد الله بن سلام الصحابي رضي الله عنه، وفيها الشيخ أبو عمرو من الأولياء، وعند مزاره بئر ماء طيبة حلوة خفيفة مهضمة، دون بقية المياه من غيرها، حتى من الشام، يؤخذ منها للمدينة، وهي أبرد من الثلج، معين دون مياه أبيار القرية المزبورة.." (١)

" ٦١ بعير لي وبرجل صاحبي علة فكنت احمله على بعيري حتى جئنا بطن يأجج فعقلنا بعيرنا في فناء شعب وقلت لصاحبي انطلق بنا إلى دار أبي سفيان لنقتله فإن خشيت شيئا فالحق بالبعير فاركبه والحق برسول الله وأخبره الخبر وخل عني فإني عالم بالبلد # فدخلنا مكة ومعي **خنجر** قد أعددته إن عاقني إنسان ضربته به فقال لي صاحبي هل لك أن نبدأ فنطوف ونصلي ركعتين فقلت إن أهل مكة يجلسون بأفنيتهم وأنا أعرف بها فلم يزل بي حتى أتينا البيت فطفنا وصلينا ثم خرجنا فمررنا بمجلس لهم فعرفني بعضهم فصرخ بأعلى صوته هذا عمرو بن أمية فثار أهل مكة إلينا وقالوا ما جاء إلا لشر وكان فاتكا متشيطنا في الجاهلية # فقلت لصاحبي النجاء هذا والله الذي كنت أحذر أما أبو سفيان فليس إليه سبيل فانج بنفسك فخرجنا نشتد حتى سعدنا الجبل فدخلنا غارا فبتنا فيه ليلتنا ننتظر أن يسكن الطلب قال فوالله إني لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك التيمي يختل بفرسه له فقام على باب الغار فخرجت إليه فضربته **بالخنجر** تحت الثدي فصاح صيحة أسمع أهل مكة فأقبلوا إليه ورجعت إلى مكاني فوجدوه وبه رمق فقالوا من ضربك قال عمرو بن أمية ثم مات ولم يقدر يخبرهم بمكاني وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبي فاحتملوه ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب ثم خرجنا إلى التنعيم فإذا بخشبة خبيب وحوله حرس فصعدت بخشبته فاحتللته واحتملته على ظهري فما مشيت به إلا نحو أربعين خطوة حتى نذروا بي فطرحته فاشتدوا في أثري فأخذت الطريق فأعيوا ورجعوا وانطلق صاحبي فركب البعير وأتى النبي فأخبره وأما خبيب فلم ير بعد ذلك وكأن الأرض ابتلعته قال وسرت حتى دخلت غارا بضجنان ومعي قوسي وأسهمي فبينا أنا فيه إذ دخل علي

---

(١) يوميات شامية، ص/١٣٠

رجل من بني الدئل أعور طويل يسوق غنما فقال من الرجل قلت من بني الدئل فاضطجع معي ورفع عقيرته يتغنى ويقول." (١)

" ٣٥٤ دهاقين الباب بكوثى في جمع فقدم زهرة بين يديه بكير بن عبد الله الليثي وكثير بن شهاب الشعدي حتى عبرا الصراة فلحقا بأخريات القوم وفيهم فيومان والفرخان هذا بيساني وهذا أهوازي فقتل بكير الفرخان وقتل كثير فيومان بسورا وجاء زهرة فجاز سورا ونزل وجاء سعد وهاشم والناس ونزلوا عليه وتقدم زهرة نحو الفرس وكانوا قد نزلوا بين الدير وكوثى وقد استخلف النخير خان ومهران على جنودهما شهريار دهقان الباب فنازلهم زهرة فبرزوا إلى قتاله وخرج شهريار يطلب المبارزة فأخرج زهرة إليه أبا نباتة نايل بن جعشم الأعرجي وكان من شجعان بني تميم وكلاهما وثيق الخلق فلما رأى شهريار نايلا ألقى الرمح ليعتنقه وألقى أبو نباتة رمحه ليعتنقه أيضا وانتضيا سيفيهما فاجتلدا ثم اعتنقا فسقطا عن دابتيهما فوقع شهريار عليه كأنه جمل فضغطه بفخذه وأخذ **الخنجر** وأراد حل أزرار درعه فوقعت إصبعه في في نايل فكسر عظمه، ورأى منه فتورا فبادره وجلد به الأرض ثم قعد على صدره وأخذ **خنجره** وكشف درعه عن بطنه وطعن به بطنه وجنبه حتى مات وأخذ فرسه وسواريه وسلبه وانهزم أصحابه فذهبوا في البلاد # وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد فقدم إليه نايلا وألبسه سلاح شهريار وسواريه وأركبه برذونه وغنمه الجميع فكان أول أعرجي سور بالعراق وأقام بها سعد أياما وزار مجلس إبراهيم الخليل عليه السلام # وقيل كانت هذه الوقعات سنة ست عشرة # نايل بالنون وبعد اللف ياء تحتها نقطتان وآخره لام $ ذكر بهرسير وهي المدينة العتيقة وهي المدائن الدنيا من الغرب $ # ثم غن سعدا قدم زهرة إلى بهرسير فمضى في المقدمات فتلقاه شيرزاد دهقان ساباط بالصلح فأرسله إلى سعد فصالحه على تأدية الجزية ولقي زهرة كثيبة بنت." (٢)

" ٤٤٧ جاءه كعب فقال بقي يومان فلما كان الغد جاءه كعب فقال مضى يومان وبقي يوم # فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت كبر ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده **خنجر** له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي وهو خليفة وقتل جماعة غيره فلما وجد عمر حر السلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس وعمر طريح فاحتمل فأدخل بيته ودعا عبد الرحمن فقال له إني أريد أن

---

(١) الكامل في التاريخ، ٦١/٢

(٢) الكامل في التاريخ، ٣٥٤/٢

أعهد إليك قال أتشير علي بذلك قال اللهم لا قال والله لا أدخل فيه أبدا قال فهبني صمتا حتى أعهد إلى النفر الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض # ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا فقال انتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئا أن لا تحمل بني هاشم على رقاب الناس أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس أن لا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئا أن لا تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم وليصل بالناس صهيب # ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فقال قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل إليهم وأوصى الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصى الخليفة بالعرب فإنهم مادة الإسلام أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم وأوصى الخليفة بذمة رسول الله أن يوفى لهم بعهدهم اللهم هل بلغت لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر أخرج فانظر من قتلني قال يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة يا عبد الله بن عمر اذهب إلى عائشة فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي وأبي بكر يا عبد الله إن اختلف القوم فكن مع الأكثر فإن تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف يا عبد الله ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم." (١)

" ٤٦٧ أمس الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون فلما رأوني ثاروا وسقط منهم **خنجر** له رأسان نصابه في وسطه وهو **الخنجر** الذي ضرب به عمر فقتلهم عبيد الله فلما أحضره عثمان قال أشيروا علي في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق فقال علي أرى أن تقتله فقال بعض المهاجرين قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان فقال عثمان أنا وليه وقد جعلتها دية وأحتمها في مالي وكان زياد بن لبيد البياضي الأنصاري إذا رأى عبيد الله بن عمر يقول # (ألا يا عبيد الله مالك مهرب % ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر) # (أصبت دما والله في غير حله % حراما وقتل الهرمزان له خطر) # (على غير شيء غير أن قال قائل % أتتهمون الهرمزان على عمر) # (فقال سفيه والحوادث جمة % نعم أتهمه قد أشار وقد أمر) # (وكان سلاح العبد في جوف بيته % يقلبها والأمر بالأمر يعتبر) # فشكا عبيد الله إلى عثمان زياد بن لبيد فنهى

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٤٧/٢

عثمان زيادا فقال في عثمان # (أبا عمرو عبيد الله رهن % فلا تشكك بقتل الهرمزان) # (فإنك إن عفوت الجرم عنه % وأسباب الخطا فرسا رهان) # (أتعفو إذ عفوت بغير حق % فما لك بالذي تحكي يدان) # فدعا عثمان زيادا فنهاه وشذبه وقيل في فداء عبيد الله غير ذلك قال القماذبان بن الهرمزان كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض فمر فيروز أبو لؤلؤة بالهرمزان ومعه **خنجر** له رأسان فتناوله منه وقال ما تصنع به قال أسن به فرآه رجل فلما أصيب عمر قال رأيت الهرمزان دفعه إلى فيروز فأقبل عبيد الله فقتله فلما ولي عثمان أمكنني منه فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي إلا أنهم يطلبون إلي فيه فقلت لهم إلى قتله قالوا نعم وسبوا عبيد الله قلت لهم أفلكم منعه قالوا." (١)

" ١٩٦ # فبلغ بحيرا أن رهط بكير من الأبناء يتوعدونه فقال # (توعدني الأبناء جهلا كأنما % يرون فنائي مقفرا من بني كعب) # (رفعت له كفي بسيف مهند % حسام كلون الثلج ذي رونق عضب) # فتعاقد سبعة عشر رجلا من بني عوف على الطلب بدم بكير فخرج فتى منهم يقال له شمردل من البادية حتى قدم خراسان فرأى بحيرا واقفا فحمل عليه فطعنه فصرعه وظن أنه قد قتله فقال الناس خارجي وراكضهم فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل وخرج صعصة بن حرب العوفي من البادية وقد باع غنيمات له ومضى إلى سجستان فجاور قرابة لبحير مدة وادعى إلى بني حنيفة من اليمامة وأطال مجالستهم حتى أنسوا به ثم قال لهم إن لي بخراسان ميراثا فاكتبوا لي إلى بحير كتابا ليعينني على حقي فكتبوا له وسار فقدم على بحير وهو على المهلب في غزوته فلقي قوما من بني عوف فأخبرهم أمره ولقي بحيرا فاخبره أنه من بني حنيفة من أصحاب ابن أبي بكرة وان له مالا بسجستان وميراثا بمرو وقدم ليبيعه ويعود إلى اليمامة فأنزله بحير وأمر له بنفقة ووعده فقال صعصة أقيم عندك حتى يرجع الناس فأقام شهرا يحضر معه باب المهلب وكان بحير قد حذر فلما أتاه صعصعة بكتاب أصحابه وذكر أنه من حنيفة أمنه فجاء يوما صعصعة وبحير عند المهلب عليه قميص ورداء فقد خلعه ودنا منه كأنه يكلمه فوجأه **بخنجر** معه في خاصرته فغيبه في جوفه ونادى يا لثارات بكير فأخذ وأتي به المهلب فقال له بؤسا لك ما أدركت بثأرك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح بطنه في يدي فحبسه فدخل عليه قوم من الأبناء فقبلوا رأسه ومات بحير من الغد فقال صعصعة لما مات بحير اصنعوا الآن ما شئتم أليس قد حلت نذور أبناء بني عوف وأدركت بثاري والله لقد أمكنني منه خاليا غير مرة فكرهت أن

---

(١) الكامل في التاريخ، ٢/٤٦٧

أقتله سرا فقال المهلب ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت من هذا وأمر بقتله فقتل وقيل إن المهلب بعثه إلى بحير قبل أن يموت فقتله ومات بحير بعده وعظم موته على المهلب وغضبت عوف والأبناء وقالوا علام قتل صاحبنا وإنما أخذ بثأره فنازعهم مقاعس والبطون وكلهم بطون من تميم." (١)

" ٢٥٦ طبرستان والرويان وما كان إليه ووليه عمر بن العلاء وولي جرجان فراشة مولى المهدي وفيها أظلمت الدنيا لثلاث مضين من ذي الحجة حتى تعالى النهار ولم يكن صائفة للهدنة التي كانت بين المسلمين والروم # وحج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو على المدينة ثم توفي بعد فراغه من الحج بأيام وتولى مكانه إسحاق بن عيسى بن علي # وفيها طعن عقبة بن سلم الهنائي اغتاله رجل **بخنجر** فمات ببغداد # وكان على اليمن سليمان بن يزيد الحارثي وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيري وكان على الصرة محمد بن سليمان وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمي وعلى الموصل أحمد بن إسماعيل الهاشمي وقيل موسى بن كعب وباقي الأمصار كما تقدم وفي هذه السنة توفي جعفر الأحمر أبو شيبة والحسن بن صالح بن حبي وكان شيعيا عابدا وسعيد بن عبد الله بن عامر التنوخي وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن مسلم # وفيها أفسد العرب في بادية البصرة بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطريق وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة فأرسل المهدي إليهم جيشا فقاتلهم واشتد القتال وصبر العرب فظفروا وقتلوا عامة العسكر المنفذ إليهم فقويت شوكتهم وزاد شرهم." (٢)

" ٥٥ وسار إلى خرماباذ وأخذ أخوه مازيار فحبسوا هنالك وسار إلى المدينة سارية فاقام بها وحبس مازيار ووصل محمد بن إبراهيم بن مصعب إلى الحسن بن الحسين فسار به ليناظره في معنى المال الذي لمازيار وأهله فكتب إلى عبد الله بن طاهر فأمر الحسن بتسليم مازيار وأهله إلى محمد بن إبراهيم ليسير بهم إلى المعتصم وأمره أن يستقصي على أموالهم ويحرزها فأحضر مازيار وسأله عن أمواله فذكر أنه عند خزانة وضمن قوهيار ذلك وأشهد على نفسه وقال مازيار اشهدوا علي أن جميع ما أخذت من أموالي ستة وتسعون ألف دينار وسبع عشرة قطعة زمرد وست عشرة قطعة ياقوت وثمانية أحمال من ألوان الثياب وتاج

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٩٦/٤

(٢) الكامل في التاريخ، ٢٥٦/٥

وسيف مذهب مجوهر وخنجر من ذهب مكلل بالجوهر وحق كبير مملوء جوهرا قيمته ثمانية عشر ألف ألف درهم وقد سلمت ذلك إلى خازن عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر وكان مازيار قد استخلف هذا ليوصله إلى الحسن بن الحسين ليظهر للناس والمعتصم أنه أمنه على نفسه وماله وولده وأنه جعل له جبال أبيه # فامتنع الحسن من قبوله وكان أعف الناس # فلما كان الغد أنفذ الحسن مازيار إلى المعتصم مع يعقوب بن منصور ثم أمر الحسن قوهيار أن يأخذ بغاله ليحمل عليها مال مازيار فأخذها وأراد الحسن أن ينفذ معه جيشا فقال لا حاجة لي بهم وسار هو وغلمانه فلما فتح الخزائن وأخرج الأموال وعباها ليحملها وثب عليه مماليك المازيار وكانوا ديالمة وقالوا غدرت بصاحبنا وأسلمته إلى العرب وجئت لتحمل أمواله وكانوا ألفا ومائتين فأخذوه وقيدوه فلما جنهم الليل قتلوه وانتهبوا الأموال والبغال فانتهى الخبر إلى الحسن بن الحسين فوجه جيشا ووجه قالرن جيشا فأخذ أصحاب قارن منهم عدة منهم ابن عم مازيار يقال له شهريار بن المصمغان وكان هو يحرضهم فوجهه قارن إلى عبد الله بن طاهر فمات بقومس وعلم محمد بن إبراهيم خبرهم فأرسل في أثرهم فأخذوا وبعث بهم إلى مدينة سارية # وقيل إن السبب في أخذ مازيار كان ابن عم له اسمه قوهيار كان له جبال طبرستان وكان لمازيار السهل وجبال طبرستان ثلاثة أجبل جبل ونداد هرمز وجبل أخيه ونداسنجان والثالث جبل شروين بن سرخاب فقوى مازيار وبعث إلى." (١)

" ١٠٩ يكلمه واجتمع الأمراء والقواد وغيرهم وأرجفوا عليه فمن قائل إنه غضب لكثرته لأنه كان بخيلا ومن قائل إنه قد اعتراه جنون وقيل بل أوجعه فؤاده وقيل غير ذلك وكادت الفتنة تثور # وعرف العميد وزيره صورة الحال فأتاه ولم يزل حتى استيقظ وعرفه ما الناس فيه فخرج وجلس على الطعام وأكل ثلاث لقم ثم قام ونهب الناس الباقي ولم يجلس للشراب وعاد إلى مكانه وبقي في معسكره بظاهر أصبهان ثلاثة أيام لا يظهر فلما كان اليوم الرابع تقدم بأسراج الدواب ليعود من منزلته إلى دار بأصبهان فاجتمع ببابه خلق كثير وبقيت الدواب مع الغلمان وكثر صهيلها ولعبها والغلمان يصيحون بها لتسكن من الشغب وكانت مزدحمة فارتفع من الجميع أصوات هائلة وكان مرداويج نائما فاستيقظ فصعد فنظر فرأى ذلك فسأل فعرف الحال فازداد غضبا وقال أما كفى من إخراق الحرمة ما فعلوه في ذلك الطعام وما أرجفوا به حتى انتهى أمري إلى هؤلاء الكلاب ثم سأل عن أصحاب الدواب فقيل أنها للغلمان الأتراك وقد نزلوا إلى خدمتك فأمر أن تحط السروج عن الدواب وتجعل على ظهور أصحابها الأتراك ويأخذون بارسان الدواب إلى الإسطبلات

---

(١) الكامل في التاريخ، ٦/٥٥

ومن امتنع من ذلك ضربه الديلم بالمقارع حتى يطيع ففعلوا ذلك بهم وكانت صورة قبيحة يأنف منها أحقر الناس # ثم ركب هو بنفسه مع خاصته وهو يتوعد الأتراك حتى صار إلى داره قرب العشاء وكان قد ضرب قبل ذلك جماعة من أكابر الغلمان الأتراك فحقدوا عليه وأرادوا قتله فلم يجدوا أعوانا فلما جرت هذه الحادثة انتهزوا الفرصة وقال بعضهم ما وجه صبرنا على هذا الشيطان فاتفقوا وتحالفوا على الفتك به فدخل الحمام وكان كورتكين يحرسه في خلواته وحمامه فأمر ذلك اليوم أن لا يتبعه فتأخر عنه مغضبا وكان هو الذي يجمع الحرس فلشدة غضبه لم يأمر أحدا أن يحضر حراسته وإذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وكان له أيضا خادم أسود يتولى خدمته بالحمام فاستمالوه فمال إليهم فقالوا للخادم لا تحمل معه سلاحا وكانت العادة أن يحمل معه خنجرا طوله نحو ذراع ملفوفا." (١)

" ١١٠ في منديل فلما قالوا ذلك للخادم قال ما أجسر فاتفقوا على أن كسروا حديد الخنجر وتركوا النصاب في الغلاف بغير حديد ولفوه في المنديل كما جرت العادة لئلا ينكر الحال # فلما دخل مرداويج الحمام فعل الخادم ما قيل له وجاء خادم آخر وهو أستاذ داره فجلس على باب الحمام فهجم الأتراك إلى الحمام فقام أستاذ داره ليمنعهم وصاح بهم فضربه بعضهم بالسيف فقطع يده فصاح الأسود وسقط وسمع مرداويج الضجة فبادر إلى الخنجر ليدفع به عن نفسه فوجده مكسورا فأخذ سريرا من خشب كان يجلس عليه إذا اغتسل فترس به باب الحمام من داخل ودفع الأتراك الباب فلم يقدروا على فتحه فصعد بعضهم إلى السطح وكسروا الجامات ورموه بانشاب فدخل البيت الحار وجعل يتلطفهم ويحلف لهم على الإحسان فلم يلتفتوا إليه وكسروا باب الحمام ودخلوا عليه فقتلوه وكان الذين ألبوا الناس عليه وشرعوا في قتله توزون وهو الذي صار أمير العساكر ببغداد وياروق وابن بغرا ومحمد بن ينال الترجمان ووافقهم بحكم وهو الذي ولي أمر العراق قبل توزون سيرد ذلك إن شاء الله تعالى # فلما قتلوه بادروا فأعلموا أصحابهم فركبوا ونهبوا قصره وهربوا ولم يعلم بهم الديلم لأن أكثرهم كانوا قد دخلوا المدينة ليلحق بهم وتخلف الأتراك معه لهذا السبب فلما علم الديلم والجيل ركبوا في أثرهم فلم يلحقوا منهم إلا نفرا يسيرا وقفت دوابهم فقتلوهم وعادوا لينهبوا الخزائن فرأوا العميد قد ألقى النار فيها فلم يصلوا إليها فبقيت بحالها # ومن عجيب ما يحكى أن العساكر في ذلك اليوم لما رأوا غضب مرداويج قعدوا يتذاكرون ما هم فيه معه من الجور وشدة عتوه وتمرده

(١) الكامل في التاريخ، ١٠٩/٧

عليهم ودخل بينهم رجل شيخ لا يعرفه منهم أحد وهو راكب فقال قد زاد أمر هذا الكافر واليوم تكفونه ويأخذه الله ثم سار فلحقت الجماعة دهشة ونظر بعضهم في وجوه بعض ومر الشيخ." (١)

" ٣٣ $ ذكر غزوة بهاطية $ # في هذه السنة غزا يمين الدولة بهاطية من أعمال الهند وهي وراء المولتان وصاحبهما يعرف ببحيرا وهي مدينة حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها بها ثم إنه خرج إلى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه فسبقهم المسلمون إلى باب البلد فملكوه عليه وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم # فقتل المقاتلة وسبية الذرية وأخذت الأموال # وأما بحيرا فإنه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته وسار إلى رؤوس تلك الجبال # فسير إليه يمين الدولة سرية فلم يشعر لهم بحيرا إلا وقد أحاطوا به وحكموا السيوف في أصحابه فلما أيقن بالعطب أخذ **خنجرا** معه فقتل به نفسه # وأقام يمين الدولة ببهاطية حتى أصلح أمرها ورتب قواعدها وعاد عنها إلى غزنة واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه ولقي في عوده شدة شديدة من الأمطار وكثرتها وزيادة الأنهار فغرق منه ومن عسكره شيء عظيم $ ذكر عده حوادث $ # في هذه السنة كان بأفريقية غلاء شديد بحيث تعطلت المخابز والحمامات وهلكة الناس وذهبت الأموال من الأغنياء وكثر الوباء فكان يموت كل يوم ما بين خمسمائة إلى سبعمائة # وفيها وصل قرواش وأبو جعفر الحجاج إلى الكوفة فقبضا على أبي علي عمر بن محمد بن عمر العلوي وأخذ منه قرواش مائة ألف دينار وحمله معه إلى الأنبار # وفيها توفي إسحاق بن محمد بن حمدان بن محمد بن نوح أبو إبراهيم المهلبي # وفيها توفي محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن أبي إسماعيل العلوي الهمذاني الفقيه الشافعي رحمه الهه تعالى." (٢)

" ١٤١ $ ذكر الفتنة بمكة $ # في هذه السنة كان يوم النفر الاول يوم الجمعة فقام رجل من مصر بإحدى يديه سيف مسلول # وفي الأخرى دبوس بعد ما فرغ الامام من الصلاة فقصد ذلك الرجل الحجر الأسود كأنه يستلمه فضرب الحجر ثلاث ضربات بالدبوس وقال إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد وعلي فيلمنعني مانع من هذا فإني أريد أن أهدم البيت فخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه وكاد يفلت فثار به رجل فضربه **بخنجر** فقتله وقطعه الناس وأحرقوه وقتل ممن اتهم بمصاحبته جماعة وأحرقوا

---

(١) الكامل في التاريخ، ٧/١١٠

(٢) الكامل في التاريخ، ٨/٣٣

وثارت الفتنة وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين رجلا غير ما اختفى منهم وألح الناس ذلك اليوم على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب وعلى غيرهم في طريق منى إلى البلد فلما كان الغد ماج الناس واضطربوا وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل فقالوا نحن مائة رجل فضربت أعناق هؤلاء الأربعة # وتقشر بعض وجه الحجر من الضربات فأخذ ذلك الفتات وعجن بلك وأعيد إلى موضعه $ ذكر فتح قلعة من الهند $ # في هذه السنة أوغل يمين الدولة محمود بن سبكتكين في بلاد الهند فغنم وقتل حتى وصل إلى قلعة على رأس جبل منيع ليس له مصعد إلا من موضع واحد وهي كبيره تسع خلقا وبها خمسمائة فيل # وفي رأس الجبل من الغلات والمياة وجميع ما يحتاج الناس إليه فحصرهم يمين الدولة وأدام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال فقتل منهم كثير فلما رأوا ما حل بهم أذعنوا له وطلبوا الأمان فأمنهم وأقر ملكهم فيها على خراج يأخذه منه # وأهدى له هداياه كثيرة منها طائر على هيئة القمري من خاصيته إذا أحضر الطعام وفيه سم دمعت عينا هذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر إذا حك وجعل على الجراحات الواسعة الحمها." (١)

" اوله وقد قيل ان الهرمزان سعى في قتل عمر وحمل **الخنجر** وظهر تحت ثيابه وكان قتل عبيدالله له وعثمان لم يل بعد ولعل عثمان كان لا يرى على عبيدالله حقا لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله ." (٢)

"وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها فيجزع غيرها من الجواري ولا يطلبن الموت مع مواليهن ثم دخل إلى القبة ستة رجال فجامعوا بأسرهم الجارية ثم أضجعوها إلى جانب مولاها وأمسك اثنان رجليها واثنان يديها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلا مخالفا ودفعته إلى اثنين ليجذباه وأقبلت ومعها **خنجر** عريض النصل فأقبلت تدخله بين أضلاعها موضعا موضعا وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت.

ثم وافى أقرب الناس إلى ذلك الميت فأخذ خشبة وأشعلها بالنار ثم مشى القهقرى نحو قفاه إلى السفينة ووجهه إلى الناس والخشبة المشعلة في يده الواحدة ويده الأخرى على باب استه وهو عريان حتى أحرق الخشب المعبأ الذي تحت السفينة من بعدما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها.

ثم وافى الناس بالخشب والحطب ومع كل واحد خشبة قد ألهب رأسها فيلقيها في ذلك الخشب فتأخذ

---

(١) الكامل في التاريخ، ٨/١٤١

(٢) العواصم من القواصم، ص/١١٨

النار في الحطب ثم في السفينة ثم في القبة والرجل والجارية وجميع ما فيها ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتد لهب النار واضطرم تسعرها وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعته يكلم الترجمان الذي معي فسألته عما قال له فقال: إنه يقول: أنتم يا معاشر العرب حمقى.

فقلت: لم ذلك قال: إنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم وأكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب وتأكله التراب والهوام والدود ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته.

ثم ضحك ضحكا مفرطا فسألت عن ذلك فقال: من محبة ربه له قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعة فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والجارية والمولى رمادا مددا

صفحة : ١٥

ثم بنوا على موضع السفينة وكانوا قد أخرجوها من النهر شبيها بالتل المدور ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خدنك وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس وانصرفوا.." (١)

"""""""" صفحة رقم ٤٢ """""""

وعوجل بالقتل مع من حضر منهم . وتولى الملك بعده ولده محمد ، واستمر سلطانه إلى ذي الحجة من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة ، وقتل بظاهر جبل الفتح . وولى بعده أخوه مولانا السلطان أبو الحجاج لباب هذا البيت ، وواسطة هذا العقد ، وطراز هذه الحلية ، ثم اغتاله ، ممرور من أخابيث السوقة ، قيضه الله إلى شهادته ، وجعله سببا لسعادته ، فأكب عليه في الركعة الآخرة من ركعتي عيد الفطر ، بين يدي المحراب ، خاشعا ، ضارعا ، في الحال الذي أقرب ما يكون العبد من ربه ، وهو ساجد ، وضربه **بخنجر** مهيء للفتك به ، في مثل ذلك الوقت ، كان ، زعموا ، يحاول شخذه منذ زمان ، ضربة واحدة ، على الجانب الأيسر من ظهره ، في ناحية قلبه ، فقضى عليه ، وبودر به فقتل .

وولى الأمر بعده محمد ، ولده اكبر بنيه ، وأفضل ذويه ، خلقا وخلقا وحياء وجودا ، ووقارا وسلامة وخيرية ، ودافع دولته من لا يعبأ الله به ، ثم تدارك الأمر سبحانه ، وقد أشفى ، ودافع وكفى ، بما يأتي في محله إن شاء الله . وهو أمير المسلمين لهذا العهد ، متع الله به ، وأدام مدته ، وكتب سعادته ، وأطلق بالخير يده ، وجعله بمراسيم الشريعة من العاملين ، ولسلطان يوم الدين من الخائفين . المراقبين ، بفضله .

---

(١) ابن فضلان، ص/٣٥

وقد أتينا بما أمكن من التعريف بأحوال هذه الحضرة على اختصار . ويأتي في أثناء التعريف برجالها كثير من تفصيل ما أجمل ، وتتميم ما بدأ وإيضاح ما خفي ، بحول الله تعالى .." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٥٣ """""""

الرأي ، عارفا بتدبير الحرب ، حمى الأنف ، عظيم السطوة ، مشهور الإقدام مرتكبا للعظيمة ، قال بعض من عرف به من المؤرخين ، وهو وإن كان قائد فرسان ، هو حليف فتنه وعدوان ، ولم يصحب قط متشرعا ، ولا نشأ في أصحابه من كان متورعا ، سلطه الله على الخلق ، وأملى له فأضر بمن جاوره من أهل البلاد ، وحبب إليه العيث في العباد .

سيرته

كان جبارا قاسيا ، فظا غليظا ، شديد النكال ، عظيم الجرأة والعبث بالخلق ، بلغ من عيثه فيهم ، إحراقهم بالنار ، وقذفهم من الشواهق والأبراج ، وإخراج الأعصاب والرباطات عن ظهورهم ، عن أوتار القسي بزعمه ، وضم أغصان الشجر العادي بعضها إلى بعض ، وربط الإنسان بينها ، ثم تسريحها ، حتى يذهب كل غصن بحظه من الأعضاء ، ورآه بعض الصالحين في النوم بعد موته ، وسأله ما فعل الله بك فأنشده :

من سره العيث في الدنيا بخلقة من . . . يصور الخلق في الأرحام كيف يشا

فليصبر اليوم صبري تحت بطشته . . . مغللا يمتطي جمر الغضا فرشا

شجاعته زعموا أنه خرج من المواضع التي كانت لنصره متصيدا ، وفي صحبته محاولو اللهو ، وقارعو أوتار الغناء ، في مائة من الفرسان ، ونقاوة أصحابه ، فما راعهم إلا خيل العدو هاجمه على غرة ، في مائتي فارس ضعف عددهم ، فقالوا العدو في مائتي فارس ، فقال وإذا كنتم أنتم لمائة ، وأنا لمائة ، فنحن قدرهم ، فعد نفسه بمائة . ثم استدعى قدحا من شرابه ، وصرف وجهه إلى المغني ، وقال أعد لي تلك الأبيات ، كان يغنيه بها فتعجبه :

يتلقى الندا بوجه حي . . . وصدور القنا بوجه وقاح

هكذا هكذا تكون المعالي . . . طرق الجد غير طرق المزاح

فغناه بها ، واستقبل العدو ، وحمل عليه بنفسه وأصحابه ، حملة رجل واحد ، فاستولت على العدو الهزيمة ، وأتى على معظمهم القتل ، ورجع غانما إلى بلده . ثم ضربت الأيام ، وعاود التصيد في موضعه ذلك ،

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . ، ٤٢/١

وأطلق بازه على حجلة ، فأخذها وذهب ليذكيها ، فلم يحضره **خنجر** ذلك الغرض في الوقت ، فبينما هو يلتمسه ، إذ رأى نصلا من نصال المعترك من بقايا يوم الهزيمة ، فأخذه من التراب ، وذبح به الطائر ، ونزل واستدعى الشراب ، وأمر المغني فغناه بيتي أبي الطيب :." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢١٠ """""""""

الأشجار ، فأمعنوا في إفسادها ، وبرز حاميتها فناشبت الناس القتال ، فحميت النفوس ، وأريد منع الناس ، فأعيا أمرهم وسال منهم البحر ، فتعلقوا بالأسوار وقيل السلطا بادر بالركوب ، فقد دخل الربض ، فركب ووقف بإزائها ، فدخل البلد عنوة ، واعتصم أهله بالقصبة ، فدخلت أيضا القصبة عنوة ، وانطلقت أيدي الغوغاء على من بها من ذكر وأنثى كبيرا أو صغيرا ، فساءت القتلة ، وقبحت الأحدوثة . ورفعت من الغد آكام من الجثث ، صعدت ذراها المؤذنون ، وقفل إلى غرناطة بنصر لا كفا له ، فكان دخوله من هذه الغزاة في الرابع والعشرين لرجب المذكور .

وفاته

ولما فصل من مرتش نقم على أحد الرؤساء من قرابته ، وهو ابن عمه محمد ابن إسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة ، أمرا تقرعه عليه ، وبالغ في الإهمال له ، وتوعده بما أثار حفيظته ، فأقدم عليه بالفتكة الشنعاء التي ارتكبها منه بباب قصره ، بين عبيده وأرباب دولته ، آمن ما كان سربا ، وأعز سلطانا وجندا ، وذلك اليوم الإثنين ثالث يوم من دخوله من مرتش ، بعد أن عاهد في الأمر جملة من القرابة والخدام ، فوثب به ، وهو مجتاز بين السماطين من ناسه إلى مجلس كان يجلس فيه للناس ، فاعتنقه وانتضى **خنجرا** كان ملصقا في ذراعه ، فأصابه بجراحات ثلاث ، إحداهن في عنقه ، بأعلى ترقوته ، فخر صريعا . وصاح بكر وزيره ، فعمته سيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك ، ووقعت الرجة ، وسلت السيوف ، وتشاغل كل بمن يليه ، واستخلص السلطان من يديه ، وحيل بينه وبينه ، وحين تشاغل القوم بالوزير ، رفع السلطان وظن أنه قد أفلت جريحا ، فرقع البهت ، وبادروا الفرار ، فسدت المذاهب ، فقتلوا حيث وجدوا ، وأخذت الظنة قوما من أبريائهم ، فامتحنوا ، ونهب الغوغاء دورهم ، وعلقت بالجدرات أشلاؤهم ، وكان يوما عصيبا ، وموقفا صعبا ، واحتمل السلطان إلى بعض دور قصره ، وبه صبابة روح ، أشبه." (٢)

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . ، ١٥٣/١

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة . ، ٢١٠/١

"""""""" صفحة رقم ١٢٤ """""""

إسحاق الطيار . ومنهم أبو عبد الله بن محمد الكرموني ، وكان بصيرا بتفسير الرؤيا ، فمن عجايب شأنه ، أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف ابن عيد الحق مع من كان فيه ، من أهل تلمسان أيام محاصرته لها ، فرأى أبا جمعة على التلالسي الجرايحي منهم ، كأنه قايم على ساقيه دايرة ، وجميع أقداحها وأقواسها نصب في نقير في وسطها ، فجاء ليشرب ، فاغترف الماء ، فإذا فيه فرث ودم ، فأرسله ، واغترف فإذا هو كذلك ، ثلاثا أو أكثر ، ثم عدل إلى خاصة ماء ، فجاءها وشرب منها . ثم استيقظ ، وهو النهار ، فأخبره ، فقال إن صدقت الرؤيا ، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن . قال كيف ، قال الساقية الزمان ، والنقير السلطان ، وأنت جرايحي ، تدخل يدك في جوفه فينالها الغرث والدم ، وهذا ما لا يحتاج معه إلى دليل ، فأخرج ، فوجد السلطان مطعونا **بخنجر** ، فأدخل يده في جوفه ، فناله الفرث والدم ، فخاط جراحته وخرج ، فرأى خاصة ماء ، فغسل يده وشرب . ولم يلبث السلطان أن توفي ، وسرحوا من كان في سجنه ، ومن أشياخه الإمام نسيج وحده ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن أحمد الآبلى التلمساني ، وهو رحلة الوقت في القيام على الفنون العقلية ، وإدراكه وصحة نظره .

حدث قال : قدم على مدينة فاس ، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ، عرف بن المسفر . رسولا من صاحب بجاية . وزاره الطلبة ، فكان مما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين ، يستشكلون كلاما وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتب فخر الدين ، واستشكله الشيخ معهم . وهذا نصه : ثبت في بعض العلوم العقلية ، أن المركب مثل البسيط في الجنس ، والبسيط مثل المركب في الفصل ، وأن الجنس أقوى من الفصل . فأخبروا بذلك الشيخ الآبلي لما رجعوا إليه ، فتأمله ثم قال ، هذا كلام مصحف ، وأصله أن المركب قبل البسيط في الحس ، و البسيط قبل المركب في العقل ، وإن الحس أقوى من العقل ، فأخبروا ابن المسفر ، فلج : فقال لهم الشيخ ، التمسوا النسخ ، فوجدوا في لفظ بعضها كما قال الشيخ .

رحلته

رحل إلى بجاية مشرقا ، فلقي بها جلة ، منهم الفقيه أبن عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ، ابن المسفر . ومنهم قاضيها أبو عبد الله محمد بن الشيخ." (١)

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ١٢٤/٢

"""""""" صفحة رقم ٧٥ """""""

الوقار ، المكفولة الذيل ، أنيسة مشيخة الجماعة ، القاطنة من الحمراء العلية ، بباب ابن سماعة ، فحين عطفت عليها ، وصرفت فناءي وفنائها ، وقلت لها كيف حالك أيتها الجارة ، الساكنة بنجدة الحجارة ، الواعظة للقريب والبعيد ، بمقامها صامتة على الصعيد .

سقاك من الغر الغوادي مطيرها . . . ولا زلت في خضراء خض نظيرها

خلتها اهتزت عند النداء اهتزاز السرور ، وتمايلت أكمامها تمايل الثمل المسرور ، ثم قالت لسايلها بلسان وسايلها ، عند مشاهدة مثلي تقول العرب ، عينها فرارها ، واينو جدها للناظرين اصفرارها ، وجملة بخيتي ، بعد إتمام تحيتي ، أن الدهر عجم قناتي ، ومس الكبر كدر سناتي ، وما عسى أن أبث من ثكناتي ، وجل علاتي من تركيب ذاتي . ولكني أجد مع ذلك ، أن وقاري ، حسن لدى الحي احتقاري ، وكثرة قناعتي ، أثمرت إضاعتي ، وكمال قدي ، أوجب قدي ، فما أنس من الأشياء . لا أنس عدوان جعسوس من لعبوش اليهود أو المجوس ، يفحص بمديته عن وريدي ، ويحرص على مد جريدي ، ويجدع كل عام يخنجره أنفي ، وكلما رمت كف إذايته عني ، كشم كف ، فلو رايتم صعصعة أفناني ، وسمعتم عند جذم بناني ، قعقعة جناني ، والدمع لما جفاني ، يفيض من أجفاني ، والجعسوس الخبيث المنحوس ، قد شد ما حد بأمراسه ، ورفعه لبيعه كفره على راسه . بعد الأمر بوضعه على أسنمة القبور ، حسبما ثبت في الحديث المشهور ، لحملتكم يا بني اسم وحام على الغيرة وشايج الأرحام ، فقد علمتم بنص الأثر ، أني عمتكم القديمة ، وإن لم أكن لذلك بأهل ، فإني لكم اليوم خديمة ، أو من ذرية الفريق الموجب ، المضروب به المثل يوم السقيفة ، لمن رام من أشراف الأندلس أن يكون إذ ذاك خليفة . وخالة أبي كانت النخلة البرشا الكبيرة ، التي حادثها الأمير عبد الرحمن بالرصافة القريبة من كورة إلبيرة . فكيف." (١)

"""""""" صفحة رقم ٧٧ """""""

تطلع النفس الفقيرة ، للأعراض التافهة الحقيرة ، والإمامة العظمى ، أجل عندنا وأسمى ، من أن تلحظ بعينها تلك الملاحظ ، ولواصل لديها مراتبها وأفكارها ببيانه وتبيانه ، عمرو بن بحر الجاحظ ، إذ هي كافأ الله فضلها ، ولا قلص ظلها كالسحاب ، نجود بغيثها على الآكام والضراب ، ومنابت الشجر من التراب ، فضلا عن الخدمة والأتراب ، فليس يضيع مع جميل نظرها ، ذو نسب ، ولا يجهل في أيامها السعيدة

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ٧٥/٤

مقدار منتسب إلى حسب . وإن وقعت هفوة صغيرة ، أعقبتها حسنة كبيرة ، ومنن أثيرة ، ونعم كثيرة . ولم لا ، وروح أمرها ، ومذهب نصرة جمرها ، علم السادة للقادة الأكابر ، المغرم بجبر كل كسير ، وناهيك من به جابر الرازي ، ذكر مآثره ، بعرف أطيب الطيب . الوزير أبو عبد الله بن الخطيب . والمطلوب منه لهذه الشجرة الثرما ، الغريبة الشما ، التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، إنما هو يسير بنا ، وظهير اعتنا ، وخنجر يوما ، لعل عباسة أديم دوها أن تذهب . وأكمام كباسة قنوها ، أن تفضض بنعيم النضارة ثم تذهب ، ويعود إليها شرخ شبابها ، وتستحكم صفرة ثيابها ، وخضرة جلبابها ، وذلك كله بمن اللطيف الخبير ، من أسهل العمل على مجد الأمير ، وفضل الوزير ، إذ هما ، دام عزهما ، على بينة من أن الإحسان ألقاح ، والشكر نتاجه ، والثناء إكليل ، وهو في الحقيقة تاجه . قال المسلم ، ومن يا إخوتي لعلي ، بمعارضة الحافظ أبي علي ، ولو أني اشتملت شملة النضر بن شميل ، وأصبحت أفصح من عامل بن الطفيل ، وأخطب من شبيب ، وأشعر من حبيب ، وجزت من طرق الجدال ، منازل نقدة صدور الأبدال . وعلى أنه ما قال إلا حقا ، فبعدا للمرء وسحقا . ولكنني أقسم عليكم بمقدر الضيا والحلك ، ومسخر نجوم الفلك ، بإصابة الأعراب ، وأصحاب الإغراب ، وأرباب فنون الإعراب ، ألا ما تأملتم فصول هذه المقالة ، وأفتيتم بما يترجح فيها لديكم من نسخ أو فسخ ، أو إجادة أو إقالة ، فأنتم علماء الكلام ، وزعماء كتايب الأقلام ، والمراجعات بين شقاشق الرجال ، شنشنة معروفة ، وطريقة إليها الوجوه في كثير من المخاطبات مصروفة ، لا زلتم مذكورين في أهل البيان ، مشكورين على بذل الفضل مدى الأحيان . والله سبحانه يجعل التوفيق حاديكم ، ونور العلم هاديكم ، ومنه نسل جل اسمه ، التطهير من كل معابة ، والسمح فيما تخلل هذه المقامة من دعابة ، والتحية الكريمة مع السلام الطيب المعاد ، يعتمد من يقف عليها من الآن إلى يوم المعاد ، والرحمات والمسرات والبركات والخيرات ، من كاتبها على بن عبد الله بن الحسن ، أرشده الله .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٩١ """""""""

ألهنشه ، قلعة يحصب الماسة الجوار من حضرته ، واستيلائه عليها ، وعلى باغة . ثم منازلة الجزيرة الخضراء عشرين شهرا ، أوجف خلالها بجيوش المسلمين من أهل العدوتين إلى أرضه . ثم استقر منازلا إياها إلى أن فاز بها قداحه ، والأمر لله العلي الكبير ، في قصص يطول ذكره ، تضمن ذلك طرفة العصر من تأليفنا

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . ، ٧٧/٤

. ثم تهنأ السلم ، والتحف جناح العافية والإمنة برهة ، رحمه الله .

وفاته

وما استكمل أيام حياته ، وبلغ مداه ، أتم ما كان شبابا واعتدالا وحسنا ، وفخامة وعزا حتى أتاه أمر الله من حيث لا يحتسب ، وهجم عليه يوم عيد الفطر ، من عام خمسة وخمسين وسبعماية ، في الركعة الأخيرة ، رجل من عداد الممرورين ، رمى بنفسه عليه ، وطعنه **بخنجر** كان قد أعده ، وأغرى بعلاجه ، وصاح ، وقطعت الصلاة ، وقبض عليه ، واستفهم ، فتكلم بكلام مخلط ، واحتمل إلى منزله ، على فوت لم يستقر به ، إلا وقد قضى رحمه الله ورضي عنه ، وأخرج ذلك الخبيث للناس ، وقتل وأحرق بالنار ، مبالغة في التشفي ، ودفن السلطان عشية اليوم في مقبرة قصره لصق والده ، وولي أمره ابنه أبو عبد الله محمد ، وبولغ في احتفال قبره ، بما أشف على من تقدمه ، وكتب عليه ما نصه : هذا قبر السلطان الشهيد ، الذي كرمت أحسابه وأعراقه ، وحاز الكمال خلقه وأخلاقه ، وتحدث بفضله وحلمه شام المعمور وعراقه ، صاحب الآثار السنية ، والأيام الهنية ، والأخلاق الرضية ، والسير المرضية . الإمام الأعلى ، والشهاب الأجلى ، حسام الملة ، علم الملوك الجلة ، الذي ظهرت عليه عناية ربه ، وصنع الله له في سلمه وحربه . قطب الرجاحة والوقار ، وسلالة سيد الأنصار ، حامي حمى الإسلام برأيه ورايته ، المتسولي في ميدان الفخر على غايته ، الذي صحبته عناية الله في بداية أمره وغايته ، أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن السلطان الكبير ، الإمام الشهير ، أسد دين الله ، الذي أذعنت الأعداء لقهره ، ووقفت الليالي والأيام عند نهيه وأمره . رافع ظلال العدل في الآفاق حامي حمى السنة بالسمر الطوال والبيض الرقاق ، مخلد صحف الذكر الخالد والعز الباق ، الشهيد السعيد المقدس أبي الوليد ، ابن الهمام الأعلى الطاهر النسب والذات ، ذي العز البعيد الغايات ، والفخر الواضح الآيات ، كبير الخلافة النصرية ، وعماد الدولة الغالبية ، المقدس." (١)

"وثانيهما: عبد الكريم الجرباء وأخوه مطلق، ولست أدري أيهما كان الشيخ إلا أنهما معاصران لطلال بن عبد الله الرشيد، وعبد الله الفيصل فهما أقدم من معاصر محمد العبد الله الرشيد. وعبد الكريم له شهرة كبيرة عند أل نجد، ولم أجد له هذه الشهرة عند مؤرخي العراق. قال أبو عبد الرحمن: وربما ترجح أن عبد الكريم ومطلق ابنان لفرحان بن صفوق، وأن عبد الكريم تولى بعد فرحان مباشرة ثم بعده فارس. وصفوق

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة . ، ٢٩١/٤

معاصر لعبد الله الرشيد، وله علاقة في مساعداته له أيام محنته مع آل علي، وربما كانت بينهما مصاهرة. فقد أملى علي الشيخ منديل هذين البيتين لعبد الله بن علي ابن رشيد يخاطب أخاه عبيدا بعد أن رجعا من العراق وزوجا أختهما من الجرباء. قال عبد الله:

ياعبيد ما باق لنا كود حاجة وهي حاجة لا هيب تشترى ولاتباع

وياعبيد ترى بعض المعاني سماجة ... والله إلى منه نوى ضايع ضاع

ومن أخبار عبد الكريم الجرباء هذه القصة التي نسبها الشيخ ابن خميس إلى أحد مشايخ آل الجرباء. قال ابن خميس عن عبد العزيز بن عيد " العزي " راعي البرة: إنه قال هذه الأبيات يمدح أحد المشايخ من آل الجرباء.

يا الزير ياالزحار ياالنمر ياالذيب ياالليث ياالليوث يا الشبل يا الداب

نطاح طابور العساكر إلى هيببالسيف لرقاب المناعير قصاب

عيبه إلى من قالوا الناس به عيبللسمن فوق مفطح الحيل صباب

قال ابن خميس: ويقال إنه لما أمعن في إيراد هذه الألفاظ الجزلة بهذا الأسلوب الشعري القوي، وكان الجرباء متمنطقا بمنطقة ذهبية وبها خنجر ثمينة شعر الممدوح بالزهو والإعجاب، وتعاظم حتى لم تقو هذه المنطقة على تحمله، فانبترت، وكانت أولى هبات الشاعر! قال أبو عبد الرحمن: وتابع ابن خميس على هذا العزو نقلا عنه كل من الحقيل وصاحب " الأزهار " والكمالي. والصواب ما نشره الشيخ منديل، وحدثني به إبراهيم أن الأبيات لخضير الصعيليك من قصيدة يمدح بها عبد الكريم الجرباء مطلعها:

يا شيخ انا جيتك على الفطر الشيبقزان من دار المحبين دباب

قال منديل: وقيل: إنه يوم سمعها أعطاه جائزة خمسة عشر بعيرا بحمولتها من الأرزاق. قال أبو عبد الرحمن: وها هو نص القصيدة كاملة كما رواها الشيخ منديل. قال خضير الصعيليك:

يا شيخ انا جيتك على الفطر الشيبقزان من دار المحبين دباب

دبا علي ودب مني بتقريب ... قل المواشي يا ذرا كل من هاب

من دارنا جينا لدارك مغاريب ... يموم نجم لا تغير ولا غاب

متخيرك يا منقع الجود والطيب ... لا خيب الله للاجاويد طلاب

سلام من قلب محب بلا ريب ... له يستتاب الشاب ويشب من شاب

يا الجوهر الناريز يا المعطر الطيبيا الصعل يا الصهال يا حصان الاطلاب

يا الزير ياالزحار ياالنمر ياالذيب ياالليث ياالالايوث يا الشبل يا الداب

يا الضاري الضرغام عطب المضاريبيا الفرز يا مفراص ضده والاجناب

يا النادر الهيلع عقاب المراقيبيا نافل جيله بعيدين واقراب

نطاح طابور العساكر إلى هيبستر العذارى لاغشا الزمل ضبضاب

عيبك الى ثار الدخن كنه السيببالسيف لرقاب المناعير ق◌صاب

وعيبك إلى من قالوا الناس بك عيبللسمن فوق مفطح الحيل صباب

وذبح الغنم والكوم حرش العراقيبواعطا المهار، وبذل مال بلا حساب." (١)

"واعلم ان غالب تسميات العرب منقولة من أحوال ترد بهم، كحرب لمن يولد في الحرب، وحارب كذلك، وربيعة من يولد في الربيع، أو الاربعاء، أو خميس لمن يولد يوم الخميس، وجمعة لمن يولد يوم الجمعة، وكخصيب، ومحل، وكأسد، وفهر، ومنحر، وقمر، وصعب، وكفهد، ونمر، وسيف، **وخنجر**، ورمح، وكذلك: شعبان، ورمضان، ورجب، لمن يولد في هذه الأشهر.وكذلك إذا كان في عمود النسب اسان متوافقان، كحارث وحارث، وناصر وناصر، وقطن وقطن، ومالك ومالك، كلاهما من نسب واحد، عبروا من الأول بالأكبر، فيقولون: حارث الأكبر، حارث الأكبر، وعبروا عن الثاني بالأصغر، ومراد السن لا القدر والشأن، إذ ربما يكون الثاني أكبر شأنا من الأول وأعلى قدرا منه. وربما قالوا: محمدا الأول ومحمدا الثانيإذا كان في عمود النسب محمدان وثلاثة وأربعة وهكذا..

ويشترط في الولاء الاحتفاظ على الاصل كما يشترط في الدخيل، وهكذا..

تنبيه: إعلم أنه لما كانت عمان وطن الأزد خاصة قبل غيرهم من العرب ووطن مالك بن فهم وأولاده وذويه قبل غيرهم من الأزد، وجب أن نقدم في هذا الركن أولآ نسب مالك وأولاده ومن انتسب اليهم من الأفخاذ والبطون قبل غيرهم، ثم نعقب بعدهم بنسب الأزد على التوالي، ثم نأتي بعدهم بنسب باقي اليمن بعمان، إن شاء الله، على التوالي، حتى لانبخس أحدا حقه، فإن التقدم في عمان للأزد بأجماع أهل التاريخ.

ومنهم مالك بن فهم وهو أقدمهم لشيئين: الأول: لمطلقالسبق له. والثاني: لكونه من أعمدة الأزد في عمان، فقد فتحها هو وأخرج منها أرهاط كسرى، وبه صارت قاعدة عربية، لأن العجم تولوها عدة قرون قبل العرب

---

(١) آل الجرباء في التاريخ والأدب، ص/٣٤

الأزديين، وأن كان أول من نزلها عمان بن قحطان، وسميت به، وقد باد منها، ولم يبقى للعرب فيها سلطان، كما سوف تقف عليه إن شاء الله في تاريخنا العماني.

نسب مالك بن فهم الأزدي

إعلم أن مالك بن فهم هو أول العنصر اليمني بعمان. وهذا نسبه: مالك بن فهم بن غنم ويقال غانم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله وهو حمى بن مالك بن نصر وهو شنوءة بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن عابر وهو هود عليه السلام.

وقضية مالك بن فهم ونزوله عمان لم تخف على احد. وكانت عاصمة مالك بن فهم هذا منح، وهو الذي حفر بها الفلج المعروف بفلج مالك، واختار هذه الواحة لاتساعها وسهولها وطيب مراعيها لخيله وابله، وكونها في قلب الداخلية من عمان. ومن ذراريه مسدلة بن الجلندى بن كركر. ومن ذراريه أيضا ملوك مرو في الجاهلية، وشهرة مالك تغني عن ذكره.

نسب بني هناءة بن مالك

ومن الأزد بعمان: بنو هناءة بن مالك بن فهم، وقد ذكرنا في العنوان أحوال هناءة بن مالك، وما لهم من الخصال، وأنهم يحيطون بجبل الكور، إحاطة السوار بالمعصم، ولهم بلاد سيت وبلاد الفاقات، وهم في عمان، في عدة بلدان، ولهم بلدة الخوض من وادي سمائل، وهي ثغرة من جهة الباطنة.

وهناءة بن مالك هو الذي لم يزل على يمينة أبيه مالك، أيام تلك الحروب الشوهاء، بين العجم ومالك، ومنها أخذ دروس الحرب، وعليها شب وشاب، وهو الذي تملك بعد أبيه، فكان على وتيرته، وهو أحد الملك الأجلاء الموقرين، في عمان، ومنهم الأمام عبد الله بن محمد بن القرن، من أئمة القرن العاشر، فإن القرون بطن من هناءة بن مالك، وكذلك الربوخ هم من ربخة بن هناءة بن مالك، ومنهم الأمام عمر بن محمد، احدأئمة المسلمين أيام بني نبهان، وكذلك آل الحديد من هناءة ابن مالك وهذه البطون موجودة بعمان، ومنهم الإمام غالب بن علي بن هلال بن زاهر بن غصن، وبقية النسب معروف وموصول إلى مالك بن فهم.

ورئاسة آل هناءة اليوم في أولاد زاهر بن غصن المذكور، وهؤلاء هم ذراري خلف بن مبارك بن القصير

العنبوري الهناوي، ولعل عبد الله بن زاهر هو الرئيس الحالي فيهم.

نسب بني فراهيد بن مالك." (١)

"فأما التهمتهم أسماك البحر، أو أكلتهم سباع البر وطيور الجو... ! ولما أمكنهم بتة أن يضعوا أقدامهم على شبر من تراب الأرض المقدسة. ولكن تقسيم الأمة العربية إلى أجزاء شتى، وإقامة حدود وهمية ليعيش كل جزء معزولا عن أخيه، هو ما جعل لفلسطين قضية خاصة بها. ثم هو ما جعل الأقاليم المحيطة بها تنكب بحكام يتاجرون بقضيتها المحزنة، ويودون التوسع على حسابها. ثم هو ما جعل إنجلترا- أم الخبائث فى ميدان الاستعمار- تبذر بذور الخيانة بين الدول السبعة والجيوش السبعة فإذا الحرب التى وقعت سنة ١٩٤٨ تتمخض عن مهزلة شائنة، وإذا عملاء إنجلترا من الحكام والرؤساء يخوضون هذه الحرب لا ليحموا فلسطين، بل ليخلقوا من العدم إسرائيل... إن ضياع الوحدة العربية وضعف الجامعة الإسلامية فى هذه الفترة العصيبة من تاريخ العرب كانا العون الأكبر للاستعمار على غرس هذا **الخنجر** المسموم فى كياننا، وتركه يعمل عمله الخبيث فى التربص بالعرب والكيد لهم.... لقد كانت الوحدة الجزئية بين مصر وسوريا بداية هائلة لكبح إسرائيل وإذلالها وطى أعلا مها، فكيف لو كانت الوحدة العربية شاملة تضم بقية الأجزاء المفتعلة على هذه الرقعة الواحدة؟. إن إسرائيل كانت ستذوب من تلقاء نفسها. إنها ما كانت لتوجد لو كانت هذه الوحدة قائمة. وما كانت لتبقى لو أن هذه الوحدة نجحت فى اجتياز العقبات التى بثها فى طريقها الخونة والمستعمرون. إلا ما أحكم عظة القرآن الكريم: (و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و اصبروا إن الله مع الصابرين) ٠ (إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون).ص_١٤٩." (٢)

"وقد اعترف المسئولون الأمريكيون أنفسهم بصحة هذه الأرقام فى مناسبات عديدة، فمن ذلك ما أعلنه مستر " أندرسن " وكيل وزارة التجارة فى ١٥ مارس سنة ١٩٥٣ من أن حكومة الولايات المتحدة وشعبها قدما ليهود فلسطين فى هذه المدة الواقعة بين سنتى ١٩٤٨- ١٩٥٢ نحو ألف مليون دولار، هبات وعطايا وقروض. وكذلك أعلن السناتور " رايلى " رئيس لجنة الشئون الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى فى ٢٩ مارس سنة ١٩٥٢ فى خطبة له فى مؤتمر مساعدة إسرائيل، أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر الدولة اليهودية، القاعدة الأساسية للشئون العسكرية والاقتصادية والديمقراطية فى الشرق

---

(١) إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، ص/٢٦

(٢) الإستعمار أحقاد وأطماع، ص/١٥٦

الأوسط... أشار الرئيس "أيزنهاور" فى بيانه إلى " مشكلة فلسطين ومشكلات العلاقات بين إسرائيل والدول العربية ومصير اللاجئين.. " وقال: " إن الولايات المتحدة مستعدة أن تفعل الكثير لمساعدة الأمم المتحدة على حل مشاكل فلسطين الأساسية. إن عرب فلسطين خاصة، والأمة العربية عامة، يعتبرون الولايات المتحدة الأمريكية مسئولة عن كارثتهم العظمى فى فلسطين، ويرون فيها شريكا لبريطانيا فى مقارفة تلك الجريمة الإنسانية التى لم يشهد التاريخ لها مثيلا، فإذا كانت بريطانيا قد مهدت السبيل لارتكاب تلك الجريمة بإصدارها وعد بلفور وبوضعها فلسطين فى ظروف سياسية واقتصادية وإدارية ساعدت على إنشاء الوطن القومى اليهودى، ثم على تحويله إلى دولة يهودية، فإن الولايات المتحدة الأمريكية هى التى نفذت فعلا تلك الجريمة ووضعت **الخنجر** المسموم فى يد القاتل اليهودى الأثيم بمساعداتها السياسية والمالية والعسكرية لليهود أثر الحرب العالمية الثانية، وتأييدها لهم فى الأمم المتحدة، ومجالات السياسة الدولية وبإغداقها عليهم الأموال بغير حساب، فقد وقفت الولايات المتحدة موقفا واضحا فى التحيز لليهود ضد العرب، وبالإضافة إلى الدور الخطير الذى لعبته فى إنشاء الدولة اليهودية بفلسطين على أنقاض أهلها العرب الذين شردوا." (١)

"ذكر مقتل عمر رضي الله عنه قالوا و كان للمغيرة بن شعبة غلام نصراني يقال له أبا لؤلؤة عليه لعاين الله تترى مرة بعد أخرى فجاء إلى عمر يشكوه مولاه المغيرة في ضربه و تثقيل وظائفه و يسأله أن يكلم المغيرة في التخفيف عنه فإنه ذو عيال فقال له عمر اتق الله و رسوله و أطع مولاك ثم لقي المغيرة فأوصاه به خيرا و عاد الغلام شاكيا و سائلا فقال له مثل مقالته الأولى و سأله أن ينصب له رحى فقال الغلام لأنصبن لك رحى يتحدث بها العرب فقال عمر لولا أن الناس يقولون هابه عمر لقلت يوعدني هذا الكلب و ضغن عليه أبو لؤلؤة حيث لم يسامحه المغيرة و ظن ذلك من فعل عمر فاتخذ **خنجرا** له رأسان و المقبض بينهما و أزمع على قتل عمر و رأى عمر تلك الليلة في المنام كأن ديكا أبيض نقره نقرتين فأصبح مهموما و قال ما الديك إلا عجمي و ما النقرة إلا طعنة ثم تطهر و خرج لصلاة الصبح فجاء أبو لؤلؤة الملعون لعنه الله حتى وقف في الصف مما يلي عمر فلما افتتح عمر الصلاة طعنه في خاصرته طعنتين أجافت و خرق أمعاءه فقال عمر رضي الله عنه آه و التأث المسلمون به فحملوه و قبضوا على أبي لؤلؤة الملعون بعدما قتل رجلا أو رجلين و جرح جماعة و قال مروا عبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس فصلى بهم و قرأ

---

(١) الإستعمار أحقاد وأطماع، ص/٢٢٧

في الركعة الأولى بقل يا أيها الكافرون و في الثانية بقل هو الله احد ثم دخل إليه و دخل الناس و جرحه ينبعث دما فقال لابن عباس اخرج فانظر من قتلني فخرج ثم دخل فقال هذا أبو لؤلؤة الملعون النصراني فقال الحمد لله الذي لم يجعل خصمي ذا سجدتين ثم دعا له بطبيب لينظر فسقاه نبيذا فخرج و لم يدر أهو نبيذ أم دم ثم دعا بطبيب آخر فسقاه لبنا فخرج اللبن لبنا فقال أعهد يا أمير المؤمنين فجمع الناس للشورى.

قصة الشورى و موت عمر قالوا فلما أيقن عمر بالموت دعا بعهده و جعل الأمر فيه إلى ستة نفر و هم عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب و سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عوف و الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله ثم جعل معهم عبد الله بن عمر و قال ليس له في الإمارة نصيب و إنما له الاختيار و الرأي و جعل أجل اختيارهم ثلاثة أيام و قال يصلي بالناس صهيب حتى يصطلحوا على أحدهم و أمر عدة من الأنصار أن يستحثوهم على ذلك كيلا يتفرق كلمة المسلمين و قال إن اجتمع ثلاثة على واحد و أبى اثنان فخذوا بقول الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف و كان قال لعبد الله بن عباس اذكر لي من أعهد إليه فقال عثمان فقال ذاك كلف بأقاربه يحمل بني ابن أبي معيط على رقاب الناس قال فعبد الرحمن بن عوف قال مسلم ضعيف و أميرته امرأته قال فسعد قال ذاك فارس يكون في مقنب من مقابنكم قال فالزبير قال مؤمن الرضا كافر الغضب قال فطلحة قال فيه باء وعجب قال فعلي قال فيه دعابة و أنه لأخلقهم أن يحملهم على المحجة ثم جعل الأمر في هؤلاء الستة باختيارهم و قال إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها من غير مشورة فاقتلوه و مات عمر رضي الله عنه و أرضاه يوم الجمعة لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث و عشرين و كان طعن يوم الأربعاء فمكث بعده ثلاثا هذا في رواية الواقدي فلما أخرجوه ليصلي عليه الناس قام علي عند رأسه و قام عثمان عند رجليه فقال عبد الرحمن بن عوف ما أسرع ما اختلفتم تقدم يا صهيب فتقدم فصلى عليه ثم دفنوه في حجرة عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم و أبي بكر رضي الله عنه فانصرفوا عنه و تنازعوا الأمر و اختلفوا فيه و جاءت الأنصار يستحثونهم و بنو هاشم و بنو أمية يخطب كل قوم إلى صاحبهم فقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح إن أردتم أن لا يختلف قريش فولوها عثمان فقام عمار بن ياسر فقال إن أردتم أن لا يختلف الناس فولوها عليا ثم قال لعبد الله بن سعد بن أبي سرح يا فاسق بن فاسق أ أنت ممن تستنصح المسلمين أو يستشيرونك في أمورهم و استسب بنو

هاشم و بنو أمية و ارتفعت الأصوات حتى تخوف الاختلاف فكان في الشورى ثلاثة أيام وعلي يناشدهم بالرحم أن يخرجوه من هذا الأمر فلما كان يوم الثالث بايعوا عثمان.." (١)

" صلى الإله على الذين تتابعوا ... يوم الرجيع فاكرموا واثيبوا ... رأس السرية مرثد وأميرهم ... وابن البكير إمامهم وخبيب ... وابن لطارق وابن دثنة منهم ... وافاه ثم حمامه المكتوب ... والعاصم المقتول عند رجيعهم ... كسب المعالي انه لكسوب ... منع المقادة أن ينالوا ظهره ... حتى يجالد إنه لنجيب ...

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

سرية عمرو بن أمية الضمري

قال الواقدي حدثني ابراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن] عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف (وزاد بعضهم على بعض) قالوا كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة ما أحد يغتال محمدا فانه يمشي في الاسواق فندرك ثارنا فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له إن أنت وفيتني وخرجت اليه حتى أغتاله فإني هاد بالطريق خريت معي **خنجر** مثل خافية النسر قال أنت صاحبنا وأعطاه بعيرا ونمقه وقال اطو أمرك فاني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه الى محمد قال قال العربي لا يعلمه أحد فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا وصبح ظهر الحي يوم سادسه ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أتى المصلى فقال له قائل قد توجه الى بني عبد الاشهل فخرج الاعرابي يقود راحلته حتى انتهى الى بني عبد الاشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله صلى الله عليه و سلم فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده فلما دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لاصحابه ان هذا الرجل يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريده فوقف وقال أيكم ابن عبد المطلب فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحني على رسول الله صلى الله عليه و سلم كأنه يساره فجبذه أسيد بن حضير وقال تنح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وجذب بداخن ازاره فإذا **الخنجر** فقال يا رسول الله هذا غادر فأسقط في يد الاعرابي وقال دمي دمي يا محمد وأخذه أسيد بن حضير يلببه فقال له النبي صلى الله عليه و سلم اصدقني ما أنت وما اقدمك فان معه (نفعك الصدق وان كذبتني فقد اطلعت على ما هممت

(١) البدء والتاريخ، ص/٣١٤

به قال العربي فأنا آمن قال وأنت آمن فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ثم صارا من الغد فقال قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خيٍر لك من ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك ." (١)

" أنت رسول الله والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت ثم اطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان فجعل النبي صلى الله عليه و سلم يتبسم وأقام أياما ثم استأذن النبي صلى الله عليه و سلم فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة ابن أسلم بن حريش أخرجا حتى أتأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه قال عمرو فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بعيرنا وقال لي صاحبي يا عمرو هل لك في أن نأتي مكة فنطوف بالبيت سبعا ونصلي ركعتين فقلت [أنا أعلم بأهل مكة منك انهم اذا أظلموا رشوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و] اني أعرف من الفرس الابلق فأبى علي فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعا وصلينا ركعتين فلما خرجت لقينيٍ معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال عمرو بن أمية واحزناه فنذر بنا أهل مكة فقالوا ما جاء عمرو في خير وكان عمرو فاتكا في الجاهلية فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل قال عمرو فدخلت في غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا في الجبل وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد التيمي يختلي لفرسه حشيشا فقلت لسلمة بن أسلم اذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى اشرف علينا قال فخرجت اليه فطعنته طعنة تحت الثدي بخنجري فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت الى مكاني فدخلت فيه] وقلت لصاحبي لا تتحرك فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك قال عمرو بن أمية الضمري فقال أبو سفيان قد علمنا أنه لم يأت لخير ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فانه كان بآخر رمق فمات ,وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [الى التنعيم] فقال صاحبي يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي ننزله فقلت له أين هو قال هو ذاك مصلوب حوله الحرس فقلت أمهلني وتنح عني فان خشيت شيئا فانح الى بعيرك فاقعد عليه فأت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره الخبر ودعني فاني عالم بالمدينة

---

(١) البداية والنهاية، ٤/٦٩

ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعا حتى استيقظوا فخرجوا في أثري فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها يعني صوتها ثم أهلت عليه التراب برجلي فأخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا وكنت لا أدري مع بقاء نفسي فانطلق صاحبي الى البعير فركبه وأتى النبي صلى الله عليه و سلم فأخبره وأقبلت حتى أشرفت على الغليل غليل ضنجنان فدخلت في غار معي قوسي وأسهمي **وخنجري** فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بني الديل بن بكر أعور طويل يسوق غنما ومعزى فدخل الغار وقال من الرجل فقلت رجل من ." (١)

" ابن اسحاق قال ابن اسحاق والتفت رسول الله صلى الله عليه و سلم الى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الاسلام حين اسلم وهو آخذ بثفر بغلة رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال من هذا قال ابن أمك يا رسول الله قال ابن اسحاق ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الاعراب بما في أنفسهم من الظغن فقال ابو سفيان صخر بن حرب يعني وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الازلام بعد معه يومئذ قال لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية يعني لأمه وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه و سلم ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لئن يربني رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن وقال الامام احمد حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبا اسحاق ابن عبد الله بن ابي طلحة عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والابل والغنم فجعلوها صفوفا يكثرون على رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله ثم قال يا معشر الانصار أنا عبد الله ورسوله قال فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح قال وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ من قتل كافرا فله سلبه قال فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم وقال أبو قتادة يا رسول الله إني ضربت رجلا على حبلأ العاتق وعليه درع له فاجهضت عنه فانظر من أخذها قال فقام رجل فقال أنا أخذتها فارضه منها واعطنيها قال وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يسأل شيئا ألا اعطاه أو سكت فسكت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال عمر والله لا يفئها الله علىاسد من اسد الله ويعطيكها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم صدق عمر قال ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها **خنجر** فقال أبو طلحة ما هذا فقالت

---

(١) البداية والنهاية، ٤/٧٠

إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج في بطنه فقال ابو طلحة اما تسمع ما تقول أم سليم فضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت يا رسول الله اقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا بك فقال إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم وقد روى مسلم منه قصة **خنجر** ام سليم وأبو داود قوله من قتل قتيلا فله سلبه كلاهما من حديث حماد بن سلمة به وقول عمر في هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا أبي ثنا نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوي يا أبا حمزة بسن أي الرجال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ بعث قال ابن اربعين سنة قال ثم كان ماذا قال ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ثم قبضه الله اليه قال بسن أي الرجال هو يومئذ قال كاشب الرجال وأحسنه وأجمله والحمه قال يا ابا حمزة وهل غزوت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم قال نعم غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي ." (١)

" فاتى بقميص كتان فقال ما هذا قالوا كتان قال وما الكتان فاخبروه فنزع قميصه فغسل ورقع واتى به فنزع قميصهم ولبس قميصه فقال له الجلومس انت ملك العرب وهذه البلاد لا تصلح بها الابل فلو لبست شيئا غير هذا وركبت برذونا لكان ذلك اعظم في اعين الروم فقال نحن قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب بغير الله بديلا فاتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه بها فقال احبسوا احبسوا ما كنت ارى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فاتى بجمله فركبه

وقال اسماعيل بن محمد الصفار حدثنا سعدان بن نصر حدثنا سفيان عن ايوب الطائي عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فامسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره فقال له ابو عبيدة قد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند اهل الارض صنعت كذا وكذا قال فصك في صدره وقال اولو غيرك يقولها يا ابا عبيدة انكم كنتم اذل الناس واحقر الناس واقل الناس فاعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العز بغير يذلكم الله

قال ابن جرير وفي هذه السنة اعنى سنة خمس عشرة كانت بين المسلمين وفارس وقعات في قول سيف بن عمر وقال ابن اسحاق والواقدي انما كان ذلك في سنة ست عشرة ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بينهم وذلك حين بعث عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص يامره بالمسير الى المدائن وان

---

(١) البداية والنهاية، ٣٢٧/٤

يخلف النساء والعيال بالعقيق في خيل كثيرة كثيفة فلما تفرغ سعد من القادسية بعث على المقدمة زهرة بن حوية ثم اتبعه بالامراء واحدا بعد واحدا ثم سار في الجيوش وقد جعل هاشم بن عتبة بن ابي وقاص على خلافته مكان خالد بن عرفطة وجعل خالدا هذا على الساقة فساروا في خيول عظيمة وسلاح كثير وذلك لايام بقين من شوال من هذه في جيش من فارس فهزمهم زهرة وذهبت الفرس في هريمتهم الى بابل وبها جمع كثير السنة فنزلوا الكوفة وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن فلقيه بها يصبهرى ممن انهزم يوم القادسية قد جعلوا عليهم الفيرزان فبعث زهرة الى سعد فاعلمه باجتماع المنهزمين ببابل فسار سعد بالجيوش الى بابل فتقابل هو الفيرزان عند بابل فهزمهم كاسرع من لفة الرداء وانهزموا بين يديه فرقتين فرقة ذهبت الى المدائن واخرى سارت الى نهاوند واقام سعد ببابل اياما ثم سار منها نحو المدائن فلقوا جمعا آخر من الفرس فاقتتلوا قتالا شديدا وبارزوا امير الفرس وهو شهريار فبرز اليه رجل من المسلمين يقال له نائل الاعرجي ابو نباتة من شجعان تميم فتجاولا ساعة بالرماح ثم القياها فانتصبا سيفيهما وتصاولا بهما ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما الى الارض فوقع شهريار على صدر أبي نباتة واخرج **خنجرا** ليذبحه بها فوقعت اصبعه في فم ابي نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه واخذ **الخنجر** فذبح شهريار بها واخذ ." (١)

" فاعود خائنا روى ذلك عن الزهري

وقال الواقدي حدثنا ابو حمزة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن ابراهيم عن ابي عمر قال قلت لعائشة من سمى عمر الفاروق امير المؤمنين قالت النبي صلى الله عليه و سلم قال امير المؤمنين هو واول من حياه بها المغيرة بن شعبة وقيل غيره والله اعلم

وقال ابن جرير حدثني احمد بن عبدالصمد الانصاري حدثتني ام عمر وبنت حسان الكوفية وكان قد اتى عليها مائة وثلاثون سنه عن ابيها قال لما ولي عمر قالوا يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر هذا امر يطول بل انتم المؤمنون وانا اميركم فسمي امير المؤمنين

وملخص ذلك ان رضى الله عنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله عز و جل وشكا اليه انه قد كبرت سنه وضعفت قوته وانتشرت رعيته وخاف من التقصير وسال الله ان يقبضه اليه وان يمن عليه بالشهادة في بلد النبي صلى الله عليه و سلم كما ثبت عنه في الصحيح انه كان يقول اللهم اني اسالك شهادة في سبيلك وموتا في بلد رسولك فاستجاب له الله هذا الدعاء وجمع له بين هذين

---

(١) البداية والنهاية، ٦٠/٧

الامرين الشهادة في المدينة النبوية وهذا عزيز جدا ولكن الله لطيف بمن يشاء تبارك وتعالى فاتفق له ان ضربه ابو لؤلؤة فيروز المجوسي الاصل الرومي الدار وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الصبح من يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين فضربه ثلاث ضربات وقيل ست ضربات احداهن تحت سرته قطعت السفاق فخر من قامته واستخلف عبدالرحمن بن عوف ورجع العلج بخنجره لا يمر باحد الا ضربه حتى ضرب ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة فألقى عليه عبدالله بن عوف برنسا فانتحر نفسه لعنه الله وحمل عمر الى منزله والدم يسيل من جرحه وذلك قبل طلوع الشمس فجعل يفيق ثم يغمى عليه ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول نعم ولاحظ في الاسلام لمن تركها ثم صلى في الوقت ثم سال عمن قتله من هو فقالوا له ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يدي رجل يدعي الايمان ولم يسجد لله سجدة ثم قال قبحه الله لقد كنا امرنا به معروفا وكان المغيرة قد ضرب عليه في كل يوم درهمين ثم سأل من عمر ان يزيد في خراجه فانه نجار نقاش حداد فزاد في خراجه الى مائة في كل شهر وقال له لقد بلغني انك تحسن ان تعمل رحا تدور بالهواء فقال ابو لؤلؤة اماوالله لاعملن لك رحا يتحدث عنها الناس فيس المشارق والمغارب وكان هذا يوم الثلاثاء عشية وطعنه صبيحة الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجةواوصى عمر ان يكون الامر شورى بعده في ستة ممن توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو راض عنهم وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير ." (١)

" إني لأذكره يوما فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا ...

وأما صاحب معاوية وهو البرك فأنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذااليوم فضربه بالسيف وقيل بخنجر مسموم فجاءت الضربة في وركه فجرحت إليته ومسك الخارجي فقتل وقد قال لمعاوية اتركني فأني أبشرك ببشارة فقال وما هي فقال إن أخي قد قتل في هذا اليوم علي بن أبي طالب قال فلعله لم يقدرعليه قال بلى إنه لا حرس معه فأمر به فقتل وجاء الطبيب فقال لمعاوية إن جرحك مسموم فاما أن أكويك وأما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك فقال معاوية أماالنار فلا طاقة لي بها وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه واستقل وسلم رضي الله عنه ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع وجعل الحرس حولها في حال السجود فكان أول من اتخذها معاوية لهذه الحادثة

---

(١) البداية والنهاية، ١٣٧/٧

وأما صاحب عمرو بن العاص وهو عمرو بن بكر فأنه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد في ذلك اليوم فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة وهو خارجة بن أبي حبيبة من بني عامر بن لؤي وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجي فقتله وهو يعتقده عمرو بن العاص فلما أخذ الخارجي قال أردت عمرا وأراد الله خارجة فأرسلها مثلا وقتل قبحه الله وقد قيل إن الذي قالها عمرو بن العاص وذلك حين جيء بالخارجي فقال ما هذا قالوا قتل نائبك خارجة ثم أمر به فضربت عنقه

والمقصود أن عليا رضي الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الامارة بالكوفةخوفا عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته هذا هو المشهور ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدري أين ذهب فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة حكاه الخطيب البغدادي عن ابي نعيم الحافظ عن ابي بكر الطلحي عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ عن مطر أنه قال لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة هذا قبر المغيرة بن شعبة قال الواقدي حدثني ابو بكر ابن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر كم كان سن علي يوم قتل قال ثلاثا وستين سنة قلت أين دفن قال دفن بالكوفة ليلا وقد غبى عن دفنه وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانية وخمسين سنة وقد قيل إن عليا دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة قاله الواقدي والمشهور بدار الامارة وقد حكى الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دكين أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع ." (١)

" ابن معاوية يوما فغنت الجارية فلما سمعها يزيد افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية فبعث يزيد رجلا من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية فقدم الرجل المدينة ونزل جواز ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفا كثيرة وأنس به ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد وكان الحسن البصري يذم ابن جعفر على سماعه الغنى واللهو وشرائه المولدات ويقول أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها حتى زوج الحجاج بنت رسول الله (

---

(١) البداية والنهاية، ٣٣٠/٧

ص) وكان الحجاج يقول إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب وقيل إنه لم يصل إليها وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها أسند عبد الله ابن جعفر ثلاثة عشر حدينا

أبو ادريس الخولاني

اسمه عائذ الله بن عبد الله له أحوال ومناقب كان يقول قلب نقي في ثياب دنسه خير من قلب دنس في ثياب نقية وقد تولى القضاء بدمشق وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل

معبد الجهني القدري

يقال إنه معبد بن عبد الله بن عليم راوي حديث لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب وقيل غير ذلك في نسبه سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم وشهد يوم التحكيم وسأل أبا موسى في ذلك ووصاه ثم اجتمع بعمرو بن العاص فوصاه في ذلك فقال له أيها يا تيس جهنة ما أنت من أهل السر والعلانية وإنه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل وهذا توسم فيه من عمرو بن العاص ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له سوس وأخذ غيلان القدر من معبد وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ووثقه ابن معين وغيره في حديثه وقال الحسن البصري إياكم ومعبدا فإن ضال مضل وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله وقال سعيد بن عفير بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله وقال خليفة بن خياط مات قبل التسعين فالله أعلم وقيل إن الأقرب قتل عبد الملك له والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم دخلت سنة احدى وثمانين

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة وفيها قتل بكير بن وشاح قتله بجير بن ورقاء الصريمي وكان بكير من الأمراء الشجعان ثم ثار لبكير ابن وشاح رجل من قومه يقال له صعصعة بن حرب العوفي الصريمي فقتل بجير بن ورقاء الذي قتل بكيرا طعنه **بخنجر** وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فحمل إلى منزله وهو بآخر رمق فبعث ." (١)

" بما فيه من الامتعة العظيمة والاواني من الذهب والفضة والنساء والصبيان من الاتراك ومن معهم من الاسارى من المسلمات وغيرهم مما لا يجد ولا يوصف لكثرته وعظمة وقيمته وحسنه غير ان خاقان لما

(١) البداية والنهاية، ٣٤/٩

احس بالهلاك ضرب امرأته **بخنجر** فقتلها فوصل المسلمون الى المعسكر وهي في آخر رمق تحرك ووجدوا قدورهم تغلي باطعماتهم وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها فاتفق انه لعب بالنرد مع بعض الامراء فغلبه الامير فتوعد خاقان بقطع اليد فحنق عليه ذلك الامير ثم عمل على قتله فقتله وتفرقت الاتراك يعدو بعضهم على بعض وينهب بعضم بعضا وبعث اسد الى اخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان وبعث اليه بطبول خاقان وكانت كبارا لها اصوات كالرعد وبشيء كثير من حواصله وامتعته فأوفدها خالد الى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحا شديدا واطلق للرسل اموالا جزيلة كثيرة من بيت المال وقد قال بعض الشعراء فـي اسد يمدحه على ذلك ... لو سرت في الالرض تقيس الارضا ... تقيس منها طولها وعرضها ... لم تلق خيرا إمرة ونقضا ... من الأمير اسد وأمضى ... افضى الينا خيرا حتى افضا ... وجمع الشمل وكان ارفضا ... ما فاته خاقان الا ركضا ... قد فضا من جموعه ما فضا ... يا ابن شريح قد لقيت حمضا ... حمضا به تشفى صداع المرضى ...

وفيها قتل خالد بن عبد القسري المغيرة بن سعيد وجماعة من اصحابه الذين تابعوه على باطله وكان هذا الرجل ساحرا فاجرا شيعيا خبيثا قال ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا جرير عن الاعمش قال سمعت المغيرة بن سعيد ديقول لو اراد ان يحيى عاد وثمودا وقرونا بين ذلك لاحياهم قال الاعمش وكان المغيرة هذا يخرج الى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور او نحو هذا من الكلام وذكر ابن جرير له غير ذلك من الاشياء التي تدل على سحره وفجوره ولما بلغ خالدا امره امر باحضاره فجيء به في ستة نفر او سبعة نفر فأمر خالد فأبرز سريره الى المسجد وامر باحضار اطناب القصب والنفط فصب فوقها وأمر المغيرة ان يحتضن طنبا منها فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنبا واحدا وصب فوق رأسه النفط ثم اضرم بالنار وكذلك فعل ببقية اصحابه

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ويلقب بكثارة واتبعه جماعات من الخوارج دون المائة وقصدوا قتل خالد القسري فبعث اليهم البعوث فكسروا الجيوش واستفحل امرهم جدا لشجاعتهم وجلدهمن وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش فردوا العساكر من الالوف المؤلفة ذوات الاسلحة والخيل المسومة هذا وهم لم يبلغوا المائة ثم انهم راموا قدوم الشام لقتل الخليفة ." (١)

---

(١) البداية والنهاية، ٣٢٣/٩

" متواليات وقال إلى متى نعبد هذا الحجر ولا محمد ولا على مما أفعله فانى أهدم اليوم هذا البيت ن وجعل يرتعد فاتقاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه وذلك لأنه كان رجلا طوالا جسما أحمر اللون أشقر الشعر وعلى باب الجامع جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن يريد منعه من هذا الفعل وأراده بسوء فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه **خنجر** فوجأه بها ن وتكاثر الناس عليه فقتلوه وقطعوه قطعا وحرقوه بالنار وتتبعوا أصحابه فقتلوا منهم جماعة ونهبت أهل مكة الركب المصري وتعدى النهب إلى غيرهم وجرت خبطة عظيمة وفتنة كبيرة جدا ثم سكن الحال بعد أن تتبع أولئك النفر الذين تمالؤا على الالحاد في أشرف البلاد غير انه قد سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل الخشخاش فأخذ بنوشيبة تلك الفلق فعجنوها بالمسك واللك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت فاستمسك الحجر وأستمر على ما هو عليه الآن وهو ظاهر لمن تأمله وفيها فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك أبو على الحسن وزير شرف الملك بواسط ورتب له الخزان والأشربة والأدوية والعقاقير وغير ذلك مما يحتاج إليه وفيها توفي من الأعيان

ابن البواب الكاتب

صاحب الخط المنسوب على بن هلال أبو الحسن ابن البواب صاحب أبي الحسين بن سمعون الواعظ وقد أثنى على ابن البواب غير واحد في دينه وأمانته وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها وخطه أوضح تعريبا من خط ابى على بن مقلة ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل قال ابن الجوزي توفي يوم السبت ثاني جمادى الآخرة منها ودفن بمقبرة باب حرب وقد رثاه بعضهم بأبيات منها قوله ... فللقلوب التي أبهجتها حرق ... وللعيون التي أقررتها سهر ... فما لعيش وقد ودعته أرج ... وما لليل وقد فارقته سحر ... قال ابن خلكان ويقال له الستري لأن أباه كان ملازما لستر الباب ويقال له ابن البواب وكان قد أخذ الخط عن عبدالله بن محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزار وقد سمع أسد هذا على النجاد وغيره وتوفي سنة عشر وأربعمائة وأما ابن البواب فإنه توفي في جمادى الأولى من هذه السنة وقبل في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وقد رثاه بعضهم فقال ... استشعرت الكتاب فقدك سالفا ... وقضت بصحة ذلك الأيام ... فذلك سودت الدوي كآبة ... أسفا عليك وشقت الأقلام ... ثم ذكر ابن خلكان أول من كتب العربية فقال إسماعيل عليه السلام وقيل أول من ." (١)

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/١٤

" من أهل الحق والخير وأنه قد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك وأن الحلاج قد قتل بإجماع علماء أهل عصره على زندقته وأنهم كانوا مصيبين في قتله وما رموه به وهو مخطئ واشد عليه جماعة من الكتاب ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر فسلم عليه وصالحه واعتذر إليه فعظمه وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه كان السلطان قد سار في أول هذه السنة يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمي فأوقف بين يديه فشرع يعاتبه في أشياء صدرت منه ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها فقال للسلطان يا مخنث ومثلي يقتل هكذا فاحتد السلطان من ذلك وأمر بإرساله وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطاه وأقبل يوسف نحو السلطان فنهض السلطان عن السرير خوفا منه فنزل عنه فعثر فوقع فأدركه يوسف فضربه بخنجر كان معه في خاصرته فقتله وأدرك الجيش يوسف فقتلوه وقد جرح السلطان جرحا منكرا فتوفي في يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة ويقال إن أهل بخارى لما اجتاز بهم نهب عسكره أشياء كثيرة لهم فدعوا عليه فهلك ولما توفي جلس ولده ملكشاه على سرير الملك وقام الأمراء بين يديه فقال له الوزير نظام الملك تكلم أيها السلطان فقال الأكبر منكم أبي والأوسط أخي والأصغر ابني وسأفعل معكم ما لم أسبق إليه فأمسكوا فأعاد القول فأجابوه بالسمع والطاعة وقام بأعباء أمره الوزير نظام الملك فزاد في أرزاق الجند سبعمائة ألف دينار وسار إلى مرو فدفنوا بها السلطان ولما بلغ موته أهل بغداد أقام الناس له العزاء وغلقت الأسواق وأظهر الخليفة الجزع وخلعت ابنة السلطان زوجة الخليفة ثيابها وجلست على التراب وجاءت كتب ملكشاه إلى الخليفة يتأسف فيها على والده ويسأل أن تقام له الخطبة بالعراق وغيرها ففعل الخليفة ذلك وخلع ملكشاه على الوزير نظام الملك خلعا سنية وأعطاه تحفا كثيرة من جملتها عشرون ألف دينار ولقبه أتابك الجيوش ومعنه الأمير الكبير الوالد فسار سيرة حسنة ولما بلغ قاورت موت أخيه ألب أرسلان ركب في جيوش كثيرة قاصدا قتال ابن أخيه ملكشاه فالتقيا فاقتتلا فانهزم أصحاب قاورت وأسر هو فأنبه ابن أخيه ثم اعتقله ثم أرسل إليه من قتله وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلايين فاقتتلوا فقتل منهم خلق كثير واحترق جانب كبير من الكرخ فانتقم المتولي لأهل الكرخ من أهل باب البصرة فأخذ منهم أموالا كثيرة جناية لهم على ما صنعوا وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس وفيها ملك صاحب سمرقند وهو محمد التكين مدينة ترمذ وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوي ." (١)

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/١٠٦

" محمد بن علي بن المطلب

أبو سعد الأديب كان قد قرأ النحو والأدب واللغة والسير وأخبار الناس ثم أقلع عن ذلك كله وأقبل على كثرة الصلاة والصدقة والصوم إلى أن توفي في هذه السنة عن ست وثمانين سنة رحمه الله

محمد بن طاهر العباسي

ويعرف بابن الرجيحي تفقه على ابن الصباغ وناب في الحكم وكان محمود الطريقة وشهد عند ابن الدامغاني فقبله

منصور بن دبيس

ابن علي بن مزيد أبو كامل الأمير بعد سيف الدولة كان كثير الصلاة والصدقة توفي في رجب من هذه السنة وقد كان له شعر وأدب وفيه فضل فمن شعره قوله ... فإن أنا لم احمل عظيما ولم أقد ... لهاما ولم أصبر على كل معظم ... ولم أحجز الجاني وامنع جوره ... غداة أنادي للفخار وأنتمي ... فلا نهضت لي همة عربية ... إلى المجد ترقى بي ذرى كل محرم ... هبة الله بن أحمد بن السيبي

(قاضي الحريم بنهر معلى) ومؤدب الخليفة المقتدي بأمر الله سمع الحديث وتوفي في محرم في هذه السنة وقد جاوز الثمانين وله شعر جيد فمنه قوله

... رجوت الثمانين من خالقي ... لما جاء فيها عن المصطفى ... فبلغنيها فشكرا له ... وزاد ثلاثا بها إذوفا ... وإني لمنتظر وعده ... لينجزه لي فعل أهل الوفا ...

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

وفيها كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه **بخنجر** كانت معه فسار السلطان ملكشاه من اصبهان إلى حلب فملكها وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها مثل حران والرها وقلعة جعبر وكان جعبر شيخا كبيرا قد عمي وله ولدان وكان قطاع الطريق يلجأون إليها فيتحصنون بها فراسل السلطان سابق بن جعبر في تسليمها فامتنع عليه فنصب عليها المناجيق والعرادات ففتحها وأمر بقتل سابق فقالت زوجته لا تقتله حتى تقتلني معه فألقاه من رأسها فتكسر ثم أمر بتوسيطهم بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت فلامها بعض الناس فقالت كرهت أن يصل إلي التركي فيبقى ذلك عارا علي فاستحسن منها ذلك واستناب السلطان

على حلب قسيم الدولة اقسنقر التركي وهو جد نور الدين الشهيد واستناب على الرحبة وحران والرقة وسروج والخابور ." (١)

" فهرب منه كلب فاتبعه إلى رأس الجبل فوجده وكان معه رجل من رسل الروم فقال الرومي لو كان هذا الجبل ببلادنا لا تخذنا عليه قلعة فحدا هذا الكلام السلطان إلى ابتني في رأسه قلعة انفق عليها ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبد الله بن عطاء فتعب المسلمون بسببها فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنا وقطع رأسه وطاف به في الأقاليم ثم نقض هذه القلعة حجرا حجرا والقت إمرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت وهلك ما كان معها من الجواهر النفسية وكان الناس يتشاءمون بهذه القلعة يقولون كان دليلها كلبا والمشير بها كافرا والتمحصن بها زنديقا وفيها وقعت حروب كثيرة بين بني خفاجة وبين بني عبادة فقهرت عبادة خفاجة وأخذت بثأرها المتقدم منها وفيها أستحوذ سيف الدولة صدقة على مدينة تكريت بعد قتال كثير وفيها أرسل السلطان محمد الأمير جاولي سقاوو إلى الموصل وأقطعه إياها فذهب فأنتزعها من الأمير جكرمش بعد ما قاتله وهزم اصحابه وأسره ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلا وأحسانا ثم أقبل قلج ارسلان بن قتلمش فحاصر الموصل فانتزعها من جاولي فصار حاولي إلى الرحبة فأخذها ثم أقبل إلى قتال قلج فكسره والقى قلج نفسه في النهر الذي للخابور فهلك وفيها نشأت حروب بين الروم والفرنج فاقتتلوا قتالا عظيما ولله الحمد وقتل من الفريقين طائفة كبيرة ثم كانت الهزيمة على الفرنج ولله الحمد رب العالمين

قتل فخر الملك أبو المظفر

وفي يوم عاشوراء منها قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك وكان أكبر أولاد أبيه وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور وكان صائما قتله باطني وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن علي وهو يقول له عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة فأصبح متعجبا فنوى الصوم ذلك اليوم وأشار إليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل فما خرج إلا في آخر النهار فرأى شابا يتظلم وفي يده رقعة فقال ما شانك فناوله الرقعة فبينما هو يقرؤها إذ ضربه بخنجر بيده فقتله فأخذ الباطني فرفع إلى السلطان فقرره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك وكان كاذبا فقتل وقتلوا ايضا وفي رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/١٣٠

أبا القاسم على بن جهير وخرب داره التي كان قد بناها أبوه من خراب بيوت الناس فكان في ذلك عبرة وموعظة لذوي البصائر والنهى واستنيب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغاني ومعه آخر وحج بالناس فيها الأمير تركمان واسمه اليرن من جهة الأمير محمد بن ملكشاه ." (١)

" سبب خروج بيدمر من القلعة وصفة ذلك

لما كان يوم الاحد الثامن والعشرين منه أرسل قضاة القضاة ومعهم الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي والشيخ سراج الدين الهندي الحنفي قاضي العسكر المصري للحنفية إلى بيدمر ومن معه ليتكلموا معهم في الصلح لينزلوا على ما يشترطون قبل أن يشرعوا في الحصار والمجانيق التي قد استدعى بها من صغد وبعلبك واحضر من رجال النقاعين نحو من ستة آلاف رام فلما اجتمع به القضاة ومن معهم واخبروه عن السلطان وأعيان الامراء بأنهم قد كتبوا له أمانا إن أناب إلى المصالحة فطلب أن يكون بأهله ببيت المقدس وطلب أن يعطى منجك كذا بناحية بلاد سيس ليسترزق هنالك وطلب استدمر ان يكون بشمقدارا للأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي فرجع القضاة إلى السلطان ومعهم الامير زين الدين جبريل الحاجب كان فاخبروا السلطان والأمراء بذلك فأجيبوا إليه وخلع السلطان والأمراء على جبريل خلعا فرجع في خدمة القضاة ومعهم الامير استبغابن الابوبكري فدخلوا القلعة وباتوا هنالك كلهم وانتقل الامير بيدمر باهله واثاثه إلى داره بالمطرزين فلما اصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلعة ومعهم جبريل فدخل القضاة وسلموا القلعة بما فيها من الحواصل إلى الأمير استبغابن الابوبكري انتهى

دخول السلطان محمد بن الملك امير حاج بن الملك محمد ابن الملك قلاوون إلى دمشق في جيشه وأمرائه

لما كان صبيحة يوم الإثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة رجع القضاة إلى الوطاق الشريف وفي صحبتهم الأمراء لاذين كانوا بالقلعة وقد أعطوا الامان من جهة السلطان ومن معهم وذويهم فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون فخلع على القضاة الاربعة وانصرفوا راجعين مجبورين وأما الأمراء المذكورون فإنهم أركبوا على خيل ضعيفة وخلف كل واحد منهم وساقي أخذ بوسطه قبل وفي يد كل واحد من الوساقية خنجر كبير مسلول لئلا يستنقذه منه أحد فيقتله بها فدخل جهرة بين الناس ليروهم ذلتهم التي قد لبستهم وقد أحدق الناس بالطريق من كل جانب فقام كثير من الناس الله أعلم بعدتهم إلا أنهم قد يقاربون

(١) البداية والنهاية، ١٢/١٦٧

المائة ألف أو يزيدون عليها فرأى الناس منظرا فظيعا فدخل بهم الوساقية الى الميدان الاخضر الذي فيه القصر فاجلسوا هنالك وهم ستة نفر الثلاثة النواب وجبريل وابن استدمر وسادس وظن كل منهم أن يفعل بهم فاقرة فانا لله وإنا إليه راجعون وأرسلت الجيوش داخلة إلى دمشق أطلابا في تجمل عظيم ولبس الحرب بنهر النصر وخيول وأسلحة ورماح ثم دخل السلطان في آخر ذلك كله بعد العصر بزمن وعليه ." (١)

"سرية عمرو بن أمية الضمري على إثر مقتل خبيب

قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري، وعبد الله بن جعفر، عن عبد الواحد بن أبي عون وزاد بعضهم على بعض، قالوا: كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: ما أحد يغتال محمدا ؟ فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا ؟ فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله، وقال له: إن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله، فإني هاد بالطريق خريت، معي **خنجر** مثل خافية النسر. قال: أنت صاحبنا. وأعطاه بعيرا ونفقة، وقال: اطو أمرك ؛." (٢)

"فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد. قال: قال العربي: لا يعلمه أحد. فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا، وصبح ظهر الحرة صبح سادسة، ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى، فقال له قائل: قد توجه إلى بني عبد الأشهل. فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته، ثم أقبل يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجده في جماعة من أصحابه، يحدث في مسجده، فدخل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: إن هذا الرجل يريد غدرا، والله حائل بينه وبين ما يريده. فوقف وقال: أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن عبد المطلب فذهب يجنئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يساره، فجبذه أسيد بن حضير وقال: تنح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجذب بداخلة إزاره، فإذا **الخنجر**، فقال: يا رسول الله، هذا غادر. فأسقط في يد الأعرابي، وقال: دمي دمي يا محمد. وأخذ أسيد بن حضير يلببه،

---

(١) البداية والنهاية، ٢٨٦/١٤

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٥١٧/٥

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اصدقني، ما أنت وما أقدمك ؟ فإن صدقتني نفعك الصدق، وإن كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به. قال العربي: فأنا آمن ؟ قال: فأنت آمن." (١)

"أمسوا انفجعوا بأفنيتهم، فأبى علي فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعا وصلينا ركعتين، فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال: عمرو بن أمية ! وأخبر أباه فنذر بنا أهل مكة فقالوا: ما جاء عمرو في خير. وكان عمرو فاتكا في الجاهلية، فحشد أهل مكة وتجمعوا، وهرب عمرو، وسلمة وخرجوا في طلبهما، واشتدوا في الجبل. قال عمرو: فدخلت غارا فتغيبت عنهم حتى أصبحت، وباتوا يطلبوننا في الجبل، وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا، فلما كان الغد ضحوة، أقبل عثمان بن مالك بن عبيد التيمي يختلي لفرسه حشيشا، فقلت لسلمة بن أسلم: إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا. فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا. قال: فخرجت إليه فطعنته طعنة تحت الثدي **بخنجري** فسقط وصاح، فأسمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم، ودخلت الغار، وقلت." (٢)

"لصاحبي: لا تتحرك. فأقبلوا حتى أتوه، وقالوا: من قتلك ؟ قال: عمرو بن أمية الضمري. فقال أبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأت لخير. ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا، فإنه كان بآخر رمق فمات، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم، فحملوه، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى خرجنا، فقال صاحبي: يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي ننزله ؟ فقلت له: أين هو ؟ قال: هو ذاك مصلوب، حوله الحرس. فقلت: أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئا فانح إلى بعيرك فاقعد عليه، فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ودعني، فإني عالم بالمدينة. ثم اشتددت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري، فما مشيت به إلا عشرين ذراعا حتى استيقظوا، فخرجوا في أثري فطرحت الخشبة، فما أنسى وقعها دب - يعني صوتها - ثم أهلت عليه التراب برجلي، فأخذت طريق الصفراء، فأعيوا ورجعوا، وكنت لا أدرك مع بقاء نفس، فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، وأقبلت حتى أشرفت على الغميم غميم ضجنان فدخلت في غار معي قوسي وأسهمي **وخنجري**، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بني بكر من بني الديل." (٣)

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٥/٥١٨

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٥/٥٢٠

(٣) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٥/٥٢١

"مدخولا، وكانت الأزلام معه يومئذ -: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا بطل السحر اليوم. فقال له صفوان: اسكت، فض الله فاك، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم، فجعلوها صفوفا يكثرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله ". ثم قال: " يا معشر الأنصار، أنا عبد الله ورسوله " قال: فهزم الله المشركين، ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: " من قتل كافرا فله سلبه ". قال: فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم. وقال أبو قتادة: يا رسول الله، إني ضربت رجلا على حبل العاتق وعليه درع له، فأجهضت عنه، فانظر من أخذها. قال: فقام رجل فقال: أنا أخذتها، فأرضه منها وأعطنيها. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: والله لا يفيئها الله على أسد من أسد الله ويعطيكها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صدق عمر ". قال: ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها **خنجر**، فقال أبو طلحة: ما هذا؟ فقالت: إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج به بطنه. فقال أبو طلحة: أما تسمع ما تقول أم سليم؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، اقتل من بعدنا من الطلقاء؛ انهزموا بك. فقال: " إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم ".

وقد روى مسلم منه قصة **خنجر** أم سليم، وأبو داود قوله:من قتل قتيلا فله سلبه كلاهما من حديث حماد بن سلمة به. وقول عمر في هذا مستغرب، والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا أبي، ثنا نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك قال:فقال العلاء بن زياد العدوي: يا أبا حمزة بسن أي الرجال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بعث؟ فقال: ابن أربعين." (١)

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٨/٧

"لأيام بقين من شوال من هذه السنة، فنزلوا الكوفة، وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن، فلقيه بها بصبهرى في جيش من فارس، فهزمهم زهرة، وذهبت الفرس في هزيمتهم إلى بابل، وبها جمع كثير ممن انهزم يوم القادسية، قد جعلوا عليهم الفيرزان، فبعث زهرة إلى سعد، فأعلمه باجتماع المنهزمين ببابل، فسار سعد بالجيوش إلى بابل، فتقابل هو والفيرزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لفة الرداء، وانهزموا بين يديه فرقتين، ففرقة ذهبت إلى المدائن، وأخرى سارت إلى نهاوند، وأقام سعد ببابل أياما، ثم سار منها نحو المدائن فلقوا جمعا آخر من الفرس، فاقتتلوا قتالا شديدا وبارزوا أمير الفرس، وهو شهريار، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له: نايل الأعرجي أبو نباتة من شجعان بني تميم فتجاولا ساعة بالرماح، ثم ألقياها فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما، ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض، فوقع شهريار على صدر أبي نباتة، وأخرج خنجرا ليذبحه بها، فوقعت أصبعه في فم أبي نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه، وأخذ الخنجر فذبح شهريار بها وأخذ فرسه وسواريه وسلبه، وانكشف أصحابه فهزموا، فأقسم سعد على نايل ليلبس سواري شهريار وسلاحه، وليركبن فرسه إذا كان حرب، فكان يفعل ذلك، قالوا: وكان أول من تسور بالعراق. وذلك بمكان يقال له كوثى. وزار المكان الذي حبس فيه الخليل، وصلى عليه وعلى سائر الأنبياء، وقرأ: وتلك الأيام نداولها بين الناس الآية [آل عمران: ١٤٠].

وقعة بهرسير.

قالوا: ثم قدم سعد زهرة بين يديه من كوثى إلى بهرسير، فمضى إلى." (١)

"وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله، عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته، وانتشرت رعيته وخاف من التقصير، وسأل الله أن يقبضه إليه، وأن يمن عليه بالشهادة في بلد النبي، صلى الله عليه وسلم، كما ثبت عنه في " الصحيح " أنه كان يقول: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك، وموتا في بلد رسولك. فاستجاب الله له هذا الدعاء، وجمع له بين هذين الأمرين؛ الشهادة في المدينة النبوية. وهذا عزيز جدا، ولكن الله لطيف لما يشاء، تبارك وتعالى. فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل، الرومي الدار، وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الصبح من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين، فضربه ثلاث ضربات، وقيل: ست ضربات. إحداهن تحت سرته قطعت الصفاق فخر

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٦٦٧/٩

من قامته، واستخلف عبد الرحمن بن عوف، ورجع العلج **بخنجره** لا يمر بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنسا فانتحر نفسه، لعنه الله، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه – وذلك قبل طلوع الشمس – فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول: نعم، ولا حظ في الإسلام لمن تركها. ثم صلى في الوقت، ثم سأل عمن قتله من هو ؟ فقالوا له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يدي رجل يدعي الإيمان، ولم يسجد لله سجدة. ثم قال: قبحه الله، لقد كنا." (١)

"ونحن كرام في الهياج أعزة إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا

وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين في زمن التابعين، وهو عمران بن حطان – وكان أحد العباد ممن يروي عن عائشة في " صحيح البخاري " – فقال فيه:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

وأما صاحب معاوية – وهو البرك – فإنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم، فضربه بالسيف، وقيل: **بخنجر** مسموم. فجاءت الضربة في وركه فجرحت أليته، ومسك الخارجي فقتل، وقد قال لمعاوية: اتركني فإني أبشرك ببشارة. فقال: وما هي ؟ فقال: إن أخي قد قتل في هذه الليلة علي بن أبي طالب قال: فلعله لم يقدر عليه. قال: بلى، إنه لا حرس معه. فأمر به فقتل، وجاء الطبيب إلى معاوية فقال: إن جرحك مسموم ؛ فإما أن أكويك وإما أن أسقيك شربة فيذهب السم، ولكن ينقطع نسلك. فقال معاوية: أما النار فلا طاقة لي بها، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني. فسقاه شربة، فبرأ من ألمه وجراحه، وانقطع النسل وسلم من ذلك، رضي الله عنه. ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع، وجعل الحرس حولها في حال السجود، فكان أول من اتخذها معاوية ؛ لهذه الحادثة.." (٢)

"ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ففيها: فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا، وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة، وفيها قتل بكير بن وشاح ؛ قتله بحير بن ورقاء الصريمي، وكان بكير من الأمراء الشجعان، ثم ثار لبكير بن وشاح

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٠/١٨٩

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١١/١٩

رجل من قومه يقال له: صعصعة بن حرب العوفي الصريمي. فقتل بحير بن ورقاء الذي قتل بكيرا ؛ طعنه **بخنجر**، وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة، فحمل إلى منزله وهو بآخر رمق، فبعث المهلب بصعصعة إليه، فلما تمكن منه بحير بن ورقاء قال: ضعوا رأسه عند رجلي. فوضعوه، فطعنه بحير بحربته حتى قتله، ومات على إثره. وقد قال له أنس بن طارق: اعف عنه، فقد قتلت بكير بن وشاح. فقال: لا والله، لا أموت وهذا حي. ثم قتله. وقد قيل: إنه إنما قتل بعد موته، فالله أعلم.

فتنة ابن الأشعث

قال أبو مخنف: كان ابتداؤها في هذه السنة. وقال الواقدي: في سنة." (١)

"ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

وفيها جرت كائنة غريبة، ومصيبة عظيمة، وهي أن رجلا من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء، وذلك أنه لما كان يوم الجمعة وهو يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليقبله، فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات، وقال: إلى متى يعبد هذا الحجر ؟ ولا محمد ولا علي يمنعني مما أفعله، فإني أهدم اليوم هذا البيت، وجعل يرتعد، فاتقاه أكثر الحاضرين، وتأخروا عنه ؛ وذلك أنه كان رجلا طوالا جسيما، أحمر اللون، أشقر الشعر، وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن أراده بسوء، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه **خنجر**، فوجأه بها، وتكاثر عليه الناس، فقتلوه وقطعوه قطعا وحرقوه، وتتبعوا أصحابه، فقتل منهم جماعة، ونهبت أهل مكة ركب المصريين، وتعدى النهب إلى غيرهم أيضا، وجرت خبطة عظيمة وفتنة كبيرة جدا، ثم سكن الحال بعد أن تتبع أولئك النفر الذين تمالئوا على الإلحاد في أشرف البلاد، غير أنه سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار، وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة، محببا مثل الخشخاش، فأخذ." (٢)

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٢/٣٠٥

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٥/٥٩٣

"ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة

في يوم الخميس حادي عشر المحرم حضر إلى الديوان أبو الوفا علي بن محمد بن عقيل العقيلي الحنبلي، وقد كتب على نفسه كتابا يتضمن توبته من الاعتزال ومخالطة أهله، وأنه رجع عن اعتقاد كون الحلاج من أهل الخير، وقد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك، وأنه قد قتل بإجماع علماء أهل عصره، وقد كانوا مصيبين وهو مخطئ، وشهد عليه جماعة في الكتاب، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر، فسلم عليه وصالحه واعتذر إليه، وعظمه، ولله الحمد والمنة.

وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه

كان السلطان قد سار في أول هذه السنة في مائتي ألف مقاتل يريد غزاة ما وراء النهر فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له: يوسف الخوارزمي، فأوقف بين يديه فشرع يعاتبه في أشياء صدرت منه، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها، فقال للسلطان: يا مخنث أمثلي يقتل هكذا؟ فاحتد السلطان من ذلك، وأمر بإرساله، وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطأه، وأقبل يوسف نحو السلطان فنهض السلطان عن السرير، فنزل فعثر، فوقع فأدركه يوسف فضربه **بخنجر** كان في يده في خاصرته، وأدركه الجيش فقتلوه، وقد جرح السلطان جرحا منكرا، فتوفي في يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة ويقال إن أهل بخارا." (١)

"ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

وفيها كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه **بخنجر** كانت معه فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب فملكها، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها وهي حران والرها وقلعة جعبر، وكان جعبر شيخا كبيرا قد عمي وله ولدان، وكان قطاع الطريق يلجئون إليها فيتحصنون بها فراسل السلطان جعبر بن سابق في تسليمها فامتنع عليه، فنصب عليها المجانيق والعرادات ففتحها وأمر بقتل صاحبها سابق، فقالت زوجته لا تقتله حتى تقتلني معه فألقاه من ورائها فتكسر، ثم أمر بتوسيطه بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت، فلامها بعض الناس في ذلك فقالت: كرهت أن يصل إلي التركي فيبقى ذلك عارا علي. فاستحسن منها

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٦/٣٧

ذلك واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة آق سنقر التركي وهو جد نور الدين الشهيد واستناب على الرحبة وحران." (١)

"من الفريقين طائفة كبيرة ثم كانت الهزيمة بعد كل حساب على الفرنج.

وفي يوم عاشوراء منها قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك، وكان أكبر أولاده، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور، وكان صائما، قتله باطني، وكان قد رأى في تلك الليلة: الحسين بن علي وهو يقول له: عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة، فأصبح متعجبا فنوى الصوم ذلك اليوم، وأشار عليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل، فما خرج إلا في آخر النهار، فرأى شابا يتظلم وفي يده رقعة، فقال: ما شأنك ؟ فناوله الرقعة، فبينما هو يقرؤها إذ ضربه **بخنجر** بيده فقتله، فأخذ الباطني فرفع إلى السلطان فقرره، فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك - وكان كاذبا - فقتل وقتلوا أيضا.

وفي صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم علي بن جهير وخرب داره التي كان قد بناها أبوه من خراب بيوت الناس، فكان في ذلك عبرة وموعظة لذوي البصائر والنهى، واستنيب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغاني.

وحج بالناس في هذه السنة تركماني من جهة السلطان محمد بن ملكشاه.

ومن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن المظفر أبو المظفر الخوافي الفقيه الشافعي قال ابن خلكان: كان أنظر أهل زمانه، تفقه على إمام الحرمين، وكان أوجه تلامذته." (٢)

"بشمقدار للأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي، فرجع القضاة إلى السلطان، ومعهم الأمير زين الدين جبريل الحاجب - كان - فأخبروا السلطان والأمراء بذلك، فأجيبوا إلى ما طلبوا، وخلع السلطان والأمراء على جبريل خلعا، فرجع في خدمة القضاة، ومعهم الأمير أسنبغا بن الأبو بكري، فدخلوا القلعة، وباتوا هنالك كلهم، وانتقل الأمير بيدمر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطرزين، فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلعة ومعهم جبريل، فدخل القضاة، وسلموا القلعة بما فيها من الحواصل إلى

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٠٢/١٦

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٩٦/١٦

الأمير سيف الدين أسنبغا بن الأبوبكري.

دخول السلطان محمد ابن الملك أمير حاج ابن الملك محمد ابن الملك قلاوون إلى دمشق في جيشه وأمرائه

لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة رجع القضاة إلى الوطاق الشريف، وفي صحبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلعة، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم وذويهم، فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون، فخلع على القضاة الأربعة، وانصرفوا راجعين مجبورين، وأما الأمراء المذكورون فإنهم أركبوا على خيل ضعيفة، وخلف كل واحد منهم وشاقي آخذ بوسطه، قيل: وفي يد كل واحد من الوشاقية **خنجر** كبير." (١)

"أموره كلها، بارا بكثير من الفقهاء، ساعيا في إيصال البر إليهم، حسن السفارة لهم ولغيرهم ممن يقصده من جيرانه فمن دونهم، مقبول الكلمة، خصوصا عند الزيني بن مزهر صاحبه، وقد جر إليه خيرا كثيرا، وحصل لفقراء الحرمين بواسطته بر وفضل، وبالجملة كان في أواخر عمره حسنة من حسنات دهره، وممن بالغ في أذيته، وتقبيح سيرته وطويته، ورميه الدائم بالعظائم: البقاعي، بحيث قال لي الشيخ شهاب: قد عجزت عن استرضائه ليكف، كل ذلك لكونه لما بلغه قوله في قصيدته: كلها، بارا بكثير من الفقهاء، ساعيا في إيصال البر إليهم، حسن السفارة لهم ولغيرهم ممن يقصده من جيرانه فمن دونهم، مقبول الكلمة، خصوصا عند الزيني بن مزهر صاحبه، وقد جر إليه خيرا كثيرا، وحصل لفقراء الحرمين بواسطته بر وفضل، وبالجملة كان في أواخر عمره حسنة من حسنات دهره، وممن بالغ في أذيته، وتقبيح سيرته وطويته، ورميه الدائم بالعظائم: البقاءي، بحيث قال لي الشيخ شهاب: قد عجزت عن استرضائه ليكف، كل ذلك لكونه لما بلغه قوله في قصيدته:

وما أنيسي إلا السيف في عنقي

قال: يستحق، مع ملاحظة كون الناس استحسنوا قصيدة الشهاب في ختم فتح الباري، على قصيدة ذاك، وكونه عمل مرثية لشيخنا على روي قصيدته الثقيلة، ووزنها، فكانت بديعة الانسجام والرقة، مع أنه لم يبرزها، تحاميا عن الشر إلى ذلك بل كاد مرة أن يقتله، فإنه برك عليه في مجلس الإملاء، **والخنجر** بيده، هذا مع

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٨/٦٤٠

طارحة بنيهما، فكان جواب البقاعي:

أيا من سما حذقا وحفظا ومقولا ... وكان أياما أحمدا وكذا قسا

معاذ إلهي أن أفرط في الذي ... جعلت لنا بسطا بنظمك أو أنسى

وبين يدي الله تلتقي الخصوم، وقد صحبته كثيرا، وسمعت من نظمه ونثره ما كتبت منه جملة في المعجم، والوفيات وغيرهما، وكتبت عنه القصيدة المشار إليها، وأودعتها في الجواهر، بل وسمعت من لفظه غالب المرثية أيضا، ولكنه لم يسمح لي بكتابتها لما قلت: ومن نظمه في مليح منجم:

لمحبوبي المنجم قلت يوما ... فدتك النفس يا بدء الكمال

براني الهجر، فاكشف عن ضميري ... فهل يوما أرى بدري وفالي

رحمه الله وإيانا.." (١)

"- العفة عن المحارم (١) . وما كل ذلك إلا استجماع لمكارم الأخلاق العربية، وتعاليم الإسلام في التعامل، ولروح الشجاعة والإيثار (٢) وكان المنتسبون لتنظيم الفتوة يسمون الفتيان، أما من ينضم حديثا لها، فيدعى بالرفيق، ويرشح الفتى الجديد لقبوله في التنظيم فتيان قدماء، ثم يقام حفل تنسيب للمنضمين الجدد، تلقى فيه كلمات، تشيد بالفتوة، وتربطها بتعاليم الإسلام من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة (٣)، ويشرب المنتسبون الجدد كأس الفتوة وفيه ماء وملح (٤) ، وهو دليل قبول الأنظمة والتعاليم الخاصة بالفتوة — وكان الفتى عند تنسيبه يلف بملابس رقيقة من الكتان، أو القطن الأبيض، ثم يرتدي السروال الخاص بالفتوة، وكان السروال هو الشعار، أو الزي الخاص لهذا التنظيم، فجميع الفتيان يرتدون طرازا خاصا وموحدا من السراويل يميزهم عن بقية الناس (٥)، ثم توضع على رأس الفتى طاقية صغيرة سوداء، وفوقها قلنسوة من الصوف الأبيض، ويضع على أكتافه قباء، أو عباءة خفيفة يلف عليها حزام، يعلق به سكين، أو **خنجر**، ويلبس في رجله خفين (٦) وربما كان من أشهر حفلات تنسيب الملوك لتنظيم هي الحفلة التي أقامها الملك المنصور صاحب حماة عام ٦٢٢هـ/١٢٢٣م، وأقام الخطبة فيها قاضي حماة سالم بن نصر الله والد المؤرخ ابن واصل (٧).

---

(١) الموسوعة الشاملة د. سهيل زكار (٢٥٨/٢١).

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٦٢/١

(٢) النظم الدبلوماسية، صلاح الدين المنجد ص ١٥١.
(٣) العلاقات الدولية (١/٢٩٨).
(٤) المصدر نفسه (١/٢٩٨).
(٥) مجمع الآداب ابن الفوطي (١/١١٨٤) العلاقات الدولية (١/٢٩٨).
(٦) مفرج الكروب (٤/١٦٤) العلاقات الدولية (١/٢٩٩).
(٧) العلاقات الدولية (١/٢٩٩).." [(١)]

" الناس إنه حداد نقاش نجار فأذن له عمر وضرب عليه مولاه كل شهر مائة فشكى إلى عمر شدة الخراج فقال له ما خراجك بكثير في جنب ما تعمل فانصرف ساخطا فلبث عمر ليالي فمر به العبد فقال عمر ألم أحدث أنك تقول لو شئت لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت إليه عابسا فقال لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فأقبل عمر على من معه فقال توعدني العبد فلبث ليالي ثم اشتمل على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة وكان عمر يفعل ذلك فلما دنا عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهي التي قتلته

وفي صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال كيف فعلتما في أرض السواد أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق يعني من الخراج قالا حملناها أمرا هي له مطيقة ما فيها كبير فضل قال انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق قالا لا فقال عمر لئن سلمني الله تعالى لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدا قال فما أتت عليه رابعة حتى أصيب قال عمرو بن ميمون إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال استووا حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة واسمه فيروز فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين واسمه حطاب التميمي اليربوعي طرح عليه برنوسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ١/٣٥٤

نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فإنهم لا

". (١)

" وعلى سياق ابن خلكان إن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الأربعاء وكان الموعد بالمناجزة يوم السبت فغدر الأذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم في أثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وانبث الخبر في العساكر فماجت بأهلها ورجفت الأرض وصارت الناس فوضى على غير تعبئة ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فغمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الأرض حصيدا خلفها وصرع ابن عباد وأصابه جرح اشواه وفر رؤساء الأندلس وأسلموا محلاتهم وظنوا أنه وهي لا يرقع ونازلة لا تدفع وظن الأذفونش أن أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين فتقدم أمير المسلمين وأحدقت به أنجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل وقصدوا محلة الأذفونش فاقتحموها وقتلوا حاميتها وضربت الطبول وزعقت البوقات الأرض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجع الروم إلى محلتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فقصدوه فأفرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فخالطوا الخيل وطعنوها فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها وتلاحق الأذفونش بأسود نفدت مزاريقه فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الأسود وقبض على عنانه وانتضى خنجرا كان متمنطقا به فأثبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال يوم الجمعة منتصف رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وهبت ريح النصر فأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أقفاءهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم إلى أن لحقوا بربوة لجؤوا إليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من الربوة وأفلتوا من بعد ما نشبت فيهم أظفار المنية واستولى

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١/٨٧

". (١)

"

ترصد بباب دار السلطان للحاج محمد بن الطاهر ليفتكه وصاحبه فلما خرجا قام الطاهر بن مسعود إلى الأعوان فراودهم على إطلاق المسجونين فأبوا وقالوا إنهما مسجونان عن أمر السلطان فتصامم عن ذلك واستل خنجره وضرب إدريس البواب الوديي على ترقوته فخدشه وانتزع منه المسجون وتقدم لافتكاك أحمد بن المحجوب فأبى وانتهره وقال لا أخالف أمر السلطان وكان الودايا يظنون قيام العبيد معهم لحلفهم السابق فخذل الله فيما بينهم ثم أسرع الطاهر وابن الطاهر إلى فرسيهما فركباهما ونجوا إلى ناحية دار الدبيبغ وثارت المغافرة بباب دار السلطان وحملوا السلاح وأخرجوا البارود والرصاص وقامت شيعة السلطان لمدافعتهم فكثرهم الودايا وهزموهم حتى أغلقوا عليهم باب المشور وسأل السلطان عن الهيعة فأعلم بالخبر وكان معه الحسن بن حمو واعزيز فقال له يا مولانا إن هؤلاء ما جسروا على هذا الفعل ببابك حتى عزموا على ما هو أكثر فدعا السلطان بفرسه وركبه مع الغروب وخرج من باب البجاة ومعه ابن واعزيز وبعض أصحابه خيلا ورجلا ولما علم الودايا بخروج السلطان ركبوا بقضهم وقضيضهم من فاس الجديد ومن قصبة شراقة فأدركوا السلطان عند قنطرة عياد فنزلوا إلى الأرض يقبلون حوافر فرسه ويتشفعون له ويتبرؤون من فعل أولئك السفهاء وكان الحال إذ ذاك حال مطر خفيف والشمس قد غربت أو كادت تغرب فساعدهم رحمه الله على الرجوع وأشار عليه الحاج محمد بن فرحون بأن يذهب معه إلى قصبة شراقة وكانت يومئذ لأهل السوس فذهب معه إلى داره من غير أن يطمئن إليه ولكن ذلك الذي اقتضاه الحال في تلك الساعة ولما استقر بدار ابن فرحون اجتمع عليه المغافرة والودايا وأهل السوس وأساء عليه المغافرة الأدب بل عزموا على الفتك به ولكن الله تعالى وقاه شرهم فاختلفت كلمتهم وتذامر أهل السوس فيما بينهم وقالوا لا يبيتن السلطان الليلة إلا بداره واستنهضوه فنهض رحمه الله وركب فرسه وصحبوه إلى داره في ذلك الليل فاستقر بها وبعد ذلك بأيام انتقل السلطان إلى بستان أبي الجلود خارج فاس الجديد على حين غفلة من الودايا وانحاز

". (٢)

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٤٧/٢

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣٤/٣

" المرسلة إلا في شيء واحد هو إعطاء الحق لإنسان آخر مثله فلا يجوز له أن يظلمه وما عدا ذلك فلا سبيل لأحد على إلزامه إياه وهذا واضح البطلان لأن الله تعالى حكيم وما ميز الإنسان بالعقل إلا ليحمله هذه التكاليف الشرعية من معرفة خالقه وبارئه والخضوع له لتكون له بها المنزلة عند الله في العقبى { إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض } الأحزاب ٧٢ الآية

واعلم أن الحرية الشرعية هي التي ذكرها الله في كتابه وبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وحررها الفقهاء رضي الله عنهم في باب الحجر من كتبهم فراجع ذلك وتفهمه ترشد وبالله التوفيق

وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف كمل بناء الدار الفيحاء التي أنشأها السلطان سيدي محمد رحمه الله بآجدال من ظاهر رباط الفتح بجوار ضريح جده سيدي محمد بن عبد الله وهي دار كبيرة حسنة البناء واسعة المقاعد والفناء يقال إنها من أخوات بديع المنصور ولما كمل بناؤها أمر السلطان رحمه الله أن يختم فيها فقهاء رباط الفتح صحيح البخاري أولا وفقهاء سلا ثانيا فدخلناها في جملتهم وتقصينا منازلها ومقاعدها فرأينا ما ملأ أبصارنا حسنا وإتقانا وعجيب صنعة

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف حدثت فتنة بفاس وذلك أن الناس كانوا في صلاة الجمعة بمسجد القرويين خامس ربيع الأول وكان فيهم التاجر الأمجد أبو عبد الله حبيب بن هاشم بن جلون الفاسي فلما سجد مع الناس شدخ بعض اللصوص رأسه بحجر كبير من أحجار التيمم التي تكون بالمسجد ثم انحنى عليه **بخنجر** كان بيده فقطع به صفاق بطنه وساوره التاجر المذكور وما بالعير من قماص ولما وقعت الضجة قطع الناس صلاتهم وخرجوا فارين من المسجد وتركوا ثيابهم ونعالهم ومصاحفهم وغير ذلك فقائل يقول إن الإمام المهدي قد خرج وآخر يقول إن الناس يذبح بعضهم بعضا في الجامع واهتزت المدينة ثم تراجع الناس بعد حين وأما اللص فإنه خرج شاهرا سلاحه حتى وصل إلى باب المسجد فكثره الناس وقبضوا عليه وانتزعوا السلاح من يده وكشفوه فإذا به قد أدار حبالا كثيرة من تحت الثياب

". (١)

" للسلطان عن بجاية نقم فارح عليه ذلك وأسرها في نفسه إلى أن بعثه الحفصي المذكور مع الوطاسي لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره إلى المغرب فانتهى إلى بجاية وبينما هو يحاول ما أرسل في شأنه شكا

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/١١٥

إليه الصنهاجيون سوء ملكة بني مرين فنجع كلامهم فيه ونفث لهم بما عنده من الضغن ودعاهم إلى الثورة بالمرينيين والقيام بدعوة الحفصيين فأجابوه إلى ذلك وتواعدوا للفتك بعلي بن عمر الوطاسي بمجلسه من القصبة وتولى كبرها منصور بن إبراهيم بن الحاج من مشيختهم وباكره في داره على عادة الأمراء ولما أكب عليه ليلثم أطرافه طعنه **بخنجره** ثم ولج عليه الباقون فاستلحموه وذلك في ذي الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثارت الغوغاء بالبلد وهتف الهاتف بدعوة أبي زيد بن محمد بن أبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة وطيروا إليه بالخبر واستدعوه فتثاقل عنهم وبلغ الخبر إلى السلطان أبي عنان فاتهم أبا عبد الله الحفصي بمداخلة حاجبه فارح في ذلك فاعتقله بداره واعتقل وفدا من أشراف بجاية كانوا ببابه ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا أمرهم في الرجوع إلى طاعة السلطان أبي عنان واتفق رأيهم على أن يرقعوا هذا الخرق ويسدوا هذه الثلمة براس الحاجب فارح وصنهاجة الثائرين معه وداخلهم في ذلك القائد هلال مولى ابن سيد الناس ولما عزموا على أمرهم دعوا الحاجب فارحا إلى المسجد ليفاوضوه فيما نزل بهم فأحس بالشر ولجأ إلى دار الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس البجائي إمام بجاية ومفتيها فاقتحموا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس بطعنة فأنفذه ورمى بشلوه من أعلى الدار فاحتزوا رأسه وبعثوا به إلى السلطان أبي عنان وفر منصور بن إبراهيم بن الحاج وقومه صنهاجة عن البلد وسرح السلطان أبو عنان إليها حاجبه أبا عبد الله محمد بن أبي عمرو في الكتائب فدخلها فاتح سنة أربع وخمسين وسبعمائة وذهبت صنهاجة في كل وجه ولحق أصحاب الفعلة منهم بتونس وتقبض الحاجب ابن أبي عمرو على جماعة من غوغاء بجاية

". (١)

" يتصل بها من جهاتها الأربع مماشي تمضي إلى قباب أخر منتخبة أيضا وطول هذا البستان ينيف على مائتي خطوة تقريبا وعرضه قريب من ذلك وهذا القدر هو مساحة ما بين القصرين أعني الدار الكبرى والقصر الأخضر ثم أصلح هذا الخليفة جامع المنصور الذي بالقصبة إذ كان متهدما يومئذ ثم أسس مسجدا آخر للخطبة بجوار قصره وهو المعروف اليوم بمسجد بريمة وهو مسجد حافل بديع وبنى مدرستين لطلبة العلم بالقصبة المذكورة وبنى حماما ببريمة وعمر مساجد غير ذلك للأحرار والعبيد وفرق الأموال على من

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨٥/٣

انحاش إليه منهم لعمارة مساكنهم وبناء دورهم بعد أن كانت من الطين والقصب وكتب الكتائب وجند الأجناد فاجتمع لديه من العبيد ألف وخمسمائة كلهم فارس شاكي السلاح ومن عبدة وأحمر مثل ذلك ومن الرحامنة وأهل الحوز ألف فارس كذلك

ولما خرج العبيد بمكناسة على والده وقدموا عليه بمراكش مبايعين له عاتبهم وقدم مكناسة وأصلح بينهم وبين والده كما مر

ولما كانت سنة تسع وستين ومائة وألف غزا بلاد السوس ودوخها ومهد أقطارها وجبى أموالها وقرر الحامية بتارودانت منها ثم سار إلى آكادير فقبض على الطالب صالح الثائر به والمستبد بمال مرساه فسجنه واستصفى أمواله التي استفادها من المرسى ورتب الحامية في آكادير أيضا ثم إن الطالب صالحا المذكور ذبح نفسه في السجن وأفضى إلى ما قدم بعد أن ترك في القطر السوسي صيتا وذكرا وهو الذي يوجد طابعه على السلاح السوسي من مكحلة وسكين **وخنجر** إلى الآن وهو سلاح منتخب عندهم

وقفل الخليفة سيدي محمد رحمه الله إلى مراكش مؤيدا منصورا فمكث فيها أياما يسيرة ثم خرج غازيا بلاد الشاوية في السنة نفسها لما ظهر منهم من الفساد وقطع الطرقات ونهب المارة فقتل من أعيانهم عددا وبعث الباقي في السلاسل إلى مراكش

ثم تقدم إلى أرض سلا فبات برباط الفتح وخرج إليه أهلها بالمؤن

". (١)

"وبما أن تلك المقالات والكتابات أصبحت في ذاكرة التاريخ، وكانت سببا في تضييع الحقائق لأجيال المسلمين رأيت من النصح للأمة وأبنائها أن أبين أن الخميني امتداد لمدرسة الاثنى عشرية الشيعة ذات العقائد الفاسدة والمنحرفة عن هدى الله، وأن ثورته وجمهوريته الإسلامية المزعومة جيء بها لتكون **خنجرا** مسموما لكل محاولة جادة لتطبيق الإسلام الصحيح، بل أتيحت للثورة الإيرانية الفرصة أمام العالم لتشويه الإسلام الصافي النقي الذي جاء به محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم –.

ولكون الدولة الإيرانية امتدت في العالم الإسلامي ناشرة للعقائد الفاسدة في إفريقيا وآسيا وجمهوريات الاتحاد السوفيتي والشمال الإفريقي، وأوروبا وأستراليا وأمريكا، وتأثر بها كثير من عوام المسلمين الذين لا

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٩٦/٧

يملكون فهما ولا علما ولا اطلاعا بحقيقة أمرهم، ومرمى أهدافهم، رأيت من المناسب أن أبين عقائد هذا القديس المزعوم «الخميني ومن جاء بعده»، حتى نحذر الأجيال من هذه المدرسة الشيطانية التي نخرت بنيان الأمة، ولا تزال تنخر دون كلل ولا ملل.

ومن عقائد الإمام الخميني الفاسدة ما ذكره في كتابه الحكومة الإسلامية: «وأن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل»، وقد ورد عنهم: «أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل»(١).

فهذا اعتراف واضح في كونه يفضل أئمة الاثنى عشرية على الأنبياء والرسل، وهذا مذهب غلاة الروافض في حكم كبار أئمة السنة.

يقول عبد الظاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ): «وزعمت الغلاة من الروافض أن الأئمة أفضل من الأنبياء ونعلم أن هذا باطل»(٢).

ويقول القاضي عياض (ت٥٤٤هـ): «وكذلك نقطع بتكفير غلاة الروافض في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء»(٣).

---

(١) الحكومة الإسلامية للخميني ص (٥٢).

(٢) أصول الدين، ص (٢٩٨).

(٣) الشفاء (ج١/٢٩٠).." (١)

" لاسمعيل بك وجماعته وولوا على مصر محمد باشا من حيث أتى بعدما دفع المائة وعشرين كيسا التي اخذها من دار الضرب وصرفها على تجريدة اجرود ولم يزل محمد بك جركس ومحمد بك بن سيده ومن يلوذ بهم مصرين على حقدهم وعداوتهم للمترجم وهو يتغافل عنهم ويغضي عن مساويهم ويسامح زلاتهم حتى غدروا به وقتلوه بالقلعة على حين غفلة وذلك انه لم يزل ذو الفقار تابع عمر اغا يطالب بفائظ حصته في قمن العروس ويكلم جركس يشفع له عند اسمعيل بك فيقول له اطرد الصيفي من عندك وأرسل الي بعد ذلك ذا الفقار ويأخذ الذي يطلع له عندي الى ان ضاق خناق ذي الفقار من الفشل والاعدام فطلع الى كتخدا الباشا وشكا اليه حاله فقال له وما الذي تريد نفعله قال اريد ان اقتل ابن ايواظ عندما يأتي

---

(١) صفحات من التاريخ الإسلامي - الدولة الفاطمية، ص/٢٣

الى هنا واعطوني صنجقية وعشرين كيسا فائظ من بلاده وكشوفية المنوفية فدخل الكتخدا واخبر مخدومه بذلك فأجابه الى مطلوبه على شرط ان لا يدخلنا في دمه

فنزل ذو الفقار واخبر جركس بما حصل وطلب ان يكون ذلك بحضوره هو وابراهيم بك فارسكور فأجابه الى ذلك ولما اجتمعوا في ثاني يوم عند كتخدا الباشا دخل ذو الفقار وقدم له عرضحال الى اسمعيل بك فاخذه وشرع يقرأ فيه واذا بذي الفقار سحب **الخنجر** وضرب الصنجق به في مدوده وكان معه قاسم بك الصغير واصلان وقبلان وخلافهم مستعدين لذلك فعندما رأوه ضرب اسمعيل بك سحبوا سيوفهم وضربوا ايضا اسمعيل بك جرجا فقتلوه فهرب صاري علي وكتخدا الجاويشية مشاة الى باب الينكجرية وقطعوا راس الاميرين وشالوا جثثهما الى بيوتهما فغسلوهما وكفنوهما ودفنوهما بمدفن ابي الشوارب الذي بطريق الازبكية عند غيظ الطواشي وذلك في سنة ١١٣٦

ثم ارسلوا رأسيهما مسلوخين فدفنوهما ايضا وانقضت دولة اسمعيل بك ابن ايواظ وكانت ." (١)

" الى بركة الحج وكذلك خيام الامراء وغيرهم وسالت السيول من باب النصر ودخلت البلد وامتلأت الوكائل بالمياه وكذلك جامع الحاكم وقتلت اناس في حواصل الخانات وصار خارج باب النصر بركة عظيمة متلاطمة بالامواج وانهدم من دور الحسينية أكثر من النصف وكان امرا مهولا جدا

وفيه حصل ايضا كائنة عبد الوهاب افندي بشناق الواعظ وذلك انه مات رجل من البشانقة من أهل بلده وكان قد جعله وصيا على تركته فاستولى عليها واستأصلها وكان للرجل المتوفي شركة بناحية الاسكندرية فسافر المذكور الى الاسكندرية وحاز باقي التركة ايضا ورجع الى مصر وحضر الوارث وطالبه بتركة مورثه فأظهر له شيئا نزرا فذهب الوارث الى القاضي فدعاه القاضي وكلمه في ذلك فقال له انا وصي مختار وأنا مصدق وليس عندي عندي خلاف ما سلمته له فقال له القاضي انه يدعى عليك بكذا وكذا وعنده اثبات ذلك وطال بينهما الكلام وتطاول على القاضي واستجهله فطلع القاضي الى الباشا وشكا له فأمر باحضاره فحضر في جمع الديوان وناقشوه فلم يتزلزل عن عناده الى أن نسب الكل الى الانحراف عن الحق فحنق الباشا منه وأمر برفعه من المجلس فقبضوا عليه وجروه وضربوه ورموا بتاجه الى الأرض وحبسوه في مكان وصادف ايضا ورود مكتوب من ناحية المدينة من مفتيها كان أرسله المذكور اليه لسبب من الاسباب وذكر

---

(١) عجائب الآثار، ١/١٨٣

فيه الباشا بقوله التعيس الحربي وكذلك الامراء بنحو ذلك فأرسله المفتي وأعاده على يد بعض الناس الى اسمعيل بك حقدا منه عليه لكراهة خفية بينهما سابقة وأوصلة اسمعيل بك ايضا الى الباشا فازداد غيظا وأرعد وابرق وأحضر بشناق افندي من محبسه وقت القائلة وأراه ذلك المكتوب فسقط في يده واعتذر فلطمه على وجهه ونتف لحيته وأراد أن يضربه **بخنجره** فشفع فيه أكابر أتباعه ثم أخذوه وسجنوه وامر بمحاسبته على ما أخذه من التركة فحوسب وطولب وبقي بالحبس حتى وفي ما طلع عليه وشفع فيه علي بك الدفتردار وخلصه من الترسيم ." (١)

" منو الذي كان سارى عسكر برشيد فلم يزالوا معه حتى اوصلوه الى المحكمة الكبرى بعد ان شقوا به المدينة

وفي ذلك اليوم اعني يوم السبت وقعت نادرة عجيبة وهو ان سارى عسكر كلهبر كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذي بداره بالازبكية فدخل عليه شخص حلبي وقصده فاشار اليه بالرجوع وقال له ما فيش وكررها فلم يرجع وأوهمه ان له حاجة وهو مضطر في قضائها فلما دنا منه مد اليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده فمد اليه الآخر يده فقبض عليه وضربه **بخنجر** كان اعده في يده اليمنى أربع ضربات متوالية فشق بطنه وسقط الى الارض صارخا فصاح رفيقه المهندس فذهب اليه وضربه ايضا ضربات وهرب فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس فدخلوا مسرعين فوجدوا كلهبر مطروحا وبه بعض الرمق ولم يجدوا القاتل فانزعجوا وضربوا طبلهم وخرجوا مسرعين وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل واجتمع رؤساؤهم وارسلوا العساكر الى الحصون والقلاع وظنوا انها من فعل اهل مصر فاحتاطوا بالبلد وعمروا المدافع وحرروا القنابر وقالوا لا بد من قتل اهل مصر عن آخرهم ووقعت هوجة عظيمة في الناس وكرشة وشدة انزعاج واكثرهم لا يدري حقيقة الحال ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا في البستان المجاور لبيت سارى عسكر لمعروف بغيط مصباح بجانب حائط منهدم فقبضوا عليه فوجدوه شاميا فاحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده فوجدوه حلبيا واسمه سليمان فسألوه عن محل ماواه فأخبرهم انه يأوي ويبيت بالجامع الازهر فسألوه عن معارفه ورفقائه وهل اخبر احد بفعله وهل شاركه احد في رأيه واقره عل فعله او نهاه عن ذلك وكم له بمصر من الايام او الشهور وعن صنعته وملته وعاقبوه حتى اخبرهم

(١) عجائب الآثار، ٢/٩٣

بحقيقة الحال فعند ذلك علموا ببراءة اهل مصر من ذلك وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة اهل البلد وقد كانوا ارسلوا اشخاصا من ثقاتهم تفرقوا في الجهات ." (١)

" حد وهذا بيان الجروحات الاول في جنب الصدغ الثاني في الكف في عظمة الاصبع الخنصر الثالث بين الضلوع الشمالية الخامس في الشدق الشمالي والسادس في الصدر من الشقة الشمالية وشق نحو العرق ثم الى تأييد ذلك وضعنا اسماءنا وخطنا فيه برفقة الدفتردار سارتلون تحريرا في سراية سارى عسكر مدير الجيوش في اليوم والشهر والساعة المرقومة اعلاه بامضاء باش حكيم وخط الجرايحي من اول مرتبة كازابيانكا والدفتردار سارتلون عن

اول فحص سليمان الحلبي

نهار تاريخه خمسة وعشرين في شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي في بيت سارى عسكر داماس مدبر الجيوش واحد فسيال من ملازمين بيت سارى عسكر العام حضر وبيده ماسك راجل من اهل البلد مدعيا ان هذا هو الذي قتل سارى عسكر العام كلهبر المنهوم المذكور انعرف من الستوين بروتاين المهندس الذي كان مع سارى عسكر حين انغدر لأنه ايضا انضرب برفقته **بالخنجر** ذاته وانجرح بعض جروحات

ثانيا المتهوم المذكور انشاف بين جماعة سارى عسكر من حد الجيزة وانوجد مخبى في الجنينة التي حصل فيها القتل وفي الجنينة نفسها انوجد **الخنجر** الذي به انجرح سارى عسكر وبعض حوائج ايضا بتوع المتهوم فحالا بدىء الفحص بحضور سارى عسكر منو الذي هو اقدم اقرانه في العسكر وتسلم في مدينة مصر والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا براشويش كاتم سر وترجمان سارى عسكر العام ومحرر من يد الدفتردار سارتلون الذي احضره سارى عسكر منو لاجل ذلك المتهوم المذكور

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته فجاوب انه يسمى سليمان ولادة بر الشام وعمره اربعة وعشرون سنة ثم صنعته كاتب عربي وكانت سكنته في حلب ." (٢)

" ثم في ثالث ورابع يوم كرر عليه ايضا هذا السؤال وحالا ارسله الى ياسين اغا في غزة لاجل ان يعطي له مصروفه وانه من بعد هذا الكلام بأربعة ايام سافر من القدس الى الخليل وهناك قعد كام يوم وما

---

(١) عجائب الآثار، ٣٥٨/٢

(٢) عجائب الآثار، ٣٦١/٢

وصله ولا مكتوب من احمد اغا واما احمد اغا المذكور كان ارسل خداما الى غزة لاجل يخبر ياسين اغا بالذي اتفقوا عليه

سئل كام يوم قعد في الخليل فجاوب عشرين يوما

سئل لاي سبب قعد عشرين يوما في الخليل وهل في هذه المدة ما وصله مكاتيب من الاثنين الاغوات فجاوب ان السكة كانت ملانة عرب وأنه خائف منهم فالتزم يستنظر سفر القافلة التي سافر برفقتها وانه كان في غزة في اواخر شهر ذي القعدة الموافق لغرة شهر فلوريال الفرنساوي

سئل ايش عمل في غزة وآيش قال له ياسين اغا فجاوب ان ثاني يوم وصوله راح شاف الاغا والمذكور قال له انه يعرف الشغل الذي هو سبب مشواره هذا وانه اسكنه في الجامع الكبير وهناك مرار عديدة كان يروح يشوفه ليلا ونهارا ويتحدث معه في هذا الامر ووعده انه يرفع الغرائم عن ابيه وانه دائما يجعل نظره عليه في كل ما يلزمه ثم بلغه عن كل الذي كان لازم يفعله كما شرح اعلاه وهذا صار سرا بينهم ثم اعطى له اربعين قرشا لمصروف السفر وبعد عشرة ايام سافر من غزة راكب هجين ووصل هنا بعد ستة ايام كما عرف سابقا وان سفره من غزة كان في اوائل شهر ذي الحجة الموافق الى نصف شهر فلوريال الفرنساوي فبقى باين أنه حين غدر سارى عسكر كان له واحد وثلاثون يوما في مدينة مصر

سئل هل يعرف **الخنجر** الملغمط دم الذي قتل به سارى عسكر فجاوب نعم يعرفه

سئل من اين احضر هذا **الخنجر** وهل أحد من الاغوات اعطاه له أم احد خلافهم فجاوب انه ما احد اعطاه له وانما بحيث انه كان قصد قتل سارى عسكر توجه الى سوق غزة واشترى اول سلاح شافه ".(١)

" اسلامه وباعتمده ان المسمى منه جهاد وتهليك الغير المؤمنين فمما انهى وأيقن ان هذا هوالايمان ومن ذلك الان مارما بقي تردد أحمد اغا في بين ما نوى منه فوعد له حمايته وانعامه وفي الحال ارسله الى ياسين اغا ضابط مقدار من جيوش الوزير بغزة وبعثه بعد أيام لمعاملته واقبضه الدراهم اللازمة له وسليمان قد امتلأ من خباثته وسلك بالطرق فمكث واحد وعشرين يوم في بلد الخليل يجبرون منتظر فيه قبيلة لذهاب البادية وكل مستعجل ووصل غزة في اوائل شهر فلوريال الماضي وياسين اغا مسكنه بالجامع لاستحكام غيرته والمجنون يواجهه مرارا وتكرارا بالنهار والليل مدة عشرة أياما مكثه بغزة يعلمه وبعد ما اعطاه أربعين

---

(١) عجائب الآثار، ٣٧٥/٢

غرشا أسديا ركبه بعقبيه الهجين الذي وصل مصر بعد ستة ايام وممتن **بخنجر** دخل بأواسط شهر فلوريال الى مصر التي قد سكنها سابقا ثلاث سنين وسكن بموجب تربياته بالجامع الكبير ويتحضر فيه للسيئة التي هو مبعوث لها ويستدعي الرب تعالى بالمناداة وكتب المناجاة وتعليقها بالسور مكانه بالجامع المذكور علاه وتأنس مع الاربعة مشايخ الذين قرأ والقرآن مثله وهم مثل مولودين ببر الشام وسليمان أخبرهم بسبب مراسلته وكان كل ساعة معهم متؤامرين به لكن ممنوعين بصعوبة ومخطرات الوحدة محمد الغزي والسيد احمد الوالي وعبد الله الغزي وعبد القادر الغزي هم معتمدين سليمان بارتهان ما نواه ولا عاملوا شيء لممانعته او لبيانه وعن مداومة سكونهم به صاروا مسامحين ومشتركين في قبحة القاتل هو منتظر واحد وثلاثين يوم معدودة بمصر فعقبة جزم توجهه الى الجيزة وبذاك اليوم اعقد سره الى الشركاء المذكورين اعلاه وكان كل شيء صار سهل جزم القاتل بمصنوعته الشنيعة وبيوم الغدوة طلع السر عسكر من الجيزة متوجها مصر وسليمان طوى الطرق ولحقه هلقدو حتى لزم ان يطروده مرارا مختلفة لكن هو المكار عقيب غدرا تعداه وفي يوم الخامس والعشرين من شهرنا الجاري وصل واختفى في جنينة السر عسكر لتقبيل يده فالسر عسكر لا أبي عن قيافة ." (١)

ولما فرغوا من ذلك اشتغلوا بامر عسكرهم المقتول وذلك بعد موته بثلاثة ايام كما ذكر ونصبوا مكانه عبد الله جاك منو ونادوا ليلة الرابع من قتلته وهي ليلة الثلاثاء خامس عشرين المحرم في المدينة بالكنس والرش في جهات حكام الشرطة فلما اصبحوا اجتمع عساكرهم واكابرهم وطائفة عينها القبط والشوام وخرجوا بموكب مشهده ركبانا ومشاة وقد وضعوه في صندوق من رصاص مسنم الغطاء ووضعوا ذلك الصندوق على عربة وعليه برنيطته وسيفه **والخنجر** الذي قتل به وهو مغموس بدمه وعملوا على العربة اربعة بيارق صغار في اركانها معمولة بشعر أسود ويضربون بطبولهم بغير الطريقة المعتادة وعلى الطبول خرق سود والعسكر بايديهم البنادق وهي منكسة الى اسفل وكل شخص منهم معصب ذراعه بخرقة حرير سوداء ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السوداء وعليها قصب مخيش وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة وخرجوا من بيت الازبكية على باب الخرق الى درب الجماميز الى جهة الناصرية فلما وصلوا الى تل العقارب حيث القلعة

---

(١) عجائب الآثار، ٣٨٤/٢

التي بنوها هناك ضربوا عدة مدافع وكانوا أحضروا سليمان الحلبي والثلاثة المذكورين فأمضوا فيهم ما قدر عليهم ثم ساروا بالجنازة الى أن وصلوا باب قصر العيني فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب يوسط تخشيبة صنعوها وأعدوها لذلك وعملوا حولها داربزين وفوقه كساء ابيض وزرعوا حوله اعواد سرو ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلا ونهارا يتناوبان الملازمة على الدوام وانقضى أمره واستقر عوضه في السر عسكرية قائممقام عبد الله جاك منو وهو الذي كان متوليا على رشيد من قدومهم وقد كان أظهر انه ." (١)

" يهودي سواء كان قبطيا او روميا او شاميا فانهم من رعايا السلطان والماضي لا يعاد والعجيب ان بعض نصارى الاروام الذين كانوا بعسكر الفرنسيس تزيوا بزي العثمانية وتسلحوا بالاسلحة واليطقانات ودخلوا في ضمنهم وشمخوا باآنافهم وتعرضوا بالاذية للمسلمين في الطرقات بالضرب والسب باللغة التركية ويقولون في ضمن سبهم للمسلم فرنسيس كافر ولا يميزهم الا الفطن الحاذق أو يكون له بهم معرفة سابقة

وفيه ارسلوا هجانا الى الحجاز ومعه فرمان بخبر الفتح والنصر وارتجال الفرنساوية من ارض مصر ودخول العثمانية ومكاتبات من التجار لشركائهم بارسال المتاجر الى مصر

وفيه ارسلوا فرمانا ايضا الى الاقاليم المصرية والقرى بعدم دفع المال الى الملتزمين ولا يدفعون شيا الا بفرمان من الوزير

وفي يوم الاثنين قتلوا شخصا بالرميلة يسمى حجاجا كان متولى الاحكام ببولاق أيام الفرنسيس وجار وعسف وقتل معه آخر يقال انه أخوه

وفيه ايضا اشخاصا بالازبكية وجهات مصر

وفيه ركب الوزير بثياب التخفيف وشق المدينة وتامل في الاسواق وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوانيت الباعة وأرباب الصنائع ومشاركتهم في ارزاقهم ثم توجه الى المشهد الحسيني فزاره ثم عبر الى دار السيد أحمد المحروقي وشرفه دبخوله اليه فجلس ساعة ثم ركب وأعطى أتباعه عشرين دينارا وذكر له أنه إنما قصد بحضوره إليه تشريفه وتشريف أقرانه وتكون له منقبة وذلك على ممر الازمان وأما العسكر فلم يمتثلوا ذلك الامر الا اياما قليلة ووقع بسبب ذلك شكاوي ومشاكلات ومرافعات عند العظماء

---

(١) عجائب الآثار، ٣٩٠/٢

وفي يوم الثلاثاء وصل قاصد من دار السلطنة وعلى يده شال شريف من حضرة الهنكار السلطان سليم خان خطابا لحضرة الوزير ومعه **خنجر** ." (١)

" وفي خامس عشرة تواترت الاخبار بوقوع حرب بين العسكر والأمراء القبالي وملك العسكر جهة من المنية بعدما اصطدموا عليها من البر والبحر فوصل الاخصام وحالوا بينهم وبين عسكرهم والمتاريس واجلوهم وقتل من قتل بين الفريقين واحترق عدة مراكب من مراكب العسكر وما فيها من المتاع والجبخانة وارسلوا بطلب ذخيرة وجبخانة وثياب وغير ذلك وانتشر عسكر القبليين الى جهة بحري حتى وصلوا الى زاوية المصلوب و حاصروا من في بوش والفشن وبني سويف وكذلك من بالفيوم وشرع الباشا واجتهد في تجهيز المطلوبات وتسهيل الاحتياجات وفيه حضرت سعاة من ثغر سكندرية واخبروا بورود عدة مراكب انكلزيه الى المينا وسألوا اهل الثغر عن مراكب فرنسيس وردت المينا ام لا ثم قضوا بعض اشغالهم وذهبوا

وفي ليلة الاربعاء رابع عشرة وقعت حادثة وهو أن كاشفا من اكابر الارنؤد سكن ببيت ابن السكري الذي بالقرب من الحلوجي ويتردد عليه رجل من المنتسبين الى الفقهاء يسمى الشيخ احمد البراني خبيث الافعال يصلي اماما بالمذكور فرأى ما رابه منه مع فراشة فضربه **بالخنجر** والنبا بيت حتى ظن هلاكه واخرجه اتباعه وحملوه الى منزله في خامس ساعة من الليل وبه بعض رمق ومات بعد ذلك واخبر المشايخ بذلك ورفع القتيل الى المحكمة وتغيب القاتل وامتنع المشايخ من حضور الجامع والتدريس بسبب ذلك وبسبب اولاد سعد الخادم سدنة ضريح سيدي احمد البدوي وقد كانوا شكوا بعضهم وتعين بسبب ذلك كاشف علي احمد بن الخادم وهجم داره وقبض على بناته ونسائه ونبشوا داره وفحروا ارضها للتفتيش على المال وطالت قصتهم من اواخر الشهر الماضي لوقت تاريخه وتكلم المشايخ مرارا مع الباشا في امرهم وهو يغالط طمعا في المال وقد كان سمع تهمتهم بكثرة المال وان محمد باشا خسر واخذ منهم سابقا في ايام ولايته مائة وخمسة وثمانين ألف ريال خلاف حق الطريق وذلك من ." (٢)

" عظيمة في غاية العظم ولاثخن ليس لها نظير في هذا الوقت والاوان

وفي سابعه حضر شاهين بك الى بر الجيزة وبات بالقصر وضربوا لقدومه مدافع كثيرة من الجيزة وعمل له علي جربجي موسى الجيزاوي وليمة وفرض مصروفها وكلفتها على اهل البلدة واعطاه الباشا اقليم

---

(١) عجائب الآثار، ٤٨٢/٢

(٢) عجائب الآثار، ٤٢/٣

الفيوم بتمامه التزاما و كشوفية و أطلق له فيها التصرف و أنعم عليه أيضا بثلاثين بلدة من إقليم البهنسامع وكشوفيتها وعشرة بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التي ينتقيها ويختارها وتعجبه مع كشوفية الجيزة وكتب له بذلك تقاسيط ديوانية وضم له كشوفية البحيرة بتمامها الى حد الإسكندرية واطلق له التصرف في جميع ذلك ومرسوماته نافذة في سائر البر الغربي

وفي صبح يوم الأربعاء تاسعه ركب السيد عمر افندي النقيب والمشايخ وطلعوا الى القلعة باستدعاء ارسالية ارسلت اليهم في تلك الليلة فلما طلعوا الى القلعة ركب معهم ابن الباشا طوسون بك ونزل الجميع وساروا الى ناحية مصر القديمة وكان شاهين بك عدى الى البر الشرقي بطائفة من الكشاف والمماليك والهوارة فسلموا عليه وكان بصحبتهم طائفة من الدلاة ساروا امام القوم بطبلاتهم وسفافيرهم ومن خلفهم طائفة من الهوارة ومن خلفهم الكشاف والمماليك والسيد عمر النقيب والمشايخ ثم شاهين بك وبجانبه ابن الباشا وخلفهم الطوائف والأتباع والخدم وخلفهم النقاقير فساروا الى ناحية جهة القرافة وزاروا ضريح الإمام الشافعي ثم ركبوا وساروا الى القلعة وطلعوا من باب العزب الى سراية الديوان وانفصل عنهم المشايخ ونزلوا الى دورهم وقابلوا الباشا وسلم شاهين بك عليه فخلع عليه الباشا فروة سمور مثمنة وسيفا وخنجرا مجوهرا وتعابي وقدم له خيولا بسروجها وعزم عليه ابن الباشا فأذن له أن يتوجه صحبته الى سرايته فركب معه وتغدى عنده ثم ركب بصحبته ونزلا من القلعة وذهب عند حسن باشا فقابله أيضا وسلم عليه وخلع عليه أيضا و قدم له خيولا و ركب صحبتها و ذهبوا عند طاهر باشا ابن اخت الباشا فسلم عليه أيضا ." (١)

" جردوا جيشا الى تلك الجهة فتوجه يوسف باشا الى المزيريب وحصن قلعتها واستعد اليهم بجيش وحاربوهم وطردوهم ثم اضطربت الاخبار واختلفت الاقوال

واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة

فيه وردت الاخبار بورود قزلا راغا من طرف الدولة وعلى يده اوامر وخلعة وسيف وخنجر لمحمد علي باشا وصحبته أيضا مهمات وآلات مراكب ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ومحاربة الوهابية وهو يسمى عيسى أغا وانه طلع الى ثغر سكندرية

---

(١) عجائب الآثار، ٣/٢٢٧

وفي يوم السبت عاشره الموافق لسادس مسرى القبطي اوفي النيل وحصلت الجمعية وحضر كتخدا بك القاضي وباقي الاعيان وكسر السد بحضرتهم في صبحها يوم الاحد وجرى الماء في الخليج

وفيه وصل الاغا شبرا وعملوا له هناك شنكا وحراقات وتعليقات قبالة القصر الذي انشأه الباشا بساحل شبرا وخرجوا لملاقاته في صبحها بعد ثلاث ليال في يوم الثلاثاء ثالث عشرة وعملوا له موكبا عظيما وطلع الى القلعة وضربوا عند طلوعه الى القلعة مدافع وهذا الآغا اسمر اللون حبشي مخصي لطيف الذات متعاظم في نفسه قليل الكلام وفي حال مروره كان بجانبه شخصان ينثران الذهب والفضة الاسلامبولي على الناس المتفرجين وحضر صحبته وصحبة اتباعه السكة الجديدة التي ضربت باسلامبول من الذهب والفضة وهي دراهم فضة خالصة سالمة من الغش زنة الدرهم منها درهم وزنى كامل ستة عشر قيراطا يصرف بخمسة وعشرين نصفا من الانصاف المعاملة العددية المستعملة في معاملة الناس الآن وكذلك قطعة مضروبة وزن درهمين بالدرهم الوزني تصرف بخمسين وكذلك قطة مضروبة وزنها اربعة دراهم وتصرف بمائة نصف وقطعة وزنها ثمانية دراهم وتصرف بمائتين وكذلك ذهب فندقلي اسلامي يصرف باربعمائة نصف واربعين نصفا ونصفه وربعه ." (١)

" وفي يوم الاربعاء حادي عشره بين الظهر والعصر كانت السماء مصحبة والشمس مضيئة صافية فما هو الا والسماء والجو طلع به غيم وقتام ورياح نكباء غربية جنوبية واظلم ضوء الشمس وارعدت رعدتين الثانية اعظم من الاولى وبرق ظهر ضوؤه وامطرت مطرا متوسطا ثم سكن الريح وانجلت السماء وقت العصر وكان ذلك سابع بشنس القبطي وآخر يوم من نيسان الرومي فسبحان الملك الفعال مغير الشؤن والاحوال وحصل في تاليه يوم الجمعة مثل ذلك الوقت ايضا غيوم ورعود كثيرة ومطر ازيد من اليوم الاول

واستهل شهر جمادى الثانية سنة

في ثاني عشره وصل في النيل على طريق دمياط أغا من طرف الدولة يقال له قهوجي باشا السلطان فاعتنى الباشا بشأنه وحضر الى قصره بشبرا وامر بإحضار عدة من المدافع والآت الشنك وعملوا امام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقدات ونبه على الطوائف بالاجتماع بملابسهم وزينتهم ووصل الآغا المذكور يوم الاحد فخرج الاغوات والسفاشية والصقلية وهم لابسون القوايق وجميع العسكر الخيالة ليلا فما طلعت الشمس حتى اجتمعوا بأسرهم جهة شبرا وانتظموا في موكب ودخلوا من باب النصر ويقدمهم طوائف الدلاة

---

(١) عجائب الآثار، ٣٠٦/٣

واكابرهم ويتلوهم ارباب المناصب مثل الآغا والوالي والمحتسب وبواقي وجاقات المصرية ثم موكب كتخدا بك وبعده موكب الآغا الواصل وفي اثره ما وصل معه من الخلع وهي اربع بقج **وخنجران** مجوهران وسيف وثلاثة شلنجات عليها ريش مجوهرة وخلف ذلك العساكر الخيالة والتفكجية وخلفهم النوبة التركية فكان مدة مرورهم نحو ساعتين وربع وليس فيهم رجالة مشاة سوى الخدم وقليل من عسكر مشاة واما بقية العسكر فهم متفرقون بالاسواق والازقة كالجراد المنتشر خلاف من يرد منهم في كل وقت من الاجناس المختلفة برا وبحرا فمن الخلع الواردة ما هو مختص بالباشا وهو فروة **وخنجر** ." (١)

" انتقل الى مساعدة الآخرين وظهر في حفر بعض الاماكن منها صورة اماكن ومساكن وقيعان وحمام بعقوده واحواضه ومغاطسه ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كفرية قديمة واخرى لم تفتح لا يعلم مافيها رفعوها للباشا مع تلك

وفي يوم الاربعاء سابع عشرينه حضر الباشا الى شبرا ووصل في اثره قهوجي باشا وعملوا له موكبا في صبيحة يوم الخميس وطلعوا الى القلعة ومع الاغا المذكور ما احضره برسم الباشا وولده ابراهيم باشا الذي بالحجاز وهو خلعتا سمور لكل واحد خلعة **وخنجر** مجوهر لكل واحد وشلنجان مجوهران وساعة جوهر وغير ذلك وقريء الفرمان بحضرة الجمع وفيه الثناء الكثير على الباشا والعفو عمن بقي من الوهابية وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة وكذلك عند ورودهم واستمر ضرب المدافع ثلاثة ايام في جميع الاوقات الخمس ونزل القابجي المذكور ببيت طاهر باشا ب الأزبكية و حضر أيضا عقبه أطواخ لكل من عباس بك بن طوسون باشا بن الباشا ولأحمد بك ابن طاهر باشا وفي ضمن الفرمان الاذن للباشا بتولية امريات وقبجيات لمن يختار

و في صبحها يوم الجمعة خلع الباشا على اربعة او خمسة من امرائه بقبجيات باشا وهم علي بك السلانكلي قابجي باشا وحسن اغا ازرجانلي كذلك وخليل افندي حاكم رشيد وشريف بك

واستهل شهر جمادي الثانية سنة

و فيه حضر محمد بك الدفتردار من الجهة القبلية فاقام اياما وعاد الى قبلي وفي اواخره رجع الكثير من فلاحين الاقاليم الى بلادهم من الاشرفية وهم الذين اتموا ما لزمهم من العمل والحفر ومات الكثير من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب

---

(١) عجائب الآثار، ٣/٤٠٤

و في هذا الشهر حصل بعض موت بالطاعون فداخل الناس وهم يسبب ما حدث في اكابر الدولة والنصارى من التحجب وعمل الكورنتينات وهي ." (١)

"رحمه الله تعالى، قد نظمه سلك عقود اللآلئ الثمينة، في أعيان شعراء المدينة، وترجمه جامعها فقال: خليفة سلفه علما وفضلا، وذكاء ونبلا، وارتفاعا في سماء المجد وعلوا، وهمة في اكتساب الفضائل منحته سموا، فهو فرع لحق في الفخار أصله، واتخذ عند محل علاهم محله، بجد ساعده حظه وجده، وتهلل له مبتسما بثغر القبول سعده، فوفود الإقبال مستكنة لديه، ومخايل العز لا تزال لائحة عليه، وأدبه الأزهر، أشهر من أن يذكر، فكم له من خطب أنشأها، وبلطائف البديع وشاها، أحسن من الحلل المطرزة رونقا، وأبهج من سبيك العسجد إذا لاح مؤنقا، تعشقها الخواطر، وتتنزه في حسنها الضمائر، وأما نظمه فهو الروض البديع، وقد وافاه زمن الربيع، فضحكت فيه أنواع الأزهار، المكللة بلآلي نثار الأمطار، والنسيم وافاها عليلا، وجر عليها ذيلا بليلا، فمن ذلك قوله مجيبا صاحب اللآلي:

لاحت كبدر لاح تحت الحندس ... وسرت بقد بالغدائر مكتسي

وتبسمت عن عقد جوهر ثغرها ... وتنسمت عن طيب عرف أنفس

وجلت لنا من أوج أفق جبينها ... صبحا تنفس عن دجى متعسعس

وبدا لنا في روض وجنة خدها ... فياح نبر خالها في الحرس

وغدت تذود عن الخدود لحاظها ... فحمت ورود حياض تلك الكنس

وبرت بصارم أنفها مهج الورى ... وبرت بماء رضابها للأنفس

وحقاق فيها فتحت عن لؤلؤ ... في سلك مرجان المباسم منتسي

لله مبسمها الشهي إذا غدا ... متبسما كالصبح حين تنفس

والجيد قد فضح الغزالة لفتة ... ما قرها تحكيه غير تهجس

والصدر متسع بكل فضيلة ... تكبو صوافن خصرها بتقعس

والكف أهطل من سحاب سخاوة ... والجسم أرطب من برود السندس

والخصر أوهن من قوام محبها ... والساق أصفى من زجاج الأكؤس

مذ ماس بان قوامها في كثبه ... أزرى بزانة كل ليث ملبس

---

(١) عجائب الآثار، ٦٠١/٣

شبهت طلعة وجهها في حسنها ... بدرا بدا في أوج غصن أملس
لله زائر طيفها من زائر ... وافى يدير لي السلاف فأحتسي
وأبوح من سكري بسر قد سرى ... في سر سرى للسري الأكيس
شمس المعارف بدر كل فضيلة ... رب النهى الفهامة المتفرس
نجم العوارف روض كل لطافة ... حاوي التحائف بل وخير مدرس
أكرم به من فاضل متفنن ... جمع البراعة واليراعة والقسي
شهم يفوق على الغمام نواله ... ويروق للرائين منظره الوسي
فرع لا برك دوحة محمودة ... زرع نما في سوح زاكي المغرس
غطريف أهل المجد بل خطريفهم ... جحجاح قوم السعد بدر الأطلس
شحشاح فتيان للقريض سراجهم ... مصباح فتيات النثير الخنس
لا زال للفضلاء يعذب مدحه ... ويطول شامخ فضله المتأسس
وعلى جميع ذويه يعلو قدره ... ويفيض نهر كماله المتبجس
ما عاهد الغيداق نافح روضة ... صبحا فكللها بدر أنفس
أو ثغر زهر الروض يرشف بكرة ... ريق الغوادي الضاحكات النعس
عن قوله
سلب العقول بتم حسن أنفس ... رشأ بسيف الجفن مردي الأنفس
رشقت لواحظه السهام بمهجتي ... أو ما ترى تلك الحواجب كالقسي
ماست معاطفه فخلت قوامها ... غصنا يفوق على القنا والمدعس
وغدا بلا شك **بخنجر** أنفه ... يفري الحشايا صاح والقلب القسي
أحبب به بدرا ربيع محاسن ... روض الجمال غدا بغير تلبس
سقيت بماء الحسن وردة خده ... واخضر شاربه كزئبر سندس
لو لم يكن جمع الزهور بهاؤه ... ما كنت تبصر عينه كالنرجس

كالأقحوان ترى ثناياه إذا ... ما لاح مبتسما بثغر ألعس
بل أنها تحكي لسمط لآلئ ... تحت العقيق من الشفاه اللعس." (١)

"من أفاضل هذا البيت الكمل، والمتقدم من جوامع فضلهم في الصف الأول، حاز بنبله لطائف أجداده، وفاق على أقرانه وأنداده، أثره كالبدر مشرق، وكالقصر مغدق، ينبي على أنه في حلبة المجد لم يقصر، وأنه في الكمالات متقدم وإن كان ظهوره في العصر المتأخر، فمن محاسن نظامه، ومستعذب كلامه، قوله:

ما عذب قلبي وما أثار به النار ... إلاك أيا من يفوق ضوء الأقمار
كم أسهد طرفي لذا تزايد وجدي ... بالسقم فحسبي من المحبة أكدار
يا مالك قلبي ومن تحكم فيه ... رفقا بمحب سوى جمالك ما اختار
أواه إلى كم أبيت منك بقلب ... في الناس وحق الهوى تلهب بالنار
لو شمت غرامي لجدت لي بمرامي ... يا برء سقامي ولم تزدني أضرار
من لي بغزال إذا بدا كهلال ... قد صاد فؤادي ولم ينلني أوطار
دع عنك عذابي ولا تمل لبعادي ... يا كل مرادي ويا نزيهة أبصار
ناهيك بأني إذا أطلت صدودي ... سلسلت دموعي على خدودي أنهار
يا بدر فهل كان في لقاك وصول ... بالله فقل لي ولا تدعني محتار

وهذا الوزن من بحر السلسلة ووزنه فعلن فعلن فاعلن فعو فعلاتن كما ذكره السيد كبريت والسيوطي ورشيد الدين الأسواني في شرح مقامته الحصيبية رحمهم الله تعالى.

المرحوم عبد الله بن عبد الكريم بن محمد الخليتي

فرع زكي من طيب مغرس، وحديقة مجد بالفضل تنفس، شبيه أبيه مهابة وجلالة، وتابع سلفه إصابة وكمالة، وله ابن سامي الذكر، مثله في علاء القدر، فهو درة بين جوهرين، وقمر حف بفرقدين، كلل هام مجده بجواهر أدبه، وأتى من حديقة فكره بنظم لا بأس به، فمن ذلك قوله:

لقد وافى لزورة قبر طه ... أخو العليا وأهل للصدارة
ونال شفاعة الهادي المرجى ... وكانت عنده أسنى تجارة

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٢٩٢/١

هو المولى عزيز الله خان ... ومن أضحى الفخار له شعاره

رئيس ماجد فرد همام ... بليغ في الفصاحة والمهارة

مقام قدومه عام شريف ... غدا تاريخه حسن العبارة

بتاج للهنا يزهو ببيت ... وفيه من المسرة والبشارة

ينادينا لسان الحال جهرا ... عزيز الله مقبول الزيارة

السيد عبيد الله كدك المدني

ماجد الكمال قرينه، والوقار خدينه، صاحب فصاحة ولسن، ومكانة في الأدب منها تمكن، ومشاركة في فنون المعارف، ومطارحة في فنون اللطائف، فمما صدحت به عنادب قريحته وإفهامه، في غياض طروسه على أملد أقلامه، قوله من قصيدة مجيبا بها حضرة الأديب السيد عمر بن عبد السلام المدرس، مكللة بدرر غزلها ونسيبها وهي قوله بقوله:

ولى زماني وانقضى منعمي ... لم يبق لي ذوقي ولا منعمي

كلا ولا قلبي يعي ذرة ... حتى ولا سمعي ولم أعلم

من مربع قد زرته إذ عفا ... خلي منه ليت لم أقدم

إن الزمان المعتدي قد رمى ... قلبي بسهم صائب مسهم

بالعضب بل بالرمح مع **خنجر** ... أومى إلي ليت لم يعزم

لو كان رمحا لاتقيت التي ... يا هل ترى عن أيها أحتمي

قالوا تصبر وارتجز واحتسي ... صرفا عقارا خلصت عن دم

قد عتقت من كرمة زانها ... كأس من البلور في معصم

تتسقي الأخلا من رحيق غدا ... ممزوجها مسك رضاب الفم

فصحت واشوقا لذاك الرضا ... ب المشتهى من لي بذا المبسم

إني لمن قد خانه دهره ... من للحزين المسهد المعدم

قالت أنا الخود التي جاد بي ... حبي لا أصغي إلى لومي

لا أختشي قول العذول الغبي ... كلا ولا أرجع عن مغرمي

إني إلى مغناك مأمورة ... بالسعي كي أحظى فقلت اسلمي

أهلا وسهلا قد صفا وقتنا ... يا حبذا الحظ السني فاقدمي

إن أقبلت كغصن بان النقا ... والنهد باد فوق صدر سمي." (١)

"ومرضت فعادني قلت جاء ال ... ح فوافى فقلت كيم الطبيب

ومن نظمه أطال الله بقاه، وجعل في مدارج السعادة مرتقاه:

تأمل في بديع الحسن واعذر ... به صبا لقد خلع العذارا

من أحداق الورى قد صاغ خالا ... ومن أجفانها جعل العذارا

له لحظ ينادي من رآه ... هلموا واتركوا عشق العذارى

وله دام علاه تخميس على لامية العجم أوله:

الله عظم مقداري من الأزل ... وزادني شرفا كالشمس في الحمل

وإن رماني العدا بالنقص والزلل ... أصالة الرأي صانتني عن الخطل

وحلية الفضل زانتني عن العطل

ولي جدود لبند المجد قد رفعوا ... جميع الورى طبعا له تبع

وإنني مقتف آثار ما شرعوا ... مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع

والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

وله أحسن الله إليه، وأسبل جميل امتنانه علينا وعليه، موريا في اسم **خنجر**:

يا قاتلي بلحاظ ... سيوفها لي أشهر

إني لأضعف عنها ... يكفي لقتلي **خنجر**

وله ألبسه الله حلة السرور، وأجلسه على ذروة الحبور:

إشرب على البدرين شمس مدامة ... بدر السماء وبدرنا في المجلس

واغنم زمان الأنس لا تسمع لمن ... يلحو المتيم في ارتشاف الأكؤس

ما العيش إلا راحة في راحة ... تجلى عليك من الغزال الألعس

يا أيها الظبي الذي ملك الحشا ... وغدا له شغل بقتل الأنفس

ارحم أميرا في هواك أهنته ... وغدا ذليلا للعيون النعس

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١/٤٥٣

ما هاب من جيش يضيق به الفضا ... وبدا طعينا بالقدود الميس

ومن نثره كتابه لأخيه الأمير محمد باشا كتبه له من ثغر صيدا: إن أطرب من خفق الأعواد، ومن ترجيع البلابل على الأعواد، ومن كؤوس الحميا يطوف بها بهي المحيا، في روض زاهر، غض الأزاهر، ومن نقر المثاني والمثالث، ومن وصل أليفين ليس بينهما ثالث، سلام عطري النشر، يبشر قتيل الفراق بالنشر، ويؤذن مطوي أيام التلاقي بالنشر، تتحمله وتؤديه ريح الجنوب، من مشوق تتجافى عن المضاجع منه الجنوب، إلى ذي المنصب العالي، وواسطة عقد المعالي، وفريدة سمط اللآلي، والبدر المنير في مدلهمات الليالي، إذا امتطى صهوة جواد، أزرى بكل فارس بطل جواد، فكأنه بدر فوق نسر، أو أسد ممتط النمر، وإذا جرد بسام هنديه في يوم بالقتال حالك، قال النحس لأبطال أعدائة اليوم يا سوأة حالك، له يد أحوالها كعدة البنان، ليست إلا لمسك عنان، أو هز هندي وسنان، أو تحبير رسائل، أو إعطاء سائل، أو تقبيل عدو خاضع، ذليل منكسر متواضع، أعني الأخ الشقيق والبر الرفيق، وارث المفاخر كابرا عن كابر، الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر، لا زال الدهر له يساعد، ويمده باليد والساعد. أما بعد إهداء التعظيم الواجب، من صميم قلب بالفراق واجب، فإن تفضلتم بالسؤال عن حالي، فهو لله الحمد بمر الصبر حالي، متسلق بتعظيم المقدار ما أوجبته حكمة الأقدار، والدهر ذو إحاله فلا يدوم على حاله، فمن ذا الذي أساءه وما سره، وأين يوجد من نفعه وما ضره، وفي مطالعة أخبار من سلف، تسلية وموعظة لمن بعدهم قد خلف.

ومن نثره ونظمه أيضا جبا الله القلوب على محبته، وأدام لهم إشراق طلعة سعادته، ما كتبه إلي يدعوني للحضور في قريته المعروفة بالكفرين، الواقعة في ناحية المرج، بينها وبين دمشق نحو أربع ساعات، وصورة ما كتبه:

فديتك عجل اللقيا وبادر ... فإنك سيدي للكون بادر

فذا زمن الربيع أتى وحيا ... بأنواع اللطائف والأزاهر

فأضحى الروض يضحك من سرور ... وكل منى سواك لدي حاضر

فديتك أنت تعلم إن حظي ... من الدنيا هواك به أفاخر

فلا تمهل بحق الود وأسرع ... فها طرفي لنحو الطرق ناظر." (١)

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١١٥/٢

"من بعده لا فقدنا من بنيه فتى ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

تفسير روح معاني الذكر نضدها ... كعقد در بأيدي الفكر منضود

على تبحره في العلم شاهدة ... كفى بها شاهدا في حق مشهود

أجاب أعلام إيران بأجوبة ... برهانها غير مدفوع ومردود

حور الجنان به حفت مؤرخة ... جنات روح المعاني قبر محمود

ودفن رحمه الله تعالى بالقرب من الشيخ معروف الكرخي، وقبره مشهور يزار، وبلغ عمره نحو ثلاث وخمسين سنة.

الشيخ محمود الصاحب أخو الشيخ خالد الحضرة

العالم الكامل والعابد العامل، عمدة الأفاضل ونخبة ذوي الشمائل، ولد في بلدة السليمانية سنة ألف ومائتين، وقرأ القرآن والمحرر للإمام اليافعي الشافعي على السيد عبد الكريم البرزنجي، نسبة إلى قرية برزنجة من بلاد السليمانية، وقرأ على أخيه مولانا خالد، وأخذ عنه الطريقة النقشبندية وانتفع. وفي سنة ألف ومائتين وست وثلاثين لما قدم مولانا خالد إلى دمشق، أقامه في محله لإعطاء الطريق وإرشاد المسترشدين، ثم في سنة ألف ومائتين وثمان وثلاثين حضر إلى الشام لعدم قدرته على فراق أخيه، ثم هاجر إلى مكة وأقام بها سبع سنوات، ثم رجع إلى دمشق واستقام في التكية السليمانية يرشد المريدين، إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين وسبع وثمانين ودفن قرب قبر أخيه.

السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان

ولد سنة ألف ومائة وتسع وتسعين، وفي سنة ألف ومائتين واثنتين وعشرين جلس أخوه السلطان مصطفى على تخت الملك، وما استقر أمره ولا صفا له دهره، فأمر بقتل السلطان سليم، وبقتل المترجم ذي القدر العظيم، فنفذ أمره في الأول، وأما الثاني وهو المترجم لما جاءه جنود السلكان مصطفى الذين يريدون قتله، أراد الفرار فرشقه أحدهم **بخنجر** أصاب يده، فهرب وصعد على سطوح السرايا، فلما نظرته جماعة مصطفى باشا البيرقدار وكان من عصبة السلطان محمود، وضعوا له سلما فنزل إلى صحن الدار، حيث كان البيرقدار، وعندما نظر البيرقدار إلى المترجم فرح به فرحا عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه، وصار يقبل قدميه، ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة في رابع جمادى الأولى سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين، وأرسل البيرقدار المشار إليه جندا قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه، فلما تم جلوس

السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدرا أعظم، وسلمه زمام الأحكام، فأخذ يجتهد في أخذ الثأر من الذين قتلوا السلطان سليم، ثم شرع في تنظيم العسكر الجديد، وأرسل وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة، فلما حضروا أخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب وإنفاذ أوامر السلطان، طالبا رأيهم في ذلك، فصادقوه مذعنين لأمر السلطان، وتعهدوا بالمساعدة في كل ما يؤول لنجاح المملكة، وفي الحال أخذ الصدر الأعظم في وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين، وأضمروا له السوء وصاروا يطعنون فيه جهارا ويدعونه بالكافر، وعلقوا أوراقا في الأسواق وعلى باب داره مكتوبا فيها قد قرب موت الصدر الأعظم، وساروا بأسلحتهم يطلبون قتل العساكر الذين تعلموا التعليم الجديد، فأخذوهم بغتة وشتتوهم وأحاطوا بمنزله وطرحوا فيه النار، ووقعت أمور يطول الكلام بذكرها.." (١)

"ولد سنة ألف ومائة وثلاث وتسعين، وجلس على تخت الملك في الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة ألف ومائتين واثنتين وعشرين فهابه الكبير والصغير والجليل والحقير، وحصل الخوف لجميع أهل الاستانة منه ووقع الرعب في قلوب الجميع، ثم أطلقت المدافع علامة على جلوس السلطان مصطفى ونودي في المنابر باسمه، وتقدم المفتي شيخ الإسلام وقائمقام موسى باشا إلى الجموع التي كانت مجتمعة في فسحة آت ميدان، وأخبروهم أن السلطان مصطفى قد وعد بإبطال ما كان مهتما به السلطان سليم من وضع النظام الجديد وبإرجاع العوائد القديمة، فلما سمع الجميع هذا الحديث تفرقوا، وبعد أن جلس السلطان مصطفى على تخت السلطنة سلم زمام الأحكام بيد القائمقام كوسج موسى باشا والي المفتى شيخ الإسلام عطا الله أفندي، ولما بلغت هذه الأخبار الصدر الأعظم جلبي مصطفى باشا وكان رئيس الجيوش التي خرجت لقتال الروسية كما تقدم، حزن لذلك وغضب غضبا شديدا هو ومن معه من العساكر، وكان من جملتهم مصطفى باشا البيرقدار، فعقدوا صلحا مع الروسية، ورجعوا بالعساكر ليتداركوا هذا الأمر، وأرسلوا لعساكر الانكشارية يقولون لهم نحن قادمون لنجدتهم وإتمام رغبتهم ليطمئنوا بذلك، وما دخلوا القسطنطينية إلا بعد مشاق، وأراد البيرقدار مصطفى باشا إرجاع السلطان سليم والقبض على السلطان مصطفى، وطلب من الصدر الأعظم المساعدة على ذلك، فأنكر عليه ذلك مبينا سوء عواقب الأمور، فغضب البيرقدار غضبا شديدا، وأمر بحبسه وبلغ الخبر السلطان مصطفى فأرسل أناسا يقتلون السلطان سليم، فدخلوا عليه وهو يصلي صلاة العصر، فلم يمهلوه إلى أن يتم الصلاة بل وثبوا عليه وطرحوه إلى

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١٢٦/٢

الأرض، فنهض حالا عليهم كالأسد وصرعهم، وكان قويا جدا، ثم تغلبوا عليه وخنقوه حتى مات، ورجعوا به إلى السلطان مصطفى مسرعين وطرحوه ميتا أمامه، وكان ذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف، وعمر السلطان سليم ثمان وأربعون سنة ثم أرسل أناسا وأمرهم بخنق أخيه السلطان محمود، وكان البيرقدار قد هجم بجماعة مسرعين لإنقاذ السلطان سليم فوجدوه قد مات، فاهتموا بأمر السلطان محمود، وقال لهم البيرقدار عليكم بنجاة السلطان محمود لأنه هو الوارث الوحيد لتخت السلطنة الباقي من سلالة آل عثمان، فأخذت العساكر تطلب السلطان مصطفى، وتبحث عن السلطان محمود، وإن السلطان محمود لما جاءه جنود السلطان مصطفى الذين يريدون قتله أراد الفرار فرشقه أحدهم **بخنجر** أصاب يده فهرب، وصعد على سطوح السرايا، فلما نظرته جماعة البيرقدار وضعوا له سلما فنزل إلى صحن الدار، حيث كان البيرقدار، وعندما نظر إليه البيرقدار فرح فرحا عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه وصار يقبل قدميه، ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة، وأرسل جندا قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدرا أعظم، وسلمه زمام الأحكام، فأخذ يجتهد في أخذ الثأر من الذين قتلوا السلطان سليم، ثم شرع في تنظيم العسكر الجديد، وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة، فلما حضروا أخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب، وإنفاذ أوامر السلطان طالبا رأيهم في ذلك، فصادقوه مذعنين لأمره، وتعهدوا بالمساعدة في كل من يؤول لنجاح المملكة، وفي الحال أخذ الصدر الأعظم في وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين، وأضمروا له السوء، وصاروا يطعنون فيه جهارا ويدعونه بالكافر، وعلقوا أوراقا، ولا زال الأمر في اضطراب إلى أن قتل السلطان مصطفى المترجم بإشارة من السلطان محمود، سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين رحمه الله تعالى. وفي ترجمة السلطان محمود زيادة تفصيل وبيان فليراجع هناك.

الشيخ مصطفى بن أحمد حسين بن أحمد بن عبد الرزاق الحلبي الولي المستغرق." (١)

"وفي تلك الأيام وقع بيت بباب السريجة على امرأة وصبي صغير. في تلك الأيام أيضا قتل كردي وزوجته في محلة سوق ساروجا. وسبب ذلك أنه كان حاجا، ولما جاء وجدها متغيرة في أحوالها، ثم تبين أنها عابت في غيبته، وكان ذو كذا حسن وجمال فذبحها ولم يبال بأحد. وفي تلك الأيام أيضا قتل رجل ابنته في محلة سوق ساروجا، وهي ابنة أربع سنين، فبلغ حضرة أسعد باشا أمرها وأن تلك البنت أمها مطلقة

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١٥٦/٢

وخالتها امرأة أبيها غير محبة لها، فدست لأبيها عليها بعض الكلام، وكان أبوها من الحمق والجنون على جانب عظيم، فضربها بالعصا ضربا مؤلما، ثم ربطها بشجرة داره وبقيت طول الليل مربوطة إلى الصباح، فجاء ليحلها فوجدها قد ماتت، وكانت ليلة ذات برد شديد، فأحضره أسعد باشا وأمر أن يضرب ضربا شديدا، فضرب ثم وضع بالحديد بعدما أخذ منه أموالا كثيرة. وفي يوم الأربعاء ثامن صفر الخير من هذه السنة توفي الشيخ محمد أبو قميص الكردي شيخ مدرسة المرادية. وسمي بأبي قميص لكونه إذا لبس قميصا لا ينزعه حتى يتقطع، وهذا غاية في الزهد، وقد كان صائما متهجدا، خرجت في جنازته الأكابر والأعيان لاعتقادهم في صلاحه، ودفن في تربة مرج الدحداح، ولما فتحت حجرته وجدوا عنده عشرين ثوبا من الكتان جددا وخمسة عشر نصف مقطع وسبعة قناطير حطب وعشرة أرطال أرز وقدرة سمن وقدرة عسل، وغير ذلك من المؤن. ووجدوا قدرة بها أرباع ريال ومثلها مصاري، وفيها ذهب وأمتعة وحوائج وبدراويتين ملآنتين قمصان، ووجدوا مقدار مئة كتاب قدورهم بثمن عظيم. فانظر إلى زهد مثل هذا، فقد ذهب الصالح بالطالح.

وفي يوم الجمعة عاشر صفر توفي الشيخ إبراهيم إمام القشماسية، وكان فقيها صالحا، ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله. وفي يوم الجمعة اثنين وعشرين من ربيع الأول توفي العالم النحرير الشيخ أحمد الحرستي أمين الفتوى في بيت العمادي رحمه الله.

وفي تلك الأيام باع رجل جرة زيت إلى رجل آخر، فقبض ثمنها بعدما وزنها؛ ثم حملها إلى دار الرجل، وقال: أبق عندك هذه الجرة، فبعد ساعة آتيك وأفرغها لك، قال: لا بأس بل أنا أفرغها وأي وقت جئت تجد الجرة، ثم ذهب صاحب الزيت، وبعد ساعة فرغها المشتري، فوجد بها أربع أواق من الزيت والباقي ماء صافيا، فطلب الرجل فلم يجده.

وفي يوم السبت سلخ ربيع الأول قتل قبقولي رجلا من الأشراف في مأذنة الشحم، ضربه بخنجر في صدره أخرجه من ظهره، وترك الخنجر مغروزا فيه، حتى أخرجه قاضي كشف عليه ثم ألقوا القبض على القاتل، وقامت الأشراف، وثبت عليه القتل فحبسوه في القلعة، وفي تلك الليلة خنقوه.

وفي يوم الأربعاء غرة جمادى الأولى توفي الشيخ محمد بن الشيخ شعيب الشهير بالشيخ جينة القاطن بحارة باب السريجة. كان رحمه الله ضحوك السن لطيفا على غاية من الصلاح، ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى. وفي ثامن جمادى الأولى اغتيل رجل شقي من الصالحية يعرف بالفستقي، كان كما قيل داهية

دهماء ومصيبة عظماء، شجاع يرد مئة شجاع بعصا، سارق ما سمع بمثله بين اللصوص المشتهرين بالحيل، فمن حيله وشطارته التي ما سمع بنظيرها أنه متى وضع يده على أعلى حائط فمتى علق ظفره به صار أعلاه، والمدهش أن يكون ظهره للحائط، وإذا وضع في أي مكان وأغلق عليه الباب وقفل، خرج منه مهما كان، وهذا كله ولم يجاوز العشرين سنة من عمره، ثم إنه بغى على أهل الصالحية خصوصا وعلى غيرهم فأعياهم أمره، فجعلوا لشخص جعلا على قتله، فاغتاله بعد ما عمل معه صحبة، وقتله وراح وكأنه ما كان.

وفي يوم الثلاثاء جاء خبر إلى دمشق بأن ليلة الاثنين قتل حاكم بعلبك الأمير حسن، وقد كان خارجا من الجامع، فاغتاله ثلاثة أشخاص، ورموه بثلاث بنادق وفروا هاربين وحمل إلى داره. وفي اليوم الثاني توفي، وقد قيل بأن القاتلين له إخوته، حيث أن لہ من الإخوة سبعة، والله أعلم.

وفي تلك الأيام فرض والي الشام أسعد باشا على الزعماء والأكابر والتجار بأن يأتوا له من مدينة حماة بقمح، ويكون أجرته منهم، فذهب بعضهم وأتى بقمح كثير، فبيعت الغرارة بإحدى وثلاثين غرشا، ولم نستفد غير وجوده، وأما الغلاء فإنه باق بجميع الأصناف كما قدمنا تسعيره.." (١)

"فمن جزائره جزيرة قريبة من أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنو حداب؛ ليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب؛ معاشهم من السمك؛ وبيوتهم السفن المكسرة، ويشحذون الماء والخبز ممن يمر بهم من المسافرين؛ وعندهم دوارة في سفح جبل إذا وقع الريح عليها انقسمت قسمين ويلقي المراكب بين شعبين متقابلين فيثور الريح بينهما ويخرج من كليهما متخالفين، فتنقلب المركب بمن فيها؛ وقيل إن هذا الموضع غرق فيه فرعون. وجزيرة الجساسة: وبها دابة تجس الأخبار وتأتي بها إلى الدجال؛ قال تميم الداري رضي الله عنه؛ وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد اختطفته الجن من صحن داره؛ ومكث في بلاد الجن وغيرها مدة طويلة ورأى العجائب وقصته طويلة مشهورة؛ قال: وركبنا هذا البحر فأصابتنا ريح عاصف ألجأتنا إلى هذه الجزيرة فإذا نحن بدابة استوحشنا منها وقلنا لها: ما أنت ؟ قالت: أنا الجساسة؛ قلنا لها: أخبرينا الخبر؛ قالت: إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فإن به رجلا هو بالشوق إليكم؛ فأتيناه فقال لنا: كيف وصلتم ؟ فأخبرناه الخبر؛ فقال: ما فعلت طبرية؛ قلنا: تدفق الماء بين أجوافها؛ قال: فما فعلت نخلات عمان ؟ قلنا: يجنيها أهلها: قال: فما فعلت عين زغر ؟ قلنا: يشرب منها أهلها، فقال: لو نفدت لتخلصت من وثاقي فوطئت بقدمي هذا كل سهل وجبل إلا مكة والمدينة.

---

(١) حوادث دمشق اليومية، ص/٣٩

وبعضهم يزعم أنه ابن صياد، الذي كان بمكة، وكان يقال ذلك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره. قال ابن سعيد: صحبت ابن صياد من مكة، قال: ماذا لقيت من الناس ؟ يزعمون أني الدجال، ألم يقل نبي الله إنه يهودي، وقد أسلمت، وقال إنه لا يولد له، وقد ولد لي، وقال: إن الله حرم عيه المدينة ومكة، وقد ولدت بالمدينة وحججت إلى حرم مكة، ثم قال في آخر قوله: والله إني أعرف أين هو الآن وأعرف أباه وأمه. وقيل له يوما: أيسرك لو كنت ذاك ؟ فقال: لو عرض لي لما كرهته.

وقال نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما: لقيت ابن صياد في بعض طرق المدينة، فقلت له قولا أغضبته، فانتفخ حتى ملأ الطريق، ثم دخلت بعد ذلك على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بلغها الخبر فقالت: يرحمك الله ما أردت من ابن صياد ؟ أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنما يخرج من غضبة يغضبها.

وأما عجائب هذا البحر: فمنها سمكة تزيد على مائتي ذراع تضرب السفينة بذنبها فتغرقها.

ومنها: سمكة مقدار ذراع، بدنها كبدن السمك ووجهها كوجه البوم.

ومنها: سمكة طولها نحو عشرين ذراعا ومن ظهرها الدبل الجيد، وهي تلد كالآدمية وترضع مثلها.

ومنها: سمكة تصاد وتجفف فيبقى لحمها مثل القطن يتخذ منه غزل وينسج منه ثياب فاخرة، تسمى تلك الثياب سمكين.

ومنها: سمكة على خلقة البقر تلد وترضع كالبقرة، وسمكة عريضة عرضها أميز من طولها يقال لها البهار ويقارب وزنها قنطارا؛ طيبة اللحم والطعم.

وسمكة: طولها شبران ولها رأسان؛ رأس في موضعه العادي، ورأس في موضع ذنبها، وتسمى **الخنجر**.

وسمك: يقال له الفرس، وهو نوع من كلاب الماء في البحر، في فمه سبع صفوف أضراس وطوله عشرة أشبار، وهو كثير الضرر والأذى.

فصل في

بحر الزنج

وهو بحر الهند بعينه

وبلاد الزنج منه في جانب الجنوب تحت سهيل وراكب هذا البحر يرى القطب الجنوبي ولا يرى القطب الشمالي ولا بنات نعش، وهو متصل بالبحر المحيط، موجه كالجبال الشواهق وينخفض كأخفض ما يكون

من الأودية وليس له زبد مثل سائر البحار، وفيه جزائر كثيرة ذوات أشجار وغياض لكنها ليست بذوات ثمار، مثل شجر الآبنوس والصندل والساج، والعنبر يصاد ويلقط من ساحلها، وبها يوجد منه كل قطعة كالتل العظيم.." (١)

"وخلف جمال الدين ولدا ذكرا بقي بعده مدة يسيرة ومات وكان الشيخ نجم الدين حسن الاعتقاد في الصلحاء والفقراء يزورهم ويبرهم ويقضي حوائجهم وكان دمث الأخلاق حسن المحاضرة كثير المباسطة بلغني أنه قال للزين خالد النابلسي تذكر ونحن في النظامية والفقهاء يلقبونك خولتا قال نعم وكانوا يلقبونك بالدعشوش فضحك الشيخ نجم الدين واعجبه منه هذه المباسطة وكان يسلم على كل من يمر به وهو راكب يشير بإصبعه بالسلام وبلغني في موجب ترسله أن الملك الصالح نجم الدين سير إلى الديوان القاضي نجم الدين قاضي نابلس وكان عنده رياسة وفضيلة وله مكانة عند الملك الصالح نجم الدين وأمره أن يخاطب الخليفة في أداء الرسالة عنه بما كان السلطان صلاح الدين رحمه الله يخاطب به الإمام الناصر في كتبه ورسائله وهو الخادم فلما أدى قاضي نابلس الرسالة كما أمره مخدومه أنكر عليه ذلك وترك في المكان الذي وقف فيه لأداء الرسالة على حالته قائما وبلغته الشمس فكاد يهلك فأدى الرسالة على ما أرضى الديوان وحصل عند الخليفة تأثر من ذلك وقال من هذا الرسول قالوا هو فقيه من أهل نابلس قال وما هي نابلس قيل بلدة لطيفة من أعمال دمشق فقال أبصروا لنا فقيها يكون من قرية ولقبه نجم الدين ليتوجه بجواب الرسالة فطلبوا بالمدرسة المستنصرية والمدرسة النظامية شخصا بهذه الصفة فلم يجدوا سوى الشيخ نجم الدين فأحضروه وجهزوه وأرسلوه وصحبته قاضي نابلس فلما صارا في الطريق قيل لقاضي نابلس ينبغي أن تغير لقبك تأدبا مع رسول الديوان العزيز ومع مخدومك فأن لقبه نجم الدين فغير لقبه مسافة الطريق وكان ذلك بداية سعادة الشيخ نجم الدين وظهر منه كفاية تامة في ذلك وشكر أثره وجميل اعتماده وأما الملك الصالح فغضب على قاضي نابلس وقال كنت بقيت مكانك إلى أن مت ولا أديت عني ما لم أمرك به وانحطت رتبته عنده لذلك وقال شهاب الدين عبد الرحمن في يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة عمل عزاء الشيخ نجم الدين المذكور بمدرسته التي أنشأها بدمشق وقال القاضي جمال الدين بن واصل أنه ولي القضاء ببغداد في ثالث عشر ذي القعدة واستمر فيه مريضا سبعة عشر يوما وتوفي وظاهر الحال أنه توفي في سلخ شهر ذي القعدة رحمه الله.

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص/٥٧

علي بن محمد بن الرضا بن محمد بن حمزة بن أميركا أبو الحسن الحسيني الموسوي الطوسي المعروف بابن دمير خان مولده في رابع صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة بحماة وله شعر حسن وتصانيف كثيرة وكان فاضلا متفننا توفي في رابع شهر ربيع الآخر كان ورد أربل في شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وستمائة من بغداد وذكر انه مدح الإمام المستنصر بالله وأجازه جائزة سنية وأول القصيدة المشار إليها.

البيض أخلق بالفتى والأسمر ... إن خانه البيض الدمى والأسمر

إن المهند والمثقف ملجأ ... لمسهد لسوى العلي لا يسهر

أيسومني سلطان حبك ذلة ... وبي الـمهامة والمهاوى اجدر

ولأن قتلت بسهم لحظك طالما ... قتل الضراغمة الغزال الأحور

كم زرت حيك واللهاذم والظبي ... في النقع من مهج الفوارس تقطر

وخفيت سقما عنهم وكأنني ... في خاطر الظلماء وهم يخطر

٣٤ب –كم ذأ مني النفس عنك تجلداوالعاذلون بسر وجدي أخبر

كذب التجلد والعواذل والمنى ... لا كان صب عن حماك يصبر

من لي بوصلك والزمان مساعدي ... والعيش في سود الذوائب أخضر

والليل في عرس الوصال قميصه ... بالزاهرات مدرهم ومدنر

قد شد منطقة المجرة وامتطى ... بالتاج والإكليل فيها خنجر

– من أبيات مدحه بها – وقال

أعاتب عيني وهي أول من جنى ... وأزجر قلبي كي يحيد عن الحب

فإن قلت قلبي قال عيناك قد جنت ... وإن قلت يا عيني تحيل على القلب

وقد حرت بين اثنين كل بجهده ... يسوق بليات الغرام إلى لبي

وقال شرف الدين ابن المستوفي وزير أربل رحمه الله أغار بهذه الأبيات على أبيات حفظها في المكتب وهي.

إذا لمت قلبي قال عيناك أبصرت ... وإن لمت عيني قالت الذنب للقلب." (١)

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١/ ٢٧

"محمد بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف أبو عبد الله رضى الدين الأنصاري الشاطبي الإمام العلامة في علم العربية واللغة. توفي بمصر، ودفن بالقرافة الصغرى في ثامن عشرين شهر جمادى الأولى وقد جاوز ثمانين سنة من العمر رحمه الله تعالى ومولده سنة إحدى وست مائة، روى عن ابن المقير وابن الجميزي، وجماعة يطول شرحهم. قال أخي رحمه الله أنشدني:

رب سهل على فتاتي لترای ... هل سلا فتاها فتاها

علمته جفونها أي سحر ... ما تلاها عن حسنها مذ تلاها

وأنشده أيضا:

لولا ثباتي وساتي ... لطرت شوقا إلى الممات

لأني في جوار قوم ... تعصني قربهم وحياتي

وأنشده أيضا رحمه الله بمصر:

منغض العيس لا يأوي إلى دعة ... من كان في بلد أو كان ذا ولد

والساكن النفس من لم ترض همته ... مسكني مكان ولم يسكن إلى أحد

محمد بن يعقوب بن علي أبو عبد الله فخر الدين المعروف بابن تميم. وهو سبط ابن تميم، أظنه دمشقي الأصل والمولد والمنشأ، ونقل إلى حماة واستوطنها، وخدم صاحبها الملك المنصور ناصر الدين رحمه الله جنديا، وكان له به اختصاص وقرب. وكان فاضلا عاقلا شجاعا، كريم الأخلاق، حسن العشرة، وحج إلى بيت الله الحرام، وهو من الشعراء المعدودين في عصره، وتوفي بحماة – رحمه الله تعالى – في هذه السنة.

ومن شعره قوله في الحماسة:

صبح بنا أرض الفرنج بغارة ... تحوي بها أموالها ورجالها

محتادنا قد حرمت أوساطها ... نحو المسير وشمرت أذيالها

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

كم فارس صاحبته يوم الوغى ... وتركته إذ خانه أقدامه

حتى بلغت بحد سيفي موضعا ... في الحرب لم تبلغ إلى سهامه

وقال أيضا رحمه الله:

دعني أخاطر في الحروب بمهجتي ... إما أموت بها وإما أرزق

فسواد عيشي لا أراه أبيضا ... إلا إذا احمر السنان الأزرق

وقال أيضا رحمه الله:

لو كنت تشهدني وقد حمس الوغى ... في موقف ما الموت عنه بمعزل

لترى أنابيب القناة على يدي ... تجري دما تحت ظل القسطل

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

ألا من مبلغ المحبوب أني ... وقفت وللظبي حولي صليا

وأني جلت في جيش الأعادي ... برمحي وهو في فكري يجول

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

يا قوم قد بلغ قول الحيا ... عني إلى المحب بلا علم

من **خنجري** أطل من سيفي ... ورمحه أقصر من سهمي

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

لمنجنيق وللحصون وقائع ... فيها عجيب للذي يتفهم

يومي إليها بالركوع مخادعا ... فتخر ساجدة له وتسلم

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

لا تحقرن قليل السر إن له ... زيادة كضوارم النار في القبس

فحرب وائل صرع الباب أسعرها ... وحرب قيس حسها لطمة الفرس

وقوله في صفة الرياض والأزهار ونحوه:

مولاي قد وافى زمان لم يزل ... بقدومه تستبشر الندماء

زمن كأن الأرض فيه ألبست ... خلعا أجادت صنعها صنعاء

....بلحظ عين لا ترى ... إلا غديرا حال فيه الماء

وترى بنفسك عزة في دوحة ... إذ فوق رأسك حيث سرت لواء

لا تهملن لذاذة الدنيا فقد ... رق النسيم وراقت الصهباء

واشرب من الحمراء في مبيضة ... ليحافل الصفراء والسوداء

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

رعى الله وادي النيرين فإنني ... قضيت به يوما لذيذا من العمر
درى أنني قد جئته متنزها ... فمد لأثوابي بساطا من الزهر
وأقدمني الماء الفراح فحيثما ... سبحت رأيت الماء في خدمتي يجري
وقال أيضا رحمه الله تعالى:
وحديقة بستان فيها جدول ... طرفي برونق حسنه مدهوش
تبدو ظلال غصونه في مائه ... فكأنما هو معصم منقوش
وقال أيضا رحمه الله تعالى:." (١)

"رأيت أيام مجاورتي بمكة شرفها الله، وأنا إذ ذاك ساكن منها بالمدرسة المظفرية، والنبي صلى الله عليه وسلم في النوم، وهو قاعد بمجلس التدريس في المدرسة المذكورة بجانب الشباك الذي تشاهد منه الكعبة الشريفة، والناس يبايعونه، فكنت أرى الشيخ أبا عبد الله المدعو بخليل قد دخل وقعد القرفصاء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: أبايعك على كذا وكذا، وعدد أشياء منها، وأن لا أرد من بيتي مسكينا خائبا، وكان ذلك آخر كلامه، فكنت أعجب من قوله، وأقول في نفسي كيف يقول هذا ويقدر عليه، مع كثرة فقراء مكة واليمن والزيالعة والعراق والعجم ومصر والشام. وكنت أراه حين ذلك لابسا جبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالقفطان. كان يلبسها في بعض الأوقات، فلما صليت الصبح غدوت عليه وأعلمته برؤياي فسر بها وبكى، وقال لي تلك الجبة أهداها بعض الصالحين لجدي، فأنا ألبسها تبركا. وما رأيته بعد ذلك يرد سائلا خائبا. وكان يأمر خدامه يخبزون الخبز ويطبخون الطعام ويأتون به إلي بعد صلاة العصر من كل يوم. وأهل مكة لا يأكلون في اليوم إلا مرة واحدة بعد العصر، ويقتصرون عليها إلى مثل ذلك الوقت. ومن أراد الأكل في سائر النهار أكل التمر. ولذلك صحت أبدانهم، وقلت فيهم الأمراض والعاهات. وكان الشيخ خليل متزوجا بنت القاضي نجم الدين الطبري، فشك في طلاقها وفارقها. وتزوجها بعده الفقيه شهاب الدين النويري من كبار المجاورين، وهو من صعيد مصر. وأقامت عنده أعواما وسافر بها إلى المدينة الشريفة ومعها أخوها شهاب الدين فحنث في يمين بالطلاق، ففارقها على ضنانته بها، وراجعها الفقيه خليل بعد سنين عدة. ومن أعلام مكة إمام الشافعية شهاب الدين بن البرهان، ومنهم إمام الحنفية شهاب الدين أحمد بن علي من كبار أئمة مكة

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١١٢/٢

وفضلائها، يطعم المجاورين وأبناء السبيل. وهو أكرم فقهاء مكة. ويدان في كل سنة أربعين ألف درهم وخمسين ألفا، فيؤديها الله عنه. وأمراء الأتراك يعظمونه ويحسنون الظن به، لأنه إمامهم. ومنهم إمام الحنابلة المحدث الفاضل محمد بن عثمان البغدادي الأصل المكي المولد. وهو نائب القاضي نجم الدين، والمحتسب بعد قتل تقي الدين المصري، والناس يهابونه لسطوته.

حكاية كان تقي الدين المصري محتسبا بمكة، وكان له دخول فيما يعنيه وفيما لا يعنيه. فاتفق في بعض السنين أن أتى أمير الحاج بصبي من ذوي الدعارة بمكة قد سرق بعض الحجاج. فأمر بقطع يده فقال له تقي الدين: إن لم تقطعها بحضرتك، وإلا غلب أهل مكة خدامك عليه. فاستنقذوه منهم وخلصوه، فأمر بقطع يده في حضرته فقطعت. وحقدها لتقي الدين. ولم يزل يتربص به الدوائر، ولا قدرة له عليه لأن له حسبا من الأميرين رميثة وعطيفة والحسب عندهم أن يعطي أحدهم هدية من عمامة أو شاشية بمحضر الناس تكون جوارا لمن أعطيته، ولا تزول حرمتها، معه حتى يريد الرحلة والتحول عن مكة. فأقام تقي الدين بمكة أعواما، ثم عزم على الرحلة، وودع الأميرين، وطاف طواف الوداع، وخرج من باب الصفا. فلقيه صاحبه الأقطع وتشكى له ضعف حاله، وطلب منه ما يستعين به على حاجته. فانتهره تقي الدين وزجره، فاستل خنجرا له يعرف عندهم بالجنبية، وضربه ضربة واحدة كان فيها حتفه. ومنهم الفقيه الصالح زين الدين الطبري، شقيق نجم الدين المذكور من أهل الفضل والإحسان للمجاورين ومنهم الفقيه المبارك محمد بن فهد القرشي، من فضلاء مكة. وكان ينوب عن القاضي نجم الدين بعد وفاة الفقيه محمد بن عثمان الحنبلي، ومنهم العدل الصالح محمد بن البرهان زاهد ورع مبتلى بالوسواس. رأيته يوما يتوضأ من بركة المدرسة المظفرية، فيغسل ويكرر، ولما مسح رأسه أعاد مسحه مرات، ثم لم يقنعه ذلك فغطس رأسه في البركة. وكان إذا أراد الصلاة ربما صلى الإمام الشافعي، وهو يقول: نويت نويت، فيصلي من غيره وكان كثير الطواف والاعتمار والذكر.

ذكر المجاورين بمكة." (١)

"والعرض في معنى الشرف، ويتجلى في مظاهر متنوعة يراد بها صيانة السمعة وطرد سوء الظن وما يخدش شرف الإنسان من سوء أو مكروه. وهو لا يكتفي بالدفاع عن عرضه، بل يلزم نفسه ايضا بالدفاع عن عرض قبيلته وعن عرض من يدخل في جواره أو في حلفه، لأن أعراضهم عرضه. فهو يلزم نفسه بلوازم

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/٦٨

كثيرة ثقيلة، يحاول مهما كلفه الأمر الوفاء بها خشية العار. وهو في لمجل الوفاء بالتزامات العرض يفعل ما يشاء، ويدخل في ذلك القتل والعنف في سبيل الدفاع عن الالتزامات التي ألزم نفسه بها في سبيل حماية العرض.

وإذا ممس عرض امرئ بأذى هاج وأهاج من هو من ذوي دمه ولحمه، للاقتصاص ممن دنس عرضه. وهو لا يهدأ حتى يأخذ بثأره ممن داس على عرضه. فثأر العرض مثل ثأر القتل، لا يهدأ صاحبه ولا يهجع إلا إذا اخذ بثأره ممن تجاوز على عرضه. والغالب في عقوبة هذا الثار الذبح. أي بقطع الرأس. عن الجسد يذبح حتى في حالة إذا كان قد تِوفي من طعنة **بخنجر** يقضي عليه، فانه يذبحه عندئذ. ويكون هذا غسلا للعار الذي ألحقه ذلك المتجاسر بعرض القائل.

المروءة

وتتمثل المثل الجاهلية العليا في "المروءة"، وقد فسرت المروءة بأنها كمال الرجولية. ومن المروءة: الحلم، والصبر، والعفو عند المقدرة، وقرى الضيف، واغاثة الملهوف، ونصرة الجار، وحماية الضعيف. فإذا تمثلت أمثال هذه السجابا في رجل، كان كاملا، عظيم الشأن في قومه. والمروءة عند الجاهلين كالدين عند المسلم. وقد ورد إن المروءة إلا تفعل في السر أمرا وأنت تستحي إن تفعله جهرا فهي أقصى ما تكون من أخلاق في الرجل الكامل الشجاع. وقد اقرها الإسلام في جملة ما اقره من فضائل الجاهلية، ورد: الدين، المروءة، ولا دين إلا بالمروءة.

والشهامة هي من صفات السيد الشريف النبيل. و الشهم، هو السيد النجد، الذي إذا دعي أتجد، وإذا طلب أجاب.

الكملة." (١)

"الانتحار بشرب الخمر

وقد قتل بعض الجاهلين أنفسهم بشرب الخمر. صرفا، ذكر "السكري" منهم "عمرو بن كلثوم الثعلبي". وكانت الملوك تبعث إليه بحياته وهو في منزله من غير إن يفد إليها. فلما ساد ابنه الأسود بن عمرو، بعث إليه بعض الملوك بحبائه كما بعث إلى أبيه، فغضت "عمرو" وقال: "ساواني بولدي"، وحلف لا يذوق دسما حتى يموت، وجعل يشرب الخمر على غير صرفا على غير طعام، فلم يزل يشرب حتى مات.

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٥٤/٦

وأهلك "البرح بن مسهر الطائي،" نفسه بشرب الخمر الصرف كذلك، في قصة ذكرها "السكري".

و "زهير بن جناب بن هبل"، هو ممن أتلف نفسه بشرب. الخمر أيضا، لما خالفه ابن أخيه عبد الله بن عليم بن جناب، فانزعج من ذلك وغضب، وأمات نفسه بشرب الخمر. ذكر انه قال في ابن أخيه: "عدو الرجل ابن اخيه، غير انه لا يدع قاتل عمه".

وذكر إن "ابا براء بن مالك بن جعفر"، قتل نفسه بشرب الخمر أيضا، انتحر لمخالفة قومه أمره. فدعا قينتين له، فشرب، وغنتاه، ثم دعا بالشاعر "لبيد"، وطلب منه إن يقول ما يقول فيه من المراثي، فلما أثقله الشراب، اتكأ على سيفه حتى مات.

الاغتيال

الغيلة: هي الخديعة وإيصال الشر أو القتل إلى إنسان من حيث لا يعلم ولا يشعر. وقد كان معروفا بين الجاهليين، شجع على ظهوره وانتشاره بينهم، عرف الأخذ بالثأر، والتنافس الذي كان بينهم على الرئاسة والوجاهة، وقواعد مجتمع ذلك الوقت التي كانت تقيم وزنا كبيرا الكلمة، والمدح والهجاء، ولتقديم شخص على شخص في الجلوس في الجلوس من المجالس، فكانت هذه الأمور وأمثالها تدفع من يتعرض لها على الانتقام ممن أهانه والتربص به وتتبع آثاره حتى يتمكن من قتله أو اغتياله.

وقد اتبع المغتالون أساليب شتى في الاغتيال. منها الطعن بالرمح أو **بالخنجر** أو بالسكن، ومنها الذبح، والخنق، ومنها اللجوء إلى الحيلة بدس السم في الشراب أو الطعام، إلى غير ذلك من أسباب الغيلة.." (١)

"والانتحار، أي قتل الإنسان نفسه، معروف عند الشعوب القديمة، ويكون إما بإزهاق الإنسان روحه باستعمال آلة حادة، مثل، سكين أو **خنجر** وما شابه ذلك، وإما برمي الشخص نفسه من محل مرتفع، أو بإغراق نفسه، أو بإحراق نفسه بنار، وما إلى ذلك. ويعد من الأعمال الشريرة في الأديان. ويعبر في العربية ب "قتل نفسه" عن "الانتحار".

ومن الألفاظ التي تعني الموت: القشم. يقال: قشم الرجل قشعا، أي مات. وأم قشعم، فإنها تعني المنية، كما تعتي الحرب والداهية. والحمام،لأنه قضاء الموت وقدره. و "أم اللهيم": يراد بها "الحمى"، ويكنى بها عن الموت، لانها تلتهم كل أحد. وقيل: هي "المنية"، وكنية الموت، لأنها تلتهم كل أحد.

ويعبر عن الحالات التي يكون فيما المرض قد اشتد بالمريض حتى صار يشرف على الموت بتعابير خاصة

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٥١/٦

مثل: "سكرات الموت" و "الحشرجة" ويراد بها تردد النفس.

ويعبر عن القتل المعجل بالتصص، فيقال مات فلان قصصا، إذ أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه. ويقال ضربه فأقصصه، أي قتله في مكانه.

وللدهر والحدثان والزمان والقدرصلات قوية بالموت، إذ تنسب اليها إماتة الإنسان. والدهر على الأخص مسؤول في نظر أهل الجاهلية عن قوارع الزمان وحوادثه التى تنزل بالانسان. انه هو المبيد، وهو المهلك، وهو المفقر، فهو اذن بالنسبة إلى الجاهليين رأس كل بلاء. ولكنهم بدلا من التقرب اليه والتودد له ليبتعد عنهم، وليرأف بحالهم كانوا لا يستطيعون ضبط أعصابهم عند نزول الشدائد بهم، فيسبونه، لذلك ورد ان الرسول نهى عن سب الدهر فقال: "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر". وجعل الدهر في الإسلام من أسماء الله الحسنى، وذكر انه ورد في الحديث القدسي: " تؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وانما أنا الدهر .." (١)

"والسيف هو السلاح الرئيسي في القتال. استعمل في الهجوم وفي الدفاع عن النفس. ويطلق العبرانيون عليه وعلى **الخنجر** لفظة "خ ر ب" "خريب".

وقد يكون السيف قصيرا أيضا. وهو ذو حد واحد وذو حدين. وقد يكون رأسه مدببا حادا يستعمل للطعن. أما الضرب فيكون بحد السيف. والسيوف الجيدة هي السيوف المصنوعة من الفولاذ ومن الحديد النقي الجيد. وقد اشتهرت سيوف اليمن، وبعض السيوف المستوردة من الخارج. ويقال لحديدة السيف "النصل"، وتقابل هذه اللفظة لفظة "لهب" "لهيب" في العبرانية، من أصل "لهب"، وذلك للمعان السيف الذي يشبه اللهب عند عرضه في الشمس.

وللسيف أسماء كثيرة ترد في كتب اللغة، بعضها أسماء وبعضها نعوت وصفات صارت في منزلة الأسماء للسيف. ومن أسماء السيف: "الجنثى" والجمع: "الجنثية"، يقال انها انما سميت جنثية نسبة إلى الجنثي، وهو الحداد.

ويعرف الحداد بالقين عند الجاهليين. أما الذي يقوم بصقل السيف، فهو "الصيقل".

وقد اشتهرت أنواع من السيوف عند العرب، تفاخروا بها، لجودتها وشدة وقعها في العدو. ومن هذه السيوف المشهورة: "السيوف المشرفية". قيل: انها سميت بذلك نسبة إلى "المشارف" جمع مشرف، ويراد بها قرى

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/٤٠٦

للعرب تدنو من الريف. وقيل: لأنها من مشارف الشام. وقيل: نسبة إلى موضع من اليمن. وقيل بل نسبة إلى "مشرف" رجل من ثقيف.

ورد "ابن رشيق القيرواني" قول من نسب السيوف المشرفية إلى مشارف الشام أو مشارف الريف، وذهب إلى انها نسبة إلى "مشرف"، من قرى اليمن.

وعرفت سيوف "بصرى" بالجودة كذلك، ويقال للسيف المنسوب اليها "بصري". وقد مسحها "الحصين بن الحمام المري"، وأثنى على القيون الذين أخرجوا "صفائح بصرى"، أي السيوف.

واشتهرت السيوف السماة ب "السريجية" بجودتها كذلك، ويقال: إنها نسبة إلى "سريج" رجل من بني أسد. وهو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد ابن خزيمة وكانوا قيونا.." (١)

"واشتهرت سيوف اليمن كذلك، فقيل للسيف "يمان" و "يماني"، إذا صنع باليمن. والظاهر أنها لماعة بيض، ولذلك قيل "بيض يمانية" يمدحون تلك السيوف.

واشتهرت بعض السيوف في الجاهلية، بقيت شهرتها خالدة في الإسلام. ومن هذه السيوف، سيف عرف ب "الصمصامة"، وهو سيف عمرو بن معد يكرب. وسيف عرف ب "ذي الفقار" ارتبط اسمه باسم علي بن أبي طالب، وكان قد استولى عليه في معركة "بدر"، أخذه من العاصي بن منبه.

وكان في أصحاب رسول الله صحابي اشتغل بعمل السيوف في الجاهلية هو "خباب بن الأرت ". وكان من المسلمين الأولين الذين أعلنوا إسلامهم، وعذبوا فيه.

ويتبين من دراسة وتقصي مصادر السيوف عند العرب الجاهليين، أن العرب كانوا آنذاك يستوردونها من أماكن مختلفة، وأن استيرادها كان تجارة مربحة.

وأن تجارها كانوا يفتشون في كل مكان من أسواق العالم المعروفة بصنع وبيع الأسلحة لشراء الأسلحة منها. فاستورد بعضهم أنواعا من السيوف المصنوعة من الهند وقد عرف السيف الجيد المصنوع بالهند ب "المهند". واشتهر الروم بصنع السيوف الجيدة، وكذلك الفرس.

وقد تفنن في تزويق السيوف وفي اكسائها بماء الذهب أو الفضة، وقد اشتهرت الروم بإكساء السيوف ماء الذهب، ويقال لذلك "الدجال".

والخنجر أقصر من السيف، ويستعمل، في المباغتة في الغالب وفي الهجوم وفي الدفاع عن النفس. وهو

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٩٦/٧

مثل السيف أيضا ذو حد وذو حدين، ويوضع في قراب يحمل في وسط الجسم. وهو لا يزال كثير الاستعمال لسهولة استعماله وإخفائه على حين قل استعمال السيوف، أو مات، لعدم ملاءمتها للقتال الحديث. ولرخص الخناجر، بالنسبة إلى السيوف، كانت كثيرة الاستعمال حملها معظم الناس حتى الفقراء لحماية أنفسهم من أذى الإنسان والحيوان. وقد استعملت في أثناء الالتحام بالحروب، حيث يشتبك المحاربون بعضهم ببعض، فيكون الخنجر من الأسلحة الملائمة للفتك بالعدو.." (١)

"واستعمل النصارى واليهود "الزنار"، يشدونه في وسطهم على القميص أو الثوب أو المسوح الذي يلبسونه، ويتدلى أحد طرفيه إلى قريب من القدمين. ويصنع من الجلد أو الحرير أو القطن أو الوبر أو شعر الماعز. وقد يشد على الوسط عدة مرات. وقد يوضع فيه محل لحفظ منديل فيه، أو محبرة وحبر إذا كان صاحبه من الرهبان أو الكتاب، وقد يوضع خنجر أو سلاح حاد فيه. وهو يشبه في فائدته الحزام في الوقت الحاضر. واذا اشتغل الفلاح أو الأعرابي أو غيرهما بعمل ما رفع الطرف الأسفل من قميصه إلى الزنار أو الحزام، ليسهل عيه العمل، وقد يضع في عبه أي القسم الواقع فوق الزناد من جهة الصدر أشياء عديدة يحملها معه مثل خبزه وطعامه أو نقوده أو أشياء أخرى يحتاج إليها في ترحاله.

وقد كان الجاهليون يستفيدون من جلود السمك أيضا، يصنعون منها أشياء متعددة. فالسفن مثلا وهو جلد الأطوم، وهي سمكة في البحر ذات جلد خشن يستخرج ۥنه السياط والسهام، ويكون على قوائم السيوف. واستخدم الجاهليون كذلك فراء مختلف الحيوانات في الأيام الباردة، ومن أنواع الفراء نوع يدعى "سبنجونة"، وهي من جلود الثعالب، وهي من الألفاظ المعربة، ونوع اخر يدعى "الفنك"، وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الفنك دابة يفترى جلدها، وذكر أيضا إن الفنك جلد يلبس.

ومن أنواع الفراء "المساتق" وواحدتها "المستقة". وقد ورد ذكرها في كتب الحديث، جيث قيل إن الرسول كان يلبس "مستقة"، كما ذكر أن عمر كام يصلي وعليه "مستقة". وذكر الجواليقي انها لفظة معربة عن الفارسية، وانها ! مشته". بالفارسية. وقيل: انها فراء طوال الأكمام، وذكر انها جبة واسعة.." (٢)

"ونرى في هذه الصورة تمثال رجل صنع من النحاس، تظهر على شعر رأسه نتوءات بارزة كأنها الخرز، ربما يمثل زينة، أو تعبر عن شعر صاحبها المتموج. أما الوجه، فلا يمثل وجه أهل اليمن، بل كأنه بمثل

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٩٧/٧

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٠٧/١١

وجها ل "بوذا"، أي وجها متأثرا بالفن الهندي الصيني القديم. الأنف فيه ضخم، والفم كبير، وقد غطى الجسيم بقميص له رأس يغطي الرقبة ويصل إلى الحنك، وتجد القميص مفتوحا تحت الخصر، وأما أعلى القميص فمغلق، وقد شد على الخصر "خنجر" مستقيم، على طريقة أهل اليمن في حمل الخناجر إلى هذا اليوم، وقد مدت اليد اليمنى إلى أعلى، وظهرت أصابع الكف واضحة مفصلة. أما اليد اليسرى، فقد مدت إلى أعلى قليلا، وكفها مقبوض، مكونا ثقبا، يظهر أنه صنع لوضع عصا في الثقب، أو شيئا آخر يرمز إلى سيادة ومنزلة اجتماعية. ونجد الجسم لا يتناسب مع ضخامة الرأس والكتفين، فهو ضئيل ضعيف. وفي الأذن صغيرة بالنسبة إلى الرأس. وقد وضعت في مقدم الشعر. ونرى إن الوجه عليق، مما يدل على أن بعض الناس كانوا يحلقون شعر أوجههم في تلك الأيام. وأما الرقبة فغليظة. وهناك قطع أخرى هي عبارة عن تماثيل بشر أو حيوانات مثل حيات أو جمال أو خيل أو جرذان وأمثال ذلك، وقد صنعت من البرنز كذلك، بعضها في غاية الجودة والاتقان. ومن بين هذه القطع المتقنة عصا انتهى طرف منها على هيأة أفعى، نرى فيها الأناقة والرشاقة، وعصا أخرى رأسها على هيئة حية وقد تدلى إلى أسفل. والقطعتان من الصناعات المتأخرة ومن أواخر أيام دولة حمير.." (١)

"فلما وافوا قبره نحوا التراب عن الخشب ونحوا الخشب واستخرجوه في الإزار الذي مات فيه فرأيته قد اسود لبرد البلد وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذا وفاكهة وطنبورا فأخرجوا جميع ذلك فإذا هو لم ينتن ولم يتغير منه شيء غير لونه.

فألبسوه سراويل ورانا وخفا وقرطقا وخفتان ديباج له أزرار ذهب وجعلوا على رأسه قلنسوة ديباج سمورية وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة وأجلسوه على المضربة وأسندوه بالمساند وجاءوا بالنبيذ والفاكهة والريحان فجعلوه معه.

وجاءوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه وجاءوا بكلب فقطعوه نصفين وألقوه في السفينة ثم جاءوا بجميع سلاحه فجعلوه إلى جانبه ثم أخذوا دابتين فأجروهما حتى عرقتا ثم قطعوهما بالسيف وألقوا لحمهما في السفينة.

ثم جاءوا ببقرتين فقطعوهما أيضا وألقوهما فيها ثم أحضروا ديكا ودجاجة فقتلوهما وطرحوهما فيها.

والجارية التي تريد أن تقتل ذاهبة وجائية تدخل قبة قبة من قبابهم فيجامعها صاحب القبة ويقول لها: قولي

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٤١٢/١١

لمولاك إنما فعلت هذا من محبتك.

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاءوا بالجارية إلى شيء قد عملوه مثل ملبن الباب فوضعت رجليها على أكف الرجال وأشرفت على ذلك الملبن وتكلمت بكلام لها فأنزلوها ثم أصعدوها ثانية ففعلت كفعلها في المرة الأولى ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثة ففعلت فعلها في المرتين ثم دفعوا إليها دجاجة فقطعت رأسها ورمت به وأخذوا الدجاجة فألقوها في السفينة.

فسألت الترجمان عن فعلها فقال: قالت في أول مرة أصعدوها: هو ذا أرى أبي وأمي وقالت في الثانية: هو ذا أرى جميع قرابتي الموتى قعودا وقالت في المرة الثالثة: هو ذا أرى مولاي قاعدا في الجنة والجنة حسنة خضراء ومعه الرجال والغلمان وهو يدعوني فاذهبوا بي إليه.

فمروا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كانا عليها ودفعتهما إلى المرأة التي تسمى ملك الموت وهي التي تقتلها ونزعت خلخالين كانا عليها ودفعتهما إلى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا المرأة المعروفة بملك الموت.

ثم أصعدوها إلى السفينة ولم يدخلوها إلى القبة وجاء الرجال ومعهم التراس والخشب ودفعوا إليها قدحا نبيذا فغنت عليه وشربته فقال لي الترجمان: إنها تودع صواحباتها بذلك ثم دفع إليها قدح آخر فأخذته وطولت الغناء والعجوز تستحثها على شربه والدخول إلى القبة التي فيها مولاها فرأيتها وقد تبلدت وأرادت دخول القبة فأدخلت رأسها بينها وبين السفينة فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها القبة ودخلت معها.

وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها فيجزع غيرها من الجواري ولا يطلبن الموت مع مواليهن ثم دخل إلى القبة ستة رجال فجامعوا بأسرهم الجارية ثم أضجعوها إلى جانب مولاها وأمسك اثنان رجليها واثنان يديها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلا مخالفا ودفعته إلى اثنين ليجذباه وأقبلت ومعها **خنجر** عريض النصل فأقبلت تدخله بين أضلاعها موضعا موضعا وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت.

ثم وافى أقرب الناس إلى ذلك الميت فأخذ خشبة وأشعلها بالنار ثم مشى القهقرى نحو قفاه إلى السفينة ووجهه إلى الناس والخشبة المشعلة في يده الواحدة ويده الأخرى على باب استه وهو عريان حتى أحرق الخشب المعبأ الذي تحت السفينة من بعدما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها.

ثم وافى الناس بالخشب والحطب ومع كل واحد خشبة قد ألهب رأسها فيلقيها في ذلك الخشب فتأخذ

النار في الحطب ثم في السفينة ثم في القبة والرجل والجارية وجميع ما فيها ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتد لهب النار واضطرم تسعرها وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعته يكلم الترجمان الذي معي فسألته عما قال له فقال: إنه يقول: أنتم يا معاشر العرب حمقى.

فقلت: لم ذلك قال: إنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم وأكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب وتأكله التراب والهوام والدود ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته.

ثم ضحك ضحكا مفرطا فسألت عن ذلك فقال: من محبة ربه له قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعة فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والجارية والمولى رمادا مددا." (١)

"وهو آخر الأسلحة استعمالا في المعركة بعد القوس والرمح، وذلك أن القتال يكون أول أمره بالسهام عن بعد، ثم تطاعنا بالرماح عند المبارزة واقتراب الصفوف، ثم تصافحا بالسيوف عند الاختلاط، ثم تضاربا بالأسلحة البيضاء، وخلسا بالخناجر عند الالتحام والاختلاط ... (نهاية الأرب: ٢٣٨/٦) فهو الذي يحدد مصير المعركة، وعلى حسن بلائه تتوقف نهايتها.

ويكفي لبيان فضل السيف قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الجنة تحت ظلال السيوف)) (رواه الحاكم، شرح الجامع الصغير للمناوي: ٢٤٩/١).

ومجمل أجزاء السيف تجدها في (الشكل رقم ٥).

وسيوف العرب أنواع كثيرة تختلف باختلاف صناعها وأماكن صنعها..

أشهرها: السيف اليماني نسبة إلى اليمن، والهندي أو الهندواني أو المهند، وهو المصنوع في الهند، وهو يلي اليماني بالجودة، والمشرفي المنسوب إلى مشارف الشام،

شكل رقم (٤)

والقلعي نسبة إلى القلعة حصن بالبادية، والبصروي المنسوب إلى بصرى بالشام.

وطريقة حمل السيف، تكون بتعليقه في الأكتاف والعواتق، ولذا يقال: تقلد سيفه، أي جعله كالقلادة، وذلك بحمله على الكتف الأيمن وتركه متدليا في جنبه الأيسر.

أما إذا كان الفارس يحمل سيفين، فإنه يتقلد بأحدهما ويجعل الآخر في وسطه، وقد علق كل واحد منهما

---

(١) رحلة ابن فضلان، ص/١٤

في حمالته محفوظا في قرابه الجلدي.

(د) **الخنجر**: (١٧)

وهو معروف، يحمله المحارب في منطقته، أو تحت ثيابه، فإذا اختلط بآخر طعنه به خلسة.

وقد كان قسم من نساء المسلمين يحملن الخناجر في الغزوات المختلفة تحت ثيابهن للدفاع الشخصي.

(هـ) الدبوس:

وبعضهم يسميها: المطرقة، وهي عصا قصيرة من الحديد، لها رأس حديد مربع أو مستدير، وهي في العادة للفرسان يحملونها في سروجهم ويقاتلون بها عند الاقتراب. انظر (الشكل رقم٦).

(و) الفأس أو البلطة:

وهو سلاح له نصل من الحديد، مركب في قائم من الخشب، كالبلطة،

شكل رقم (٥)

شكل رقم (٧-٦)." (١)

"ولما تحقق كودرز من شاه منصور وفاته، وخذله الأنصار، وأعجزه الانتصار وفاته، كان أبو الفتح يراسله كل ساعة، ويتكفل له عند تيمور بالشفاعة، أذعن للصلح، واستعمل في ذلك أبا الفتح، ونزل متراميا عليهم، وسلم الحصن إليهم فحنق إيدكو عليه، لكون عقد الصلح لم ينحل على يديه، فقتله من ساعته، ولم يلتفت إلى أبي الفتح وشفاعته، فأخبر تيمور بذلك وكان في بعض الممالك، فغضب عليه غضبا شديدا، ولكن فات التدارك " فصل " مما يحكى عن إيدكو هذا متولي كرمان أنه كان بها للسلطان، أحمد أخي شاه شجاع ولدان صغيران، أحدهما يدعى سلطان مهدي والآخر سليمان خان، وكان سليمان خان في غاية الحسن واللطافة، حاويا معني الملاحة والظرافة، معبى بالكمال، مربى بالدلال، ألفاظه رائقة، وألحاظه راشقة، والأرواح إليه شائقة، وأرباب الألباب له عاشقة، حركاته في القلوب ساكنة، ولفتاته للخلق فاتنة، كما قيل

---

(١) العسكرية العربية الإسلامية، ص/١٠٤

نسيم عبير في غلالة ماء ... وتمثال نور في أديم هواء

وعمره إذ ذاك ستة أعوام ولكن مفتتن به الخاص والعام، فعزم إيدكو على إتلافهما، وإلحاقهما بأسلافهما، ولم يكتف من تلك الدرة بأنها صارت يتيمة، لا رق لأمهما التي خربت ديارها لكونها مخدرة كريمة، ولم يكن لها مدافع ولا عنها ممانع فطلب من الجلادين من يعتمد في ذلك عليه، فلم تطب نفس أحد أن تمتد يده بمكروه إليه، ومضى على ذلك مدة، والخلق بسبب هذه القضية في ضيق وشدة، حتى وجدوا عبدا أسود، كأنه للبلاء مرصد، وكأن الشياطين له عبدة والعفاريت جنود وحفدة، وثوب ليل القهر من سدا سواده انتسج، وأصل الشجرة التي طلعها كأنه رؤوس الشياطين من حبة فؤاده نبتت فنتج، يستلذ عند صدى صوته خوار الثيران، ويستحسن عند خيال صورته مشاهدة الغيلان قلت

زبانية النيران تكره وجهه ... وحين تراه تستعيذ جهنم

قد نزع الله من قلبه المرحمة، وجبل فؤاده على المأثمة فأرغبوه أن يختلهما، ويقتلهما، وكانت عين سليمان خان رمدا، وقد سكن في حجر دايته وتهدى فدخل عليه ذلك الظالم من ساعته، واغتاله وهو راقد في حجر دايته، وضربه في جنبه **بخنجر**، وأنفذه من الجنب الآخر، فارتفع الضجيج والولولة، ووقع العجيج في الناس والزلزلة، وعم المأتم أمه الوالهة وأهلها، وطفق الناس يبكون عليها ولها، والظاهر أن هذه الأمور، كانت بإشارة تيمور، وعسكر ذلك الظلوم الكفار، ما كان يخلو عن مثل هذه الشرور والأشرار، ولو كان فاعله من غيرهم، لكن لعلة المصاحبة والمرافقة كان يسير بسيرهم

حكاية

لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيرة، كان مع واحد منهم أسيرة، كشفت أيدي النوائب قناع عصمتها ولطمتها، وعلى يدها بنت لها رضيع ففطمتها، فلما قربوا من حماة، جعلت البنت تئن أنين الأواه، ولما بها من المضض المنكى تنكد وتبكي ومعهم جمال من بغداد، منطو على الفساد، محتو على النكاد، مجبول على الغلاظة والقساوة، معمول من الفظاظة والغباوة، ممتلئ من البذا متضلع من الأذى، لم يخلق الله تعالى في قلبه من الرحمة شيئا فينتزع، ولم يودع لسانه لفظا من الخير فيستمع، فأخذ تلك البنت من أمها، فدار في وهما أنه إنما أخذها ليخفف عنها من همها، وكانت راكبة على جمل ثم انقطع ساعة عن الثقل ثم وصل ويده خالية وقهقهته عالية، فاستكشفت أمها حالها، فقال مالي ومالها فهوى عقلها ووهى، فطرحت نفسها ونحت نحوها، فأخذتها وانقلبت وأتت بها وركبت، فتناولها منها مرة أخرى، على أن لا يسومها ضرا، ثم

غاب عنها ورجع وقد صنع كما صنع، فألقت نفسها ثانية، وعدت إليها ثانية وجاءت وهي عانية، وقطوف حياتها دانية، فركبت وأخذتها، وضعتها على كبدها التي منها فلذتها، فأخذها منها مرة ثالثة، بنية في الفساد عابثة، وحلف لها يمينا حانثة أنه بحملها ينوء، ولا يمسها بسوء، فحملها ساعة ثم خرج عن سنة الجماعة، ورمى بها في بعض البطاح وفعل بها ما فعله اليهودي بصاحبه الأوضاح وجاء ويده الدامغة، في الإثم ملأى ومن البنت فارغة، وقد سلبها سلبها، وجلب إلى أمها جلبها، فاطرحت نفسها باكية، ورامت الرجعى جارية، فقال لها لا تتعبي، كفيتك همها فارجعي واركبي، فبكت وصاحت، وأنت وناحت، ووقعت في العناء وإن كانت قد استراحت، والناس على دين ملوكهم، سالكون طرائق سلوكهم
سبب دخوله إلى عراق العرب." (١)

"فأرسل يقول قد علمتم كيف آذاني، ومزق عرضي وأخزاني، وأخرجني من ملكي وسلطاني، وغربني عن أهلي وإخواني، وأذلني إذ رأسني بمفارقة حبي وأوطاني، والآن فقد جعلني ترسا، يتقي بي الحوادث والبأسا، وقد عرفتم كيف يريد أن يتصرف، وعلى كل حال فالعارف لا يعرف، ومع هذا مهما رأيتم في ذلك من المصلحة فافعلوه، ففي الحال قطعوا رأسه وإليه أرسلوه
ذكر عود خليل سلطان من ممالك أندكان
وقصده عمه شاه رخ، ولعبه بالنفس مع ذلك البرخ
واستمر خليل سلطان، في ذلك المكان، وأطراف تركستان، يرسل بالفارسي الأشعار الفراقية، وينشئ في حبيبته ما ينسي القصائد الزيدونية، ويذكر ما هو فيه من الغربة، وما جرى عليه من الفراق والكربة، فيصدع بذلك القلوب ويفتت الأكباد، إلى أن مل المقام في تلك البلاد، فنفض منها ذيله وضم رجله وخيله، وقصد عمه، وركب الطريق وأمه، فأكرم عمه مثواه، ولم يذكر له أخبار ما أنشاه، وضم إليه حبيبته، ولم إلى خليل خليلته، وقرر قاعدة ذلك الإقليم وشيده، وولى فيه أولوغ بك ولده وقفل إلى خراسان، مستصحبا معه خليل سلطان، ثم ولاه ممالك الري، فلم يقم بها إلا أدنى شيء، وانتقل إلى رحمة الله، وكأن عمه دس له شيئا فسقاه، فدفن بمدينة الري، وطوى نشر ذلك الحاتم أي طي، وحين وقعت شاد ملك في هذا الخطب الجليل، واشتعلت أحشاؤها بنار الخليل، قالت لا ذقت فقدك ولا عشت بعدك، وأنت ورنت، وأنشدت وغنت

---

(١) عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص/٢٠

كنت السواد لمقلتي ... فبكى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

ثم أخذت خنجرا فوضعته في لبتها، واتكأت عليه بقوتها، فنفذ من قفاها، وأحرقت بنارها كل من رآها، فدفنا في قبر واحد، وأمسى لسان حالهما ينشد

أجارتنا إنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

وصفا لشاه رخ ممالك ما وراء النهر وخراسان، وخوارزم وجرجان، وعراق العجم ومازندران، وقندهار والهند وكرمان، وجميع بلاد العجم إلى حدود أذربيجان، وإلى يومنا هذا أعني سنة أربعين وثمانمائة، ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنه ولطفه والحمد لله رب العالمين، " وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم " " فصل " في صفات تيمور البديعة وما جبل عليه من سجية وطبيعة وكان تيمور طويل النجاد، رفيع العماد، ذا قامة شاهقة، كأنه من بقايا العمالقة، عظيم الجبهة والرأس، شديد القوة والبأس، عجيب الكون، أبيض اللون، مشروبا بحمرة، غير مشوب بسمرة، فخيم الأطراف، عريض الأكتاف، غليظ الأصابع، سميك الأكارع، مستكمل البنية، مسترسل اللحية، أشل، أعرج اليمناوين، عيناه كشمعتين غير زهراوين، جهير الصوت، لا يهاب الموت، قد ناهز الثمانين، وهو مع ذلك بجأش مكين، وبدن مستمسك متين، صلبا شهما، كأنه صخرة صما لا يحب المزاح والكذب، ولا يستميله اللهو واللعب، يعجبه الصدق، ولو كان فيه ما يسوءه، ولا يأسى على ما فات ولا يفرح بما يجيئه، وكان نقش خاتمه " راستي رستي " ، يعني صدقت نجوت، وميسم دوابه وسرة سكته على الدرهم والدينار ثلاث حلق هكذا لا يجري غالبا في مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا سفك دم، ولا من سبي ونهب وغارة وهتك حرم، مقداما شجاعا مهيبا مطاعا، يحب الشجعان والأبطال، ويستفتح بهم أقفال الأهوال، ويفترس بهم أسود الرجال، ويستهدم بهم وبصدماتهم قلل الجبال، ذا أفكار مصيبة، وفراسات عجيبة، وسعد فائق، وجد موافق، وعزم بالثبات ناطق، ولدى الخطوب صادق قلت

فكم قدحت آراؤه زند فتنة ... حمته لدى البأسا وأورت قبائلا

محجاجا دراكا للمحة " واللمزة " ، مرتاضا مستيقظا للرمزة، لا يخفى عليه تلبيس ملبس، ولا يتمشى عليه تدليس مدلس، يفرق بين المحق والمبطل بفراسته، ويدرك الناصح والغاش بدربة درايته، يكاد يهدي بأفكاره النجم الثاقب، ويستتبع بآراء فراسته سهم كل كوكب صائب قلت

يشاهد أعقاب الأمور بعقله ... كما شاهد المحسوس بالعين ناظر

إذا أمر بأمر أو أشار بشيء لا يرد عنه، ولا يثنى عنان عزيمته عن شيء منه، لئلا ينسب إلى قلة الثبات، وركاكة الرأي والحركات قلت

إذا قال قولا أو أشار إشارة ... ترى أمره في النص قاطعا." (١)

"" منهم البقارة. ذوو الهبات السارة. والكتائب المارة، الذين هم مآل النجا، وساق الرجا، ورواق الخائف، وقوام المتجانف، سيوفهم أطول من ظلال الرمح، وأكفهم ابيض من نوالها وجه الصبح، ولو لم يكن لهم الا اكرام ضيفهم الطارق، لكفاهم هذا المجد الخارق. وأما فرسانهم فخمسمائة. وسقمانهم الف. " اه(١).

وأصل العشيرة في أنحاء الشام. وفي لواء الدليم قسم قليل منهم، وهم من العشائر الزبيدية. وهؤلاء رئيسهم عبد بن حميد وفروعهم الموجودة: ١ - البو علي.

٢ - البو مفرج.

وهؤلاء في الجزيرة، وفي الكرمة من مواطن الدليم. وجاء التفصيل عن هذه العشيرة في كتاب عشائر الشام وبين الآراء في أصلها واعتقد انهم من زبيد، والبو سلطان من عشائرهم.

٦ - الجميلة: وهذه العشيرة تساكن الدليم. وقسم منهم في الكرمة، وقسم منهم رحالة، وآخرون في هور عكركوف (عقرقوف). ونخوتهم عايد. ونخوتهم الاصلية (زعب). عاشت مع الدليم واكتسبت عوائد كثيرة منها. وهي عشيرة كبيرة من العشائر القيسية. يرأسهم في أنحاء الكرمة الشيخ محمد العباس والشيخ نايف المحمد الظاهر وهم نحو ألف وثلثمائة بيت أو الف واربعمائة. وفرقهم: ١ - البو جاسم: رئيسهم محمد المشوح ومنه علمت عن هذه العشيرة الشيء الكثير. يقيمون في الكرمة والنعيمية في الجزيرة والحصى. وفي نفس الفلوجة البو شلال والبو مطر. ومن فروعهم: (١)البو عودة: الرؤساء.

(٢)البو خالد: يرأسهم مجباس الحمد وفرحان العبد البرغش في كرمة أم الخنازير.

(٣)البو عرنوس: رئيسهم فياض السرحان.

(٤)البو عبد الحديد: رئيسهم عبيد العزيز، وفي الحصى في الشامية.

(٥)البو عليوي: رئيسهم شويش المشكور وتوفي سنة ١٩٤٩م. وكانت الرئاسة فيهم. وهم في الحصى في

---

(١) عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص/١١٢

الشامية.

(٦)البو ظاهر: رئيسهم بندر الثويني، في الحصى.

(٧)البو سحاب (البو مطر): رئيسهم عطية بن احمد، في الحصى.

(٨)البو دمنة: رئيسهم محل الحسين.

(٩)البو حسين المطر: رئيسهم حسين أبو ختم وعبد الضاري في أم الخنازير في الكرمة.

(١٠)البو بطي: رئيسهم مطلب بن علي.

(١١)البو خنجر: رئيسهم ظاهر الخلف (أصلهم جبور). في أبي حبوب في الكرمة.

(١٢)البو داود: رئيسهم ضيدان السلمان (أصلهم عزة) في أبي حبوب في الكرمة.

(١٣)البو علي المحمد. رئيسهم حسين المسلم في أم الخنازير في الكرمة.

(١٤)البو عبد الله العليوي: رئيسهم مسهر السليمان في الحصى (١٥)البو عزيز العليوي: رئيسهم علي الخلف في النعيمية على الفرات.

(١٦)البو مطر: رئيسهم نجم الحاج عبد الله. في قضاء الفلوجة. وتوفي نحو سنة ١٩٤٨م. ومنهم المحامي الاستاذ عبد المجيد رشيد.

(١٧)البو شلال: رئيسهم عبد الحميد الرشيد في قضاء الفلوجة.

(١٨)البو نجم: رئيسهم احمد الملا.

٢ – البو جريو: رئيسهم الحاج محمد العباس الجسام. في الكرمة، وقسم منهم في الحصي. ومن فروعهم:

(١)البو رملة: الرؤساء.

)٢)البو حديد الناصر: رئيسهم عبد العزيز الدهش في أراضي الشهابي في الكرمة.

(٣)البو عوسج: رئيسهم محيميد الهجول. في أراضي الشهابي.

(٤)البو عبيد الجريو: زبار الكايم. في أراضي الجاجة في الكرمة.

(٥)البو دخيل: رئيسهم علي الخنفر وقد توفي. والآن ابنه حسين في الخور في الكرمة.

(٦)البو مكلد: رئيسهم فرحان الحمادي. في سكر الجغيغي في الكرمة. وقد توفي. والآن ابنه عباس.

(٧)البو نصر الله: رئيسهم غضبان الحبيب. في أم الواوية في الكرمة.

(٨)البو حداد: رئيسهم عاصي بن سمير. في الحصى.

(٩)البو جوينب (البو محمد الحديد): رئيسهم فياض الفهد. والآن علاوي الفياض. في البكعة من الكرمة.
(١٠)البو شبيل: رئيسهم زيدان المصلح. في الاصيبح.
(١١)البو جميل: رئيسهم فرحان الصالح. في الذيابات.
(١٢)البو فضل: رئيسهم عبد بن راضي. في الحصيوات في الكرمة.
٣ - المرمي يذكر في سبب تسميتهم أنهم رموا بأنفسهم الى بغداد في أنحاء الجعيفر، ولم يكونوا فخذا واحدا، جاءوا الى بغداد جمالة، ولم يستطيعوا أن يلحقوا بأقاربهم، ثم عادوا الى عيشة البداوة فأطلق عليهم هذا الاسم... رئيسهم حمد الجاسم ومنهم
(١)الصالح: رئيسهم حمد الجاسم.
(٢)النصيف: رئيسهم نايف المحمد الظاهر.
(٣)البو غزيل: رئيسهم محمد المرزوك.
وهؤلاء رحالة في الجزيرة.." (١)

"رؤساؤهم الحاج غيدان آل حسين ومحسن آل علي العبد الله وسليمان الناصر. ونخوتهم (اولاد عامر)، (عمور) ويسكنون في الرميثة في أراضي ابي واوية والعوجة من الرميثة. وقال الشيخ وادي العطية من الحميدات: "كانوا يسكنون مع اخوانهم قبيلة الاكرع الشمرية. وعلى اثر معركة حصلت بين الاكرع وعفك اتفقت القبيلتان بعد المعركة على جلاء البو حسان ونفيهم. وعلى اثر ذلك ارتحل البو حسان وسكنوا برهينية غربي الرفيع من أراضي الحسكة، ثم انتقلوا منها وسكنوا الصويحية من ناحية الرميثة مسكنهم الحالي. ولهم تأريخ حافل بالحوادث الجليلة ولم تكن هذه القبيلة كلها من شمر بل حالها كحال اكثر قبائل الفرات مجموعة من عدة قبائل. ومن البو حسان هؤلاء فخذ يسكن مع قبيلة السواعد الزبيدية في لواء العمارة... " اه(١). أخذت المعلومات عنهم من الشيخ خوام، والشيخ محمود الساجت رئيس الظوالم. ويتفرعون الى:
١ - آل خميس. يرأسهم الحاج غيدان بن حسين العريعر(٢) ومحسن آل علي. الرؤساء. يقيمون في العلاوية. ويرجعون الى شمر.
٢ - آل عبد الحسين. رئيسهم خفيف العبد. في شط خنجر.
٣ - آل جليل. رئيسهم مجهول آل محمد. في شط خنجر.

---

(١) عشائر العراق، ص/٢٤٨

٤ – آل أعبس. رئيسهم نجد الرحال. في شط **خنجر**.

٥ – البو عينين. رئيسهم عباس الحمادي. في شط **خنجر**.

٦ – آل سحور. رئيسهم سراج الوالي. في شط **خنجر**.

٧ – الجلابطة. رئيسهم كاطع الصياد. في شط **خنجر**.

٨ – الحماش. رئيسهم الحاج غيدان والآن سلمان الناصر. وفروعهم: (١)آل عذار. رئيسهم خافور الشمار. في سويجة.

(٢)العيسى. يرأسهم ابراهيم الحسين ونجد.

(٣)الجلابطة. رئيسهم عبد السادة.

(٤)الخميس. رئيسهم علي العبد الله.

(٥)العبد الحسين. رئيسهم عبد الدرويش.

(٦)البراهنة. رئيسهم عكلة الحمادي.

وجاء ذكرهم في (عامان في الفرات الاوسط). ويدعون انهم من شمر الا انهم في عداد بني حجيم. ونرى الفرق موزعة ومشتركة. وهذه تعين سلطة الرؤساء.

٢ – عشائر بني لام ١ – بنو لام: قال لقيط بن وداعة:(١)

اذا ما ابتنى الناس الحصون فإنما ... حصون بني لام مثقفة سمر

وأرض فضاء ليس فيه معاقل ... ولا وزر لا الصوارم والصبر

لا نرى عشائر ريفية الا التزمت موطنا بعينه، ولا تتزحزح عنه أو تميل الى غيره الا لضرورة قاهرة أو منفعة جليلة. وأمثلة ذلك كثيرة. وهذه العشيرة لا تزال أقرب الى البداوة منها الى الحضارة وان كان مكانها محدودا نوعا. من جراء الاتصال بأيران ومجاورته بقيت بعيدة عن الزراعة وتتعاطى تربية الماشية. والاغلب الابل، فتقوم بالرعي، والتجول أو التحول من مكان الى آخر ولم تكن كشأن البدو، وأنما كانوا في نطاق واسع لعدم المانع...

وان بداوتها في أيامها السابقة مكنتها من السيطرة على لواء العمارة أو أكثر بقاعه، ولكن العشائر التابعة لها بدلت أوضاعها، والتزمت مواطنها فاستقرت فيها، وأنحسر نفوذ بني لام رويدا رويدا. وهذا لا يتعين بسهولة، وانما يحتاج الى معرفة أكثر حالاتها، والعشائر التي ساكنتها أو تابعتها مدة أو أنضوت الى قوتها.

وهكذا كانت علاقات الدوله بها، والصلات السياسية بأيران وبهذه العشائر مما لا يرتاب فيه.
وهي من عشائر طيء(١) ولا توازيها عندنا من عشائر طيء الا شمر. ولا يرتاب في أن بني لام من طيء بل أنهم من أقدم العشائر التي أحتفظت بأسمها القديم. امتدت سلطتها قديما من القرنة الى الشاطيء الشرقي من نهر ديالى مما هوقريب من بغداد الا ان هذا تقلص رويدا رويدا، وانتزعت سلطتها من بعض المواطن مثل (لواء الكوت)، وانقطعت الصلة الا قليلا، فبقي موطنها محصورا فيما هو لا يزال الآن بأيديها، كما ان عشائر أخرى في الجنوب قلت سلطة بني لام عليها بل انعدمت.." (١)

"والفصل عندهم ٧٥٠ شاميا، أو ٧٥٠ روبية، وبقدرها من الدنانيربدل النساء الاثنتين. واذا قتل أحدهم واحدا من الامارة أو من عشائر ربيعة أدوا ١٢ امرأة. ويؤدى عن المرأة ٧٥ نعجة. والخيار فى هذه لولي المقتول. ولم يكن فصل بينهم وبين بني لام. والغالب يتماوتون. وأما بينهم، وبين زبيد فكما يقول المثل: (صاية وراية) أو بالتعبيرالاصح ٨٥ مجيديا.
٤ - ساعدة : من غزية تسكن الغراف، وتتنقل بين ناحية البو صالح، وقضاء الشطرة، والرفاعي. مهنتهم نقل الحبوب على الابل من موطن الى آخر. وحالتهم فى ضعف. واختلف فى أصلهم فمنهم من يقول من شمر. والمشهور أنهم من غزية وهو الصواب على ما جاء فى مسالك الابصار.
٢ - خفاجة ١ - خفاجة فى الاجود : وهذه من العشائر القديمة. واعتقد انهم كانوا فى العراق قبل الاجود بكثير من الزمن. والسلطة صارت الى المنتفق، فصاروا يعدون فى عداد الاجود. ولها مكانة رفيعة بين العشائر. وبيدها سلطة واسعة. قسم كبير منها فى شطرة المنتفق. فى اراضى الدجة بين الناصرية والشطرة. ومنهم فى كربلاء وبغداد وديالى. ولا نعلم تاريخ ورودهم بالضبط. والظاهر انه ايام الفتح الاسلامي أو بعده. وخفاجة اسم امرأة لها اولاد كثراء، وكانوا يسكنون بنواحي الكوفة. ومنهم أبو أربد الخفاجي فى برية السماوة، وكان يقول: يركب منا على الخيل اكثر من ثلاثين الف فارس سوى الركبان والمشاة، لقيت منهم جماعة كثيرة، وصحبتهم. والمشهور بالانتساب اليهم الشاعر أبو سعيد الخفاجي، كان يسكن بلدة حلب، وشعره مما يدخل الاذن بغير اذن(١).
وخفاجة من بطون الخلعاء من قبائل بني عقيل من كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ومن خفاجة توبة صاحب ليلى الاخيلية. وأما ليلى الاخيلية فهي من عبادة...(٢) فهي من العشائر العدنانية. وأقرب الى

---

(١) عشائر العراق، ص/٢٧٠

الاجود.

ومن اتصالهم بعقيل وبعامر بن صعصعة يعرف مكان القرابة. ويعدون أسرة واحدة أو عشيرة. والتسميات كانت أشبه بالافخاذ فاستقلت فصارت عشيرة، وتكاثرهم فصلهم بعضهم عن بعض واستقلوا باسمائهم الخاصة بهم.

وكانت لهم الزعامة مدة، والمكانة التى لا تنكر، لا توازيهم فى قوتهم عشيرة. وفى اوائل أيام المغول كان الحاكم بأمر الله العباسي قد اختفى عن المغول ونجا، ثم خرج من بغداد وفى صحبته جماعة فقصد أمير خفاجة حسين بن فلاح فأقام عنده ثم مضى الى دمشق...(٣) وقال ابن بطوطة: كانت السلطة بيدها فى انحاء الكوفة وما والاها(٤). ثم تحولت القوة الى ضعف، وأصابها تشتت، وأسباب ذلك كثيرة وأهمها عوادي الطبيعة، والعدوان بين العشائر، أو بينهم أنفسهم... فلا نرى عشيرة الا تغيرت.

واليوم فقدت كثيرا من مكانها، وصارت تعد من عشائر الاجود، فتحولت السلطة، ولا مانع من ذلك، والاجود وخفاجة من جد واحد... تناوبوا الرئاسة، وتوالوا عليها. ونحاول عبثا ان نجد مدوناتهم التاريخية متصلة. ونخوتهم (عامر) ودخلت فى عدادهم عشائر كثيرة مثل عبودة والطوينات. واستقيت المعلومات عن هذه العشيرة من الشيخين زامل المناع وخيون العبيد. ومن آخرين. وفرقهم: ١ – آل عبد السيد. يسكنون فى الشطرة. والرئيس العام صكبان أل علي بن فضل.

٢ – العلوي. يرأسهم فرهود آل محمد آل شجان وعبد العالي آل مزعل. وفروعهم: (١) الطربوش. وكانت الرئاسة القديمة فيهم على ما هو المحفوظ.

(٢) الشجان. رئيسهم فرهود آل محمد آل شجان.

(٣) آل شلوك. رئيسهم جرن آل حسن.

(٤) آل خنجر. رئيسهم كسار آل محسن من آل علوي.

(٥) الزيادات (تبع للطربوش). رئيسهم كاظم آل فهد من آل علوي.

٣ – آل سعيد. رئيسهم عباس بن طعمة آل عبد الله. وتوفي وخلفه ابنه. وفروعهم: (١) آل عويد. رئيسهم عباس آل حتيتة.

(٢) آل روضان. الرؤساء.

٤ – آل عصيدة. رئيسهم شياع الدحام.

٥ – المشاخيل. رئيسهم راس الجرن.

٦ – البو شهاب. رئيسهم طلب آل مطلك.

٧ – آل شمخي. رئيسهم حسين آل نعيمة.

٨ – الطلاحبة. رئيسهم شطب آل منهل.

٩ – آل سالم. رئيسهم خضر بن محسن.

١٠ – التريميون. رئيسهم كزار آل محمد.

١١ – آل عبيد. رئيسهم موسى آل بعرور.

١٢ – آل عية (عجة). رئيسهم شياع آل ساجت. ومنهم فى الحلة فى المجرية.

١٣ – آل سمسم. رئيسهم تاجر آل برغوث.

١٤ – المراونة.." (١)

"" آل علي العشيرة المعروفة، وهى التى ضحت برجالها دون وطنها العزيز فى القضية العراقية، وآل علي طائفة كبيرة فى نواحي الشامية وبعض الحلة، وهم من الموالك من سكان البوادي، يرجعون الى مالك الأشتر وهو شعارهم عند الحرب، كان مبدؤهم من الحلة والعذار. لأن مالكا وولده ابراهيم من نخع الكوفة، وسلسلة مالك ما زالت فى الكوفة، فان ابراهيم لما قتل تحت راية مصعب بن الزبير جلس مكانه خولان ثم جلس بعده حمدان. ثم تغيرت الامور، فانتقل منهم الى الحجاز وبعض اليمن، وبقيت منهم شرذمة قليلة فى أطراف الكوفة منهم ابو النجم بن حمدان. ثم جاء المزيدي فعمر الحلة حتى صارت معدن العلماء والصلحاء، فكان ممن انتقل اليها العالم النحرير الشيخ ورام بن أبي فراس بن عيسى بن أبي النجم بن حمدان بن خولان بن ابراهيم بن مالك الأشتر... " اه. ولم يعين مرجعا ولا صلة تربط العشيرة به.

وان المؤلف أوضح ان آل الشيخ خضر، ومنهم آل كاشف الغطاء من هذه العشيرة. ومر بنا الكلام على عشيرة (بني زريج) وانها تنسب الى مالك.

والملحوظ ان آل علي والعوابد وآل حسن ذكرناهم بين عشائر الصيامر. وهم فى عداد بني مالك من عشائر المنتفق. وفى هذا ما يؤيد أنهم من بني مالك المنتفق.

وما جاء فى كتاب (قائد القوات العلوية مالك الأشتر النخعي). عدهم من آل ابراهيم باعتبار أنهم من ابراهيم

---

(١) عشائر العراق، ص/٣٣٣

بن مالك الأشتر. ومنها عشيرة آل بدران فى نواحي البصرة وفى المدينة التابعة للقرنة وفى قضاء ابي الخصيب فى ناحية الهارثة وفى قرية الجبيلة التابعة للهارثة.

قال: ومن بني مالك بيت كاشف الغطاء، وآل الشيخ راضي، وآل الخضري. وعد (بني مالك) منهم.

وقال: بطون الرميض يجزمون أنهم من الأشتر. ولا يعول على مثل هذه الاقوال.

والمعروف ان آل كاشف الغطاء من (جناجة) أى (قناقيا) والشيخ جعفر معروف بالجناجي من آل علي من بني مالك من المنتفق. وهذا لا يقبل التردد ولا يعرف مالك الأشتر منهم. وهو نخعي من القبائل القحطانية. ولا شك ان بني مالك المنتفق من العشائر الكبيرة والمهمة فى العراق ويفخر بالانتساب اليها. وكان أملنا ان نعثر على نصوص تنفي بدرا آل رميض من مالك المنتفق كما قال صاحب (مالك الأشتر) الكتاب المعروف أو ما يؤكد النسبة الى مالك الأشتر فلم نعثر على ما يؤيد من دليل.

والاسرة العلمية مثل آل كاشف الغطاء فخرها بالعلم. وتكون مقيدة بالنصوص التاريخية أكثر. وآل ابراهيم فى المنتفق لم يدعوا أنهم من مالك الأشتر. وانما هم من بني مالك.

وفى كتاب قلب الفرات الاوسط بين الاضطراب فى الآراء ورجح ما قاله الاستاذ الطريحي كما أنه ذكر تفصيلا فى الفروع وفى رئاسة العشيرة.(١) ٤ - الحميدات: عشيرة كبيرة فى قضاء الشامية، ونخوتها (آل صكر)، و (أولاد حميد)، يسكنون فى مقاطعة ابي غربان والجبسة، والزهيرية، والرغيلة، والكطعة، والوارشية، والنجيصي، وأم حاوي، والمنفهانات، والحولانة، وأم البني.

رئيسهم الحاج رايح الحاج عطية آل غضبان وفى تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ م صار وزيرا. واستقيت المعلومات من أخيه الحاج وداي. ويجاورهم العوابد، وآل شبل، والخزاعل، والفتلة، وبني حسن، ويعدون فى عيار العوابد الا أن الشبل أكثر منهم...

وأصلهم فى الحقيقة من بني مالك. وذكر لي الشيخ فرهود الفندي أنهم من بني (مالك). وفرقهم: ١ - آل وطان: فرقة الرؤساء. ورئيس الكل الحاج رايح آل عطية آل غضبان. ويتفرعون الى: (١) البو بليبش. رئيسهم الحاج سرحان المحمد. وهم قرب المنفهانات على الضفة اليمنى من الشامية فى القسم الغربي منها. ومن رؤسائهم عمران الجياد وصدام آل جياد يسكنون فى الحمراني والايشان، وابي غربان، والجبسة، والكطعة، والرغيلة، والبو كفوف.

(٢) البو مشيمش. رؤساؤهم الحاج رايح واخوته عبدالكاظم وسوادي ووداي أولاد عطية، ومنهم شلتاغ

الجحالي، وهو الآن ضدهم. يسكنون شرقي الشامية على الضفتين. وكان من رؤسائهم الحاج حمود البدن وهذا توفي سنة ١٩٣٦ م تقريبا. ويسكنون مع البو بليبش في عين الاراضي.

(٣) البو شيبة. وهذه أيضا من فرقة الرؤساء.

٢ - أهل النصيفة: رئيسهم الحاج جاسم آل جياد. وقد توفي والآن أولاده مبدر وعواد. ومن رؤسائهم حسين الناصر، وجبار آل خنجر، ومطلب آل الحاج حران.

ويتفرعون الى: (١) البريهات.." (١)

"ورد ذكرهم في (ملخص تاريخ العشائر العراقية والاعلام) في الجزء الاول. وفيه تفصيل.

١١ - آل السيد مهدي: اخوة آل ابي طبيخ. توطنوا الرميثة في شط خنجر والايشان. وعرف بيتهم ب(آل السيد مهدي). وكل ما قيل في آل ابي طبيخ يقال فيهم.

١٢ - آل زوين: جدهم الاعلى السيد زين الدين. واشتهروا بالنسبة اليه (آل زوين). وهي اسرة علوية. نزحت من المدينة من عدة قرون وسكنت الكوفة. ثم مضت الى الرماحية. وبعد خرابها مالت الى الجعارة (الحيرة).

ومن فروعهم: ١ - البو سيد حسين. رئيسهم السيد علي السيد عباس.

٢ - البو سيد محمد. رئيسهم السيد كريم السيد جعفر.

٣ - البو سيد علي. رئيسهم السيد احمد آل السيد علي.

ومنهم في التاجية، وفي النجف وفي النعمانية. والتفصيل في كتاب قلب الفرات الاوسط. وذكروا في كتاب (عامان في الفرات الاوسط).

١٣ - العذاريون: سادة حسنية. أصلهم من المدينة. ويمتون الى الامام زيد بن علي. وهم منتشرون في لواء الحلة، وفي لواء الديوانية. ويصعب ضبط تاريخ ورودهم العراق. وفي لواء الديوانية منهم: ١ - آل السيد محمد. رئيسهم السيد عزيز ابن السيد عبد الله العذاري. ويسكنون (شلال).

٢ - آل السيد موسى. رئيسهم السيد عبد الله ابن السيد منذور. ويسكنون (الغماس).

وأهل الباسية الواقعة في قرى العذار قرب الهاشمية من لواء الحلة. وهؤلاء يتفرعون الى: ١ - آل السيد محمد. رئيسهم السيد هاشم آل السيد محسن. وهؤلاء في الرميلة.

٢ - آل سوادي. رئيسهم السيد صاحب آل حمود. سكنوا الديوانية.

---

(١) عشائر العراق، ص/٣٥١

٣ – آل السيد علي. رئيسهم السيد علوان آل حنتوش. يسكنون الباسية.

٤ – آل السيد مصطفى. رئيسهم السيد محمد آل السيد علي. فى الباسية.

٥ – آل السيد عبد. رئيسهم السيد عبد زيد آل سلمان فى الباسية.

ولهؤلاء نفوذ على العشائر. وقد فصل أحوالهم الاستاذ محمد علي جعفر التميمي فى المجلد الثالث من كتابه (قلب الفرات الاوسط). فهو خير مرجع لمن أراد التوسع. ذكر أحوالهم والاشخاص البارزين منهم بسعة. وكان قد ظهر منهم شعراء عديدون. ولا محل للاطالة بذكرهم هنا.

١٤ – السادة فى بني حسن: وهؤلاء فى الشامية ويتكون منهم: (١) آل السيد صافي. رئيسهم السيد نعمة آل السيد صافي.

(٢) البو سيد ناصر. رئيسهم السيد علي السيد زبر.

(٣) سادة الاميال. رئيسهم السيد حسين آل السيد جبار.

(٤) الجعافرة. رئيسهم السيد رحيم السيد عزوز الجعفري.

وتفصيل أحوالهم فى كتاب (قلب الفرات الاوسط) ج٢ص١٧٦.

١٥ – آل مكوطر: من السادة الحسينية. ولهم المكانة. واليوم هم الزعماء فى الشنافية وكانوا فى (لملوم). ذكروا فى قلب الفرات الاوسط(١). وعد من رؤسائهم ووجهائهم السيد جعفر والسيد عمران آل موسى، والسيد داخل السيد مهدي والسيد عبد العزيز والسيد علي آل السيد جابر، والسيد ناصر والسيد شنان آل السيد حسين من آل مكوطر. ووردوا فى كتاب (عامان فى الفرات الاوسط).

١٦ – السادة البو زيد: يسكنون الحلة والديوانية. ويتفرعون الى: ١ – البو سيد حسين. رئيسهم السيد ابراهيم السيد عباس فى المشخاب.

٢ – البو سيد خلف. ويسكنون فى (المشخاب) ومن وجهائهم السيد عبد المطلب السيد علاوي، وفى (المليحة) من وجهائهم فيها السيد عبد المهدي السيد عبود، وفى (العباسية) منهم السيد علي السيد مجيد.

١٧ – السادة فى العمارة: هذه العشيرة وردت من الحجاز سنة ١٢١٣هـ أيام امارة المنتفق وتولت رئاسة (البهادل) العامة. وتوالوا. وكانت لهم المكانة أيام نامق باشا وبعضهم ولي عضوية مجلس الادارة. وكانت مهمتهم التزام بعض الاراضي من الحكومة.

ومن أفخاذ هذه العشيرة: ١ – آل السيد هاشم.

٢ – آل السيد نور.

٣ – آل السيد مشكور.

٤ – آل السيد يوسف.

٥ – آل السيد شريف.

٦ – آل السيد محمد.

هذا. ومن السادة من مر ذكرهم فى هذا المجلد وسابقه. ومنهم مجموعات صغيرة أو بيوت وعشائر قليلة منهم (البو محمود)، و (العواودة)، و (البو خميس)، و (الزوامل)، و (القصار)، و (الطوال)، و (الصعبر). و (الرجيبيون) أو (الرجيبات) فى أنحاء كركوك وبعقوبة... وبيوت مالت الى المدن وليس لها عشيرة مشخصة. ومثل هؤلاء متحضرون لا محل لذكرهم هنا.

وذكر لي معالي الاستاذ السيد صادق كمونة أن لديه مشجرا فى (الصعبر). والامل أن ينشر لينكشف ما عندنا.." (١)

"فتح المدائن ٦٤٨ – قالوا: مضى المسلمون بعد القادسية، فلما جازوا دير كعب لقيهم النخيرخان إليها وبدا في جمع عظيم من أهل المدائن، فاقتتلوا، وعانق زهير ابن سليم الازدي النخيرخان فسقط إلى الارض، وأخذ زهير خنجرا كان في وسط النخيرخان فشق بطنه فقتله.

وسار سعد والمسلمون فنزلوا ساباط، واجتمعوا بمدينة بهرسير، وهى المدينة التى في شق الكوفة، فأقاموا تسعة أشهر، ويقال ثمانية عشر شهرا، حتى أكلوا الرطب مرتين.

وكان أهل تلك المدينة يقاتلونهم فإذا تحاجزوا دخلوها.

فلما فتحها المسلمون أجمع يزدجرد بن شهريار ملك فارس على الهرب.

فدلى من أبيض المدائن في (ص ٢٦٢) زبيل، فسماه النبط بر زبيلا، ومضى إلى حلوان معه وجوه أساورته، وحمل معه بيت ماله، وخف متاعه وخزانته، والنساء والذراري.

وكانت السنة التى هرب فيها سنة مجاعة وطاعون عم أهل فارس.

ثم عبر المسلمون خوضا ففتحوا المدينة الشرقية.

٦٤٩ – حدثنى عفان بن مسلم قال: أخبرنا هشيم قال: أخبرنا حصين قال: أخبرنا أبو وائل قال: لما انهزم

---

(١) عشائر العراق، ص/٣٨٣

الاعاجم من القادسية اتبعناهم، فاجتمعوا بكوثى، فاتبعناهم ثم انتهينا إلى دجلة، فقال المسلمون: ما تنتظرون بهذه النطفة أن تخوضوها ؟ فخضناها فهزمناهم.

٦٥٠ - حدثنى محمد بن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبى سبرة، عن ابن عجلان،

عن أبان بن صالح قال: لما انهزمت الفرس من القادسية قدم فلهم المدائن،." (١)

"الاتاوة التى كان الحجاج صالح عليها.

فبعث بإبل وقباب تركية ورقيق وزاد في قيمة ذلك للواحد ضعفه.

فغضب معن وقصد الرخج، وعلى مقدمته يزيد ابن مزيد.

فوجد رتبيل قد خرج عنها ومضى إلى ذابلستان ليصيف بها.

ففتحها وأصاب سبايا كثيرة.

وكان فيهم فرج الرخجى، وهو صبى، وأبوه زياد.

فكان فرج يحدث ان معنا رأى غبارا ساطعا أثارته حوافر حمر وحشية، فظن أن جيشا قد أقبل نحوه ليحاربه ويتخلص السبى والاسرى من يده.

فوضع السيف فيهم، فقتل منهم عدة كثيرة.

ثم إنه تبين أمر الغبار، ورأى الحمير، فأمسك.

وقال فرج: لقد رأيت أبى حين أمر معن بوضع السيف فينا وقد حنى على وهو يقول: اقتلوني ولا تقتلوا ابني.

٩٧٩ - قالوا: وكانت عدة من سبى وأسر زهاء ثلاثين ألفا.

فطلب ماوند خليفة رتبيل الامان على أن يحمله إلى أمير المؤمنين.

فآمنه، وبعث به إلى بغداذ مع خمسة آلاف من مقاتلتهم، فأكرمه المنصور وفرض له وقوده.

٩٨٠ - قالوا: وخاف معن الشتاء وهجومه، فانصرف إلى بست.

وأنكر قوم من الخوارج سيرته فاندسوا مع فعلة كانوا يبنون في منزله بناء، فلما بلغوا التسقيف احتالوا لسيوفهم فجعلوها في حزم القصب، ثم (ص ٤٠١) دخلوا عليه قبته وهو يحتجم ففتكوا به، وشق بعضهم بطنه بخنجر كان معه.

التسقيف احتالوا لسيوفهم فجعلوها في حزم القصب، ثم (ص ٤٠١) دخلوا عليه قبته وهو يحتجم ففتكوا

---

(١) فتوح البلدان، ٣٢٢/٢

به، وشق بعضهم بطنه بخنجر كان معه.

وقال أحدهم: وضربه على رأسه أبو الغلام الطاقي.

– والطاق رستاق بقرب زرنج – فقتلهم يزيد بن مزيد فلم ينج منهم أحد.

ثم إن يزيد قام بأمر سجستان، واشتدت على العرب والعجم من أهلها وطأته.

فاحتال بعض العرب فكتب على لسانه إلى المنصور كتابا يخبره أن كتب." (١)

"قال خالد : ابرز على اسم الله تعالى فإنه كفء والله تعالى يعينك عليه وخرج قيس بن هبيرة وأجرى جواده حتى لين عريكته وكسر حدته ثم سرحه نحو البطريق وهو يقول : بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب من البطريق فلما نظر العلج إلى فعاله علم أنه فارس شديد من فرسان المسلمين فعدل نحوه وقصد إليه وتحاملا قال فبادره قيس بن هبيرة وضربه على هامته فتلقاها العلج في حجفته فقد سيف ابن هبيرة الحجفة ووصل إلى البيضة فاشتبك فيها وهم أن يخرج سيفه فامتنع عليه وضرب العلج قيس بن هبيرة على حبل عاتقه فثبت حربة والتقيا بعد الضربتين وطرح العلج نفسه عليه يريد أسره وهو جبار من الجبابرة وكان قيس بعد رجوعه من قتال أهل الردة قد عود نفسه الصيام والقيام وهو نحيف الجسم فلما نظر قيس إلى العلج وقد ظهر عليه انجذب من يده وبعد عنه وجعل ينظر إليه شزرا ويضمه له مكرا إلى أن سيفه قد خرج من يده فثنى عنان فرسه يريد عسكر المسلمين ليأخذ سيفا ويعود إلى القتال وقد أيس من نفسه فلما عطف راجعا صاح العلج في أثره وسعى في طلبه فقصر قيس بن هبيرة في سيره وقال في نفسه أنت مرادك الشهادة وتهرب من هذا العلج فرجع إلى العلج فصاح به خالد : يا قيس سألتك بالله ورسوله إلا وجعت وتركت حدتها علي فقال قيس : يا خالد لقد أقسمت علي بعظيمين ولكن إن رجعت إليك أتزيد في أجلي قال : لا قال : فلم اختار الفرار وأكون من أصحاب النار بل أصبر وأفوز بالغفران من الله تعالى ثم إنه عطف على قرنه وليس في يده سيف بل استل خنجرا كان معه على وسطه قال : ونظر خالد إلى قيس بن هبيرة وليس في يده سيف .

فقال : من يأخذ هذا السيف ويدفعه إلى قيس ابتغاء ثواب الله تعالى .

قال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : أنا يا أبا سليمان .." (٢)

---

(١) فتوح البلدان، ٤٩٤/٢

(٢) فتوح الشام، ٢٩٦/١

"فقال له : يا ويلك تبا لك ولمن معك ولمن يقول بقولك ثم حمل عليه وأخذا في القتال وجالا جولانا عظيما فرمقتهما الأبصار وجعل المسلمون يدعون لشرحبيل بالنصر والمعونة ونظر شرحبيل إلى شدة الكافر ففر بين يديه كأنه منهزم فتبعه عدو الله فلما علم شرحبيل أنه قد قاربه ثنى عنان جواده فطعنه بقناته يريد أن يجعلها في نحره فزاغ المشرك عن الطعنة ونجا منها سالما ثم قال : معاشر العرب أنتم لا تدعون الخديعة والمكر .

فقال شرحبيل : ويلك أما علمت أن الحرب خدعة والمكر رأسها .

فقال العلج : فما الذي نفعك من حيلتك .

قال فتضاربا حتى انقطع السيفان في أيديهما فاعتنقا معانقة شديدة وكان المشرك أعظم جثة وأشد منعة وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام فضغط عليه المشرك ضغطة أوجعه بها وهم أن يقتله في سرجه والفريقان ينظران إليهما .

قال ضرار بن لأزور : فداخلني والله الغيظ .

فقلت في نفسي : ويحك يا ضرار يقتل هذا العلج كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تنظر إليه فما يمنعك من نصرته .

قال الواقدي

: فخرج ضرار نحوهما يسعى على قدميه كالظبية الخمصاء حتى قرب منهما ولا يعلمان به جميعا وكان في يده **خنجر** فضرب به العلج من ورائه فأطير **الخنجر** من قلبه فسقط العلج قتيلا وخلص شرحبيل من الضغطة .

قال : فلما سقط العلج عن ظهر جواده نزل إليه شرحبيل وسلب ما كان عليه من لامة حربه وركب ضرار جواده وانثنى راجعا هو وشرحبيل نحو المسلمين فهنأ المسلمون شرحبيل وشكروا ضرارا على فعله .

وقال : ثم إن شرحبيل أخذ سلب العلج فنازعه ضرار فيه .." (١)

"قال ففرح أبو عبيدة بما قالوه ووثق بكلامهم وجزاهم خيرا وقال لهم : اعلموا رحمكم الله تعالى أن نفسي تحدثني أن الله تعالى يفتح هذه القلعة على يد هذا العبد المقبل لأنه دقيق الحيلة حسن البصيرة فسيروا معه وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى قوادا على سادات

---

(١) فتوح الشام، ١/٣٣٦

العرب من المسلمين والأشراف من عشيرته ثم أقبل على دامس .

فقال له : يا دامس ما الذي تحب بعد هذا قال : ترحل أنت بجيشك من وقتك هذا فتكون منا على مسيرة فرسخ فتنزل بالعسكر وتأمرهم بقلة الحركة وأن يختفوا ما استطاعوا أو يكون لك رجال تثق بشدتهم ونصحهم للمسلمين يتجسسون عن أخبارنا وآثارنا من غير أن يعلم بهم وبنا أحد ويكونون بغير سلاح سوى الخناجر فإذا عاينوا منا الظهور على أعدائنا والظفر بهم لحقوك وبشروك بذلك فتلحق بنا إن شاء الله تعالى وليكونوا متفرقين في موضع واحد فإن ذلك أسلم لهم وأبلغ لما يريدون من أمورهم والله المستعان في جميع الأمور والأحوال .

فعلم أبو عبيدة أنه نصيح من الرجال صاحب رأي وبصيرة ثم إن دامسا أقبل على رفاقه الذين ولي عليهم وقال لهم : يا فتيان العرب انهضوا بنا بارك الله فيكم حتى نكمن في بعض هذا الوادي ما دام الناس عازمين على الرحيل لئلا تشرف الروم فينظروا إلى رحيلنا فلا يتفق لنا أن نطلب لنا مكمنا إذا أشرفوا من أعلى حصنهم وليكن مع كل رجل منكم سيفه وحجفته **وخنجره** لا غير ففعلوا ذلك فلما تكاملوا لبس دامس لامة حربه وجعل **خنجره** تحت أثوابه وأخذ جماعته وخرج بهم حتى إذا فارق العسكر جعلوا يخفون آثارهم وأشخاصهم وهو سائر بهم حتى أتى بهم كهفا في الجبل فأمرهم بالدخول إليه وجلس على بابه .." (١)

"فقال لهم دامس : أفيكم من يقدر على الصعود على هذه القلعة فقلنا له : يا أبا الهول وكيف لنا أن نرقى إليها وعلى أي شيء نصل إلى أعلاها بغير سلم فقال : على رسلكم ثم إنه اختار منا سبعة رجال كالأسد الضواري لو كلفوا حمل ذلك البرج على مناكبهم لما عظم ذلك عليهم ثم جلس على قرافيصه وقال لأحد السبعة : اجلس على منكبي وارم بحبلك إلى الجدار واجلس كما أنا جالس ففعل الرجل ما أمر به وأمر آخر أن يفعل ويصعد على منكبي الآخر وأن يرمي بقوته على الجدار قال ففعل ثم إنه لم يزل يصعد واحد بعد واحد إلى أن صعد الثامن بقوته على الجدار وهم متمسكون به فعند ذلك أمر الأعلى أن يقوم قائما وان يطرح حبله على الجدار فقام الأول وقام الثاني ثم قام الثالث ثم قام الرابع والخامس والسادس وكل واحد منهم قد طرح نفسه على الجدار ثم قام دامس آخرهم فإذا الأعلى قد وصل إلى شرافة السور وتعلق بها فاستوى على السور ونظر إلى حارس ذلك المكان فوجده نائما وهو ثمل من الخمر فأخذ بيده ورجله ورماه فلما وصل إلى الأرض قطعوه وأخفوا جسده ووجد من أصحابه اثنين سكارى وهم رقود فذبحهم

---

(١) فتوح الشام، ١/٤٣٠

بخنجره ورمى بهم ثم أرخى عمامته لصاحبه ونشله إليه فإذا هو معه على السور وكان دامس قد أعطاه حبلا فبقوا ينشلون به بعضهم إلى أن تكاملوا على السور وأصعدوا من بقي معهم على الأرض وكان آخر من صعد أبو الهول .." (١)

"قال فسبقه المنتصر وجلس له بأعلى شجرة من حديقة ابن الدحداح الأنصاري واستتر بأغصانها ثم إن عمر قام عن ظاهر المدينة حين حميت الرمضاء وعاد وهو وحده فقرب من الحديقة ودخلها ونام في ظلها فلما نام هم المتنصر بالنزول من الشجرة وجرد خنجره وإذا هو بأسد أقبل وهو بقدر البقرة الكبيرة وطاف حول عمر وجلس عند قدميه يلحسهما وأقام حتى استيقظ فعندها نزل المتنصر وقبل يد عمر وقال له : يا عمر قد عدلت فأمنت .

.

.

بأبي والله من الكائنات تحفظه والسباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم حدثه بأمره وأسلم على يديه .

حدثنا أبو محمد قال : أخبرني أبي عن حسان عن السدي عن يحيى الواقدي عن شهر بن عباس البيروتي أن عمر حدثه عن نزول أبي عبيدة بالمسلمين على أنطاكية .

قال : وعظ هرقل قومه بكنيسة القيسان واستحلفهم أنهم لا ينهزمون أو يموتوا عن دم واحد فحلفوا وخرجوا مع الملك إلى عسكره وقد رفعت الصلبان وقرأت القسوس والرهبان وارتفع الضجيج من أهل الكفر والطغيان واصطفوا للقتال وكان المسلمون قد رتبوا صفوفهم وأوقفوا كل أمير في مكانه ونشرت الرايات والأعلام وأشار أبو عبيدة إلى ربيعة بن معمر الشاعر وكان لسنا فصيحا لا يتكلم إلا بالكلام المنظوم .

فقال له : يا ربيعة فوق سهام لفظك ووعظك إلى المجاهدين وحرض المسلمين على قتال المشركين قالت فتقدم ربيعة أمام الصفوف وكان جهوري الصوت يسمعه القريب والبعيد .." (٢)

"فتعجلوا ذلك فلما خرج معاوية لصلاة الفجر كبرفلما سجد السجدة الأولى انبطح أحدهم على ظهر الحرسي الساجد بينهم وبينه حتى طعن معاوية في مأكمته يريد فخذه بخنجر فانصرف معاوية وقال للناس

---

(١) فتوح الشام، ٤٣٥/١

(٢) فتوح الشام، ٤٨٧/١

أتموا صلاتكم وأخذ الرجل فأوثق ودعي لمعاوية الطبيب فقال الطبيب أن هذا **الخنجر** إن لا يكن مسموما فإنه ليس عليه بأس فأعد الطبيب العقاقير التي تشرب إن كان مسموما ثم أمر بعض من يعرفها من تباعه أن يسقيه إن عقل لسانه حتى يلحس **الخنجر** ثم لحسه فلم يجده مسموما فكبر وكبر من عنده من الناس ثم خرج خارجة بن حذافة وهو أحد بني عدي بن كعب من عند معاوية إلى الناس فقال هذا أمر عظيم ليس بأمير المؤمنين بأس بحمد الله وأخذ يذكر الناس وشد عليه أحد الحرويين الباقيين يحسبه عمرو بن العاص فضربه بالسيف على الذؤابة فقتله فرماه الناس بالثياب وتعاونوا عليه حتى أخذوه وأوثقوه واستل الثالث السيف فشدعلى أهل المسجد وصبر له سعيد بن شهاب وعليه ممطر تحته السيف مشرج على قائمه فأهوى بيده فأدخلها االممطر على شرج السيف فلم يحلها حتى غشيه الحروري فنحاه لمنكبه فضربه ضربة خالطت سحره ثم استل سعيد السيف فاختلف هو والحروري ضربتين فضرب الحروري سعيدا ضربة العين أذهب عينه اليسرى وضربه سعيد فطرح يمينه بالسيف وعلاه بالسيف حتى قتله ونزف سعيد فاحتمل نزيفا فلم يلبث

". (١)

"فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون أطعمتها وينتهبون ما مروا به فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس فلقوهم في البر والبحر فبدأت الروم والقبط فرموا بالنشاب في الماء رميا شديداحتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو في لبته وهو في البر فعقر فنزل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين في البر فنضحوا المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم شيئا يسيرا وحملوا على المسلمين حملة ولى المسلمون منها وانهزم شريك بن سمي في خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب فدعا إلى البراز فبرز إليه رجل من زبيد يقال له حومل يكنى أبا مذحج فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف وألقى حومل رمحه وأخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة وجعل عمرو يصيح أبا مذحج فيجيبه لبيك والناس على شاطيءالنيل في البر على تعبئتهم وصفوفهم فتجاولا ساعة بالسيفين ثم حمل عليه البطريق فاحتمله وكان نحيفا ويخترط حومل **خنجرا** كان في منطقته أوفي ذراعه فضرب به نحر العلج أوتر قوته فأثبته ووقع عليه فأخذ سلبه ثم مات حومل بعد ذلك

---

(١) فتوح مصر وأخبارها، ص/١٢١

بأيام رحمة الله عليه فرئي عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشه حتى
دفنه بالمقطم ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى الحقوهم بالأسكندرية ففتح الله عليهم وقتل منويل الخصي
حدثنا الهيثم بن زياد أن عمرو بن العاص قتلهم حتى أمعن في مدينتهم فكلم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبني في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجدا وهو المسجد الذي بالإسكندرية الذي يقال له مسجد الرحمة وإنما سمي مسجد الرحمة لرفع عمرو السيف هنالك وهدم سورها كله
". (١)

"ومن أعيادهم عيد الحنكة وسعناه التنظيف وهو ثمانية أيام أولها الخامس والعشرون من كسليو يسرجون في الليلة الأولى سراجا وفي الثانية اثنين وكذلك حتى يسرجوا في الثامنة ثمانية سرج وذلك تذكار أصغر ثمانية أخوة قتل بعض ملوك اليونان فإنه كان قد تغلب عليهم ملك من اليونان ببيت المقدس وكان يفترع البنات قبل الإهداء إلى أزواجهن وكان له سرداب قد أخرج منه حبلين عليهما جلجلان فإن احتاج إلى امرأة حرك الأيمن فتدخل عليه فإذا فرغ منها حرك الأيسر فيخلى سبيلها وكان في بني إسرائيل رجل له ثمانية بنين وبنت واحدة فتزوجها إسرائيلي وطلبها فقال له أبوها : إن أهديتها إليك افترعها هذا الملعون ووبخ بنيه بذلك فأنفوا من ذلك ووثب الصغير منهم فلبس ثياب النساء وخبأ **خنجرا** تحت قماشه وأتى باب الملك على أنه أخته فلما حرك الجرس أدخل عليه فحين خلا به قتله وأخذ رأسه وحرك الحبل الأيسر وخرج خلي سبيله فلما ظهر قتل الملك فرح بذلك بنو إسرائيل واتخذوه عيدا في ثمانية أيام تذكارا للأخوة الثمانية
.

ومن أعيادهم المظال وهي سبعة أيام أولها خامس عشر تشرين الأول يستظلون فيها بالخلاف والقصب وغير ذلك وهو فريضة على المقيم دون المسافر وأمروا بذلك تذكارا لأظلال الله تعالى إياهم بالغمام في التيه وآخر المظال وهو حادي عشرين تشرين يسمى عرابا وتفسيره شجر الخلاف وغدعرابا وهو اليوم الثاني والعشرون من تشرين يسمى التبريك وتبطل فيه الأعمال ويزعمون أن التوراة فيه استتم نزولها ولذلك يتبركون فيه بالتوراة وليس في صياماتهم فرض غير صوم الكبور هو عاشر يوم من تشرين اليهود وابتداء الصوم من اليوم التاسع قبل غروب الشمس بنصف ساعة إلى بعد غروبها من اليوم العاشر بنصف ساعة تمام خمس

(١) فتوح مصر وأخبارها، ص/١٩١

وعشرين ساعة وكذلك غيره من صياماتهم النوافل والسنن .

أمة النصارى

وهم أمة المسيح عليه السلام من كتاب الملل والنحل للشهرستاني قال : وللنصارى في تجسد الكلمة مذاهب .

." (١)

"ومنهم البراهمة أصحاب الفكرة وهم أهل العلم بالفلك والنجوم ولهم طريقة في أحكام النجوم تخالف طريقة منجمي الروم والجحم وذلك أن أكثر أحكامهم باتصالات الثوابت دون السيارات وإنما سموا أصحاب الفكرة لأنهم يعظمون أمر الفكرة ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول ويجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الفكر عن المحسوسات فإذا تجرد الفكر عن هذا العالم تجلى له ذلك العالم فربما يخبر عن المغيبات وربما يوقع الوهم على حي فيقتله وإنما يصرفون الفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة المجهدة وبتغميض أعينهم أياما والبراهمة لا يقولون بالنبوات وينفونها بالكلية ولهم على ذلك شبه مذكورة في الملل والنحل لا تليق بهذا المختصر .

ومن كتاب ابن سعيد المغربي ونقله عن المسعودي : أن الهنود لا يرون إرسال الريح من بطونهم قبيحا والسعال عندهم أقبح من الضراط والجشاء أقبح من الفساء ومما نقله عن المسعودي أيضا : إن الهنود يحرقون أنفسهم وإذا أراد الرجل منهم ذلك أتى إلى باب الملك واستأذنه في إحراق نفسه فإذا أذن له ألبس ذلك الرجل أنواع الحرير المنقوش وجعل على رأسه إكليلا من الريحان وضربت الطبول والصنوج بين يديه وقد أججت له النيران ويدور كذلك في الأسواق وحوله أهله وأقاربه حتى إذا دنا من النار أخذ **خنجرا** بيده وشق به جوفه ثم يهوي بنفسه في النار .

." (٢)

"تاريخ أبى الفداء

(١٩ من ٨٧)

---

(١) تاريخ أبى الفداء، ١٣٠/١

(٢) تاريخ أبى الفداء، ١٣٩/١

مقتل عمر رضي الله عنه

وفي هذه السنة طعن أبو لؤلؤة واسمه فيروز عبد المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب وهو في الصلاة **بخنجر** في خاصرته وتحت سرته وذلك لست بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة وتوفي يوم السبت سلخ ذي الحجة ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام ودفن عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما وعهد بالخلافة إلى النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد رضي الله عنهم بعد أن عرضها على عبد الرحمن بن عوف فأبى .

وكان عمر رضي الله عنه طويل القامة أبيض أصلع أشيب وكان عمره خمسا وخمسين سنة وقيل ستين وقيل ثلاثا وستين وكان له من الفضل والزهد والعدل والشفقة على المسلمين القدر الوافر فمن ذلك أنه جاء إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي في بيته ليلا فقال عبد الرحمن : ما جاء بك يا أمير المؤمنين في هذه الساعة فقال : إن رفقة نزلوا في ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق لنحرسهم فأتيا السوق وقعدا على نشز من الأرض يتحدثان ويحرسانهم .

وعمر أول من سمي بأمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأرخ من السنة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول من عس بالليل وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد وأول من جمع الناس في صلاة الجنازة على أربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يكبرون أربعا وخمسا وستا وأول من جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح في رمضان وكتب بذلك إلى سائر البلدان وأمرهم به وأول من حمل الدرة وضرب بها ودون الدواوين .

". (١)

"ثم إن العسكر رحل من المنزل إلى وادي المقتول ونزل الافرنج عند ذلك عن الجبل إلى منزلهم والتجأوا إلى جبل في المنزل وتواصلت إليهم ميرهم وازوادهم وأمدادهم من أعمالهم فعاد إليهم عسكر الأتراك من منزلهم جرائد في بضع عشرة كردوسا ولزموا ذلك أياما يرومون أن يخرجوا إليهم فلم يظهروا للحرب ولازم بعضهم بعضا الفارس والراجل في مكان واحد لا يظهر منهم شخص وجعل الأتراك يحملون عليهم فيصيبون منهم بالنشاب ما يقرب منهم ويمنعون الميرة والعلوفة عنهم وقد أحدقوا بهم كالنطاق وهالة بدر الآفاق فاشتد

---

(١) تاريخ أبي الفداء، ٢٥٣/١

الأمر بهم فرحلوا عن منزلة في ثلاثة أيام تقدير فرسخ عائدين. فلما كان الليل قصدوا الجبل الذي كانوا أولا عليه ملتجئين إليه ومحتمين به وواظب المسلمون قصدهم والتلهف على ما يفوت منهم ومن غنائمهم بالاستمرار على الاحجام عن ظهورهم على أن مقدمي العسكر يمنعونهم من التسرع إليهم والاقدام في منزلهم عليهم ويعدونهم بفرصة تنتهز فيهم. فطال أمد المقام وضاقت صدور أصحاب مودود لبعد ديارهم وتأخر عودهم وتعذر أوطارهم فتفرق أكثرهم وعادوا إلى بلادهم فاستأذن آخرون في العود فأذن لهم وعزم مودود على المقام بالشام والقرب من العدو ينتظر ما يصله من الأمر السلطاني والجواب عما أنهاه وطالع به فيعمل بحسبه. ولم يبق في بلاد الافرنج مسلم إلا وأنفذ يلتمس الأمان من أتابك وتقرير حاله ووصل إليه بعض ارتفاع نابلس ونهبت بيسان ولم يبق بين عكا والقدس ضيعة عامرة والافرنج على حالهم في التضييق عليهم والحصر لهم على الجبل. واقتضى الرأي عود أتابك ومودود فعادا إلى دمشق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧ ونزل مودود في حجرة الميدان الأخضر وبالغ أتابك في إكرامه واحترامه وإعظامه بما يجد إليه السبيل وتأكدت المودة بينهما والمصافاة وتولى خدمته بنفسه وخاصته وواصلا صلاة الجمعة جميعا في مسجد الجامع بدمشق والتبرك بنظر المصحف الكريم الذي كان حمله عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة إلى طبرية وحمله أتابك من طبرية إلى جامع دمشق

سنة سبع وخمسمائة

قد ذكرنا ما ذكرناه من الحوادث في سنة ٥٠٦ وسياقة الأمر إلى أوائل سنة ٥٠٧ رغبة في صلة الحديث ورغبة عن قطعه. ولما كان يوم الجمعة الأخيرة من شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٧ دخل الأمير مودود من مخيمه بمرج باب الحديد إلى الجامع على رسمه ومعه أتابك فلما قضيت الصلاة وتنفل بعضها مودود وعادا جميعا وأتابك أمامه على سبيل الاكرام له وحولهما من الديلم والخراسانية والأحداث والسلاحية بأنواع السلاح من الصوارم المرهفة والصمصامات الماضية والنواحل المختلفة والخناجر المجردة ما شاكل الأجمة المشتبكة والغيضة الآشبة والناس حولهما لمشاهدة زيهما وكبر شأنهما فلما حصلا في صحن الجامع وثب رجل من بين الناس لا يؤبه له ولا يحفل به فقرب من الأمير مودود كأنه يدعو له ويتصدق منه فقبض ببند قبائه بسرعة وضربه بخنجره أسف سرته ضربتين إحداهما نفذت إلى خاصرته والأخرى إلى فخذه هذا والسيوف تأخذه من كل جهة وضرب بكل سلاح وقطع رأسه ليعرف شخصه فما عرف وأضرمت له نار فألقي فيها. وعدا أتابك خطوات وقت الكائنة وأحاط به أصحابه ومودود متماسك يمشي إلى أن قرب من

الباب الشمالي من الجامع ووقع فحمل إلى الدار الأتابكية وأتابك معه ماش واضطرب الناس اضطرابا شديدا وماجوا واختلفوا ثم سكنوا بمشاهدتهم له يمشي وظنوا به السلامة وأحضر الجرائحي فخاط البعض وتوفي رحمه الله بعد ساعات يسيرة في اليوم المذكور فقلق أتابك لوفاته على هذه القضية وتزايد حزنه وأسفه وانزعاجه وكذلك سائر الأجناد والرعية وتألموا لمصابه وزاد التأسف والتلهف عليه وكفن ودفن وقت صلاة العصر من اليوم في مشهد داخل باب الفراديس من دمشق وكل عين تشاهده باكية والمدامع على الوجنات جاريةً. وشرع أصحابه في التأهب للعود إلى أماكنهم من الموصل وغيرها من البلاد وتقدم أتابك بإطلاق ما يستدعونه لسفرهم واستصحبوا معهم أثقاله وجواهره وماله." (١)

" يسرجون في الليلة الأولى سراجا وفي الثانية اثنين وكذا في الثامنة ثمانية سرج وذلك تذكار أصغر ثمانية إخوة قتل بعض ملوك اليونان فإنهم كان قد تغلب عليهم ملك من اليونان ببيت المقدس كان يفترع البنات قبل الإهداء إلى أزواجهن وله سرداب قد أخرج منه حبلين عليهما جلجلان فإن احتاج إلى امرأة حرك الأيمن فتدخل عليه فإذا فرغ منها حرك الأيسر فيخلي سبيلها وكان في بني إسرائيل رجل له ثمانية بنين وبنت واحدة تزوجها إسرائيلي وطلبها فقال أبوها إن أهديتها افترعها الملعون ودعا بنيه لذلك فأنفوا ووثب الصغير منهم فلبس ثياب النساء وخبأ خنجرا وأتى باب الملك على أنه أخته فحرك الجرس فأدخل عليه فحين خلا به قتله وأخذ رأسه وحرك الحبل الأيسر وخرج فخلى سبيله فأفرح ذلك بني إسرائيل واتخذوه عيدا تذكارا بالإخوة الثمانية . ومنها ' المظال ' سبعة أيام أولها خامس عشر تشرين الأول يستظلون فيها بالخلاف والقصب وغيره فريضة على المقيم تذكارا لإظلالهم بالغمام في التيه وآخرها وهو حادي عشر تشرين يسمى ' عرابا ' تفسيره شجر الخلاف وعرعراب وهو الثاني والعشرون من الخميس يسمى ' التبريك ' تبطل فيه الأعمال ويتبركون فيه بالتوراة وفيه استتم نزولها بزعمهم . وليس في صومهم فرض غير ' صوم الكبور ' عاشر تشرينهم وابتداء الصوم من التاسع قبل الغروب بنصف ساعة إلى بعد غروب العشاء من العاشر بنصف ساعة تمام خمس وعشرين ساعة وكذلك صياماتهم النوافل والسنن . (أمة النصارى) أمة المسيح ، وللنصارى في تجسد الكلمة مذاهب منهم من قال أشرقت على الجسد إشراق النور على الجسم المشف ومنهم من قال انطبعت فيه انطباع النقش في الشمعة ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء واتفقت النصارى أن

---

(١) تاريخ أبي يعلى، ص/١١٤

المسيح قتله اليهود وصلبوه ويقولون إن المسيح بعد أن قتل وصلب ومات عاش فرأى شخصه شمعون الصفا وكلمة وأوصى إليه ثم فارق الدنيا وصعد السماء . قال الشهرستاني في الملل والنحل : افترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وكبارهم ثلاث فرق الملكانية والنسطورية واليعقوبية . أما ' الملكانية ' فأصحاب ملك ظهر بالروم واستولى عليها فغالب الروم ملكانية مصرحون بالتثليث ، قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) ويصرحون أن المسيح ناسوت كلي قديم أزلي من قديم أزلي وقد ولدت مريم إلها أزليا والقتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معا وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله تعالى وتقدس ، وعلى المسيح حقيقة وذلك لما وجدوا في الإنجيل أنك أنت الابن الوحيد ولما رووا عن المسيح أنه قال حين كان يصلب أذهب إلى أبي وأبيكم وحرموا أربوس لما قال القديم

". (١)

" ومنهم ' عباد النار ' الأكنواطرية عبادتهم أن يحفروا أخدودا مربعا ويؤججوا به النار ثم لا يدعون طعاما لذيذا ولا ثوبا فاخرا ولا شرابا لطيفا ولا عطرا فائحا ولا جوهرا نفيسا إلا طرحوه في تلك النار تقربا إليها وحرموا إلقاء النفوس فيها خلافا لطائفة أخرى . ومنهم ' البراهمة ' أصحاب فكرة وعلم بالفلك والنجوم تخالف طريقتهم منجمي الروم والعجم لأن أكثر أحكامهم باتصالات الثوابت دون السيارات يعظمون أمر الفكر ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول ويجتهدون في صرف الفكر عن المحسوسات ليتجرد الفكر عن هذا العالم ويتجلى له ذلك العالم فربما يخبر عن المغيبات وربما يوقع الوهم على حي فيقتله وإنما يصرفون الفكر عن المحسوسات بالرياضية البليغة المجهدة وبتغميض أعينهم أياما والبراهمة لا يقولون بالنبوات ولهم على ذلك شبه والهنود لا يرون إرسال الريح من بطونهم قبيحا والسعال أقبح عندهم من إرسال الريح والجشاء . ومنهم من يحرق نفسه فيأتي إلى باب الملك يستأذنه في ذلك ويلبس أنواع الحرير المنقوش ويتكلل بالريحان وتضرب الطبول والصنوج بين يديه ويدور كذلك في الأسواق وحوله أهله وأقاربه ثم يدنو من النار المؤججة له ويأخذ خنجرا يشق به جوفه ثم يهوي بنفسه في النار ، والزنى فيهم مباح ويعظمون نهر كبك وهو نهر عظيم في حدود الهند من الشرق إلى الغرب ومنه نهر إلى بلاد سجستان وهو حاد الانصباب ويرغبون في إغراق نفوسهم به ويقتلون نفوسهم على شطه

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ٧٦/١

ويتهادون ماءه كما نتهادى نحن ماء زمزم .   وللهند ممالك منها ' مملكة المايكين ' من أعظم ممالكهم على بحر اللان وعليه السند ولا يدرك قعره هو أول بحارهم من جهة الغرب وهي أقرب ممالكهم إلينا وأكثر محمود بن سبكتكين غزو هذه وفتح كثيرا منها ومن مدنها العظام لاهور على جانبي نهر عظيم مثل بغداد .   ويلي المايكين ' مملكة القنوج ' بلادها الجبال منقطعة عن البحر من ملكها سمي بوده ونهر مهران وهو نهر السند أصله من بلاد القنوج ولها أصنام يتوارثون عبادتها ويزعمون أن لها مائتي ألف سنة . وتجاورها ' مملكة قمار ' على البحر ينسب إليها العود وهم يحرمون الزنى من بين الهند من ملكها سمي زهم ويحاذيه من جهة البحر المهراج ملك الخزر .   وآخر ممالك الهند من جهة الشرق ' مملكة ببارس ' تلي الصين طويلة عرضها عشرة أيام وجزائر بحر الهند في غاية الكثرة وهي في البحر قبالة هذه الممالك . (أمة السند)   غربي الهند وبلادهم قسمان الأول على جانب البحر وهو اللان من مدنه المنصورة والمولتان والدبيل والمسلمون غالبون عليه .

." (١)

"فهزموهم وأثخنوا فيهم بالقتل واتبعوهم أياما حتى انتهوا إلى النهر ورجعوا إلى مكران فاقاموا بها وبعثوا إلى عمر بالفتح والاخماس مع صحار العبدى وسأله عمر عن البلاد فأثنى عليها شرا فقال والله لا يغزوها جيش لى أبدا وكتب إلى سهيل والحكم أن لا يجوز مكران أحد من جنودكما * (خبر الاكراد) *كان امر أمراء الانسياح لما فصلوا إلى النواحى اجتمع ببيروذ بين نهر تيرى ومنادر من أهل الاهواز جموع من الاعاجم أعظمهم الاكراد وكان عمر قد عهد إلى أبى موسى أن يسير إلى أقصى تخوم البصرة ردءا للامراء المنساحين فجاء إلى بيروذ وقاتل تلك الجموع قتالا شديدا وقاتل المهاجر بن زياد حتى قتل ثم وهن الله المشركين فتحصنوا منه في قلة وذلة فاستخلف أبو موسى عليهم أخاه الربيع بن زياد وسار إلى
اصبهان مع المسلمين الذين يحاصرونها حتى إذا فتحت رجع إلى البصرة وفتح الربيع بن زياد بيروذ وغنم ما فيها ولحق به ب البصرة وبعثوا إلى عمر بالفتح والاخماس وأراد ضبة بن محصن العنزي أن يكون في الوفد فلم يجبه أبو موسى فغضب وانطلق شاكيا إلى عمر بانتقائه ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه وأنه أجاز الحطيئة بألف وولى زياد بن أبى سفيان أمور البصرة واعتذر أبو موسى وقبله عمر وكان عمر قد اجتمع إليه

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ١/٨١

جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى ودفعهم إلى الجهاد على عادته وأوصاهم فلقوا عدوا من الاكراد المشركين فدعوهم إلى الاسلام أو الجزية فأبوا وقاتلوهم وهزموهم وقتلوا وسبوا وقسموا الغنائم ورآى سلمة جوهرا في سفط فاسترضى المسلمين وبعث به إلى عمر فسأل الرسول عن أمور الناس حتى أخبره بالسفط فغضب وأمر به فوجئ في عنقه وقال اسرع قبل أن تفترق الناس ليقسمه سلمة فيهم فباعه سلمة وقسمه في الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفا * (مقتل عمر وأمر الشورى وبيعة عثمان رضى الله عنه) *كان للمغيرة بن شعبة مولى من نصارى العجم اسمه أبو لؤلؤة وكان يشدد عليه في الخراج فلقى يوما عمر في السوق فشكى إليه وقال أعدني على المغيرة فانه يثقل على في الخراج درهمين في كل يوم قال وما صناعتك قال نجار حداد نقاش فقال ليس ذلك بكثير على هذه الصنائع وقد بلغني انك تقول أصنع رحى تطحن بالريح فاصنع لى رحى قال أصنع لك رحى يتحدث الناس بها أهل المشرق والمغرب وانصرف فقال عمر توعدنى العلج فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة واستوت الصفوف ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر برأسين نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات احداها تحت سرته وقتل كليبا." (١)

"معى على من خالف وترضوا من اخترت وتواثقوا ثم قال لعلى أنت أحق من حضر بقرابتك وسوابقك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد في نفسك فمن ترى أحق فيه بعدك من هؤلاء قال عثمان وخلا بعثمان فقال له مثل ذلك فقال على ودار عبد الرحمن لياليه كلها يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوافي المدينة من أمراء الاجناد واشراف الناس ويشيرهم إلى صبيحة الرابع فأتى منزل المسور بن مخرمة وخلافيه بالزبير وسعد أن يتركا الامر لعلى أو عثمان فاتفقا على على ثم قال له سعد بايع لنفسك وأرحنا فقال قد خلعت لهم نفسي على أن أختار ولو لم أفعل ما أريدها ثم استدعى عبد الرحمن عليا وعثمان فناجى كلا منهما إلى أن رضوا بل إلى أن صلوا الصبح ولا يعلم أحد ما قالوا ثم جمع المهاجرين وأهل السابقة من الانصار وأمراء الاجناد حتى غص المسجد بهم فقال أشيروا على فأشار عمار بعلى فقال ابن أبى سرح ان أردت أن لا تختلف ريش فبايع عثمان ووافقه عبد الله بن أبى ربيعة فتفاوضا وتشاتما ونادى سعد يا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس فقال نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا ثم قال لعلى عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده قال

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١٢٤/٢

أرجو أن أجتهد بل أن أفعل بمبلغ علمي وطاقتي وقال لعثمان مثل ذلك فقال نعم فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال اللهم اشهد أني قد جعلت ما في عنقي من ذلك في عنق عثمان فبايعه الناس ثم قدم طلحة في ذلك اليوم فأتى عثمان فقال له عثمان أنت على الخيار في الامر وان أبيت رددتها فقال أكل الناس بايعوك قال نعم قال رضيت ولا أرغب عما أجمعوا عليه وكانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض ومر أبو لؤلؤة بالهرمزان وبيده **الخنجر** الذى طعن به عمر فتناوله من يده وأطال النظر فيه ثم رده إليه ومعهم جفينة نصراني من أهل الحيرة فلما طعن عمر من الغداة قال عبد الرحمن بن أبى بكر لعبيد الله بن عمر انى رأيت هؤلاء الثلاثة يتناجون فلما رأوني افترقوا وسقط منهم هذا **الخنجر** فعدا عبيد الله عليهم

فقتلهم ثلاثتهم وأمسكه سعد بن أبى وقاص وجاء به إلى عثمان بعد البيعة وهو في المسجد فاشار على بقتله وقال عمرو بن العاصى لا يقتل عمر بالامس ويقتل ابنه اليوم فجعلها عثمان دية واحتملها وقال انا وليه ثم قام عثمان وصعد المنبر وبايعه الناس كافة وولى لوقته سعد بن أبي وقاص على الكوفة وعزل المغيرة وذلك بوصية عمر لانه أوصى بتولية سعد وقال لم أعزله عن سوء ولا خيانة منه وقيل انما ولاه وعزل المغيرة بعد سنة وانه أقر لاول أمره عمال عمر كلهم * (نقض اهل الاسكندرية وفتحها) *." (١)

"وقائد وكان رئيس قوهستان المنور من اعقاب بنى سيجور أمراء خراسان للسامانية فطلبه عامل قوهستان وأراد اغتصاب أخته فاستدعى الاسماعيلية وملكهم هذه القلاع واستولوا على قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من اصفهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت إلى جاول سقاور من أمراء الغزو ولى عليها بعض الترك فاتصل به بعض الباطنية وخدمه وأهدى له حتى صارت مفاتيح القلعة في يده فدس لابن غطاش في قلعة شاه در فجاء في جمع من أصحابه ليلا وهرب التركي فملكها وقتل من كان بها وقوى بها على أهل اصفهان وفرض عليهم القطائع ومن قلاعهم أسويا وند بين الرمل وآمد ملكوها بعد ملك شاه غدرا ومنها ازدهر ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن ابن الصباح ومنها كرد كوه ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور قرب ارجان ملكها أبو حمزة الاسكاف من أهل ارجان وقد كان سافر إلى مصر فأخذ بمذهبهم ورجع داعية لهم ومنها قلعة ملاو خان بين فارس وخوزستان امتنع بها المفسدون نحوا من مائتي سنة لقطع الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما ملك ملك شاه أقطعها للامير

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٢/١٢٦

انز فولى عليها من قبله وداخله الباطنية الذين من أرجان في ببعها منهم فأبى فقالوا نرسل اليك من يناظرك حتى نرى الحق في مذهبنا وبعثوا إليهم رجالا منهم فاعتقلوا مملوكه حتى سلم لهم مفاتيح القلعة وقبضوا على صاحبها وقويت شوكتهم وامتدت أيدى الناس إلى قتلهم واعتقدوا جهادهم وثاروا بهم في كل وجهة فقتلوهم وقتلتهم العامة باصفهان وكانوا قد ظهروا بها عند محاصرة السطان بركيارق اصفهان وبها أخوه محمد وأمه خاتون الجلالية وفشت فيها دعوتهم وكثر فيها الاغتيال من أتباعهم فثاروا بهم وقتلوهم وحفروا الاخاديد وأوقدوها بالنيران وجعلوا يأتون بالباطنية فيلقونهم فيها وتجرد جاولى سقاور وكان واليا بفارس للجهاد فيهم وتحيل عليهم بجماعة من أصحابه أظهروا الهروب إليهم فأوثقوا بهم وسار هو من بعد ذلك إلى همذان فأغزاهم ثم صار الباطنية من بعد ذلك إلى همذان لقتل أمراء السلجوقية غدرا فكان يقصد أحدهم أميرا من هؤلاء وقد استبطن **خنجرا** واستمات حملهم على ذلك السلطان بركيارق واستعان بهم على أمر أخيه فكان أحدهم يعرض نفسه بين يدى الامير حتى يتمكن من طعنه فيطعنه ويهلك غاليا ويقتل الباطني لوقته فقتلوا منهم كذلك جماعة ولما ظهر بركيارق على أخيه محمد انتشروا في عسكره واستعنوا طائفة منهم وتهددوا بالقتل على ذلك حتى ارتاب أمراء العسكر بأنفسهم وخافوا عاديتهم ولازموا حمل السلاح وشكوا إلى بركيارق بذلك وبما يلقونه منهم ومن عسكر أخيه فيما يرمونهم به من الاتحاد بهؤلاء الباطنية فأذن في قتلهم وركب والعسكر معه." (١)

"العرب أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الطائى فحاصرهم وفتحها ثانية وولى عليها أخاه صاحب الجيش ينصر بن سبكتكين مضافة إلى نيسابور فاستخلف عليها وزيره أبا منصور نصر بن اسحق وعاد السلطان محمود إلى بلخ مضمرا غزو الهند هكذا مساق خبر السلطان محمود مع خلف بن أحمد وخبر سجستان عند العينى وأما عند ابن الاثير فعلى ما وقع في أخبار دولة بنى الصفار * (غزوة بهاطية والملتان وكوكبر) * ولما فرغ السلطان محمود من سجستان اعتزم على غزو بهاطية من أعمال الهند وهى

وراء الملتان مدينة حصينة عليها انطاق من الاصبوان وآخر من الخنادق بعيدة المهوى وكانت مشحونة بالمقاتلة والعدة واسم صاحبها بجير فعبر السلطان إليها جيحون وبرز إليه بجيره فاقتتلوا بظاهر بهاطية ثلاثة أيام ثم انهزم بجير وأصحابه في الرابع وتبعهم المسلمون إلى باب البلد فملكوه عليهم وأخذتهم السيوف من أمامهم ومن ورائهم فبلغ القتل والسبي والسلب والنهب فيهم مبالغه وسار بجير في رؤس الجبال فستر في

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٤/٩٥

شعابها وبعث السلطان سرية في طلبه فأحاطوا به وقتلوا من أصحابه ولما أيقن بالهلكة قتل نفسه **بخنجر** معه وأقام السلطان محمود في بهاطية حتى أصلح أمورها واستخلف عليها من يعلم أهلها قواعد الاسلام ورجع إلى غزنة فلقى في طريقه شدة من الامطار في الوحل وزيادة المدد في الانهار وغرق كثير من عسكره ثم بلغه عن أبى الفتوح وإلى الملتان انه ملحدو أنه يدعو أهل ولايته إلى مذهبه فاعتزم على جهاده وسار كذلك ومنعه سيجور من العبور لكثرة المدد فبعث السلطان إلى اندبال ملك الهند في أن يبيح له العبور إلى بلاده لغزو الملتان فأبى فبد أبجهاده وسار في بلاده ودوخها وفراندبال بين يديه وهو في طلبه إلى أن بلغ قشمير ونقل أبو الفتوح أمواله على الفيول إلى سرنديب وترك الملتان فقصدها السلطان وامتنع أهلها فحاصرهم حتى افتتحها عنوة وأغرمهم عشرين ألف ألف درهم عقوبة لهم على عصيانهم ثم سار إلى كوكبر واسم صاحبها بيدا وكان بها ستمائة صنم فافتتحها وأحرق أصنامها وهرب صاحبها إلى قلعته وهى كالبحار وهو حصن كبير تسع خمسمائة ألف انسان وفيه خمسمائة وعشرون ألف راية وهو مشحون بالا قوات والمسالك إليه متعذرة بخمر الشجر وملتف الغياض فأمر بقطع الاشجار حتى اتضحت المسالك واعترضه دون الحصن واد بعيد المهوى فطم منه عشرين ذراعا با لاجربة المحشوة بالتراب وصيره جسرا ومضى منه إلى القلعة وحاصرها ثلاثة وأربعين يوما حتى جنح صاحبها إلى السلم وبلغ السلطان أن ايلك خان مجمع غزو خراسان فصالح ملك الهند على خمسين فيلا وثلاثة آلاف من الفضة وخلع عليه السلطان فلبس خلعته." (١)

"تلاشى أمرهم ففارقه ابن الياس من نيسابور إلى كرمان فاستولى عليها إلى هذه الغاية فأزاله عنها ماكان ولحق بالدينور وأقام ماكان واليا بكرمان بدعوة بنى سامان * (مقتل مرداويج وملك أخيه وشمكير من بعده) * لما استفحل أمر مرداويج كما قلنا عتا وتجبر وتتوج بتاج مرصع على هيئة تاج كسرى وجلس على كرسى الذهب وأجلس أكابر قواده على كراسي الفضة واعتزم على قصد العراق وبنى المدائن وقصور كسرى وأن يدعى بشاه وكان له جند من الاتراك كان كثير الاساءة إليهم ويسميهم الشياطين والمرادة فثقلت وطأته على الناس وخرج ليلة الميلاد من سنة ثلاث وعشرين إلى جبال أصفهان وكانوا يسمونها ليلة الوقود لما يضرم فيها من النيران فأمر بجمع الحطب على الجبل من أوله إلى آخره أمثال الجبال والتلال وجمع ألفى طائر من الغربان والحدآت وجعل النفط في أرجلها ليضرم الجبل نارا حتى يضئ الليل واستكثر من

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٦٦/٤

أمثال هذا اللعب ثم عمل سماطا للاكل بين يديه فيه مائة فرس ومائتا بقرة وثلاثة آلاف كبش وعشرة آلاف من الدجاج وأنواع الطير وما لا يحصى من أنواع الحلوى وهيأ ذلك كله ليأكل الناس ثم يقوموا إلى مجلس الشرب والندمان فتشعل النيران ثم ركب آخر النهار ليطوف على ذلك كله بنفسه فاحتقره وسخط من تولى ترتيبه ودخل خيمته مغضبا ونام فأرجف القواد بموته فدخل إليه وزيره العميد وأيقظه وعرفه بما الناس فيه فخرج وجلس على السماط وتناول القمتين ثم ذهب وعاد إلى مكانه فقام في معسكره بظاهر اصفهان ثلاثا لا يظهر للناس ثم قام في اليوم الرابع ليعود إلى قصره باصفهان فاجتمعت العساكر ببابه وكثر صهيل الخيل ومراحها فاستيقظ لكثرة الضجيج فازداد غضبه وسأل عن أصحاب الدواب فقيل انها للاتراك نزلوا للخدمة وتركوها بين يدى الغلمان فأمر أن تحل عنها السروج وتجعل على ظهور الاتراك ويقودونهم إلى اصطبلات الخيل ومن امتنع من ذلك ضرب فأمسكوا ذلك على أقبح الهيئات واصطنعوا ذلك عليه واتفقوا على الفتك به في الحمام وكان كورتكين يحرسه في خلوته وحمامه فسخطه ذلك اليوم وطرده فلم يتقدم إلى الحرس لمراعاته وداخلوا الخادم الذى يتولى خدمته في الحمام في أن يفقده سلاحه وكان يحمل خنجرا فكسر حديد الخنجر وترك النصاب لمرداويج فلم يجد له حدا فأغلق باب الحمام ودعمه من ورائه بسرير الخشب الذى كان صاعدا عليه فصعدوا إلى السطح وكسروا الجامات ورموه بالسهام فانحجر في زوايا الحمام وكسروا الباب عليه وقتلوه وكان الذى تولى كبر ذلك جماعة من الاتراك وهم تورون الذى صار بعد ذلك أمير الامراء ببغداد ويارق بن بقرا خان ومحمود بن نيال الترجمان ويحكم الذى ولى امارة." (١)

"وبان الجزية لا يعطيها مسلم فسار مسلم ونهب نواحى انطاكية فنهب سليمان نواحى حلب ثم جمع سليمان العرب والتركمان وسار لنواحي انطاكية ومعه جماهير التركمان وجمع سليمان كذلك والتقيا آخر صفر سنة ثمان وسبعين وانحاز جق إلى سليمان فانهزمت العرب وقتل مسلم وسار سليمان بن قطلمش إلى حلب وحاصرها فامتنعت عليه وارسل إليه ابن الحثيثى العباسي كبير حلب بالاموال وطالبه أن يمهل حتى يكاتب السلطان ملك شاه ودس إلى تاج الدولة تتش صاحب دمشق يستدعيه لملكها فجاء لذلك ومعه ارسوس اكسك وكان خائفا على نفسه من السلطان ملك شاه لفعلته في امر فاستجار بتتش وأقطعه المورس وسار معه لهذه الحرب وبادر سليمان بن قطلمش إلى اعتراضهم وهم على تعبية وابلى أرتق في هذه الحروب وانهزم سليمان وطعن نفسه بخنجر فمات وغنم تتش معسكره وبعث إلى ابن الحثيثى العباسي فيما استدعاه

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٤/٤٢٩

إليه فاستمهله إلى مشورة السلطان ملك شاه واغلظ في القول فغضب تتش وداخله بعض اهل البلد فتسورها وملكها واستجار ابن الحثيثي بالامير ارتق فأجاره وسمع له * (استيلاء ابن جهير على ديار بكر) * ثم بعث ابن جهير سنة ثمان وسبعين ابنه زعيم الرؤساء ابا القاسم إلى حصار آمد ومعه جناح الدولة اسلار فحاصرها واقتلع شجرها وضيق عليها حتى جهدهم الجوع وغدر بعض العامة في ناحية من سورها ونادى بشعار السلطان واجتمع إليه العامة لما كانوا يلقون من عسف العمال النصارى فبادر زعيم الرؤساء إلى البلد وملكها وذلك في المحرم وكان ابوه فخر الدولة محاصر الميافارقين ووصل إليه سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد بمدد العساكر فاشتد الحصار وسقطت من السور ثلمة في سادس جمادى فنادوا بشعار السلطان ومنعوا ابن جهير من البلد واستولى على أموال بنى مروان وبعثها مع ابنه زعيم الرؤساء إلى السلطان فسار مع كوهراس إلى بغداد ثم فارقه إلى السلطان باصبهان ولما انقضى أمر ميافارقين بعث فخر الدولة جيشا إلى جزيرة ابن عمر فحاصرها

وقام بعض أهلها بدعوة السلطان وفتحوا مما يليهم بابا قريبا دخل منه العسكر فملكوا البلد وانقرضت دولة بنى مروان من ديار بكر والبقاء لله ثم أخذ السلطان ديار بكر من فخر الدولة بن جهير وسار إلى الموصل فأقام بها إلى أن توفى سنة ثلاث وثمانين * (استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية اقسنقر عليها) * لما ملك تاج الدولة تتش مدينة حلب وكان بها سالم بن ملك بن مران ابن عم مسلم بن قريش وامتنع بالقلعة وحاصره تتش سبعة عشر يوما حتى وصل الخبر بمقدم أخيه." (١)

"في صورة متظلم فلما استدناه لسماع شكواه طعنه **بخنجر** فأشواه وعثر الباطني في أطناب الخيام ودخل نظام الملك الخيمة فمات لثلاثين سنة من وزارته واهتاج عسكره فركب إليه السلطان وسكن الناس ويقال ان السلطان ملك شاه وضع الباطني على قتله لما وقع منه ومن بنيه من الدالة والتحكم في الدولة وقد كان السلطان دس على ابنه جمال الدين من قتله سنة خمس وسبعين كان بعض حواشى السلطان سعى به فسطابه جمال الدين وقتله فأحقد السلطان بذلك وأخذ عميد خراسان فقتله خنقا فدس لخادم من خدم جمال الدين بذلك وأنهم إذا تولوا قتله بأنفسهم كان أحفظ لنعمتهم فسقاه الخادم سما ومات وجاء السلطان إلى نظام الملك وأغراه به وما زال بطانة السلطان يغضون منه ويحاولون السعاية إلى أن ولى حافده عثمان بن جمال الملك على مرو وبعث السلطان إليها كردن من أكابر المماليك والامراء شحنة ووقعت بينه وبين

(١) تاريخ ابن خلدون، ٨/٥

عثمان منازعة قى بعض الايام فأهانه وحبسه ثم أطلقه وجاء إلى السلطان شاكيا فاستشاط غضبا وبعث فخر الملك البارسلان إلى نظام الملك وأغراه به ومازل يقول ان كنت تابعا فقف عند حدك وان كنت شريكي في سلطاني فافعل ما بدالك وقرر عليه فعل حافده وسائر بنيه في ولايتهم وأرسل معه نكبرذ من خواصه ثقة على ما يؤديه من القول ويجيبه

الآخر فانبسط لسان نظام الملك يعدد الوسائل منه والمدافعة عن السلطان وجمع الكلمة وفتح الامصار في كلام طويل حملته عليه الدالة وقال في آخره ان شاء فله مؤيد مرو آتى ومتى أطعت هذه زالت تلك فليأخذ حذره ثم زاد في انبساطه وقال قولوا عنى ما أردتم فان توبيخكم نتأفى عضدي ومضى نكبرذ فصدق السلطان الخبر وجاء الآخرون وحاولوا الكتمان فلم يسعهم لما وشى نكبرذ بجلية القول فصدقوه كما صدقه ومات نظام الملك بعدها بقليل ومات السلطان بعده بنحو شهر وكان أصل نظام الملك من طوس من أبناء الدهاقين اسمه أبو على الحسن بن على بن اسحق ذهبت نعمة آبائه وماتوا فنشأ يتيما ثم تعلم وحذق في العلوم والصنائع وعلق بالخدم السلطانية في بلاد خراسان وغزنة وبلخ ثم لازم خدمة أبى على بن شاذان وزير البارسلان ومات ابن شاذان فاوصي به السلطان البارسلان وعرفه كفايته فاستخدمه فقام بالامور أحسن قيام فاستوزره ثم هلك السلطان البارسلان وهو في وزارته ثم استوزره ملك شاه بعد أبيه وكان عالما جوادا صفوحا مكرما للعلماء وأهل الدين ملازما لهم في مجلسه شيد المدارس وأجرى فيها الجرايات الكثيرة وكان يملى الحديث وكان ملازما للصلوات محافظا على أوقاتها وأسقط في أيامه كثيرا من المكوس والضرائب وأزال لعن الاشعرية من المنابر بعد أن فعله الكندوى من قبله وحمل عليه السلطان طغرلبك وأجراهم مجرى الرافضة." (١)

"مؤيد الملك عن الوزارة بأخيه فخر الملك واستولى فخر الملك البارسلان على الامور فقطع ارسلان مراسلة بركيارق فبعث حينئذ عمه بورسوس في العساكر لقتاله فانهزم ارسلان إلى بلخ وأقام بورسوس بهراة وسار ارسلان إلى مرو وفتحها عنوة وخربها واستباحها وسار إليه بورسوس من هراة سنة ثمان وثمانين وكان معه مسعود بن تأخر الذى كان أبوه مقدم عساكر داود ومعه ملك شاه من أعاظم الامراء فبعث إليه ارسلان واستماله فمال إليه ووثب لمسعود بن تأخر وابنه فقتلهما في خيمته فضعف أمر بورسوس وانفض الناس عنه وجئ به أسيرا إلى أخيه ارسلان أرغون فحبسه بترمذ ثم قتله في محبسه بعد سنة وقتل أكابر خراسان وخرب

(١) تاريخ ابن خلدون، ١٢/٥

أسوارها مثل سودان ومرو الشاهجان وقلعة سرخس ونهاوند ونيسابور وصادر وزيره عماد الملك بن نظام الملك على ثلثمائة ألف دينار ثم قتله واستبد بخراسان وكان مرهف الحد كثير العقوبة لمواليه وأنكر على بعضهم يوما بعض فعلاته وهو في خلوة وضربه فطعنه الغلام **بخنجر** معه فقتله وذلك في المحرم من سنة تسعين * (ولاية سنجر على خراسان) *

ولما قتل ارسلان أرغون ملك أصحابه من بعده صبيا صغيرا من ولده وكان السلطان بركيارق قد جهز العساكر لخراسان للقتال ومعه الاتابك قماج ووزيره على بن الحسن الطغرائي وانتهى إليه مقتل ارسلان بالدامغان فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا إلى نيسابور فملكها في جمادى سنة تسعين وأربعمائة وملك سائر خراسان وسار إلى بلخ وكان أصحاب ارسلان قد هربوا بابنه الذى نصبوه للملك إلى جبل طخارستان وبعثوا يستأمنون له ولهم فأمنهم السلطان وجاؤا بالصبى في آلاف من العساكر فأكرمه السلطان وأقطعه ما كان لابيه أيام ملك شاه وانفض عنه العسكر الذين كانوا معه وافترقوا على أمراء السلطان وأفردوه فضمته أم السلطان إليها وأقامت من يتولى رتبته وسار السلطان إلى ترمذ فملكها وخطب له بسمرقند ودانت له البلاد وأقام على بلخ سبعة أشهر ثم رجع وترك أخاه سنجر نائبا بخراسان * (ظهور المخالفين بخراسان) * لما كان السلطان بخراسان خالف عليه محمود بن سليمان من قرابته ويعرف بأمير أميران وسار إلى بلخ واستمد صاحب غزنة من بنى سبكتكين فأمده بالعساكر والغيول على أن يخطب له فيما يفتحه من خراسان فقويت شوكته فسار إليه الملك سنجر وكبسه فانهزم وجئ به أسيرا فسمله ولما انصرف السلطان عن خراسان سار نائب خوارزم." (١)

"* (مقتل فخر الملك بن نظام الملك) * قد ذكرنا قبل ان فخر الملك بن نظام الملك كان وزيرا لتتش ثم حبسه ولما هزمه بركيارق ووجده في محبسه اطلقه وكان أخوه مؤيد الملك وزيرا له فمال إليه فخر الدولة بسعاية مجد الملك البارسلانى واستوزره سنة ثمان وثمانين ثم فارق وزارته ولحق بسنجر بن ملك شاه بخراسان فاستوزره فلما كان في آخر المائة الخامسة جاء باطني يتظلم إلى باب داره فأدخله يسمع شكواه فطعنه **بخنجر** فقتله وأمر السلطان سنجر بضربه فأقر على جماعة من الناس وقتل * (ولابة جاولى سكاور على الموصل وموت جكرمس) *كان جاولى سكاور قد استولى على ما بين خورستان وفارس فعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة في أهلها فلما استقل السلطان محمد بالملك خافه جاولى وأرسل السلطان

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٥/١٨

إليه الامير مودود بن أنوتكين فتحصن منه جاولى وحاصره مودود ثمانية أشهر ودس جاولى إلى السلطان بطلب غيره فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر فسار إليه باصبهان وجهزه في العساكر لجهاد الافرنج بالشأم واسترجاع البلاد منهم وكان جكرمس صاحب الموصل قد قطع الحمل فأقطع السلطان الموصل وديار بكر والجزيرة لجاولى فسار إلى الموصل وجعل طريقه على بغداد على البواريح فاستباحها أياما ثم سار إلى اربل وكان صاحبها أبو الهيجاء بن برشك الكردى الهربانى إلى جكرمس يستحثه فسار في عسكر الموصل والقوا قريبا من اريل فانهزم أصحاب جكرمس وكان يحمل في المحفة فقاتل عنده غلمانه وأحمد بن قاروت بك فخرج وانهزم إلى الموصل ومات وجئ بجكرمس فحبسه ووصل من الغد إلى الموصل فولوا ازنكين بن جكرمس وأقام بالجزيرة وقام بأمره غرغلى مولى أبيه وفرق الاموال والخيول وكتب إلى فليح
ارسلان صاحب بلاد الروم ميتا وكان قد شيد الموصل وبنى أسوارها وحصنها بالخندق وبينما هو كذلك سار إليه فليح ارسلان من بلاد الروم باستدعاء غرغلى كما تقدم وانتهى إلى نصيبين فرحل جاولى عن الموصل ثم جاء البريقى شحنة بغداد ونزل عن الموصل وخاطبهم فلم يجيبوه فرجع من يومه وسار فليح ارسلان من نصيبين إلى الموصل وتأخر عنها جاولى إلى سنجار واجتمع ابن الغازى بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمس وجاء جريح رضوان بن تتش من الشأم على الافرنج فسار إلى الرحبة وبعث أهل الموصل وعسكر جكرمس إلى فليح ارسلان بنصيبين واستحلفوه فحلف وجاء إلى الموصل فملكها في منتصف ختام المائة الخامسة وخلع على ابن جكرمس وخطب لنفسه بعد الخليفة وقطع خطبة السلطان محمد إلى العسكر وأخذ القلعة من غرغلى فولى جكرمس وأقر القاضى أبا محمد عبد الله بن القاسم الشهرزورى على القضاء وجعل." (١)

"عصى على السلطان البارسلان بعد طغرلبك وقصد الرى ليملكه وقاتله البارسلان سنة ست وخمسين فانهزم عسكر قطلمش ووجد بين القتلى فتجمع له البارسلان وقعد للعزاء فيه كما تقدم في أخبارهم وقام بأمره ابنه سليمان وملك قونية وأقصرا وغيرهما من الولاية التى كانت بيد أبيه وافتتح انطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقد كانوا ملكوها منذ خمس وخمسين وأربعمائة فأخذها منهم وأضافها إلى ملكه وقد تقدم خبر ملكه اياها في دولتهم وكان لمسلم بن قريش صاحب الموصل ضريبة على الروم بانطاكية فطالب بها سليمان بن قطلمش فامتعض لذلك وأنف منه فجمع مسلم العرب والتركمان لحصار انطاكية

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٧/٥

ومعه جق أمير التركمان والتقيا سنة ثمان وسبعين وانحاز جق إلى سليمان فانهزم العرب وسار سليمان بن قطلمش لحصار حلب فامتنعت عليه وسألوه الامهال حتى يكاتب السلطان ملك شاه ودسوا إلى تاج الدولة تتش صاحب دمشق يستدعونه فأغذ السير واعترضه سليمان بن قطلمش على غير تعبية فانهزم وطعن نفسه بخنجر فمات وغنم تتش معسكره وملك بعده ابنه قليج ارسلان وأقام في سلطانه ولما زحف الافرنج إلى سواحل الشأم سنة تسعين وأربعمائة جعلوا طريقهم على القسطنطينية فمنعهم من ذلك ملك الروم حتى شرط عليهم أن يعطوه انطاكية إذا ملكوها فأجابوا لذلك وعبروا خليج القسطنطينية ومروا ببلاد قليج ارسلان بن سليمان ابن قطلمش فلقيهم في جموعه قريبا من قونية فهزموه وانتهوا إلى بلاد بن ليون الارمني فمروا منها إلى انطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فاستعد للحصار وأمر بحفر الخندق فعمل فيه المسلمون يوما ثم عمل فيه النصارى الذين كانوا بالبلد من الغد فلما جاؤا للدخول منعهم وقال أنا لكم في مخلفكم حتى ينصرف هؤلاء الافرنج وزحفوا إليه فحاصروه تسعة أشهر ثم عدا بعض الحامية من سور البلد عليهم فادخلوهم من بعض مسارب الوادي وأصبحوا في البلد فاستباحوه وركب باغيسيان للصلح فهرب ولقيه حطاب من الارمن فجاء برأسه إلى الافرنج وولى عليها بيمشد من زعماء
الافرنج وكان صاحب حلب وصاحب دمشق قد عزما على النفير إلى انطاكية لمدافعتهم فبكاتبهم الافرنج بالمسالمة وانهم لا يعرضون لغير انطاكية فأوهن ذلك من عزائمهم وأقصروا عن انجاد باغيسيان وكان التركمان قد انتشروا في نواحي العراق وكان كمستكين بن طبلق المعروف أبوه بالوانشمند ومعناه المعلم عندهم قد ملك سيواس من بلاد الروم مما يلى انطاكية وكان بملطية مما يجاورها متغلب آخر من التركمان وبينه وبين الوانشمند حروب فاستنجد صاحب ملطية عليه الافرنج وجاء بيضل من انطاكية سنة ثلاث وتسعين في خمسة آلاف فلقيه ابن الوانشمند." (١)

"ممتنعا سائر أيامه على الدولة والعاسكر من بجاية تتردد لمنازلته إلى ان هلك سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقام بأمره من بعده ابنه عبد الواحد فعقد له السلطان على عمل أبيه بالزاب واستضاف إليه ما وراءه من البلاد الصحراوية قرى ريغة ووراكلى وكان السلطان قد عقد على الثغر بعد مهلك ابن عمر لمحمد بن أبي الحسين بن سيد الناس وجعل له كفالة ابنه يحيى ودفعه إليه فتجددت الوحشة بين عبد الواحد هذا وبين صاحب الثغر في سبيل المنافسة في المرتبة عند السلطان بما كانوا جميعا صنائع وبطانة للحاجب ابن

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١٦٣/٥

عمر وبعث العساكر لحربه ومنازلة حصنه وناول عبد الواحد هذا لآل زيان الحائفين الدولة طرفا من حبل طاعته فقبل فيها مذهب ابنه آخر عمره وصار يحرض الجيوش به إلى ان استجن منه عبد الواحد بصهر عقده له على ابنته واشترط المهادنة وتسليم الجباية وتودع أمره إلى ان اغتاله أخوه يوسف سنة تسع وعشرين بمداخلة بطانتهم من بنى سماط وبنى أبى كواية ولما أحكم مداخلتهم في شأنه آذنه عشاء للشورى معه في بعض المهمات وطعنه **بخنجره** فأشواه وهلك لحينه واستقل يوسف بن منصور بامارة الزاب ووصله مرسوم السلطان بالتقليد والخلع على العادة واجري الرسم في الدعاء له على منابر عمله وكان السلطان قد استدعى محمد بن سيد الناس من الثغر ببجاية وفوض له أمور ملكه فهاجت نار العداوة والاحن القديمة بما بينه وبين يوسف بن منصور عامل الزاب وهم به لولا ما أخذ بحجزته من الشغل الشاغل للدولة بتحيف آل زيان وهلك الحاجب سنة ثنتين وثلاثين في نكبة السلطان اياه كما ذكرناه وعقد لمحمد بن الحكيم على القيادة وجعل بيده زمام العساكر وفوض له في سائر القرى والضواحي فاجرى رياسه وحكمه في دولته وتغلب على أمره على حين فرغ السلطان من الشغل بمدافعة عدوه وحط ما كان من أمرهم على كاهل دولته ونهض السلطان أبو الحسن إلى آل يغمراسن فقلم اظفار اعتدائهم وقد شبا عزائمهم كما شرحنا قبل فأذكى القائد محمد بن الحكين مع يوسف ابن منصور نار العداوة وأثار له من السلطان كامن الحفيظة وصرف وجوه العزائم إلى حمله على الجادة وتقويمه عن المراوغة في الطاعة وناهضه بالعساكر مرات ثلاثا يدافعه في كلها بتسليم الجباية إليه ثم كانت بينه وبين على بن أحمد كبير الزواودة فتن وحروب دعا إليها منافسة على في استئثاره على الجباية دونه فواضعه الحرب ودعا العرب في منازلته مموها بالدعاء على السنة وحشد أهل ريغة لذلك ونازله وانحرف عنه ابنه يعقوب ودخل إلى بسكره فاصهر له ابن مزنى في أخته بنت منصور ابن فضل وعقد له عليها فحسن دفاعه عنه وبعث ابن مزنى عن سليمان بن على كبير أولاد سباع وقريع على بن أحمد في شؤنه فكان عنده ببسكرة يغاديه القتال." (١)

"والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حدود العوائد وعجز وجدهم عنه فكان ثمن مكيال القمح الذى يسمونه البرشالة ويتبايعون به مقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفا من الذهب العين وثمن الشخص الواحد من القر ستين مثقالا ومن الضان سبعة مثاقيل ونصفا واثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمر بثمن المثقال ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم تكون عشر المثقال والرطل من الجلد

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٤٠٩/٦

البقرى ميتة أو مذكى بثلاثين درهما والهر الداجن بمثقال ونصف والكلب بمثله والفار بعشرد دراهم والحية بمثله والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك والاوقية من الزيت باثنى عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشحم بعشرين ومن الفول بمثلها ومن الملح بعشرة ومن الحطب كذلك والاصل الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن اللفت بخمسة عشر درهما والواحد من القثاء والفقوس بأربعين درهما والخيار بثلاثة

أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارها واتسعت خطة مدينة المنصورة المشيدة عليها ورحل إليها التجار بالبضائع من الآفاق واستبحرت في العمران بما لم تبلغه مدينة وخطب الملوك سلمه ووده ووفدت عليه رسل الموحدين وهداياهم من تونس وبجاية وكذل رسل صاحب مصر والشام وهديته واعتز اعتزاز الاكفاء له كما يأتي في أخباره وهلك الجند حامية بنى يغمراسن وقبيلتهم وأشرفوا على الهلاك فاعتزموا على الالقاء باليد والخروج بهم للاستماتة فكيف الله لهم الصنيع الغريب ونفس عن مختنقهم بمهلك السلطان يوسف بن يعقوب على يد خصى من العبيد فأسخطته بعض النزغات الملوكية فاعتمده في كسر بيته ومخدع نومه وطعنه **بخنجر** قطع أمعاءه وأدرك فسيق إلى وزرائه فمزقوه اشلاء ولم يبق شئ من بقايا عهدهم كما ذكرناه والامر لله وحده وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وساكني مدينتهم كانما نشروا من اجداث وكتبوا لها في سكتهم ما أقرب فرج الله استغرابا لحادثتها (وحدثني) شيخنا محمد بن ابراهيم الايلى قال جلس السلطان أبو زيان صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء في خلوة زوايا قصره واستدعى ابن حجاف خازن الزرع فسأله كم بقى من الاهراء والمطامير المختومة فقال له انما بقى عولة اليوم وغد فاستوصاه بكتمانها وبينما هم في ذلك دخل عليه أخوه أبو حمو فأخبروه فوجم لها وجلسوا سكوتا لا ينطقون وإذا بالخادم دعد قهرمانة القصر من وصائف بيت السلطان أبى اسحق وحظية أبيهم خرجت من القصر إليهم وحيتهم تحيتها وقالت تقول لكم حظايا قصركم." (١)

"إلى أن كان من توثب صنهاجة وأهل بجاية بعمر بن على ما نحن ذاكروه ان شاء الله تعالى * (الخبر عن بورة اهل بجاية ونهوض الحاجب إليها في العساكر) *كان صنهاجة هؤلاء من أعقاب ملكانة ملوك القلعة وبجاية نزل أولوهم بوادي بجاية بين القبائل من برابرتها الكتاميين في مواطن بنى ور ياكل منذ أول

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٩٦/٧

دولة الموحدين وأقطعوهم على العسكرة معهم ولما ضعفت جنود الموحدين وقل عددهم انفردوا بالعسكرة مع السلطان وصار لهم بذلك اعتزاز وزبون على الدولة وكان الامير أبو عبد الله هذا قد أصاب منهم لاول أمره وقتل محمد بن تميم من أكابر مشيختهم وكان صاحبه فارح مولى ابن سيد الناس عريفا عليهم من عهد أبيه الامير أبى زكريا وكان مستبدا على

المولى أبى عبد الله فلما نزل عن امارته للسلطان أبى عنان سخط ذلك ونقمه عليه وأسرها في نفسه ولم يبدها لكماله وسرحه أميره مع عمر بن على الوطاسى لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره فوصل إليها وشكا إليه الصنهاجيون مغبة أمرهم في ثقل الوطأة وسوء الملكة فأشكاهم ودعاهم إلى الثورة ببنى مرين والقيام بدعوة الموحدين للمولى أبى زيان صاحب قسنطينة فأجابوه وتواعد وابالفتك بعمر بن على بمجلسه من القصبة وتولى كبرها منصور بن الحاج من مشيختهم وباكره بداره على عادة الامراء ولما أكب عليه ليلثم أطرافه طعنه **بخنجره** وفر إلى بيته جريحا فولجوا عليه واستلحموه وثارت الغوغاء من أهل البلد في ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وركب الحاجب فارح وهتف الهاتف بدعوة المولى أبى زيد صاحب قسنطينة وطيروا بالخبر واستدعوه فتثاقل عن اجابتهم وبعث مولى ابن المعلوجى للقيام بأمرهم وبلغ الخبر إلى السلطان فاتهم المولى أبا عبد الله بمداخلة حاجبه فاعتقله بداره واعتقل وفدا من ملا بجاية كان ببابه وثبتت آراء المشيخة من أهل بجاية وتمشت رجالاتهم وأولوا لرأى والشورى منهم في الفتك بصنهاجة والعلج ,داخلهم القائد هلال مولى ابن سيد الناس وتواعد واللفتك بفارح يوم وصول النائب من قبل صاحب قسنطينة فجهروا بالنكير على الحاجب ودعوه إلى المسجد ليؤامروه ونذر بأمرهم فاعتد دار الشيخ الفتيا أحمد بن ادريس فاقتحموا عليه الدارو باشره مولاه محمد بن سيد الناس فطعنه وأشواه ورمى بشلوه من سقف الدار وقطع رأسه فبعثوا به إلى السلطان وفر منصور بن الحاج وقومه صنهاجة من البلد وكان بالمرسى أحمد بن سعيد القرمونى من خاصة السلطان جاء في السفن لبعض حاجاته من تونس ووافى مرسى بجاية يومئذ فأنزلوه واعصو صبوا عليه وتنادوا بدعوة السلطان وطاعته فأشار عليهم أحمد القرمونى أن يبعثوا إلى قائد تدلس من مشيخة بنى مرين يحياتن بن عمر بن عبد المؤمن الونكاسى فاستدعوه ووصل إليهم في جملة من." (١)

" سلمة عن ابن إسحاق مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم وأخرجه من الحرم ليقتله واجتمع إليه رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٧/٢٩٠

أن محمدا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك قال والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي قال يقول أبو سفيان ما رأيت في الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس

ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري إذ وجهه رسول الله صلى الله عليه و سلم لقتل أبي سفيان بن حرب

ولما قتل من وجهه النبي صلى الله عليه و سلم إلى عضل والقارة من أهل الرجيع وبلغ خبرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال حدثني حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال لقد استلب أبو طلحة يوم حنين عشرين رجلا وحده هو قتلهم

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن أبيه أنه حدث عن جبير بن مطعم قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي فلم أشك أنها الملائكة ولم يكن إلا هزيمة القوم

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف ببني مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فيهم عثمان بن عبدالله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب جد ابن أم حكم بنت أبي سفيان وكانت رايتهم مع ذي الخمار فلما قتل أخذها عثمان بن عبدالله فقاتل بها حتى قتل

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن عامر بن وهب بن الأسود بن مسعود قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم قتل عثمان قال أبعده الله فإنه كان يبغض قريشا

حدثنا علي بن سهل قال حدثنا مؤمل عن عمارة بن زاذان عن ثابت عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه و سلم يوم حنين على بغلة بيضاء يقال لها دلدل فلما انهزم المسلمون قال النبي صلى الله عليه و سلم لبغلته البدي دلدل فوضعت بطنها على الأرض فأخذ النبي صلى الله عليه و سلم حفنة من تراب فرمى بها في وجوههم وقال حم لا ينصرون فولى المشركون مدبرين ما ضرب بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال قتل مع عثمان بن عبدالله غلام له نصراني أغرل قال فبينا رجل من الأنصار يستلب قتلى من ثقيف إذ كشف العبد ليستلبه فوجده أغرل فصرخ بأعلى صوته يعلم الله أن ثقيفا غرل ما تختتن قال المغيرة بن شعبة فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب فقلت لا تقل ذلك فداك أبي وأمي إنما هو غلام لنا نصراني ثم جعلت أكشف له قتلانا فأقول ألا تراهم مختتنين قال وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود بن مسعود فلما هزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف فلم يقتل منهم إلا رجلان رجل من بني غيرة يقال له وهب وآخر من بني كنة يقال له الجلاح فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم حين بلغه قتل الجلاح قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنيدة وابن هنيدة الحارث بن ." (١)

" الليلة التي قتل فيها العنسي ليبشرنا فقال قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين قيل ومن هو قال فيروز فاز فيروز

حدثنا عبيدالله قال أخبرنا عمي قال أخبرني سيف وحدثني السري قال حدثنا شعيب عن سيف عن المستنير عن عروة عن الضحاك عن فيروز قال قتلنا الأسود وعاد أمرنا كما كان إلا أنا أرسلنا إلى معاذ فتراضينا عليه فكان يصلي بنا في صنعاء فوالله ما صلى بنا إلا ثلاثا ونحن راجعون مؤملون لم يبق شيء نكرهه إلا ما كان من تلك الخيول التي تتردد بيننا وبين نجران حتى أتانا الخبر بوفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم فانتقضت الأمور وأنكرنا كثيرا مما كنا نعرف واضطربت الأرض

حدثني السري قال حدثنا شعيب قال حدثنا سيف عن أبي القاسم وأبي محمد عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني من جند فلسطين عن عبدالله بن فيروز الديلمي أن أباه حدثه أن النبي صلى الله عليه و سلم بعث إليهم رسولا يقال له وبر بن يحنس الأزدي وكان منزله على داذويه الفارسي وكان الأسود كاهنا معه شيطان وتابع له فخرج فنزل على ملك اليمن فقتل ملكها ونكح امرأته وملك اليمن وكان باذام هلك قبل ذلك فخلف ابنه على أمره فقتله وتزوجها فاجتمعت أنا وداذويه وقيس بن المكشوح المرادي عند وبر بن يحنس رسول نبي الله صلى الله عليه و سلم نأتمر بقتل الأسود ثم إن الأسود أمر الناس فاجتمعوا في رحبة من صنعاء ثم خرج حتى قام في وسطهم ومعه حربة الملك ثم دعا بفرس الملك فأوجره الحربة ثم

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ١٦٩/٢

أرسل فجعل يجري في المدينة ودماؤه تسيل حتى مات وقام وسط الرحبة ثم دعا بجزر من وراء الخط فأقامها وأعناقها ورؤوسها في الخط ما يجزنه ثم استقبلهن بحربته فنحرهن فتصدعن عنه حتى فرغ منهن ثم أمسك حربته في يده ثم أكب على الأرض ثم رفع راسه فقال إنه يقول يعني شيطانه الذي معه إن ابن المكشوح من الطغاة يا أسود اقطع قنة رأسه العليا ثم أكب رأسه أيضا ينظر ثم رفع رأسه فقال إنه يقول إن ابن الديلمي من الطغاة يا أسود اقطع يده اليمنى ورجله اليمنى فلما سمعت قوله قلت والله ما آمنت أن يدعو بي فينحرني بحربته كما نحر هذه الجزر فجعلت أستتر بالناس لئلا يراني حتى خرجت ولا أدري من حذري كيف آخذ فلما دنوت من منزلي لقيني رجل من قومه فدق في رقبتي فقال إن الملك يدعوك وأنت تروغ ارجع فردني فلما رأيت ذلك خشيت أن يقتلني قال وكنا لا يكاد يفارق رجلا منا أبدا **خنجره** فأدس يدي في خفي فأخذت **خنجري** ثم أقبلت وأنا أريد أن أحمل عليه فأطعنه به حتى أقتله ثم أقتل من معه فلما دنوت منه رأى في وجهي الشر فقال مكانك فوقفت فقال إنك أكبر من هاهنا وأعلمهم بأشراف أهلها فاقسم هذه الجزر بينهم وركب فانطلق وعلقت أقسم اللحم بين أهل صنعاء فأتاني ذلك الذي دق في رقبتي فقال أعطني منها فقلت لا والله ولا بضعة واحدة ألست الذي دققت في رقبتي فانطلق غضبان حتى أتى الأسود فأخبره بما لقي مني وقلت له فلما فرغت أتيت الأسود أمشي إليه فسمعت الرجل وهو يشكوني إليه فقال له الأسود أما والله لأذبحنه ذبحا فقلت له إني قد فرغت مما أمرتني به وقسمته بين الناس قال قد أحسنت فانصرف فانصرفت فبعثنا إلى امرأة الملك إنا نريد قتل الأسود فكيف لنا فأرسلت إلي أن هلم فأتيتها وجعلت الجارية على الباب لتؤذننا إذا جاء ودخلت أنا وهي البيت الآخر فحفرنا حتى نقبنا نقبا ثم خرجنا إلى البيت فأرسلنا الستر فقلت إنا نقتله الليلة فقالت فتعالوا فما شعرت بشيء حتى إذا الأسود قد دخل البيت وإذا هو معنا فأخذته غيرة شديدة فجعل يدق في رقبتي وكفكفته عني وخرجت فأتيت أصحابي ". (١)

" القوم وفيهم فيومان والفرخان هذا ميساني وهذا أهوازي فقتل بكير الفرخان وقتل كثير فيومان بسورا ثم مضى زهرة حتى جاوز سورا ثم نزل وأقبل هاشم حتى نزل عليه وجاء سعد حتى ينزل عليهم ثم قدم زهرة فسار تلقاء القوم وقد أقاموا له فيما بين الدير وكوثى وقد استخلف النخيرجان ومهران على جنودهما شهريار دهقان الباب ومضيا إلى المدائن وأقام شهريار هنالك فلما التقوا بأكناف كوثى جيش شهريار وأوائل الخيل

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٢/٢٥١

خرج فنادى ألا رجل ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إلي حتى أنكل به فقال زهرة لقد أردت أن أبارزك فأما إذ سمعت قولك فإني لا أخرج إليك إلا عبدا فإن أقمت له قتلك إن شاء الله ببغيك وإن فررت منه فإنما فررت من عبد وكايده ثم أمر أبا نباتة نائل بن جعشم الأعرجي وكان من شجعان بني تميم فخرج إليه ومع كل واحد منهما الرمح وكلاهما وثيق الخلق إلا أن الشهريار مثل الجمل فلما رأى نائلا ألقى الرمح ليعتنقه ،وألقى نائل رمحه ليعتنقه وانتضيا سيفيهما فاجتلدا ثم اعتنقا فخرا عن دابتيهما فوقع على نائل كأنه بيت فضغطه بفخذه وأخذ **الخنجر** وأراغ حل أزرار درعه فوقعت إبهامه في فم نائل فحطم عظمها ورأى منه فتورا فثاوره فجلد به الأرض ثم قعد على صدره وأخذ **خنجره** فكشف درعه عن بطنه فطعنه في بطنه وجنبه حتى مات فأخذ فرسه وسواريه وسلبه وانكشف أصحابه فذهبوا في البلاد وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد فأتى به سعدا فقال سعد عزمت عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقباءه ودرعه ولتركبن برذونه وغنمه ذلك كله فانطلق فتدرع سلبه ثم أتاه في سلاحه على دابته قال اخلع سواريك إلا أن ترى حربا فتلبسهما فكان أول رجل من المسلمين سور بالعراق كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا فأقام سعد بكوثى أياما وأتى المكان الذي جلس فيه إبراهيم عليه السلام بكوثى فنزل جانب القوم الذين كانوا يبشرون إبراهيم وأتى البيت الذي كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوسا فنظر إليه وصلى على رسول الله وعلى إبراهيم وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم وقرأ وتلك الأيام نداولها بين الناس (١)

حديث بهرسير في ذي الحجة سنة خمس عشرة في قول سيف

كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد والنضر عن ابن الرفيل قالوا ثم إن سعدا قدم زهرة إلى بهرسير فمضى زهرة من كوثى في المقدمات حتى ينزل بهرسير وقد تلقاه شيرزاذ بساباط بالصلح وتأدية الجزاء فأمضاه إلى سعد فأقبل معه وتبعته المجنبات وخرج هاشم وخرج سعد في أثره وقد فل زهرة كتيبة كسربوران حول المظلم وانتهى هاشم إلمظلم ساباط ووقف لسعد حتى لحق به فوافق ذلك رجوع المقرط أسد كان لكسرى قد ألفه وتخيره من أسود المظلم وكانت به كتائب كسرى التي تدعى بوران وكانوا يحلفون بالله كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا فبادر المقرط الناس حين

انتهى إليهم سعد فنزل إليه هاشم فقتله وسمي سيفه المتن فقبل سعد رأس هاشم وقبل هاشم قدم سعد فقدمه سعد إلى بهرسير فنزل إلى المظلم وقرأ أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من ." (١)

" وبقي يوم وليلة وهي تلك إلى صبحتها قال فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت جاء هو فكبر قال ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده **خنجر** له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي وكان خلفه فلما وجد عمر حر السلاح سقط وقال أفي الناس عبدالرحمن بن عوف قالوا نعم يا أمير المؤمنين هو ذا قال تقدم فصل بالناس قال فصلى عبدالرحمن بن عوف وعمر طريح ثم احتمل فأدخل داره فدعا عبدالرحمن بن عوف فقال إني أريد أن أعهد إليك فقال يا أمير المؤمنين نعم إن أشرت علي قبلت منك قال وما تريد أنشدك الله أتشير علي بذلك قال اللهم لا قال والله لا أدخل فيه أبدا قال فهب لي صمتا حتى أعهد إلى النفر الذي توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو عنهم راض ادع لي عليا وعثمان والزبير وسعدا قال وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم وليصل بالناس صهيب ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فقال قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل إليهم وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصي الخليفة من بعدي بالعرب فإنها مادة الإسلام أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فيوضع في فقرائهم وأوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يوفي لهم بعهدهم اللهم هل بلغت تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة يا عبدالله بن عمر اخرج فانظر من قتلني فقال يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة يا عبدالله بن عمر اذهب إلى عائشة فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي صلى الله عليه و سلم وأبي بكر يا عبدالله بن عمر إن اختلف القوم فكن مع الأكثر وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتبع الحزب الذي فيه عبدالرحمن يا عبدالله ائذن للناس قال فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم أعن ملأ منكم كان هذا فيقولون معاذ الله قال ودخل في الناس كعب

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٢/٤٥٦

فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول ... فأوعدني كعب ثلاثا أعدها ... ولا شك أن القول ما قال لي كعب ...
وما بي حذار الموت إني لميت ... ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب ...

قال فقيل له يا أمير المؤمنين لو دعوت الطبيب قال فدعى طبيب من بني الحارث بن كعب فسقاه نبيذا فخرج النبيذ مشكلا قال فاسقوه لبنا قال فخرج اللبن محضا فقيل له يا أمير المؤمنين اعهد قال قد فرغت قال ثم توفي ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين قال فخرجوا به بكرة يوم الأربعاء فدفن في بيت عائشة مع النبي صلى الله عليه و سلم وأبي بكر قال وتقدم صهيب فصلى عليه وتقدم قبل ذلك رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم علي وعثمان قال فتقدم واحد من عند رأسه والآخر من عند رجليه فقال عبدالرحمن لا إله إلا الله ما أحرصكما على الإمرة أما علمتما أن أمير المؤمنين قال ليصل بالناس ." (١)

" جعلتها دية واحتملتها في مالي قال وكان رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد البياضي إذا رأى عبيدالله بن عمر قال ... ألا يا عبيدالله مالك مهرب ... ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر ... أصبت دما والله في غير حله ... حراما وقتل الهرمزان له خطر ... على غير شيء غير أن قال قائل ... أتتهمون الهرمزان على عمر ... فقال سفيه والحوادث جمة ... نعم اتهمه قد أشار وقد أمر ... وكان سلاح العبد في جوف بيته ... يقلبها والأمر بالأمر يعتبر ...

قال فشكا عبيدالله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد وشعره فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه قال فأنشأ زياد يقول في عثمان ... ابا عمرو عبيدالله رهن ... فلا تشكك بقتل الهرمزان ... فإنك إن غفرت الجرم عنه ... وأسباب الخطا فرسا رهان ... أتعفو إذا عفوت بغير حق ... فما لك بالذي تحكى يدان ...

فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه وشذ به كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن عبدالرحمن بن أبي بكر قال غداة طعن عمر مررت على أبي لؤلؤة عشي أمس ومعه جفينة والهرمزان وهم نجي فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه فانظروا بأي شيء قتل وقد تخلل أهل المسجد وخرج في طلبه رجل من بني تميم فرجع إليهم التميمي وقد كان ألظ بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه فقتله وجاء بالخنجر الذي وصفه عبدالرحمن بن أبي بكر فسمع بذلك عبيدالله بن عمر فأمسك حتى مات عمر ثم اشتمل على السيف فأتى الهرمزان فقتله فلما عضه

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٢/٥٦٠

السيف قال لا إله إلا الله ثم مضى حتى أتى جفينة وكان نصرانيا من أهل الحيرة ظئرا لسعد بن مالك أقدمه إلى المدينة للصلح الذي بينه وبينهم وليعلم بالمدينة الكتابة فلما علاه بالسيف صلب بين عينيه وبلغ ذلك صهيبا فبعث إليه عمرو بن العاص فلم يزل به وعنه ويقول السيف بأبي وأمي حتى ناوله إياه وثاوره سعد فأخذ بشعره وجاؤوا إلى صهيب

عمال عمر رضي الله عنه على الأمصار

وكان عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة التي قتل فيها وهي سنة ثلاث وعشرين على مكة نافع بن عبدالحارث الخزاعي وعلى الطائف سفيان بن عبدالله الثقفي وعلى صنعاء يعلى بن منية حليف بني نوفل بن عبد مناف وعلى الجند عبدالله بن أبي ربيعة وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة أبو موسى الأشعري وعلى مصر عمرو بن العاص وعلى حمص عمير بن سعد وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان وعلى البحرين وما والاهما عثمان بن أبي العاص الثقفي ." (١)

" اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا ألم تلفظهم ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا وللذي هو خير فقال عز و جل واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء إلى قوله أملا (١) وأقبل الناس يبايعونه وكتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن أبي منصور قال سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه قال كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض فمر فيروز بأبي ومعه **خنجر** له رأسان فتناوله منه وقال ما تصنع بهذا في هذه البلاد فقال آنس به فرآه رجل فلما أصيب عمر قال رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز فأقبل عبيدالله فقتله فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه ثم قال يا بني هذا قاتل أبيك وأنت أولى به منا فاذهب فاقتله فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي إلا أنهم يطلبون إلي فيه فقلت لهم ألي قتله قالوا نعم وسبوا عبيدالله فقلت أفلكم أن تمنعوه قالوا لا وسبوه فتركته لله ولهم فاحتملوني فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم

ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة

وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولاها سعد بن أبي وقاص فيما كتب به إلي السري عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبي قال كان عمر قال أوصي الخليفة من بعدي أن

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٢/٥٨٧

يستعمل سعد بن أبي وقاص فإني لم أعزله عن سوء وقد خشيت أن يلحقه من ذلك وكان أول عامل بعث به عثمان سعد بن أبي وقاص على الكوفة وعزل المغيرة بن شعبة والمغيرة يومئذ بالمدينة فعمل عليها سعد سنة وبعض أخرى وأقر أبا موسى سنوات وأما الواقدي فإنه ذكر أن اسامة بن زيد بن أسلم حدثه عن أبيه أن عمر أوصى أن يقر عماله سنة فلما ولي عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ثم عزله واستعمل سعد بن ابي وقاص ثم عزله واستعمل الوليد بن عقبة فإن كان صحيحا ما رواه الواقدي من ذلك فولاية سعد الكوفة من قبل عثمان كانت سنة خمس وعشرين

كتب عثمان رضي الله عنه إلى عماله وولاته والعامة

كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة بإسنادهما قالا لما ولي عثمان بعث عبدالله بن عامر إلى كابل وهي عمالة سجستان فبلغ كابل حتى استفرغها فكانت عمالة سجستان أعظم من خراسان حتى مات معاوية وامتنع أهل كابل

قالوا وكان أول كتاب كتبه عثمان إلى عماله أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة لم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي ." (١)

" ثم خرج صعصعة بن حرب العوفي ثم أحد بني جندب من البادية وقد باع غنيمات له واشترى حمارا ومضى إلى سجستان فجاور قرابة لبحير هناك ولاطفهم وقال أنا رجل من بني حنيفة من أهل اليمامة فلم يزل يأتيهم ويجالسهم حتى أنسوا به فقال لهم إن لي بخراسان ميراثا قد غلبت عليه وبلغني أن بحيرا عظيم القدر بخراسان فاكتبوا لي إليه كتابا يعينني على طلب حقي فكتبوا إليه فخرج فقدم مرو والمهلب غاز قال فلقي قوما من بني عوف فأخبرهم أمره فقام إليه مولى لبكير صيقل فقبل رأسه فقال له صعصعة اتخذ لي خنجرا فعمل له خنجرا وأحماه وغمسه لبن أتان مرارا ثم شخص من مرو فقطع النهر حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ فلقي بحيرا بالكتاب وقال إني رجل من بني حنيفة كنت من أصحاب ابن أبي بكرة وقد ذهب مالي بسجستان ولي ميراث بمرو فقدمت لأبيعه وأرجع إلى اليمامة قال فأمر له بنفقة وأنزله

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٢/٥٩٠

معه وقال له استعن بي على ما أحببت قال أقيم عندك حتى يقفل الناس فأقام شهرا أو نحوا من شهر يحضر معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به قال وكان بحير يخاف الفتك به ولا يأمن أحدا فلما قدم صعصعة بكتاب أصحابه قال هو رجل من بكر بن وائل فأمنه فجاء يوما وبحير جالس في مجلس المهلب عليه قميص ورداء ونعلان فقعد خلفه ثم دنا منه فأكب عليه كأنه يكلمه فوجأه **بخنجره** في خاصرته فغيبه في جوفه فقال الناس خارجي فنادى يا لثارات بكير أنا ثائر ببكير فأخذه أبو العجفاء بن أبي الخرقاء وهو يومئذ على شرط المهلب فأتي به المهلب فقال له بؤسا لك ما أدركت بثأرك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح بطنه في يدي فحبسه فدخل عليه السجن قوم من الأبناء فقبلوا رأسه قال ومات بحير من غد عند ارتفاع النهار فقيل لصعصعة مات بحير فقال اصنعوا بي الآن ما شئتم وما بدا لكم أليس قد حلت نذور نساء بني عوف وأدركت بثأري لا أبالي ما لقيت أما والله لقد أمكنني ما صنعت خاليا غير مرة فكرهت أن أقتله سرا فقال المهلب ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت صبرا من هذا وأمر بقتله أبا سويقة ابن عم لبحير فقال له أنس بن طلق ويحك قتل بحير فلا تقتلوا هذا فأبى وقتله فشتمه أنس

وقال آخرون بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت فقال له أنس بن طلق العبشمي يا بحير إنك قتلت بكيرا فاستحي هذا فقال بحير ادنوه مني لا والله لا أموت وأنت حي فأدنوه منه فوضع رأسه بين رجليه وقال أصبر عفاق إنه شر باق فقال ابن طلحة لبحير لعنك الله أكلمك فيه وتقتله بين يدي فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير فقال المهلب إنا لله وإنا إليه راجعون غزوة أصيب بها بحير فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا علام قتل صاحبنا وإنما طلب بثأره فنازعتهم مقاعس والبطون حتى خاف الناس أن يعظم البأس فقال أهل الحجى احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير بواء ببكير بحير بواء ببكير فودوا صعصعة فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة ... لله در فتى تجاوز همه ... دون العراق مفاوزا وبحورا ... ما زال يدأب نفسه ويكدها ... حتى تناول في خرون بحيرا ...

قال وخرج عبد ربه الكبير أبو وكيع وهو من رهط صعصعة إلى البادية فقال لرهط بكير قتل صعصعة بطلبه دم صاحبكم فودوه فأخذ لصعصعة ديتين ." (١)

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٦٢١/٣

" حين بلغه ما فعلت والثالثة كذلك ثم اخترط سيفا ثم قال أمكني فأمكنته فضربني ضربة صرعني منها ثم نزل عن فرسه وجلس على صدري وانتزع من خفيه خنجرا أو سكينا فوضعها على حلقي يريد ذبحي فقلت له أنشدك الله فإنك لست مصيبا من قتلي الشرف والذكر مثل ما أنت مصيب من تركي قال ومن أنت قلت سعيد الحرشي قال أو لي يا عدو الله فانطلق فأعلم صاحبك ما لقيت قال سعيد فانطلقت اسعى حتى انتهيت إلى الحجاج فقال كيف رأيت فقلت الأمير كان أعلم بالأمر

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي يزيد قال وكان أبو البختري الطائي وسعيد بن جبير يقولان وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا (١) إلى آخر الآية ثم يحملان حتى يواقعا الصف

قال أبو المخارق قاتلناهم مائة يوم سواء أعدها عدا قال نزلنا دير الجماجم مع ابن محمد غداة الثلاثاء لليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وهزمنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد الضحى ومتوع النهار وما كنا قط أجرأ عليهم ولا هم أهون علينا منهم في ذلك اليوم

قال خرجنا إليهم وخرجوا إلينا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة فقاتلناهم عامة النهار أحسن قتال قاتلناهموه قط ونحن آمنون من الهزيمة عالون للقوم إذ خرج سفيان بن الأبرد الكلبي في الخيل من قبل ميمنة أصحابه حتى دنا من الأبرد بن قرة التميمي وهو على ميسرة عبدالرحمن بن محمد فوالله ما قاتله كبير قتال حتى انهزم فأنكرها الناس منه وكان شجاعا ولم يكن الفرار له بعادة فظن الناس أنه قد كان أومن وصولح على أن ينهزم بالناس فلما فعلها تقوضت الصفوف من نحوه وركب الناس وجوههم وأخذوا في كل وجه وصعد عبدالرحمن بن محمد المنبر فأخذ ينادي الناس عباد الله إلي أنا ابن محمد فأتاه عبدالله بن رزام الحارثي فوقف تحت منبره وجاء عبدالله بن ذؤاب السلمي في خيل له فوقف منه قريبا وثبت حتى دنا منه أهل الشأم فأخذت نبلهم تحوزه فقال يا بن رزام احمل على هذه الرجال والخيل فحمل عليهم حتى أمعنوا ثم جاءت خيل لهم أخرى ورجالة فقال احمل عليهم يا بن ذؤاب فحمل عليهم حتى أمنعوا وثبت لا يبرح منبره ودخل أهل الشأم العسكر فكبروا فصعد إليه عبدالله بن يزيد بن المغفل الأزدي وكانت ملكية ابنة أخيه امرأة عبدالرحمن فقال انزل فإني أخاف عليك إن لم تنزل أن تؤسر ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعا يهلكهم الله به بعد اليوم فنزل وخلى أهل العراق العسكر وانهزموا لا يلوون

على شيء ومضى عبدالرحمن بن محمد مع ابن جعدة بن هبيرة ومعه أناس من أهل بيته حتى إذا حاذوا قرية بني جعدة بالفلوجة دعوا بمعبر فعبروا فيه فانتهى إليهم بسطام بن مصقلة فقال هل في السفينة عبدالرحمن بن محمد فلم يكلموه وظن أنه فيهم فقال ... لا وألت نفس عليها تحاذر ... ضرم قبس علي البلا ... د حتى إذا اضطرمت أجذما ...

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح وهو على فرسه لم ينزل عنه فخرجت إليه ابنته فالتزمها ." (١)

" ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ففتح الله على يديه سمسطية

وفيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم فافتتح ماسة وحصن الحديد وغزالة وبرجمة من ناحية ملطية

وفيها قتل قتيبة ملك خام جرد وصالح ملك خوارزم صلحا مجددا

ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس العمي وعلي بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريدة عن مرزبان قهستان وكليب بن خلف والباهليين وغيرهم وقد ذكر بعضهم ما لم يذكر بعض فألفته أن ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه أخوه خرزاذ على أمره وخرزاذ أصغر منه فكان إذا بلغه أن عند أحد ممن هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعا فاخرا أرسل فأخذه أو بلغه أن لأحد منهم بنتا أو أختا أو امرأة جميلة أرسل إليه فغصبه وأخذ ما شاء وحبس ما شاء لا يمتنع عليه أحد ولا يمنعه الملك فإذا قيل له قال لا أقوى عليه وقد ملأه مع هذا غيظا فلما طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم ثلاثة مفاتيح من ذهب واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من كان يضاده يحكم فيه بما يرى وبعث في ذلك رسلا ولم يطلع أحدا من مرازبته ,ولا دهاقينه على ما كتب به إلى قتيبة فقدمت رسله على قتيبة في آخر الشتاء ووقت

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٦٣٨/٣

الغزو وقد تهيأ للغزو فأظهر قتيبة أنه يريد السغد ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يحب من قبل قتيبة وسار واستخلف على مرو ثابتا الأعور مولى مسلم

قال فجمع ملوكه وأحباره ودهاقينه فقال إن قتيبة يريد السغد وليس بغازيكم فهلم نتنعم في ربيعنا هذا فأقبلوا على الشرب والتنعم وأمنوا عند أنفسهم الغزو

قال فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب دون النهر فقال خوارزم شاه لأصحابه ما ترون قالوا نرى أن نقاتله قال لكني لا أرى ذلك قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ولكني أرى أن نصرفه

" يصل إليهم شتم أصحابه وأمرهم بالارتحال عنهم وكلمه المختار بن غوزك وملوك السغد وقالوا لا تفعل أيها الملك ولكن أعطهم أمانا يخرجون عنها ويرون أنك إنما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك أنه مع العرب في طاعتها وأن ابنه المختار طلب إليك في ذلك مخاتفة على أبيه فأجابهم إلى ذلك فسرح إليهم كورصول يكون معهم يمنعهم ممن أرادهم

قال فصار الرهن من الترك في أيديهم وارتحل خاقان فأظهر أنه يريد سمرقند وكان الرهن الذي في أيديهم من ملوكهم فلما ارتحل خاقان قال كورصول للعرب ارتحلوا قالوا نكره أو نرتحل والترك لم يمضوا ولا نأمنهم أن يعرضوا لبعض النساء فتحمى العرب فنصير إلى مثل ما كنا فيه من الحرب

قال فكف عنهم حتى مضى خاقان والترك فلما صلوا الظهر أمرهم كورصول بالرحلة وقال إنما الشدة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخين ثم تصيروا إلى قرى متصلة فارتحلوا وفي يد الترك من الرهن من العرب نفر منهم شعيب البكري أو النصري وسباع بن النعمان وسعيد بن عطية وفي أيدي العرب من الترك خمسة قد أردفوا خلف كل رجل من الترك رجلا من العرب معه **خنجر** وليس على التركي غير قباء فساروا بهم

ثم قال العجم لكورصول إن الدبوسية فيها عشرة آلاف مقاتل فلا نأمن أن يخرجوا علينا فقال لهم العرب إن قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صار بينهم وبين الدبويسية قدر فرسخ أو أقل نظر أهلها إلى فرسان وبياذقة وجمع فظنوا أن كمرجة قد فتحت وأن خاقان قصد لهم قال وقربنا منهم وقد تأهبوا للحرب فوجه كليب بن قنان رجلا من بني ناجية يقال له الضحاك على برذون يركض وعلى الدبوسية عقيل بن وراد السغدي فأتاهم الضحاك وهم صفوف فرسان ورجاله فأخبرهم الخبر فإقبل أهل الدبوسية يركضون فحمل من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحا

ثم إن كليبا أرسل إلى محمد بن كراز ومحمد بن درهم ليعلما سباع بن النعمان وسعيد بن عطية أنهم قد بلغوا مأمنهم ثم خلوا عن الرهن فجعلت العرب ترسل رجلا من الرهن الذين في أيديهم من الترك وترسل الترك رجلا من الرهن الذين في أيديهم من العرب حتى بقي سباع بن النعمان في أيدي الترك ورجل من الترك في أيدي العرب وجعل كل فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقي سباع في أيديهم فقال له كورصول لم فعلت هذا قال وثقت برأيك في وقلت ترفع نفسك عن الغدر في مثل هذا فوصله وسلحه وحمله على برذون ورده إلى أصحابه

قال وكان حصار كمرجة ثمانية وخمسين يوما فيقال إنهم لم يسقوا إبلهم خمسة وثلاثين يوما

قال وكان خاقان قسم في أصحابه الغنم فقال كلوا لحومها واملؤوا جلودها ترابا واكبسوا خندقكم ففعلوا فكسبوه فبعث اللهعليهم سحابة فمطرت فاحتمل المطر ما ألقوا فألقاه في النهر الأعظم وكان مع أهل كمرجة قوم من الخوارج فيهم ابن شنج مولى بني ناجية

وفي هذه السنة ارتد أهل كردر فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم وقد كان الترك أعانوا أهل كردر فوجه أشرس إلى من قرب من كردر من المسلمين ألف رجل ردءا لهم فصاروا إليهم وقد هزم المسلمون الترك ." (١)

" فضربت ضربة الإنصراف وقد شبت الحرب فلم يقدر الترك على الإنصراف ثم ضربت الثانية فلم يقدرو ثم ضربت الثالثة فلم يقدروا لاشتغالهم فحمل ابن الشخير والجوزجان على الطوقات وولى خاقان مدبرا منهزما فحوى المسلمون عسكرهم وتركوا قدورهم تغلي ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء الترك ووحل بخاقان برذونه فحماه الحارث بن سريج قال ولم يعلم الناس أنه خاقان ووجد عسكر الترك مشحونا من كل شيء من آنية الفضة وصناجات الترك وأراد الحصي أن يحمل امرأة خاقان فأعجلوه عن ذلك فطعنها **بخنجر** فوجدوها تتحرك فأخذوا خفها وهو من لبود مضرب

قال فبعث أسد بجواري الترك إلى دهاقين خراسان واستنقذ من كان في أيديهم من المسلمين

قال وأقام أسد خمسة أيام قال فكانت الخيول التي فيق تقبل فيصيبهم أسد فاغتنم الظفر وانصرف إلى بلخ يوم التاسع من خروجه فقال ابن السجف المجاشعي ... لو سرت في الأرض تقيس الأرضا ... تقيس منها طولها والعرض ... لم تلق خيرا مرة ونقضا ... من الأمير أسد وأمضى ... أفضى إلينا الخير

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ١٣٥/٤

حين أفضى ... وجمع الشمل وكان رفضا ... ما فاته خاقان إلا ركضا ... قد فض من جوعه ما فضا ... يابن سريج قد لقيت حمضا ... حمضا به يشفى المرضى ...

قال وارتحل أسد فنزل جزة الجوزجان من غد وخاقان بها فارتحل هاربا منه وندب أسد الناس فانتدب ناس كثير من أهل الشأم وأهل العراق فاستعمل عليهم جعفر بن حنظلة البهراني فساروا ونزلوا مدينة تسمى ورد من أرض جزة فباتوا بها فاصابهم ريح ومطر ويقال أصابهم الثلج فرجعوا ومضى خاقان فنزل على جبغويه الطخاري وانصرف البهراني إلى أسد ورجع أسد إلى بلخ فلقوا خيل الترك التي كانت بمرو الروذ منصرفة لتغير على بلخ صار بلخ فقتلوا من قدروا عليه منهم وكان الترك قد بلغوا بيعة مرو الروذ وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف درع فلما صار ببلخ أمر الناس بالصوم لافتاح الله عليهم

قال وكان أسد يوجه الكرماني في السرايا فكانوا لا يزالون يصيبون الرجل والرجلين والثلاثة وأكثر من الترك ومضى خاقان إلى طخارستان العليا فأقام عند جبغويه الخزلجي تعززا به وأمر بصنيعة الكوسات فلما جفت وصلحت أصواتها ارتحل إلى بلاده فلما ورد شروسنة تلقاه خرابغره أبو خناخره جد كاوس أبي أفشين باللعابين وأعد له هدايا ودواب له ولجنده وكان لذي بينهما متباعدا فلما رجع منهزما أحب أن يتخذ عنده يدا فأتاه بكل ما قدر عليه ثم أتى خاقان بلاده وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند وحمل الحارث بن سريج وأصحابه على خمسة آلاف برذون وفرق براذين في قواد الترك فلاعب خاقان يوما كورصول بالنرد على خطر تدرجه فقمر كورصول الترقشي فطلب منه الدرجة فقال أنثى فقال الآخر ذكر فتنازعا فكسر كورصول يد خاقان فحلف خاقان ليكسرن يد كورصول وبلغ كورصول فتنحى وجمع جمعا من أصحابه فبيت خاقان فقتله فأصبحت الترك فتفرقوا عنه وتركوه مجردا فأتاه زريق بن طفيل الكشاني وأهل بيت الحموكيين وهم من عظماء الترك فحمله ودفنه وصنع به ما صنع بمثله إذ قتل فتفرقت الترك في الغارات بعضها على بعض وانحاز بعضهم إلى الشاش فعند ذلك طمع أهل السغد في الرجعة إليها قال ." (١)

" موسى فكان في بنائه إلى أن توفي المهدي

وفيها عزل يحيى الحرشي عن طبرستان والرويان وما كان إليه من تلك الناحية ووليها عمر بن العلاء وولي جرجان فراشة مولى المهدي وعزل عنها يحيى الحرشي

وفيها أظلمت الدنيا لليال بقين من ذي الحجة حتى تعالى النهار

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ١٧٢/٤

ولم يكن فيها صائفة للهدنة التي كانت بين المسلمين والروم

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد وهو على المدينة ثم توفي بعد فراغه من الحج وقدومه المدينة بأيام وولي مكانه إسحاق بن عيسى بن علي

وفيها طعن عقبة بن مسلم الهنائي بعيساباذ وهو في دار عمر بن بزيغ اغتاله رجل فطعنه **بخنجر** فمات فيها

وكان العامل على مكة والطائف فيها عبيد الله بن قثم وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثي وعلى اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيري وعلى صلاة الكوفة وأحداثها روح بن حاتم وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمي وعلى كور دجلة وكسكر وأعمال البصرة والبحرين وعمان وكور الأهواز وفارس وكرمان المعلى مولى المهدي

وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسي

وعلى مصر موسى بن مصعب وعلى إفريقية يزيد بن حاتم

وعلى طبرستانو الرويان عمر بن العلاء وعلى جرجان ودنباوند وقومس فراشة مولى المهدي وعلى الري سعد مولى أمير المؤمنين ." (١)

" الحسن إلى المازيار فأحضره وسأله عن أمواله فذكر أن ماله عند قوم سماهم من وجوه أهل سارية وصلحائهم عشرة نفر وأحضر القوهيار وكتب عليه كتابا وضمنه توفير هذه الأموال التي ذكرها المازيار أنها عند خزانة وأصحاب كنوزه فضمن القوهيار ذلك وأشهد على نفسه

ثم إن الحسن أمر الشهود الذين أحضرهم أن يصيروا إلى المازيار فيشهدوا عليه فذكر عن بعضهم انه قال لما دخلنا على المازيار تخوفت من أحمد بن الصقير أن يفزعه الكلام فقلت له أحب أن تمسك عنه ولا تذكر ما كنت أشرت به فسكت أحمد عند ذلك فقال المازيار اشهدوا أن جميع ما حملت من أموالي وصحبني ستة وتسعون ألف دينار وسبع عشرة قطعة زمرد وست عشرة قطعة ياقوت أحمر وثمانية أوقار سلال مجلدة فيها ألوان الثياب وتاج وسيف من ذهب وجوهر **وخنجر** من ذهب مكلل بالجوهر وحق كبير مملوء جوهرا وقد وضعه بين أيدينا وقد سلمت ذلك إلى محمد بن الصباح وهو خازن عبد الله بن طاهر

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤/٥٨١

وصاحب خبره على العسكر وإلى القوهيار قال فخرجنا إلى الحسن بن الحسين فقال أشهدتم على الرجل قال فلنا نعم قال هذا شيء كنت اخترته لي فأحببت أن يعلم قلته وهوانه عندي

وذكر عن علي بن ربن النصراني الكاتب أن ذلك الحق كان شرى جوهر على المازيار وجده وشهريار ثمانية عشر ألف ألف درهم وكان المازيار حمل ذلك كله إلى الحسن بن الحسين على أن يظهر أنه خرج إليه في الأمان وأنه قد آمنه على نفسه وماله وولده وجعل له جبال أبيه فامتنع الحسن بن الحسين من هذا وعف عنه وكان أعف الناس على أخذ درهم أو دينار فلما أصبح أنفذ المازيار مع طاهر بن إبراهيم وعلي بن إبراهيم الحربي وورد كتاب عبد الله بن طاهر في إنفاذه مع يعقوب بن منصور وقد ساروا بالمازيار ثلاث مراحل فبعث الحسن فرده وأنفذه مع يعقوب بن منصور ثم امر الحسن بن الحسين القوهيار أخا المازيار أن يحمل الأموال التي ضمنها ودفع إليه بغالا من العسكر وأمر بإنفاذ جيش معه فامتنع القوهيار وقال لا حاجة لي بهم وخرج بالبغال هو وغلمانه فلما ورد الجبل وفتح الخزائن واخرج الأموال وعباها ليحملها وثب عليه مماليك المازيار من الديالمة وكانوا ألفا ومائتين فقالوا له غدرت بصاحبنا وأسلمته إلى العرب وجئت لتحمل أمواله فأخذوه وكبلوه بالحديد فلما جنه الليل قتلوه وانتهبوا تلك الأموال والبغال فانتهى الخبر إلى الحسن فوجه جيشا إلى الذين قتلوا القوهيار ووجه قارن جيشا من قبله في أخذهم فأخذ منهم صاحب قارن عدة منهم ابن عم للمازيار يقال له شهريار بن المصمغان وكان رأس العبيد ومحرضهم فوجه به قارن إلى عبد الله بن طاهر فلما صار بقومس مات وكان جماعة أولئك الديالمة أخذوا مع السفح والغيضة يريدون الديلم فنذر بهم محمد بن إبراهيم بن مصعب فوجه من قبله الطبرية وغيرهم حتى عارضوهم وأخذوا عليهم الطريق فأخذوا فبعث بهم إلى مدينة سارية مع علي بن إبراهيم وكان مدخل محمد بن إبراهيم حين دخل من شلنبة على طريق الروذبار إلى الوريان

وقيل إن فساد أمر مازيار وهلاكه كان من قبل ابن عم له يقال له ... كان في يديه جبال طبرستان كلها وكان في يد المازيار السهل وكان ذلك كالقسمة بينهم يتوارثونه فذكر عن محمد بن حفص الطبري أن الجبال بطبرستان ثلاثة جبل ونداهرمز في وسط جبال طبرستان والثاني جبل أخيه ونداسبجان بن الأنداد بن قارن والثالث جبل شروين بن سرخاب من باب فلما قوي أمر المازيار بعث إلى ابن عمه ذلك وقيل هو أخوه ." (١)

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٢٥٧/٥

" ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزو عمر بن عبد الله الأقطع الصائفة فأخرج سبعة آلاف رأس وغزوة قربياس فأخرج خمسة آلاف رأس وغزو الفضل بن قارن بحرا في عشرين مركبا فافتتح حصن أنطالية وغزوة بلكاجور فغنم وسبى وغزو علي بن يحيى الأرمني الصائفة فأخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحوا من عشرة آلاف

وفيها تحول المتوكل إلى المدينة التي بناها الماحوزة فنزلها يوم عاشوراء من هذه السنة

وفيها كان الفداء في صفر على يدي علي بن يحيى الأرمني ففودي بألفين وثلاثمائة وسبعة وستين نفسا

وقال بعضهم لم يتم الفداء في هذه السنة إلا في جمادى الأولى

وذكر عن نصر بن الأزهر الشيعي وكان رسول المتوكل إلى ملك الروم في أمر الفداء أنه قال لما صرت إلى القسطنطينية حضرت دار ميخائيل الملك بسوادي وسيفي وخنجري وقلنسوتي فجرت بيني وبين خال الملك بطرناس المناظرة وهم القيم بشأن الملك وأبوا أن يدخلوني بسيفي وسوادي فقلت أنصرف فانصرفت فرددت من الطريق ومعي الهدايا نحو من ألف نافجة مسك وثياب حرير وزعفران كثير وطرائف وقد كان أذن لوفود برجان وغيرهم ممن ورد عليه وحملت الهدايا التي معي فدخلت عليه فإذا هو على سرير فوق سرير وإذا البطارقة حوله قيام فسلمت ثم جلست على طرف السرير الكبير وقد هيئ لي مجلس ووضعت الهدايا بين يديه وبين يديه ثلاثة تراجمة غلام فراش كان لمسرور الخادم وغلام لعباس بن سعيد الجوهري وترجمان له قديم يقال له سرحون فقالوا لي ما نبلغه قلت لا تزيدون على ما أقول لكم شيئا فأقبلوا يترجمون ما أقول فقبل الهدايا ولم يأمر لأحد منها بشيء وقربني وأكرمني وهيأ لي منزلا بقربه فخرجت فنزلت في منزلي وأتاه أهل لؤلؤة برغبتهم في النصرانية وأنهم معه ووجهوا برجلين ممن فيها رهينة من المسلمين

قال فتغافل عني نحوا من أربعة أشهر حتى أتاه كتاب مخالفة أهل لؤلؤة وأخذهم رسله واستيلاء العرب عليها فراجعوا مخاطبتي وانقطع الأمر بيني وبينهم في الفداء على أن يعطوا جميع من عندهم وأعطي جميع من عندي وكانوا أكثر من ألف قليلا وكان جميع الأسرى الذين في أيديهم أكثر من ألفين منهم عشرون امرأة معهن عشرة من الصبيان فأجابوني إلى المخالفة فاستحلفت خاله فحلف عن ميخائيل فقلت

ايها الملك قد حلف لي خالك فهذه اليمين لازمة لك فقال برأسه نعم ولم اسمعه يتكلم بكلمة منذ دخلت بلاد ." (١)

" فأجبته فقال لي احتل فيمن قدرت عليه من الغلمان فأقبل بهم إلي ووعدني أن يقودني على من آتيه به منهم وأن يحسن إلي واستحلفني ألا أعلم أحدا بموضعه وأن أرجع إليه فخلى سبيلي فأتيت بالدقيق الذي معي الموضع الذي كنت قصدته به وأقمت عنده يومي ثم رجعت إليه من غد فوافيته وقد قدم عليه رفيق غلام يحيى بن عبد الرحمن وكان وجه إلى البصرة في حوائج من حوائجه ووافاه بشبل بن سالم وكان من غلمان الدباسيين وبحريرة كان أمره بابتياعها ليتخذها لواء فكتب فيها بحمرة وخضرة إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله إلى آخر الآية وكتب اسمه واسم أبيه وعلقها في رأس مردي وخرج في السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان

فلما صار إلى مؤخر القصر الذي كان فيه لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالعطار متوجهين إلى أعمالهم فأمر بأخذهم فأخذوا وكتف وكيلهم وأخذ معهم وكانوا خمسين غلاما ثم صار إلى الموضع الذي يعمل فيه السنائي فأخذ منه خمسمائة غلام فيهم المعروف بأبي حديد وأمر بوكيلهم فأخذ معهم مكتوفا وكانوا في نهر يعرف بنهر المكاثر ثم مضى إلى موضع السيرافي فأخذ منه خمسين ومائة غلام فيهم زريق وأبو **الخنجر** ثم صار إلى موضع ابن عطاء فأخذ طريقا وصبيحا الأعسر وراشدا المغربي وراشدا القرماطي وأخذ معهم ثمانين غلاما ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سهل الطحان ثم لم يزل يفعل ذلك كذلك في يومه حتى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيين ثم جمعهم وقام فيهم خطيبا فمناهم ووعدهم أن يقودهم ويرأسهم ويملكهم الأموال وحلف لهم الأيمان الغلاظ ألا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئا من الإحسان إلا أتى إليهم ثم دعا مواليهم فقال قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم وفعلتم بهم ما حرم الله عليكم أن تفعلوه بهم وجعلتم عليهم مالا يطيقون فكلمني أصحابي فيكم فرأيت إطلاقكم فقالوا إن هؤلاء الغلمان أباق وهم يهربون منك فلا يبقون عليك ولا علينا فخذ منا مالا وأطلقهم لنا فأمر غلمانهم فأحضروا شطبا ثم بطح كل قوم مولاهم ووكيلهم فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة وأحلفهم بطلاق نسائهم ألا يعلموا أحدا بموضعه ولا بعدد أصحابه وأطلقهم فمضوا نحو البصرة

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٣٣٢

ومضى رجل منهم يقال له عبد الله ويعرف بكريخا حتى عبر دجيلا فأنذر الشورجيين ليحرزوا غلمانهم وكان هناك خمسة عشر ألف غلام

ثم سار بعدما صلى العصر حتى وافى دجيلا فوجد سفن سماد تدخل في المد فقدمها فركب فيها وركب أصحابه حتى عبروا دجيلا وصاروا إلى نهر ميمون فنزل المسجد الذي في وسط السوق الشارع على نهر ميمون وأقام هناك ولم يزل ذلك دأبه يجتمع إليه السودان إلى يوم الفطر فلما أصبح نادى في أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا وركز المردي الذي عليه لواؤه وصلى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال وأن الله قد استنقذهم به من ذلك وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمور ثم حلف لهم على ذلك فلما فرغ من صلاته وخطبته أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لا فهم له من عجمهم لتطيب بذلك أنفسهم ففعلوا ذلك ودخل القصر ." (١)

" صادقة فولوا منهزمين وقتل من الجند والأعراب وأهل البصرة البلالية والسعدية خمسمائة رجل وكان فتح المعروف بغلام أبي شيث معهم يومئذ فولى هاربا فاتبعه فيروز الكبير فلما رآه جادا في طلبه رماه ببيضة كانت على رأسه فلم يرجع عنه فرماه بترسه فلم يرجع عنه فرماه بتنور حديد كان عليه فلم يرجع عنه ووافى به نهر حرب فألقى فتح نفسه فيه فأفلت ورجع فيروز ومعه ما كان فتح ألقاه من سلاحه حتى أتى به صاحب الزنج

قال محمد بن الحسن قال شبل حكي لنا أن فتحا طفر يومئذ نهر حرب قال فحدثت هذا الحديث الفضل بن عدي الدارمي فقال أنا يومئذ مع السعدية ولم يكن على فتح تنور حديد وما كان عليه إلا صدرة حرير صفراء ولقد قاتل يومئذ حتى لم يبق أحد يقاتل وأتى نهر حرب فوثبه حتى صار إلى الجانب الغربي منه ولم يعرف ما حكى ريحان من خبر فيروز

قال وقال ريحان لقيت فيروز فبل انتهائه إلى صاحب الزنج فاقتص علي وقصه فتح وأراني السلاح وأقبل الزنج على أخد الأسلاب وأخذت على النهر المعروف بالديناري فإذا أنا برجل تحت نخلة عليه قلنسوة خز وخف أحمر ودراعة فأخذته فأراني كتبا معه وقال لي هذه كتب لقوم من أهل البصرة وجهوني بها فألقيت في عنقه عمامة وقدته إليه وأعلمته خبره فسأله عن اسمه فقال أنا محمد بن عبد الله وأكنى

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٤٤٤

بأبي الليث من أهل أصبهان وإنما أتيتك راغبا في صحبتك فقبله ولم يلبث أن سمع تكبيرا فإذا علي بن أبان قد وافاه ومعه رأس البلالي المعروف بأبي الليث القواريري

قال وقال شبل الذي قتل أبا الليث القواريري وصيف المعروف بالزهري وهو من مذكوري البلالية ورأس المعروف بعبدان الكسبي وكان له في البلالية صوت في رؤوس جماعة منهم فسأله عن الخبر فأخبره أنه لم يكن فيمن قاتله أشد قتالا من هذين يعني أبا الليث وعبدان وأنه هزمهم حتى ألقاهم في نهر نافذ وكانت معهم شذاة فغرقها ثم جاءه محمد بن سلم ومعه رجل من البلالية أسيرا أسره شبل يقال له محمد الأزرق القواريري ومعه رؤوس كثيرة فدعا الأسير فسأله عن أصحاب هذين الجيشين فقال له أما الذين كانوا في الرياحي فإن قائدهم كان أبا منصور الزينبي وأما الذين كانوا مما يلي نهر حرب فإن قائدهم كان سليمان أخا الزينبي من ورائهم مصحرا فسأله عن عددهم فقال له لا أحصيهم إلا أني أعلم أنهم كثير عددهم فأطلق محمد القواريري وضمه إلى شبل وسار حتى وافى سبخة الجعفرية فاقام ليلته بين القتلى فلما أصبح جمع أصحابه فحذرهم أن يدخل أحد منهم البصرة وسار فتسرع منهم أنكلويه وزريق وأبو **الخنجر** ولم يكن قود يومئذ وسليم ووصيف الكوفي فوافوا النهر المعروف بالشاذاني وأتاهم أهل البصرة وكثروا عليهم وانتهى الخبر إليه فوجه محمد بن سلم وعلي بن ابان ومشرقا غلام يحيى في خلق كثير وجاء هو يسايرهم ومعه السفن التي فيها الدواب المحمولة ونساء الغلمان حتى أقام بقنطرة نهر كثير

قال ريحان فأتيته وقد رميت بحجر فأصاب ساقي فسألني عن الخبر فأخبرته أن الحرب قائمة فأمرني بالرجوع وأقبل معي حتى أشرف على نهر السيابجة ثم قال لي امض إلى أصحابنا فقل لهم يستأخروا عنهم فقلت له ابعد عن هذا الموضع فإني لست آمن عليك الخول فتنحى ومضيت فأخبرت ." (١)

" مقتله ووصيته

و في آخرها كانت وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه بعد صدوره من الحج شهيدا قال سعيد بن المسيب : لما نفر عمر من منى أناخ بالأبطح ثم استلقى و رفع يديه إلى السماء و قال : اللهم كبرت سني و ضعفت قوتي و انتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع و لا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل أخرجه الحاكم و قال أبو صالح السمان : قال كعب الأحبار ل عمر : أجدك في التوراة تقتل شهيدا قال و أنى لي بالشهادة و أنا بجزيرة العرب ؟

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٤٥٤

و قال أسام : قال عمر : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك و اجعل موتي في بلد رسولك أخرجه البخاري

و قال معدان بن أبي طلحة : خطب عمر فقال : رأيت كأن ديكا نقرني نقرة أو نقرتين و إني لا أراه إلا حضور أجلي و إن قوما يأمروني أن أستخلف و إن الله لم يكن ليضيع دينه و لا خلافته فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو راض عنهم أخرجه الحاكم

قال الزهري : كان عمر رضي الله عنه لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة و هو على الكوفة يذكر له غلاما عنده جملة صنائع و يستأذنه أن يدخل المدينة و يقول : إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد نقاش نجار فأذن له أن يرسله إلى المدينة و ضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر فجاء إلى عمر يشتكي شدة الخراج فقال : ما خراجك بكثير فانصرف ساخطا يتذمر فلبث عمر ليالي ثم دعاه فقال : ألم أخبر أنك تقول : لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح ؟ فالتفت إلى عمر عابسا و قال : لأصنعن لك رحى يتحدث بها فلما ولى قال عمر لأصحابه : أوعدني العبد آنفا ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن بزاوية من زوايا المسجد في الغلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات أخرجه ابن سعد

و قال عمرو بن ميمون الأنصاري : إن أبا لؤلؤة عبد المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان و طعن معه اثني عشر رجلا مات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه

و قال أبو رافع : كان أبو لؤلؤة عبد المغيرة يصنع الأرحاء و كان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم فلقي عمر فقال : يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي فكلمه فقال : أحسن إلى مولاك . و من نية عمر أن يكلم المغيرة فيه . فغضب و قال : يسع الناس كلهم عدله غيري و أضمر قتله و اتخذ خنجرا و شحذه و سمه و كان عمر يقول [أقيموا صفوفكم] قبل أن يكبر فجاء فقام حذاءه في الصف و ضربه في كتفه و في خاصرته فسقط عمر و طعن ثلاثة عشر رجلا معه فمات منهم ستة و حمل عمر إلى أهله و كادت الشمس أن تطلع فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين و أتي عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج من جرحه فقالوا : لا بأس عليك فقال : إن يكن القتل بأس فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه و يقولون : كنت و كنت فقال : أما و الله و ودت أني خرجت منها كفافا لا علي

و لا لي و أن صحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم سلمت لي و أثنى عليه ابن عباس فقال : لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من هول المطلع و قد جعلتها شورى في عثمان و علي و طلحة و الزبير و عبد الرحمن بن عوف و سعد و أمر صهيبا أن يصلي بالناس و أجل الستة ثلاثا أخرجه الحاكم

و قال ابن عباس : كان أبو لؤلؤة مجوسيا

و قال عمر بن ميمون : قال عمر : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام ثم قال لابنه : يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة و ثمانين ألفا أو نحوها فقال : إن وفى مال آل عمر فأده من أموالهم و إلا فاسأل في بني عدي فإن لم تف أموالهم فاسأل في قريش اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل : يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب إليها فقالت : كنت أريده ـ تعني المكان ـ لنفسي و لأوثرنه اليوم على نفسي فأتى عبد الله فقال : قد أذنت فحمد الله تعالى و قيل له : أوص يا أمير المؤمنين و استخلف قال : ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو عنهم راض فسمى الستة و قال : يشهد عبد الله بن عمر معهم و ليس له من الأمر شيء فإن أصابت الأمرة سعدا فهو ذاك و إلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله من عجز و لا خيانة ثم قال : أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله و أوصيه بالمهاجرين و الأنصار و أوصيه بأهل الأمصار خيرا في مثل ذلك من الوصية فلما توفي خرجنا به نمشي فسلم عبد الله بن عمر و قال : عمر يستأذن فقالت عائشة : أدخلوه فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه فلما فرغوا من دفنه و رجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير : قد جعلت أمري إلى علي و قال سعد : قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن و قال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان قال : فخلا هؤلاء الثلاثة فقال عبد الرحمن أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الأمر و نجعله إليه ؟ و الله عليه و الإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه و ليحرصن عل صلاح الأمة فسكت الشيخان علي و عثمان فقال عبد الرحمن : اجعلوه إلي و الله علي لا آلوكم عن أفضلكم قالا نعم فخلا بعلي و قال : لك من القدم في الإسلام و القربة من رسول الله صلى الله عليه و سلم ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن و لئن أمرت عليك لتسمعن و لتطيعن ؟ قال : نعم ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان و بايعه علي

و في سند أحمد عن عمر أنه قال : إن أدركني أجلي و أبو عبيدة بن الجراح حي استخلفه فإن سألني ربي قلت : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : [إن لكل نبي أمينا و أميني أبو عبيدة

بن الجراح] فإن أدركني أجلي . و قد توفي أبو عبيدة . استخلف معاذ بن جبل فإن سألني ربي : لم استخلفته ؟ قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : [إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة] و قد ماتا في خلافته

و في المسند أيضا عن أبي رافع أنه قيل لعمر عند موته في الإستخلاف فقال : قد رأيت من أصحابي حرصا سيئا و لو أدركني أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبي حذيفة و أبو عبيدة بن الجراح

أصيب عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة و دفن يوم الأحد مستهل المحرم الحرام و له ثلاث و ستون سنة و قيل : ست و ستون سنة و قيل : إحدى و ستون و قيل : ستون و رجحه الواقدي و قيل : تسع و خمسون و قيل : خمس أو أربع و خمسون و صلى عليه صهيب في المسجد

و في تهذيب المزني كان نقش خاتم عمر [كفى بالموت واعظا يا عمر]

و أخرج الطبراني عن طارق بن شهاب قال : قالت أم أيمن يوم قتل عمر : اليوم و هى الإسلام و أخرج عبد الرحمن بن يسار قال : شهدت موت عمر بن الخطاب فانكسفت الشمس يومئذ رجاله ثقات ." (١)

" نبذ من أخباره و قضاياه

أخرج العسكري في الأوائل و الطبراني في الكبير و الحاكم من طريق ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة : لأي شيء كان يكتب [من خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم] في عهد أبي بكر ؟ ثم كان عمر كتب أولا [من خليفة أبي بكر] فمن أول من كتب [من أمير المؤمنين] ؟ فقال : حدثتني الشفاء . و كانت من المهاجرات . أن أبا بكر كان يكتب من خليفة رسول الله و كان عمر يكتب من خليفة خليفة رسول الله حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق و أهله فبعث إليه لبيد بن ربيعة و عدي بن حاتم فقدما المدينة و دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو : أنتما و الله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال : ما بدا لك في هذا الا سم ؟ لتخرجن مما قلت فأخبره و قال : أنت الأمير و نحن المؤمنين فجرى الكتاب بذلك من يومئذ

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/١٢٠

و قال النووي في تهذيبه : سماه بهذا الاسم عدي بن حاتم و لبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق و قيل : سماه به المغيرة بن شعبة و قيل : إن عمر قال للناس : أنتم المؤمنين و أنا أميركم فسمي أمير المؤمنين و كان قبل ذلك يقال له : خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن تلك العبارة لطولها

و أخرج ابن عساكر عن معاوية بن قرة قال : كان يكتب من أبي بكر خليفة رسول الله فلما كان عمر بن الخطاب أرادوا أن يقولوا : خليفة خليفة رسول الله قال عمر : هذا يطول : قالوا : لا و لكنا أمرناك علينا فأنت أميرنا قال : نعم أنتم المؤمنين و أنا أميركم فكتب [أمير المؤمنين]

و أخرج البخاري في تاريخه عن أبي المسيب قال : أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب لسنتين و نصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي

و أخرج السلفي في الطيوريات بسند صحيح عن ابن عمر عن عمر أنه أراد أن يكتب السنن فاستخار الله شهرا فأصبح و قد عزم له ثم قال : إني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتابا فأقبلوا عليه و تركوا كتاب الله

و أخرج ابن سعد عن شداد قال : كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال : اللهم إني شديد فليني و إني ضعيف فقوني و إني بخيل فسخني

و أخرج ابن سعد و سعيد بن منصور و غيرهما من طرق عن عمر أنه قال : إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم من ماله : إن أيسرت استعففت و إن افتقرت أكلت بالمعروف فإن أيسرت قضيت

و أخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر و ربما خرج عطاؤه فقضاه

و أخرج ابن سعد عن البراء بن معرور أن عمر خرج يوما حتى أتى المنبر و كان قد اشتكي شكوى فنعت له العسل و في بيت المال عكة فقال : إن أذنتم لي فيها أخذتها و إلا فهي علي حرام فأذنوا له

و أخرج عن سالم بن عبد الله أن عمر كان يدخل يده في دبرة البعير و يقول : إني لخائف أن أسالك عما بك

و أخرج عن ابن عمر قال : كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال : لا أعلمن أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة

و روينا من غير وجه أن عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة . و كان يفعل ذلك كثيرا . إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقا عليها بابها و هي تقول :

(تطاول هذا الليل تسري كواكبه ... و أرقني أن لا ضجيع ألاعبه)

(فو الله لو لا الله تخشى عواقبه ... لزحزح من هذا السرير جوانبه)

(و لكنني أخشى رقيبا موكلا ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه)

(مخافة ربي و الحياء يصدني ... و أكرم بعلي أن تنال مراتبه)

فكتب إلى عماله بالغزو أن لا يغيب أحد أكثر من أربعة أشهر

و أخرج ابن سعد عن زادان عن سلمان أن عمر قال له : أملك أنا أم خليفة ؟ فقال له سلمان : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة فاستعبر عمر

و أخرج عن سفيان بن أبي العرجاء قال : قال عمر بن الخطاب : و الله ما أدري أخليفة أنا أم ملك ؟ فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم فقال قائل : يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا قال : ما هو ؟ قال : خليفة لا يأخذ إلا حقا و لا يضعه إلا في حق و أنت بحمد الله كذلك و الملك يعسف الناس فيأخذ من هذا و يعطي هذا فسكت عمر

و أخرج عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ركب عمر فرسا فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى أهل نجران بفخذه شامة سوداء فقالوا : هذا الذي نجد في كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا

و أخرج عن سعد الجاري أن كعب الأحبار قال لعمر : إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة

و أخرج عن أبي معشر قال : حدثنا أشياخنا أن عمر قال : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التي لا جبرية فيها و باللين الذي لا وهن فيه

و أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن حكيم بن عمير قال : كتب عمر بن الخطاب : ألا لا يجلدن أمير جيش و لا سرية أحدا الحد حتى يطلع الدرب لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار

و أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي قال : كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب : إن رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليفة شيء من الشجر تخرج مثل آذان الحمير ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ ثم يخضر فيكون كالزمرد الأخضر ثم يحمر فيكون كالياقوت الأحمر ثم يينع فينضج فيكون كأطيب فالوذج أكل ثم ييبس فيكون عصمة للمقيم و زادا للمسافر فإن تكن رسلي صدقتني فلا أدري هذه

الشجرة إلا من شجر الجنة فكتب إليه عمر : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله و لا تتخذ عيسى إلها من دون الله فإن { إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب }

و أخرج ابن سعد عن ابن عمر أمر عماله فكتبوا أموالهم منهم سعد بن أبي وقاص فشاطرهم عمر في أموالهم فأخذ نصفا و أعطاهم نصفا

و أخرج عن الشعيب أن عمر كان إذا استعمل عاملا كتب ماله

و أخرج عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : مكث عمر زمانا لا يأكل من مال بيت المال شيئا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة فأرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستشارهم فقال : قد شغلت في نفسي هذا الأمر فما يصلح لي منه ؟ فقال علي : غداء و عشاء فأخذ بذلك عمر

و أخرج عن ابن عمر أن عمر حج سنة ثلاث و عشرين فأنفق في حجته ستة عشر دينارا فقال : يا عبد الله أسرفنا في هذا المال

و أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن قتادة و الشعبي قالا : جاءت عمر امرأة فقالت : زوجي يقوم الليل و يصوم النهار فقال عمر : لقد أحسنت الثناء على زوجك فقال كعب بن سوار : لقد شكت فقال عمر : كيف ؟ قال تزعم أنه ليس لها من زوجها نصيب قال : فإذا قد فهمت ذلك فاقض بينهما فقال : يا أمير المؤمنين أحل الله له من النساء أربعا فلها من كل أربعة أيام يوم و من كل أربع ليال ليلة

و أخرج عن ابن جريج قال : أخبرني من أصدقه أن عمر بينما هو يطوف سمع امرأة تقول :

(تطاول هذا الليل واسود جانبه ... و أرقني أن لا خليل ألاعبه)

(فلولا حذار الله لا شيء مثله ... لزحزح من هذا السرير جوانبه)

فقال عمر : مالك ؟ قالت : أغزيت زوجي منذ أشهر و قد اشتقت إليه قال : أردت سوءا ؟ قالت : معاذ الله قال : فاملكي عليك نفسك فإنما هو البريد إليه فبعث إليه ثم دخل على حفصة فقال : إني سائلك عن أمر قد أهمني فافرجيه عني ؟ كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟ فخفضت رأسها و استحيت قال : فإن الله لا يستحي من الحق فأشارت بيدها ثلاثة أشهر و إلا فأربعة أشهر فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر

و أخرج عن جابر بن عبد الله أنه جاء إلى عمر يشكو إليه ما يلقى من النساء فقال عمر : إنا لنجد ذلك حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي : ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن فقال له عبد الله بن مسعود : أما بلغك إن إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله خلق سارة فقيل له : إنها خلقت من ضلع فالبسها على ما كان فيها ما لم تر عليها خربة في دينها

و أخرج عن عكرمة بن خالد قال : دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه و قد ترجل و لبس ثيابا حسانا فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه فقالت له حفصة : لم ضربته ؟ قال : رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه

و أخرج عن معمر عن ليث بن أبي سليم أن عمر بن الخطاب قال : لا تسموا الحكم و لا أبا الحكم فإن الله هو الحكم و لا تسموا الطريق السكة و أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الضحاك قال : قال أبو بكر : و الله لوددت أني كنت شجرة إلى جنب الطريق فمر علي بعير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا و لم أكن بشرا فقال عمر : يا ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم من يحبون فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواء و بعضي قديدا ثم أكلوني و لم أكن بشرا

و أخرج ابن عساكر عن أبي البختري قال : كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر فقام إليه الحسين بن علي رضي الله عنه فقال : انزل عن منبر أبي فقال عمر : منبر أبيك لا منبر أبي من أمرك بهذا ؟ فقام علي فقال : و الله ما أمره بهذا أحد أما لأوجعنك يا غدر فقال : لا توجع ابن أخي فقد صدق منبر أبيه إسناده صحيح

و أخرج الخطيب في أدب الراوي عن مالك من طريقه عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن و سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان كانا يتنازعان في المسألة بينهما حتى يقول الناظر : إنهما لا يجتمعان أبدا فما يفترقان إلا على أحسنه و أجمله

و أخرج ابن سعد عن الحسن قال : أول خطبة خطبها عمر حمد الله و أثنى عليه ثم قال : أما بعد فقد ابتليت بكم و ابتليتم بي و خلفت فيكم بعد صاحبي فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا و من غاب عنا وليناه أهل القوة و الأمانة و من يحسن نزده حسنا و من يسيء نعاقبه و يغفر الله لنا و لكم

و أخرج عن جبير بن الحويرث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان فقال له علي : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال و لا تمسك منه شيئا و قال عثمان : أرى مالا كثيرا يسع الناس و إن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يلتبس الأمر فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا و جندوا جنودا فدون ديوانا و جند جنودا فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبي طالب و مخرمة ابن نوفل و جبير بن مطعم . و كانوا من نساب قريش . فقال : اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدؤا ببني هاشم ثم أتبعوهم أبا بكر و قومه ثم عمر و قومه على الخلافة فلما نظر فيه عمر قال : ابدؤوا بقرابة النبي صلى الله عليه و سلم الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث و ضعه الله

و أخرج عن سعيد بن المسيب قال : دون عمر الديوان في المحرم سنة عشرين

و أخرج عن الحسن قال : كتب عمر إلى حذيفة أن أعط الناس أعطيتهم و أرزاقهم فكتب إليه : إنا قد فعلنا و بقي شيء كثير فكتب إليه عمر إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم ليس هو لعمر و لا لآل عمر أقسمه بينهم

و أخرج ابن سعد عن جبير بن مطعم قال : بينما عمر واقف على جبل عرفة سمع رجلا يصرخ و يقول : يا خليفة الله فسمعه رجل آخر و هم يعتافون فقال : مالك فك الله لهواتك ؟ فأقبلت على الرجل فصحت عليه فقال جبير : فإني الغد واقف مع عمر على العقبة يرميها إذ جاءت حصاة عائرة ففتقت رأس عمر فقصدت فسمعت رجلا من الجبل يقول : أشعرت ورب الكعبة لا يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبدا قال جبير : فإذا هو الذي صرخ فينا بالأمس فاشتد ذلك علي

و أخرج عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين إذ صدرنا عن عرفة مررت بالمحصب فسمعت رجلا على راحلته يقول : أين كان عمر أمير المؤمنين ؟ فسمعت رجلا آخر يقول : ههنا كان أمير المؤمنين : فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته فقال :

(عليك سلام من إمام و باركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق)

(فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق)

(قضيت أمورا ثم غادرت بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتق)

فلم يتحرك ذاك الراكب و لم يدر من هو فكنا نتحدث أنه من الجن فقدم عمر من تلك الحجة فطعن بالخنجر فمات

و أخرج عن عبد الرحمن بن أبزى عن عمر أنه قال : هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ثم في أهل أحد ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد و في كذا و كذا و ليس فيها لطليق و لا لولد طليق و لا لمسلمة الفتح شيء

و أخرج عن النخعي أن رجلا قال لعمر : ألا تستخلف عبد الله بن عمر ؟ فقال : قاتلك الله ! و الله ما أردت الله بهذا أستخلف رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته ؟

و أخرج عن شداد بن أوس عن كعب قال : كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر و إذا ذكرنا عمر ذكرناه و كان إلى جنبه نبي يوحي إليه فأوحى الله إلى النبي أن يقول له : اعهد عهدك و اكتب إلي وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام فأخبره النبي بذلك فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار و السرير ثم جاء إلى ربه فقال : اللهم إن كنت تعلم أني كنت أعدل في الحكم و إذا اختلفت الأمور اتبعت هداك و كنت و كنت فزد في عمري حتى يكبر طفلي و تربو أمتي فأوحى الله إلى النبي أنه قال كذا و كذا . و قد صدق . و قد زدته في عمره خمس عشرة سنة ففي ذلك ما يكبر طفله و تربو أمته فلما طعن عمر قال كعب : لئن سأل عمر ربه ليبقينه الله فأخبر بذلك عمر فقال : اللهم اقبضني إليك غير عاجز و لا ملوم

و أخرج عن سليمان بن يسار أن الجن ناحت على عمر

و أخرج الحاكم عن مالك بن دينار قال : سمع صوت بجبل تبالة حين قتل عمر رضي الله عنه :

(لبيك على الإسلام من كان باكيا ... فقد أوشكوا صرعى و ما قدم العهد)

(و أدبرت الدنيا و أدبر خيرها ... و قد ملها من كان يوقن بالوعد)

و أخرج ابن أبي الدنيا عن يحيى بن أبي راشد البصري قال : قال عمر لابنه : اقتصدوا في كنفي فإنه إن كان لي عند الله خير أبدلني ما هو خير منه و إن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلبي و اقتصدوا في حفرتي فإنه إن كان لي عند الله خير أوسع لي فيها مد بصري و إن كنت علي غير ذلك ضيقها علي تختلف أضلاعي و لا تخرج معي امرأة و لا تزكوني بما ليس في فإن الله هو أعلم بي فإذا خرجتم فأسرعوا في المشي فإنه إن كان لي عند الله خير قدمتموني إلى ما هو خير لي و إن كنت على غير ذلك ألقيتم عن رقابكم شرا تحملونه

فصل

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس أن العباس قال : سألت الله حولا بعدما مات عمر أن يرينيه في المنام فرأيته بعد حول . و هو يسلت العرق عن جبينه . فقلت : بأبي أنت و أمي يا أمير المؤمنين ما شأنك ؟ فقال : هذا أوان فرغت و إن كاد عرش عمر ليهد لولا أني لقيت رؤوفا رحيما

و أخرج أيضا عن زيد بن أسلم أن عبد الله بن عمرو بن العاص رأى عمر في المنام فقال : كيف صنعت ؟ قال متى فارقتكم ؟ قال : منذ اثنتي عشرة سنة قال : إنما انفلت الآن من الحساب

و أخرج ابن سعد عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : سمعت رجلا من الأنصار يقول : دعوت الله أن يريني عمر في المنام فرأيته بعد عشر سنين و هو يمسح العرق عن جبينه فقلت : يا أمير المؤمنين ما فعلت ؟ قال : الآن فرغت و لولا رحمة ربي لهلكت

و أخرج الحاكم عن الشعبي قال : رثت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عمر فقالت :

(عين جودي بعبرة و نحيب ... لا تملي على الإمام الصليب)

(فجعتني المنون بالفارس المع ... لم يوم الهياج و التأنيب)

(عصمة الدين و المعين على الده ... ر و غيث الملهوف و المكروب)

(قل لأهل الضراء و البؤس : موتوا إذ سقتنا المنون كأس شعوب) ." (١)

" هشام بن يزيد بن عبد الملك ١٠٥ هـ . ١٢٥هـ

هشام بن عبد الملك : أبو الوليد ولد سنة نيف و سبعين و استخلف بعهد من أخيه يزيد

قال مصعب الزبيري : رأى عبد الملك في منامه أنه بال في المحراب أربع مرات فسأل سعيد بن المسيب فقال : يملك من ولده لصلبه أربعة فكان آخرهم هشام

و كان هشام حازما عاقلا كان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون قسامة : لقد أخذ من حقه و لقد أعطى لكل ذي حق حقه

و قال الأصمعي : أسمع رجل مرة هشاما كلاما فقال له : يا هذا ليس لك أن تسمع خليفتك

قال : و غضب مرة على رجل فقال : و الله لقد هممت أن أضربك سوطا

و قال سحبل بن محمد : ما رأيت أحدا من الخلفاء أكره إليه الدماء و لا أشهد عليه من هشام

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/١٢٤

و عن هشام أنه قال : ما بقي شيء من لذات الدنيا إلا و قد نلته إلا شيئا واحدا أخا أرفع مؤنة التحفظ فيما بيني و بينه

و قال الشافعي لما بنى هشام الرصافة بقنسرين أحب أن يخلو يوما لا يأتيه فيه غم فما انتصف النهار حتى أتته ريشة بدم من بعض الثغور فأوصلت إليه فقال : و لا يوما واحدا !

و قيل : إن هذا البيت له و لم يحفظ له سواه :

(إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى بعض ما فيه عليك مقال)

مات في ربيع الآخرة سنة خمس و عشرين و مائة

و ممن مات في أيامه من الأعلام : سالم بن عبد الله بن عمر و طاووس و سليمان بن يسار و عكرمة مولى ابن عباس و القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق و كثير عوه الشاعر و محمد بن كعب القرظي و الحسن البصري و محمد ابن سيرين و أبو الطفيل عامر بن واثلة الصحابي آخرهم موتا و جرير و الفرزدق و عطية العوفي و معاوية بن قرة و مكحول و عطاء بن أبي رباح و أبو جعفر الباقر و وهب بن منبه و سكينة بنت الحسين و الأعرج و قتادة و نافع مولى ابن عمر و ابن مقرئ الشام و ابن كثير مقرئ مكة و ثابت البناني و مالك بن دينار و ابن محيض المقرئ و ابن شهاب الزهري و خلائق آخرون

و من أخبار هشام : أخرج ابن عساكر عن إبراهيم بن أبي عبلة قال : أراد هشام ابن عبد الملك أن يوليني خراج مصر فأبيت فغضب حتى اختلج وجهه و كان في عينيه الحول فنظر إلي نظر منكر و قال : لتلين طائعا أو لتلين كارها فأسكت عن الكلام حتى سكن غضبه فقلت : يا أمير المؤمنين أتكلم ؟ قال : نعم قلت : إن الله قال في كتابه العزيز : { إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها } الآية فو الله يا أمير المؤمنين ما غضب عليهن إذ أبين و لا أكرههن إذ كرهن و ما أنا بحقيق أن تغضب علي إذ أبيت و تكرهني إذ كرهت فضحك و أعفاني

و أخرج عن خالد بن صفوان قال : و فدت على هشام بن عبد الملك فقال : هات يا ابن صفوان قلت : إن ملكا من الملوك خرج متنزها إلى الخورنق و كان ذا علم مع الكثرة و الغلبة فنظر و قال لجلسائه : لمن هذا ؟ قالوا : للملك قال : فهل رأيتم أحدا أعطي مثل ما أعطيت ؟ و كان عنده رجل من بقايا حملة الحجة فقال : إنك قد سألت عن أمر أفتأذن لي بالجواب ؟ قال : نعم قال : أرأيت ما أنت فيه أشيء لم تزل فيه أم شيء صار ميراثا و هو زائل عنك إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذا هو قال : فتعجب بشيء

يسير لا تكون فيه إلا قليلا و تنقل عنه طويلا فيكون عليك حسابا قال : ويحك فأين المهرب ؟ و أين المطلب ؟ و أخذته قشعريرة قال : إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله بما ساءك و سرك و إما أن تنخلع من ملكك و تضع تاجك و تلقي عنك أطمارك و تعبد ربك قال : إني مفكر الليلة و أوافيك السحر فلما كان السحر قرع عليه بابه فقال : إني اخترت هذا الجبل و فلوات الأرض و قد لبست علي أمساحي فإن كنت لي رفيقا لا تخالف فلزما الجبل حتى ماتا و فبه يقول عدي بن زيد العبادي :

(أيها الشامت المعير بالدهـ ... ر أأنت المبرأ الموفور ؟)

(أم لديك العهد الوثيق من الأي ... ام ؟ بل أنت جاهل مغرور)

(من رأيت المنون خلدن أم من ... ذا عليه من أن يضام خفير ؟)

(أين كسرى الملوك أبو سا ... سان أم أين قلبه سابور)

(و بنو الأصفر الكرام ملوك ال ... روم و لم يبق منهم مذكور)

(و أخو الحضر إذ بناه و إذ دجل ... ة تجبى إليه و الخابور)

(شاده مرمرا و جلله كل ... سا فللطير في ذراة وكور)

(لم يهبه ريب المنون فباد ال ... ملك عنه فبابه مهجور)

(و تذكر رب الخورنق إذ أش ... رف يوما و للهدى تذكير)

(سره ماله و كثرة ما يم ... لك و البحر معرض و السدير)

(فارعوى قلبه و فال : و ما غب ... طة حي إلى الممات يصير)

(ثم بعد الفلاح و الملك و الأم ... ة وارتهم هناك القبور)

(ثم صاروا كأنهم ورق جـ ... ف فألوت به الصبا و الدبور)

قال : فبكى حتى اخضلت لحيته و أمر بابنتيه و طي فرشه و لزم قصره فأقبلت الموالي و الحشم على خالد بن صفوان و قالوا : ما أردت إلى أمير المؤمنين ؟ أفسدت عليه لذته فقال : إليكم عاهدت

"نيكوبلي سنة ١٣٨٨ وبعد ان جمع شمل ما بقي من جيوشه داخل هذه المدينة اراد محاربة العثمانيين ثانية فخرج من نيكوبلي وهاجم الجيوش الاسلامية مهاجمة يائس فانهزم هزيمة لم يقم له بعدها قائمة ووقع اسيرا فضم السلطان مراد نصف بلاده اليه ولم يأمر بقتله بل منحه نعمة الحياة ورتب له ما يقوم بمعاشه مراعيا في ذلك مقامه السابق وعينه حاكما شبه مستقل على النصف الباقي ١٣٨٩ م ولما علم

لازار ملك الصرب بانخذال رفيقه قرال البلغار مال بجيوشه قليلا جهة الغرب للانضمام إلى امراء البانيا الارنؤد فلم يمكنه السلطان مراد من ذلك بل جد السير في طلبه حتى لحقه في سهل قوص اوه سنة ١٣٨٩ م وانتشب القتال بين الجيشين بحالة يشيب من هولها الولدان دافع في خلاله الصربيون دفاع الابطال وبقيت الحرب بينهما سجالا مدة من الزمن تناثرت فيها الرؤوس وزهقت النفوس واخيرا فر صهر الملك لازار المدعو فوك برانكوفتش ومعه عشرة آلاف فارس والتحق بجيش المسلمين فدارت الدائرة على الصربيين وجرح لازار ووقع اسيرا في ايدي العثمانيين فقتلوه وبهذه الواقعة المهمة التي بقي دكرها شهيرا في اوروبا باسرها زال استقلال الصرب كما فقدت البلغار والروملي والاناضول استقلالها من قبل وكما ستفقد اليونان وغيرها الاستقلال فيما بعد وبعد تمام النصر والغلبة للعثمانيين كان السلطان مراد يمر من بين القتلى اذ قام من بينهم جندي صربي اسمه ميلوك كوبلوفتش وطعن السلطان بخنجر طعنة كانت هي القاضية عليه بعد قليل فسقط القاتل قتيلا تحت سيوف الانكشارية لكن لم يفدهم قتله شيئا اذ اسلم السلطان الروح بعد ذلك بقليل بعد ان ضم كثيرا من البلاد إلى ما تركه

".(١)

" قتل حسن بك لكل من حسين عوني باشا ومحمد راشد باشا

حسن بك المذكور هو ابن اسماعيل بك احد اعيان الجراكسة المهاجرين من بلادهم بعد دخولها ضمن املاك الروسيا وكان ياورا ليوسف عز الدين افندي نجل السلطان عبد العزيز الذي كان مشيرا للاوردي الهمايوني الخاص ولما توفي السلطان عبد العزيز اراد حسين عوني باشا السر عسكر ابعاده عن الاستانة فألحقه باحد الالايات بمدينة بغداد وامره بالسفر على عجل فامتنع فحبس بحسب الأصول العسكرية ثم أظهر الرغبة في السفر وطلب امهاله يومين لا غير للتأهب للسفر فأفرج عنه وفي مساء يوم الخميس ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ ١٦ يونيه سنة ١٨٧٦ تسلح باربعة مسدسات وخنجر ماض وقصد منزل عوني باشا فقيل له انه بمنزل مدحت باشا فذهب اليه ولما سأل الخدم عن حسين عوني باشا قالوا له انه مع سائر الوكلاء النظار في مجلس مخصوص فأوهمهم ان معه تلغرافا مهما يختص بالحربية يريد توصيله فورا للسر عسكر ثم انتظر برهة وطلع إلى المحل المجتمع فيه الوكلاء فوجد حارسا بالباب منعه عن الدخول

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص/١٣٥

فقال له من انت قال سالم آغا خادم الصدر الاعظم فقال اذهب وناد خادم حسين عوني باشا لأني مستعجل فنزل سالم آغا وعندها دخل حسن بك الغرفة واطلق غدارته على حسين عوني باشا فاصابه برصاصتين فقام للدفاع عن نفسه فاجهز عليه **بالخنجر** واصاب محمد راشد باشا ناظر الخارجية برصاصة في عنقه افقدته الحياة ثم قام احمد باشا قيصرلي ناظر البحرية وقبض على يد حسن بك فاثخنه جراحا حتى فر مع باقي الوزراء إلى غرفة اخرى تابعة لدائرة الحريم ووضعوا خلف الباب بعض امتعة ثقيلة ثم جاء احمد آغا رئيس خدم مدحت باشا واراد القبض عليه فقتله ثم حاول

". (١)

"من مكة إلى القرين فرسخ، بناء الأمير هاشم. و إلى البيضاء فرسخين، و إلى أيدام ثلاث فراسخ، بئر حفره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و جدده القائد الحسين بن سلامة. و إلى وادي المحرم ثلاث فراسخ و منه يحرم حاج اليمن. و إلى فرع خمس فراسخ، أرض بني شعبة. ليس يلبس نسائهم إلا الأدم و ذلك إن المرأة تأخذ طاقين من أديم تخيط بعضة إلى بعض و تقور فيه قوارة و تكتسيه فإذا مشت بان جميع بدنها من فوق و من تحت، و إذا رأى غريب المرأة على ذلك الزي يقول لها: استري فيقول زوجها أكسها و إن كانت الورأة عريانة و هي لابسة فيقول له زوجها: اكسها فان كساها و إلا قتله لأنهم يقولون: من ستر غيره. و لم يكن في جميع العالم أصل من هؤلاء القوم و لا أسرف و لا أجرم و لا أخسر منهم في أخذ مال الحاج لأنهم يسمون الحاج جفنة الله، فإذا قيل لهم في ذلك يقولون: إذا حضر جفنة الله لخلقه أكل منه الصادر و الوارد. و إذا قلت لأحدهم: قطع الله رزقك من الحرام يقول: لا بل قطع الله رزقك من الحلال! ما ترى عندنا من خير سوى هذه الجبال السود لا لنا زرع و لا ضرع و لا أخذ و لا عطاء، و جميع ما تعملوه انتم الحاج آخر جاء مقابل الكعبة من الفضائح و الغنائم فسلطنا الله عليكم حتى نستقضي للحاج منكم الحق و ثلث الباطل. و لذلك تقول العجم في أشعارها:

ازسيم عرابي نه بل آيد نه رباطي ... زيراكه همه توشه حجاج ريابند

و إلى السرين ثلاث فراسخ، بناية الفرس على ساحل البحر. و إلى وادي الأثلاث ثلاث فراسخ. و إلى حصارة خمس فراسخ. و إلى حلى سبع فراسخ، بلد فيه جامع و منارة. و أول من أخربها غازي بن متكلان

---

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص/٥٨٢

من بني حارث الكردي في أيام دولة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، و بقى المكان على حاله إلى أن أعاد بناءه موسى بن علي بن عطية و هو إلى الآن مالكها، و جميع هذه الأعمال لبني كنانة. و إنما أشتق اسم حلى من الحلي الذي جمعه السامري من بني إسرائيل في أيام هرون بن عمران عليهما السلام و جعل صورة عجل كما قال الله تعالى: (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار.) و في مشارق هذه الأعمال قوم يقال لهم البهيمية و هم يرجعون في الأصل إلى آل عامر و يرجع آل عامر إلى سنحان. فإذا نزل بهم ضيف يقول له: بما تعشى؟ يقول: بكذا! و بم تغدى؟ و ما يقدم له إلا ما طلب و إشتهى عليهم. فإذا تعشى يقول الرجل لزوجته: روحي أكرمي الضيف! فتجيء المرأة فتنام في حضن الضيف إلى الصباح بلا خوف و لا حذر و يقوم الصبح كل يغدو إلى شغله. فإذا خطب زيد بنت عمرو و أنعم له عمرو بإجاب القول دخل زيد إلى بنت عمرو و إستفضها و بات معها طول ليلته، فإذا أصبح خرج و ترك نعلاه في بيت بنت عمرو فيعلم إنه رضى بها فحينئذ يعقد عقد النكاح. و إن لبس حذائه و غدا علم عمرو أن زيدا لم يرض ببنته. و هذا من أجاويد هؤلاء القوم. و مصاغهم الصفر و الحديد و الرصاص و لبسهم الجلود المدبوغة و جواهرهم الودع و مهرهم قطع الطريق و منع السبل. و إلى الدبساء خمس فراسخ. و ثغر وادي عمق و هو سخل و يعرف بشرم الجارية، خور من البحر يخاض فيه مخاضة. و ما عرف بها إلا إنه خاضته الحجاج فلما توسطوه زلق جمل و عليه جارية وقعت الجارية في البحر فأخذها المد و راحت فعرف الشرم أي الخور بالجارية. و إلى ذهبان أربع فراسخ و سكانه عرب مجمعة من بني أسد و بني ريح و بني معاصم و بني رفدة إذا نزل بهم نزيل يقولون له: بؤس و ساحق و عض و عانق، يعني صاحبة البيت، و لا تدخل معها أي لا تطأها فإذا أدخلت معها أدخلنا معك هذا **الخنجر**. و يسمى وادي الدوم و ما سمى بذلك إلا لكثرة نخل الدرم بها و هو شجر المقل. و في وادي الدوم يقول الشاعر:

و آخر عهدي منك يوم لقيتني ... بأسف وادي الدوم و اثوب يغسل

و يرى جبل كدمل مما يلي البحر.

ذكر جبل كدمل." (١)

"خرب ناصر الدين أبو الفتح قباجة السلطان في أعمال السند قلعة كلور و سبب رأس حد بلاده خوفا من السلطان الأعظم علاء الدين أبي الفتح محمد أبن تكش سنة اثنتي عشر و ستمائة. و خرب أيضا

---

(١) تاريخ المستبصر، ص/٢٠

الملك ناصر الدين أبو الفتح قباجة في أعمال السند اهراوت و ستائر و كتكفي و طلبه و علما اوروهام راوبر سرور ونزواره و كربون و هدروت و شاهكا وراح بيوم و مكبوب خوفا من اليلطان جلال الدين منك بتي بن محمد بن تكش سنة اثنتين و عشرين و ستمائة. و خرب صلاح الدين يوسف بن أيوب في أعمال الساحل عسقلان و غزة و الدارون والرسين و قلعة الأفضل و العباسية خوفا من الافرنج سنة سبعين و خمس مائة. خرب السلطان علاء الدنيا و الدين أبو الفتح محمد بن تكش قلعة مرورود و رسوم و في أعمال السند بدووب وحاما و هابهور و مكيو منك راور فصرا أيوب و كوب و باحكة و بنونبي و بكورح خوفا من املاكها الأمكنة سنة أربع و ستين و خمس مائة، و أبقى المدن و هدم الحصون لان في هذه البلاد كل قرية بها حصن مانع بناء الهنود من سالف الدهر. و هدم الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب في أعمال الشام الكرك و الشوبك و القدس و ايلة و الاذيقية و هو مأتين و ستين و سقى من نون خوفا من الافرنج سنة أربع و عشرين و ستمائة. و خرب الملك المعزي الذي تغلب على ملك السلطان سنجر من خرسان مرو و سرخس و نيسابور و من العراق الري و همذان و من كرمان حريب و بم كاري و في زاولستان حور خوفا من السلطان علاء الدين حسين ابك الغوري سنة أربعين و خمس مائة. و خرب الخان الحسين بن علي الخلجي الديبول خوفا من ناصر الدين قباجة سنة تسع عشرة و ستمائة. و خرب الهمن مسر بن دوده قلعة السلام خوفا من الخلج سنة عشرين و ستمائة. و خرب ححبل خان النمر حني جميع العجم خوفا من المسلمين سنة عشر و ستمائة. و خرب أحمد بن محمد بن عبد الله الحبوضي ظفار خوفا من الملك المسعود يوسف لن محمد سنة ثمان عشرة و ستمائة.

صفة الطريق القديمة

كان من بغداد إلى ظفار و مرابط الطريق آمن يسلكه البدو في العالم مرتين يجلبون الخيل و يأخذون عوضهم العطر و البر و يرجعون إلى العراق. فلما تغلب أحمد بن محمد بن علي هؤلاء فتحوا في الملك و وقع الخلف في البلاد و انقطعت الطرق و اندثرت. فلما ملك أحمد بن محمد بن عبد الله بن مزروع الحبوضي الملك و استقام فيها أمنت العباد و عمرت البلاد انقطعت الطرق خرج البدو على رءوسهم في الطريق القديمة و صاروا على الطريق المستقيم بالخيل إلى ظفار فباعوا و اشتروا. فلما أرادوا الرجوع قال لهم أحمد بن محمد: و كيف علمتم الطريق؟ قال أحدهم: إني سافرت مع أبي و أنا طفل على هذا الطريق مرة واحدة فسرت الآن فيها بقياس التعفل بمعرفة تامة و كتاب الله السلامة حتى بلغنا المقصد. قال لهم فمن

أين تخرجون؟ قالوا: من مشهد الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما فإذا وصلنا إلى المنزل الفلاني افترق عنده الطريق طريقان يأخذ أحدهما إلى الحساء و القطيف و الثاني يجيء إلى مرباط و ظفار. فقال لهم؟ شاهد الله على البدوي سلك هذه الطريق ثانية لا يلومن إلا نفسه. قالوا: و لم؟ قال: نخاف إن يندرس الطريق لكثرة سلاكه فتجيء خيل أمير المؤمنين عليه السلام غائرة في تلك البلاد علينا و أنا مع ذلك خربت البلاد و بنيت المنصورة لأقطع الشر عني. فدخلت البدوان من بلد ظفار و لم يرجعوا إليها و منها انقطع الطريق سنة ست عشرة و ستمائة.

صفة الرياح الثلاث

ريح عاصف قاصف ذات شدة و صلابة، فإذا هب الهوى سد الغبار جميع الطاقات في الدور و أوراق الجدران. و يقال إذا هبت هذه الأهوية فمن شدة هبوبها تدحرج الحجارة من أعلى ذروة الجبل إلى إن توصله البحر و بين الجبل و البحر يوم طراد. و الأصل فيه إن الله سبحانه و تعالى اهلك قوم عاد بهذه الريح و هي الريح العقيم. و الاسم فيه ثلاث مشتق من بلاء. و حدثني ربان في عدن قال: إنه من جملة الرياح الازيب يعني الجنوب و حدود هبوبه من رأس فرتك إلى مرباط. كما قال الشاعر الغزنوي:

تا بدان جايت فرود آرد كه باشد اندرو ... ناوك اندازانش قهرو **خنجر** آهنجان بلا

زهره مردان جو بر زنكار باشي ناردان ... كرده كردان جوبر شنكرف مالى لوبيا

صفة المنصورة." (١)

"ساسان، ويصف سيرة ملك ملك، ويدعوهم إلى نفسه، ووقعت الكتب في يد كسرى قبل أن تصل إلى القوم، فكتب إليه بأغلظ الجواب عن القوم، ورد إليه الرسول، فزحف إليهم بهرام حتى صار إلى آذربيجان، فحاربه محاربة شديدة، وأخذت الحرب من الفريقين، وخرج الرومي الذي كان يجري مجرى ألف رجل. فقال لكسرى: أين عبدك هذا الذي غصبك ملكك، حتى أقتله؟ فقال: هو صاحب الأبلق، فحمل عليه وتراجع بهرام إلى ورائه، ثم تراجع عليه. فضربه بسيفه فقده نصفين، فضحك كسرى، وقال: زه، فغضب أخو ملك الروم، وقال: سررت أن قتل رجلنا وصاحبنا؟ فقال: لا ولكن صاحبكم قال لي: أين العبد الذي غصبك وغلبك ملكك، فأردت أن تعلم أن العبد يضرب في كل يوم عدة ضربات كلا مثل هذه.

واشتدت الحرب حتى انهزم كسرى، وصعد في جبل، فكاد يهلك، ثم ثاب جند كسرى، وانهزم بهرام

---

(١) تاريخ المستبصر، ص/٩٧

شوبين، فمضى منصرفا لا يلوي على شيء، متوجها إلى ملك الترك.

واستقام الأمر لكسرى أبرويز، فكتب إلى صاحب الروم بذلك، وأهدى له ملك الروم ثوبين فيهما الصلب، فلبسهما، فقال الفرس: قد تنصر، ثم كتب في النصارى أن يكرموا، ويقدموا، ويبرزوا، ويخبر بما قد جرى بينه وبين الرومي من العصمة، واللحمة، والموادعة، وأنه لم يقل هذا ملك من الملوك قبله.

ووثب بندي خال كسرى بثيادوس أخي ملك الروم، فصمه، فوقع الشر، وقال أخو ملك الروم: إما أن تدفع إلى بندي، وإما أن يعود الشر، فسكنه كسرى.

وورد بهرام شوبين بلاد الترك، فأكرمه خاقان وبره، وكان لخاقان أخ يقال له بفارس يداريه خاقان، فرآه بهرام، فقال لخاقان: كيف اجترأ هذا عليك هذه الجرأة؟ فسمع أخو خاقان الكلام، فتوعده، فقال بهرام: متى شئت فابرز، فدفع خاقان ملك الترك إلى أخيه نشابة وإلى بهرام نشابة، ثم أخرجهما إلى الصحراء، فرمى أخو خاقان بهرام، فأصابه، فشك سلاحه، ورماه بهرام، فقتله، فسر خاقان بقتل أخيه لمعاندته له، ولما كان يخافه منه.

وكان كسرى يرهب مكان بهرام شوبين مع خاقان، ولا يأمن أن يجري عليه شرا، فوجه برجل من وجوه الفرس يقال له بهرام جرابزين، وكان كبيرا في الفرس، ووجه معه إلى خاقان بهدايا ويسأله أن يبعث إليه بهرام شوبين، وأمر جرابزين أن يتلطف في أمره، فقدم على خاقان بالهدايا، وذكر له أمر بهرام، فلم يجد عنده الذي يحب، فتلطف بخاتون امرأة خاقان، وأهدى لها جوهرا ومتاعا، وسألها في أمر بهرام، فوجهت برجل من أصحابها له إقدام وجرأة قلب، وقالت له: ادخل إلى بهرام شوبين فاقتله! فانطلق حتى استأذن عليه، وكان نوم بهرام، فلم يأذن له، فقال: أن الملك خاقان وجهني في أمر مهم، فأذن له، فلما دخل عليه قال: أن الملك حملني رسالة أخبرك بها سرا من غير حضور أحد. فقام من مجلسه، ودنا منه كأنه يساره، ووجاه **بخنجر** معه تحت إبطه، وخرج التركي مسرعا، فركب دابته.

ودخل أصحاب بهرام، فرأوه بتلك الحال، فقالوا: أيها الليث الضرغام! من أقصدك؟ وأيها الجبل المنيف! من هدك؟ فقص عليهم القصة، وكتب إلى خاقان يعلمه أنه لا وفاء له، ولا شكر، و مات بهرام، فحمل إلى الناووس، ولما علم جرابزين بموته ارتحل إلى كسرى، فأخبره، فسر به، وأظهره في مملكته، وكتب به إلى آفاقه. ولما مات بهرام بعث ملك الترك إلى كردية امرأة بهرام وأصحابه يخبرهم بغمه، وأنه قد قتل كل من شرك في قتله، ووجه بأخيه نطرا إليهم، وكتب إلى كردية امرأة بهرام شوبين أنه يرغب فيها، ويأمرها أن تتزوج

نطرا، فحملت كردية امرأة بهرام جند أخيها، وارتحلت بأصحابها ومن معها تريد بلاد الفرس، فلحقها نطرا أخو خاقان، فبرزت إليه في السلاح، وقالت: لا أتزوج إلا من كان في الشجاعة والقوة مثل بهرام، فابرز إلي! فبرز إليها أخو خاقان، فقتلته، ومضت لوجهها.

وكان كسرى قد غضب على خاله بندي، فسمل عينيه، وقطع يديه ورجليه وصلبه حيا لما فعل بأبيه، فلما علم بسطام أخو بندي ما فعل كسرى بأخيه خلع كسرى، وصار إلى الري وجمع." (١)

"نواحي المدينة! فخرج، وعلى عنقه درته، حافيا، حتى أتى بقيع الغرقد، فاستلقى على ظهره، وجعل يضرب أخمص قدميه بيده وتأوه صعدا، فقلت له: يا أمير المؤمنين، ما أخرجك إلى هذا الأمر؟ قال: أمر الله يا ابن عباس! قال: إن شئت أخبرتك بما في نفسك. قال: غص غواص، إن كنت لتقول فتحسن. قال: ذكرت هذا الأمر بعينه وإلى من تصيره. قال: صدقت! قال فقلت له: أين أنت عن عبد الرحمن بن عوف؟ فقال: ذاك رجل ممسك، وهذا الأمر لا يصلح إلا لمعط في غير سرف ومانع في غير إقتار. قال فقلت: سعد بن أبي وقاص؟ قال: مؤمن ضعيف ! قال فقلت: طلحة بن عبد الله؟ قال: ذاك رجل يناول للشرف والمديح، يعطي ماله حتى يصل إلى مال غيره، وفيه باو وكبر. قال فقلت: فالزبير بن العوام، فهو فارس الإسلام؟ قال: ذاك يوم إنسان ويوم شيطان، وعفة نفس، إن كان ليكادح على المكيلة من بكرة إلى الظهر حتى يفوته الصلاة. قال فقلت: عثمان بن عفان؟ قال: إن ولي حمل ابن أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس، وأعطاهم مال الله، ولئن ولي ليفعلن والله، ولئن فعل لتسيرن العرب إليه حتى تقتله في بيته. ثم سكت. قال فقال: أمضها يا ابن عباس! أترى صاحبكم لها موضعا؟ قال فقلت: وأين يتبعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه؟ قال: هو والله كما ذكرت ولو وليهم تحملهم على منهج الطريق، فأخذ المحجة الواضحة، إلا أن فيه خصالا: الدعابة في المجلس، واستبداد الرأي، والتبكيت للناس مع حداثة السن. قال قلت: يا أمير المؤمنين. هلا استحدثتم سنة يوم الخندق إذ خرج عمرو بن عبدود، وقد كعم عنه الأبطال، وتأخرت عنه الأشياخ، ويوم بدر إذ كان يقط الأقران قطا، ولا سبقتموه بالإسلام، إذ كان جعلته السعب وقريش يستوفيكم ؟ فقال: إليك يا ابن عباس! أ تريد أن تفعل بي كما فعل أبوك وعلي بأبي بكر يوم دخلا عليه؟ قال: فكرهت أن أغضبه فسكت. فقال: والله يا ابن عباس إن عليا ابن عمك لاحق الناس بها، ولكن قريشا لا تحتمله، ولئن وليهم ليأخذنهم بمر الحق لا يجدون عنده رخصة، ولئن فعل لينكثن بيعته ثم

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ص/٦٧

ليتحاربن.

وحج عمر جميع سني ولايته، إلا السنة الأولى، وهي سنة ثلاث عشر، فإن عبد الرحمن بن عوف حج بالناس، وكان الغالب عليه عبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان.

وروى بعضهم أن عبد الله بن عباس كان على شرطه، وكان حاجبه يرفا مولاه، فطعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرون، وكان ذلك من شهور العجم في تشرين الآخر، وكان الذي طعنه أبو لؤلؤة، عبد للمغيرة بن شعبة، وجاء **بخنجر** مسموم، وكانت سنو عمر يومئذ ثلاثا وستين سنة، وقيل أربعا وخمسين سنة، وكانت ولايته عشر سنين وثمانية أشهر.

ولما طعن عمر قال لابنه: إني كنت استسلفت من بيت مال المسلمين ثمانين ألفا، فليرد من مال ولدي، فإن لم يف مالهم فمال آل الخطاب، فإن لم يف فمال بني عدي، وإلا قريش عامة، ولا تعدوهم.

ولما حضرته الوفاة اجتمع إليه الناس فقال: إني قد مصرت الأمصار، ودونت الدواوين، وأجريت العطايا، وغزوت في البر والبحر، فإن أهلك، فالله خليفتي عليكم، وسترون رأيكم. إني قد تركتكم على الواضحة، إنما أخاف عليكم أحد رجلين: إما رجلا يرى أنه أحق بالملك من صاحبه فيقاتله عليه...

وإني قد قرأت في كتاب الله: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة، نكالا من الله، والله عليم حكيم، فلا تهلكوا عن الرجم. وقد رجم رسول الله، ورجمنا، ولو لا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي، فقد قرأتها في كتاب الله.

وصير الأمر شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وقال: أخرجت سعيد بن زيد لقرابته مني. فقيل له في ابنه عبد الله بن عمر، قال: حسب آل الخطاب ما تحملوا منها! إن عبد الله لم يحسن يطلق امرأته، وأمر صهيبا أن يصلي بالناس حتى يتراضوا من الستة بواحد، واستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وقال: إن رضي أربعة وخالف اثنان، فاضرب عنق الاثنين، وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة، فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن، وإن جازت الثلاثة الأيام ولم يتراضوا بأحد، فاضرب أعناقهم جميعا.." (١)

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ص/١٦٩

"وخلف من الولد عشرة: مسلمة، ويزيد، ومحمدا، وعبد الله، وسليمان، ومروان، ومعاوية، وسعيدا، وعبد الرحمن، وقريشا. وأقام الحج للناس في ولايته سنة ١٠٥ إبراهيم بن هشام، سنة ١٠٦ هشام بن عبد الملك، سنة ١٠٧ إبراهيم بن هشام، وفي سني ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١ و١١٢ إبراهيم أيضا، سنة ١١٣ سليمان ابنه، سنة ١١٤ خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، سنة ١١٥ محمد بن هشام بن إسماعيل، سنة ١١٦ الوليد بن يزيد بن عبد الملك، سنة ١١٧ خالد بن عبد الملك بن الحارث... سنة ١١٩ أبو شاكر مسلمة بن هشام، سنة ١٢٠ وسنة ١٢١ وسنة ١٢٢ محمد بن هشام بن إسماعيل، سنة ١٢٣ يزيد بن هشام، سنة ١٢٤ محمد بن هشام بن إسماعيل. وغزا بالناس في ولايته سنة ١٠٦، غزا معاوية بن هشام، وبعث بالوضاح صاحب الوضاحية فأحرق الزرع والقرى لأن الروم حرقوا المرعى، وغزا الصائفة اليسرى سعيد بن عبد الملك، وغزا الجراح بن عبد الله الحكمي اللان، سنة ١٠٧ معاوية أيضا، سنة ١٠٨ مسلمة بن عبد الملك على الصائفة اليمنى، وعاصم بن يزيد الهلالي على الصائفة اليسرى، سنة ١٠٩ معاوية بن هشام، ومعه البطال على مقدمته، فافتتح خنجره، وغزا مسلمة الترك، فأخذ عليهم باب اللان، ولقي خاقان، سنة ١١١ معاوية بن هشام على الصائفة اليسرى، وسعيد بن هشام على الصائفة اليمنى، وسارت الترك إلى آذربيجان، فلقيهم الحارث بن عمرو الطائي، فهزمهم، سنة ١١٢ صار الترك إلى أرض أردبيل، فغزاهم الجراح بن عبد الله الحكمي، فلقي ملك الترك، فقتله، وغزا معاوية بن هشام الروم فلم يمكنه دخول بلادهم، فرابط بالعمق من ناحية مرعش، سنة ١١٤ معاوية بن هشام ومسلمة بن عبد الملك، سنة ١١٥ معاوية وسليمان ابنا هشام، وعلى المقدمة عبد الله البطال، فلقي قسطنطين فأسره، وهزم الروم، سنة ١١٦ معاوية بن هشام، سنة ١١٧ معاوية وسليمان ابنا هشام، وغزا مروان بن محمد بلاد الترك... مروان بن محمد، سنة ١٢١ مسلمة بن هشام بلغ ملطية، سنة ١٢٢ مروان ابن محمد ناحية أرمينية، وسليمان بن هشام ناحية ملطية، سنة ١٢٣ سليمان بن هشام الصائفة، ومروان بن محمد جيلان وموقان من أرض أرمينية، سنة ١٢٤ سليمان بن هشام، فلقي أليون طاغية الروم وأرطباس، فانصرف، ولم يكن بينهم حرب، سنة ١٢٥ الغمر بن يزيد بن عبد الملك.

وكان الفقهاء في أيامه سالم بن عبد الله بن عمر الهيثم بن محمد بن أبي بكر، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، محمد بن كعب القرظي، نافعا مولى عبد الله ابن عمر، عاصم بن عمر بن قتادة، محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، طاووسا اليماني، ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عطاء بن أبي رباح، عمرو

بن دينار، عبد الله بن أبي نجيح، حبيب بن أبي ثابت، عبد الملك ابن ميسرة، أبا إسحاق السبيعي، القاسم بن عبد الرحمن، عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود، سماك بن حرب الذهلي، الحكم بن عيينة الكندي، حماد ابن أبي سليمان، أبا معشر زياد بن كليب، طلحة بن مصرف الهمداني، نعيم بن أبي هند الأشجعي، أشعث بن أبي الشعثاء، سعيد بن أسبوع، أبا حازم الأعرج، قتادة بن دعامة السدوسي، بكر بن عبد الله المزني، أيوب السختياني، يزيد بن عبد الله بن الشخير، عبد الرحمن بن جبير، مكحولا الدمشقي، راشد بن سعد المقرئ، ميمون بن مهران، أبا قبيل المعافري، يزيد بن الأصم.

أيام الوليد بن يزيد

وملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي، وأتته الخلافة وهو بدمشق بعد وفاة هشام بعشرة أيام، وكان ذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ٥٢١، وكانت الشمس يومئذ في الدلو ستا وعشرين درجة وعشرين دقيقة، والقمر في السنبلة خمس درجات وعشرين دقيقة، والمريخ في الجدي أربع درجات، والزهرة في الجدي ست عشرة درجة وخمسا وأربعين دقيقة، وعطارد في الحوت اثنتي عشرة درجة وعشر دقائق، والرأس في الدلو إحدى عشرة درجة وخمسا وأربعين دقيقة.

وعزل الوليد عمال هشام وعذبهم أنواع العذاب، خلا يوسف بن عمر الثقفي عامل العراق، وذلك إنه وجد في ديوان هشام كتبا من العمال يقومون عزمه في خلع الوليد، إلا يوسف، فإنه أشار عليه ألا يفعل، فأقره على عمله، وكتب إليه في خالد بن عبد الله القسري، فلم يزل يوسف يعذبه...." (١)

"منذ أواخر شهر مايو أخذ العاملون في أسواق هونغ كونغ وسنغافورة المالية يحسون بتحركات غير عادية . فمكتب الاستثمارات الكويتية بلندن وهو هيئة مقرها لندن وتدير استثمارات الكويت العالمية الضخمة كان قد أخذ يبيع بعض ممتلكاته الكبرى بلا سبب ظاهر . ولم تكد تمضي بضعه أيام على اجتماع تونس الذي ابتدأ في ١٩ يوليو بدأ المكتب عملية تصفية كاملة لاستثماراته الآسيوية وتحويلها إلى سيولة نقدية . وكان رجال الأعمال الكويتيون يتصرفون بسرعة وبكثير من الحكمة لكي لا تتسرب أخبار أعمالهم فتحدث ما يشبه الانهيار في الأسواق التي تحتل الأموال الكويتية فيها موقعا مهما .

* * *

(١) تاريخ اليعقوبي، ص/٢٤٣

وفي ١٧ يوليو وبينما كان طارق عزيز مجتمعا مع الشاذلي القليبي كان يجري الاحتفال بالعيد السنوي للثورة العراقية . واعتلى صدام حسين المنصة وحوله أعضاء مجلس قيادة الثورة بزيهم العسكري . وجرت العادة كلما ظهر الرئيس أمام الجمهور أن يضرب حصار شبه كامل على بغداد . لكن تدابير الأمن في ذلك اليوم كانت أشد من أي وقت مضى . قال صدام في خطابه الذي أذيع فيما بعد :

" يعود الفضل إلى اسلحتنا الجديدة في أن الامبرياليين لن يستطيعوا بعد الآن شن هجوم عسكري علينا . ولهذا اختاروا شن حرب عصابات اقتصادية بمساعدة عملائهم من زعماء دول الخليج . فسياستهم التي ترمي إلى الابقاء على أسعار البترول المنخفضة **خنجر** مسموم مغروز في ظهر العراق " .

وفي ذلك اليوم نفسه بدأت طلائع القوات العسكرية العراقية بالتحرك باتجاه الحدود الكويتية . وفي وقت متأخر من بعد ظهر ١٨ تموز اجتمعت الوزارة وبدا التوتر على وجوه الوزراء وهم يخرجون من سيارات الليموزين والشمس تنحدر نحو المغيب . فالتهديد كان هناك ، ولا يبعد سوى بضعة أميال ، وتمثل في دبابات ت ٦٢ التي كانت في طريقها إلى بلادهم . ولكن بالرغم من شعورهم بالخطر كان أكثرهم يفضل أن لا يصدق بأن وقت الانقاذ قد فات .." (١)

" فاتقى اكثر الحاضرين وتراجعوا عنه وكاد يفلت وكان رجلا تام المقامة احمر اللون اشقر الشعر سمين الجسم وكان على باب المسجد عشرة من الفرسان على ان ينصروه فاحتسب رجل من اهل اليمن اومن اهل مكة او من غيرها فوجأه **بخنجر** واحتوشه الناس فقتلوه وقطعوه وأحرقوه بالنار وقتل من اتهم بمصاحبته ومعاونته علىذلك المنكر جماعة وأحرقوا بالنار وثارت الفتنة وكان الظاهر من القتلى اكثر من عشرين غير ما اختفى منهم وألحوا في ذلك اليوم على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب وعلي غيرهم في طريق منى الى البلد وفي يوم النفر الثاني اضطرب الناس وماجوا وقالوا انه قد اخذ في اصحاب الخبيث لعنه الله اربعة انفس اعترفوا بانهم مائة بايعوا على ذلك وضربت اعناق هؤلاء الاربعة وتقشر بعض وجه الحجر في وسطه من تلك الضربات وتخشن وزعم بعض الحاج أنه سقط من الحجر ثلاث قطع واحدة فوق آخرى فكأنه يثقب ثلاث ثقب ما يدخل الأنملة في كل ثقبة وتساقطت منه شظايا مثل الاظفار وطارت منه شقوق يمينا وشمالا وخرج مكسره احمر يضرب الى الصفرة محببا مثل الخشخاش فأقام الحجر علي ذلك يومين

---

(١) المفكرة الخفية لحرب الخليج، ص/٣٩

ثم ان بني شيبة جمعوا ما وجدوه مما سقط منه وعجنوه بالمسك والللك وحشوا تلك المواضع وطلوها بطلاء من ذلك فهو بين لمن تأمله وهو على حاله اليوم

ذكر من توفى في هذه السنة من الاكابر

١٤ - عمر بن محمد

ابن عمر ابو علي العلوي سكن بغداد وحدث بها وقد ذكرنا حال ابيه وتوسعه في الدنيا وكان لعمر هذا مال كثير فقبض عليه قرواش بن المقلد وأخذ منه مائة الف دينار وتوفي في هذه السنة واستولى السلطان على اكثر امواله وضياعه

١٥ - دجى بن عبد الله

ابو الحسن الخادم الاسود الخصي مولى الطائع لله كان قريبا منه وخصيصا به ." (١)

"وجفنه للنصال ... وقده للرماح

وريقه للزلال ... وثغره للأقاح

فلو رأى قيس دله ... أنساه حسن المدلة

ولو تمعناه عنتر ... سلا محبة عبلة

لي جنة وحرير ... بخده واحمراره

ونضرة وسرور ... بصدغه واخضراره

أعنبر أم عبير ... يجري بخط عذارة

يحار فيه ابن مقلة ... حماه جفن ومقلة

فذا يجرد خنجر ... وذا يفوق نبله

من حمرة وبياض ... الاجتماع تولد

في وجنة كالرياض ... جنانها الخال أسود

وبالصحاح المراض ... صان النقي من الخد

وكنت أضمرت قلبه ... لذا الجميل الجبلة

بنظرة لي تظهر ... وتلتفي الصدغ غفلة

---

(١) المنتظم، ٩/٨

نخده للهيب ... ونشره للغوالي

وردفه للكثيب ... وجيده للغزال

وعطفه للقضيب ... ووجهه للهلال

قد أطلع الصدغ نمله ... فقلت للقلب نم له

لعل بالصبر تظفر ... بوصله يا موله

جفا الرقاد جفوني ... وبالسهاد ولوعي

والعاديات شجوني ... والنازعات ضلوعي

والذاريات شئوني ... المرسلات دموعي

دمعي من الحب قلة ... والشوق ما فيه قلة

ونار وجدي تسعر ... وأدمعي مستهلة

وقد رأيت موشحة تشبه هذه وزنا وقافية، ولا أدري لمن هي، وهي:

لي مهجة مضمحلة ... وأدمع مستهلة

هذا الغزال المزنر ... عقدت صبري فحله

أما ولام عذار ... من العبير يخط

ومبسم كالنضار ... فيه من الدر سمط

ما إن خلعت عذاري ... في غير حبك قط

ولا رضيت بذلة ... حتى تعشقت دله

وكم تعزز قسور ... أتى رشا فأذله

شكوت ما بي إليه ... فلم يرق لذلي

فقلت لامت حتى ... تصبر في الحب مثلي

وقلت في السر منه ... يا رب لا تستحب لي

يا من جعلني مثله ... ما في البرية مثله

لي أدمع تتحدر ... كالغيث إن دام هطله

قالوا السلو جميل ... فقلت لست بسال

ذروا غرامي يطول ... إلى الرضاب الزلال

وكيف تبقى عقول ... وربنا ذو الجلال

قد صير السحر كله ... في مقلتي خشف

وكل مقلة جوذر ... من حسنه مستمله

وله يعارض كللي:

جللي يا راح كأسى ... ولها كللي

بالحلي وسورها ... ولها خلخلي

من غرر: ... حبابك المنظوم مثل الدرر

يا لخمر: ... كأنه الياقوت فوق الجمر

والزهر: ... في الروض أمثال النجوم الزهر

فانقلي ... من دنك المختوم بالمندل

وارسلي ... طيب الندا مع النسيم الشمأل

قد قدح ... زناد أنوار الطلا في القدح

والترح ... أدبر إذا أقبل منها الفرح

وانشرح ... صدري بها والغم عني سرح

فاجتلى ... لابنه الكرم من جدول

سلسلي ... فقد شدا القمري مع البلبل

ذي الشموس: ... بأيدي الأقمار تحكي الشموس

في الكؤوس: ... بصرفها يصرف هم وبوس." (١)

"وكان على الإسكندرية سورها، فحلف عمرو بن العاص: لئن أظفره الله عليهم ليهدمن سورها حتى يكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان، فخرج إليهم عمرو في البر والبحر، فضموا إلى المقوقس من أطاعه من القبط، وأما الروم فلم يطعه منهم أحد، فقال خارجة بن حذافة لعمرو: ناهضهم قبل أن يكثر مددهم، فلا آمن أن تنتقض مصر كلها، فقال عمرو: لا، ولكن أدعهم حتى يسيروا إلي فإنهم يصيبون من

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٥٢/١

مروا به، فيخزي الله بعضهم ببعض، فخرجوا من الإسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى، فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها، ويأكلون أطعمتها، وينتهبون ما مروا به، فلم يتعرض لهم عمرو، حتى بلغوا نفيوس، فلقوهم في البر والبحر، فبدأت الروم القبط، فرموا بالنشاب في الماء رميا شديدا، حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو في لبته، وهو في البر، فعقر فنزل عنه عمرو، ثم خرجوا من البحر، فاجتمعوا هم والذين في البر، فنفحوا المسلمين بالنشاب، فاستأخر المسلمون عنهم شيئا، وحملوا على المسلمين حملة ولى المسلمون منها، وانهزم شريك بن سمي في خيله، وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف، وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب، فدعا إلى البراز، فبرز إليه رجل من زبيد يقال له: حومل، يكنى: أبا مذحج، فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان، ثم ألقى البطريق الرمح، وأخذ السيف، فألقى حومل رمحه، وأخذ سيفه، وكان يعرف بالنجمة، فجعل عمرو يصيح: أبا مذحج، فيجيبه: لبيك، والناس على شاطئ النيل في البر على تعبيتهم وصفوفهم، فتجاولا ساعة بالسيف، ثم حمل عليه البطريق، فاحتمله، وكان نحيفا فاخترط حومل خنجرا، كان في منطقته أو في ذراعه، فضرب به نحر العلج أو ترقوته، فأثبته ووقع عليه، فأخذ سلبه، ثم مات حومل بعد ذلك بأيام رحمه الله، فرؤي عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشه حتى دفنه بالمقطم، ثم شد المسلمون عليهم، فكانت هزيمتهم، فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية، ففتح الله عليهم، وقتل منويل الخصي، وقتلهم عمرو حتى أمعن في مدينتهم، فكلم في ذلك، فأمر برفع السيف عنهم، وبنى في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجدا، وهو المسجد الذي بالإسكندرية الذي يقال له: مسجد الرحمة، سمي بذلك لرفع عمرو السيف هناك، وهدم سورها كله، وجمع ما أصاب منهم، فجاءه أهل تلك القرى ممن لم يكن نقض، فقالوا: قد كنا على صلحنا، وقد مر علينا هؤلاء اللصوص، فأخذوا متاعنا ودوابنا، وهو قائم في يديك، فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه، وأقاموا عليه البينة، وقال بعضهم لعمرو: ما حل لك ما صنعت بنا، كان لنا أن تقاتل عنا لأنا في ذمتك، ولم ننقض، فأما من نقض، فأبعده الله، فندم عمرو وقال: يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الإسكندرية.

وكان سبب نقض الإسكندرية هذا أن ظلما صاحب إخنا قدم على عمرو، فقال: أخبرنا ما على أحدنا من الجزية، فيصير لها، فقال عمرو، وهو يشير إلى ركن كنيسة: لو أعطيتني من الركن إلى السقف ما أخبرتك. إنما أنتم خزانة لنا إن كثر علينا كثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم، فغضب صاحب إخنا، وخرج

إلى الروم فقدم بهم، فهزمهم الله تعالى، وأسر فأتي به إلى عمرو، فقال له الناس: اقتله، فقال: لا، بل انطلق، فجئنا بجيش آخر وسوره وتوجه وكساه برنس أرجوان، فرضي بأداء الجزية، فقيل له: لو أتيت ملك الروم، فقال: لو أتيته لقتلني، وقال: قتلت أصحابي، وعن أبي قبيل: أن عتبة بن أبي سفيان عقد لعلقمة القطيفي على الإسكندرية، وبعث معه اثني عشر ألفا فكتب علقمة إلى معاوية بن أبي سفيان، يشكو عتبة حين غرر به، وبمن معه، فكتب إليه معاوية: إني قد أمددتك بعشرة آلاف من أهل الشام، وبخمسة آلاف من أهل المدينة، فكان في الإسكندرية سبعة وعشرون ألفا، وفي رواية: أن علقمة بن يزيد كان على الإسكندرية، ومعه اثنا عشر ألفا، فكتب إلى معاوية: إنك خلفتني بالإسكندرية، وليس معي إلا اثنا عشر ألفا ما يكاد بعضنا يرى بعضا من القلة، فكتب إليه معاوية: إني قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة آلاف من أهل المدينة، وأمرت معن بن يزيد السلمي أن يكون بالرملة في أربعة آلاف مسكين بأعنة خيولهم متى بلغهم عنك فزع، يعبروا إليك. قال ابن لهيعة: وقد كان عمرو بن العاص يقول: ولاية مصر جامعة، تعدل الخلافة.." (١)

"و ما حملك على قتله؟ قال: ظلما و عدوانا! فقال: اجلس إلى الارض، فجلس، ثم أعطاني خنجرا و قال: هذا غريمك اقتله كما قتل ولدك، فأخذته و ذبحته، ثم انتبهت من نومي، فلما أصبح النهار سمعت صيحة عظيمة و الناس يقولون: قد أصبح ابن الوزير ذبيحا في فراشه و لم يعرف قاتله، و ذكر العسقلاني قال: أسر ابن عم لي في بلاد المشركين، فطلب الروم في فدائه مالا عظيما، فلم يطق إعطاءه، فأرسلت إليه بأسماء أهل بدر في قرطاس، و أوصيته بحفظهم و التوسل بهم، قال: فأطلقه الله تعالى من غير فداء فلما قدم إلينا سألناه عن ذلك، قال: لما وصلت إلي تلك الورقة التي فيها الأسماء ففعلت كما أمرتني، فاستشأموني فجعلوا يتبايعونني، و كان كل من يشتريني تصيبه مصيبة، فنقصت في الثمن حتى باعوني بسبعة دنانير، فما مضى على من اشتراني غير ثلاثة أيام حتى أصيب بأعظم مصيبة، فأخذ يعذبني
النفحة المسكية فى الرحلة المكية، ص: 202." (٢)

"يعتريني البكاء [و] وددت أني لا أفارقكم ففراقكم أشد علي من فراق روحي، و أتمنى أن تكون لي شيخا لأن هذا التقرير ما وجدته عند (١٥٠ أ) غيرك. و أضافني في بيته و كتب ورقة يودعني فيها و قال:

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٢١٠

(٢) النفحة المسكية فى الرحلة المكية، ص/١٨٠

لتكن عندك فإذا رأيتها تذكرني. و هذا أبو الحسن عمره أربع عشرة سنة له محيا زاهر، و جمال باهر، ما وقع نظري على أحسن منه، و هو فريد الجمال في دمشق مع أن حسن تلك الأقطار مشهور اشتهار الشمس في رابعة النهار. و لما خرجت ودعني إلى الخيام و عيناه تذرفان بالدموع و يقول: ليتني لم أعرفك، وفقه الله لصالح العمل آمين.

و زرت قبر سيدي معاوية الأصغر «١» و قبر ابن الجوزي «٢»، و قبر بهلول المجذوب «٣»، و قبر الصابوني «٤». و لما دعاني السيد أحمد بن نقطة إلى بيته حدثني أن في دارهم الشهداء الشرفاء الثلاثة، و أنه لما عمروا الدار كشفوا عنهم فإذا هم لابسوا دروعهم و واحد منهم على نحره خنجر من خناجر المشركين رضي الله عنهم.

النفحة المسكية فى الرحلة المكية، ص: ٢٦٥

و زرت ذا النون المصري «١» و الشيخ حسن الجباوي «٢» و القطب الغوث الشيخ بهاء الدين «٣»، و قرأت الفاتحة لسيدي أويس القرني [الذي] قيل إنه مدفون في تلك المحلة «٤».

و جاءني و أنا في دمشق كتاب من ولدي الشيخ عبد الرحمن صورته:." (١)

"ولما كان الحادي والعشرون من رمضان قدم الملك العادل من القدس وفي هذا التاريخ وصل كتاب من الديوان العزيز النبوي يذكر فيه قصد الملك المظفر تقي الدين خلاط ويذكر فيه العناية التامة ببكتمر ويشفع في حسن بن قفجاق والتقدم بإطلاقه وكان قد قبض عليه مظفر الدين بن زين الدين بإربل ويتقدم بمسير القاضي الفاضل إلى الديوان لبث حال وفصل أمر وسير الكتاب إلى الفاضل ليقف عليه ويكتب إلى تقي الدين .

ذكر أخبار يزك كان على عكا:

ولصوص دخلوا في خيام العدو

ولما كان الثاني والعشرون أحضر لصوص فرسا وبغلة قد دخلوا إلى خيم العدو وسرقوهما وكان قد رتب رحمه الله ثلاثمائة لص من شلوح العرب يدخلون ويسرقون منهم أموالهم وخيولهم ويسرقون الرجال أحيانا وذلك أنه يكون الواحد منهم نائما فيوضع على حلقه الخنجر ثم يوقظ فيرى الشلح وقد وضع الخنجر على نحره فيسكت ولا يتجاسر أن يتكلم فيحمل وهو على هذا الوضع إلى أن يخرج من الخيم ويؤخذ أسيرا

---

(١) النفحة المسكية فى الرحلة المكية، ص/٢٢١

وتكلم منهم جماعة فنحروا فصار من أصابه ذلك لا يتكلم واختاروا الأسر على القتل وداموا على ذلك مدة طويلة إلى انتظام الصلح .

وفي ذلك اليوم وصل من اليزك من أخبر أنهم خرجوا من عكا يتفسحون وأن اليزك حمل عليهم فأسر منهم أحدا وعشرين نفسا وأن الأسرى أخبروهم بصحة عود الأنكتار إلى عكا وأنه مريض بها وخبروا عن ضعف أهل عكا وفقرهم وقلة الميرة عندهم .

وفي هذا التاريخ وصل للعدو مراكب عدة قيل أنها وصلت من عكا وأن فيها الأنكتار قد عاد بجماعة عظيمة ليقصد عسقلان ويعمرها وقيل يقصد القدس والله اعلم .." (١)

"(وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن خطاب بالهرمزان فإن ذلك باطل فإن كان لم يفعل فالصحابة متوافرون والأمر في أوله وقد قيل : إن الهرمزان سعى في قتل عمر ، وحمل **الخنجر** وظهر تحت ثيابه وكان قتل عبيد الله له وعثمان لم يلي بعد، ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقا لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله، وأيضا فإن أحدا لم يقم بطلبه، وكيف يصح مع هذه الاحتمالات كلها أن ينظر في أمر لم يصح؟) (١)

الرد على التهمة الثامنة عشر :-

(وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع راكب ،أو مع غلامه – ولم يقل أحد قط إنه كان غلامه – إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح . يأمره بقتل حامليه ، فقد قال لهم عثمان : إما أن تقيموا شاهدين على ذلك وإلا فيميني أني ما كتبت ولا أمرت، وقد يكتب على لسان الرجل ، ويضرب على خطه ، وينقش على خاتمه)(٢).وقد قال : شيخ الإسلام بن تيميه(كل ذي علم بحال عثمان يعلم أنه لم يكن ممن يأمر بقتل محمد بن أبي بكر ولا أمثاله ، ولا عرف منه قط أنه قتل أحدا من هذا الضرب ، وقد سعوا في قتله (أي في قتل أمير المؤمنين عثمان) ودخل عليه محمد فيمن دخل وهو لا يأمر بقتالهم دفعا عن نفسه ، فكيف يبتدئ بقتل معصوم الدم)(٣)

حصار عثمان – رضي الله عنه –

---

(١) – العواصم ص -١٠٦ ١٠٨

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص/١٨١

(٢) – العواصم ص١٠٩-١١٠

(٣) – منهاج السنة النبوية (٣ / ١٨٨) نقلا عن حاشية محب الدين الخطيب ص١١٠." [١]

"الله فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع في الطاق فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته – رضي الله عنه – ولما ضربه ابن ملجم قال : لا حكم إلا لله ليس لك يا علي ولا لأصحابك وجعل يتلو قوله تعالى :" ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد "[البقرة : ٢٠٧] ونادى علي : عليكم به وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله وذهب شبيب فنجا بنفسه ومسك ابن ملجم وقدم علي جعده بن هبيرة بن أبي وهب فصلى بالناس صلاة الفجر وحمل علي إلى منزله وحمل إليه عبد الرحمن ابن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف – قبحه الله – فقال له : أي عدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى ، ثم قال علي : إن مت فاقتلوه وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به ، فقال جندب بن عبد الله : يا أمير المؤمنين إن مت نبايع الحسن ؟ فقال : لا أمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ولما احتضر علي جعل يكثر من قول لا إله إلا الله ولا يتلفظ بغيرها . وقد قيل إن آخر ما تكلم به " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"[الزلزلة : ٧، ٨] .

وأما صاحب معاوية – وهو البرك – فإنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم فضربه بالسيف وقيل بخنجر مسموم فجاءت الضربة في وركه ومسك الخارجي فقتل وجاء الطبيب فقال لمعاوية : إن جرحك مسموم فإما أن أكويك وإما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك فقال معاوية : أما النار فلا طاقة لي بها ، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه وانقطع نسله وسلم – رضي الله عنه – ومن يومئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع وجعل الحرس حولها في حال السجود فكان أول من اتخذها معاوية لهذه الحادثة.." [٢]

""""""""" صفحة رقم ١٧٨ """""""

أن المطيع اشتراه من أبي طاهر القرمطي وفيه نظر ؛ لأن أبا طاهر مات قبل خلافة المطيع في سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة بهجر من جدري هلكه فلا رحم الله منه مغرز إبرة على ما ذكره ابن الأثير وغيره . ولما أخذه القرمطي هلك تحته أربعون جملا ولما حمل أعيد إلى مكانه حمل على قعود أعجف فسمن تحته .

---

(١) الوجيز المفيد في تبيان أسباب ونتائج قتل عثمان بن عفان، ص/٢٨

(٢) الوجيز المفيد في تبيان أسباب ونتائج قتل عثمان بن عفان، ص/٧٠

قال المسبحي : كانت مدة كينونة الحجر الأسود عند القرمطي وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام . وفي كتاب " السير " من شرح الطحاوي لأبي بكر الرازي : استحقاق القتل لا يزول عن القرامطة المتسمية بالباطنية لعنهم الله بزعمهم أنهم مقرون بكلمة التوحيد والنبوة ؛ لأنهم ينقضون ذلك للحال بقولهم : إن للشريعة باطنا مرادا غير ما نقلته الأمة ، وكذلك أشباههم من معاير الملحدين . انتهى . قال الذهبي في " العبر " في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة : تقدم بعض الباطنية من البصريين فضرب الحجر الأسود بدبوس فقتلوه في الحال . قال محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي : قام فضرب الحجر ثلاث ضربات . قال : إلى متى يعبد الحجر ؟ ولا محمد ولا علي فيمنعني محمد مما أفعله ، فإني اليوم أهدم هذا البيت . فالتفاه أكثر الحاضرين وكان أن يفلت ، وكان أحمر أشقر جسيما طويلا ، وكان على باب المسجد عشرة فوارس ينصرونه فاحتسب رجل ووجأه بخنجر ، ثم تكاثروا عليه فهلك وأحرق ، وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته واختبط الوفد ، ومال الناس على ركب البصريين بالنهب ، وتخشن وجه الحجر وتساقط منه شظايا يسيرة وتشقق ، وظهر مكسره أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل الخشخاش ، فأقام الحجر على ذلك يومين ثم إن بني شيبة جمعوا الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوا الشقوق وطلوها بطلاء من ذلك فهو بين لمن تأمله . وذكر ابن الأثير : أن هذه الحادثة كانت في سنة أربع عشرة وأربعمائة . وذكر المسبحي : أن نافع بن محمد الخزاعي دخل الكعبة فيمن دخلها للنظر إلى الحجر الأسود لما كان في الكعبة بعد رد القرامطة له ، وأنه تأمل الحجر الأسود فإذا." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٢٣ """""""""

ذكر وفاة عمر رضي الله عنه

: يروى أنه خرج يطوف بالسوق بعد حجته فلقيه أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام للمغيرة بن شعبة وكان نصرانيا ، وقيل : مجوسيا ، أعدا علي المغيرة بن شعبة فإن علي خراجا كثيرا ، قال : فكم خراجك ؟ قال : درهمان في كل يوم ، قال : فإيش صناعتك ؟ قال : نقاش نجار حداد . قال : فما أرى خراجك كثير على ما تصنع من الأعمال ، ثم قال له : وبلغني أنك قلت : لو أردت أن أعمل رحى يتحدث بها من بين المشرق والمغرب ثم انصرف ، فقال عمر : لقد توعدني العلج آنفا ، ثم أتى عمر منزله فجاءه كعب الأحبار فقال : يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام ، فقال : وما يدريك ؟ فقال : أجد في كتاب الله التوراة

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ص/١٧٨

، فقال عمر : الله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ، قال : اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وإنه قد فنى أجلك ، فلما كان من الغد جاءه كعب فقال : يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان ، ثم جاءه بعد ذلك فقال : ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبحها ، فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده **خنجر** له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات ، إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته وسقط عمر ، وظهر العلج لا يمر على أحد يمينا أو شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة ، وقيل : ستة ، وطرح عليه رجل من المسلمين برنسا واحتضنه من خلفه فنحر العلج نفسه ، وأخذ عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فصلى بالناس بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون ، وحمل عمر إلى منزله ودخل عليه المهاجرون والأنصار يسلمون عليه ، ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول : وواعدني كعب ثلاثا أعدها . . . ولا شك أن القول ما قاله كعب وما بي حذار الموت إني لميت . . . ولكن حذار الذنب يتبعه ذنب طعن يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد حجة تلك السنة ، وقيل : طعن يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وقيل : لثلاث ليال بقين من ذي الحجة ، وبقي ثلاثة أيام بعد الطعنة ثم توفي ، واستأذن عائشة رضي الله عنها أن يدفن مع صاحبيه فأذنت له ، وقالوا له : أوصى استخلف ، فقال : ما أجد أحدا أولى ولا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذي توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو عنهم راض فسمي عثمان وعليا والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن بن عوف فهم أهل." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٨٣ """"""""

وهؤلاء بنو سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة ولد سعد بن ليث : غيرة ، بطن ؛ وحميس ؛ وجدى ؛ وعوف . منهم : أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حميس بن جدى بن سعد بن ليث ، آخر من بقي ممن رأى رسول الله - (صلى الله عليه وسلم) - ، مات سنة ١٠٧ ؛ وابنه الطفيل ، قتل مع ابن الأشعث ؛ وإياس ، وخالد ، وعاقل ، وعامر ، بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث ، كلهم بدريون مهاجرون - رضي الله عنهم - ؛ وابن أخيهم كليب بن قيس بن بكير الجزار ، الذي قتله أبو لؤلؤة حين قتله لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وجده وهو يتوضأ للصلاة ؛ فطعنه **بالخنجر** الذي طعن به عمر ، فقتله . ومنهم : إبراهيم بن هارون بن شييم بن البياع بن عبد ياليل بن ناشب

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ص/٣٢٣

بن غيرة بن سعد ، أحد المحاصرين لعثمان – رضي الله عنه ؛ وواثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل ، له صحبة .

مضى بنو سعد بن ليث .

وهؤلاء بنو جندع بن ليث

منهم : الشاعر أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله سربال الموت بن زهرة ابن زبينة بن جندع ؛ وأخوه أبي بن حرثان ؛ وأمية هذا هو الذي تفجع على ابنيه كلاب وابي ، إذ هاجرا إلى البصرة ؛ وهو القائل :

لمن شيخان قد نشدا كلابا . . . كتاب الله لو حفظ الكتابا

الأبيات ؛ وأمير خراسان ، نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة بن." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٩٥ """"""""

ربيعة " بالتصغير " بن عبيد بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين ، قاتل عتيبة بن الحارث بن شهاب ، فارس بني تميم في الجاهلية ؛ وبنو ذي الخمار ، وهو عوف بن ربيع بن حارثة بن ساعدة بن جذيمة بنمالك ، ولهم بالجزيرة شرف ؛ وأبو سمال سمعان بن هبيرة بن فروة بن عمرو بن عبيد بن سعد بن جذيمة ابن مالك بن نصر بن قعين ، الذي شرب الخمر مع النجاشي بالكوفة ؛ وجراح بن سنان ، الذي وجأ الحسن بن علي – رضي الله عنه – **بالخنجر** في مظلم ساباط .

وهؤلاء بنو عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان

ولد عمرو بن قعين : طريف ، والصيداء ، وكعب ، وهو دبير : حمل على ظهره حملا فدبر ، فسمي بذلك ؛ وله بقية .

ومن بني الصيداء بن عمرو : الحارث بن ورقاء بن سويط بن الحارث بن نكرة ابن نوفل بن الصيداء بن عمرو بن قعين ، الذي مدحه زهير بن أبي سلمى ؛ والصامت بن الأفقم بن الحارث بن نكرة ، قاتل ربيعة بن مالك بن كلاب ، والد لبيد الشاعر : وقيس بن مسهر بن خليد بن جندب بن منقذ بن جسر ابن نكرة بن نوفل بن الصيداء ، أرسله الحسين – رحمه الله – إلى الكوفة ، فأخذه عبيد الله بن زياد ، فأمره بلعن الحسين ؛ فلعن ابن زياد ؛ فأمر به ، فرمي من فوق القصر ، فمات ، رحمه الله ، ولعن ابن زياد . ولبني الصيداء بطون جمة .

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ١٨٣/١

وولد طريف بن عمرو بن قعين : فقعس ، ومنقذ ، وأعيا ، وهو الحارث ، وقيس ، فمن ولد منقذ بن طريف : الشاعر المشهور عبد الله بن الزبير ابن الأسيم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ بن طريف ؛ ومن ولده كان أبو أحمد الزبيري المحدث المشهور . فولد فقعس : حجوان ؛ ودثار ، الذي يقول فيه امرؤ القيس :." (١)

"" عثمان بن عفان " ويكنى أبا عمرو. بويع له لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلث وعشرين للهجرة. قيل لما ضرب أبو لؤلؤة عمر **بالخنجر** وشرب اللبن فخرج من جراحه فقالوا له: اعهد إلى من تكون الخلافة بعدك. قال: لو كان سالم حيا لم أعدل به. قيل له: هذا علي بن طالب وقد تعرف قرابته وتقدمه وفضله. قال: فيه دعابة أي مزاح. قيل: فعثمان بن عفان. قال: هو كلف بأقاربه. قيل: فهذا الزبير بن العوام حواري النبي عليه السلام. قال: بخيل. قيل: فهذا سعد. قال: فارس مقنب. والمقنب ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل. قيل: فهذا طلحة ابن عم أبي بكر الصديق. قال: لولا بأو فيه أي كبر وخيلاء. قيل: فابنك. قال: يكفي أن يسأل واحد من آل الخطاب عن إمرة أمير المؤمنين. ولكن جعلت هذا الأمر شورى بين ستة نفر وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص إلى ثلاثة أيام. فلما دفن عمر جاء أبو عبيدة إلى علي بن أبي طالب فقال له: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وسنة الشيخين. قال: أما كتاب الله وسنة نبيه فنعم. وأما سنة الشيخين فأجتهد رأي. فجاء إلى عثمان فقال له: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وسنة الشيخين. قال: اللهم نعم. فبايعه أبو عبيدة والجماعة ورضوا به. وأول ما فتح في خلافته ماه البصرة وما كان بقى من حدود أصفهان والري على يد أبي موسى الأشعري. ثم بعث عثمان عبد الله بن عامر إلى اسطخر وبها يزدجرد. فركب المفازة حتى أبي كرمان وأخذ على طريق سجستان يريد الصين. وجاء مجاشع إلى سجستان. ثم انصرف لما لم يدرك يزدجرد وعاد إلى فارس.فاشتد خوف يزدجرد واستمد طرخان التركي لنصرته. ولما ورد استخف به وطرده لكلام تكلم به الترك. وعند انصرافهم أرسل ماهويه مرزبان مرو وكان قد خامر على يزدجرد إلى طرخان أن: كر عليه فاني ظاهرك. فكر طرخان على يزدجرد. فولى يريد المدينة. فاستقبله ماهويه فمزقه كل ممزق. وقيل أن يزدجرد انتهى إلى

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ١/١٩٥

طاحونة بقرية من قرى مرو فقال للطحان: اخفني ولك منطقتي وسواري وخاتمي. فقال للرجل: إن كرى الطاحونة كل يوم أربعة دراهم. فإن اعطيتنيها عطلتها وإلا فلا. فبينا هو في راجعته إذ غشيته الخيل فقتلوه. وانتزع عثمان عمرو بن العاص عن الإسكندرية وأمر عليها عبد الله بن مسعود أخاه لأمه. فغزا إفريقية وغزا معاوية قبرص وأنقرة فافتتحها صلحا. ثم أن الناس نقموا على عثمان أشياء منها كلفه بأقاربه. فآوى الحكم بن العاص بن أمية طريد النبي عليه السلام. وأعطى عبد الله بن خالد أربعمائة ألف درهم. وأعطى الحكم مائة ألف درهم. ولما ولي صعد المنبر فتسنم ذروته حيث كان يقعد النبي عليه السلام. وكان أبو بكر ينزل عنه درجة وعمر درجتين. فتكلم الناس عن ذلك وأظهروا الطعن. فخطب عثمان وقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وامنعه ممن شئت. فأرغم الله انف من رغم انفه. فقام عمار بن ياسر فقال: أنا أول من رغم أنفه. فوثب بنو أمية عليه وضربوه حتى غشي عليه. فحنقت العرب على ذلك وجمعوا الجموع ونزلوا فرسخا من المدينة وبعثوا إلى عثمان من يكلمه ويستعتبه ويقول له: إما أن تعدل أو تعتزل. وكان أشد الناس على عثمان طلحة والزبير وعائشة. فكتب عثمان إليهم كتابا يقول فيه: إني أنزع عن كل شيء أنكرتموه وأتوب إلى الله. فلم يقبلوا منه وحاصروه عشرين يوما. فكتب إلى علي: أترضى أن يقتل ابن عمك ويسلب ملكك. قال علي: لا والله. وبعث الحسن والحسين إلى بابه يحرسانه. فتسور محمد ابن أبي بكر مع رجلين حائط عثمان فضربه أحدهم بغتة بمشقص في أوداجه وقتله الآخر والمصحف في حجره وذلك لعشر مضين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة بالتقريب وعمره نيف وثمانون سنة.." (١)

"ولاشك أن ترك تلك الأعمال فى أيدى أبناء البلاد المفتوحة كان

مبعث ارتياح لهم، فاطمأنوا للحكم الإسلامى، بل أخذوا يعتنقون

الإسلام، ويتعلمون اللغة العربية.

استشهاده:

فى يوم الأربعاء الموافق ٢٦ من شهر ذى الحجة سنة ٢٣هـ وبينما

«عمر بن الخطاب» يسوى صفوف المسلمين فى صلاة الفجر كعادته

كل يوم، وبدأ ينوى مكبرا للصلاة، إذا بأبى لؤلؤة المجوسى يسدد

للخليفة عدة طعنات **بخنجر** مسموم، فقطع أمعاءه، وسقط مغشيا

---

(١) تاريخ مختصر الدول، ص/٥٤

عليه، واضطرب المسلمون فى الصلاة اضطرابا شديدا من هول المفاجأة، وأقبلوا على القاتل محاولين القبض عليه، لكنه أخذ يضرب شمالا ويمينا بدون هدى، فأصاب اثنى عشر من الصحابة، مات ستة منهم، ثم أتاه رجل من خلفه وألقى عليه رداءه وطرحه أرضا فلما أيقن «أبو لؤلؤة» أنه مقبوض عليه لا محالة، طعن نفسه **بالخنجر** الذى طعن به أمير المؤمنين، ومات على الفور قبل موت الخليفة نفسه ومات معه السر الخفى الذى دفعه إلى هذه الجريمة البشعة.

حمل المسلمون الخليفة إلى بيته، وظل فاقد الوعى فترة طويلة، فلما أفاق كان أول سؤال سأله للمسلمين: هل صليتم الصبح؟ قالوا: نعم، قال: الحمد لله، لا إسلام لمن ترك الصلاة، ثم سأل: من الذى قتلنى؟ قالوا: «أبو لؤلؤة» غلام «المغيرة بن شعبة». قال: الحمد لله الذى جعل منيتى على يد رجل كافر، لم يسجد لله سجدة واحدة يحاجنى بها عند الله يوم القيامة.

المؤامرة:

كان «أبو لؤلؤة» غلاما مجوسيا، أسر فى معركة «نهاوند»، ووقع من نصيب المغيرة بن شعبة، وكان يجيد حرفا كثيرة كالحدادة والنجارة، وكان سيده يتركه يعمل ويأخذ منه درهمين فى اليوم.

فاشتكى إلى أمير المؤمنين «عمر» مستكثرا الدرهمين، فسأله «عمر» عن صناعته، فأخبره، فقال: لا أرى ذلك كثيرا، وكانت تلك المهن رائجة فى ذلك الوقت وتدر عليه مالا وفيرا، فحقدها العبد المجوسى وعزم على قتله.

هذا هو السبب الظاهر الذى روته كتب التاريخ والسير، لكنه لا يقنع." (١)

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ١/١٠٤

"وحده بارتكاب جريمة خطيرة كهذه، فالأمر أكبر من ذلك وأبعد مدى، ووراءه تدبير واسع ومؤامرة محكمة نسجت خيوطها فى بلاد فارس وكان فيها «أبو لؤلؤة» أداة تنفيذ فحسب، وكان هو مستعدا بتكوينه للقيام بها، فقد روى عنه أنه كان كلما رأى أسرى بلاده فى «المدينة»، يقول: «أكل عمر كبدى»، لأن «عمر» هو الذى أزال دولة الفرس وأنزل الأكاسرة من على عروشهم.

ولم تكن الجريمة فارسية فقط باشتراك «أبى لؤلؤة»، و «الهرمزان» الذى كان أميرا فارسيا وأسر فى إحدى الحروب وجاء إلى «المدينة» وأظهر الإسلام، بل كانت يهودية باشتراك «كعب الأحبار»، ونصرانية باشتراك «جفينة».

وكان «كعب الأحبار» يهوديا ادعى الإسلام، جاء إلى «عمر» قبل طعنه بثلاثة أيام، وقال له: يا أمير المؤمنين اعهد – أى اختر لك خلفا يعقبك فى الحكم – فإنك ميت بعد ثلاثة أيام، فتعجب «عمر» وسأله كيف عرفت ذلك؟ قال: أجده فى التوراة، فقال «عمر»: يا سبحان الله! هل تجد «عمر بن الخطاب» مذكورا فى التوراة، قال: أجدك بصفتك. لكن «عمر» لم يعط لهذا الحديث اهتماما، فهل كان «كعب الأحبار» على علم بما دبره «أبو لؤلؤة المجوسى» وبقية شركائه؟

يقول الدكتور «هيكل»: «لابد إذا أن يكون كعب الأحبار عرف بسر ماكان يجرى، فوجه النذير إلى «عمر»، وأغفل «عمر» أمر هذا النذير .. فحدث ما حدث، ونذير «كعب» وطعنات «أبى لؤلؤة» تدل على أن فى الأمر سرا لم يظهر ساعة ارتكاب الجريمة؛ لكنه ظهر من بعد».

أما «الهرمزان» و «جفينة» فأمرهما أوضح من أمر «كعب الأحبار»، واشتراكهما فى الجريمة لا لبس فيه، فقد شهد «عبدالرحمن بن عوف»

أنه رأى الخنجر الذى طعن به «عمر» مع «الهرمزان» و «جفينة» فى اليوم السابق ليوم الجريمة، وسألهما ماذا يصنعان به؟ فقالا: نقطع به اللحم، وشهد «عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق» أنه مر فى الليلة التى طعن «أبو لؤلؤة» «عمر» فى صبيحتها فى أحد طرق." (١)

"«المدينة»، فوجد «أبا لؤلؤة» و «الهرمزان» و «جفينة» يتناجون – يتحدثون سرا – فلما طلع عليهم فجأة، قام «أبو لؤلؤة» مرتبكا، فسقط منه الخنجر نفسه الذى طعن به «عمر».

ومما يؤكد أن قتل «عمر بن الخطاب» كان مؤامرة انتحار «أبى لؤلؤة» نفسه، فليس هناك رجل يقدم على عمل كهذا من أجل بضعة دراهم، حتى لو رأى أن «عمر» لم ينصفه، فقد كان بإمكانه أن يعاود الشكوى ويأخذ حقه، ولكن العبد المجوسى ملئ حقدا، وأوعز عليه فأقدم على جريمته إقدام من يؤمن بأنه يقوم بعمل بطولى يستحق أن يدفع من أجله حياته.

وهناك أمر آخر يؤكد المؤامرة، وأنها نسجت خيوطها فى بلاد فارس نفسها، وهو ثورة معظم بلاد فارس على المسلمين، ونقض معاهدات الصلح، التى وقعها معهم الفاتحون المسلمون، فور سماعهم خبر مقتل «عمر»، وكأنهم كانوا ينتظرون ذلك بصبر نافد؛ لأنهم ظنوا أن وفاة «عمر» هى فرصتهم لإعادة الأمور إلى ماكانت عليه قبل الفتوحات.

تفكير عمر فى أمر الخلافة ووفاته:

أيقن «عمر بن الخطاب» بعد طعنه أنه لم يبق من عمره سوى ساعات، وكذلك أيقن المسلمون، ولذا ألحوا عليه أن يختار لهم من يخلفه فيهم، فرشح لهم ستة من الصحابة، هم بقية العشرة المبشرين

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ١/١٠٥

بالجنة، يختارون من بينهم واحدا للخلافة، ومع أن ابن عمه «سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل» واحد من العشرة المبشرين بالجنة، فقد استبعده من الترشيح، خوفا أن يقع عليه الاختيار لقرابته منه، كما استبعد ابنه «عبد الله» من الترشيح تماما، بل رد على من اقترح عليه ترشيحه ردا قاسيا، إبعادا لشبهة الوراثة عن نظام الحكم الإسلامى، وجعل الأمر فى يد الأمة تختار الأصلح ليتولى أمرها.

قال «عمر» لهم: «عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: إنهم من أهل الجنة، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم، ولست مدخله فيهم، ولكن الستة، هم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص،." (١)

"بين القتلى ليطعنه **بخنجر** فيقتله على الفور، ويستشهد فى ساحة الجهاد، وهو يبلغ من العمر (٦٥) عاما. عرف الأمير «مراد الأول» بالعدل، وبمعاملة رعيته من أهل الذمة معاملة حسنة، وبكثرة المعارك التى حالفه فيها النصر، حتى إنه دخل (٧٣) معركة فى «الأناضول» وفى «البلقان» خرج منها جميعا مظفرا، كما أنه تسلم الدولة من أبيه ومساحتها نحو (٩٥٠٠٠كم٢)، وتركها عند استشهاده وهى تبلغ (٥٠٠٠٠٠ كم٢)، أى أنها زادت فى مدى (٢٩) سنة أكثر من خمسة أمثالها حين تسلمها من أبيه.." (٢)

"ويدفعون خراجا –إيجارا – للدولة، تنفق منه على الجيش والمرافق العامة، كما أمر بإعادة مسح الأرض – أى قياسها واختبارها – ووضع الخراج المناسب عليها. حسب جودة الأرض. وهو أول من

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ١٠٦/١

(٢) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ١٦٤/١٠

قنن الجزية على أهل الذمة، فوضع على الأغنياء ثمانية
وأربعين درهما للفرد الواحد فى السنة، وعلى متوسطى الحال
أربعة وعشرين درهما، وعلى الفقراء القادرين على الكسب
اثنى عشر درهما، وأعفى منها الشيوخ والنساء والأطفال
ورجال الدين والعاجزين عن الكسب، وقد سبق القول إنه فرض
للعاجزين عن الكسب من أهل الذمة عطاء من بيت المال. وكما
ترك «عمر بن الخطاب» الأرض لأهلها يزرعونها؛ ترك معظم
الدواوين – وبخاصة «ديوان الخراج» – فى أيدى أبناء البلاد
المفتوحة يزاولونها بلغاتها؛ لأنها كما يقول العقاد: «ليست من
أسرار الدولة، وليس من الميسور أن ينصرف إليها فتيان العرب
عما هو أولى بهم، وهو فرائض الدفاع والجهاد». ولاشك أن
ترك تلك الأعمال فى أيدى أبناء البلاد المفتوحة كان مبعث
ارتياح لهم، فاطمأنوا للحكم الإسلامى، بل أخذوا يعتنقون
الإسلام، ويتعلمون اللغة العربية. استشهاده: فى يوم الأربعاء
الموافق ٢٦ من شهر ذى الحجة سنة ٢٣هـ وبينما «عمر بن
الخطاب» يسوى صفوف المسلمين فى صلاة الفجر كعادته كل
يوم، وبدأ ينوى مكبرا للصلاة، إذا بأبى لؤلؤة المجوسى يسدد
للخليفة عدة طعنات **بخنجر** مسموم، فقطع أمعاءه، وسقط
مغشيا عليه، واضطرب المسلمون فى الصلاة اضطرابا شديدا من
هول المفاجأة، وأقبلوا على القاتل محاولين القبض عليه، لكنه
أخذ يضرب شمالا ويمينا بدون هدى، فأصاب اثنى عشر من
الصحابة، مات ستة منهم، ثم أتاه رجل من خلفه وألقى عليه
رداءه وطرحه أرضا فلما أيقن «أبو لؤلؤة» أنه مقبوض عليه لا

محالة، طعن نفسه **بالخنجر** الذى طعن به أمير المؤمنين، ومات على الفور قبل موت الخليفة نفسه ومات معه السر الخفى الذى." (١)

"ولا يستطيع الباحثون عن جذور الحروب الصليبية التى حدثت فيما بعد أن يتجاهلوا دور هذه المعركة (ملاذكرد) فى تهيئة الظروف التى أدت إلى هذه الحروب.

مقتل ألب أرسلان وانتقال السلطة إلى ابنه ملكشاه:

فى أوائل عام (٤٦٥هـ = ١٠٧٣م) توجه «ألب أرسلان» إلى بلاد «ما وراء النهر» لتأديب أمير «بخارى» الثائر «شمس الملك نصر»، وبينما هو فى طريقه جاءوا إليه بأمير إحدى القلاع، واسمه «يوسف الخوارزمى» مقيدا بسبب عصيانه، وأغلظ «يوسف» القول للسلطان، فطلب «ألب أرسلان» فك قيوده ليقتله بنفسه، ولكن «يوسف» كان أسرع من السلطان فطعنه **بخنجر** كان معه، فمات السلطان «ألب أرسلان» بعد أيام متأثرا بجراحه فى (١٠ من ربيع الأول سنة ٤٦٥هـ = أواخر نوفمبر سنة ١٠٧٢م)، وعمره أربعون أو خمس وأربعون سنة.

وقد كان «ألب أرسلان» – بإجماع المؤرخين – من عظماء سلاطين «السلاجقة»، وكان قائدا عسكريا من الطراز الأول، وسياسيا محنكا وحاكما عادلا، فلم يتجاوز فى جمع الأموال من الرعية، وكان كثير الصدقات خاصة فى رمضان، بارا بأهله وأصحابه ومماليكه، شهما ذا مروءة، ولم يكن يسمح للدسائس أن تعرف طريقها إليه، فقد حاول أحد الوشاة مرة أن يفسد ما بينه وبين وزيره «نظام الملك»، فكتب له كتابا يبين له فيه ما يرتكبه الوزير من مخالفات، وتركه له على مصلاه فعندما أخذه «ألب أرسلان» وقرأ ما فيه، سلمه إلى «نظام

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٩٢٩/١٠

الملك» وقال له: خذ هذا الكتاب، فإن صدقوا فى الذى كتبوه، فهذب أخلاقك، وأصلح أحوالك، وإن كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس.

وعقب وفاة «ألب أرسلان» تولى السلطنة ابنه «ملكشاه» بعهد من أبيه، وتولى «نظام الملك» أخذ البيعة له، وأقره الخليفة «القائم بأمر الله» على السلطنة.

استمرار نظام الملك فى الوزارة واتساع نفوذه فى عهد ملكشاه:

لم يكتف «ملكشاه» بإقرار «نظام الملك» فى الوزارة كما كان فى." (١)

"السلاح التى كان يطلق عليها اسم «السلاح خانة»، ثم يستعرضهم السلطان بنفسه وهو بلباس الحرب، وهو ما يعرف باسم «النفير»،

فإذا مااستعرض السلطان الجند وتفقد أحوالهم وسلاحهم، اختار من كبار قواده قائدا يسير على رأس الحملة الحربية، وقد جرت العادة أن يتخذ القائد مركزه فى القلب؛ حتى يراه جميع جنوده، وينفذوا أوامره، أو يتخذ مركزه فى المقدمة ليثير الحماسة فى نفوسهم، ويلقى الرعب فى قلوب أعدائه.

كان المماليك يأخذون فى حروبهم بطريقة قتال الصفوف التى يقف فيها الجندى بجانب زميله حتى يكاد يلتصق به كما يحدث فى صفوف الصلاة، ويسير الجنود على هذا النحو حتى يصلوا إلى حيث استقر العدو فينازلوه ويناجزوه، وكان الخليفة - أحيانا - يصحب الجيوش فى حملاتهم ليحث الجنود على الجهاد، ويبث الروح الدينية فى نفوسهم.

اعتمد المماليك على الخيل فى حروبهم، لذا عنوا بها عناية فائقة، حتى صارت الفروسية فى عهدهم فنا عظيم الشأن، أفردوا لدراسته

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٧٦/٣

الكتب والرسائل العديدة التى مازالت موزعة بين خزائن المخطوطات
فى العالم حتى الآن، وكذلك تعددت أسلحتهم الحربية، فكان منها:
«السيف»، و **«الخنجر»**، و «الطبر»، و «البلطة»، و «الفأس»،
و «القوس»، و «السهم»، و «المقلاع»، و «المنجنيق»، «والدبابات ذات
الخيول»، و «الصنبور»، و «القلاع المتحركة»، و «النار اليونانية»،
وجعلوا لهذه الأسلحة على اختلاف أنواعها دارا تحفظ وتخزن فيها
أطلقوا عليها اسم: «الزرد خانة»، أو «السلاح خانة»، أى بيت
السلاح، وجعلوا رئاسة هذه الدار لأحد أمراء المائتين، وأطلقوا عليه
لقب: «أمير السلاح»، وجعلوا جماعة من الموظفين عرفوا باسم
«السلاح دارية» لمعاونة الأمير فى مهام عمله، وكذلك كان يعمل
بالدار جماعة من الصناع عرفوا باسم: «الزردكاش»، ومعناها: صانع
الزرد، لصناعة وصيانة الأسلحة، واختص كل منهم بنوع معين من
أنواع السلاح.
لقد ظل المماليك محافظين على صنعتهم الحربية حتى بعد أن ضعف." (١)
"ثم فتح أراضى الدولة البيزنطية فى «البلقان»، حتى أصبحت
«القسطنطينية» عاصمة البيزنطيين محاصرة تماما بالأراضى
العثمانية، ونتيجة لتلك الفتوحات صارت الدولة العثمانية متاخمة لكل
من «الصرب» و «البلغار» و «ألبانيا».
وأدى هذا النشاط العثمانى إلى انزعاج أوربا وازدياد قلقها، فكتب
أمراء تلك المناطق إلى ملوك أوربا الغربية وإلى البابا يستنجدون
بهم ضد المسلمين، فقام البابا بالدعوة إلى قيام حرب صليبية جديدة،
غير أن ملك الصرب هاجم «أدرنة» عاصمة العثمانيين وكان «مراد»
غائبا عنها، فلما علم بأخبار هذا الهجوم عاد بجيشه ليحارب الصرب،

---

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٩٤/٥

ونجح فى إلحاق الهزيمة بهم.
ثم قام ملك الصرب – الجديد وقتها – بعقد حلف عسكرى مع أمير «بلغاريا» لمحاربة العثمانيين، فلما قامت الحرب بينهما هرب أمير البلغار من المعركة، ثم اصطلح الطرفان الصربى والبلغارى مع الدولة العثمانية، نظير جزية سنوية يقدمانها له، لكن الصرب نقضوا عهدهم فأقام ملكهم تحالفا صليبيا مع «ألبانيا» ضد العثمانيين، والتقى الفريقان فى مكان يسمى «قوصوة» سنة (١٩٧هـ= ٩٨٣١م) حيث دارت معركة من أعظم معارك الإسلام، انتصر فيها العثمانيون، وهزم الصرب هزيمة منكرة، وقتل ملكهم.
وعقب انتهاء المعركة قام الأمير «مراد» بتفقد ساحة المعركة، وكان الليل حالك السواد، والهلال والنجوم فى السماء، وساحة المعركة مدرجة بالدماء، فأوحى ذلك بفكرة العلم العثمانى كما يقال، فجاء علما أحمر الأرضية يذكر بالدماء التى ملأت أرض «قوصوة» ويزين العلم الهلال والنجوم، ولايزال علم تركيا على هذه الصورة حتى الآن.
وأثناء تفقد الأمير المنتصر «مراد» ساحة القتال؛ إذا بصربى جريح يقوم من بين القتلى ليطعنه **بخنجر** فيقتله على الفور، ويستشهد فى ساحة الجهاد، وهو يبلغ من العمر (٦٥) عاما.
عرف الأمير «مراد الأول» بالعدل، وبمعاملة رعيته من أهل الذمة." (١)

"وجريا على عادة أغلب الحكام الجدد غير ذوي الدم الملكي الموروث، تعمد نفرحوتب أن يظهر تقواه وعلمه أمام أفراد شعبه لكي يؤكد لهم أنه لا يقل عن ورثة البيوت المالكة القديمة حرصا على التراث المجيد، فسجل باسمه نصا طريفا، تحدث فيه عن رغبته الملحة في أن يزور مكتبة معبد الإله أتوم في مدينة عين شمس ليطلع في وثائقها القديمة على الصورة الأصلية لإله الغرب أوزير وهيئة جسده وأطرافه، حتى يوصي رجاله بصنع تماثيله على منوالها. وروى كيف أفضى برغبته هذه إلى رجال حاشيته العلماء

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٤/٨

فاصطحبوه إلى المكتبة حيث فتح الوثائق بنفسه وعرف منها ما لم يعرفه غيره١.ثم حضر الملك نفسه عبد المعبود أوزير في أبيدوس، وجمع كهنته وأوصاهم بعدم التهاون في مراسيم معبدهم وطقوسه، وقال لهم بعد حديث قصير: " ... أنا الملك، عظيم البأس، شديد الإدارة، لن يحيا من يعاديني، ولن يتنفس الهواء من يتآمر ضدي، لن يبقى له اسم بين الأحياء، ولسوف تزهق روحه أمام الموظفين يطرد من عند هذا الإله هو ومن لا يهتمون بأمر جلالتي ومن لا يعملون بأمر جلالتي ... "٢. ولم تكن نغمة التهديد هذه معهودة من فراعنة العهود المصرية المستقرة، ولم يكن من داع لذكرها بين الكهنة ما لم تكن قد أحاطت بصاحبها الذي ولي العرش بمجهوده حركات عصيان أجبرته على أن يردد تهديده ووعيده في كل مناسبة تسنح له ولو في وسط الكهان وداخل أروقة المعابد.

وظهر من أسماء خلفاء نفر حوتب على العرش، اسم **خنجر**، وهو اسم غريب بعض الشيء عن الأسماء المصرية المألوفة، وتسمى به ملك أو ملكان، وقص كاهن من معاصري **خنجر** "الأول؟ "، يدعى "أميني سنب" قصة طريفة تكشف عن بساطة العلاقات بين الحكام والمحكومين في عهده، وقال فيها: "أتاني كاتب الوزير وهو ولده سنب، ودعاني باسم والده، فذهبت معه ووجدت الوزير محافظ العاصمة عنخو في ديوانه، فأصدر إلي أمرا قائلا: تقرر أن تتولى ترميم معبد أبيدوس وسوف يصحبك الفنانون لإنجاز هذه المهمة ويصحبك كهنة مخزن القرابين بالمنطقة ... وقام أميني سنب بمهمته ولقي جزاءه الذي ختم روايته عنه بقوله "وهكذا حققت أملي، ورضي الرب عني، وأثنى الملك علي".

وظلت قصور ملوك هذه الفترة عامرة بموظفيها وحشمها وخدمها ومراضعها وجواريها، وبأهل الموسيقى والطرب وجماعات الصناع والعمال، فضلا عن سكانها من الأمراء والأميرات. وكانت تجري عليهم جميعهم رواتب مقررة، احتفظ سجل يومي من عهد ملك يدعى "أمنمحات سوبك حوتب" بصورة لها ضمنها تفاصيل الدخل والخرج يوما بيوم لفترة اثني عشر يوما. ويفهم من هذا السجل أن مخصصات القصر كانت نوعين: مخصصات دائمة تكلف بأدائها ديوان رأس الجنوب وديوان مدفوعات الناس والخزانة، ومخصصات طارئة غطت مصاريف المكافآت، والحفلات الخاصة، وكان الوزير أو من ينوب عنه هو المسئول عنها٣. وكانت واردات القصر ومصروفاته، على الرغم من كثرة الحفلات والمكافآت التي تحدث السجل عنها في فترة الاثنى عشر يوما، هزيلة تنم عن فقر الملكية في عهدها قياسا إلى الثراء الواسع الذي اشتهرت به ملكية الأسرة الثانية عشرة وملكيات الدولة القديمة.

١ Mariette, Abydos, Ii, 28-30; Breasted, Op. Cit., I, 755.; Max Pieper, Die Grosse Inschrift Des Koenigs Neferhotep, 1929.

٢ Mc Iver, El-Amrah And Abydos, Pl. XXXIX.

٣ Pap. Boulaq XVIII; Zaes, XXIII, 56 F.; XXIX, 100 F.; LVII. 46. 70.." (١)

"ختم رسالته بقوله: وهل إذا طلب الملك امرأتي أستطيع أن أمنعها؟ وإذا كتب إلي أن اضرب قلبك **بخنجر** ومت، فهل أخالف أمر مولاي؟ "١. وعندما لقي لابآيو حتفه خلفه في الشر والنفاق ولداه.

وتوالت الرسائل على آخناتون تفيض نفاقا، فأصبح لا يعرف المخلص منها من المخادع، فبينما كتب إليه أحد الحكام يشكو إليه حاكم أورشليم عبدوخيبا ذا الأصل الحوري، ويقول له إذا كان لابآيو قد مات فقد ظهر بدله عبدوخيبا٢، بعث عبدوخيبا هذا برسائل تفيض بالولاء للملك والشكوى من جيرانه ومن العابيرو وكان يكرر فيها أنه يتمنى أن يقابل الفرعون ويرى عينيه ويتمنى أن يموت لديه، ويعترف بأنه ما ولي منصبه عن أبيه ولا عن أمه ولكن بفضل الملك، ويخبره بأنه عمل كل ما في وسعه ولكن تخلى الكل عنه، وأنه إذا لم تصله إمدادات مولاه ضاعت منه أرضه٣.

بدأت كل هذه الخلخلة في أواخر عهد أمنحوتب الثالث، واشتدت في عهد ولده آخناتون "نفر خبرو رع" كما رأينا، في وقت انصرف فيه هذا الأخير إلى دعوة الوحدانية "راجع فصل عقائد الدين" وظن معها أن الدعوة لإله واحد يعبده الجميع ويتساوى عنده الجميع يمكن أن تربط بين مصر وبين أتباعها وجيرانها بروابط أوثق من كل ما جربه أسلافه من روابط الحرب والسياسة والمصاهرة، ولكن فاته أن الشرق أصبح في شغل شاغل بمخاوفه وأطماعه عن دعوة التوحيد والإخاء والمساواة التي دعا إليها. وأحاط بآخناتون عدد مداهن من رجال حاشيته طمأنوه إلى بأس جيشه، ورحموا اعتلال صحته فأخفوا عنه تذمر قادته وخوفهم من ضياع سمعة البلاد وتفسخ أملاكها، كما أحاط به عدد آخر من غير المصريين خدعوه عن حقيقة مجريات الأمور في الخارج وتواطئوا مع مخادعيه فيها، وكان منهم رجل يدعى توتو، راسله أحد المنافقين ذات مرة قائلا له: "لا أستطيع أن أنحرف عن كلمات سيدي وربي وشمسي، ولا أحيد عن كلمات سيدي توتو ... ، فأنا أخشى مولاي الملك وأخاف توتو ... ".

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/١٨٧

وظلت سياسة مصر الخارجية مائعة متدهورة خلال عهود خلفاء آخناتون الأقربين: سمنخ كارع "عنخ خبرو رع"، وتوت عنخ آمون "نب خبرو رع"، وآي "خبر خبرو رع". ولم يجد جديد عليها إلا بولاية حور محب "جسر خبرو رع"، الذي مثل عهده فترة انتقالية بين عصر الأسرة الثامنة عشرة وبين عصر الأسرة التاسعة عشرة. وكان فيما أسلفنا من قادة الجيش في عهد آخناتون، وخاض معركتين على الأقل في عهده وعهد توت عنخ آمون، وكان الجديد في أيامه، هو أنه عاصره في حكم الحيثيين الملك مورسيل "الثالث" وقد مال إلى السلام، فاستجاب حور محب له، وربما حدثت بينهما هدنة، تفرغ حور محب بعدها للإصلاح الداخلي في بلده.

١ .Op. Cit., 254, Also 252

٢ .Ibid., No. 280

٣ .Ibid., 286, 287, 288.." (١)

"كما خضعت غيرها من أمم الشرق، وإن لم يعفها هذا من وزر كبير بعد أن فتحت أبوابها للمرتزقة من هنا وهناك وجعلتهم دعامة جيشها.

وبلغ من تقدير قمبيز لضخامة البلد الذي سيطر عليه أن أقام في مصر أكثر من ثلاثة سنوات صحبها في بدايتها ما يتأتى عادة من الغزاة، من تخريب ونهب ومصادرات وغرامات، ولم تسلم المعابد من كل هذا فتخرب أغلبها وأنقصت مخصصاتها إلى النصف وعسكر فيها جنود الاحتلال من كل ملة ونحلة١. ثم هدأت شرة الغزاة وتفتحت أمام قمبيز في مصر آمال جديدة ناحية الغرب والجنوب، وخطط لثلاثة مشروعات فشلت كلها، فقد مهد لغزو قرطاجة "تونس" الفينيقية الأصل ذات الشهرة التجارية وتعلل بأن استقل هداياها وهدايا قرنيه إليه، وأراد أن يستعين بالأسطول الفينيقي على فتحها، ولكنه فشل ولعله لم يجد الإخلاص والاستجابة الفعالة من أبناء عمومتها الفينيقيين. وأرسل حملة إلى سيوة أحد مراكز آمون الكبرى ,وحيه ذي الشهرة الواسعة، ليتم بها فتح الواحات وربما ليفتح بها طريقا إلى ما بعدها عن طريق البر، فابتلعت الغرود والعواصف الرملية الكثيفة حملته. وقاد حملة إلى نباتا طمعا في ذهب النوبة وليفتح بها طريقا إلى السودان ولكنها فشلت من قلة الزاد وصعوبة الطريق ومقاومة أهل نباتا٢. وكان من الطبيعي أن يرى المصريون هذا

---

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/٢٢٢

الفشل المثلث انتقاما من السماء، وقد أحاطوه بأساطير وجدت آذانا صاغية من الإغريق أعداء الفرس، فروى هيرودوت أن قمبيز أصابته لوثة من جزاء فشله وأنه عندما رجع من حملة النوبة إلى منف وجد أهلها يحتفلون بمولد أبيس جديد فظنها فرحة الشماتة به وقتل كبارهم وطعن أبيس بخنجره وأمر بإخراج جثة أمازيس الصاوي حبيب قومه، واستنزل اللعنات عليها ثم حرقها. وقيل إن ما أثار حفيظته على واحدة سيوة هو أن وحي آمون فيها كان قد تنبأ بفشله سلفا. ثم روى هيرودوت أن الرجل جن لا سيما بعد أن بلغه نبأ مؤامرة فارسية للاستيلاء على عرشه، فسارع بالعودة إلى بلده، وهنا كان لا يزال للانتقام الإلهي بقية، فحدث خلال سفره في سوريا أن وخز نفسه بسلاحه في فخذه في موضع مماثل للموضع الذي طعن فيه أبيس المقدس، فتسمم الجرح وأودى به٣. وقد تكون أمثال هذه الأساطير التي تتمسح في القدر وفي انتقام الآلهة، هي حيلة الشعوب المغلوبة على أمرها، ولكن الخسارة الكبرى التي خسرها قمبيز فعلا كانت انتقال عرشه من فرعه إلى فرع آخر من أسرته بعد معارك دامية انتهت بتولي دار الأول في عام ٥٢١ق. م.

وكان دارا "دارايا فاهوش" ذا شخصية حربية وإدارية وتشريعية دعت أتباعه وأعداءه معا إلى تلقيبه بلقب "الملك العظيم". وقد أصاب مصر من تنظيماته أنه أدرك أن أمورها لن تستقر إلا في ظل قوانينها الخاصة

---

١ Posener, La Premiere Domination Perce En Egypte, ١٩٣٦؛ Cowley, Aramaic Papyri Of The Fifth Century B.C., No. 30 1. 14.

2 Herodotus, Iii, 17, 25, 26; Wainwright,K Jea, 1952, 75 F.

3 Herodotus, Iii، 16, 27-29 167; Plutarch, De Iside, 44; Posener, Op. Cit.، ١٧ F.

ويرى فيدمان ودريوتون وبوزنر أن كل ما يعرف عن موقف قمبيز إزاء أبيس هو تأخير دفنه نحو خمسة عشر شهرا، لأسباب غير معروفة، وهي فترة أطول بكثير مما تتطلبه عملية تحنيطه.." (١)

"الحق والبهتان ١:

رمز أدباء من الدولة الحديثة إلى العناصر الخلقية في الأسطورة السابقة بصورة توائم عصرهم، ولم يذكروا فيها أوزير وست صراحة، وإنما كنوا عنهما باسمين معنويين، وهما: الحق والبهتان. وكانا أخوين عاشا بين البشر،

---

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/٣٠٧

وأراد البهتان أن يكيد لأخيه فترك خنجره وديعة لديه، ثم استلبه منه خفية، وعاد فطالبه به، ولما اعتذر أخوه له عن ضياعه لم يقبل عذره، ولما حاول أن يعوضه عنه لم يقبل عوضه، وشكاه إلى الأرباب، وادعى أن سلاح خنجره كان في ارتفاع الجبل، وأن مقبضه لا يقل ارتفاعا عن الشجر، ففوض الأرباب له أن يقترح التعويض الذي يحبه، فأصر على أن يقتلع عيني أخيه ويستخدمه حارسا لداره، فأجابه الأرباب إلى ما أراده. وأذل البهتان أخاه، وجعله حارسا لبابه، ولكنه كان كلما نظر إليه أحس بالخزي وبأن الضرير لا يزال يحتفظ بوقاره وجماله، فأمر عبدين بأن يلقياه إلى السباع. ولما خرج العبدان بالحق قال لهما: أتضحيان بي من أجل البهتان؟ واستعطفهما، فرقا له وتركاه بناحية من نواحي الجبل، وعادا إلى مولاهما وأوهماه بأنهما نفذا أمره.

وبعد حين شهدت الحق أنثى بارعة الجمال هفا إليه فؤادها، فبعثت إليه جاريتها تستدعيه ثم تزوجته لكنها خشيت أن يعايرها الناس به، فأخفت خبر قرانه بها، وخصصت له حجرة بجانب باب دارها، وأثمر الزواج طفلا، تعهدته الأم بالتربية الصالحة، وأخفت عنه سر أبيه، وألحقته بمدرسة أتقن الكتابة فيها، وتعلم فنون الرياضة والنزال وتفوق على أقرانه فيها، ولكن نغص عليه سعادته أن زملاءه كانوا يسألونه دائما عن أبيه، ويعيرونه بأنه لا أب له، ولما شب أصر على أن يعرف حقيقة أبيه من أمه، فدلته عليه وأخبرته أنه بواب دارها، فاستنكر فعلتها، ولم يأب أن يصارحها برأيه فيها، وأن مماتها كان أفضل من حياتها.

وأراد الغلام أن يكيد لعمه البهتان كما كاد هو لأبيه، فأخذ معه ثورا سمينا وعهد به إلى أحد الرعاة الذين يستخدمهم عمه، وطلب منه أن يرعاه حتى يعود من سفره في مقابل أجر أعطاه إياه. وحدث أن تفقد البهتان مراعيه، فأعجب بالثور وذبحه، دون أن يعبأ بتوسلات راعيه. وعاد الغلام بعد شهور، وشكا الراعي ومولاه إلى الأرباب، وأراد أن يعجز البهتان عن التعويض، فادعى أن ثوره كان ينجب ستين عجلا كل يوم، وأنه كان إذا وقف وسط الدلتا بلغ أحد قرنيه جبالها الشرقية ومس قرنه الآخر جبالها الغربية. فتعجب الأرباب من دعواه، وقالوا إنهم لم يروا ثورا بمثل هذه الضخامة، فأجابهم: وهل رأيتم خنجرا بضخامة الخنجر الذي حكمتم على أبي بالعمى من أجله؟ وهنا أسقط في يد الأرباب وعلموا أن البهتان خدعهم، فردوا على الحق بصره، وأمروا بجلد البهتان مائة جلدة، وبجرحه خمسة جراح بالغة وفقء عينيه، وبأن يصبح بوابا لأخيه جزاء وفاقا على ما كان قد فعله به. وعبر القصاص بهذا العقاب عما أصبحت عليه العقوبات البدنية في عصرهم، كما عبروا بتربية الابن تربية كتابية ورياضية وعسكرية عما كان يستحبونه لتربية أبناء الكبراء في أيامهم.

١ Chester Beatty Pap. Ii; Gardiner. Hieatic Papyri, 3rd Vol. Series, I, 6.." [(١)]

"ودخل باتا المخزن وأعد غرارة كبيرة، واكتال شعيرا وحنطة. ولما خرج بهما سألته: كم احتملت على كتفك؟ فأجاب: "ثلاثة مكاييل من الحنطة واثنين من الشعير". فحاورته قائلة: "فيك بأس شديد وأشهد أنك تزداد قوة وجسارة على الدوام". ودبرت أمرا في نفسها ثم هبت واقفة وتعلقت به وقالت هيت لك، ودعنا نمرح ساعة ونضجع، فذلك خير لك، ولسوف أخيط لك ثيابا حسانا. وفوجئ الفتى وأجفل وبدا في هيئة فهد الصعيد الغضوب كما روت القصة، وأربد وجهه من سوء ما دعته إليه. وأجفلت المرأة بدورها وخشيته خشية شديدة.

وقال لها الفتى: "اسمعي، أنت بالنسبة لي في منزلة الأم وزوجك في منزلة الأب لأنه أكبر مني وقد تعهدني ورباني، فلم هذا العار الذي تدعونني إليه؟ إياك أن تفاتحيني فيه مرة أخرى، ولك من ناحيتي ألا أخبر أحدا به أو أدعه يخرج من فمي إلى أحد". واحتمل باتا حمولته، وانصرف إلى المزرعة، فلما بلغ أخاه استأنف العمل كدأبه دون أن ينبس ببنت شفة.

ولما حان المساء انفصل الأخ الأكبر وقصد داره، وبقي الأصغر خلف ماشيته حتى أكمل حمولتها من خيرات الأرض، ثم ساقها أمامه ليبيت بها في حظيرته، وخشيت زوجة إنبو عاقبة زلتها، فاستعانت بعقار جعلها كالمريضة أو المضروبة. فلما بلغ بعلها داره وجدها ممددة متهالكة، فلم تصب الماء على يديه كعادتها، ولم توقد المصباح قبل مجيئه. ووجد الدار في ظلام دامس، فاقترب منها وسألها عمن أساء إليها قالت: لم يحادثني سوى أخيك، أتي يأخذ البذور ووجدني وحيدة فراودني عن نفسي وأمسك شعري، فأبيت أن أطيعه، وقلت له ألست في منزلة أمك، وأخوك في منزلة أبيك؟ فغضب وآذاني حتى لا أبوح لك بأمره. فإذا تركته يعيش، مت أنا، وأخشى إذا رجع المساء وفاتحته في عاره أن ينسب السوء إلي. وأربد وجه الزوج، وشحذ خنجره واختبأ خلف باب الحظيرة، ونوى أن يقتل أخاه حين رجوعه. وعاد باتا حين الغروب محملا بخيرات الأرض كعادته، فلما دخلت أولى بقراته الحظيرة، همست له: "أخوك واقف أمامك بخنجره ليقتلك، فاهرب من أمامه". وفهم باتا قولها، ثم سمع مثله من البقرة التي تلتها، وتطلع إلى أسفل الباب فرأى قدمي أخيه، فألقى حمولته على الأرض وأطلق العنان لساقيه، وتبعه أخوه.

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/٣٤٣

وتطلع باتا في محنته إلى ربه رب الشمس رع حرآختي وناجاه: "مولاي الكريم، أنت الذي تفرق بين الآثم والبريء". فاستجاب رع لدعائه وفصل بينه وبين أخيه بنهر عظيم ملأته التماسيح. وضرب الأخ الأكبر بكفيه من الغيظ، فناداه أخوه في الضفة الأخرى: الزم مكانك حتى يطلع رب الشمس ونحتكم إليه. وتجلى الرب رع حرآختي حين الصباح، وتطلع كل من الأخوين إلى الآخر. فقال الأصغر لأخيه: "لم طاردتني لتقتلني قبل أن تسمع دفاعي؟ ألست أخاك الأصغر وأنت أب لي! إنك حين أرسلتني لآتيك بالبذور دعتني امرأتك إلى الخنا، ولكنها قصت عليك العكس". ثم قص قصته عليه وخنقته العبرات، واستل بوصة حادة وقطع إحليله ورماه في الماء ليثبت لأخيه زهده في الخنا وأهل الخنا وكاد يغشى عليه من فرط الألم. وندم الأخ الأكبر، ولم يتمالك نفسه فبكى، ولكنه عجز عن أن يصل إلى أخيه خوفا من التماسيح.." (١)

"ينكص قائلا: "كلا عبدي، لن أذهب إطلاقا" ... فيطاوعه التابع قائلا في تخابث "لا تركب، مولاي، لا تركب، فقد يرغمك "الملك" على سلوك طريق لا تعرفه، ويريك صنوفا من الشقاء بالليل والنهار". ويسترسل السيد والتابع في اقتراحات أخرى، لا يلبث كل منهما حتى ينقضها بنفس الإيمان الذي قبلها به. ومنها أن يقول السيد: "لسوف أقدم معروفا لبلدي" فيجيب التابع: افعل سيدي افعل، فمن فعل معروفا لبلده وضعت أعماله في دائرة مردوك". وهنا ينكص السيد قائلا: "كلا يا عبدي لن أفعل معروفا لبلدي". فيجد الخادم الرد جاهزا ويقول: "لا تفعل سيدي لا تفعل، وانطلق إلى الخرائب وجس خلالها، وانظرإلى جماجم الأعالي والأسافل، فلن تفرق فيها بين خير وآثم". ويقول السيد: "لسوف أحب امرأة"، فيجيب التابع على عادته "نعم أحب مولاي، أحب، فمن أحب نسي السقم والهم". ولكن الرجل لا تفارقه رح التردد فيقول: "كلا، عبدي، لن أحب امرأة"، ولا تفارق العبد الحجة لتبرير تردد سيده فيقول: "لا تحب مولاي، لا تحب، فالمرأة بئر "عميق"، **خنجر** حاد النصل يحز في عنق الرجل".

وبعد أن يدور الرجل وظله في حلقه مفرغة لا يعرفان معها ما يحسن فعله وما لا ينبغي عمله، يسأل السيد: "وأين إذن الصواب يا عبدي؟ " فيجيب العبد: "هو أن تدق عنقي وعنقك، ثم يلقيا معا في النهر". وهنا تملكت روح الجبن والأثرة السيد فقال: "كلا عبدي، لسوف أقتلك أنت وأرسلك أولا"، فأجابه العبد وهو مطمئن إلى عجز سيده عن البقاء بدونه عجزه عن التفكير وعن التنفيذ بمفرده: "وهل يستطيع مولاي أن يعيش أياما ثلاثة بدوني؟ "١.

---

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/٣٤٨

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/٤٨٩

"الباحث رودوكاناكيس من العبارة الأخيرة أن ذا فرعم يمثل أو شهور السنة الزراعية عند القتبانيين ،أن ذا فقحو يمثل آخرها. ولو أنه ما من بأس فيما يبدو أن يكون ذو فرعم أول الحصاد، وذو فقحو آخره، فمواسم الحصاد هي التى يستيطع المزارعون أن يوفوا فيها بالتزاماتهم تجاه الدولة، وليست مواسم الزراعة كلها. وربما دل اللفظان في سبأ على العشرتين الأوليين من الشهر.

وفي عهد الملك شهر هلال أيضا حوالي عام ١٠٠ أو ١٠٦ م دمرت تمنغ عاصمة قتبان تدميرا عنيفا لازالت آثاره باقية في معالمها القديمة التي اكتسى بعضها بطبقة كثيفة من الرماد دلت على حريق متعمد، لا تعرف حتى الآن حقيقة المتسببين فيه.

وعلى الرغم مما لحق بها، جاهدت قتبان في سبيل البقاء لفترة أربعين عاما أخرى أو نحوها، فاكتفت بمناطقها الغربية، ونقلت عاصمتها إلى حريب التي أشرنا إلى سك أول عملة ذهبية قتبانية فيها، ووجدت بها بالفعل عملات أخرى ضربت بها، ونقشت على بعضها صورة البومة وتحتها **خنجر**. وكانت صورة البومة من رموز بعض العملات الإغريقية السكندرية. ويبدو أن قتبان قد اضطرت نتيجة لضعف حيلتها أن تنضم

---

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/٦٠٠

إلى حضرموت في مشاكلها ضد دولة سبأ بعد أن أصبحت هاتان الدولتان هما مركز الثقل في الجنوب العربي فحاربت في صف حضرموت، ثم تهاوت حوالي عام ١٤٠م (أو١٤٦م) بعد أن استهلكت قوتها، وانحسر كيانها السياسي، وهجرت مناطقها الزراعية بعد أن قلت رعاية مشاريع المياه فيها، وغطت الرمال عليها. وآلت أرضها فيما بعد إلى حوزة دولة سبأ وذوريدان منذ أوائل القرن الرابع الميلادي.

ملحوظة:

أسهمنا بعض الشيء في الفصول السابقة فى مناقشة تاريخ دولة سبأ وتاريخ دولة قتبان، من حيث مشكلات النشأة، وتطور الحياة السياسية، ومشاريع العمران وفروع الفنون، وتأثير العوامل الداخلية والخارجية في كيان كل دولة منهما لكي نجعل من هذه المناقشات نموذجا للتوسع فيما يعالج به تارخ بقية الدول العربية القديمة الأخرى التى سنحاول الاكتفاء بخطوطها الرئيسية فيما يلي، مراعاة للتخفيف مؤقتا. وندع التفصيل فيها للجزء الثاني من كتابنا في الشرق الأدنى القديم حين يصدر في وقت لاحق قريب بإذن الله.." (١)

"غزوة بهاطية.

¥١٠٠٤¤٣٩٥€

غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بهاطية من أعمال الهند، وهي وراء الملتان، وصاحبها يعرف ببحيرا، وهي مدينة حصينة، عالية السور، يحيط بها خندق عميق، فامتنع صاحبها بها، ثم إنه خرج إلى ظاهرها، فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع، وطلب المدينة ليدخلها، فسبقهم المسلمون إلى باب البلد فملكوه عليهم، وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم، فقتل المقاتلة وسبيت الذرية وأخذت الأموال، وأما بحيرا فإنه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته وسار إلى رؤوس تلك الجبال، فسير إليه يمين الدولة سرية، فلم يشعر بهم بحيرا إلا وقد أحاطوا به، وحكموا السيوف في أصحابه، فلما أيقن بالعطب أخذ خنجرا معه فقتل به نفسه، وأقام يمين الدولة ببهاطية حتى أصلح أمرها، ورتب قواعدها، وعاد عنها إلى غزنة.

£." (٢)

---

(١) تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، عبد العزيز صالح ص/٧٨

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٥٤/٣

"باطني يطعن الحجر الأسود ثلاث ضربات.

¥١٠٢٢¤٤١٣€

اتفق أحد المصريين من أصحاب الحاكم مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء، وذلك أنه لما كان يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات، وقال: إلى متى نعبد هذا الحجر؟ ولا محمد ولا علي يمنعني مما أفعله، فإني أهدم اليوم هذا البيت، وجعل يرتعد، فاتقاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه، وذلك لأنه كان رجلا طوالا جسيما وعلى باب الجامع جماعة من الفرسان، وقوف ليمنعوه ممن يريد منعه من هذا الفعل، وأراده بسوء، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه خنجر فوجأه بها، وتكاثر الناس عليه فقتلوه وقطعوه قطعا، وحرقوه بالنار، وتتبعوا أصحابه فقتلوا منهم جماعة، ونهبت أهل مكة الركب المصري، وتعدى النهب إلى غيرهم، وجرت خبطة عظيمة، وفتنة كبيرة جدا، ثم سكن الحال بعد أن تتبع أولئك النفر الذين تمالأوا على الإلحاد في أشرف البلاد غير أنه قد سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار، وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة، محببا مثل الخشخاش، فأخذ بنو شيبة تلك الفلق فعجنوها بالمسك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت، فاستمسك الحجر.

£." (١)

"الوقعة بين تتش وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب.

¥١٠٨٦¤٤٧٩€

كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه بخنجر كان معه وقيل بل جاءه سهم على وجهه فسقط ميتا من فوره، ويذكر أنه دفن بجانب مسلم بن قريش صاحب حلب قبله وهو من قتله على ما ذكرناه في أحداث السنة السابقة، فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب فملكها، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها، مثل حران والرها وقلعة جعبر، وكان جعبر شيخا كبيرا قد عمي، وله ولدان، وكان قطاع الطريق يلجأون إليها فيتحصنون بها، فراسل السلطان سابق بن جعبر في تسليمها فامتنع عليه، فنصب عليها

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/٣١٩

المناجيق والعرادات ففتحها وأمر بقتل سابق.

£." (١)

"وفاة السلطان إسماعيل بن فرج الأحمر أحد ملوك دولة بني نصر في الأندلس.

€٧٢٥¢رجب¤١٣٢٥¥

توفي إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر بن الأحمر، أبو الوليد، السلطان الغالب بالله: أمير المؤمنين، خامس ملوك دولة بني نصر بن الأحمر، في الأندلس. كانت لأبيه ولاية مالقة وسبتة، فتولاهما من بعده. وكان الملك بغرناطة أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه، وهو موصوف بالضعف، فثار عليه إسماعيل وزحف من مالقة إلى غرناطة سنة ٧١٣ هـ فبويع فيها، وخرج نصر إلى وادي آش. وأراد بطرس الأول بن ألفونس الحادي عشر (من ملوك الإسبان) أن يستفيد من فرصة الفتنة في غرناطة فاقتحم الحصون يريدها، فكانت بين جيشه وجيش إسماعيل وقائع هائلة انتهت سنة ٧١٧ هـ بمقتل بطرس. وفي سنة ٧٢٤ هـ تحرك إسماعيل للجهاد، فامتلك بعض الحصون، وعاد إلى غرناطة ظافرا. وكان حازما مقداما جميل الطلعة جهير الصوت كثير الحياء بعيدا عن الصبوة. تميز عهده بالاستقرار وحسن السياسة وإحياء فريضة الجهاد، ومحاربة الفساد والبدع. اغتاله ابن عم له (اسمه محمد بن إسماعيل) بطعنة **خنجر** في غرناطة في ٢٦ رجب من هذه السنة.

£." (٢)

"وفاة أمير غرناطة يوسف وتولي ابنه بعده.

€٧٥٥¢شوال¤١٣٥٤¥

توفي السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج من بني نصر صاحب غرناطة وما والاها؛ طعن **بخنجر** في جبينه في يوم عيد الفطر، فمات منه، وتسلطن بعده ابنه أبو عبد الله محمد بن يوسف، وتلقب بالغني بالله.

£." (٣)

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/٨٣

(٢) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٢٥٨

(٣) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٣٧٠

"اغتيال أمير مكة أحمد بن عجلان وتولي ابنه مكانه.

€٧٨٨¢ذو الحجة¤١٣٨٧¥

قدم الشريف محمد بن مبارك بن رميثة الحسني من مكة، وأخبر بموت الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة، وأن ابنه محمد بن أحمد أقيم بعده، وقام بإمرة عمه كبيش بن عجلان وخبر موته أنه لما قدم وفد مصر مكة في أول ذي الحجة خرج الشريف محمد بن أحمد عجلان لتلقيه على العادة، وقبل الأرض، وعندما انحنى ليقبل عقب الرمح، وثب عليه فداويان ضربه أحدهما **بخنجر** في جنبه، وضربه الآخر **بخنجر** في عنقه، وهما يقولان: " غريم السلطان " فخر ميتا وترك نهاره ملقى، ثم حمله أهله، وواروه، وكان كبيش على بعد، فقتل الفداوية رجلا يظنوه كبيشا، ففر كبيش، وأقام الأمراء لابسين السلاح سبعة أيام، خوفا من الفتنة، فلم يتحرك أحد ولبس الشريف عنان خلعته، وتسلم مكة، وخطب له بها.

£." (١)

"انتصار العثمانيين في موقعة قوص أوه (إقليم كوسوفو) ومقتل مراد الأول وتولي ابنه بايزيد.

€٧٩١¢شعبان¤١٣٨٩¥

بعد محاربة الصرب للعثمانيين وحصولهم على بعض النجاح نتيجة انشغال العثمانيين بالحرب مع علاء الدين أمير القرمان، ثم إن أمير البلغار سيسمان تأهب للقيام بدوره في محاربة القوات العثمانية غير أنه تفاجأ بها وقد داهمته واحتلت بعض أجزاء بلاده ففر إلى الشمال واعتصم في مدينة نيكوبلي القريبة من الحدود الرومانية، وجمع فلوله مرة أخرى وحارب العثمانيين إلا أنه باء بالهزيمة مرة أخرى، ووقع أسيرا لكن السلطان مراد أحسن إليه فأبقاه أميرا على نصف بلاده، وضم الباقي إلى الدولة العثمانية فلما علم ملك الصرب لازار بهذا انسحب بجيوشه نحو الغرب منضما إلى الألبانيين لمحاربة العثمانيين معهم غير أن الجيوش العثمانية أدركته قبل وصوله إلى مبتغاه والتقت معه في هذه السنة في معركة وسط سهل قوص أوه أي إقليم كوسوفو جنوبي يوغسلافيا، وكان القتال سجالا بين الطرفين، ثم إن صهر لازار انضم إلى جانب العثمانيين بفرقته المؤلفة من عشرة آلاف مقاتل فانهزم الصرب ووقع ملكهم لازار أسيرا جريحا فقتلوه جزاء بما فعله بأسرى المسلمين، ولكن مراد الأول بعد انتهاء المعركة قام يتفقد نتائجها على أرض الواقع متفحصا الجثث فإذا بجريح صربي بين الجثث قد انقض عليه بغتة وطعنه **بخنجر** فأرداه قتيلا من ساعته، فكانت

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٧١/٦

مدة حكمه ثلاثين سنة، فتسلم ولده بايزيد السلطة بعد أبيه.
£." (١)

"اغتيال السلطان المخلوع الناصر فرج بن برقوق في حبسه في قلعة دمشق.
€٨١٥¢صفر¤١٤١٢¥

تم القبض على السلطان الناصر فرج وحبسه في القلعة ثم استخرجت فتوى بحل دمه لأمور قام بها ثم وفي ليلة السبت سادس عشر صفر دخل عليه ثلاثة نفر هم الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك شاه الطازي أخو الخليفة المستعين بالله لأمه، وآخر من ثقات شيخ، وآخر من أصحاب نوروز، ومعهم رجلان من المشاعلية، فعندما رآهم الملك الناصر فرج قام إليهم فزعا، وعرف فيما جاؤوا، ودافع عن نفسه، وضرب أحد الرجلين بالمدورة صرعه، ثم قام الرجل هو ورفيقه ومشوا عليه وبأيديهم السكاكين، ولا زالوا يضربونه بالسكاكين المذكورة وهو يعاركهم بيديه، وليس عنده ما يدفع عن نفسه به، حتى صرعاه، بعد ما أثخنا جراحه في خمسة مواضع من بدنه، وتقدم إليه بعض صبيان المشاعلية فخنقه وقام عنه، فتحرك الملك الناصر، فعاد إليه وخنقه ثانيا حتى قوي عنده أنه مات، فتحرك، فعاد إليه ثالثا وخنقه، وفرى أوداجه **بخنجر** كان معه، وسلبه ما عليه من الثياب، ثم سحب برجليه حتى ألقي على مزبلة مرتفعة من الأرض تحت السماء، وهو عاري البدن، يستر عورته وبعض فخذيه سراويله، وعيناه مفتوحتان، والناس تمر به ما بين أمير وفقير ومملوك وحر قد صرف الله قلوبهم عن دفنه ومواراته، وبقيت الغلمان والعبيد والأوباش تعبث بلحيته وبدنه، واستمر على المزبلة المذكورة طول نهار السبت المذكور، فلما كان الليل من ليلة الأحد حمله بعض أهل دمشق وغسله وكفنه، ودفنه بمقبرة باب الفراديس احتسابا لله تعالى، بموضع يعرف بمرج الدحداح، ولم تكن جنازته مشهودة، ولا عرف من تولى غسله ومواراته، فكانت مدة ولاية السلطان الناصر فرج الثانية حوالي السبع سنين والأولى مثلها تقريبا.
£." (٢)

"بدء محاكمة "سليمان الحلبي" لقتله قائد الحملة الفرنسية في مصر.
€١٢١٥¢محرم¤١٨٠٠¥

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٨٠/٦

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦٩/٧

بعد قتل سليمان الحلبي للقائد الفرنسي كليبر قائد الحملة الفرنسية على مصر تم القبض عليه وبدأت محاكمته، التي استمرت لمدة ٣ أيام، نفذ بعدها حكم القتل في "الحلبي" بعد حرق يده، ثم وضعه على "الخازوق" الذي اخترق مؤخرته، وبقي على هذه الحالة البشعة حتى توفي، ثم قطعت رأسه، وما زالت موجودة في متحف الإنسان في باريس، مع **الخنجر** الذي قتل به "كليبر"!!!

£." (١)

"سمعت الحسن بن علي يقول: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم، قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت (١). ويستفاد من الروايتين ابتداء الحسن رضي الله عنه في تبييته لنية الصلح قبل استخلافه، وذلك تحقيقا منه لنبوءة المصطفى (٢)، وأدخل الحسن رضي الله عنه بشرطه في عقلية العراقيين بأن خيار السلم قابل للنقاش والأخذ والعطاء، وليس فيه إرادة السلم على الحرب، فهو يشتمل عليهما معا، وإن كان يوحى بالسلم وهذا دليل على عبقريته وحسن قيادته، ومعرفته بالأمور، كما أنه رضي الله عنه تقدم للخلافة لما كانت مصلحة الإسلام والمسلمين في ذلك.

المرحلة الثالثة:

وقوع المحاولة الأولى لاغتيال الحسن رضي الله عنه بعد أن كشف عن نيته في الصلح مع معاوية رضي الله عنه، وهذه المحاولة يبدو إنها قد جرت بعد استخلافه بقليل، وهو ما أشارت إليه الروايات التالية: ما أخرجه ابن سعد في طبقاتـه من طريق أبي جميلة (٣): أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي، فبينما هو يصلي إذا وثب عليه رجل فطعنه **بخنجر** –وزعم حصين بن عبد الرحمن السلمي أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد– والحسن ساجد، قال حصين: وعمي أدرك ذلك، قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه فمرض منها أشهرا ثم برئ، فقعد على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، أهل البيت الذين قال الله: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} [الأحزاب: ٣٣]، قال: فما زال يقول ذلك حتى ما رئي أحد من أهل المسجد إلا وهو يخن (٤) بكاء (٥). وما أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق هلال بن يساف (٦)، قال: سمعت الحسن بن علي وهو يخطب وهو

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٨/٤٤٤

(١) الطبقات

فإنه سار في أثر القوم حتى جاوز سوار ونزل وأتى بعده هشام والمرقال ونزلا عنده حتى تكامل الجيش ونزل سعد بن أبي وقاص وارتحلوا إلى كوثاريا وأشرفوا عليها فلما رأي الفرس عسكر المسلمين قد أشرف عليهم أخذوا أهبة القتال وتهيئوا ومقدمهم شهريار.

فلما وصل إليهم زهرة ورآه شهريار وقع الرعب في قلوب أصحابه وماج بعضهم في بعض ولولا خوفهم من شهريار لولوا الادبار ورتب زهرة أصحابه فلما استوت الصفوف خرج شهريار للبراز وعليه زي الملوك ولأكاسرة وقال أنا شهريار فهل يبرز الي فارس لفارس أو أربعة لفارس أو عشرة لفارس فلما سمع زهرة كلامه قال: والله لقد أردت برازك غير إني لا أدع أحدا يخرج اليك إلا عبدا فإن قتلته فتكون قد قتلت عبدا وإن قتلك فهو المراد ثم إنه دعا مولا أبا نباتة الأعوجي فقال له: دونك وهذا العلج واستعن عليه بالله فخرج إليه أبو نباتة فلما وصل إليه ونظره استحقره لأن شهريار كان مثل البعير فألقى نفسه على أبي نباته وقد جرد سيفه فلما رآه أبو نباتة قد وصل إليه صادمه كأنه أسد وتضاربا بالسيوف حتى تكسرت فرمياها وتقابضا حتى سقطا إلى الأرض فوقع شهريار بابي نباتة وهو يراغه فوقعت ابهام شهريار في فم أبي نباتة فقطعها فارتخت أعضاؤه فانفلت وانقلب عليه فصار فوقه وجرد خنجره وطعنه به في نحره فقضى عليه فأخذ تاجه وسواريه وسلبه وفرسه وعدته وتوجه بها إلى المسلمين فلما نظر جيشه ما حل به ولوا الادبار وأقام زهرة هناك إلى الصباح وأقبل بقية الموحدين فحدث زهرة سعدا بما جرى لمولاه مع شهريار وكيف انهزم الفرس ففرح سعد بذلك وأمر أن يحضر أبا نباتة فاحضره فقال سعد عزمت عليك إلا لبست سواريه ودرعه وتاجه وركبت جواده قال ففعل فأعطاه السلب جميعه وقال له: قد أفلحت فكان أول مسلم سور بالعراق.

قال الواقدي: حدثنا نوفل بن عدي قال اخبرنا وائل بن غانم اليشكري قال لما قدم سعد إلى كوثاريا نزل في المكان الذي سجن فيه ابراهيم الخليل عليه السلام فصلى فيه وحمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقرأ: {وتلك الأيام نداولها بين الناس} [آل عمران: ١٤٠] الآية قال: وأقام سعد بمشهد كوثاريا أياما ثم دعا الناس إليه وقال لهم: اعلموا أن الله تعالى قد نصركم في مواطن كثيرة وقد أراكم ما وعدكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم.." (١)

(١) فتوح الشام الواقدي ١٨٢/٢

"معي عشرة رجال من الأمراء ذوي المروءة والباس فقال له الأمير: اختر من شئت وفقك الله وسددك وردك الينا سالما غانما أنت ومن معك قال فالتفت وراءه وقال: أين سعيد بن عبد القادر اين أبو أيوب الانصاري أين خالد بن زيد الانصاري أين زيد اين ثابت الانصاري أين مسعود البدري أين جرير بن مطعم أين أبو يزيد العقيلي أين معاوية بن العكم الثقفي أين عمار بن حصين أين زيد بن أرقم فأجابوه بالتلبية فقال لهم: خذوا أهبتكم وانطلقوا معي على بركة الله وعونه قال فتبادر هؤلاء الأمراء السادات إلى خيامهم ولبس كل واحد درعه وتنكبوا بحجفهم وتقلدوا بسيوفهم واعتقلوا برماحهم.

قال الواقدي: ثم أن المغيرة رضي الله عنه دخل إلى خيمته ولبس درعه وشد وسطه بمنطقته وهي من الادم وفيها خنجران واحد عن اليمين وواحد عن الشمال وتقلد بسيف من جوهر واعتقل برمح أسمر وركب جواده الادهم وأخذ كل واحد منهم عبده راكبا على بغلة وودعهم فالتفت الأمير عياض وقال للمغيرة اعرف يا أبا شعبة ما تكلم به هذا الملعون فما عرفتك إلا مفلح الحجة فادعه إلى الإسلام وما فرض عليه من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وما أبيح من الحلال وما حرم من الحرام فإن أبى فالجزية في كل عام فإن أبي فالقتال بحد الحسام ونرجو النصر من الملك الديان بجاه محمد خير الانام قال فقال المغيرة أرجو من الله الملك الوهاب المعونة في رد الجواب وسارت الأمراء والقس أمامهم راكب على بغلة وعبيدهم خلفهم على بغالهم وكل عبد عليه لامة حربه وساروا وهم معلنون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير قال زياد بن ثابت ولما فارق القوم الأمير عياضا نظرت إليه وعيناه تذرفان بالدموع حتى بلت دموعه لحيته وهو يقرأ القرآن فقلت أنا أيها الأمير ما هذا البكاء فقال لي: يا ابن ثابت هؤلاء والله أنصار الدين فإن أصيب رجل منهم فما يكون عذري عند الله عز وجل قال: وسار المغيرة وأصحابه حتى أشرفوا على عسكر العدو وإذا هو ملء الأرض وهو نازل حول مدينة البهنسا فصاح المغيرة ومن معه يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك إذ أقبل إليهم بطريق ومعه رجل من العرب المتنصرة راكب إلى جانبه ومعهما نحو مائة ألف فارس وساروا بين أيديهم حتى وصلوا إلى قريب سرادق الملك ولاح البطليوس وهو جالس على السرير فعند ذلك خرج لهم الحجاب والنواب وأرباب الدولة والصولة وقالوا: قد وصلتم وبلغتم إلى سرادق الملك فانزلوا عن خيولكم وانزعوا سيوفكم فقال المغيرة أما خيولنا فننزل عنها وأما

سيوفنا فلا ننزعها فإنها عزنا وما كنا بالذي ينزع عزه الذي يعتز به دهره قال فاخبر الحجاب الملك بذلك فقال دعوهم يدخلون بسيوفهم فنادتهم الحجاب ادخلوا.." (١)

"قال: فاستقبله رجل من بني حنيفة فقال له: أين تريد يا ابن كذا وكذا، فحمل عليه خالد واعتنقه الحنفي فسقطا عن فرسيهما [١] جميعا إلى الأرض، فسقط الحنفي تحت خالد، فجعل يجرحه من تحته **بخنجر** سبع جراحات، ووثب خالد من فوقه وتركه، وإذا فرس خالد قد غاب في الحديقة، وجعل يقاتل حتى تخلص وهو لما به.

قال: وأقبل عباد بن بشر الأنصاري [٢] حتى وقف على باب الحديقة، ثم نادى بأعلى صوته: (يا معشر الأنصار، احطموا جفون سيوفكم واقتحموا هذه [٣] الحديقة عليهم، فقاتلوهم أبدا، أو يقتل الله مسيلمة الكذاب) ، قال: ثم كسر عباد بن بشر جفن سيفه، وكسرت الأنصار جفون سيوفهم، فاقتحموا الحديقة وهم عشرون ومائة رجل، فقاتلوهم حتى ما بقي منهم إلا أربعة نفر، فإنهم أقبلوا مجروحين لما بهم.

قال: وعظم الأمر على الفريقين جميعا، والتفتت بنو حنيفة إلى مسيلمة، فقالوا له: (ألا ترى إلى ما نحن فيه من قتال هؤلاء) ، فقال: (بهذا أتاني الوحي، [٢٣ ب] إن القوم/ يلجئونكم إلى هذه الحديقة ويكون قتالكم [٤] معهم في جوفها) ، فقال له بعضهم: فأين ما وعدتنا من ربك أن ينصرنا على عدونا، وإن هذا الدين الذي نحن فيه هو الدين القيم) ، فقال مسيلمة: (أما الدين فلا دين لكم، ولكن قاتلوا عن أحسابكم، أتظنون أنا إنما كنا نقاتل إلى الساعة ونحن على الحق وهم على

---

[١] في الأصل: (عن فرسهم) .

[٢] في الأصل: (عباد بن بشير) وصوابه: بشر، وهو: عباد بن بشر بن وقش الأشهلي الخزرجي الأنصاري، صحابي من الفرسان، أسلم في المدينة وشهد المشاهد كلها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعثه إلى القبائل يصدقها (يجمع الصدقات) ، وجعله على مقاسم حنين واستعمله على حرسه بتبوك، استشهد يوم اليمامة سنة ١٢ هـ-.

(ابن سعد ٢/ ٣/ ١٧، تهذيب التهذيب ٥/ ٩٠، المحبر ص ٢٨٢، الإصابة ٣/ ٦١١- ٦١٢، الاستيعاب ٣/ ٨٠١، الأعلام ٣/ ٥٧2) .

---

(١) فتوح الشام الواقدي ٢/٢٥٧

[٣] في الأصل: (هذا) .
[٤] في الأصل: (قتال قتالكم) ، والناسخ كثيرا ما يكتب الكلمة أو جزءا منها ثم يتركها ناقصة، ويعيد كتابتها ثانية دون أن يلغيها بالشطب عليها، وكثيرا ما يكون هذا في نهاية السطر.." (١)

": ألا أحد يغتال محمدا، فإنه يمشي في الأسواق فأتاه رجل من الأعراب فقال: قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشده بطشا وأسرعه شدا فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعي **خنجر** مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ في عير وأسبق القوم عدوا فإني هاد بالطريق خريت قال: أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال: اطو أمرك، فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبد الأشهل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذا ليريد غدرا» فذهب ليجني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره فإذا **بالخنجر**، فسقط في يديه وقال: دمي دمي فأخذ أسيد بلبته فدعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اصدقني ما أنت؟» قال: وأنا آمن؟ قال: «نعم» فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان فخلى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب وقال: «إن أصبتما منه غرة فاقتلاه» فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، فأخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا في الجاهلية، وقالوا: لم يأت عمرو لخير؛ فحشد له أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو عبيد الله بن مالك بن عبيد الله التيمي فقتله، وقتل آخر من بني الديل سمعه يتغنى، ويقول:

[البحر الوافر]

ولست بمسلم ما دمت حيا ... ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسبان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، خبره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك." (٢)

---

(١) كتاب الردة للواقدي الواقدي ص/١٣٤
(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٩٤/٢

"قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب قال: "كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنعا، ويستأذنه أن يدخله المدينة ويقول: إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس، إنه حداد نقاش نجار، فكتب إليه عمر فأذن له أن يرسل به إلى المدينة، وضرب عليه المغيرة مائة درهم كل شهر، فجاء إلى عمر يشتكي إليه شدة الخراج، فقال له عمر: ماذا تحسن من العمل؟، فذكر له الأعمال التي يحسن، فقال له عمر: ما خراجك بكثير في كنه عملك، فانصرف ساخطا يتذمر، فلبث عمر ليالي، ثم إن العبد مر به فدعاه فقال له: ألم أحدث أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح، فالتفت العبد ساخطا عابسا إلى عمر ومع عمر رهط، فقال: لأصنعن لك رحى يتحدث بها الناس، فلما ولى العبد أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم: أوعدني العبد آنفا، فلبث ليالي ثم اشتمل أبو لؤلؤة على **خنجر** ذي رأسين نصابه في وسطه، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في غلس السحر، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة صلاة الفجر، وكان عمر يفعل ذلك، فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق، وهي التي قتلته، ثم انحاز أيضا على أهل المسجد فطعن من يليه، حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلا، ثم انتحر **بخنجره**، فقال عمر حين أدركه النزف وانقصف الناس عليه: قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس، ثم غلب عمر النزف حتى غشي عليه، قال ابن عباس: فاحتملت عمر في رهط حتى أدخلته بيته، ثم صلى بالناس عبد الرحمن فأنكر الناس صوت عبد الرحمن فقال ابن عباس: فلم أزل عند عمر ولم يزل في غشية." (١)

"قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن أبيه قال: " §لما طعن عمر هرب أبو لؤلؤة، قال: وجعل عمر ينادي: الكلب الكلب، قال: فطعن نفرا فأخذ أبا لؤلؤة رهط من قريش عبد الله بن عوف الزهري وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص ورجل من بني سهم، فطرح عليه عبد الله بن عوف خميصة كانت عليه فانتحر **بالخنجر** حين أخذ "." (٢)

"قال: أخبرنا وكيع بن الجراح قال: أخبرنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن عمرو بن ميمون قال: " §رأيت عمر بن الخطاب يوم أصيب عليه إزار أصفر، قال: وكنت أدع الصف الأول هيبة له وكنت في

---

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٣/٣٤٥

(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٣/٣٤٧

الصف الثاني يومئذ قال: فجاء فقال: الصلاة عباد الله، استووا، ثم كبر قال: فطعنه طعنة أو طعنتين قال: وعليه إزار أصفر قد رفعه على صدره فأهوى وهو يقول: وكان أمر الله قدرا مقدورا، قال: ومال على الناس فقتل وجرح بضعة عشر فمال الناس عليه فاتكأ على **خنجره** فقتل نفسه "." (١)

"قال: أخبرنا أبو معاوية الضرير قال: أخبرنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن عمرو بن ميمون قال: " ﵁لما طعن عمر تلك الطعنة انصرف وهو يقول: وكان أمر الله قدرا مقدورا، قال: فطلبوا القاتل وكان عبدا للمغيرة بن شعبة وكان في يده **خنجر** له طرفان قال: فجعل لا يدنو منه أحد إلا طعنه فجرح ثلاثة عشر رجلا، فأفلت أربعة ومات تسعة أو أفلت تسعة ومات أربعة "." (٢)

"قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب، أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال حين قتل عمر: " قد مررت على أبي لؤلؤة ﵁قاتل عمر ومعه جفينة والهرمزان وهم نجي، فلما بغتهم ثاروا فسقط من بينهم **خنجر** له رأسان ونصابه وسطه، فانظروا ما **الخنجر** الذي قتل به عمر، فوجدوه **الخنجر** الذي نعت عبد الرحمن بن أبي بكر فانطلق عبيد الله بن عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه السيف حتى دعا الهرمزان فلما خرج إليه قال: انطلق معي حتى ننظر إلى فرس لي وتأخر عنه حتى إذا مضى بين يديه علاه بالسيف. قال عبيد الله: فلما وجد حر السيف." (٣)

"أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أو عن فاطمة بنت المنذر، أن أسماء بنت أبي بكر ﵁اتخذت **خنجرا** زمن سعيد بن العاص للصوص وكانوا قد استعروا بالمدينة فكانت تجعله تحت رأسها." (٤)

"أخبرنا أبو أسامة حماد بن أسامة، أخبرنا ابن عون، عن محمد، أن أم سليم «﵁كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعها **خنجر**»." (٥)

---

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٣٤٨/٣

(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٣٤٨/٣

(٣) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٣٥٥/٣

(٤) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٢٥٣/٨

(٥) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٤٢٥/٨

"أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني سليمان بن بلال، عن عمارة بن غزية قال: ﴿شهدت أم سليم حنينا مع رسول الله ومعها خنجر قد حزمته على وسطها وإنها يومئذ حامل بعبد الله بن أبي طلحة." (١)

"أخبرنا يزيد بن هارون، وعفان بن مسلم، قالا: أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن أم سليم اتخذت خنجرا يوم حنين. قال: أبو طلحة يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر فقالت: يا رسول الله أتخذه إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، وقال عفان: بعجت به بطنه، أقتل الطلقاء وأضرب أعناقهم انهزموا بك، قال: فتبسم رسول الله وقال: يا أم سليم ﴿إن الله قد كفى وأحسن ".." (٢)

"سرية عمرو بن أمية الضمري

ثم سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حريس إلى أبي سفيان بن حرب بمكة. وذلك أن أبا سفيان بن حرب قال لنفر من قريش: ألا أحد يغتال محمدا فإنه يمشي في الأسواق؟ فأتاه رجل من الأعراب فقال: قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشده بطشا وأسرعه شدا. فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ في عير وأسبق القوم عدوا فإني هاد بالطريق خريت! قال: أنت صاحبنا. فأعطاه بعيرا ونفقة وقال: اطو أمرك. فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى دل عليه. فعقل راحلته ثم أقبل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في مسجد بني عبد الأشهل.

فلما رآه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[قال: إن هذا ليريد غدرا!] فذهب ليجني على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره فإذا الخنجر فسقط في يديه وقال:

دمي! دمي! فأخذ أسيد بلبته فدعته. فقال رسول الله. ص: اصدقني ما أنت؟ قال: وأنا آمن؟ قال: نعم! فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان. فخلى عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلم وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب [وقال: إن أصبتما منه غرة فاقتلاه!] فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه. فأخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه. وكان فاتكا في الجاهلية. وقالوا: لم يأت عمرو لخير. فحشد له أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة. فلقي عمرو عبيد الله بن مالك بن عبيد الله التيمي فقتله. وقتل آخر

---

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٤٢٥/٨

(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٤٢٥/٨

من بني الديل سمعه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حيا! ... ولست أدين دين المسلمينا!

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسبان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة. فجعل عمرو يخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبره ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضحك.

غزوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحديبية «١»

ثم غزوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحديبية. خرج للعمرة في ذي القعدة سنة ست من

---

(١) تاريخ الطبري (٦٢٠) ، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٦- ٢٣٣) ، والمغازي للواقدي (٥٧١) .." [١]

"فقال: لأصنعن لك رحى يتحدث بها الناس. فلما ولى العبد أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم: أوعدني العبد آنفا. فلبث ليالي ثم اشتمل أبو لؤلؤة على **خنجر** ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في غلس السحر فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة صلاة الفجر. وكان عمر يفعل ذلك.

فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهي التي قتلته. ثم انحاز أيضا على أهل المسجد فطعن من يليه حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلا. ثم انتحر **بخنجره**. فقال عمر حين أدركه النزف وانقصف الناس عليه: قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس. ثم غلب النزف حتى غشي عليه. قال ابن عباس: فاحتملت عمر في رهط حتى أدخلته بيته.

ثم صلى بالناس عبد الرحمن فأنكر الناس صوت عبد الرحمن فقال ابن عباس: فلم أزل عند عمر ولم يزل في غشية واحدة حتى أسفر الصبح. فلما أسفر أفاق فنظر في وجوهنا فقال: أصلى الناس؟ قال فقلت: نعم. فقال: لا إسلام لمن ترك الصلاة. ثم دعا بوضوء فتوضأ. ثم صلى ثم قال: اخرج يا عبد الله بن عباس فسل من قتلني. قال ابن عباس: فخرجت حتى فتحت باب الدار فإذا الناس مجتمعون جاهلون بخبر عمر. قال فقلت: من طعن أمير المؤمنين؟ فقالوا: طعنه عدو الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. قال فدخلت فإذا عمر يبد في النظر يستأني خبر ما بعثني إليه فقلت أرسلني أمير المؤمنين لأسأل من قتله فكلمت الناس فزعموا أنه طعنه عدو الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. ثم طعن معه رهطا. ثم قتل نفسه. فقال: الحمد

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٢/٧٢

لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط. ما كانت العرب لتقتلني. قال سالم فسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال عمر أرسلوا إلي طبيبا ينظر إلى جرحي هذا. قال فأرسلوا إلى طبيب من العرب فسقى عمر نبيذا فشبه النبيذ بالدم حين خرج من الطعنة التي تحت السرة. قال فدعوت طبيبا آخر من الأنصار ثم من بني معاوية فسقاه لبنا فخرج اللبن من الطعنة يصلد أبيض. قال فقال له الطبيب: يا أمير المؤمنين اعهد.

فقال عمر: صدقني أخو بني معاوية ولو قلت غير ذلك لكذبتك. قال فبكى عليه القوم حين سمعوا فقال: لا تبكوا علينا. من كان باكيا فليخرج. ألم تسمعوا [ما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: يعذب الميت ببكاء أهله عليه] فمن أجل ذلك كان عبد الله بن عمر لا يقر أن يبكى عنده على هالك من ولده ولا غيرهم. وكانت عائشة زوج." (١)

"النبي – صلى الله عليه وسلم – تقيم النوح على الهالك من أهلها فحدثت بقول عمر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت: يرحم الله عمر وابن عمر فو الله ما كذبا ولكن عمر وهل. [إنما مر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على نوح يبكون على هالك لهم فقال: إن هؤلاء يبكون وإن صاحبهم ليعذب. وكان قد اجترم ذلك] .

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني هشام بن عمارة عن أبي الحويرث قال: لما قدم غلام المغيرة بن شعبة ضرب عليه عشرين ومائة درهم كل شهر. أربعة دراهم كل يوم. قال وكان خبيثا نظر إلى السبي الصغار يأتي فيمسح رؤوسهم ويبكي ويقول: إن العرب أكلت كبدي. فلما قدم عمر من مكة جاء أبو لؤلؤة إلى عمر يريده فوجده غاديا إلى السوق وهو متكئ على يد عبد الله بن الزبير فقال: يا أمير المؤمنين إن سيدي المغيرة يكلفني ما لا أطيق من الضريبة. قال عمر: وكم كلفك؟ قال: أربعة دراهم كل يوم. قال: وما تعمل؟ قال: الأرحاء. وسكت عن سائر أعماله. فقال: في كم تعمل الرحى؟ فأخبره. قال: وبكم تبيعها؟ فأخبره. فقال: لقد كلفك يسيرا.

انطلق فأعط مولاك ما سألك. فلما ولى قال عمر: ألا تجعل لنا رحى؟ قال: بلى أجعل لك رحى يتحدث بها أهل الأمصار. ففزع عمر من كلمته. قال وعلي معه فقال: ما تراه أراد؟ قال: أوعدك يا أمير المؤمنين. قال عمر: يكفيناه الله قد ظننت أنه يريد بكلمته غورا.

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٣/٢٦٣

أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: كان أبو لؤلؤة من سبي نهاوند.

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال: لما طعن عمر هرب أبو لؤلؤة. قال وجعل عمر ينادي: الكلب الكلب. قال فطعن نفرا فأخذ أبا لؤلؤة رهط من قريش عبد الله بن عوف الزهري وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص ورجل من بني سهم فطرح عليه عبد الله بن عوف خميصة كانت عليه فانتحر **بالخنجر** حين أخذ.

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه قال: إنما طعن نفسه به حتى قتل نفسه. واحتز عبد الله بن عوف الزهري رأس أبي لؤلؤة.

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن محمد بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: سمعت عمر يقول لقد طعنني أبو." (١)

"لؤلؤة وما أظنه إلا كلبا حتى طعنني الثالثة.

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما طعن عمر بن الخطاب اجتمع الناس إليه. البدريون المهاجرون والأنصار. فقال لابن عباس: اخرج إليهم فسلهم: عن ملإ منكم ومشورة كان هذا الذي أصابني؟ قال فخرج ابن عباس فسألهم فقال القوم: لا والله ولوددنا أن الله زاد في عمرك من أعمارنا.

قال: أخبرنا وكيع بن الجراح قال: أخبرنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب يوم أصيب عليه إزار أصفر. قال وكنت أدع الصف الأول هيبة له وكنت في الصف الثاني يومئذ. قال فجاء فقال: الصلاة عباد الله استووا. ثم كبر. قال فطعنه طعنة أو طعنتين. قال وعليه إزار أصفر قد رفعه على صدره فأهوى وهو يقول: وكان أمر الله قدرا مقدورا. قال ومال على الناس فقتل وجرح بضعة عشر. فمال الناس عليه فاتكأ على **خنجره** فقتل نفسه.

قال: أخبرنا أبو معاوية الضرير قال: أخبرنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن عمرو بن ميمون قال: لما طعن عمر تلك الطعنة الأصرف وهو يقول: وكان أمر الله قدرا مقدورا. قال فطلبوا القاتل وكان عبدا للمغيرة بن شعبة. وكان في يده **خنجر** له طرفان. قال فجعل لا يدنو منه أحد إلا طعنه فجرح ثلاثة عشر رجلا.

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٣/٢٦٤

فأفلت أربعة ومات تسعة. أو أفلت تسعة ومات أربعة.

قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: أخبرنا مسعر عن مهاجر عن عمرو بن ميمون قال: صلى عمر الفجر في العام الذي أصيب فيه فقرأ: «لا أقسم بهذا البلد» البلد: ١ «والتين والزيتون» التين: ١.

قال: أخبرنا يحيى بن حماد قال: أخبرنا أبو عوانة عن رقبة بن مصقلة عن أبي صخرة عن عمرو بن ميمون قال: سمعت عمر بن الخطاب حين طعن يقول: وكان أمر الله قدرا مقدورا.

قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: أخبرنا العمري عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكتب إلى أمراء الجيوش: لا تجلبوا علينا من العلوج أحدا جرت عليه المواسي. فلما طعنه أبو لؤلؤة قال: من هذا؟ قالوا: غلام المغيرة بن شعبة. قال: ألم أقل لكم لا." (١)

"قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري عن أبيه عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال: أخبرني سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال حين قتل عمر: قد مررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة والهرمزان وهم تجي فلما بغتهم ثاروا فسقط من بينهم **خنجر** له رأسان ونصابه وسطه. فانظروا ما **الخنجر** الذي قتل به عمر. فوجدوه **الخنجر** الذي نعت عبد الرحمن بن أبي بكر.

فانطلق عبيد الله بن عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه السيف حتى دعا الهرمزان فلما خرج إليه قال: انطلق معي حتى ننظر إلى فرس لي. وتأخر عنه حتى إذا مضى بين يديه علاه بالسيف. قال عبيد الله: فلما وجد حر السيف قال:

لا إله إلا الله. قال عبيد الله: ودعوت جفينة وكان نصرانيا من نصارى الحيرة. وكان ظئرا لسعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة للملح الذي كان بينه وبينه. وكان يعلم الكتاب بالمدينة. قال عبيد الله: فلما علوته بالسيف صلب بين عينيه. ثم انطلق عبيد الله فقتل ابنة لأبي لؤلؤة صغيرة تدعي الإسلام. وأراد عبيد الله أن لا يترك سبيا بالمدينة إلا قتله. فاجتمع المهاجرون الأولون عليه فنهوه وتوعدوه فقال: والله لأقتلنهم وغيرهم. وعرض ببعض المهاجرين فلم يزل عمرو بن العاص به حتى دفع إليه السيف. فلما دفع إليه السيف أتاه سعد بن أبي وقاص فأخذ كل واحد منهما برأس صاحبه يتناصيان حتى حجز بينهما. ثم أقبل عثمان قبل أن يبايع له في تلك الليالي حتى واقع عبيد الله فتناصيا. وأظلمت الأرض يوم قتل عبيد الله جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة على الناس. ثم حجز بينه وبين عثمان. فلما استخلف عثمان دعا المهاجرين والأنصار فقال: أشيروا

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٣/٢٦٥

علي في قتل هذا الرجل الذي فتق في الدين ما فتق. فاجتمع المهاجرون على كلمة واحدة يشايعون عثمان على قتله وجل الناس الأعظم مع عبيد الله يقولون لجفينة والهرمزان أبعدهما الله: لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر ابنه؟ فكثر في ذلك اللغط والاختلاف ثم قال عمرو بن العاص لعثمان: يا أمير المؤمنين إن هذه الأمر قد كان قبل أن يكون لك على الناس سلطان فأعرض عنهم.

وتفرق الناس عن خطبة عمرو وانتهى إليه عثمان وودي الرجلان والجارية.

قال محمد بن شهاب: قال حمزة بن عبد الله: قال عبد الله بن عمر: يرحم الله حفصة فإنها ممن شجع عبيد الله على قتلهم.

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني موسى بن يعقوب عن أبيه عن جده." (١)

"أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس. حدثني أبي عن هشام بن عروة أن المنذر بن الزبير قدم من العراق فأرسل إلى أسماء بنت أبي بكر بكسوة من ثياب مروية وقوهية رقاق عتاق بعد ما كف بصرها. قال: فلمستها بيدها ثم قالت: أف! ردوا عليه كسوته. قال: فشق ذلك عليه وقال: يا أمه إنه لا يشف. قالت: إنها إن لم تشف فإنها تصف. قال: فاشترى لها ثيابا مروية وقوهية فقبلتها وقالت: مثل هذا فاكسني.

أخبرنا أنس بن عياض. حدثني محمد بن أبي يحيى عن إسحاق مولى محمد بن زياد عن أبي واقد الليثي صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبره في حديث رواه أنه شهد اليرموك. قال: وكانت أسماء بنت أبي بكر مع الزبير. قال: فسمعتها وهي تقول للزبير: يا أبا عبد الله والله إن كان الرجل من العدو ليمر يسعى فتصيب قدمه عروة أطناب خبائي فيسقط على وجهه ميتا ما أصابه السلاح.

أخبرنا يزيد بن هارون. أخبرنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه أو عن فاطمة بنت المنذر أن أسماء بنت أبي بكر اتخذت **خنجرا** زمن سعيد بن العاص للصوص.

وكانوا قد استعروا بالمدينة. فكانت تجعله تحت رأسها.

أخبرنا كثير بن هشام. حدثنا الفرات بن سلمان عن عبد الكريم عن عكرمة قال: سئلت أسماء بنت أبي بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف؟

قالت: لا ولكنهم كانوا يبكون.

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس. حدثنا زهير عن أبي إسحاق عن مصعب بن سعد قال: فرض عمر

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٣/٢٧١

الأعطية ففرض لأسماء بنت أبي بكر ألف درهم.

أخبرنا عفان بن مسلم. حدثنا حماد بن سلمة. حدثنا هشام بن عروة أن الزبير طلق أسماء فأخذ عروة وهو يومئذ صغير.

أخبرنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة أن أسماء لبست المعصفرات المشبعات وهي محرمة ليس فيها زعفران.

أخبرنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر أنها قالت:

ما رأيت أسماء لبست إلا معصفرا حتى لقيت الله وإن كانت لتلبس الدرع يقوم قياما من العصفر.

أخبرنا عارم بن الفضل. حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن فاطمة بنت المنذر." (١)

"بنت ثعلبة. أسلمت أم حكيم وبايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

٤٥٧١- أم سليم بنت ملحان

بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. وهي الغميصاء. ويقال الرميصاء. ويقال اسمها سهلة. ويقال رميلة. ويقال بل اسمها أنيفة. ويقال رميثة. وأمها مليكة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار. تزوجها مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار فولدت له أنس بن مالك.

ثم خلف عليها أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار فولدت له عبد الله وأبا عمير. وأسلمت أم سليم وبايعت رسول الله وشهدت يوم حنين وهي حامل بعبد الله بن أبي طلحة. وشهدت قبل ذلك يوم أحد تسقي العطشى وتداوي الجرحى.

أخبرنا أبو أسامة حماد بن أسامة. أخبرنا ابن عون عن محمد أن أم سليم كانت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد ومعها **خنجر**.

أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية قال:

شهدت أم سليم حنينا مع رسول الله ومعها **خنجر** قد حزمته على وسطها. وإنها يومئذ حامل بعبد الله بن أبي طلحة.

أخبرنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا: أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن أم سليم اتخذت

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ١٩٩/٨

خنجرا يوم حنين. قال أبو طلحة: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر. فقالت: يا رسول الله أتخذه إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه. وقال عفان: بعجت به بطنه. أقتل الطلقاء وأضرب أعناقهم انهزموا بك. قال:

[فتبسم رسول الله وقال: يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن] .

أخبرنا عمرو بن عاصم. حدثنا همام عن إسحاق بن عبد الله عن جدته أم سليم أنها آمنت برسول الله. قالت: فجاء أبو أنس وكان غائبا فقال: أصبوت؟ قالت:

ما صبوت ولكني آمنت بهذا الرجل. قالت: فجعلت تلقن أنسا وتشير إليه قل لا إله إلا الله. قل أشهد أن محمدا رسول الله. قال: ففعل. قال: فيقول لها أبوه: لا تفسدي علي ابني. فتقول: إني لا أفسده. قال: فخرج مالك أبو أنس فلقيه عدو فقتله فلما

٤٥٧١ أسد الغابة (٧٤٧١) .." (١)

"وكانوا «١» يسمون شرطة الخميس «٢» .

وقال غيره: وجه إلى الشام عبيد الله بن العباس ومعه قيس بن سعد.

فسار فيهم قيس حتى نزل مسكن «٣» والأنبار «٤» وناحيتها. وسار الحسن حتى نزل المدائن. وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منبج «٥» . فبينا الحسن بالمدائن إذ نادى مناديه في عسكره ألا إن قيس بن سعد قد قتل. قال: فشد الناس على حجرة الحسن فانتهبوها حتى انتهبت بسطه وجواريه وأخذوا رداءه من ظهره. وطعنه رجل من بني أسد يقال له: ابن أقيصر «٦» بخنجر مسموم في أليته. فتحول من مكانه الذي انتهب فيه

---

(١) في الأصل، وكان، والتصحيح من المحمودية.

(٢) شرطة الخميس: الخميس هو الجيش سمي بذلك لأنه يتكون من خمس فرق. مقدمة. وقلب. وميمنة. وميسرة. وساقة. وشرطة الجيش هم أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت (انظر لسان العرب مادة خمس ومادة شرط: ٦/ ٧٠ و ٧/ ٣٣٠) قلت: وفي تنظيمات الجيوش الحديثة فرقة تسمى الشرطة العسكرية

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٣١٢/٨

وتتولى المهمات الأمنية في الجيش. ولعل المراد هنا ما بينه الطبري في تاريخه: ٤/ ١٥٨ عن الزهري قال: جعل علي. قيس بن سعد على مقدمته من أهل العراق إلى قبل أهل أذربيجان وعلى أرضها. وشرطة الخميس الذي ابتدعه من العرب وكانوا أربعين ألفا. فالنص يوضح أن عليا هو أول من ابتدأ هذا وأنهم فرقة خاصة من العرب.

(٣) مسكن- بكسر الكاف- موضع على نهر دجيل عند دير الجاثليق به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير سنة ٧٢ هـ (معجم البلدان: ٥/ ١٢٧) .

(٤) الأنبار: مدينة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (معجم البلدان: ١/ ٢٥٧) .

(٥) منبج: بلد قديم في طرف الشام الأعلى من جهة العراق قال ياقوت: بلد قديم وما أظنه إلا روميا. ثم ذكر اشتقاقه في العربية. وكانت عاصمة إقليم العواصم أيام الرشيد (معجم البلدان: ٥/ ٢٠٥) .

(٦) في سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٦٣ ذكر عن عوانة بن الحكم: أن الرجل من الخوارج وأن الناس قد وثبوا عليه فقتلوه. وسماه الحاكم في المستدرك: ٣/ ١٧٤ سنان بن الجراح الأسدي أخو بني نصر وقال: وثب عليه عبد الله بن ظبيان بن عمارة التميمي فعض وجهه وشدخ رأسه بحجر فمات من وقته.." [1]

"الحسن أن أقبل فأقبل من جسر منبج إلى مسكن في خمسة أيام وقد دخل يوم السادس. فسلم إليه الحسن الأمر وبايعه ثم سارا جميعا حتى قدما الكوفة.

فنزل الحسن القصر. ونزل معاوية النخيلة. فأتاه الحسن في عسكره غير مرة.

ووفى معاوية للحسن ببيت المال. وكان فيه يومئذ ستة آلاف ألف درهم واحتملها الحسن وتجهز بها هو وأهل بيته إلى المدينة. وكف معاوية عن سب علي والحسن يسمع. ودس معاوية إلى أهل البصرة فطردوا وكيل الحسن.

وقالوا «١» : لا يحمل فيئنا إلى غيرنا. يعنون خراج فسا ودرابجرد. فأجرى معاوية على الحسن كل سنة ألف ألف درهم. وعاش الحسن بعد ذلك عشر سنين.

٢٨٣- قال: أخبرنا هشام أبو الوليد الطيالسي «٢» . قال: حدثنا أبو عوانة. عن حصين. عن أبي جميلة. أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي. فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه **بخنجر-** وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد- وحسن ساجد قال حصين:

---

(١) الطبقات الكبرى – متمم الصحابة – الطبقة الخامسة ابن سعد ٣٢١/١

وعمى أدرك ذاك. قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه فمرض منها أشهرا ثم برئ. [فقعد على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم أهل البيت الذين قال الله: «إنما يريد الله/ ليذهب عنكم «٣» الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» «٤» قال: فما زال يقول ذاك حتى ما يرى «٥» أحد من أهل المسجد إلا وهو يخن بكاءا] .

٢٨٣- إسناده حسن. حيث توبع.

- هشام أبو الوليد الطيالسي. ثقة ثبت. تقدم في (٣) .

- أبو عوانة وضاح بن عبد الله اليشكري. ثقة. تقدم في (٦٤) .

- حصين هو ابن عبد الرحمن السلمي. ثقة. تقدم في (٦٣) .

- أبو جميلة هو ميسرة بن يعقوب الطهوي- بضم الطاء المهملة- الكوفي.

صاحب راية علي. مقبول. من الثالثة (تق: ٢/ ٢٩١) .

تخريجه:

أخرجه الطبراني في الكبير: ٣/ ٩٣ من طريق حصين به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ١٧٢ رجاله ثقات. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق:

٤/ ل ٥٣٧ و ٥٣٨ عن عدة طرق منها هذا الطريق والطريق الماضي برقم (٢٨٠) وهي طريق صحيحة.

---

(١) في الأصل: وقال: والتصحيح من المحمودية.

(٢) ساقطة من المحمودية.

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) سورة الأحزاب. آية (٣٣) .

(٥) في المحمودية:، حتى ما أرى أحدا،.." (١)

"١٢٥٩ - سمعت العباس يقول سمعت أبا عاصم قال رأيت شعبة أقبل على رجل خراساني يحدثه فقال له رجل من أصحاب الحديث تقبل على هذا وتدعنا فقال شعبة وما علمي لعل مع هذا خنجرا يشق

---

(١) الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة ابن سعد ٣٢٣/١

به بطني

١٢٦٠ - سألت يحيى أيما أعجب إليك الحارث عن على أو عاصم بن ضمرة عن على فقال عاصم بن ضمرة

١٢٦١ - حدثنا العباس حدثنا عبيد الله بن موسى قال أنبأنا شقيق بن أبى عبد الله عن أنس بن مالك أنه كان إذا جاء إلى مجلسه لم يسلم حتى يستوي في موضعه ثم يقبل عليهم فيقول السلام عليكم

١٢٦٢ - سألت يحيى عن محمد بن بشر الكوفى الذي يروى عن زياد بن علاقة فقال ثقة

١٢٦٣ - وسألت يحيى عن الحسن بن صالح فقال ثقة

١٢٦٤ - وسألت يحيى عن على بن صالح فقال ثقة

١٢٦٥ - وسألت يحيى عن إبراهيم بن حميد الرؤاسي فقال ثقة

١٢٦٦ - وسألت يحيى عن كامل أبى العلاء فقال ثقة

١٢٦٧ - وسألت يحيى عن أبى حفص الأبار فقال ثقة

١٢٦٨ - وسألت يحيى عن المحاربي فقال ثقة

١٢٦٩ - وسألت يحيى عن حماد بن يحيى الأبح فقال ثقة

١٢٧٠ - وسألت يحيى عن يحيى بن المهلب أبى كدينة فقال ثقة." (١)

"٢٧٥٧- شبر بن علقمة.

قال ابن عيينة: عن الأسود، عن شبر، رجل من قومه، سمع سعدا، قوله.

يعد في الكوفيين.

وقال ابن مهدي، عن سفيان، عن الأسود بن قيس، عن شبر بن علقمة؛ كنا بالقادسية، فقال رجل منهم، يعني من العدو: برز، برز، فبرزت له، وصاح وكبرت، فصرعني فنظرت إلى خنجر في قبائه (١) ، فأخذته فطعنته به، وعليه سواران (٢) ومنطقة، قال عبد الرحمن: لا أعلمه إلا ذكر ساعديه، فقتلته وأخذته، فأتيت به سعدا، فخطب الناس وقص قصته، وقال: إن سلبه بلغ اثني عشر ألفا، وقد نفلناكه، فكله هنيئا مريئا.

---

(١) تاريخ ابن معين - رواية الدوري يحيى بن معين ٣/٢٦٨

قاله لي عبيد الله بن سعيد، حدثنا ابن مهدي.

---

(١) في المطبوع: "سر قباه"، وأثبتناه عن "تهذيب الأسماء" ٢٤٤، إذ نقله عن هذا الموضع.

(٢) في المطبوع، "سوارين"، وأثبتناه عن المصدر السابق.." (١)

"أنس قال شبث: أنا أول من حرر الحرورية، فقال رجل: ما في هذا مدح، من بني يربوع بن حنظلة التيمي.

٢٧٥٦ - شفعة السمعي (١) أنه أتى بيت المقدس: فدفعت إلى عبد الله بن عمرو فقال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعلي ثوبان معصفران فقال حين رآني: من يحول بيني وبين هذه النار؟ فقام رجل فحال بيني وبينه قلت: ما أصنع بهما؟ قال: احرقهما بالنار - قاله لنا هيثم بن خارجة عن إسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم عن شفعة.

٢٧٥٧ - شبر (٢) بن علقمة، قال ابن عيينة عن الأسود عن شبر (٣) رجل من قومه سمع سعدا - قوله، يعد في الكوفيين، وقال ابن مهدي عن سفيان عن الأسود بن قيس عن شبر (٤) بن علقمة: كنا بالقادسية فقال رجل منهم يعني من العدو: برز برز، فبرزت له وصاح وكبرت فصرعني فنظرت إلى **خنجر** في سر (٥) قباه فأخذته فطعنته به وعليه سوارين (٥) ومنطقة - قال عبد الرحمن: لا أعلمه إلا ذكر ساع‌ديه فقتلته وأخذته فأتيت به سعد فخطب الناس وقص قصته، وقال: إن سلبه بلغ اثني عشر ألفا وقد نفلناكه فكله هنيئا مريئا - قاله

---

(١) هكذا في الثقات وغيرها وهكذا ضبطه ابن ماكولا وابن السمعاني وصاحب القاموس ومنهم من قال بفتحتين ووقع في الاصل " المسمعي " خطأ - ح.

(٢) وقيل بفتحتين كما في الاكمال لابن ماكولا - ح (٣) وقع في الاصل هنا " شمر "كذا - ح (٤)

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل البخاري ٢٦٧/٤

وقع في الاصل هنا " بشر "كذا - ح (٥) كذا.
[*]. " (١)

"يظن أنه عمرو، فلما علم أنه ليس عمرا، قال: أردت عمرا وأراد الله خارجة. فكان عمرو يقول: ما نفعنى بطنى قط إلا ذلك اليوم.

حدثنا معاوية بن صالح، حدثنا يحيى بن معين، عن وهب بن جرير، عن أبيه، قال: ذهب حرورى ليقتل عمرو بن العاص بمصر، فلما قدمها إذا رجل جالس يغدى قد ولى شرطة عمرو، فظن أنه عمرو، فوثب عليه فقتله، فلما أدخل على عمرو قال: أما والله ما أردت غيرك، قال: لكن الله لم يردنى، فقتل الرجل.

وقد قيل إن خارجة إنما قتل بالشام، والله أعلم.

حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الهقل بن زياد، عن معاوية بن يحيى الصدفى، حدثنى الزهرى، قال: تعاقد «١» ثلاثة نفر من أهل العراق عند الكعبة على قتل معاوية وعمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة، فأقبلوا بعد ما بويع معاوية على الخلافة حتى قدموا إيلياء، فصلوا من السحر فى المسجد ما قدر لهم ثم انصرفوا، فسألوا بعض من حضر المسجد من أهل الشام، أى ساعة يوافون فيها خلوة أمير المؤمنين، فإنا رهط من أهل العراق أصابنا غرم فى أعطياتنا ونريد أن نكلمه وهو لنا فارغ، فقال لهم: امهلوا حتى إذا ركب دابته فاعترضوا له فكلموه، فإنه سيقف عليكم حتى تفرغوا من كلامه.

فتعجلوا ذلك؛ فلما خرج معاوية لصلاة الفجر كبر، فلما سجد السجدة الأولى، انبطح أحدهم «٢» على ظهر الحرسى الساجد بينهم وبينه حتى طعن معاوية فى مأكمته، يريد فخذه، **بخنجر**، فانصرف معاوية وقال للناس: أتموا صلاتكم، وأخذ الرجل فأوثق، ودعى لمعاوية الطبيب فقال الطبيب: إن هذا **الخنجر** إلا يكن مسموما فإنه ليس عليك بأس، فأعد الطبيب العقاقير التى تشرب إن كان مسموما، ثم أمر بعض من يعرفها من تباعه أن يسقيه إن عقل لسانه حتى يلحس **الخنجر**، ثم نحسه فلم يجده مسموما، فكبر وكبر من عنده من الناس. ثم خرج خارجة بن حذافة، وهو أحد بنى عدى بن كعب من عند معاوية إلى الناس، فقال: هذا أمر عظيم ليس بأمير المؤمنين بأس بحمد الله وأخذ يذكر الناس وشد عليه أحد الحروريين الباقيين يحسبه عمرو بن العاص فضربه بالسيف على." (٢)

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع البخاري ٢٦٧/٤

(٢) فتوح مصر والمغرب ابن عبد الحكم، أبو القاسم ص/١٣١

"ثم أحد، ثم الأحزاب، ثم قريظة، ثم بئر معونة [١] ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة مكة، ثم حنين والطائف.

قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب يقول: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة غزوة. وسمعته مرة أخرى يقول: أربعا وعشرين. فلا أدري أكان ذلك وهما أو شيئا سمعه بعد ذلك [٢] .

ردة الأسود العنسي:

وممن أخرجها يعقوب بن سفيان في «تأريخه» قال حدثنا زيد بن المبارك وغيره حدثنا محمد بن الحسن الصنعاني حدثنا سليمان بن وهب عن النعمان بن بزرج قال:

خرج الأسود العنسي فذكر قصة غلبته على صنعاء اليمن وقتل باذام عامل النبي صلى الله عليه وسلم واستصفى امرأته المرزبانة لنفسه فتزوجها، وكانت تكرهه لما صنع بقومها، قال: فأرسلت الى داذويه- وكان خليفة باذام- والى فيروز والى خرزاذ بن بزرج وجرجست الفارسيين فائتمروا على قتل الأسود، وكان على بابه ألف رجل للحرس، فجعلت المرزبانة تسقيه الخمر فكلما قال لها: شوبيه. سقته صرفا حتى سكر، وقام فدخل الفراش، وهو من ريش، وعمد داذويه وأصحابه الى الجدار فنضحوه بالخل، وحفروا بحديدة حتى فتحوه، ودخل داذويه وجرجست فهابا أن يقتلاه، ودخل فيروز وابن بزرج، فأشارت اليهما المرأة أنه في الفراش، فتناول فيروز رأسه فعصر عنقه فدقها، وطعنه خرزاذ **بالخنجر**

---

[١] قال ابن كثير معقبا «قوله: بئر معونة بعد قريظة فيه نظر والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتي» .

[٢] ابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ٢٤١.." (١)

"ولا غرو إلا جوبها البيد في الدجى ... ومن دوننا وعن أشم وقور

تحن بباب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقاص على أمير

وسعد أمير شره دون خيره ... طويل الشذمى كأبي الزناد قصير

تذكر هداك الله وقع سيوفنا ... بباب قديس والمكر عسير

عشية ود القوم لو أن بعضهم ... يعار جناحي طائر فيطير

---

(١) المعرفة والتاريخ يعقوب بن سفيان الفسوي ٣/٢٦٢

قال: واستشهد يومئذ سعد بن عبيد الأنصاري فاغتم عمر لمصابه وقال:

لقد كان قتله ينغص على هذا الفتح.

فتح المدائن

قالوا: مضى المسلمون بعد القادسية فلما جاوزوا دير كعب لقيهم النخيرخان إليها وبدأ في جمع عظيم من أهل المدائن فاقتتلوا وعانق زهير بن سليم الأزدي النخيرخان فسقط إلى الأرض وأخذ زهير **خنجرا** كان في وسط النخيرخان فشق بطنه فقتله، وسار سعد والمسلمون فنزلوا ساباط واجتمعوا بمدينة بهر سير وهي المدينة التي في شق الكوفة فأقاموا تسعة أشهر ويقال ثمانية عشر شهرا حتى أكلوا الرطب مرتين، وكان أهل تلك المدينة يقاتلونهم فإذا تحاجزوا دخلوها، فلما فتحها المسلمون أجمع يزدجرد بن شهريار ملك فارس على الهرب فدلى من أبيض المدائن في زبيل فسماه النبط برزبيلا ومضى إلى حلوان معه وجوه أساورته وحمل معه بيت ماله وخف متاعه وخزانته والنساء والذراري وكانت السنة التي هرب فيها سنة مجاعة وطاعون عم أهل فارس ثم عبر المسلمون خوضا ففتحوا المدينة الشرقية.

حدثني عفان بن مسلم، قال: أخبرنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، قال:

أخبرنا أبو وائل، قال: لما انهزم الأعاجم من القادسية اتبعناهم فاجتمعوا بكوثى." (١)

"رتبيل الأمان على أن يحمله إلى أمير المؤمنين، فآمنه وبعث به إلى بغداد مع خمسة آلاف من مقاتلهم فأكرمه المنصور وفرض له وقوده، قالوا: وخاف معن الشتاء وهجومه فانصرف إلى بست، وأنكر قوم من الخوارج سيرته فاندسوا مع فعلة كانوا يبنون في منزله بناء، فلما بلغوا التسقيف احتالوا لسيوفهم فجعلوها في حزم القصب ثم دخلوها عليه قبته وهو يحتجم ففتكوا به وشق بعضهم بطنه **بخنجر** كان معه، وقال أحدهم وضربه على رأسه أبو الغلام الطاقي والطاق رستاق بقرب زرنج فقتلهم يزيد بن مزيد فلم ينج منهم أحد، ثم أن يزيد قام بأمر سجستان، واشتدت على العرب والعجم من أهلها وطأته فاحتال بعض العرب فكتب على لسانه إلى المنصور كتابا يخبره فيه إن كتب المهدي إليه قد حيرته وأدهشته ويسأله أن يعفيه من معاملته، فأغضب ذلك المنصور وشتمه وأقر المهدي كتابه فعزله وأمر بحبسه وبيع كل شيء له، ثم أنه كلم فيه فأشخص إلى مدينة السلام فلم يزل بها مخبوءا حتى لقيه الخوارج على الجسر فقاتلهم فتحرك أمره قليلا، ثم توجه إلى يوسف البرم بخراسان فلم يزل في ارتفاع ولم يزل عمال المهدي والرشيد رحمهما

---

(١) فتوح البلدان البلاذري ص/٢٥٨

الله يقبضون الإتاوة من رتبيل سجستان على قدر قوتهم وضعفهم ويولون عمالهم النواحي التي قد غلب عليها الإسلام ولما كان المأمون بخراسان أديت إليه الإتاوة مضعفة وفتح كابل وأظهر ملكها الإسلام والطاعة وأدخلها عامله واتصل إليها البريد فبعث إليه منها بأهليلج غض ثم استقامت بعد ذلك حينا.

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي، قال: كان في صلحات سجستان القديمة أن لا يقتل لهم ابن عرس لكثرة الأفاعي عندهم قال، وقال: أول من دعا أهل سجستان إلى رأي الخوارج رجل من بني تميم يقال له عاصم أو ابن عاصم

.." (١)

"وخرج على ابنه كسرى حتى نفاه من مملكته، وما احسب قصارى امرك منه الا الغدر ونكث العهد، فاحذره ايها الملك، لا يفسد عليك ملكك.

فلما سمع خاقان منه ذلك غضب غضبا شديدا، وقال: لولا انك وافد ورسول لمنعتك من الدخول الى لما استبان لي من خرقك وعيبك بحضرتى أخي وصفى، فلا تعودن لمثل هذا.

فقال هرمزد جرابزين: اما إذ كان ايها الملك هذا رأيك فيه، فاسالك ان تكتم على، لا يبلغه ذلك، فيقتلني، فقال: هذا لك.

فخرج هرمزد آيسا منه، فاندس الى امراته خاتون ومن النساء السخافة وكفران النعم فدخل عليها ذات يوم، فلم يصادف عندها أحدا يخافه، فقال لها: أيتها الملكه، انكم قد اصطفيتم بهرام، ورفعتموه فوق قدره، وليس بمأمون ان يفسد عليكم ملككم كما افسده على هرمزد ملكنا، ثم قص عليها ما كان منه، وقال: أيتها الملكه، اقد نسيت قتله عمك شاهان شاه واحتواءه على سريره وخزائنه؟ فلم يزل يذكرها هذا، وأشباهه حتى اوقع في قلبها بغض بهرام والخوف منه على زوجها وولدها.

قالت: ويحك، وما الذى يمكنني في امره، ومنزلته من الملك منزلته؟.

قال: الرأي ان تدسى اليه من يقتله، فتامنى على زوجك وولدك.

فأمرت غلاما لها قد عرفته بالفتك والاقدام، فقالت له: انطلق الساعة حتى تدخل على بهرام وتتلطف لتقتله، ولا تأتني الا بعد الفراغ منه.

فانطلق الغلام حتى استاذن على بهرام، وفي حجزته **خنجر**، قد ستره، وكان ذلك اليوم يوم ورهام روز.

---

(١) فتوح البلدان البلاذري ص/٣٨٩

قالوا: وقد كان المنجمون قالوا في مولده، ان منيته في ورهام روز [١] ،

---

[١] روز بالفارسيه بمعنى يوم. ويوم ورهام واحد من الأيام المعروفه عند الفرس.." (١)

"فكان لا يخرج ذلك اليوم من منزله، ولا يأذن لأحد الا لثقاته وخاصته، فدخل الاذن، فاعلمه ان رسول الملكه يطلب الاذن، فاذن له، فدخل، فحيا بهرام وقال: ان الملكه قد وجهتني إليك برسالة، فأخلني. فقام من عند بهرام، فخرجوا. ودنا التركى منه، كأنه يريد ان يساره، ثم استل **الخنجر** فبعجه [١] به، وخرج، فركب دابته، ومضى.

ودخل اصحاب بهرام عليه، فصادفوه يستدمى، وبيده ثوب ينشف به الدم، فلما راوه بتلك الحال بهتوا، وقالوا: كيف لم تهتف بنا، فنأخذه؟، فقال: انما كان كلبا امر بشيء فنفذ له، وقال لهم: إذا جاء القدر لم يغن الحذر، وقد خلفت عليكم أخي مردان سينه، فأطيعوا امره.

وارسل الى خاقان يعلمه امره، فاقبل خاقان نحوه والها [٢] فواراه في ناووس [٣] ، وهم بقتل خاتون، فحجز عن ذلك لمكان ولده منها.

وان اصحاب بهرام تناظروا فيما بينهم، فقالوا: ما لنا عند هؤلاء خير، وما الرأي الا الخروج عن ارضهم، فإنهم غدره بالعهد، كفره للإحسان، والانتقال الى بلاد الديلم، فإنها اقرب الى بلادنا، وامكن للطلب بثارنا من ملوكنا الذين شردونا، فسألوا خاقان الاذن لهم في الانصراف، فاذن لهم، واحسن اليهم، وقواهم، وبذرقهم [٤] الى حدود ارضه.

وكان مع بهرام اخته كرديه، وكانت من اجمل نساء العجم، وابرعهن براعه، وأكملهن خلقا، وافرسهن فروسيه، فخرج اصحاب بهرام وكرديه امامهم على دابه بهرام متسلحه بسلاحه، حتى انتهوا الى نهر جيحون مما يلى خوارزم، فعبروا هناك، وانصرف عنهم الطراخنه، وأخذ اصحاب بهرام

---

[١] بعجة: شق بطنه.

[٢] غضبان قد ذهب عقله من شده الحزن.، فصادفه قد مات.

---

(١) الأخبار الطوال الدينوري، أبو حنيفة ص/٩٩

[٣] الناووس: مقابر النصارى.

[٤] خفرهم والمبذرق الخفير.." (١)

"قولك فيه، لأوجه إليها بالكتاب مع امراتى، فاننى لا أثق بسواها في كتمان السر.

فكتب لها كسرى بذلك، وأكد، فاخذ كردى الكتاب، ووجهه مع امراته الى كرديه. وقد كان بسطام خرج بها معه لشدة وجده بها.

فلما قرات كرديه كتاب كسرى عرفت وثاقته، فافضت بسرها الى ظئورتها وثقاتها، فزين لها ذلك لتشوقهن الى اوطانهن. ولم ينكر بسطام مجيء المرأة الى كرديه لما عرف من الف النساء وتزاورهن.

وان بسطام انصرف ذات عشاء الى مضربه الذى فيه كرديه تعبا قد مسه الكلال لشدة الحرب، فدعا بطعام، فنال منه، ثم دعا بشرابه، فجعلت كرديه تسقيه صرفا حتى غلبه السكر، فنام، فقامت الى سيفه، فوضعت ظبته [٢] في ثندوته [٣] ، وتحاملت عليه حتى خرج من ظهره، ثم خرجت من ساعتها، فتحملت في حشمها وظئورتها، وقد كان أخوها كردى وقف لها على الطريق في خيل، فلما انتهت اليه انطلق بها، فانزلها في رحله.

ولما اصبح اصحاب بسطام ووجدوه قتيلا ارتحلوا هاربين نحو بلاد الديلم، فوجه كسرى سابور بن ابركان في عشره آلاف فارس، وامره ان يقيم بقزوين، فتكون مسلحه هناك، وتمنع من اراد النفوذ من ارض الديلم الى مملكته، ثم تزوج كرديه، وضمها اليه، وانصرف الى المدائن، ونزلت كرديه من قلبه بموضع محبه شديده، وشكر لها ما كان منها، وزاح عن كسرى ما يجد في نفسه من الغضاضة بانتقامه من قتله ابيه، واطمان له ملكه وهدأ واستقر.

---

[٢] الظبة: حد السيف والسنان **والخنجر** وما اشبه ذلك.

[٣] لحم الثدى او اصله.." (٢)

"فاصيب بين القتلى، وبه مائه جراحه، ما بين طعنه وضربه، ولم يدر من قتله، ويقال: بل ارتطم في نهر القادسية، فغرق، وانتهت هزيمه العجم الى دير كعب، فنزلوا هناك، فاستقبلهم النخارجان، وقد وجهه

---

(١) الأخبار الطوال الدينوري، أبو حنيفة ص/١٠٠

(٢) الأخبار الطوال الدينوري، أبو حنيفة ص/١٠٥

يزدجرد مددا، فوقف بدير كعب، فكان لا يمر به احد من الفل الا حبسه قبله.

ثم عبى القوم، وكتبوا كتائبهم واوقفوهم مواقفهم حتى وافتهم العرب، وتواقف الفريقان، وبرز النخارجان، فنادى، مرد ومرد، اى رجل ورجل، فخرج اليه زهير بن سليم أخو مخنف بن سليم الأزدي، وكان النخارجان سمينا بدينا جسيما، وزهير رجلا مربوعا [١] شديد العضدين والساعدين، فرمى النخارجان نفسه عن دابته عليه، فاعتركا، فصرعه النخارجان، وجلس على صدره، واستل **خنجره** ليذبحه، فوقعت ابهام النخارجان في فم زهير، فمضغها، واسترخى النخارجان، وانقلب عليه زهير، وأخذ **خنجره** وادخل يده تحت ثيابه، فبعجه [٢] ، وقتله.

وكان برذون النخارجان مدربا، فلم يبرح، فركبه زهير وقد سلبه سواريه ودرعه وقباءه ومنطقته، فاتى به سعدا، فاغنمه اياه، وامره سعد ان يتزيى بزيه، ودخل على سعد، فكان زهير بن سليم أول من لبس من العرب السوارين، وحمل قيس بن هبيرة على جيلوس راس المستميته، فقتله، وحمل المسلمون من كل جانب، فانهزمت العجم، وبادر جرير بن عبد الله الى القنطرة، فعطفوا عليه، فاحتملوه برماحهم، فسقط الى الارض، ولحقه اصحابه، وهربت عنه العجم، ولم يصبه شيء، وعار فرسه [٣] ، فلم يلحق، فاتى ببرذون من مراكب الفرس في عنقه قلاده زمرد، فركبه، وذهبت العجم على وجوهها حتى لحقت بالمدائن.

وكتب سعد الى عمر رضى الله عنه بالفتح. وكان عمر يخرج في كل يوم ماشيا وحده، لا يدع أحدا يخرج معه، فيمشى على طريق العراق ميلين او ثلاثة،

---

[١] لا هو بالقصير ولا بالطويل.

[٢] شق بطنه.

[٣] عار الفرس خرج من يد صاحبه، وذهب.." (١)

"القصاص

فدعا عبد الله بن جعفر بابن ملجم، فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه، فجعل يقول:

انك يا ابن جعفر لتكحل عيني بملمول مض [١] .

ثم امر بلسانه ان يخرج ليقطع، فجزع من ذلك.

---

(١) الأخبار الطوال الدينوري، أبو حنيفة ص/١٢٣

فقال له ابن جعفر:

قطعنا يديك ورجليك، وسملنا عينيك، فلم تجزع، فكيف تجزع من قطع لسانك؟.

قال: اني ما جزعت من ذلك خوفا من الموت، ولكنى جزعت ان أكون حيا في الدنيا ساعه لا اذكر الله فيها، ثم قطع لسانه، فمات.

محاوله قتل معاويه

واقبل النزال بن عامر في تلك الليلة حتى قام خلف معاويه وهو يصلى بالناس الغداة، ومعه **خنجر**، فوجاه [٣] به في اليته، وكان معاويه عظيم الأليتين، فاخذ، فقال لمعاوية: أهل قتلتك يا عدو الله؟.

فقال معاويه: كلا، يا ابن أخي.

فامر به معاويه، فقطعت يداه ورجلاه، ونزع لسانه، فمات.

ودعا بطبيب فأمره ان يقطع ما حول الوجاه من اللحم، خوفا من ان يكون **الخنجر** مسموما.

فمن يومئذ اتخذت المقاصير في الجوامع، فكان لا يدخلها الا ثقاته واحراسه، واتخذ أيضا من يومئذ حراس الليل، وكان إذا سجد بالناس جعل على راسه عشره من ثقات احراسه، يقومون من خلفه بالسيوف والعمد.

محاوله قتل عمرو بن العاص

واما عبد الله بن مالك الصيداوى فانه اتى مصر، فلما كان في تلك الليلة قام

---

[١] اى بمكحال حار محرق.

[٣] ضربه.." (١)

"ابن أبي قباحة الزهري؛ قال: حدثني أبو سعيد العقيلي، وكان من ظرفاء الناس، وشعرائهم؛ قال: لما قدم الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي صلى الله عليه وسلم في قباء أسود، ومنطقة؛ فقال له أبو البختري: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه؛ قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عليه قباء ومنطقة محتجزا فيها **بخنجر**؛ فقال: المعافي التيمي.

ويل وعول لأبي البختري ... إذا توافى الناس في المحشر

من قوله الزور وإعلانه ... بالكذب في الناس على جعفر

---

(١) الأخبار الطوال الدينوري، أبو حنيفة ص/٢١٥

والله ما جالسه ساعة ... للفقه في بدو ولا محضر

ولا رآه الناس في دهره ... يمر بين القبر والمنبر

يا قاتل الله ابن وهب لقد ... أعلن بالزور وبالمنكر

يزعم أن المصطفى أحمدا ... أتاه جبريل التقي السري

عليه خف وقباء أسود ... محتجزا في الحقو **بالخنجر**

أخبرنا أبو سعيد الحارثي عبد الرحمن بن محمد بن منصور؛ قال: حدثنا عبد الرحمن بن يحيى العذري؛ قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله العمري، الذي كان قاضي المدينة؛ قال: أرسل إلى هارون أمير المؤمنين،." (١)

"من بنى الحارث بن الخزرج، فولدت له ايمن، وقتل يوم حنين شهيدا، وكان زيد بن حارثة لخديجة، فوهبته لرسول الله ص، فاعتقه رسول الله ص وزوجه أم ايمن بعد النبوه، فولدت له اسامه بن زيد.

وذكر محمد بن عمر عن يحيى بن سعيد بن دينار عن شيخ من بنى سعد بن بكر، قال: [كان رسول الله ص يقول لام ايمن: يا أمه، وكان إذا نظر إليها قال: هذه بقية اهل بيتى] .

قال ابن عمر: توفيت أم ايمن في أول خلافه عثمان بن عفان.

قال ابن عمر: خاصم ابن ابى الفرات مولى اسامه بن زيد الحسن بن اسامه بن زيد، ونازعه فقال له ابن ابى الفرات في كلامه: يا بن بركه- يريد أم ايمن- فقال الحسن: اشهدوا، ورفعه الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وهو يومئذ قاضى المدينة او وال لعمر بن عبد العزيز، فقص عليه القصة، فقال ابو بكر لابن ابى الفرات: ما اردت الى قولك له: يا بن بركه؟ قال: سميتها باسمها، فقال انما اردت بهذا التصغير بها، وحالها من الاسلام حالها ورسول الله ص يقول لها:

يا أمه ويا أم ايمن؟ لا أقالني عز وجل ان اقتلك، فضربه سبعين سوطا.

واروى ابنه كريز بن حبيب بن عبد شمس، اسلمت وهاجرت الى المدينة، وماتت في خلافه عثمان.

وأسماء بنت ابى بكر، أمها قتيله ابنه عبد العزى بن عبد أسعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وهي اخت عبد الله بن ابى بكر لأبيه، وأمه اسلمت قديما بمكة، وبايعت رسول الله ص، تزوجها الزبير بن العوام، فولدت له عبد الله وعروه وعاصما والمهاجر وخديجه الكبرى وأم الحسن وعائشة بنى الزبير

---

(١) أخبار القضاة وكيع الضبي ٢٤٨/١

قال الحارث: حدثنا داود بن المحبر، قال: حدثنا حماد بن سلمه عن هشام بن عروه، عن أسماء ابنه ابى بكر، انها اتخذت خنجرا في زمن سعيد ابن العاص في الفتنة، فوضعته تحت مرفقتها، فقيل لها: ما تصنعين بهذا؟ قالت:

ان دخل على لص بعجت بطنه وكانت عمياء، قالوا: ماتت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشره ليله خلت من جمادى الاول سنه ثلاث وسبعين." (١)

"اميه: بعثني رسول الله ص بعد قتل خبيب وأصحابه، وبعث معي رجلا من الأنصار، فقال: ائتيا أبا سفيان بن حرب فاقتلاه، قال:

فخرجت أنا وصاحبي ومعي بعير لي، وليس مع صاحبي بعير، وبرجله علة.

فكنت أحمله على بعيري، حتى جئنا بطن يأجج، فعقلنا بعيرنا في فناء شعب، فأسندنا فيه، فقلت لصاحبي: انطلق بنا إلى دار أبي سفيان، فإني محاول قتله فانظر، فإن كانت مجاولة أو خشيت شيئا فالحق ببعيرك فاركبه، والحق بالمدينة فات رسول الله ص فأخبره الخبر، وخل عني، فإني رجل عالم بالبلد، جريء عليه، نجيب الساق فلما دخلنا مكة ومعي مثل خافية النسر- يعني خنجره- قد أعددته، إن عانقني إنسان قتلته به، فقال لي صاحبي: هل لك أن نبدأ فنطوف بالبيت أسبوعا، ونصلي ركعتين؟ فقلت: أنا أعلم بأهل مكة منك، إنهم إذا أظلموا رشوا أفنيتهم، ثم جلسوا بها، وأنا أعرف بها من الفرس الأبلق.

قال: فلم يزل بي حتى أتينا البيت، فطفنا به أسبوعا، وصلينا ركعتين، ثم خرجنا فمررنا بمجلس من مجالسهم، فعرفني رجل منهم، فصرخ بأعلى صوته: هذا عمرو بن أمية! قال: فتبادرتنا أهل مكة وقالوا: تالله ما جاء بعمرو خير! والذي يحلف به ما جاءها قط إلا لشر- وكان عمرو رجلا فاتكا متشيطنا في الجاهلية- قال: فقاموا في طلبي وطلب صاحبي، فقلت له: النجاء! هذا والله الذي كنت أحذر، أما الرجل فليس إليه سبيل، فانج بنفسك، فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في الجبل، فدخلنا في غار، فبتنا فيه ليلتنا، وأعجزناهم، فرجعوا وقد استترت دونهم بأحجار حين دخلت الغار، وقلت لصاحبي: أمهلني حتى يسكن الطلب عنا، فإنهم والله ليطلبنا ليلتهم هذه ويومهم هذا حتى يمسوا قال: فو الله إني لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك بن

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦١٦/١١

عبيد الله التيمي، يتخيل بفرس له، فلم يزل يدنو ويتخيل بفرسه حتى قام علينا بباب الغار قال: فقلت لصاحبي: هذا والله ابن مالك،." (١)

"والله لئن رآنا ليعلمن بنا أهل مكة قال: فخرجت إليه فوجأته **بالخنجر** تحت الثدي، فصاح صيحة أسمع أهل مكة، فأقبلوا إليه، ورجعت إلى مكاني، فدخلت فيه، وقلت لصاحبي: مكانك! قال: واتبع أهل مكة الصوت يشتدون، فوجدوه وبه رمق، فقالوا: ويلك من ضربك! قال:

عمرو بن أمية: ثم مات وما أدركوا ما يستطيع أن يخبرهم بمكاننا، فقالوا:

والله لقد علمنا أنه لم يأت لخير، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا، فاحتملوه، ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب ثم خرجنا إلى التنعيم، فإذا خشبة خبيب، فقال لي صاحبي: هل لك في خبيب تنزله عن خشبته؟

فقلت: أين هو؟ قال: هو ذاك حيث ترى فقلت: نعم، فأمهلني وتنح عني قال: وحوله حرس يحرسونه قال عمرو بن أمية: فقلت للأنصاري:

إن خشيت شيئا فخذ الطريق إلى جملك فاركبه والحق برسول الله ص، فأخبره الخبر، فاشتددت إلى خشبته فاحتللته واحتملته على ظهري، فو الله ما مشيت إلا نحو أربعين ذراعا حتى نذروا بي، فطرحته، فما أنسى وجبته حين سقط، فاشتدوا في أثري، فأخذت طريق الصفراء فأعيوا، فرجعوا، وانطلق صاحبي إلى بعيره فركبه، ثم اتى النبي ص فأخبره أمرنا، وأقبلت أمشي، حتى إذا أشرفت على الغليل، غليل ضجنان، دخلت غارا فيه، ومعي قوسي وأسهمي، فبينا أنا فيه إذ دخل علي رجل من بني الديل بن بكر، أعور طويل يسوق غنما له، فقال: من الرجل؟ فقلت: رجل من بني بكر، قال: وأنا من بني بكر، ثم أحد بني الديل ثم اضطجع معي فيه، فرفع عقيرته يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حيا ... ولست أدين دين المسلمينا

فقلت: سوف تعلم! فلم يلبث الأعرابي أن نام وغط، فقمت إليه فقتلته أسوأ قتلة قتلها أحد أحدا، قمت إليه فجعلت سية قوسي في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليها حتى أخرجتها من قفاه.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٥٤٣/٢

قال: ثم أخرج مثل السبع، وأخذت المحجة كأني نسر، وكان النجاء حتى أخرج على بلد قد وصفه، ثم على ركوبة، ثم على النقيع، فإذا رجلان." (١)

"بأبي أنت وأمي يا رسول الله! اقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل، فقال رسول الله ص:

او يكفى الله يا أم سليم! ومعها خنجر في يدها، فقال لها أبو طلحة: ما هذا معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته معي، إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع ما تقول أم سليم يا رسول الله!.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

حدثني حماد بن سلمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس ابن مالك، قال: لقد استلب أبو طلحة يوم حنين عشرين رجلا وحده هو قتلهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن أبيه، أنه حدث عن جبير بن مطعم، قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، فلم أشك أنها الملائكة، ولم يكن إلا هزيمة القوم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال:

فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف ببني مالك، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، جد ابن أم حكم بنت أبي سفيان، وكانت رايتهم مع ذي الخمار، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قتل حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عامر بن وهب بن الأسود بن مسعود، قال: لما بلغ رسول الله ص قتل عثمان، قال: أبعده الله! فإنه كان يبغض قريشا." (٢)

"نأتمر بقتل الأسود ثم إن الأسود أمر الناس فاجتمعوا في رحبة من صنعاء، ثم خرج حتى قام في وسطهم، ومعه حربة الملك، ثم دعا بفرس الملك فأوجره الحربة، ثم أرسل فجعل يجري في المدينة ودماؤه

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٥٤٤/٢

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٧٧/٣

تسيل حتى مات وقام وسط الرحبة، ثم دعا بجزر من وراء الخط فأقامها، وأعناقها ورءوسها في الخط ما يجزنه ثم استقبلهن بحربته فنحرهن فتصدعن عنه، حتى فرغ منهن، ثم أمسك حربته في يده، ثم أكب على الأرض، ثم رفع رأسه، فقال: إنه يقول- يعني شيطانه الذي معه: إن ابن المكشوح من الطغاة، يا أسود اقطع قنة راسه العليا ثم أكب رأسه أيضا ينظر، ثم رفع رأسه، فقال: إنه يقول: إن ابن الديلمي من الطغاة، يا أسود اقطع يده اليمنى ورجله اليمنى، فلما سمعت قوله قلت: والله ما آمن أن يدعو بي، فينحرني بحربته كما نحر هذه الجزر، فجعلت أستتر بالناس لئلا يراني، حتى خرجت ولا أدري من حذري كيف آخذ! فلما دنوت من منزلي لقيني رجل من قومه، فدق في رقبتي، فقال: إن الملك يدعوك وأنت تروغ! ارجع، فردني، فلما رأيت ذلك خشيت أن يقتلني قال: وكنا لا يكاد يفارق رجلا منا أبدا **خنجره**، فأدس يدي في خفي، فأخذت **خنجري**، ثم أقبلت وأنا أريد أن أحمل عليه، فأطعنه به حتى أقتله، ثم أقتل من معه، فلما دنوت منه رأى في وجهي الشر، فقال: مكانك! فوقفت، فقال: إنك أكبر من هاهنا وأعلمهم بأشراف أهلها، فاقسم هذه الجزر بينهم وركب فانطلق وعلقت أقسم اللحم بين أهل صنعاء، فأتاني ذلك الذي دق في رقبتي، فقال: أعطني منها، فقلت: لا والله ولا بضعة واحدة، ألست الذي دققت في رقبتي! فانطلق غضبان حتى أتى الأسود، فأخبره بما لقي مني وقلت له فلما فرغت أتيت الأسود أمشي إليه، فسمعت الرجل وهو يشكوني إليه، فقال له الأسود: أما والله لأذبحنه ذبحا! فقلت له: إني قد فرغت." (١)

"خلف شهريار، دهقانا من دهاقين الباب بكوثى في جمع، فقدم زهرة ثم أتبعه الجنود، فخرج زهرة حتى ينزل على شهريار بكوثى بعد قتل فيومان والفرخان فيما بين سورا والدير.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن السري، عن ابن الرفيل، عن أبيه، قال: كان سعد قدم زهرة من القادسية فمضى متشعبا في حربه وجنده، ثم لم يلق جمعا فهزمهم الا قدم، فأتبعهم لا يمرون بأحد إلا قتلوه ممن لحقوا به منهم أو أقام لهم، حتى إذا قدمه من بابل قدم زهرة بكير بن عبد الله الليثي وكثير بن شهاب السعدي أخا الغلاق حين عبر الصراة، فيلحقون بأخريات القوم وفيهم فيومان والفرخان، هذا ميساني وهذا أهوازي، فقتل بكير الفرخان، وقتل كثير فيومان بسورا ثم مضى زهرة حتى جاوز سورا، ثم نزل، وأقبل هاشم حتى نزل عليه، وجاء سعد حتى ينزل عليهم، ثم قدم زهرة، فسار تلقاء القوم، وقد أقاموا له فيما بين الدير وكوثى، وقد استخلف النخيرجان ومهران على جنودهما شهريار، دهقان الباب ومضيا

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٣٧/٣

الى المدائن، واقام شهريار هنالك، فلما التقوا بأكناف كوثى، جيش شهريار وأوائل الخيل، خرج فنادى: ألا رجل، ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إلي حتى أنكل به! فقال زهرة: لقد أردت أن أبارزك، فأما إذ سمعت قولك، فإني لا أخرج إليك إلا عبدا، فإن أقمت له قتلك إن شاء الله ببغيك، وإن فررت منه فإنما فررت من عبد، وكايده، ثم أمر أبا نباتة نائل بن جعشم الأعرجي- وكان من شجعان بني تميم- فخرج إليه، ومع كل واحد منهما الرمح، وكلاهما وثيق الخلق، إلا أن الشهريار مثل الجمل، فلما رأى نائلا ألقى الرمح ليعتنقه، وألقى نائل رمحه ليعتنقه، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا، ثم اعتنقا فخرا عن دابتيهما، فوقع على نائل كأنه بيت، فضغطه بفخذه، وأخذ **الخنجر** وأراغ حل ازرار درعه، فوقعت ابهامه في فم نائل، فحطم عظمهما، ورأى منه فتورا، فثاوره فجلد به الأرض، ثم قعد على صدره، وأخذ **خنجره**، فكشف درعه عن بطنه، فطعنه في بطنه وجنبه حتى مات،." (١)

"قال: وكم خراجك؟ قال: درهمان في كل يوم، قال: وأيش صناعتك؟

قال: نجار، نقاش، حداد، قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال، قد بلغني أنك تقول: لو اردت ان اعمل رحا تطحن بالريح فعلت، قال: نعم، قال: فاعمل لي رحا، قال: لئن سلمت لاعملن لك رحا يتحدث بها من بالمشرق والمغرب، ثم انصرف عنه، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: لقد توعدني العبد آنفا! قال: ثم انصرف عمر إلى منزله، فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد، فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال:

أجده في كتاب الله عز وجل التوراة، قال عمر: آلله انك لتجد عمر ابن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك، وأنه قد فنى أجلك- قال: وعمر لا يحس وجعا ولا ألما- فلما كان من الغد جاءه كعب، فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب يوم وبقي يومان، قال:

ثم جاءه من غد الغد، فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة، وهي لك إلى صبيحتها قال: فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة، وكان يوكل بالصفوف رجالا، فإذا استوت جاء هو فكبر قال: ودخل أبو لؤلؤة في الناس، في يده **خنجر** له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات، إحداهن تحت سرته، وهي التي قتلته، وقتل معه كليب ابن أبي البكير الليثي- وكان خلفه- فلما وجد عمر حر السلاح سقط، وقال: أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، هو ذا، قال: تقدم فصل بالناس، قال: فصلى

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦٢١/٣

عبد الرحمن بن عوف، وعمر طريح، ثم احتمل فأدخل داره، فدعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: إني أريد أن أعهد إليك، فقال: يا أمير المؤمنين نعم، إن أشرت علي قبلت منك، قال: وما تريد؟ قال: أنشدك الله، أتشير علي بذلك؟

قال: اللهم لا، قال: والله لا أدخل فيه أبدا، قال: فهب لي صمتا." (١)

"أصبت دما والله في غير حله ... حراما وقتل الهرمزان له خطر

على غير شيء غير أن قال قائل ... أتتهمون الهرمزان على عمر

فقال سفيه- والحوادث جمة ... نعم أتهمه قد أشار وقد أمر

وكان سلاح العبد في جوف بيته ... يقلبها والأمر بالأمر يعتبر

قال: فشكا عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد وشعره، فدعا عثمان زياد بن لبيد، فنهاه قال: فأنشأ زياد يقول في عثمان:

أبا عمرو عبيد الله رهن ... فلا تشكك بقتل الهرمزان

فإنك إن غفرت الجرم عنه ... وأسباب الخطا فرسا رهان

أتعفو إذ عفوت بغير حق ... فما لك بالذي تحكي يدان!

فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه وشذبه.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة طعن عمر:

مررت على أبي لؤلؤة عشي أمس، ومعه جفينة والهرمزان، وهم نجي، فلما رهقتهم ثاروا، وسقط منهم **خنجر** له رأسان، نصابه في وسطه، فانظروا بأي شيء قتل، وقد تخلل أهل المسجد، وخرج في طلبه رجل من بني تميم، فرجع إليهم التميمي، وقد كان ألظ بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر، حتى اخذه فقتله، وجاء **بالخنجر** الذى وصفه عبد الرحمن بن أبي بكر، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر، فأمسك حتى مات عمر، ثم اشتمل على السيف، فأتى الهرمزان فقتله، فلما عضه السيف قال: لا إله إلا الله ثم مضى حتى أتى جفينة- وكان

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٩١/٤

نصرانيا من أهل الحيرة ظئرا لسعد بن مالك، أقدمه إلى المدينة للصلح الذي بينه وبينهم، وليعلم بالمدينة الكتابة- فلما علاه بالسيف صلب بين عينيه وبلغ ذلك صهيبا، فبعث إليه عمرو بن العاص، فلم يزل." (١)

"خطبة عثمان رضي الله عنه وقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن بدر بن عثمان، عن عمه، قال: لما بايع أهل الشورى عثمان، خرج وهو أشدهم كآبة، فأتى منبر رسول الله ص، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ص، وقال: إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم، صبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور* اعتبروا بمن مضى، ثم وجدوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها، ومتعوا بها طويلا، ألم تلفظهم! ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة، فإن الله قد ضرب لها مثلا، وللذي هو خير، فقال عز وجل: «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء» - الى قوله- «أملا» ، وأقبل الناس يبايعونه.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي منصور، قال: سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه، قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمر فيروز بأبي، ومعه **خنجر** له رأسان، فتناوله منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد؟ فقال: آنس به، فرآه رجل، فلما أصيب عمر، قال: رأيت هذا مع الهرمزان، دفعه إلى فيروز.

فأقبل عبيد الله فقتله، فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه، ثم قال:

يا بني، هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا، فاذهب فاقتله، فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، إلا أنهم يطلبون إلي فيه فقلت لهم: ألي قتله؟

قالوا: نعم- وسبوا عبيد الله- فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبوه." (٢)

"ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطلب ... وفي الله طلاب بذاك جدير

وبلغ بحيرا أن الأبناء يتوعدونه، فقال:

توعدني الأبناء جهلا كأنما ... يرون فنائي مقفرا من بني كعب

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٤٠/٤

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٤٣/٤

رفعت له كفي بحد مهند ... حسام كلون الملح ذي رونق عضب

فذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، أن سبعة عشر رجلا من بني عوف بن كعب بن سعد تعاقدوا على الطلب بدم بكير، فخرج فتى منهم يقال له الشمردل من البادية حتى قدم خراسان، فنظر إلى بحير واقفا، فشد عليه فطعنه فصرعه، فظن أنه قد قتله، وقال الناس: خارجي، فراكضهم، فعثر فرسه فندر عنه فقتل ثم خرج صعصعة بن حرب العوفي، ثم أحد بني جندب، من البادية وقد باع غنيمات له، واشترى حمارا، ومضى إلى سجستان فجاور قرابة لبحير هناك ولاطفهم، وقال: أنا رجل من بني حنيفة من أهل اليمامة، فلم يزل يأتيهم ويجالسهم حتى أنسوا به، فقال لهم: إن لي بخراسان ميراثا قد غلبت عليه، وبلغني أن بحيرا عظيم القدر بخراسان، فاكتبوا لي إليه كتابا يعينني على طلب حقي، فكتبوا إليه، فخرج فقدم مرو والمهلب غاز قال: فلقي قوما من بني عوف، فأخبرهم أمره، فقام إليه مولى لبكير صيقل، فقبل رأسه، فقال له صعصعة: اتخذ لي خنجرا، فعمل له خنجرا واحماه وغمسه لبن أتان مرارا ثم شخص من مرو فقطع النهر حتى أتى عسكر المهلب وهو بآخرون يومئذ، فلقي بحيرا بالكتاب، وقال:

إني رجل من بني حنيفة، كنت من أصحاب ابن أبي بكرة، وقد ذهب مالي بسجستان، ولي ميراث بمرو، فقدمت لأبيعه، وأرجع إلى اليمامة.

قال: فأمر له بنفقة وأنزله معه، وقال له: استعن بي على ما أحببت، قال: أقيم عندك حتى يقفل الناس، فأقام شهرا أو نحوا من شهر يحضر." (١)

"معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به قال: وكان بحير يخاف الفتك به، ولا يأمن أحدا، فلما قدم صعصعة بكتاب أصحابه قال: هو رجل من بكر بن وائل، فأمنه، فجاء يوما وبحير جالس في مجلس المهلب، عليه قميص ورداء ونعلان، فقعد خلفه، ثم دنا منه، فأكب عليه كأنه بكلمة، فوجأه بخنجره في خاصرته، فغيبه في جوفه، فقال الناس: خارجي!، فنادى:

يا لثأرات بكير، انا ثائر ببكير! فقال الناس: خارجي! فنادى:

يا لثأرات بكير، أنا ثائر ببكير! فأخذه أبو العجفاء بن أبي الخرقاء، وهو يومئذ على شرط المهلب، فأتى به المهلب فقال له: بؤسا لك! ما أدركت بثأرك، وقتلت نفسك، وما على بحير بأس، فقال: لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا، ولقد وجدت ريح بطنه في يدي، فحبسه فدخل عليه السجن قوم من

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣٣٢/٦

الأبناء فقبلوا رأسه قال: ومات بحير من غد عند ارتفاع النهار، فقيل لصعصعة: مات بحير، فقال: اصنعوا بي الآن ما شئتم، وما بدا لكم، أليس قد حلت نذور نساء بني عوف، وأدركت بثأري! لا أبالي ما لقيت، أما والله لقد أمكنني ما صنعت خاليا غير مرة، فكرهت أن أقتله سرا، فقال المهلب: ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت صبرا من هذا، وأمر بقتله أبا سويقة ابن عم لبحير، فقال له أنس بن طلق ويحك! قتل بحير فلا تقتلوا هذا، فأبى وقتله، فشتمه أنس.

وقال آخرون: بعث به المهلب إلى بحير قبل ان يموت، فقال له انس ابن طلق العبشمي: يا بحير، إنك قتلت بكيرا، فاستحى هذا، فقال بحير: أدنوه مني، لا والله لا أموت وأنت حي، فأدنوه منه، فوضع رأسه بين رجليه وقال: اصبر عفاق، إنه شر باق، فقال ابن طلحة لبحير:

لعنك الله! أكلمك فيه وتقتله بين يدي! فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير، فقال المهلب: إنا لله وإنا إليه راجعون، غزوة أصيب فيها بحير، فغضب عوف بن كعب والأنباء وقالوا: علام قتل صاحبنا، وإنما طلب بثأره! فنازعتهم مقاعس والبطون حتى خاف الناس أن يعظم البأس، فقال أهل الحجى: احملوا دم صعصعة، واجعلوا دم بحير بواء ببكير." (١)

"وقد أرعب الناس، وقد أذنت لأصحابك، فمن أحب أن يقوم فليقم.

فرجع سعيد الحرشي إلى أصحابه فأعلمهم، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز إليه رجل من أصحاب الحرشي، فقتله قدامة، فشق ذلك على سعيد، وثقل عليه لكلامه الحجاج، ثم نادى قدامة: من يبارز؟ فدنا سعيد من الحجاج، فقال: أصلح الله الأمير! ائذن لي في الخروج إلى هذا الكلب، فقال:

وعندك ذلك؟ قال سعيد: نعم، أنا كما تحب، فقال الحجاج: أرني سيفك، فأعطاه إياه، فقال الحجاج: معي سيف أثقل من هذا، فأمر له بالسيف، فأعطاه إياه، فقال الحجاج- ونظر إلى سعيد فقال: ما أجود درعك وأقوى فرسك! ولا أدري كيف تكون مع هذا الكلب! قال سعيد:

أرجو أن يظفرني الله به، قال الحجاج: اخرج على بركة الله قال سعيد:

فخرجت إليه، فلما دنوت منه، قال: قف يا عدو الله، فوقفت، فسرني ذلك منه، فقال: اختر إما أن تمكنني فأضربك ثلاثا، وإما أن أمكنك فتضربني ثلاثا، ثم تمكنني قلت: أمكني، فوضع صدره على قربوسه ثم قال: اضرب، فجمعت يدي على سيفي، ثم ضربت على المغفر متمكنا، فلم يصنع شيئا، فساءني ذلك من

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣٣٣/٦

سيفي ومن ضربتي، ثم أجمع رأيي أن أضربه على أصل العاتق، فإما أن أقطع وإما أن أوهن يده عن ضربته، فضربته فلم أصنع شيئا، فساءني ذلك ومن غاب عني ممن هو في ناحية العسكر حين بلغه ما فعلت، والثالثة كذلك ثم اخترط سيفا ثم قال: أمكني، فأمكنته، فضربني ضربة صرعني منها، ثم نزل عن فرسه وجلس على صدري، وانتزع من خفيه **خنجرا** أو سكينا فوضعها على حلقي يريد ذبحي، فقلت له: أنشدك الله! فإنك لست مصيبا من قتلي الشرف والذكر مثل ما أنت مصيب من تركي، قال: ومن أنت؟ قلت: سعيد الحرشي، قال: أولى يا عدو الله! فانطلق فأعلم صاحبك ما لقيت.

قال سعيد: فانطلقت أسعى حتى انتهيت إلى الحجاج، فقال: كيف." (١)

"خاقان، ووجد عسكر الترك مشحونا من كل شيء من آنية الفضة وصناجات الترك وأراد الخصي أن يحمل امرأة خاقان، فأعجلوه عن ذلك، فطعنها **بخنجر** فوجدوها تتحرك، فأخذوا خفها وهو من لبود مضرب.

قال: فبعث أسد بجواري الترك إلى دهاقين خراسان، واستنقذ من كان في أيديهم من المسلمين قال: وأقام أسد خمسة أيام قال: فكانت الخيول التي فرق تقبل فيصيبهم أسد، فاغتنم الظفر وانصرف إلى بلخ يوم التاسع من خروجه، فقال ابن السجف المجاشعي:

لو سرت في الأرض تقيس الأرضا ... تقيس منها طولها والعرضا

لم تلق خيرا مرة ونقضا ... من الأمير أسد وامضى

أفضى إلينا، الخير حين أفضى ... وجمع الشمل وكان رفضا

ما فاته خاقان إلا ركضا ... قد فض من جموعه ما فضا

يا بن سريج قد لقيت حمضا ... حمضا به يشفى صداع المرضى

قال: وارتحل أسد، فنزل جزة الجوزجان من غد، وخاقان بها، فارتحل هاربا منه وندب أسد الناس، فانتدب ناس كثير من أهل الشام وأهل العراق، فاستعمل عليهم جعفر بن حنظلة البهراني، فساروا ونزلوا مدينة تسمى ورد من أرض جزة، فباتوا بها فأصابهم ريح ومطر- ويقال:

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٦٣/٦

أصابهم الثلج- فرجعوا ومضى خاقان فنزل على جبغويه الطخاري، وانصرف البهراني إلى أسد، ورجع أسد إلى بلخ، فلقوا خيل الترك التي كانت بمرو الروذ منصرفة لتغير على بلخ، فقتلوا من قدروا عليه منهم، وكان الترك قد بلغوا بيعة مرو الروذ، وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف درع، فلما صار ببلخ أمر الناس بالصوم لافتتاح الله عليهم.

قال: وكان أسد يوجه الكرماني في السرايا، فكانوا لا يزالون يصيبون الرجل والرجلين والثلاثة وأكثر من الترك، ومضى خاقان إلى طخارستان العليا." (١)

"وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم، وولى أمرهم عمر الكلواذي، فأخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور، فأقر- فيما ذكر- فحبس، فهرب من الحبس، فلم يقدر عليه.

وفيها عزل المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل، وولاه الربيع الحاجب، فاستخلف عليه سعيد بن واقد، وكان أبو عبيد الله يدخل على مرتبته.

وفيها فشا الموت، وسعال شديد ووباء شديد ببغداد والبصرة.

وفيها توفي أبان بن صدقة بجرجان، وهو كاتب موسى على رسائله، فوجه المهدي مكانه أبا خالد الأحول يزيد خليفة أبي عبيد الله.

وفيها أمر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام، فدخلت فيه دور كثيرة.

وولى بناء ما زيد فيه يقطين بن موسى، فكان في بنائه إلى أن توفي المهدي.

وفيها عزل يحيى الحرشي عن طبرستان والرويان، وما كان إليه من تلك الناحية، ووليها عمر بن العلاء، وولي جرجان فراشة مولى المهدي، وعزل عنها يحيى الحرشي.

وفيها أظلمت الدنيا لليال بقين من ذي الحجة، حتى تعالى النهار ولم يكن فيها صائفة، للهدنة التي كانت بين المسلمين والروم.

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد وهو على المدينة، ثم توفي بعد فراغه من الحج وقدومه المدينة بأيام، وولي مكانه إسحاق بن عيسى ابن علي.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٢٤/٧

وفيها طعن عقبه بن سلم الهنائى بعيساباذ، وهو في دار عمر بن بزيع، اغتاله رجل، فطعنه **بخنجر**، فمات فيها." (١)

"إلى عبد الله بن طاهر، وانتظرا أمره، فورد كتاب عبد الله إلى الحسن بتسليم المازيار وإخوته وأهل بيته إلى محمد بن إبراهيم، ليحملهم إلى أمير المؤمنين المعتصم، ولم يعرض عبد الله لأموالهم، وأمره أن يستصفي جميع ما للمازيار ويحرزه، فبعث الحسن إلى المازيار فأحضره، وسأله عن أمواله فذكر أن ماله عند قوم سماهم، من وجوه أهل سارية وصلحائهم عشرة نفر، وأحضر القوهيار، وكتب عليه كتابا، وضمنه توفير هذه الأموال التي ذكرها المازيار أنها عند خزانه وأصحاب كنوزه، فضمن القوهيار ذلك وأشهد على نفسه.

ثم أن الحسن أمر الشهود الذين أحضرهم أن يصيروا إلى المازيار، فيشهدوا عليه، فذكر عن بعضهم، أنه قال: لما دخلنا على المازيار، تخوفت من أحمد بن الصقير أن يفزعه بالكلام، فقلت له: أحب أن تمسك عنه، ولا تذكر ما كنت أشرت به، فسكت أحمد عند ذلك، فقال المازيار: اشهدوا أن جميع ما حملت من أموالي وصحبني ستة وتسعون ألف دينار، وسبع عشرة قطعة زمرد، وست عشرة قطعة ياقوت أحمر، وثمانية أوقار سلال مجلدة، فيها ألوان الثياب، وتاج وسيف من ذهب وجوهر، **وخنجر** من ذهب مكلل بالجوهر، وحق كبير مملوء جوهرا، وقد وضعه بين أيدينا، وقد سلمت ذلك إلى محمد بن الصباح، وهو خازن عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر وإلى القوهيار قال: فخرجنا إلى الحسن بن الحسين، فقال: أشهدتم على الرجل؟ قال: قلنا: نعم، قال: هذا شيء كنت اخترته لي، فأحببت أن يعلم قلته وهو انه عندي.

وذكر عن علي بن ربن النصراني الكاتب أن ذلك الحق كان شري جوهره على المازيار وجده وشهريار ثمانية عشر ألف ألف درهم، وكان المازيار حمل ذلك كله إلى الحسن بن الحسين، على أن يظهر أنه خرج إليه في الأمان، وأنه قد آمنه على نفسه وماله وولده، وجعل له جبال أبيه، فامتنع الحسن بن." (٢)

"ثم دخلت

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٨/١٦٥

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩/٩٦

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزو عمر بن عبد الله الأقطع الصائفة، فأخرج سبعة آلاف رأس وغزوة قربياس، فأخرج خمسة آلاف رأس، وغزو الفضل بن قارن بحرا في عشرين مركبا، فافتتح حصن انطاليه وغزوة بلكاجور فغنم وسبى. وغزو علي بن يحيى الأرمني الصائفة، فأخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحوا من عشرة آلاف وفيها تحول المتوكل إلى المدينة التي بناها الماحوزه، فنزلها يوم عاشوراء من هذه السنه.

ذكر خبر الفداء بين الروم والمسلمين في هذه السنة

وفيها كان الفداء في صفر على يدي علي بن يحيى الأرمني، ففودي بألفين وثلاثمائة وسبعة وستين نفسا وقال بعضهم: لم يتم الفداء في هذه السنة إلا في جمادى الأولى.

وذكر عن نصر بن الأزهر الشيعي- وكان رسول المتوكل إلى ملك الروم في أمر الفداء- أنه قال: لما صرت إلى القسطنطينية حضرت دار ميخائيل الملك بسوادي وسيفي **وخنجري** وقلنسوتي، فجرت بيني وبين خال الملك بطرناس المناظرة- وهو القيم بشأن الملك- وأبوا أن يدخلوني بسيفي وسوادي، فقلت:

أنصرف، فانصرفت فرددت من الطريق ومعي الهدايا نحو من ألف نافجة مسك وثياب حرير وزعفران كثير وطرائف، وقد كان أذن لوفود برجان وغيرهم ممن ورد عليه، وحملت الهدايا التي معي، فدخلت عليه، فإذا هو على." (١)

"فلما صار إلى مؤخر القصر الذي كان فيه، لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالعطار، متوجهين إلى أعمالهم، فأمر بأخذهم فأخذوا، وكتف وكيلهم، وأخذ معهم، وكانوا خمسين غلاما، ثم صار إلى الموضع الذي يعمل فيه السنائى، فاخذ منه خمسمائة غلام، فيهم المعروف بأبي حديد، وأمر بوكيلهم فأخذ معهم مكتوفا، وكانوا في نهر يعرف بنهر المكاثر، ثم مضى إلى موضع السيرافي، فأخذ منه خمسين ومائة غلام، فيهم زريق وأبو **الخنجر**.

ثم صار إلى موضع ابن عطاء، فأخذ طريقا وصبيحا الأعسر وراشدا المغربي وراشدا القرماطي، وأخذ معهم

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢١٩/٩

ثمانين غلاما ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سهل الطحان، ثم لم يزل يفعل ذلك كذلك في يومه، حتى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيين، ثم جمعهم وقام فيهم خطيبا، فمناهم ووعدهم أن يقودهم ويرأسهم، ويملكهم الأموال، وحلف لهم الأيمان الغلاظ ألا يغدر بهم، ولا يخذلهم، ولا يدع شيئا من الإحسان إلا أتى إليهم ثم دعا مواليهم، فقال: قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم، وفعلتم بهم ما حرم الله عليكم أن تفعلوه بهم، وجعلتم عليهم ما لا يطيقون، فكلمني أصحابي فيكم، فرأيت إطلاقكم، فقالوا: إن هؤلاء الغلمان أباق، وهم يهربون منك فلا يبقون عليك ولا علينا، فخذ منا مالا وأطلقهم لنا فأمر غلمانهم فأحضروا شطبا ثم بطح كل قوم مولاهم ووكيلهم، فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة، وأحلفهم بطلاق نسائهم ألا يعلموا أحدا بموضعه، ولا بعدد أصحابه، وأطلقهم فمضوا نحو البصرة.

ومضى رجل منهم يقال له عبد الله، ويعرف بكريخا، حتى عبر دجيلا، فأنذر الشورجيين ليحرزوا غلمانهم، وكان هناك خمسة عشر الف غلام.

ثم سار بعد ما صلى العصر حتى وافى دجيلا، فوجد سفن سماد تدخل في المد، فقدمها، فركب فيها، وركب أصحابه حتى عبروا دجيلا." (١)

"الجعفرية، فأقام ليلته بين القتلى، فلما أصبح جمع أصحابه فحذرهم أن يدخل أحد منهم البصرة، وسار فتسرع منهم أنكلويه وزريق وأبو **الخنجر**– ولم يكن قود يومئذ– وسليم ووصيف الكوفي فوافوا النهر المعروف بالشاذاني، وأتاهم أهل البصرة، وكثروا عليهم، وانتهى الخبر إليه، فوجه محمد بن سلم وعلي بن أبان ومشرقا غلام يحيى في خلق كثير، وجاء هو يسايرهم، ومعه السفن التي فيها الدواب المحمولة ونساء الغلمان حتى أقام بقنطرة نهر كثير قال ريحان: فأتيته وقد رميت بحجر، فأصاب ساقي، فسألني عن الخبر فأخبرته أن الحرب قائمة، فأمرني بالرجوع، وأقبل معي حتى أشرف على نهر السيابجه ثم قال لي: امض إلى أصحابنا، فقل لهم يستأخروا عنهم، فقلت له: ابعد عن هذا الموضع فإني لست آمن عليك الخول فتنحى، ومضيت فأخبرت القواد بما أمر به، فتراجعوا، وأكب أهل البصرة عليهم، وكانت هزيمة وذلك عند العصر، ووقع الناس في النهرين: نهر كثير ونهر شيطان، فجعل يهتف بهم ويردهم فلا يرجعون، وغرق جماعة من أصحابه في نهر كثير، وقتل منهم جماعة على شط النهر وفي الشاذاني، فكان ممن غرق يومئذ من

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤١٤/٩

قواده أبو الجون ومبارك البحراني وعطاء البربري وسلام الشامي، ولحقه غلام أبي شيث وحارث القيسي وسحيل، فعلوا القنطرة، فرجع إليهم وانهزموا عنه حتى صاروا إلى الأرض، وهو يومئذ في دراعة وعمامة ونعل وسيف، وترسه في يده، ونزل عن القنطرة وصعدها البصريون يطلبونه، فرجع فقتل منهم بيده رجلا على خمس مراق من القنطرة، وجعل يهتف بأصحابه ويعرفهم مكانه، ولم يكن بقي معه في ذلك الموضع من أصحابه إلا أبو الشوك ومصلح ورفيق غلام يحيى قال ريحان: فكنت معه فرجع، حتى صار إلى المعلى، فنزل في غربي نهر شيطان قال محمد بن الحسن: فسمعت صاحب الزنج يحدث، قال: لقد." (١)

"عن هشام بن عروة عن أسماء ابنة أبى بكر أنها اتخذت **خنجرا** في زمن سعيد ابن العاص في الفتنة فوضعته تحت مرفقتها فقيل لها ما تصنعين بهذا قالت إن دخل على لص بعجت بطنه: قال وكانت عمياء قالوا ماتت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٧٣ * ومارية سرية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسلم وأم ابنه إبراهيم عليه السلام كان المقوقس صاحب الاسكندرية أهداها مع أخت لها يقال لها سيرين مع أشياء أخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر ابن عمر أن يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة حدثه عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة قال بعث المقوقس صاحب الاسكندرية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٧ من الهجرة بمارية وأختها سيرين وألف مثقال من ذهب

وعشرين ثوبا لينا وبغلته دلدل وحماره عفير ويقال يعقور ومعهم خصى يقال له مابور شيخ كبير كان أخا مارية وبعث به كله مع حاطب بن أبى بلتعة فعرض حاطب على مارية الاسلام ورغبها فيه فأسلمت وأسلمت أختها وأقام الخصى على دينه حتى أسلم في المدينة بعد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معجبا بأم إبراهيم وكانت بيضاء جميلة فأنزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعالية في المال الذى يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إليها هناك وضرب عليها الحجاب وكان يطأها بملك اليمين فلما حملت وضعت هناك وقبلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو رافع زوج سلمى فبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبراهيم فوهب له عبدا وذلك في ذى الحجه من سنة ٨ وتنافست الانصار في إبراهيم وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبى صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من هواه فيها * قال ابن عمر وكانت مارية من حفن من كورة أنصنا * قال

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤٣٣/٩

وحدثنا أسامة بن زيد الليثى عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه وكانت أخت مارية يقال لها سيرين فوهبها النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت فولدت عبد الرحمن." (١)

"أبو داود قال قال رجل لشعبة: تروى عن المسعودي؟ قال ما شأنه؟ قال هو مع هؤلاء، قال: هو صدوق اذهب فأسمع منه.

فلما قدم شعبة بغداد أتى بكتب المسعودي فسمع منه.

ثنا عبد الرحمن نا أحمد بن سنان الواسطي قال سمعت الوليد بن أبان الكرابيسي يذكر عن أبي النضر هاشم بن القاسم قال: إني لأعرف اليوم الذي اختلط فيه المسعودي، كنا عنده وهو يعزي في ابن له إذ جاءه أنسان فقال له: إن غلامك أخذ عشرة آلاف من مالك وهرب ففزع وقام ودخل إلي منزله ثم خرج إلينا وقد أختلط رأينا فيه الاختلاط.

نا عبد الرحمن نا أحمد بن عثمان بن حكيم الأزدي قال قال [لي - ١] أبو نعيم: لو رأيت رجلا في قباء سواد (٧٨ م ٤) وشاشية وفي وسطه خنجر، ولا أعلم إلا قال - مكتوب بين كتفيه ببياض فسيكفيكهم الله كنت تكتب عنه؟ قلت: لا، قال فقد رأيت المسعودي في هذه الحالة.

قال أبو محمد هذا بعد الاختلاط (٢) .

نا عبد الرحمن أنا علي بن أبي طاهر فيما كتب إلي قال أنا الأثرم قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يسأل عن المسعودي فقال: ثقة.

نا عبد الرحمن قال قرئ على العباس ابن محمد الدوري عن يحيى بن معين أنه قال: المسعودي حديثه عن الأعمش وعبد الملك بن عمير مقلوبة، وحديثه عن عاصم وابي حصين فليس بشئ وحديثه عن عون والقاسم صحاح.

ثنا عبد الرحمن نا علي بن الحسين بن الجنيد قال سمعت ابن نمير يقول: المسعودي كان ثقة، فلما كان بأخره اختلط، سمع [منه - ٣] عبد الرحمن بن مهدي ويزيد بن هارون أحاديث مختلطة، وما روى عنه الشيوخ فهو مستقيم.

ثنا عبد الرحمن قال ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين قال: المسعودي صالح.

نا عبد الرحمن قال سألت أبي عن المسعودي فقال: تغير بأخرة قبل موته

---

(١) المنتخب من ذيل المذيل الطبري، أبو جعفر ص/١٠٨

(١) من م (٢) م (اختلاطه) (٣) سقطت من م.

(*)." (١)

"إن أبا لؤلؤة قد كان بالأمس هو والهرمزان وجفينة رجل من أهل الحيرة وكان نصرانيا وكان يكون على خيل سعد بن أبي وقاص فوثب عبيد الله على الهرمزان فقتله وقتل جفينة فبلغ ذلك عمر فطلبه فهرب فلم يزل هاربا حتى مات عمر

قال ابن إسحاق عن صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال كان الذي شبه عليهم في جفينة والهرمزان أن عبد الله بن أبي بكر قال إني قد مررت بهم أمس وجفينة والهرمزان وأبو لؤلؤة جلوس يتناجون فمرت بهم دابة ففرقت منهم فبرز منهم سهم **خنجر** له رأسان فإن كان الذي أصيب به عمر هذه الصفة فلا أرى القوم إلا قد كانوا فيه جميعا فنظر إلى **الخنجر** فإذا هو كما وصف فمن ثم استحل عبيد الله من القوم ما استحل

وحدثني يحيى بن عبد العزيز قال حدثنا بقي بن مخلد عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال أصيب عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة

وحدثني محمد بن عمر بن عبد الرحيم البرقي قال حدثنا ابن بكير عن الليث قال قتل عمر (٤)." (٢)

"حدثني عيسى بن مسكين وغيره عن سحنون عن ابن وهب قال وأخبرني يحيي ابن أيوب عن زيد بن أبي حبيب عن عروة بن أبي قيس قال رصد عثمان بن عفان رجل **بخنجر** فلما جاء عثمان ليدخل تلقاه الرجل **بالخنجر** ليضربه ثم إنه دهش فقال عثمان خذوا الرجل ولا يقتل فأخذ ثم قال ما ترون فيه قالوا اقتله يا أمير المؤمنين قال أنقتله قالوا نعم قال ولم قالوا إنه أراد قتلك قال وأراد قتلي ولم يرد الله فتركه ولم يقتله

قال ابن وهب وأخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود بذلك وقال الرجل ابن ضابئ التميمي

قال أبو العرب فقتل الحجاج بن يوسف ابن ضابئ بعد ذلك

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، ابن أبي حاتم ٢٥١/٥

(٢) المحن أبو العرب التميمي ص/٧٠

قال أبو العرب ومعبد بن العباس بن عبد المطلب خرج غازيا في خلافة عثمان رحمه الله إلى إفريقية مع معاوية بن حديج أو ابن أبي سرح فاستشهد معبد بها رحمه الله." (١)

"منطقة وخنجر قال فقلت لجبريل يا حبيبي ما هذا الذي أرى قال يأتي على الناس زمان بعز الإسلام بهذا السواد قال قلت لجبريل يا حبيبي رئيسهم ممن يكون قال من ولد العباس قلت يا جبريل تبعهم ممن يكون قال أهل خراسان أصحاب المناطق من وراء الجيحون يعني دهاقنة الصغد وترك الطغزغر وأهل الخناجر من أهل الجبال من ولد الضحاك ذو الحسن من غور وغورستان وبلدي داور قلت لجبريل يا حبيبي أيش يملك ولد العباس فقال جبريل عليه السلام يا محمد يملك ولد العباس الوبر والمدر والأحمر والأصفر والمروة والمشعر والصفا والمنحر والقبة والمعجر والسرير والمنبر في الدنيا إلى المحشر والملك إلى المنشر حدثناه علي بن موسى بن حمزة البريعي ببغداد في درب النخل ثناه الشاة بن شيرباميان الخراساني سنة المستعين ثنا قتيبة بن سعيد قال ثنا بن لهيعة

(باب الصاد)

قال أبو حاتم ومن المجروحين من المحدثين ممن ابتداء اسمه على الصاد

٤٨٥ - صالح بن نبهان مولى التوءمة والتوءمة ابنة أمية بن خلف القرشي عداده في أهل المدينة والتوءمة هي أخت ربيعة بن أمية بن خلف وهو الذي يقال له." (٢)

"فمضى أبو بكر رضه على منهاج نبيه صلى الله عليه وسلم باذلا نفسه وماله في إظهار دين الله والذب عن حرماته والقيام بنا يوجبه الدين إلى ان حلت المنية به ليلة الاثنين لسبع عشرة ليلة مضت من جمادى الآخرة وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما وله يوم مات اثنتان وستون سنة ودفن بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونزل قبره عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن أبى بكر رضهم أجمعين وورثه أبو قحافة السدس

[٣] عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك أبو حفص العدوى وأم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن

---

(١) المحن أبو العرب التميمي ص/٩٤

(٢) المجروحين لابن حبان ابن حبان ١/٣٦٥

عمر بن مخزوم أخت أبى جهل وكان قد استخلفه أبو بكر الصديق في حياته بعهد كتب له في علته التي توفى فيها فقام عمر بن الخطاب رضه الله عنه يذب عن دين الله ويبالغ المجهود في إظهار سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضه عنه إلى أن فتح الله عليه الامصار وجبى إليه الاموال من غير ان لوث نفسه بشئ من حطام هذه الفانية الزائلة إلى ان حلت به المنية قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة **بخنجر** وجاءه يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذي الحجة عند قيامة إلى صلاة الفجر طعنه ثلاث طعنات في ثنته وتوفى عمر رضه وله خمس وخمسون سنة وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال ودفن بجنب أبى بكر الصديق ودخل قبره عثمان بن عفان وعبد الله بن عمر

[٤] عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وكان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى وأم عثمان أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمها البيضاء أم حكيم بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف استخلف عن شورى من ستة أنفس علي وعبد الرحمن وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسادس القوم عثمان رضه الله عنه

وعنهم أجمعين على حسب ما تقدم ذكرنا ذلك في كتاب الخلفاء فمضى عثمان بن عفان لازما للدين الصحيح وان لوثه الناس ببعض اللوث في حياته." (١)

"وكانت أم سليم بنت ملحان مع زوجها أبي طلحة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حازمة وسطها ومعها جمل أبي طلحة فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يكفي الله يا أم سليم وإنها يومئذ لحبلى بعبد الله بن أبي طلحة ومعها **خنجر** فقال لها أبو طلحة ما هذا **الخنجر** معك يا أم سليم قالت **خنجر** أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجت بطنه فقال أبو طلحة يا رسول الله ألا تسمع ما تقوله أم سليم ورأى أبو قتادة رجلين يقتتلان مسلم ومشرك فإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه فأتاه أبو قتادة فضرب يده فقطعها فاعتنقه المشرك بيده الثانية وصدره فقال أبو قتادة والله ما تركني حتى وجدت ريح الموت فلولا أن الدم نزفه يقتلني فسقط وضربته فقتلته." (٢)

---

(١) مشاهير علماء الأمصار ابن حبان ص/٢٣

(٢) الثقات لابن حبان ابن حبان ٢/٧١

"وخرج أبو لؤلؤة على وجه يريد البقيع وطعن في طريقه اثنى عشر رجلا فخرج خلفه عبيد الله بن عمر فرأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة وكان نصرانيا وهو يتناجون بالبقيع فسقط منهم **خنجر** له رأسان ونصابه في وسطه فقتل عبيد الله أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة ثلاثتهم فجرى بين سعد بن أبي وقاص وبين عبيد الله في شأن جفينة ملاحاة وكذلك بين علي بن أبي طالب وبينه في شأن الهرمزان حتى قال علي بن أبي طالب إن وليت من هذا الأمر شيئا قتلت عبيد الله بالهرمزان ثم أرسل عمر إلى عائشة يستأذنها في أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فأذنت له فقال عمر أنا أخشى أن يكون ذلك لمكان السلطان مني فإذا مت فاغسلوني فكفنوني ثم قفوا بي على بيت عائشة وقولوا أيلج عمر فإن قالت نعم فأدخلوني وإن أبت فادفنوني بالبقيع ثم أرسل عمر فجيء بلبن فشربه فخرج من جرحه فعلم أنه الموت فقال لعبد الله بن عمر انظر ما على مكن الدين فاحسبه فقال ستة وثمانون ألفا إن وفي لها مال آل عمر فأدها عني من أموالهم." (١)

"بأمر الناس عبد الله بن خازم السلمي فلقي قارن وهزم أصحابه وأصابوا سبيا كثيرا ثم بعث بن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب إلى سجستان فصالحه صاحب زرنج فأقام عبد الرحمن بها وتحرك أهل إفريقية فزحف إليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فكانت إفريقية الثانية وغزا معاوية حصن المرأة من بلاد الروم من ناحية ملطية وحج بالناس عثمان وفي السنة الرابعة والثلاثين مات مسطح بن أثاثة من أهل بدر وغزا عبد الله بن سعد بن أبي صرح الصواري من أرض مصر وقاتل منهم مقتلة عظيمة وذلك أن المسلمين وعدوهم جميعا كانوا في البحر فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا من غير رمى بالسهم ولا طعن بالرمح إنما كان الضرب بالسيف أو الطعن **بالخنجر** حتى قتل من أرض الروم خلق كثير وهزم الله الروم منكوبين وانصرف المسلمون غانمين ومات." (٢)

"الناس به قال أنس في روايته فكان طول أنفه ذراعا وقام رجل يقاومه فكانت ركبته محاذية رأسه فدفنوه تحت الماء ووجدوا معه صحفا بيعت بأربعة وعشرين درهما فوقعت إلى الشام وحج بالناس عمر عشر سنين متوالية ثم صدر إلى المدينة وقتل سنة ثلث وعشرين من الهجرة وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال رضي الله عنه،،،

---

(١) الثقات لابن حبان ابن حبان ٢/٢٤٠

(٢) الثقات لابن حبان ابن حبان ٢/٢٥٥

ذكر مقتل عمر رضي الله عنه

قالوا وكان للمغيرة بن شعبة غلام نصراني يقال له أبا لؤلؤة عليه لعائن الله تترى مرة بعد أخرى فجاء إلى عمر يشكوه مولاه المغيرة في ضربه وتثقيل وطائفه ويسئله أن يكلم المغيرة في التخفيف عنه فإنه ذو عيال فقال له عمر اتق الله ورسوله وأطع مولاك ثم لقي المغيرة فأوصاه به خيرا وعاد الغلام شاكيا وسائلا فقال له مثل مقالته الأولى وسأله أن ينصب له رحى فقال الغلام لأنصبن لك رحى يتحدث بها العرب فقال عمر لولا أن الناس يقولون هابه عمر لقتلت يوعدني هذا الكلب وضغن عليه أبو لؤلؤة حيث لم يسامحه المغيرة وظن ذلك من فعل عمر فاتخذ خنجرا له رأسان والمقبض [١] بينهما وأزمع على قتل

---

[١] . والمفيض MS.." (١)

"تذكرت بيتا لا مرئ القيس سائرا أصاب عين الصواب مقرطسا

فلو أنها نفس تموت سوية ... ولكنها نفس تساقط أنفاسا

وله:

حبيب تحملت إذلاله ... ولم أحمل الضيم إلا له

عصيت العواذل في حبه ... وخان فطاوع عذاله

لئن فاز بالصبر قلب امرئ فطوبى لقلبي طوبى له

محمد بن أبي المغيرة أحد شعراء العسرك سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كانتا لدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربه ماء.

فقال:

جاء الحديث بأن الأرض أجمعها ... وما حوت لا تساوي عند باريها

بعوضة أو جناحا من مطائرها ... لم يسق منها ولو فاضت مآقيها

من يكفر الواحد؟ الجبار نعمته ... مجاجة من أحاح ربه فيها

---

(١) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٨٨/٥

لكنه هانت الدنيا عليه فلم ... يمنعك إن ملكت كفاك ما فيها

وهي قصيدة ذكر فيها المتوكل بعد وفاته.

محمد بن سعد العامري الدمشقي من شعراء دمشق كان يظهر التشيع فاغتاله قوم منأهل دمشق فقتلوه لرفض بلغهم عنه ولقوله في قصيدة طويلة سب فيها أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أولها:

لقد غشيت أدهرا وأدهرا ... سكران لا آلف إلا السكرا

ولا أرى المعروف إلا المنكرا فإن يكن سري قد تسفرا

عني وعاد الصفو عني كدرا ... وصرت زهما جنفا مكسرا

وحاد مني ناظري وشبكرا ... فطال ما كنت عضيضا أحورا

وطالما كنت فتى حزورا ... مزعفرا معطرا معنبرا

أسحب بردا وأجر مئزرا ... إذا مشيت للصبى التبخترا

ثم ضممت الكف إلا الخنصرا ... وقد حملت للمجون **خنجرا**

وصلت الكاعب تلحى المعصرا ... وهي تراني كمثل ما ترى

سقيا لذالك ما ألذ منظرا ... بدلت بالنوم الطويل السهرا

ومت ولا موتا ولكن كبرا ... ومن وقار المرء أن يوقرا

لزاجر من المشيب زجرا ... أن يألف العرف ويأبى المنكرا

محمد بن حبيب الضبي أبو الحسين. كان يظهر القول بالإمامة وهو القائل في محمد بن." (١)

"٢٠٥٥ - محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو عمرو بن أبي الحسين السحري النيسابوري.

٢٠٥٦ - محمد بن أحمد بن حاضر الطوسي أبو بشر الحاضري.

٢٠٥٧ - محمد بن أحمد الخالدي النيسابوري.

٢٠٥٨ - محمد بن أحمد بن الحسن أبو الفضل الصابع النيسابوري.

٢٠٥٩ - محمد بن أحمد بن ثابت البزاز أبو الحسين البغدادي.

٢٠٦٠ - محمد بن أحمد بن جعفر أبو نصر الطوسي.

٢٠٦١ - محمد بن أحمد بن عبدوس أبو الحسن الحاتمي النيسابوري.

---

(١) معجم الشعراء المرزباني ص/٤٥٧

٢٠٦٢ – محمد بن أحمد بن عبد الأعلى أبو عبد الله المغربي.

٢٠٦٣ – محمد بن أحمد الفقيه أبو بشر الأديب الشروطي.

٢٠٦٤ – محمد بن أحمد بن أبي الفوارس أبو الفتح البغدادي.

٢٠٦٥ – محمد بن أحمد بن عبد الوهاب الواعظ أبو بكر الإسفراييني.

٢٠٦٦ – محمد بن أحمد بن يزيدا أبو بكر الأصبهاني ولكن أبو بكر نيسابوري وأبوه كان أصفهانيا.

٢٠٦٧ – محمد بن أحمد بن الحسين السمسار النيسابوري أبو طاهر الطاهري.

٦٨O٢ – محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن خاقان أبو عبد الله البخاري.

٢٠٦٩ – محمد بن أحمد بن يحيى الفقيه أبو الفضل الترمذي.

٢٠٧٠ – محمد بن أحمد بن محمد التميمي أبو العباس بن أبي الحسن السليطي النيسابوري.

٢٠٧١ – محمد بن أحمد بن عبد الله السكري أبو أحمد المسكي النيسابوري.

٢٠٧٢ – محمد بن أحمد بن محمد بن حفص الحرشي أبو نصر النيسابوري.

٢٠٧٣ – محمد بن أحمد بن نجم أبو الفضل الحلومي النيسابوري.

٢٠٧٤ – محمد بن أحمد بن محمد الطوسي أبي بكر بن أبي تراب المسافري النوقاني.

٢٠٧٥ – محمد بن أحمد بن علي أبو بكر القاضي الفارسي.

٢٠٧٦ – محمد بن أحمد بن حسنويه العراف الزاهد أبو أحمد الحسنوي النيسابوري من كبار مشايخ التصوف مدفون في مقبره شاهنبر.

٢٠٧٧ – محمد بن أحمد بن محمد بن محمود أبو الحسن المراجمي النيسابوري تفقه عند الأستاد أبو الوليد.

٢٠٧٨ – محمد بن أحمد بن عمر الخفاف أبو نصر النيسابوري.

٢٠٧٩ – محمد بن أحمد بن الحامد أبو الحسن العطار النيسابوري.

٢٠٨٠ – محمد بن أحمد بن سهل أبو سهل الوراق الزوزني.

٢٠٨١ – محمد بن أحمد بن عمرويه النيسابوري.

٢٠٨٢ - محمد بن أحمد بن علي أبو الحسن الصنعي **الخنجروذي** النيسابوري.

٢٠٨٣ - محمد بن أحمد بن محمد الفقيه أبو بكر بن أبي سعيد النسوي.." (١)

"حمارا، ومضى إلى سجستان فحاور قرابة لبحير هناك ولا طفه وقال:

- «أنا رجل من بنى حنيفة من أهل اليمامة.» فلم يزل يأتيهم ويجالسهم حتى أنسوا به.

ذكر حيلة صعصعة على بحير حتى اغتاله وقتله

ثم إنه قال لهم:

- «إن لى بخراسان ميراثا قد غلبت عليه، وبلغني أن بحيرا هو عظيم القدر بخراسان، فاكتبوا لى إليه كتابا يعينني على طلب حقى.» فكتبوا إليه وخرج حتى قدم مرو والمهلب غاز [١] . فلقى قوما من بنى عوف، فأفشى إليهم سره، فأقبل [٤٠٣] إليه مولى لبكير، فقبل رأسه، وكان صقيلا، فقال له صعصعة:

- «اتخذ لى **خنجرا**.» ففعل، وأحماه وغمسه فى لبن أتان مرارا، ثم شخص من مرو وقطع النهر حتى أتى عسكر المهلب. فلقى بحيرا بالكتاب، وقال له:

- «إنى رجل من بنى حنيفة، كنت من أصحاب ابن أبى بكرة، وقد ذهب مالي بسجستان، ولى ميراث بمرو، فقدمت لأبيعه وأرجع إلى اليمامة.» فأمر له بنفقة وأنزله معه. وقال له:

- «استعن بى على ما أحببت.» قال:

- «أقيم عندك حتى يقفل الناس.» فأقام شهرا أو نحوا من شهر يحضر معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به.

وكان بحير مع تحرزه وخوفه الفتك قد أنس بصعصعة هذا لأجل الكتاب الذي

---

[١] . والعبارة فى مط: حتى قدم ووجد المهلب غازيا.." (٢)

"صحبه من عند أصحابه، وظنه رجلا من بكر بن وائل، فأمنه [١] . فجاء يوما وبحير جالس فى مجلس المهلب، عليه قميص ورداء فى نعلين. فقعد خلفه، ثم دنا منه فأكب عليه كأنه يكلمه. فوجأه **بخنجره** فى خاصرته فغيبه فى جوفه وخضخضه.

---

(١) تاريخ نيسابور الحاكم، أبو عبد الله ص/١٠٠

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢/٣٣٠

فقال الناس:

- «خارجى!» وقال صعصعة:

- «يا لثارات بكير! أنا ثائر ببكير.» فأخذه صاحب شرطة المهلب فى الطريق، فأتى به المهلب، فقال المهلب:

- «بؤسا لك. ما أدركت بثأرك وقتلت نفسك وما على بحير بأس.» فقال:

- «والله قد طعنته [٤٠٤] طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا. ولقد وجدت ريح بطنه فى يدي.» فحبسه. ودخل عليه السجن قوم من الأبناء فقبلوا رأسه. ومات بحير من غد، فقيل لصعصعة:

- «مات بحير.» فقال:

- «اصنعوا ما بدا لكم الآن. أليس قد حلت نذور نساء بنى عوف وأدركت ثأرى؟ أما والله لقد أمكننى منه خاليا غير مرة، فكرهت أن أقتله سرا.» فقال المهلب:

- «ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت صبرا من هذا.» وقتله.

وقال المهلب:

- «إنا لله وإنا إليه راجعون. ٢: ١٥٦ غزوة أصيب فيها بحير فغضبت عوف بن كعب

---

[١] . ما فى الأصل: آمنه. وهو سهو. فأثبتناه كما فى مط، والطبري (٨: ١٠٥٠) : أمنه.." (١)

"الترك خمسة، فارتدف خلف رجل من الترك رجل من العرب معه خنجر، وليس على التركى غير قباء، فساروا بهم. ثم قال العجم لكورصول:

- «إن الدبوسية فيها عشرة آلاف مقاتل، فلا نأمن أن يخرجوا علينا.» فقال لهم العرب:

- «إن قاتلوكم قاتلناهم معكم.» فساروا، فلما صار بينهم وبين الدبوسية قدر فرسخ وأقل [١] ، نظر أهلها إلى فرسان ورجالة، فظنوا أن كمرجة قد فتحت، وإن خاقان قصدهم. فتهيأوا للحرب، فوجه كليب بن قبان رجلا من بنى ناجية يقال له الضحاك، على برذون يركض، وعلى الدبوسية عقيل بن ودان السعدى. فأتاهم الضحاك وهم صفوف فرسان ورجالة، فأخبرهم بالخبر، فأقبل أهل الدبوسية [٥٣] يركضون، فحملوا كل من كان يضعف عن المشي ومن كان مجروحا. ثم إن كليبا أرسل محمد بن كران [٢] ومحمد بن درهم ليعلما

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢/٣٣١

سباع بن النعمان وسعيد بن عطية وسائر الرهائن فى أيدى الترك، أنهم قد بلغوا مأمنهم، ثم خلوا عن الرهن، فجعلت العرب ترسل رجلا من الرهن الذين [٣] فى أيديهم من الترك، وترسل الترك رجلا من الذين فى أيديهم من العرب، حتى بقي سباع بن النعمان فى أيدى الترك، ورجل من الترك فى أيدى العرب، وجعل كل فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر.

فقال سباع:

- «خلوا رهينة الترك.» فخلوه وبقي سباع فى أيديهم. فلما التقى مع كورصول قال له:

---

[١] . وأقل: كذا فى الأصل والطبري (٩: ١٥٢٤) : واقل. وما فى مط: أقبل.

[٢] . كران: كذا فى الأصل ومط: كران. وما فى الطبري (٩: ١٥٢٤) : كراز.

[٣] . الذين: ما فى الأصل ومط: الذي. وما فى الطبري: الذين. وهو الصحيح.." (١)

"وذهب الترك عباديد لا يلوى بعضهم على، بعض، وتبعهم الناس يقتلون من لحقوا منهم، حتى انتهوا إلى أغنامهم، فاستاقوا أكثر من خمسين ومائة ألف رأس، ودواب كثيرة، وأخذ خاقان غير طريق الجادة فى الجبل، والحارث بن سريج يحميه، وهاجت ريح الحرب التى تسمى الهفافة، فهزمهم الله تعالى.

فقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله بن الشخير:

- «إنى أعلم ببلادي وطرقها، فهل لك فى أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكر ما بقيت؟ فقال:

- «وما هو؟» قال:

- «تتبعني.» قال:

- «نعم.» فأخذ به طريقا يسمى ورادك، فأشرفوا على طوقات [١] خاقان وهم آمنون، فأمر خاقان بالكوسات فضربت ضربة الانصراف وقد شبت الحرب، فلم يقدر الترك على الانصراف ثم ضربت الثانية، فلم يقدروا لاشتغالهم. فحمل ابن الشخير والجوزجان على الطوقات، وولى خاقان مدبرا، فحوى المسلمون عسكرهم، وتركوا قدورهم تغلى ونساءهم مع نساء العرب كن معهم، ووحل بخاقان دابته، فحماه الحارث بن سريج، وأراد خصى لخاقان أن يحمل امرأة خاقان، [١٠١] فأعجلوه عن ذلك، فطعنها [٢] **بخنجر**، فلحقوها وهي تتحرك، فأخذوا خفها وهو من لبود مضرب، ووجد عسكر الترك مشحونا من كل شيء من

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٥٤/٣

آنية الفضة وصناجاتهم وأمتعتهم. وبعث أسد بجوارى الترك إلى دهاقين خراسان، فاستنقذ من كان فى أيديهم من المسلمين، وانصرف أسد إلى

---

[١] . طوقات: كذا فى الأصل وآ. والطبري (٩: ١٦١١) . فى مط: طرقات.

[٢] . فطعنها: كذا فى آ. والطبري (٩: ١٦١١) . ما فى الأصل ومط: فطعنوها.." (١)

"من الديلم وغيرهم على حرب أولئك النفر الخمسة واجتهدوا فى أن يحصل لهم أسير واحد فلم يكن إليه سبيل لأنه كان لا يستسلم أحد منهم ولم يمكن [١٠٧] قتلهم حتى قتلوا من المسلمين أضعافا كثيرة لعدتهم وكان ذلك الأمرد آخر من بقي. فلما علم أنه يؤخذ أسيرا صعد شجرة كانت بالقرب منه ولم يزل يجرح نفسه **بخنجر** معه فى مقاتله إلى أن سقط ميتا.

وفى هذه السنة ظهر للمتقى من بنى حمدان ضجر به وبمقامه عندهم وشهوة لمفارقته فراسل توزون فى الصلح فتلقى توزون ذلك بنهاية الرغبة فيه والحرص عليه ووردت رسالة المتقى لله إلى توزون مع الحسن بن هارون وأبى عبد الله بن أبى موسى الهاشمي وتوثقا من توزون واستحلفاه أيمانا مؤكدة للمتقى وللوزير أبى الحسين ابن مقلة وأحضر توزون القضاة والعدول والعباسيين والطالبيين ومشايخ الكتاب حتى حلف بحضرتهم للمتقى لله وكتب بذلك كتاب وأحكم ووقعت فيه الشهادة من جميع من حضر على توزون.

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

ولما كان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم وصل الأخشيد إلى حضرة المتقى لله وهو بالرقة ولقيه بها وأعظمه المتقى نهاية الإعظام ووقف الأخشيد بين يديه وقوف الغلمان وفى وسطه سلاح ثم ركب المتقى فمشى بين يديه الأخشيد فأمره أن يركب فلم يفعل [١٠٨] ولم يزل على تلك الحال مختلطا بالغلمان إلى أن نزل من ركوبه وحمل إليه هدايا ومالا وحمل إلى أبى الحسين ابن مقلة عشرين ألف دينار ولم يدع كاتبا ولا حاجبا إلا بره.

واجتهد بالمتقى لله أن يسير معه إلى مصر والشام فيكون بين يديه فلم." (٢)

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٩٩/٣

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ١٠٠/٦

"ثم ابتدأ يحدثهم أنه كان بخراسان فى خدمة نصر بن أحمد. قال:
- «ونحن يومئذ فى شرذمة من الديلم وكان يجلس نصر بن أحمد للسلام فى كل أسبوع مرتين فجلس ذات يوم وحواليه من مماليكه ومماليك أبيه بضعة عشر آلاف غلام سوى سائر العسكر فرأيت شيرنجين هذا قد جرد دشنيا [١] واشتمل عليه بكسائه. فقلت له:
- «ما هذا؟» قال: «أريد أن أصنع اليوم ما أذكر به آخر الدهر.» قلت: «وما هو؟» قال: «أدنو كأنى متظلم أو طالب حاجة فأقبل الأرض ولا أزال أدنو حتى إذا وثقت بالوصول إلى هذا الغلام (يعنى نصر بن أحمد) فتكت به ثم لا أبالى أن أقتل بعده وقد أنفت من القيام بين يدي صبى.» وكان لنصر بن أحمد يومئذ عشرون سنة وقد خرجت لحيته.
فعلمت أنه إن فعل لم يقتل وحده حتى نقتل كلنا معه معاشر الديلم فأخذت بيده وقلت له:
- «بيني وبينك حديث.» وجمعت عليه الديلم وحدثتهم بما هم به وما يجيء علينا كلنا إن تم له ما يريد فقبضوا على يده وأخذوا منه الدشنى.
أفتريدون من بعد أن سمعتم رأيه فى نصر بن أحمد أن أمكنه من الوقوف بين يدي هذا الصبى؟ [١٦٥] فأمسكوا عنه وقالوا:
- «الأمير أعلم بجيشه.» ولم يزل محبوسا حتى توفى فى محبسه.

---

[١] . فى الأصل ومط: دشنيه. والمثبت فى مد: دشنيا. وأصله الفارسي: دشنه: أى **خنجر**. والمثبت فى حواشي مد: دشته، وهو خطأ.." (١)

"وقوله
(نظرة كانت لحتفي سببا ... جلب الحين لها ما جلبا)
(ضحكت أسماء من ذي لمة ... ضاحك الأشيب فيه الأشيبا)
(إنما يعرف أيام الصبا ... من صبا في غير أيام الصبا) // من الرمل //
وللأنطاكي في وصف عود
(وبربط صحب الترنام نغمته ... أحلى من اليسر وافى بعد إعسار)

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ١٥٥/٦

(يملي القريض عليه لفظ محسنه ... فينبري مخبرا عنها بإجهار)

(ما حث أوتاره في وجه نائبة ... إلا استفاد بتارات وأوتار)

(تحنو عليه أم تخاطبه ... سرا فيخبر بالنجوى بإظهار)

(وإن هفا عركت آذانه شفقا ... عليه من وصمة النقصان والعار) // من البسيط //

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وغيره لتميم بن معد أبي تميم صاحب مصر وهي مشهورة

(ما بان عذري فيه حتى عذرا ... ومشى الدجى في خده فتحيرا)

(همت تقبله عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها خنجرا)

(والله لولا أن يقال تغيرا ... وصبا وإن كان التصابي أجدرا)

(لأعدت تفاح الخدود بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا) // من الكامل //." [١]

"وقال يهجو بعض من أضافه

(وأخ مسه نزولي بقرح ... مثل ما مسني من الجوع قرح)

(قيل لي إنه جواد كريم ... والفتى يعتريه بخل وشح)

(بت ضيفا له كما حكم الدهر ... وفي حكمه على الحر قبح)

(قال لي إذ نزلت وهو في السكرة ... والهم طافح ليس يصحو)

(لم تغربت قلت قال رسول الله ... والقول منه نصح ونجح)

(سافروا تغنموا فقال وقد قال ... تمام الحديث صوموا تصحوا) // من الخفيف //

وقوله

(بدر تم يثنيه دعص وخوط ... عذري في عذاره مبسوط)

(أي در للثقب أي كتاب ... لو تأتت بصفحتيه الخطوط)

(وإذا اغتر قلت ظبي غرير ... وإذا افتر قلت در سقيط) // من الخفيف //

وقوله

(يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ... وتاب مما قد جناه واقترف)

(لقوله قل للذين كفروا ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) // من الرجز //

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣٥٨/١

وقوله

(طرة مسك وشارب أخضر ... وثغر در ومقلتا جؤذر)

(ريم إذا رمت أن أكلمه ... كلمني من جفونه **خنجر**)

(وإن تـءوضت من عوارضه ... لثما تجنى علي واستكبر)." [(١)]

"(إذا قربته أكف السقاة ... من الكأس قهقه واستعبرا)

(تروحه عذبات الفدام ... بريا النسيم إذا ما جرى)

(وريم إذا رام حث الكؤوس ... قطب للتيه واستكبرا)

(وجرد من طرفه **خنجرا** ... ومن نون طرته **خنجرا**)

(ترى ورد وجنته احمرا ... وريحان شاربه أخضرا) // المتقارب //

وقال من مجزوء الرجز

(اشرب فقد شرد ضوء ... الصبح عنا الظلما)

(وانبسط النور على ... وجه الثرى فابتسما)

(كأنما اطلع ماء ... المزن فيه أنجما)

(وصوب الإبريق في الكأس ... مداما عندما)

(كأنه إذ مجها ... مقهقه يبكي دما) // مجزوء الرجز //

وقال يذكر ليلة سكر فيها بقطربل ويصف الشمع من المتقارب

(كستك الشبيبة ريعانها ... وأهدت لك الراح ريحانها)

(فدم للنديم على عهده ... وغاد المدام وندمانها)

(فقد خلع الافق ثوب الدجى ... كما نضت البيض أجفانها)

(وساق يواجهني وجهه ... فتجعله العين بستانها)

(يتوج بالكأس كف النديم ... إذا نظم الماء تيجانها)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣٦٨/١

(فطورا يوشح ياقوتها ... وطورا يرصع عقيانها)

(رميت بأفراسها حلبة ... من اللهو ترهج ميدانها)." [١]

"وقال

(يا ضحاكا يستهل مضحكه ... عن برد واضح وعن شنب)

(أعطيتني قبلة رشفت بها الشهد ... مشوبا بعبرة العنب)

(كأنني إذ لثمت فاك بها ... لثمت تفاحة من الذهب) // المنسرح //

وقال

(فديت من الناس من لحظه ... بلا خنجر كاد أن يجرحا)

(كتمت هواه زمان الصبا ... وصرحت بالحب لما التحى)

(وقيل محا الشعر لما بدا ... محاسنه منه واستقبحا)

(فقلت لهم ما محا حسنه ... ولكن صبري عنه محا)

(بنفسي عذار بد طالعا ... على ناضر الورد ما أملحا)

(فصير في رزة أصبعي ... وأوثق كفي تحت الرحى) // المتقارب //

وقال

(أشبهه وحاشية لديه ... ثقالا كلهم رخم وبوم)

(ببدر التم إشراقا وحسنا ... وقد سترت محاسنه الغيوم)

(عهدت البدر تكنفه نجوم ... وذا بدر تطيف به رجوم) // الوافر //

وقال

(عابوا وقالوا تسل عنه ... فقلت هذا أوان حبي)

(إن الذي عبتموه منه ... هو الذي يشتهيه قلبي)." [٢]

"والإحسان فقال إن رضي النحسان

فصل والله لولا يد تحت الحجر وكبد تحت الخنجر وطفل كفرخ يومين قد حبب إلى العيش وسلب من

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٢٠١/٢

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٦/٣

رأسي الطيش لشمخت بأنفي عن هذا المقام ولكن صبرا جميلا والله المستعان
فصل إنما يحبس البازي ولو ترك القطا لطار كل مطار
فصل لم أر مثلي علق مضنة يرمي به من حالق ولكن رب حسناء طالق
فصل من رسالة في ذم السذق إلى الرئيس أبي عامر

هذا هو العيد وذلك هو الضلال البعيد إنهم يشبون نارا هي موعدهم والنار في الدنيا عيدهم والله إلى النار يعيدهم ومن لم يلبس مع اليهود غيارهم لم يعقد مع النصارى زنارهم ولم يشب مع المجوس نارهم إن عيد الوقود لعيد إفك وإن شعار النار لشعار شرك وما أنزل الله بالسذق سلطانا ولا شرف نيروزا ولا مهرجانا وإنما صب الله سيوف العرب على رءوس العجم لما كره من أديانها وسخط من نيرانها وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم حين مقت أفعالهم
فصل منه إنه هذا الديں لذو تبعات الصوم والفطام شديد
والحج والمرام بعيد
والصلاة والمنام لذيذ والزكاة والمال عزيز وصدق الجهاد والرأس لا ينبت بعد الحصاد والصبر الحامض والعفاف اليابس والحد." (١)
"وقوله في البيضة
(وصفراء في بيضاء رقت غلالة ... لها وجفا ما فوقها من ثيابها)
(جماد ولكن بعد عشرين ليلة ... ترى نفسها معمورة من خرابها)
وقوله في باقي البقل
(وغضة رطبة يضمنها ... نخاسها حين تجتلي ملحا)
(إذا اشتروها تنصرت فإذا ... أدخلت البيت أسلمت مرحا)
وقوله في الزنبور
(وأعجمي لابس لبس العرب ... لا يستفيق من غناء إن ركب)
(مبرقع ببرقع من الذهب ... يضحي ويمسي بحقاب محتقب)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣٠٤/٤

(وخنجر يسله عند الغضب ... كأنه شعلة نار تلتهب)

وقوله في المقراض

(وذي جسمين لا يفرق ... ما بينهما ناظر)

(إذا ما بخصوا عينيه ... أمسى فمه فاغر)

وقوله في السيف

(ومستعرض صاحبا لا يزال ... يحمي من الذل أطواقه)

(فطورا يطول من وجهه ... وطورا يعرض أشداقه)

وقوله في الميزاب

(ومخطف قد أبرزوه باديا ... تلقاه في الصيف فقيرا عاريا)." (١)

"(أو ما رأيت هلال فطرك قد بدا ... في الأفق مثل شعيرة السكين)

أحسن منه قول كشاجم

(كشعيرة من فضة ... قد ركبت في خنجر)

(قسما بحبك لا مزجت كؤوسها ... إلا بريقك أو بماء جفوني)

وله أيضا وقد حضر مع إخوانه ببيت صديق له فاشتد جوعهم فيه

(وبيت خلا من كل خير فناؤه ... فضاق علينا وهو رحب الأماكن)

(كأنا مع الجدران في جنباته ... دمي في انقطاع الرزق لا في المحاسن)." (٢)

"§أم سليم بنت ملحان ذكرت في ترجمة ابنها أنس أن اسمها مليكة، وكان تسميتها هنا أولى. واسم ملحان: مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وهي أم أنس بن مالك، تزوجها في الإسلام أبو طلحة زيد بن سهل، وكان إسلامه صداقها، كانت تغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فتداوي الجرحى، وتقوم بالمرضى، وشهدت حنينا معها خنجر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقيل عندها، فكانت تسلت عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتطيب بها، وكانت تلقب بالرميصاء، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما أدخل الجنة رآها في الجنة حدث عنها: ابنها أنس بن مالك،

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٥/٢٥

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٥/٦٧

وعمرو بن عامر الأنصاري، وحكيم بن عمرو الأنصاري، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وعباية بن رفاعة، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وحفصة بنت سيرين." (١)

"٧٩٣٩ - حدثنا فاروق الخطابي، ثنا أبو مسلم الكشي، ثنا حجاج، ثنا حماد، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، أن أم سليم، كانت مع أبي طلحة يوم خيبر ومعها **خنجر**، فقال لها أبو طلحة: ما هذا يا أم سليم؟ قالت: اتخذته إن دنا مني بعض المشركين بعجته به، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، أما تسمع ما تقول أم سليم؟ تقول: كذا وكذا، فقال: «يا أم سليم، ﷺإن الله عز وجل قد كفى وأحسن»." (٢)

"أخبرنا التنوخي، أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر قال: كان أبو البختري وهب ابن وهب جوادا، سمحا كريما. أنشدني محمد بن العباس اليزيدي، ومحمد بن السري، للعطوي:

فهلا فعلت- هداك المليـ ... ـك- فينا كفعل أبي البختري؟

تتبع إخوانه في البلا ... د فأغنى المقل عن المكثر

قال اليزيدي عن عمر بن شبة عن أبي يحيى الزهري قال: فبعث إليه مالا.

أخبرنا الجوهري، أخبرنا محمد بن عمران المرزباني، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى المكي، حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: قال أبو البختري: لأن أكون في قوم أعلم مني، أحب إلي من أن أكون في قوم أنا أعلم منهم، لأني إن كنت أعلمهم لم أستفد، وإن كنت مع من هم أعلم مني استفدت.

أخبرنا القاضي أبو الطيب الطبري وأحمد بن عمر بن روح النهرواني- قال الطبري حدثنا وقال الآخر أخبرنا- المعافى بن زكريا، حدثنا محمد بن يحيى الصولي، حدثنا وكيع، حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقي، حدثنا عمر بن عثمان، حدثنا أبو سعيد العقيلي- وكان من ظرفاء الناس وشعرائهم- قال: لما قدم الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي صلى الله عليه وسلم في قباء أسود ومنطقة. فقال أبو البختري.

حدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ومنطقة **مخنجرا** فيها **بخنجر**، فقال المعافى التيمي:

ويل وعول لأبي البختري ... إذا ثوى الناس في المحشر

من قوله الزور وإعلانه ... بالكذب في الناس على جعفر

---

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم أبو نعيم الأصبهاني ٣٥٠٤/٦

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم أبو نعيم الأصبهاني ٣٥٠٥/٦

والله ما جالسه ساعة ... للفقه في بدو ولا محضر

ولا رآه الناس في دهره ... يمر بين القبر والمنبر

يا قاتل الله ابن وهب، لقد ... أعلن بالزور وبالمنكر

يزعم أن المصطفى أحمدا ... أتاه جبريل التقي السري

عليه خف وقبا أسود ... **مخنجرا** في الحقو **بالخنجر**

أخبرنا التنوخي، أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، حدثني عمر بن الحسن الأشناني، حدثنا جعفر الطيالسي عن يحيى بن معين أنه وقف على حلقة أبي البختري، فإذا هو يحدث بهذا الحديث عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر، فقال." (١)

"دخل رومان بن سرحان- رجل أزرق قصير محدود، عداده في مراد، وهو من ذي أصبح، معه **خنجر** فاستقبله به، وقال: على أي دين أنت يا نعثل [١] ؟

فقال عثمان: لست بنعثل، ولكني عثمان بن عفان، وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما، وما أنا من المشركين. قال: كذبت، وضربه على صدغه الأيسر، فقتله فخر، وأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها، وكانت امرأة جسيمة، ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتا، فقال: والله لأقطعن أنفه، فعالج المرأة فكشفت عن ذراعيها، وقبضت على السيف، فقطع إبهامها، فقالت لغلام لعثمان- يقال له رباح ومعه سيف عثمان: أعني على هذا وأخرجه عني. فضربه الغلام بالسيف فقتله، وبقي عثمان رضي الله عنه يومه مطروحا إلى الليل، فحمله رجال على باب ليدفنوه، فعرض لهم ناس ليمنعوهم من دفنه، فوجدوا قبرا قد كان حفر لغيره، فدفنوه فيه، وصلى عليه جبير بن مطعم.

واختلف فيمن باشر قتله بنفسه، فقيل: محمد بن أبي بكر ضربه بمشقص.

وقيل: بل حبسه محمد بن أبى بكر وأسعده [٢] غيره، كان الذي قتله سودان بن حمران [٣] . وقيل: بل ولي قتله رومان اليمامي. وقيل: بل رومان رجل من بني أسد بن خزيمة. وقيل: [بل] إن محمد بن أبي بكر أخذ بلحيته فهزها، وقال:

ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن أبي سرح، وما أغنى عنك ابن عامر، فقال: يا بن أخي أرسل لحيتي، فو الله إنك لتجبذ لحية كانت تعز على أبيك، وما كان أبوك يرضى مجلسك هذا مني. فيقال: إنه

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٤٥٧/١٣

حينئذ تركه وخرج عنه. ويقال:

إنه حينئذ أشار إلى من كان معه، فطعنه أحدهم وقتلوه. والله أعلم.

---

[١] كان أعداء عثمان يسمونه نعثلا تشبيها برجل من مصر كان طويل اللحية اسمه نعثل.
وقيل النعثل الشيخ الأحمق وذكر الضباع (النهاية) .

[٢] في س: وأشعره غيره.

[٣] الضبط من الطبقات: ٣- ٥١.." (١)

"كعب بن زيد بن الحارث بن الخزرج. شهد أحدا وما بعدها، وقتل يوم اليمامة شهيدا.

(٢٢١٣) كليب بن جرز [١] بن كليب،

أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

أخذ منا النبي صلى الله عليه وسلم من المائة جذعتين.

(٢٢١٤) كليب بن شهاب الجرمي،

والد عاصم بن كليب. له ولأبيه شهاب صحبة. قال عاصم: إن أباه كليبا خرج مع أبيه إلى جنازة شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: وأنا غلام أفهم وأعقل، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل يحب من العامل إذا عمل عملا أن يحسنه. وقد روى، عن رجل، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وروى عن عمر، وعلي.

(٢٢١٥) كليب الجهني.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم: الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب. لا أقف على اسم أبيه. روى أيضا كليب الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه ليبايعه، فقال له: احلق عنك [٢] شعر الكفر. روى عنه ابنه كثير بن كليب.

(٢٢١٦) كليب، رجل من الصحابة.

قتله أبو لؤلؤة يوم قتل عمر رضي الله عنه. ذكر عبد الرزاق، عن معمر، قال: سمعت الزهري يقول: إن أبا لؤلؤة طعن اثني عشر رجلا، فمات منهم ستة، منهم عمر، وكليب، وعاش منهم ستة، ثم نحر نفسه **بخنجره**.

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر ٣/١٠٤٥

قال معمر: وأخبرنا أيوب، عن نافع، قال:

---

[١] بضم الجيم وسكون الراء ثم زاي كما في الإصابة ثم قال: وهو تصحيف وعند ابن حبان: كليب بن حزم. وقال الأنباري: والصواب عندي ابن جزى- يعنى بفتح الجيم وكسر الزاى بعدها ياء آخر الحروف. وهذا الذي صوبه مخالف لما رواه غيره.

[٢] في ع: عنا.." (١)

"وذلك أن سعيد بن المسيب قال: اجتمع أبو لؤلؤة، وجفينة -وهو رجل من أهل الحيرة- والهرمزان معهم **خنجر** له طرفان مملكه في وسطه (١)، فجلسوا مجلسا فأثارهم دابة، ووقع **الخنجر** فأبصرهم عبد الرحمن بن أبي بكر، فلما أصيب عمر قال عبد الرحمن: إني قد رأيت أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة جلسوا مجلسا معهم سكين له طرفان مملكه في وسطه فإن كانت كذلك فهم أصحابه، فنظروا فوجدوها كما ذكر، فوثب عبيد الله بن عمر فقتل الهرمزان، وجفينة، ولؤلؤة بنت أبي لؤلؤة، فلما استخلف عثمان قال علي لعثمان رضي الله عنهما: أقد عبيد الله من الهرمزان، فقال: لا أقتل ابن عمر بدهقان، ولكن أديه، وجرى بينهما كلام، ثم قال عثمان رضي الله عنه: [ما له] (٢) ولي غيري، فإني قد عفوت عن عبيد الله، فخلا سبيله.

وقال عبد الله بن عمر: ماتت امرأة بظهر البيداء، فمر عليها ناس فلم يدفنوها، فسمع بذلك عمر فأرسل إلي فدعاني فقال: لعلك ممن مر على هذه المرأة فلم تدفنها، قال: قلت لا، قال: أما والله لو مررت عليها فلم تدفنها لفعلت بك فعلة يتحدث بها، فوالله لعل الله يدخل دافنها الذي دفنها الجنة، وكان الذي دفنها كليب رجل من بني ليث، فقتل مع عمر ليلة طعن، طعنه أبو لؤلؤة الذي طعن عمر وهو يتوضأ.

---

(١) كذا في الأصل، وفي كتاب نسب قريش لمصعب ص٣٥٥، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٨/ ٦٣: (مقبضه في وسطه).

(٢) جاء في الأصل: (ما للهم مولف) كذا، وهو خطأ، والتصويب من تاريخ الإسلام للذهبي.." (٢)

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر ١٣٢٩/٣

(٢) المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة ابن منده عبد الرحمن بن محمد ٤٨١/٢

"* ونصر بن حرب المهلبي (١).

* والمخارق بن غفار العابد بهمذان (٢).

* وقتل عقبة بن مسلم الهنائي بعيسى أباذ (٣).

* والربيع بن مسلم القرشي (٤).

* ومخلد بن الضحاك، أبو أبي عاصم النبيل، وله خمس وسبعون سنة.

* والسري بن يحيى.

* وداود بن الفرات، وقيل: ابن أبي الفرات (٥).

* وسويد أبو حاتم (٦).

* وأبو بكر الهذلي (٧).

* وزكريا بن زيد الأشهلي (٨).

* والنضر بن عربي.

---

(١) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ١٠/ ٤٨٨، وذكر أنه كان أميرا.

(٢) لم أعرفه، ولم أجد أحدا ذكره، وهو ليس المخارق بن غفار الأمير بإفريقية في زمن المنصور.

(٣) قال ابن جرير الطبري في التاريخ ٤/ ٥٨١ في سنة سبع وستين ومائة: (وفيها طعن عقبة بن مسلم الهنائي بعيساباذ، وهو في دار عمر بن بزيغ، اغتاله رجل فطعنه **بخنجر** فمات فيها). وعيساباذ محلة كانت بشرقي بغداد، منسوبة إلى عيسى بن المهدي، وباذ تستعمله الفرس، ومعناها العمارة، فكأن معناه عمارة عيسى، ينظر: معجم البلدان ٤/ ١٧٢.

(٤) هو: أبو بكر الجمحي البصري، ينظر: التقريب ص ٢٠٧.

(٥) هو: داود بن بكر بن أبي الفرات المدني، ينظر: التقريب ص ١٩٩.

(٦) هو: سويد بن إبراهيم الجحدري أبو حاتم الحفاظ البصري، ينظر: التقريب ص ٢٦٠.

(٧) اختلف في اسمه، فقيل: سلمى -بضم المهملة- بن عبد الله، وقيل: روح، وهو أخباري متروك، ينظر:

التقريب ص ٦٢٥.

(٨) هو: زكريا بن زيد بن سعد المدني، ينظر: الجرح والتعديل ٣/ ٥٩٥.." (١)

"عبد الله **بخنجره** فقضى عليه مع مولاه. وأخرج رأس المنذر للوقت من قصره فوق قناة ينادى عليه: هذا جزاء من عصى أمير المؤمنين هشاما ودفع حقه، يريد بذلك الرجل الذي كان يدعى له يومئذ بإشبيلية، تعلقا من هذا المارد لولايته، وتوطئة لقيامه، إذ كان هذا القتيل ممن رد طاعة هشام تأسيا بوالده يحيى وبخاله إسماعيل بن ذي النون؛ فنزلت بسرقسطة يومئذ حادثة عظيمة، وأشرف أهلها على فتنة شديدة، واضطربت لها حالهم، وطمع فيهم أكثر من كان يجاورهم، وأذعنوا لهذا الغوي المتوثب عليهم آنفا، ورهبوه لاستجاشته الغوغاء والسلفة؛ فملك البلد لنفسه.

وكان سليمان بن هود الجذامي صاحب لاردة وقته مقيما بتطيلة بجمعه، فسارع إلى سرقسطة ساعة سمع بخبر منذر رجاء في دخولها، فمنعه هذا الفتى القاتل، ثك جاءه إسماعيل بن ذي النون خال منذر ممتعضا لما جرى على ابن أخته، فامتنع ابن حكم بالقصبة، واتصلت الفتنة، ونال أهل سرقسطة يومئذ جهد شديد وخربت أحوالهم.

قال ابن حيان: وكان ركب ابن حكم القاتل من خطة التغرير." (٢)

"أنا تكلفت صيد ال - ... عنقاء بالورشان

أنا بعثت رسولا ... للفرس عن ترجمان

وسست نمرود حتى ... تمت له الهرمان

أنا رأيت بعيني ... تسافد الغربان

أنا أدرت برأيي ... ناعورة الخذلان

لكنها لم تقدر ... للحين بالدوران وله من مقطعات اندرجت في رسائله الهزلية:

طرة مسك وشارب أخضر ... وثغر در ومقلتا جؤذر

ريم إذا رمت أن أكلمه ... كلمني من جفونه **خنجر**

وإن تعرضت من عوارضه ... لثما تجني علي واستكبر

---

(١) المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة ابن منده عبد الرحمن بن محمد ٤٣٣/٣

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ١٨٦/١

كأن خيلانه ووجنته ... سماء حسن نجومها تزهر

طرز فيه الجمال مبتدعا ... وشيا بلطف المهيمهن الأكبر

وقام في خده لعاشقه ... عذر بذاك العذار إذ غدر وقال أيضا:

قل للذي دلهني حبه ... أفسدت ما أصلحته أولا

لما بدا وجهك في حسنه ... كالبدر وافى السعد واستكملا

كأنما طرفك من سحره ... من مقل الحور قد استكحلا." (١)

"وهذا من قول الحسن، وزاد في التشبيه، فأجاد ما أراد فيه، وهو:

وقد غلبتها عبرة فدموعها ... على خدها بيض وفي نحرها صفر وقال:

ليس ليوم البين عندي سوى ... مدامع نجيعها سكب

كأنما فض بأجفانها ... رمانة فانتشر الحب وقال:

عوذت قلبي منه ... بكل ما يتعوذ

كأنما خده وال ... عذار حين تأخذ

تفاحة علقت في ... سلاسل من زمرذ وقال:

قمر لوى من فوقه ... من صدغ غالية حنش

ودنا ليلثم جمرة ... من وجنيته فانكمش وأملح من هذا التشبيه، قول تميم بن المعز فيه:

طمعت تقبله عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها **خنجرا**." (٢)

"فأجابه ابن الأبار:

لعمرك إن الظبي غير غرير ... وإن محيا البدر غير منير

بدت لحية في وجهه هي لحنة ... أتاحت له موتا بغير نشور [٤٣أ] ومنها:

إذا لم أقل إلا براح وراحة ... فما قدر ذنبي في اغتفار قدير

ساقعد عن ناهي النهى في اجتنابها ... وإن قام في فودي شاهد زور

هل العيش إلا أن أقبل ثغرها ... وأصغي إلى بم أجش وزير

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥٥٦/١

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٧٩٢/٢

خبرت بني الأيام شرقا ومغربا ... فآثرتها إذ لم أفز بأثير وأنشد له أيضا بما خاطب به ابن الأبار:

أما وخد له معذر ... ومبسم الخاتم المجوهر

وخصره المتعب المعنى ... بثقل ما ضاق عنه مئزر

ولمة أسبلت أثيثا ... كأنه وابل معطر

وورد خديه بعد سكر ... والغنج من حظه المحير

إن لعينيه في فؤادي ... أشد من وقع كل خنجر

إن خلته ضيغما قطوبا ... أو أسدا عابسا غضنفر

فهو من الحسن كل بدر ... وهو من الطيب كل عنبر

ريقته خمرة ولكن ... شيب شذاها بطعم سكر

لو كان في الخلد مثل هذا ... تاه على الحور أو تكبر

في شبهه قال مثل هذا ... من أحسن الوصف ثم ندر

" مظفر كاسمه مظفر ... أخلاق ليث وخلق جؤذر "." (١)

"به وهو عبد الملك الأصغر من اخوته، لم يستشر في الفتك به غير نفسه. فلما كان في يوم السبت لسبع بقين لرمضان سنة خمس وخمسين أعد له رجالة في فصيل أبيه، واقام هو ينتظره، وأرسل عنه رسولا كان أبوه يوجهه عنه. فلما وصل إلى باب ابن جهور ومعه من أصحابه الناشبين معه نزر يسير، وأراد النزول على حجر لاصق بالباب، وإذا بعبد الملك قد قام عليه بخنجر أعده له فضربه ثم خرج عليه الرجالة المعدون له وابتدروه كالصقور بالسيوف وحزوا رأسه. وركب من حينه عبد الملك وجعل رأسه على رمحه وطيف به البلد كله حتى انتهى إلى داره " دار اللذة " ورمى رأسه للعامة، فعاثت فيه، وكسروا أنيابه ونتفوا لحيته، فأصبح شأنه عجبا. واحتوى عبد الملك على تلك الدار وحازها بما فيها، وعلى أصاغر غلمانه. واجتاز على السجن وأطلق من فيه. وسمع أبوه محمد بن جهور خبر الواقعة فخرج دهيشا، ورآه مجدلا فارتاع وتلهف، وانتهز ابنه وهو يحاول تطويف الرأس ولم يقف على أبيه. وأمر ابن جهور بستر جسده في دهليز الإصطبل. وتقدم بإصلاح أبواب المدينة، وركب إلى المسجد الجامع وقد دخل الناس في السلاح وجاشوا جيشا عظيما، وأبدوا بقتل ابن السقاء سرورا عظيما، وأعلنوا بالشمات به وإقداح القول فيه.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٣/٢٠٨

وقعد ابن جهور بالمسجد الجامع على كرسي المصحف، وبادر المجيء إليه لأول الهيشة الوزير الزمن، بقية وزراء الفتنة، أبو إسحاق." (١)

"وقد نوت مقلتاه نوما وددت لو كان في ذراعي

فكان لي موقف افتراق وللهوى موقف اجتماع

وقال (١) :

همت عذاراه بتقبيله فاستل من عينيه سيفين

وذلك المحمر من خده دماء ما بين الفريقين

وقال (٢) :

غنني يا أعز ذا الخلق عندي " حي تجدا ومن بأكناف نجد "

واسقني ما يصير ذو البخل منها حاتما والجبان عمرو بن معدي

في أوان الشباب عاجلني الشي - ب فهذا من أول الدن دردي

وقال (٣) :

اشترى خنجرا لقت - لي وما ذاك يجمل

فسلوه فإن عن مثل ذا الشان يسأل

كيف يمشي بنجر من بعينيه يقتل

وقال (٤) :

شكوت بالحب إلى ظالمي فقال [لي] مستهزئا ما هو

قلت غرام ثابت قال لي اقرأ عليه " قل هو الله "

وقال (٥) : / [١٧٦]

معتدل القامة والقد مورد الوجنة والخد

---

(١) ديوانه: ٢١٤ والمسالك: ٢٣٢ والشريشي ٤: ٢٩٠.

(٢) ديوانه: ٦٢ والشريشي ٣: ٢٠٢.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٧/٢٤٤

(٣) المسالك (الأول والثالث) : ٢٣٢.

(٤) ديوانه: ٢٢٢ والشريشي ١: ١٥٣،

(5) ديوانه: ٦١ والشريشي ١: ١٥٣ والأول والثاني في المسالك.." [١]

"علي بن محمد بن جعفر الملقب بالمجيدي «١»

نسبته هو الذي اختارها، وكان خبازا، توفي في عهد شبابه في سنة إحدى وستين وخمس مئة، له أشعار كثيرة ضمت الغث والسمين، منها هذان البيتان المشهوران:

*كيف أمدحك بما يليق بمقامك ... فكل ما أقول أنت جدير بما هو خير منه

عظمتك أغلقت الباب بوجه كلماتي ... إلا أن يفتح الله- بفضله- بابا أخرى

الحكيم أبو الفضل البيهقي «٢»

كان من آخر الناحية، وهو قريب العهد، معاصر لي، له أشعار كثيرة، منها:

* في كل آن يبدأ الصراع مع نفسي ... ويصبح وجهي لخوف هجره مصفرا

لو صعد حبيبي الفاتن الوجه إلى السطح ليلا ... لأضاء العالم بأسره من نور وجهه

ولو ضحك ذو المراشف اللعس والعذار الذهبي ... لامتلأ حضنه بسكر شفتيه الحلوتين

لا شك أن من تنفس نفسا خلاف إرادته ... أصبح نفسه في فمه أكثر حدة من **الخنجر**." [٢]

"بعد قتل علي وبويع بيعة العامة ببيت المقدس يوم الجمعة من آخر ذي الحجة من سنة أربعين ثم لقي الحسن بن علي معاوية بمسكن (١) من سواد الكوفة في سنة إحدى واربعين فاصطلحا وبايع الحسن معاوية قال ونا سعيد بن يحيى عن وقال (٢) الاشناني نا عبد الله بن سعيد عن زياد بن عبد الله عن (٣) محمد بن إسحاق قال صالح معاوية وقال الاشناني كان صلح معاوية والحسن بن علي ودخول معاوية في شهر ربيع الأول سنة إحدى واربعين اخبرنا أبو غالب بن البنا أنا أبو الحسين بن الابنوسي أنا عبيد الله بن عثمان بن حنيفا (٤) الدقاق أنا إسماعيل بن علي حدثني علي بن محمد بن خالد نا سعيد بن يحيى

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٦٠٨/٨

(٢) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٤٦٧

حدثني عمي عبد الله عن زياد بن عبد الله عن عوانة بن الحكم قال بايع أهل العراق الحسن بن علي فسار حتى نزل المدائن وبعث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على المقدمات (٥) وهم اثنا عشر آلفا وكانوا يسمون شرطة الخميس (٦) قال وأنا الخطبي حدثني علي بن محمد عن سعيد بن يحيى عن عمه عبد الله بن زياد بن عبد الله عون عوان بن الحكم قال بينا الحسن بالمدائن إذ نادى مناد في عسكر الحسن إلا أن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل فانتهب الناس سرادق الحسن حتى نازعوه بساطا تحته ووثب على الحسن رجل من الخوارج من بني أمية فطعنه **بالخنجر** ووثب الناس على الاسدي فقتلوه ثم خرج الحسن حتى نزل القصر الأبيض بالمدائن وكتب إلى معاوية بالصلح (٧)

---

(١) بالفتح ثم السكون وكسر الكاف: موضع قريب من أوانا على نهر من دجيل عند دير الجاثليق به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ فقتل مصعب

(٢) بالاصل: وقالا

(٣) بالاصل " بن "

(٤) كذا وفي الترجمة المطبوعة: جنيقا

(٥) كذا وفي مختصر ابن منظور: على مقدمته

(٦) بالاصل " الحسين " والمثبت عن مختصر ابن منظور

(٧) الخبر في سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٦٣ وفيه: في الصلح." [١]

"قالوا بايع أهل العراق بعد علي بن أبي طالب الحسن بن علي ثم قالوا له سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله وارتكبوا العظيم (١) وابتزوا الناس امورهم فأنا نرجو أن يمكن الله منهم فسار الحسن إلى أهل الشام وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة في اثنى عشر ألفا وكانوا يسمون شرطة الخميس وقال غيره وجه إلى الشام عبيد الله بن العباس ومعه قيس بن سعد فسار فيهم قيس حتى نزل مسكن والانبار وناحيتها وسار الحسن حتى نزل بالمدائن واقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منبج فبينا الحسن بالمدائن إذ نادى مناد في عسكره إلا أن قيس (٢) بن سعد قد قتل قال فشد الناس على حجرة الحسن فانتهبوها حتى انتهبت بسطه وجواريه واخذوا رداءه من ظهره وطعنه رجل من بني أسد يقال

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٦٢/١٣

له ابن أقيصر **بخنجر** مسموم في إليته فتحول من مكانه الذي انتهب فيه متاعه ونزل الأبيض قصر كسرى وقال عليكم لعنة الله من أهل قرية فقد علمت انه لا خير فيكم قتلتم أبي بالامس واليوم تفعلون بي هذا ثم دعا عمرو بن سلمة الارحبي فأرسله وكتب معه إلى معاوية بن أبي سفيان يسأله الصلح ويسلم له الأمر على أن يسلم له ثلاث خصال يسلم له بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده التي عليه ويتحمل منه هو ومن معه عيال أهل أبيه وولده وأهل بيته ولا يسب علي وهو يسمع وان يحمل إليه خراج فسا (٣) ودار ابجرد (٤) من ارض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي فأجابه معاوية إلى ذلك واعطاه ما سأل (٥)

---

(١) في سير الاعلام ٣ / ٢٦٣ العظائم

(٢) بالاصل " سعد " وقد شطبت وكتب فوقها " قيس " ومثلها في سير الاعلام ومختصر ابن منظور

(٣) فسا: من أنزه مدن درابجرد في فارس بينها وبين شيراز سبعة وعشرون فرسخا (معجم البلدان)

(٤) دارابجرد ويقال: درابجرد: كروة بفارس من مدنها فسا وهي أكبر من درابجرد (معجم البلدان)

(٥) أقام الحسن بن علي بالكوفة بعد مقتل أبيه شهرين كاملين لا ينفذ إلى معاوية أحد ولا ذكر المسير إلى الشام فورد عليه كتاب من ابن عباس ومما جاء فيه: " يا ابن رسول الله فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد أبيك – Bه – وقد أنكروا قعودك عن معاوية وطلبك لحقك فشمر للحرب وجاهد عدوك "

فبعث الحسن بكتاب إلى معاوية – بعد بيعته – يدعوه إلى طاعته وبيعته فكتب إليه معاوية برفض ما طلبه."
(١)

"قالا نا أبو بكر بن دريد قال قام الحسن بعد موت أبيه أمير المؤمنين فقال بعد حمد الله جل وعز (١) : أنا والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم وانما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم في مبتدئكم (٢) إلى صفين ودينكم أمام دنياكم فأصبحتم اليوم ودنياكم أما دينكم إلا وأنا لكم كما كنا ولستم (٣) لنا كما كنتم إلا وقد أصبحتم بعد (٤) قتيلين: قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره فأما الباقي فخاذل واما الباكي فثائر إلا وان معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فان اردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله جل وعز بظبا (٥) السيوف وان اردتم الحياة قبلناه واخذنا لكم الرضا فناداه القوم من كل جانب البقية البقية (٦)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٣/٢٦٤

فلما افردوه امضى الصلح اخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي أنا أبو محمد الجوهري أنا محمد بن العباس أنا احمد بن معروف نا محمد بن سعد أنا هشام أبو الوليد أنا أبو عوانة عن حصين (٧) عن أبي جميلة ميسرة بن يعقوب أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه **بخنجر** وزعم حصين انه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد وحسن ساجد قال حصين وعمي ادرك ذاك قال فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه فمرض منها اشهرا ثم برأ فقعد على المنبر فقال يا أهل العراق اتقوا الله فينا فأنا أمراؤكم وضيفانكم الذين قال الله عز وجل " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " (٨)

---

(١) خطبته في أسد الغابة ١ / ٤٩١ وسير أعلام النبلاء ٣ / ٢٦٩

(٢) في أسد الغابة والسير: منتدبكم

(٣) عن المصدرين السابقين وبالاصل " وكنتم "

(٤) في المصدرين السابقين: بين

(٥) ظبا السيف جمع ظبة وهو حده

(٦) كذا بالاصل وأسد الغابة والمطبوعة وفي سير الاعلام: التقية التقية

(٧) هو أبو الهذيل حصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي ترجمته في تهذيب التهذيب ٢ / ٣٨٢ الاعلام ٥ / ٤٢٢

(٨) سورة الاحزاب الاية: ٣٣." (١)

"ثم خرجت فإذا بنفسي لا أستقر في بلد حتى أتيت دمشق فبينا أنا ليلة من الليالي ساهرا (١) إذ سمعت ضربا شديدا بجانب بيتي حتى قلقت من سماعه فلما أصبحت نقبت الجدار الذي بيني وبين البيت حتى فتحت فيه مقدار ما أبصر بعيني الواحدة فلما جن الليل وهدأت (٢) الأصوات سمعت الحركة والكلام فتأملت فإذا شيخ يقول هاتوا أبا بكر فقدمت بين يديه صورة رجل فخاطبها فقال يا أبا بكر فعلت كذا وصنعت كذا ثم أمرت بضرب الصورة حتى عددت مائتي جلدة ثم قال ارفعوا عنه هاتوا عمر فأتي بصورة أخرى فضربت مثل ذلك ثم قال ارتفعوا عنه هاتوا عثمان فأتي بصورة أخرى فضربت مثل

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٦٨/١٣

ذلك ثم قال ارفعوا عنه هاتوا عليا فأتي بصورة أخرى فقال يا علي من اضطرك أن تصعد منبر الكوفة في جمع الناس فتقول ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ولو شئت لسميت الثالث ما الذي أردت بهذا ما حملك على هذا ثم أمر بضربها فضربت أربع مائة جلدة ضاعف عليه الضرب ثم قال ارفعوا عنه قال فقلت في نفسي حمدية أليس قد قتلت غلاما لا ذنب له وعصيت الله إلى وقتك هذا فلئن يسر لك قتل هذا الشيخ ليتوبن الله عليك من كل ما اكتسبت يداك ثم ترجع إلى أبوي الغلام فتعطيهما القود من نفسك فأصبحت ولم يكن أول عملي إلا شحذ سكيني حتى رضيت فلما أمسيت إلى قريب من وقت الشيخ في الليل خرجت حتى وقفت على باب الشيخ فقرعت عليه بابه فقال من هذا فقلت أنا جارك في هذا البيت الذي يليك فلما فتح الباب قلت له أنا رجل غريب وجئت وقتا فائتا بغير عدة وقد أدركني عطش شديد فاسقني فقال نعم فلما ولى ليأتيني بالماء اقتحمت عليه الباب فضربته بين كتفيه **بالخنجر** أنفذته بها ثم صرعته فذبحته وخرجت ساعتي تلك من البيت فلما أصبحت عزمت على الرجوع إلى مصر لألقى أبوي الغلام فأقر لهما فيفعلا في ما أحبا

---

(١) الاصل " شاهدا " والمثبت عن م

(٢) الاصل وم: وهدت." (١)

"لعبد الله بن خازم وسرحهم إليه واستعمل عليهم بكير بن وشاح التميمي ثم السعدي فلقوا عبد الله بن خازم فقتلوه فأراد بكير أن يبعث براءته (١) إلى بحير بن أوس فقال له أصحابه ما تصنع أنت قتلته وأنت اليوم سيد الناس ابعث برأسه إلى عبد الملك بن مروان يبعث إليك بعهدك على خراسان فبعث به إلى عبد الملك بن مروان ثم سار بكير إلى بحير بن أوس فأخذه فضربه مائة سوط وحبسه عنده ثم إن بحيرا عاتبه وكلمه فخلى بكير سبيله وأعطاه مائة ألف درهم فلم يزل بكير عليها حتى ولي بشر بن مروان ثم مات بشر فاستخلف خالد بن عبد الله فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك يسأله إمرة خراسان لأمية أخيه فاستعمله فبعث خالد أمية إلى خراسان فلما أتاها قطع النهر واستخلف ابنه زياد بن أمية على ما دون النهر وأمر زياد بن أمية ابنه وجعل بكيرا على شرطته فلما عبر أمية النهر وثب بكير على زياد بن أمية فأخذه وحبسه فبلغ ذلك أمية فأقبل راجعا فحصر بكيرا حتى أنزل إليه ابنه على أن يخلي سبيله ففعل وكان بجير

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٦٧/١٥

أديبا فجلس ذات يوم يحدث بكيرا فقال ويحك يا بكير أخذت زياد بن أمية وقبضت على مرو وأنت ترى أن الأمر منتشر وأن الناس لم يستقيموا بعد ولو كنت ثبت لأعطيتك حكمتك وليتك (٢) إمرة خراسان وإنما أراد خديعته قال بكير إن شئت أثرتها جذعة فانطلق بجير حتى أخبر أمية ذلك فدفع أمية بكيرا إلى بجير فأخرجه فضرب عنقه فبلغ ذلك أعرابيا من قومة فلم يزل يتغلغل في البلاد حتى قدم خراسان يطلب بدم بكير فرصد بجيرا حتى عرفه ثم لطف به حتى وجأه **بخنجر** له حتى قتله وقتل الأعرابي ولم يزل أمية على خراسان حتى قدم الحجاج وبعد قدومه بسنتين أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن أنا أبو الحسن النهاوندي أنا أحمد بن إسحاق نا أحمد بن عمران نا موسى نا خليفة قال سنة ثلاث ثلاثين فيها جمع

(١) عن م وسقطت اللفظة من الأصل

(٢) عن م وبالأصل: وليت

(٣) انظر سبب مقتله في فتوح البلدان ص ٢٩٧٢ - ٢٩٧٣

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٦٧ (حوادث سنة ٣٣ تحت عنوان: قتال عبد الله بن خازم لقارن)." [١]

"فأدخله فخرج عبد الجبار إلى الرجل فقال قد دعاك أمير المؤمنين وقد اعلمته انك أحد عماله على المظالم والحسبة فادخل عليه في الزي الذي تحب فألبسه قباء بأربند (٢) علق **خنجرا** في وسطه وسيفا بمعاليق (٣) واسبل كميه (٤) ودخل فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين قال وعليك الست القائم بنا والواعظ لنا ومذكرنا بأيام الله على رؤوس الملأ قال نعم قال فكيف حلت عن مذهبك قال يا أمير المؤمنين فكرت في امري فإذا أنا قد اخطأت فيما تكلمت به ورأيتني مصيبا في مشاركة أمير المؤمنين في امانته فقال هيهات اخطأت استك الحفرة هنباك يوم اعلنت الكلام وظننا انك اردت الله به فكففنا عنك فلما تبين لنا انك الدنيا اردت جعلناك عظة لغيرك حتى لا يجترئ بعدك مجترئ على الخلافة اخرجه يا عبد الجبار فاضرب عنقه فأخرجه فقتله أخبرنا أبو القاسم العلوي أنا رشأ بن نظيف أنا الحسن بن إسماعيل أنا احمد بن مروان نا علي بن الحسن (٥) أنا معلى بن أيوب قال سمعت ابن (٦) المبارك يقول سمعت أبا عبيد (٧) الله يقول سمعت المنصور أمير المؤمنين يقول لأمير المؤمنين المهدي يا أبا عبد الله أن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة والرعية لا يصلحها إلا العدل واولى الناس بالعدل اقدرهم

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٣/٢٨

على العقوبة وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه كذا قال وإنما هو مبارك أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو الحسين بن النقور (٨) وأبو منصور بن العطار وأبو القاسم بن البسري (٩) قالوا أنا أبو طاهر المخلص نا عبد الواحد بن المهتدي نا احمد بن يحيى نا أبو عبد الله بن أبي بكر نا مبارك الطبري قال سمعت أبا

---

(١) الجليس الصالح: دعا بك

(٢) عن الجليس الصالح وفي المطبوعة: " قباء فارتبذ " واللفظتان غير مقروءتين بالأصل

(٣) بالأصل: " بمعاليق وسيفا " وفوق اللفظتين علامتا تقديم وتأخير فاثبتنا ما وافق الجليس الصالح

(٤) في الجليس الصالح: جمته

(٥) الأصل: الحسين والسند معروف

(٦) كذا بالأصل وفي سير الأعلام ٧ / ٨٥ وتاريخ الإسلام (ترجمته ص ٤٦٨) " مبارك الطيري " وسينبه المصنف في آخر الخبر إلى الصواب

(٧) الأصل: عبد الله والمثبت عن سير الاعلام وتاريخ الاسلام

(٨) غير مقروءة بالأصل: والصواب ما اثبت قياسا الى سند مماثل

(٩) الأصل: السمرقندي خطأ والسند معروف." (١)

"يوسف بن أحمد بن يوسف أنا أبو جعفر العقيلي (١) نا محمد بن عيسى نا محمد بن عمران بن زياد الضبي قال قال أبو نعيم وسألته عن حديث عن المسعودي فقال لو رأيت رجلا عليه قباء أسود وشاشية وفي وسطه خنجر كنت تكتب عنه ثم قال رأيت المسعودي هكذا ومكتوب بين كتفيه بياض " فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم " (٢) أخبرنا أبو الحسين هبة الله بن الحسن إذنا وأبو عبد الله الخلال شفاها (٤) أنا أبو القاسم بن منده أنا أبو علي إجازة ح قال وأنا أبو طاهر بن سلمة أنا علي بن محمد قالا أنا أبو محمد بن أبي حاتم (٥) أنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي (٦) قال قال لي أبو نعيم لو رأيت رجلا في قباء سواد وشاشية وفي وسطه خنجر ولا أعلمه إلا قال مكتوب بين كتفيه ببياض " فسيكفيكهم الله " كنت تكتب عنه قلت لا قال فقد رأيت المسعودي في هذه الحال قال أبو محمد هذا بعد الاختلاط

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣١٤/٣٢

حدثنا أبو الفضل محمد بن ناصر لفظا وأبو عبد الله يحيى بن الحسن قراءة قالا انا أبو المعالي محمد بن عبد السلام في كتابه أنا أبو الحسن علي بن محمد بن خزفة (٧) قراءة عليه نا محمد بن الحسن نا ابن أبي خيثمة قال وأخبرني سليمان بن أبي شيخ قال كان المسعودي ببغداد فكتب إليه أبو سعيد الراي (٨) كتابا يعظه فيه ويوبخه فقال ما لأبي سعيد جزاء إلا أن يضرب كتابه يا غلام هات السوط اضرب هذا الكتاب سبعين سوطا فضربه بالسوط حتى قطعه قرأت على أبي الفتح نصر الله بن محمد عن أبي الحسين بن الطيوري أنا عبد الباقي بن عبد الكريم انا عبد الرحمن بن عمر نا محمد بن أحمد بن يعقوب حدثني جدي يعقوب حدثني محمد بن عمر عن يحيى بن معين قال قال أبو النضر إن

---

(١) الخبر في الضعفاء الكبير للعقيلي ٢ / ٣٣٦

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٧

(٣) ما بين الرقمين ليس في م

(٤) بعدها في م: قالا

(٥) الجرح والتعديل ٥ / ٢٥١

(٦) كذا بالاصل وم وفي الجرح والتعديل: الازدي

(٧) بالاصل: " حزقة " وفي م: " حرفه " وكلاهما تحريف والصواب ما اثبت وضبط ومر التعريف به

(٨) كذا رسمها بالاصل وم؟." (١)

"عثمان تقلد السيف فعزم عليه عبد الرحمن أن يضعه فوضعه كذا في هذه الرواية والمحفوظ عبد الرحمن بن أبي بكر أخبرنا أبو القاسم بن السمر قندي أنا أبو الحسين بن النقور أنا أبو طاهر المخلص أنا أبو بكر بن سيف نا السري بن يحيى (١) نا شعيب بن إبراهيم نا سيف بن عمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة طعن عمر مررت على أبي لؤلؤة عشي أمس ومعه جفينة والهرمزان وهم نجي فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم **خنجر** له رأسان نصابه وسطه فانظروا بأي شئ قتل وقد تخلل أهل المسجد وخرج في طلبه رجل من بني تميم فرجع إليهم وكان ألظ بأبي لؤلؤة منصرفة عن عمر حتى أخذه فقتله وجاء **بالخنجر** الذي وصف عبد الرحمن بن أبي بكر فسمع بذلك عبيد الله فأمسك

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٣/٣٥

حتى مات عمر ثم اشتمل على السيف فأتى الهرمزان فقتله فما عضه السيف قال لا إله إلا الله ثم مضى حتى أتى جفينة وكان نصرانيا من أهل الحيرة ظئرا لسعد بن مالك أقدمه المدينة للصلح (٢) الذي كان بينه وبينهم وليعلم بالمدينة الكتابة فلما علاه السيف حضر بين عينيه وبلغ ذلك صهيبا فبعث إليه عمرو بن العاص فلم يزل به وعنه ويقول السيف بأبي وأمي حتى ناوله إياه وثاوره (٣) سعد فأخذ بشعره (٤) وجاءوا إلى صهيب أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة نا عبد العزيز بن أحمد أنا أبو محمد بن أبي نصر وأبو القاسم تمام بن محمد قالا أنا أبو الحسن بن حذلم أنا أبو زرعة نا يحيى بن صالح نا إسحاق بن يحيى عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال أعرض عثمان عن عبيد الله بن عمر في قتله جفينة والهرمزان واستشار عثمان المهاجرين والأنصار فقال أشيروا علي في قتل هذا الرجل الذي فتق في الدين ما فتق فاجتمع المهاجرون على كلمة واحدة بالشدة ويشجعون عثمان على قتله وكان ثبج الناس الأعظم مع عبيد الله يقولون لجفينة والهرمزان أبعدهما الله لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر ابنه

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢ / ٥٨٧ حوادث سنة ٢٣

(٢) عن م وتاريخ الطبري وبالاصل: للملح

(٣) عن م وتاريخ الطبري وبالاصل: وثاره

(٤) عن م وتاريخ الطبري وبالاصل: شعره." (١)

"فكثر في ذلك اللغط والاختلاف ثم قال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر أمر أعفاك الله من أن يكون بعدما بويعت وكان قبل أن يكون لك على الناس سلطان فأعرض عنه فتفرق الناس عن خطبة عمرو انتهى إليه أمير المؤمنين وودي الرجلان والجارية وهذا مختصر من حديث أخبرناه أبو بكر وجيه بن طاهر أنا أبو حامد بن الحسن أنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن نا محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي (١) نا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر ولم يجرب عليه كذبة قط قال حين قتل عمر إني انتهيت إلى الهرمزان وجفينة وأبي لؤلؤة وهم نجي فبغتهم فثاروا فسقط من بينهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه قال عبد الرحمن فانظروا بما قتل عمر (٢) فنظروا فإذا الخنجر على النعت الذي نعت عبد الرحمن قال فخرج

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦١/٣٨

عبيد الله بن عمر مشتملا على السيف حتى أتى الهرمزان فقال أصحبني تنظر إلى فرس لي وكان الهرمزان بصيرا بالخيل فخرج يمشي بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف فلما وجد حر السيف قال لا إله إلا الله فقتله ثم أتى جفينة وكان نصرانيا فدعاه فلما أشرف له علاه بالسيف فصلب جفينة بين عينيه ثم أتى ابنة أبي لؤلؤة جارية صغيرة تدعي بالإسلام فقتلها فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها ثلاثا قال وأقبل بالسيف صلتا وهو يقول والله لا أترك بالمدينة سبيا إلا قتلته وغيرهم (٣) وكان يعرض بناس من المهاجرين قال فجعلوا يقولون له ألق السيف ويأبى وهم يهابون أن يقربوه (٤) حتى أتى عمرو بن العاص فقال أعطني السيف يا ابن أخي فأعطاه إياه ثم ثار إليه عثمان فأخذ برأسه فتناصيا (٥) حتى حجز الناس بينهم فلما ولي عثمان قال أشيروا علي في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق يعني عبيد الله بن عمر فأشار عليه المهاجرون أن يقتله وقال جماعة من الناس قتل عمر أمس وتريدون أن تتبعوه ابنه اليوم أبعد الله الهرمزان وجفينة فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الأمر ولك على الناس سلطان إنما كان هذا ولا

---

(١) من هذه الطريق رواه ابن حجر في الاصابة ٣ / ٧٥ - ٧٦

(٢) أقحم بعدها بالاصل: عثمان

(٣) كذا بالاصل وم

يريد أنه سيقتل غيرهم ممن أخذوا عليه قتل الهرمزان وجفينة

(٤) الاصل: يقتربوه والمثبت عن م

(٥) تناصيا أي أخذا بالنواصي يعني كل واحد أخذ بناصية الاخر." (١)

"سلطان لك فاصفح عنه يا أمير المؤمنين فتفرق الناس على خطبة عمرو بن العاص وودى عثما الرجلين والجارية أخبرنا أبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا قالا أنا أبو جعفر بن المسلمة أنا أبو طاهر المخلص نا أحمد بن سليمان نا الزبير بن بكار حدثني محمد بن الضحاك الحزامي عن جدي عبد الله بن مصعب (١) قال قتل عبيد الله جفينة والهرمزان وبنت أبي لؤلؤة وأراد قتل العجم حتى حال المسلمون بينه وبين ذلك وكان اتهمهم في قتل عمر كان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شهد أنه طلع على أبي لؤلؤة والهرمزان وجفينة وهم نجي (٢) ففزعوا منه (٣) فسقط منهم **خنجر** له طرفان (٤) مقبضه في وسطه فأتى عبد الرحمن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٢/٣٨

بن أبي بكر **بالخنجر** الذي قتل به عمر فقال هو هذا أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو الحسين بن بشران ح (٥) وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو بكر محمد بن هبة الله بن الحسن الطبري أنا أبو الحسين علي بن محمد المصري نا مالك بن يحيى أبو غسان نا علي بن عاصم عن حميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال لما طعن عمر وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله فقيل لعمر إن عبيد الله بن عمر قتل الهرمزان قال فلم قتله قال إنه قتل أبي قال وكيف ذاك قال رأيته قبل ذاك مستخليا بأبي لؤلؤة وهو أمره بقتل أبي قال عمر ما أدري ما هذا انظروا إذا أنا مت فسلوا عبيد الله البينة على الهرمزان هو قتلني فإن أقام البينة فدمه دمي وإن لم تقم البينة فأقيدوا عبيد الله من الهرمزان فلما ولي عثمان قيل له ألا تمضي وصية عمر في عبيد الله قال من ولي الهرمزان قالوا أنت يا أمير المؤمنين قال فقد عفوت عن عبيد الله بن عمر لفظهما سواء وقيل إنه إنما قتلهم بعد دفن عمر وهو الصحيح أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو الحسين بن النقور أنا أبو طاهر المخلص

---

(١) انظر نسب قريش للمصعب ص 5٣٥

(٢) النجي: المتناجون ومنه قوله تعالى: (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا)

(٣) الزيادة عن نسب قريش

(٤) نسب قريش: له رأسان مملكه في وسطه

(٥) (ح) حرف التحويل سقط من م." (١)

"أنا أبو بكر بن سيف أنا السري بن يحيى أنا شعيب بن إبراهيم نا سيف بن عمر التميمي عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد قال لما مات عمر قام على الناس صهيب فلما جهز عمر صلى عليه صهيب ودفن في بيت عائشة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر Bهما وقيل لعبيد الله بعدما فرغ من دفن عمر قد رأينا أبا لؤلؤة والهرمزان نجيا والهرمزان يقلب هذا **الخنجر** بيده ومعهما جفينة وهو رجل من العباد جاء به سعد بن أبي وقاص يعلم الكتاب بالمدينة وابن فيروز وابنته كلهم مشرك إلا الهرمزان فغدا عليهم عبيد الله بسيف فقتل الهرمزان وجفينة فنهته (١) الناس فلم ينته وقال والله لأقتلن من يصغر هؤلاء في جنبه فانصرفوا إلى صهيب فأخبروه فبعث إليه صهيب عمرو بن العاص فلم يزل به حتى أعطاه

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٣/٣٨

السيف ووثب عليه سعد بن أبي وقاص فتناصيا وقال قتلت جاري وأخفرتني وأتى به صهيبا فحبسه على الشورى حتى بعثه إلى عثمان يوم استخلف فأقاده أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي أنا الحسن بن علي أنا أبو عمر بن حيوية أنا أحمد بن معروف أنا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد (٢) أنا محمد بن عمر حدثني موسى بن يعقوب عن أبي وجزة عن أبيه قال رأيت عبيد الله يومئذ وإنه ليناصي عثمان وإن عثمان ليقول قاتلك الله قتلت رجلا يصلي وصبية صغيرة وآخر في ذمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما في الحق تركك قال فعجبت لعثمان حين ولي كيف تركه ولكني عرفت أن عمرو بن العاص كان دخل في ذلك فلفته عن رأيه قال (٣) وأنا محمد بن عمر حدثني عتبة بن جبيرة عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال ما كان عبيد الله يومئذ إلا كهيئة السبع الحرب جعل يعترض العجم بالسيف حتى حبس يومئذ في السجن فكنت أحسب لو أن عثمان ولي سيقتله لما كنت أراه صنع به كان هو وسعد أشد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعني عليه قرأت على أبي غالب بن البنا عن أبي محمد الجوهري أنا أبو عمر بن حيوية أنا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد (٤) أنا محمد بن عمر حدثني

---

(١) عن م وبالاصل: فنهنه

(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ١٦

(٣) القائل: محمد بن سعد المصدر السابق

(٤) المصدر السابق." (١)

"على النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم قال أيها الناس اتقوا الله واعلموا أن الدنيا كما نعت الله في كتابه " لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد " (١) وإنها خضرة حلوة غرارة لأهلها مرارة خداعة مخادعة لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجائعها خير العباد فيها من اعتصم بكتاب الله ثم قال إني قد وليت من أمركم وقلدت منه جسيما لا أرجو العون إلا من عند الله الذي ابتلاني به وإن توفيقي في ذلك إلا بالله ثم قال صلوا على نبيكم (صلى الله عليه وسلم) أيها الناس إن عبيد الله بن عمر كان أصاب الهرمزان بظنة أبيه وكان الهرمزان مولى الإسلام ومولى أبيه الخليفة وأنا ولي دمه وإني رأيت أن أهب ذلك الدم لله

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٤/٣٨

ولعمر فقال المقداد بن الأسود وكان ملكا من ملوك كندة أصاب في قومه دما فأتى البيت فعاذ به وحالف حمزة بن عبد المطلب وقد كان تزوج بعض عمات النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان يسمى فارس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال يا أمير المؤمنين لا يكون أول حكمك فينا حكم الطاغوت إنه من يكن الله مولاه فالله طالب دمه وليس لك أن تهب ما الله أولى به منك فقال عثمان انظروا وينظرون فضاقت الأرض على عبيد الله برحبها فخرجت ذات ليلة فإذا ابن النصر بن الحارث السهمي يتغنى في سواد الليل (٢) * ألا يا عبيد الله ما لك ملجأ * ولا مهرب دون ابن أروى ولا خفر أصبت دما والله في غير كنهه (٣) * حراما وقتل الهرمزان له خطر غدوت عليه ظالما فضربته * بأبيض مصقول شفاشفه ذكر على غير شئ غير أن قال قائل * أتتهمون الهرمزان على عمر * وذلك أن عمر لما قتل قال قائل (٤) قد رأيت هذا **الخنجر** مع الهرمزان وأبو لؤلؤة يكلمه فقال عبيد الله هذا رأي الهرمزان فضربه بالسيف حتى قتله فعاقد علي بن أبي طالب لئن ملك يوما ليقتلن عبيد الله به ثم إن عثمان دعا عبيد الله فقال قد وهبت لك أمر الهرمزان لأني أمير المؤمنين وأنا ولي دمه فطعن عليه المسلمون في ذلك فكان أول إحداثه فقال زياد بن لبيد بن بياضة الأنصاري (٥) :

---

(١) سورة الحديد الاية: ٢٠

(٢) الابيات في تاريخ الطبري ٢ / ٥٨٧ (حوادث سنة ٢٣) والكامل لابن الاثير بتحقيقنا ٢ / ٢٢٦ وفيهما أن زياد بن لبيد البياضي كان يقولها إذا رأى عبيد الله بن عمر

(٣) المصادر: حله

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر كما مر في أكثر من رواية

(٥) من ثلاثة أبيات في تاريخ الطبري ٢ / ٥٨٧ (حوادث سنة ٢٣) والكامل لابن الاثير بتحقيقنا ٢ / ٢٢٦." (١)

"عثمان العصاري أنا أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي أنا أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي حدثني عبد الله بن الحكم بن موسى بن الحسين السلولي حدثني أبي عن عمه قال مر العجير بفتيان من قومه يشربون نبيذا لهم فدعوه إليه فأجابهم وشرب قال فقرم (١) إلى اللحم فقال أطعمونا لحما

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٦/٣٨

فقالوا تروح الشاء والإبل ونذبح قال فقال لفتى منهم قم فخذ بزمام بعيري هذا وكان نجيبا ليس في البلاد مثله قال واستل **الخنجر** من حجزته (٢) وضرب به لبته (٣) قال فقام القوم إليه وقالوا ما صنعت فقال أطعمونا لحما قال فجعل القوم يأكلون من كبده وسنامه والعجير يقول * علاني إنما الدنيا علل * وأتركاني من ملام وعذل وأنشلا ما اغبر من قدريكما * واسقياني أبعد الله الجمل (٤) * فيقال والله أعلم إن عشيرته صبحته بألف بعير حين بلغهم هذا الحديث كتب إلي أبو علي محمد بن سعيد ثم حدثني أبو الفضل بن ناصر أنبأ أبو طاهر الباقلاني قالوا أنا أبو علي بن شاذان أنا أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب للعجير وقال قاتله الله ما أشعره وأخبثه * وقائلة (٥) إذا العجير تقلبت (٦) * به أبطن أبلينه وظهور رأتني تجاذبت الغداة ومن يكن * فتى عام عام الماء فهو كبير (٧) * ويروى فتى عام عام الماء بالإضافة

---

(١) قرم اللحم: اشتهاه

(٢) حجزته: أي موضع شد الازار من الوسط

(٣) اللبة: وسط الصدر والمنحر

(٤) الخبر باختلاف الرواية والبيتان في الاغاني ١٣ / ٧٦ وقوله: وانشلا: نشل اللحم ينشله نشلا إذا أخرجه من القدر بيده من غير مغرفة

ما اغبر: قال الاصمعي: اللحم أول ما يتغير لونه بالطبخ قيل: اغبر

وقيل ما اغبر يعني ما بقي

أصبحاني: اعطياني الصبوح من لبن النوق

(٥) من أبيات في الاغاني ١٣ / ٦٨ قالها لما مثل بين يدي عبد الملك بن مروان بعدما أقام ببابه شهرا لا يصل إليه

(٦) صدره في الاغاني: فقلت لها إن العجيز تقلبت

(٧) بهذه الرواية البيت في اللسان (عوم) وروايته في الاغاني: وقالت: تضاءلت الغداة ومن يكن فتى قبل

عام فهو كبير قال في اللسان: فسره ثعلب فقال: العرب تكرر الاوقات فيقولون: أتيتك يوم يوم قمت ويوم تقوم." (١)

"يا أمير المؤمنين احترس أو أخرج العجم من المدينة فإني لا آمن أن يطعنك رجل منهم في هذا الموضع ووضع يده في الموضع الذي طعنه أبو لؤلؤة فلما طعن عمر قال ما فعل عيينة قالوا بالهجم (١) أو بالحاجر (٢) فقال إن هناك لرأيا أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو بكر محمد بن هبة الله أنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو علي بن صفوان نا أبو بكر بن أبي الدنيا نا سلم (٣) بن جنادة نا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت القرشي نا أبي عن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن المسور بن مخرمة قال قال كعب لعمر يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام فقال عمر الله إنك لتجد عمري في التوراة قال اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك قال وعمر لا يحس أجلا ولا وجعا فلما مضى ثلاثة طعنه أبو لؤلؤة فجعل يدخل عليه المهاجرين والأنصار فيسلمون عليه قال ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر قال: فأوعدني كعب ثلاث يعدها * ولا شك أن القول ما قال لي كعب وما بي حذار الموت إني لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني نا أبو بكر الخطيب أنا أبو الحسن الحمامي أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي قيس ح وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو منصور بن عبد العزيز أنا أبو الحسين بن بشران أنا عمر بن الحسن القاضي قالا نا أبو بكر بن أبي الدينا نا أبو خيثمة وإسحاق بن إسماعيل قالا نا جرير عن حصين عن عمرو بن ميمون أن أبا لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة طعن عمر **بخنجر** له رأسان وطعن معه اثني عشر رجلا فمات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه طعن نفسه فقتلها (٤)

---

(١) الهجم: ماء لبني فزارة قديم (معجم البلدان)

(٢) الحاجر: موضع قبل معدن النقرة بطريق مكة (معجم البلدان)

(٣) كذا بالاصل وم وفي " ز ": سالم بن جنادة تصحيف

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٥١/٤٠

(٤) تاريخ الاسلام (الخلفاء الراشدون) ص ٢٧٧، وتاريخ الخلفاء ص ١٥٦ وراجع طبقات ابن سعد ٣ / ٣٤٠." (١)

"أخبرنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم أنا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن أنا أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان ح وأخبرتنا أم المجتبى العلوية قالت (١) قرئ (٢) على إبراهيم بن منصور أنا أبو بكر بن المقرئ قالا أنا أبو يعلى نا أبو عباد قطن بن نسير الغبري (٣) نا جعفر بن سليمان نا ثابت زاد ابن حمدان البناني عن أبي رافع قال كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة بن شعبة وفي حديث ابن المقرئ عبد المغيرة بن شعبة وكان يصنع الأرحاء وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم فلقي أبو لؤلؤة عمر فقال يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي غلتي فكلمه يخفف عني فقال له عمر اتق الله وأحسن إلى مولاك ومن نية عمر أن يلقى المغيرة فيكلمه يخفف عنه فغضب العبد وقال وسع الناس كلهم عدله غيري فأضمر على قتله فاصنطع خنجرا له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به الهرمزان فقال كيف ترى هذا قال أرى أنك لا تضرب به أحدا إلا قتلته قال فحين أبو لؤلؤة فجاء في وقال ابن المقرئ قال تحين أبو لؤلؤة عمر فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يتكلم يقول أقيموا صفوفكم كما كان يقول فلما كبر وجأه (٤) أبو لؤلؤة زاد ابن المقرئ وجأة وقالا في كتفه ووجأه في خاصرته (٥) فسقط عمر وطعن بخنجره ثلاثة عشرة رجلا منهم فهلك منهم سبعة وأفرق (٦) منهم ستة وحمل عمر فذهب به وقال ابن حمدان وجعل عمر يذهب به إلى منزله وهاج الناس حتى كادت تطلع الشمس فنادى عبد الرحمن بن عوف أيها الناس الصلاة الصلاة قال ففرغوا إلى الصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم بأقصر سورتين في القرآن

---

(١) كتبت اللفظة فوق الكلام بين السطرين في " ز "

(٢) من هذه الطريق رواه ابن الاثير في اسد الغابة ٣ / ٦٧٤ - ٦٧٥ وتاريخ الاسلام (الخلفاء الراشدون ص ٢٧٧)

(٣) بالاصل: " العبرى " وفي م: " المقبري " كلاهما تحريف والصواب عن " ز " راجع تهذيب التهذيب ٨ / ٣٨٢

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٠٨/٤٤

(٤) وجاه: ضربه

(٥) زيد في اسد الغابة هنا: وقيل: ضربه ست ضربات

(٦) اي نجا وبرئ." (١)

"نية عمر أن يلق المغيرة فيكلمه في التخفيف عنه قال فغضب أبو لؤلؤة وقال يسع الناس عدله كلهم غيري فغضب واضمر على قتله قال فصنع خنجرا له رأسان قال فشحذه قال وتحين عمر وكان عمر لا يكبر إذا أقيمت الصلاة حتى يتكلم أقيموا صفوفكم قال فجاء فقام في الصف بحذائه مقابل عمر في صلاة الغداة قال فلما أقيمت الصلاة تكلم قال أقيموا صفوفكم قال ثم كبر فلما كبر وجأه وجأة قال ثم كبر فوجأه وجأه على كتفه ووجأه مكانا آخر وجأه في خاصرته فسقط عمر ووجأ ثلاثة عشر رجلا معه فأفلت منهم سبعة ومات منهم ستة واحتمل عمر فذهب به إلى أهله وصاح الناس حتى كادت الشمس أن تطلع فنادى عبد الرحمن بن عوف أيها الناس الصلاة ففزع الناس إلى الصلاة فتقدم عبد الرحمن فصلى بهم وقرأ بأقصر سورتين من القرآن فلما انصرف توجه الناس إلى عمر فدعا بشراب لينظر ما مدى جرحه قال فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يدر نبيذ هو أم دم قال فدعا بلبن فأتي به فخرج من جرحه فقالوا لا بأس عليك يا أمير المؤمنين قال إن يكن القتل بأسا (١) فقد قتلت قال فتكلم صهيب فرفع صوته وآخاه ثلاثا فقال مه يا صهيب مه يا أخي أوما بلغك أوما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول إن المعول عليه يعذب في قبره

[٩٨٢٢] فأقبل الناس يثنون عليه جزاك الله يا أمير المؤمنين كنت وكنت فيجئ قوم فيثنون وينصرفون ويجئ قوم فيثنون وينصرفون ويجئ قوم آخرون فقال عمر أما والله على ما تقولون لوددت أني خرجت منها كفافا لا لي ولا علي وإن صحبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سلمت لي فتكلم ابن عباس وكان ابن عباس خلط بعمر فقال لا والله يا أمير المؤمنين لا تخرج منها كفافا لقد صحبت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فصحبته بخير ما صحبه صاحب كنت له وكنت حتى قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو عنك راض وكان أبو بكر بعده فكنت تنفذ أمره فكنت له وكنت حتى قبض وهو عنك راض ثم وليتها أنت فوليتها بخير ما وليها وإن كنت وكنت قال فكأن عمر استراح إلى كلام ابن عباس وقال يا ابن عباس عد في حديثك

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤١٠/٤٤

(١) بالاصل وم: باس والتصويب عن " ز "." (١)

"قال فعاد فيه ابن عباس قال فقال عمر أما والله على ما تقول لو أن طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من هول المطلع (١) فجعلها شورى في ستة علي وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وجعل عبد الله بن عمر معهم وليس منهم قال وأمر صهيبا أن يصلي بالناس وأجلهم ثلاثا أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر أنا أبو حامد أحمد بن الحسن أنا أبو سعيد بن حمدون أنا أبو حامد بن الشرقي نا محمد بن يحيى الذهلي نا يعقوب بن إبراهيم بن سعد (٢) نا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال كان عمر بن الخطاب لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنعا (٣) ويستأذنه أن يدخله المدينة ويقول إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد نقاش نجار فكتب إليه عمر فأذن له أن يرسل به إلى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في كل شهر قال فجاء إلى عمر يشتكي إليه شدة الخراج فقال (٤) له عمر ماذا تحسن من العمل فذكر له الأعمال التي يحسنها (٥) فقال (٤) له عمر ما خراجك بكثير في كنه ما تعمل فانصرف ساخطا يتذمر فلبث عمر ليالي ثم إن العبد مر به فدعاه فقال ألم أحدث أنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت العبد ساخطا إلى عمر عابسا ومع عمر رهط فقال لأصنعن لك رحى تتحدث الناس بها فلما ولى العبد أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم أوعدني العبد آنفا فلبث ليالي ثم اشتمل أبو لؤلؤة على **خنجر** ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في غلس السحر فلم يزل هنالك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة صلاة الفجر وكان عمر يفعل ذلك فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه (٦) طعنات إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق (٧) وهي التي قتلته ثم أغار أيضا على أهل

---

(١) المطلع: الموقف يوم القيامة (النهاية)

(2) من طريقه رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣ / ٣٤٥ (٣) رجل صنع بالتحريك وبكسر الصاد: الصانع الحاذق

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤١٢/٤٤

(اللسان)

(٤) ما بين الرقمين ليس في م

(٥) بالاصل: يحسنه والمثبت عن " ز " وفي المطبوعة: يحسن

(٦) كذا بالاصل وم و " ز " وفي ابن سعد: فطعنه ثلاث طعنات

(٧) الصفاق: الجلد الاسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر أو ما بين الجلد والمصران أو جلد البطن كله (القاموس المحيط: صفق)." (١)

"المسجد فطعن من يليه حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلا ثم انتحر **بخنجره** فقال عمر حين أدركه النزف وانقصف الناس عليه قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس ثم غلب عمر النزف حتى غشي عليه قال ابن عباس فاحتملت عمر في رهط حتى أدخلته بيته ثم صلى بالناس (١) عبد الرحمن فأنكر الناس صوت عبد الرحمن فقال ابن عباس فلم أزل عند عمر ولم يزل في غشية واحدة حتى أسفر الصبح (٢) فلما أسفر أفاق فنظر في وجوهنا ثم قال أصلى الناس قال قلت نعم فقال لا إسلام لمن ترك الصلاة ثم دعا بوضوئه فتوضأ ثم صلى ثم قال اخرج يا عبد الله بن عباس فسل من قتلني قال ابن عباس فخرجت حتى فتحت باب الدار فإذا الناس مجتمعون جاهلون بخبر عمر قال فقلت من طعن أمير المؤمنين فقالوا طعنه عدو الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال (٣) فدخلت فإذا عمر يبدني (٤) النظر يستأني (٥) خبر ما بعثني إليه قال قلت أرسلني أمير المؤمنين لأسأل من قتله فكلمت الناس فزعموا أنه طعنه عدو الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة (٤) ثم طعن معه رهطا (٦) ثم قتل نفسه فقال الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة يسجدها (٧) له قط ما كانت العرب لتقتلني قال سالم فسمعت عبد الله بن عمر يقول قال عمر أرسلوا إلى طبيب ينظر إلى جرحي هذا قال فأرسلوا إلى طبيب من العرب فسقى عمر نبيذا فشبه النبيذ بالدم حين خرج من الطعنة التي تحت السرة قال فدعوت طبيبا آخر من الأنصار من بني معاوية فسقاه لبنا فخرج اللبن من الطعنة يصلد أراه قال أبيض أنا أشك قال له الطبيب اعهد يا أمير المؤمنين فقال عمر صدقني أخو (٨) بني معاوية ولو قلت غير ذلك كذبتك

---

(١) بالاصل وم: " صلى للناس " والمثبت عن " ز " وطبقات ابن سعد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤١٣/٤٤

(٢) سقطت من الاصل وم و " ز " واستدركت عن طبقات ابن سعد

(٣) ما بين الرقمين سقط من م

(٤) كذا بالاصل وفي " ز ": " يداني " وفي ابن سعد: " يبد في "

(٥) بدون اعجام بالاصل وفي " ز ": " يسالني " والمثبت عن ابن سعد اي ينتظر

(٦) الاصل: رهط والتصويب عن م و " ز " وابن سعد

(٧) كذا بالاصل وم و " ز " وفي ابن سعد: سجدها

(٨) سقطت من الاصل وم واستدركت عن " ز " وابن سعد." (١)

"الرحمن اجعلوه إلي والله علي لا آلوا عن أفضلكم قالا نعم فخلا بعلي فقال لك من القدم في الإسلام والقرابة ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال لعثمان ارفع يديك فبايعه ثم بايع له علي ثم ولج أهل الدار فبايعوه أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي وأبو الحسن علي بن المبارك بن علي بن الفاعوس قالا أنا عبد الباقي بن محمد بن غالب أنا أحمد بن محمد بن عمران نا محمد بن أحمد الشلاثائي نا عبدة نا عبد الصمد نا شعبة نا سليمان بن المغيرة نا عمرو (١) بن ميمون قال سمعت عمر يقول لما طعن " وكان أمر الله قدرا مقدورا " (٢) أخبرنا أبو الأعز قراتكين بن الأسعد أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو الحسن بن لؤلؤ أنا محمد بن الحسين بن شهريار نا أبو حفص الفلاس نا وكيع نا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر يوم طعن وعليه ثوب أصفر فخر وهو يقول (وكان أمر الله قدرا مقدورا " أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي أنا الحسن بن علي أنا أبو عمر بن حيوية أنا أحمد بن معروف أنا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد (٣) أنا أبو معاوية الضرير نا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن عمرو بن ميمون قال لما طعن عمر تلك الطعنة انصرف وهو يقول " وكان أمر الله قدرا مقدورا " قال فطلبوا القاتل وكان عبدا للمغيرة بن شعبة وكان في يده **خنجر** له طرفان قال فجعل لا يدنو منه أحد إلا طعنه فجرح ثلاثة عشر رجلا فأفلت (٤) أربعة ومات تسعة أو أفلت (٥) تسعة ومات أربعة أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل أنا أبو منصور بن شكروية أنا أبو بكر بن مردوية أنا أبو بكر الشافعي نا معاذ بن المثنى نا مسدد نا عبد الله بن داود عن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤١٤/٤٤

(١) في " ز ": " عمر بن ميمون " تصحيف

(٢) سورة الاحزاب الاية: ٣٨

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣ / ٣٤٨

(٤) في الاصل وم: " فاقلب " والصواب عن " ز " وابن سعد

(٥) في الاصل وم: " اقلب " والتصويب عن " ز " وابن سعد." (١)

"وذلك أن أبا سفيان بن حرب قال لنفر من قريش ألا أحد يغتال (١) محمدا فإنه يمشي في الأسواق فأتاه رجل من الأعراب فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشده بطشا وأسرعه شدا فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعي **خنجر** مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ في عيروأسبق القوم عدوا فإني هاد (٢) بالطريق خريت قال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو في مسجد بني عبد الأشهل فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال إن هذا ليريد غدرا فذهب ليجني على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره فإذا **بالخنجر** فسقط في يديه وقال دمي دمي فأخذ أسيد بلبته فدعته فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اصدقني ما أنت قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان فخلى عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب وقال إن أصبتما منه غرة فاقتلاه فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه فأخبر قريشا بمكانه فخافوه فطلبوه وكان فاتكا في الجاهلية وقالوا لم يأت عمرو لخير فحشد له أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو عبيد الله بن مالك بن عبيد الله التيمي فقتله وقتل آخر من بني الديل سمعه يتغنى ويقول * ولست بمسلم ما دمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا * ولقي رسولين لقريش بعثتهما (٣) يتجسسان (٤) الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خبره (٥) ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يضحك أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل أنا أبو بكر البيهقي (٦) أنا محمد بن

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤١٨/٤٤

عبد الله

---

(١) تقرأ بالأصل و " ز " وم: يغتر والمثبت عن ابن سعد

(٢) بالأصل وم و " ز ": هادي بإثبات الياء

(٣) بالأصل: بعثهما والمثبت عن م و " ز " وابن سعد

(٤) كذا بالأصل وم و " ز " وفي " ز ": يتحسبان الخبر

(٥) سقطت من الأصل واستدركت عن م و " ز " وابن سعد

(٦) رواه بطوله البيهقي في دلائل النبوة ٣ / ٣٣٣ وما بعدها تحت عنوان: باب سرية عمرو بن أمية الضمري إلى أبي سفيان بن حرب حين عرف ما كان هم به من اغتياله

ورواه أيضا الطبري في تاريخه ٢ / ٥٤٢ وما بعدها وابن كثير في البداية والنهاية ٤ / ٦٩ وما بعدها." [١]

"أبو عبد الله الحافظ أنا محمد بن أحمد بن بطة الأصفهاني نا الحسن بن الجهم نا الحسين بن الفرج نا الواقدي حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه ح قال ونا عبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال ونا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عون وزاد بعضهم على بعض قال وكان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة ما أحد يغتال محمدا فإنه يمشي في الأسواق فيدرك ثأرنا فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له إن أنت قويتني (١) خرجت إليه حتى أغتاله فإني هاد (٢) بالطريق خريت ومعي خنجر مثل خافية النسر قال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينمه (٣) إلى محمد قال العربي لا يعلم به أحد فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا وصبح ظهر الحرة صبح (٤) سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى أتى المصلى فقال له قائل قد وجه (٥(إلى بني عبد الأشهل فخرج يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبيؤم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيجده في جماعة من أصحابه يتحدث في مسجدهم فدخل فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لأصحابه إن هذا الرجل يريد غدرا والله تعالى حائل بينه وبين ما يريده فوقف فقال أيكم ابن عبد المطلب فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنا ابن عبد المطلب فذهبت يحني (٦) على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كأنه يساره فجبذه أسيد بن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٥/٤٢٥

حضير وقال له تنح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجبذ بداخلة إزاره فإذا **الخنجر** فقال يا رسول الله هذا غادر وأسقط في يد العربي وقال دمي دمي يا محمد وأخذ أسيد تكبيبه فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اصدقني ما أنت وما أقدمك فإن صدقتني نفعك الصدق وإن كذبتني فقد اطلعت على ما هممت به قال العربي فأنا آمن قال فأنت آمن فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به

---

(١) كذا بالأصل وم و " ز " والدائل وفي البداية والنهاية: إن وفيتني

(٢) بالأصل وم و " ز ": هادي

(٣) بالأصل وم و " ز ": فينميه والمثبت عن الدلائل

(٤) البداية والنهاية: يوم سادسة

(٥) الدلائل: توجه

(٦) كذا بالأصل وم وفي " ز ": يجني وفي الدلائل: ينحني." (١)

"فحبس عند أسيد ثم دعا به من الغد فقال قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو (١) خير لك من ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله والله يا محمد ما كنت أفرق فما هو إلا أن رأيتك

فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم اطلعت على ما هممت به مما سبقت به الركبان ولم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان فجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يتبسم وأقام وأقام أياما ثم استأذن النبي (صلى الله عليه وسلم) فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم بن حريش اخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه قال عمرو فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بعيرنا فقال لي صاحبي يا عمرو هل لك في أن تأتي (٢) مكة فتطوف بالبيت سبعا (٣) وتصلي ركعتين فقلت إني أعرف بمكة من الفرس الأبلق وإنهم إن رأوني عرفوني وأنا أعرف بأهل مكة إنهم إذا أمسوا تضجعوا بأفنيتهم فأبى أن يطيعني فأتينا مكة فطفنا سبعا (٣) وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال عمرو بن أمية فأخبر أباه فنذر بنا أهل مكة فقالوا ما جاء عمرو في خير وكان عمرو رجفاتكا في

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٢٦/٤٥

الجاهلية فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما وأسندا (٤) في الجبل قال عمرو فدخلت غارا فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبون في الجبل وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا فلما كان الغد ضحوة أقبل عبيد الله (٥) بن مالك بن عبيد الله التيمي يختلي لفرسه حشيشا فقلت لسلمة إن أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد أقصروا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا فخرجت إليه فطعنته طعنة تحت الثدي **بخنجري** وسقط فصاح فأسمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم ودخلت الغار وقلت لصاحبي لا تحرك فأقبلوا حتى أتوا عبيد الله (٥) بن مالك فقالوا من قتلك قال عمرو بن أمية قال أبو سفيان قد علمنا أنه لم

---

(١) زيادة عن الدلائل ومكان اللفظة في م و " ز ": " و "

(٢) كذا بالأصل وفي م و " ز " والدلائل: نأتي

فنطوف

ونصلي

(٣) بالأصل: اسبوعا

(٤) كذا بالأصل وم و " ز " وفي الدلائل: واشتدوا

(٥) في الدلائل: عثمان." (١)

"يأت عمرو لخيرولم يستطع (١) أن يخبرهم بمكاننا فإنه كان بآخر رمق فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه فلبثنا ليلتين في مكاننا فقال صاحبي يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي تنزله (٢) فقلت له أين هو قال هو ذاك مصلوب حوله الحرس فقلت أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئا فانج إلى بعيرك فاقعد عليه فائت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبره الخبر ودعني فإني عالم بالمدينة ثم اشتددت عليه حتى حملته (٣) فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعا حتى استيقظوا فخرجوا في طلب أثري فطرحت الخشبة فما أنسى وقعتها دب يعني صوتها ثم أهلت عليه من التراب برجلي فأخذت بهم طريق الصفيراء (٤) فأعيوا ورجعوا وكنت لا أدرك مع بقاء نفس فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأخبره وأقبلت حتى أشرفت على الغميم غميم (٥) ضجنان (٦) فدخلت في

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٢٧/٤٥

غار فيه معي فرسي (٧) وأسهم **وخنجر** فش بيـنما أنا فيه إذ أقبل رجل من بني بكر من بني الديل أعور طويل يسوق غنم (٨) معزى فدخل علي الغار وقال من الرجل فقلت من بني بكر فقال وأنا من بني بكر ثم اتكئ فرفع عقيرته يتغنى ويقول * فلست بمسلم ما دمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا * فقلت في نفسي والله إني لأرجو أن أقتلك قال فلما نام (٩) قمت إليه فقتلته شر قتلة قتلتها أحدا قط ثم خرجت حتى هبطت فلما أسهلت بي الطريق إذا رجلان بعثتهما قريش يتجسسان الأخبار فقلت استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشددته وثاقا ثم أقبلت به إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما قدمت المدينة رآني صبيان وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون هذا عمرو فاشتد الصبيان إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأخبروه فأتيته بالرجل قد ربطت

---

(١) بالأصل: يستطيع والتصويب عن م و " ز " والدلائل

(٢) بالأصل: " منزلة " والمثبت عن م و " ز " والدلائل

(٣) في الدلائل: حللته

(٤) كذا بالأصل وم وفي " ز ": الصفير وفي الدلائل: الصفراء

(٥) في الدلائل: الغليل: غليل ضجنان

(٦) اللفظة إعجامها مضطرب بالأصل وم و " ز " والمثبت عن الدلائل وفي معجم البلدان قيدها بالتحريك ونونين: ضجنان: جبيل على بريد من مكة وهناك الغميم في أسفله مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(٧) كذا بالأصل وفي م و " ز " والدلائل: قوسي

(٨) كذا بالأصل وم و " ز " وفي الدلائل: غنما ومعزى

(٩) بالأصل وم و " ز ": قام والمثبت عن الدلائل." (١)

"والسب الخيط والسب ايضا الكفؤ من السباب كما قال الشاعر لاتسبنني فلست بسبي * إن سبي من الرجال الكريم * (١) وقال الأخطل (٢) * بني أسد لستم بسبي فأقصروا (٣) * ولكنما سبي سليم وعامر * وقوله أونضا الدرع سالبه معنى نضاه خلعه يقال نضا السيف من غمده وانتضاه ونضا الثوب عنه

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٢٨/٤٥

إذا خلعه قال امرؤ القيس (٤) * فجئت (٥) وقد نضت لنوم ثيابها * لذي الستر إلا لبسة المتفضل * وقوله منطق رخيم الرخيم الذي فيه يقطع يستحسن ومثله قوله أيضا لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لاهراء ولا نزر (٦) * ومن هذا قولهم رخمت الدجاجة إذا قطعت بيضها ومنه ترخيم الكلام في العربية كقولك يا حار ويا مال وقوله تعلل جادبه الجادب العائب ومنه الخبر جدب لنا عمر السمر بعد العشاء أي عاب السمر وكرهه بعد العشاء وقوله ألا يا أسلمى معناه يا هذه أسلمي وعلى هذا المذهب قراءة من قرأ " ألا يا يسجدوا " ومن هذا النحو قول الأخطل (٧) * ألا يا أسلمي يا هند هند بني بدر * وإن كان حيانا عدى آخر الدهر * وقول آخر * يا لعنة الله والأقوام كلهم * والصالحين على سمعان من جار * وهذا باب واسع جدا ونحن نشبع القول فيه إذا انتهينا إلى البيان عن قول الله تعالى "

---

(١) البيت في تاج العروس (بتحقيقنا: سبب) قاله عبد الرحمن بن حسان يهجو مسكينا الدرامي

(٢) البيت في ديوانه ط بيروت ص ١٧١ من قصيدة يهجو خنجر الاسدي ومطلعها: بنو أسد رجلان: رجل تذبذبت * ورجل أضافتها إلينا التراتر (٣) في الديوان: فتشتموا

(٤) البيت في ديوان امرئ القيس ط بيروت ص ٤٠

(٥) كذا بالاصل والديوان وفي الجليس الصالح: فقمت

(٦) البيت لذي الرمة ديوانه ص ٢١٢ وفيه: دقيق الحواشي

(٧) البيت في ديوانه ط بيروت ص ١١٠ مطلع قصيدة قالها في مدح عبد الملك بن مروان وهجاء القيسيين." (١)

"أنه في الفراش فتناول فيروز برأسه ولحيته فقصر عنقه فدقها وطعنه ابن برزج بالخنجر فشقه من ترقوته إلى عانته ثم احتز رأسه وخرجوه وأخرجوا المرأة معهم وما أحبوا من متاع البيت إلى غمدان (١) قال النعمان وحملت أمي على عنقي حتى أدخلتها معهم وما أحبوا قصر غمدان (٢) واستحرزوا فأصبحوا قد سدوه عليهم فتناول قيس رأس الأسود فرمى به من رأس القصر إلى الحرس الذين كانوا على بابه وصرخ القوم المضمار المضمار (٢) فظنوا أن الرأس جاء من المضمار فلما رمى قيس بالرأس أخذ فيروز برجله ليرمي به من رأس القصر فاحتضنه داذويه من ورائه فمنعه وقال خون خون وأغار صحابة الأسود إلى المضمار فقاتلهم

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٦١/٤٨

الذي كانوا بالمضمار بالحجارة حتى أدخلوهم القرية فلم أدخلوهم القرية عقدوا اللواء وكان الذي عقده سعيد بن بالويه وقتل هو وأصحابه صحابة الأسود حتى خاضت الخيل إلى ثنيتها وخرج (٣) فيروز وأصحابه فلقى منهم أربعين رجلا من رؤوسهم فأدخلوا القلمس (٥) فاستوثقوا منهم وقالوا لا تبرحوا أبدا حتى يرد كل شئ أخذ من صنعاء من صغير أو كبير أو متاع وإلا ضربنا أعناقكم فجعلوا لهم أن يفعلوا وجزوا نواصيهم قال فارتهنوها كل ناصية رجل بما كان في قومه وكانوا يردون القدر يجدونها بعد السنة ولم يكن الأسود مكث بصنعاء إلا خمس ليال فقتل في الليلة الخامسة فلما فرغ من الاسود وأصحابه وتفرق من كان معه قال قيس لداذويه وفيروز وهو يريد أن يغدر بهما اذهبا بنانتحرف بثات حتى يأتينا بيان أمر هذا الرجل يعني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان لقيس امرأة بثات وهي بنت حمزة بن كاربن (٥) فخرجا معه حتى دخلوا ثات فنزل داذويه وفيروز في بيت باذان الذي بثات وهو في مسجد أهل ثات اليوم وكان قيس يرسل إليهما بالطعام والشراب وهو ينظر كيف يغدر بهما وكان فيروز في حجر داذويه وكان قيس قد حذق بكلام

---

(١) راجع معجم البلدان

(٢) ما بين معكوفتين سقط من الاصل واستدرك عن المختصر

(٣) بالاصل: " وخرج إلى فيروز " والمثبت عن ت

(٤) القلمس: البئر الكثيرة الماء من الركايا (اللسان)

(٥) بدون إعجام بالاصل وت." (١)

"* ونحن حبسنا بالجعيد ركابه * فقطرة منا أحوذي الرغائب فإن يعجب العنسي منا ومنهم * فسوف نريه باقيات العجائب * وقال غزال حين انتهى إليهم قتله وهو بشعوب * يا لهف نفسي والتهلف حسرة * ألا أكون وليته برجال لله در عصابة جاريتهم * أخنوا عليك **بخنجر** ومال * (١) قال وكتبوا جميعا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) كل رجل بما ولي قال وحدثنا سيف (٢) عن سهل عن القاسم وموسى بن الغصن عن ابن محيريز قالا فخرج عكرمة من مهرة سائرا نحو اليمن حتى ورد أبين ومعه بشر كثير من مهرة وسعد بن زيد والأزد وناجية وعبد القيس وحدبان من بني مالك بن كنانة وعمرو بن جندب من العنبر فجمع النخع بعد من أصاب من مدبريهم فقال لهم كيف كنتم من هذا الأمر فقالوا له كنا في الجاهلية أهل دين لا نتعاطى

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٣/٤٩

ما يتعاطى العرب بعضها من بعض فكيف بنا إذ صرنا إلى دين عرفنا فضله ودخلنا حبه قال فسأل عنهم فإذا الأمر كما قالوا ثبت على الإسلام عوامهم وهرب من كان فارق خاصتهم واستبرأ النخع وحمير وأقام لاجتماعهم وأرز قيس بن عبد يغوث لهبوط عكرمة إلى اليمن إلى عمرو بن معدي كرب فلما ضامه (٣) وقع تباغي (٤) فتعايرا فقال عمرو بن معدي كرب يعير قيسا غدره بالأبناء وقتله داذويه ويذكر فراره من فيروز * غدرت ولم تحسن (٥) وفاء ولم يكن * ليحتمل الأسباب إلا المعود فكيف لقيس أن ينوط بنفسه * إذا ما جرى والمضرحي المسود * وقال قيس * وفيت لقومي واحتشدت لمعشر * أصابوا على الأحياء عمرا ومرثدا وكنت لدى الأبناء لما التقيتهم (٦) *كأصيد يسمو بالغرارة (٧) أصيدا *

---

(١) في " ز ": بحنجر وبمال

(٢) الخبر والشعر في تاريخ الطبري ٣ / ٣٢٧ - ٣٢٨

(٣) في " ز ": " صامه " وفوقها ضبة والمثبت يوافق الطبري وضامه بمعنى ضمه

(٤) في المطبوع: تنازع

(٥) كذا بالاصل وم وفي " ز ": تخشى

(٦) في " ز ": التهمتهم وفي الطبري: لقيتهم

(٧) في الطبري: العزازة." (١)

"ومن يلتمس يوما بفضل خصامه * مغالبة الإجماع يغلب ويخصم لئن لم تجد لي عاجلا غير آجل * بألف صحاح لم تشب بمثلم رجعت إلى بيتي وصفرت لحيتي * وسميت نفسي لوردكن ابن رستم وجئت بسكين وخرج وخنجر * وترس وزوبين وقوس وأسهم وأعصب رأسي بعد ذاك بخرقة * وأحضر يوم العرض في زي ديلم فتفرض لي في كل شهرين بدرة * لشدة بأسي في الوغى وتقدمي فاخذها حتى إذا ما بعثت بي * مقدمة في ماقط يوم صيلمي (١) هربت على وجهي فرار من العدى * ولم آمن الجهال غب تعجمي ولم يرني الله الجليل محله * أساعد إنسانا على قتل مسلم ومن شاهد الأبطال في حومة الوغى * وكان ضعيف القلب لم يتقدم ومن يلتمس روح (٢) الحياة وطيبها * وأحضر للهيجاء لم يتهجم ولم يك موسى سيئ الرأي ساقطا * وقد فر خوفا من توعد مجرم ورامت يهود قتل عيسى ابن مريم * ففر حذار القتل عيسى

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٩/٤٩٢

ابن مريم وخاف رسول الله يوما بمكة * فسافر يبغي مغنما تبع مغنم فمن أنا حتى لا أفر وإنما * أفر كما فروا حذارا على دلي تغلغل في الأكراد للحين يحكم * فما أخطأت أرماحهم بطن يحكم ألام على أني فررت ولا أرى * قتيلا وإن لم أخل من مترحم وللحرب أقوام يلذونها كما * يلذ بحسن الوعد قلب المتيم فدعهم لضرب الهام بالسيف ينعموا * ودعني لنشر العلم في الناس أنعم وما كان ذا ملك يقاتل وحده * فما لك للأعداء وحدك فاعلم خصصت بأقدام وبأس وسطوة * يبين بها للناظر المتوسم وفتيان (٣) صدق لا يبالون من لقوا * فقاتل بهم من شئت تغلب وتسلم وما لي منكم غير أني أودكم * وأدنو إليكم بالدعاء وأنتمي وأشكو من الأيام صولة حادث * لجوج ملح دائم اللز مبرم

---

(١) الصيلم: الامر الشديد والداهية (القاموس)

(٢) في " ز ": طول الحياة

(٣) في " ز ": وفتية." (١)

"وأخذ الرجل فأوثق منه فدخل معاوية ودعي له الطبيب فقال له الطبيب إن لم يكن هذا **الخنجر** مسموما (١) فليس عليك بأس فأعد عقاقيره التي تشرب إن كان مسموما ثم أمر من يعرفها من تباعه أن يسقيه إن عقل لسانه حتى يلحس ثم لحس **الخنجر** فلم يجده مسموما فكبر وكبر من عنده من الناس فخرج خارجة وهو أحد بني عدي إلى الناس من عند معاوية فقال هذا أمر عظيم ليس بأمير المؤمنين بأس فحمد الله وأخذ يذكر الناس فشد عليه الحروريون الباقون بالسيف يحسبونه (٢) عمرو بن العاص فضربه على الذؤابة فقتله فرماه الناس بالثياب وتعاووا (٣) عليه حتى أخذوه فأوثقوه واستل الثالث السيف فشد على أهل المسجد فانكشف الناس وصبر له سعيد بن مالك بن شهاب وعليه ممطر تحته السيف مشرجا على قائمه فأهوى يده فأدخلها في الممطر يحل شرج السيف فلم يفض لحله حتى غشيه الحروري فنحاه لمنكبه الأيسر فضربه الحروري ضربة خالطت سحره (٤) ثم استل سعيد السيف فاختلف هو والحروري ضربتين فضربه الحروري على عينه اليسرى ضربة ذهبت عينه (٥) وضربه سعيد فطرح يمينه والسيف ثم علاه سعيد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٩٠/٥٥

بالسيف حتى قتل الحروري ونزف سعيد فاحتمل نزيفا فدووي ثلاثين ليلة ثم توفي وهو يخبر من يدخل عليه أم والله لو شئت لانحزت مع الناس ولكني تحرجت أن أوليه ظهري ومعي السيف فدخل رجل من كلب على الذي طعن معاوية فقال هذا طعن معاوية فقالوا نعم فامتلخ (٦) السيف فضرب عنقه وأخذ الكلبي فسجن وقالوا قد اتهمت بنفسك قال إنما قتلته غضبا لله فلما سئل عنه فوجد بريئا أرسل ودفع قاتل خارجة إلى أوليائه من بني عدي بن كعب فقطعوا يده ورجله وسمروا عينه ثم حملوه حتى حلوا به العراق فعاش كذلك حينا ثم تزوج امرأة فولدت له غلاما فسمعوا به قد ولد له غلام فقالوا لقد عجزنا حين يترك قاتل خارجة يولد له الغلمان فكلموا فيه معاوية فأذن لهم في قتله فقتلوه وقال الحروري الذي قتل خارجة حيت ذكر له أنه قتل خارجة أما والله ما أردت

---

(١) بالاصل و " ز ": " إن هذا الخنجر أن لا يكون مسموما " وفي م ود: " لا يكن " والمثبت عن المختصر

(٢) بالاصل و " ز " ود: " يحسبه وفي م: فحسبه وفوقها ضبة والمثبت عن المختصر

(٣) تعاووا عليه: تعاونوا وتساعدوا

(٤) السحر: ما التزق بالحلقوم والمري من أعلى البطن وقيل: هو الرئة وقيل: هو الكبد

(٥) في " ز " وم ود: عنه

(٦) امتلخ السيف يعني استله." (١)

"من قوله الزور وإعلانه * بالكذب في الناس على جعفر * والله ما جالسه ساعة * للفقه في بدو ولا محضر ولا (١) رآه الناس في دهره * يمر بين القبر والمنبر يا قاتل الله ابن وهب لقد * أعلن بالزور وبالمنكر يزعم أن المصطفى أحمدا (٢) * أتاه جبريل التقي البري عليه خف وقبا أسود * مخنجرا في الحقو بالخنجر * أخبرنا أبو منصور أخبرنا وأبو الحسن حدثنا الخطيب أخبرنا التنوخي أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر حدثني عمر بن الحسن الأشناني حدثنا جعفر الطيالسي عن يحيى بن معين أنه وقف على حلقه أبي

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٤٤/٥٩

البختري فإذا هو يحدث بهذا الحديث عن جعفر عن أبيه عن جابر فقال له كذبت يا عدو الله على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال فأخذني الشرط وقلت لهم هذا يزعم أن رسول رب العالمين نزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) وعليه قباء قال فقالوا لي هذا والله قاض كذاب وأفرجوا عني أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أخبرنا أبو القاسم بن مسعدة أخبرنا حمزة بن يوسف أخبرنا أبو أحمد قال (٣) سمعت أبا الطيب بن سلمة الفقفيه يقول ذكره عن بعض شيوخه قال لما قدم أبو البختري الكوفة يريد بغداد حدثهم بالكوفة بنسخة هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ونسخة عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فحملت النسختان إلى يحيى ابن معين فنظر فيهما فقيل له ما تقول قال كذاب يبين (٤) منه كذب فقيل لهم رأيته أو رأيت له كتابا قط قال لا قيل له فرأيت في النسختين حديثا منكرا قال لا قيل له فمن أين قلت له إنه كذاب قال لأن كل من كتب عن هشام بن عروة قال هشام يقول أخبرنا ابي عن عائشة إلا يحيى القطان فكان يقول له أخبرك أبوك فيقول له أخبرني أبي وكل من كتب عن عبيد الله قال عبيد الله يقول نافع إلا يحيى القطان فكان يقول لعبيد

(١) البيت التالي سقط من الجليس الصالح

(٢) بالأصل وم و " ز ": أحمد والمثبت عن الجليس الصالح وتاريخ بغداد

(٣) رواه أبو أحمد بن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٧ / ٦٤

(٤) الأصل وم: " بين " وفي " ز ": " يتبين " والمثبت عن ابن عدي." (١)

"أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله قال قلت فإن ناسا هاهنا إذا سمع أحدهم القرآن خر مغشيا عليه فقلت أعوذ بالله من الشيطان أخبرنا أبو البركات محفوظ بن الحسن بن محمد أنا أبو القاسم نصر بن أحمد الهمذاني أنا أبو بكر الخليل بن هبة الله بن الخليل أنا أبو علي الحسن بن محمد بن القاسم نا أحمد بن محمد بن إسماعيل نا إبراهيم بن يعقوب نا عبد الله بن الربيع نا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن عبد الرحمن بن يحيى بن عثمان بن حمزة عن أبيه عن جده قال أرسلتني أسماء بنت أبي بكر إلى السوق وقد (١) افتتحت بسورة الطور فخرجت وقد انتهت إلى " ووقانا عذاب السموم " (٢) فذهبت إلى السوق ثم رجعت وهي تكررها " ووقانا عذاب السموم " وهي تصلي قرأت على ابي غالب بن البنا عن أبي

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤١٢/٦٣

محمد الجوهري أنا أبو عمر بن حيوية أنا أحمد بن معروف نا ابن (٣) الفهم نا ابن سعد (٤) نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر أنها كانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها قال ونا ابن سعد (٥) قال قال محمد بن عمر كان سعيد بن المسيب من أعبر (٦) الناس للرؤيا وكان اخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر واخذته أسماء عن أبيها أبي بكر قال وأنا ابن سعد (٧) نا يزيد بن هارون أنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه أو عن فاطمة بنت المنذر أن أسماء بنت أبي بكر اتخذت **خنجرا** زمن سعيد بن العاص للصوص وكان استعروا بالمدينة فكانت تجعله تحت رأسها أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي وأبو عبد الله الحسين بن علي بن أحمد قالا أنا

(١) زيدت عن المطبوعة

(٢) سورة الطور الاية: ٢٧

(٣) زيدت لتقويم السند

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨ / ٢٥١

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٥ / ١٢٤ في ترجمة سعيد بن المسيب والذهبي في سير الاعلام (٣ / ٥٣٠) ط دار الفكر وتاريخ الاسلام (٦١ - ٨٠) ص ٣٥٧

(٦) بالاصل: " إغير " ولا معنى لها هنا والمثبت: " أعبر " عن ابن سعد

(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ / ٢٥٣ ومن طريق هشام بن عروة في سير الاعلام (٣ / ٥٣٠) ط دار الفكر وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤ / ٦٤ وزاد: فقيل لها: ما تصنعين بهذا؟ قالت: إن دخل علي لس بعجت بطنه وكانت عمياء." (١)

"[٩٥٤٤] أحمد بن إبراهيم، أبو سليمان الحراني «١»

قدم دمشق.

حكى عنه كعب بن عمرو بن جعفر **الخنجري**، قال: سمعت أحمد بن إبراهيم الحراني يقول: نمت في بعض المساجد بدمشق فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا أبا سليمان، لم إذا استفتحت الصلاة لا تبتدىء ببسم الله الرحمن الرحيم؟ فإن بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا تدع في كل استفتاحك

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٠/٦٩

مئة وتسعين حسنة. وإذا صليت علي في الكتاب لا تكتب «وسلم» تدع أربعين حسنة. قلت: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن «وسلم» أربعة أحرف، لكل حرف عشر حسنات فتلك أربعون حسنة.

[٩٥٤٥] أحمد بن إبراهيم، أبو بكر البيروتي المؤدب

أنشد بمصر لإبراهيم الخواص «٢» :

صبرت على بعض الأذى خوف كله ودافعت عن نفسي لنفسي فعزت

وجرعتها المكروه حتى تدربت ولو جرعته جملة لاشمأزت

ألا رب ذل ساق للنفس عزة ويا رب نفس بالتعزز ذلت

إذا ما مددت الكف ألتمس الغنى إلى غير من قال: اسألوني فشلت

سأصبر نفسي إن في الصبر عزة وأرضي بدنياي وإن هي قلت

[٩٥٤٦] أحمد بن إبراهيم، أبو بكر الصوفي الشيخ الصالح

حدث بدمشق.

روى عن أبي بكر محمد بن أحمد بن خروف بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليلبس الصوف»

[١٣٨٩٠] .." (١)

"وجعل إليه صلاتها وقضاءها وحربها. وكان جوادا، يعتذر إلى من يعطيه وإن كثر عطاؤه.

فقال مادحه:

هلا فعلت- هداك المليك ... - فينا كفعل أبي البختري [١]

تتبع إخوانه في البلاد ... فأغنى المقل عن المكثر

إلا أنه كان يضع الحديث ويسهر الليل في وضعه.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٥/٧١

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا القاضي أبو الطيب الطبري قال: أخبرنا المعافى بن زكريا قال: حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا محمد بن الحسين بن مسعود الزرقي قال: حدثنا عثمان بن عثمان قال: حدثنا أبو سعيد العقيلي قال: لما قدم الرشيد المدينة أعظم أن يترقأ منبر النبي صلى الله عليه وسلم في قباء أسود ومنطقة فقال أبو البختري حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ومنطقة **مخنجرا** فيها **بخنجر**، فقال المعافى التيمي هذه الأبيات:

ويل وعول لأبي البختري ... إذا توافى الناس في المحشر

/ من قوله الزور وإعلانه ... بالكذب في الناس على جعفر

والله ما خليت ساعة ... للفقه في بدو ولا محضر

ولا رآه الناس في دهره ... يمر بين القبر والمنبر

قاتل الله أبا وهب لقد ... أعلن بالزور وبالمنكر

يزعم أن المصطفى أحمدا ... أتاه جبريل التقي البري

عليه خف وقباء أسود ... **مخنجرا** في الحقو **بالخنجر** [٢] .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن [علي] [٣] بن ثابت قال:

---

[١] في الأصل: «هلا فعلت- هداك الله فينا- كفعل السخي أبي البختري» والتصحيح من ت وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٨٢.

[٢] انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٤٨٢- ٤٨٣.

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.." (١)

"أخبرنا شيخنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: أخبرنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي، قال: في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة كسر الحجر الأسود/ لما صليت الجمعة يوم النفر الأول، ولم يكن رجع الناس بعد من منى، قام رجل ممن ورد من ناحية مصر بإحدى يديه سيف مسلول، وبالأخرى دبوس بعد ما قضى الإمام الصلاة، فقصد ذلك الرجل ليستلمه

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٩٠/١٠

[١] على الرسم، فضرب وجه الحجر ثلاث ضربات متوالية بالدبوس، وقال: إلى متى يعبد الحجر ولا محمد ولا علي يمنعني عما أفعله، فإني أهدم هذا البيت وارفعه فاتقاه أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه، وكاد يفلت، وكان رجلا تام القامة، أحمر اللون، أشقر الشعر، سمين الجسم، وكان على باب المسجد عشرة من الفرسان على أن ينصروه، فاحتسب رجل من أهل اليمن أو من أهل مكة أو من غيرها فوجأه **بخنجر**، واحتوشه الناس فقتلوه وقطعوه وأحرقوه بالنار، وقتل من اتهم بمصاحبته ومعونته على ذلك المنكر جماعة، وأحرقوا بالنار وثارت الفتنة، وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين نفسا غير ما اختفى منهم، وألحوا في ذلك اليوم على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب وعلي غيرهم في طريق منى إلى البلد.

وفي يوم النفر الثاني اضطرب الناس وماجوا، وقالوا أنه قد أخذ في أصحاب الخبيث لعنه الله أربعة أنفس اعترفوا بأنهم مائة بايعوا على ذلك، وضربت أعناق هؤلاء الأربعة وتقشر بعض وجه الحجر في وسطه من تلك الضربات وتخشن، وزعم بعض الحاج أنه سقط من الحجر ثلاث قطع واحدة فوق أخرى، فكأنه يثقب ثلاث ثقب ما يدخل الأنملة في كل ثقبة، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار، وطارت منه شقوق يمينا وشمالا، وخرج مكسره أحمر [٢] يضرب إلى الصفرة محببا مثل الخشخاش، فأقام الحجر علي ذلك يومين، ثم أن بني شيبة جمعوا ما وجدوه مما سقط منه، وعجنوه بالمسك واللك [٣] ، وحشوا تلك المواضع/ وطلوها بطلاء من ذلك، فهو بين لمن تأمله، وهو على حاله اليوم.

---

[١] في ص: «ذلك الحجر ليستلمه» .

[٢] في الأصل: «وخرج مكسره أسمر» .

[٣] «واللك» : ساقطة من ص.." (١)

"ثم كانت سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بمكة [١]

وكان سبب ذلك أن أبا سفيان قال لنفر من قريش: ألا رجل يغتال محمدا فإنه يمشي في الأسواق، فقال له رجل من العرب [٢] : إن قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعي **خنجر** مثل خافية النسر، فأعطاه بعيرا ونفقة، فخرج ليلا، فسار على راحلته خمسا وصبح [ظهر] [٣] الحرة صبح سادسة، وأقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه، فعقل راحلته، ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٥/١٥٤

قاعد في مسجد بني عبد الأشهل، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إن هذا ليريد غدرا» ، فذهب ليجني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره، فإذا **بالخنجر** فسقط في يديه، وقال: دمي دمي، فأخذ أسيد بلبته فدعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أصدقني» ، فأخبره الخبر وأسلم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري، وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان وقال: «إن أصبتما منه غرة فاقتلاه، فدخلا مكة فمضى عمرو يطوف بمكة [٤] ليلا فرآه معاوية فعرفه، فأخبر قريشا بمكانه/ فطلبوه وكان فاتكا في الجاهلية- فهرب هو وسلمة، فلقي عمرو بن عبيد الله بن مالك فقتله، وقتل آخر من بني الديل سمعه يقول:

ولست بمسلم ما دمت حيا ... ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثتهما [٥] يتحسسان الخبر، فقتل أحدهما، وأسر الآخر فقدم به [المدينة] [٦] وجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره والنبي صلى الله عليه وسلم يضحك.

هذا قول محمد بن سعد، كاتب الواقدي [٧] .

وذكر ابن إسحاق عن أشياخه [٨] : إن هذا كان في سنة أربع، وأن عمرو بن أمية

---

[١] طبقات ابن سعد ٢/ ١/ ٦٨، وتاريخ الطبري ٢/ ٥٤٢، والكامل ٢/ ٦٠، والبداية والنهاية ٤/ ٦٩. السيرة ٢/ ٦٣٣- ٦٣٥.

[٢] في أ، وابن سعد: «فأتاه رجل من الأعراب فقال» .

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٤] في أ، وابن سعد: «يطوف بالبيت ليلا» .

[٥] في الأصل: ولقي رسول الله لقريش رجلين» والتصحيح من الطبقات.

[٦] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، وأوردناه من أ، وابن سعد.

[٧] طبقات ابن سعد ٢/ ١/ ٦٨.

[٨] تاريخ الطبري ٢/ ٥٤٢.)." (١)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٦٥/٣

"قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل خبيب وأصحابه، وبعث معي رجلا من الأنصار، فقال: ائتيا أبا سفيان فاقتلاه فخرجنا وليس مع صاحبي بعير، فلما وصلنا عقلت بعيري، وقلت لصاحبي إني أريد أن أقتل أبا سفيان فإن أصبت شيئا فالحق ببعيري فاركبه والحق بالمدينة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما دخلنا مكة قال لي صاحبي هل لك أن تطوف، فقلت: أنا أعلم بأهل مكة منك، فلم يزل بي حتى طفنا، فمررنا بمجلس فعرفني رجل منهم، فصاح بأعلى صوته: هذا عمرو بن أمية الضمري، فتبادر أهل مكة، قالوا:

والله ما جاء عمرو لخير، فقاموا في طلبي، فقلت لصاحبي: «النجاء، فهذا الذي كنت أخاف، وليس إلى الرجل سبيل فانج بنفسك» ، فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في الجبل، فدخلنا غارا فبتنا فيه ليلتنا فأعجزناهم فرجعوا، فإذا عثمان بن مالك التميمي قد وقف بباب الغار، فخرجت إليه فوجأته **بخنجر** معي فصاح صيحة أسمع أهل مكة، فأتوا إليه، ورجعت إلى مكاني، فجاءوه وبه رمق، فقالوا: ويلك من؟ قال: عمرو بن أمية، ثم مات ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا، فقالوا: والله لقد علمنا أنه ما جاء لخير، فاشتغلوا بصاحبهم، فأقمنا في الغار يومين، ثم خرجنا إلى التنعيم فإذا خشبة خبيب/ وحوله من يحرسه، فقلت للأنصاري: إن خشيت فخذ الطريق إلى جملي فاركبه، والحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره الخبر واشتددت إلى خشبته فاحتللته واحتملته على ظهري، فو الله ما مشيت به إلا نحو ذراعين [١] [حتى نذروا بي فطرحته] [٢] فما أنسى وجبته حين سقط فاشتدوا في أثري فأخذت طريق الصفراء، فرجعوا وانطلق صاحبي فركب بعيري ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره الخبر، وأقبلت أمشي حتى أشرفت على ضجنان، فدخلت غارا، فدخل علي رجل من بني الديل، فقال: من الرجل؟ فقلت: من بني بكر، قال:

وأنا من بني بكر، ثم اضطجع معي، ثم رفع عقيرته يتغنى، ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حيا ... ولست أدين دين المسلمينا

فقلت: سوف تعلم، فنام فقمت فقتلته شر قتلة، وخرجت فلقيت رجلين من قريش يتحسسان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: استأسرا، فقالا: أنحن نستأسر لك،

---

[١] في أ، والطبري: «نحو أربعين ذراعا» .

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، وأوردناه من الطبري.." (١)

"واخفض عن الدماغ، فإني كنت كذلك أقتل الرجال، فإذا أتيت أمك فقل: قتلت دريد بن الصمة، فقتله.

وكان في تلك الغزوة أم سليم معها خنجر.

أخبرنا ابن الحصين، قال: أخبرنا ابن المذهب، قال: أخبرنا أبو بكر بن مالك/ قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا أبو أسامة، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من أم سليم، قال: يا رسول الله، ألم تر إلى أم سليم معها خنجر، فقال [لها] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تصنعين به يا أم سليم؟» قالت: أردت إن دنا مني أحد منهم طعنته [به] [١] .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل فانتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة، فأقام بها ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا، وأحرم بعمرة ودخل مكة وطاف وسعى وحلق رأسه، ثم رجع إلى الجعرانة من ليله كبايت، ثم انصرف يوم الخميس إلى المدينة.

وجاء وفد هوازن فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، [قال عبد الله بن عمرو: سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم] [٢] : أمنن علينا، فقام رجل منهم من بني سعد بن بكر بن هوازن- وبنو سعد هم الذين أرضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم- يقال له: زهير بن صرد: لو أنا سألنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ورجونا عطفه، ثم أنشد يقول:

أمنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندخر

في أبيات أخر [٣] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما أحب إليكم أبناؤكم ونساؤكم أم أموالكم» ، فقالوا: نساؤنا وأبناؤنا، فقال: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فإذا أنا صليت بالناس، فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فإني سأعطيكم وأسأل لكم» ، فقاموا وقالوا، فقال: «أما ما

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣/٢٦٦

[١] الخبر في مسند أحمد ٣/ ١١٢، ١٩٨.

[٢] ما بين المعقوفتين: من أ، وابن سعد.

[٣] ذكرها السهيلي في الروض الأنف ٢/ ٣٠٦ وابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٣٥٢.." (١)

"يرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، فإن تسلم فذاك مهري، ولا أسألك غيره، فأسلم أبو طلحة فتزوجها.

[أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا أبو أسامة، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت] [١] ، عن أنس، قال:

جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أم سليم، فقال: يا رسول الله، ألم تر إلى أم سليم معها خنجر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما تصنعين يا أم سليم» ؟ قالت: أردت إن دنا مني أحد منهم طعنته.

[أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري أخبرنا ابن حيويه، أخبرنا ابن معروف، حدثنا الحسين بن الفهم، حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن الفضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن حسين بن أبي سفيان، عن أنس بن مالك] [٢] ، قال: زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم سليم فصلى في بيتها تطوعا، وقال: «يا أم سليم، إذا صليت المكتوبة فقولي: سبحان الله عشرا، والحمد لله عشرا، والله أكبر عشرا، ثم سلي الله ما شئت، فإنه يقال لك نعم نعم نعم» . [أخبرنا أبو الفتح بن عبد الباقي، أخبرنا أبو الفضل بن أحمد الحداد، أخبرنا أبو نعيم الأصبهاني، حدثنا سليمان، حدثنا علي بن سعيد الرازي، حدثنا محمد بن سلم بن دارة، حدثنا محمد بن سعد بن سابق، حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن سعيد بن مسروق، عن عباية بن رفاعة] [٣] ، عن أم سليم، قالت:

توفي ابن لي وزوجي غائب، فقمت فسجيته في ناحية من البيت، فقدم زوجي، فتطيبت له، فوقع علي، ثم أتيته بطعام، فجعل يأكل، فقلت: ألا أعجبك من

[١] ما بين المعقوفتين: من أ، وفي الأصل: «روى المؤلف بإسناده عن أنس» .

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣/٣٣٧

[٢] الخبر في طبقات ابن سعد ٨/ ٣١٢.

[٣] ما بين المعقوفتين: من أ، وفي الأصل: «روى المؤلف بإسناده عن أم سليم» .." (١)

"ومن الحوادث في هذه السنة:

أنه لما قتل عمر اتهم ابنه عبيد الله: الهرمزان [١] وجفينة فقتلهما، وكان الهرمزان قد أسلم، وجفينة نصراني.

[أخبرنا محمد بن الحسين، وإسماعيل بن أحمد قالا: أخبرنا ابن النقور قال:

أخبرنا المخلص قال: حدثنا أحمد بن عبد الله قال: حدثنا السري بن يحيى قال:

حدثنا شعيب قال: حدثنا سيف، عن يحيى بن سعيد] [٢] عن سعيد بن المسيب: أن عبد الرحمن بن أبي بكر غداة طعن عمر رضي الله عنه قال: مررت على أبي لؤلؤة عشاء أمس ومعه جفينة والهرمزان، وهما نجي، فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم **خنجر** له رأسان، نصابه في وسطه، فانظروا بأي شيء قتل؟ فجاء قاتل أبي لؤلؤة **بالخنجر** الذي وصف عبد الرحمن، فسمع بذلك عبيد الله، فأمسك حتى مات عمر، ثم اشتمل [٣] على السيف، فأتى الهرمزان فقتله، فلما عضه السيف قال: لا إله إلا الله، ثم مضى حتى أتى جفينة- وكان نصرانيا من أهل الحيرة ظئرا لسعد بن مالك، أقدمه المدينة للملح الذي بينه وبينه، وليعلم بالمدينة الكتابة- فلما علاه بالسيف قبص [٤] من عينيه، وتلقى ذلك صهيبا، فبعث إليه عمرو بن العاص، فلم يزل به حتى ناوله السيف، وثاوره سعد، فأخذ بشعره، وجاءوا/ إلى صهيب.

[وحدثنا سيف، عن ابن الشهيد الحجي] [٥] ، عن ابن سابط قال: لما بويع عثمان قال: قولوا فيما أحدث عبيد الله بن عمر. فقالوا: القود القود. ونادى جمهور الناس لعلكم تريدون [٦] أن تتبعوا عمر ابنه، الله الله أبعد الله الهرمزان وجفينة. قال سيف: وفي رواية أخرى: فقال عثمان لابن الهرمزان: هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا، فاذهب به

---

[١] في الأصل: «به عبد الله بن الهرمزان» .

[٢] في الأصل: «روى المؤلف بإسناده عن سعيد بن المسيب» .

[٣] في الأصل: «استحل» .

[٤] في الأصل: «فيض» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢١٧/٤

[٥] في الأصل: «روى المؤلف بإسناده عن ابن سابط» .

[٦] في الأصل: «يريدون» .." (١)

"فخرج عبد الجبار فقال: قد دعا بك أمير المؤمنين وقد أعلمته أنك أحد عماله على المظالم والحسبة، فأدخل عليه في الزي الذي يحب. فألبسه قباء، وعلق خنجرا في وسطه وسيفا بمعاليق، وأسبل جمته، ودخل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: وعليك، ألست القائم بنا والواعظ لنا ومذكرنا بأيام الله على رءوس الملأ؟ قال: نعم، قال: فكيف تخليت [١] عن مذهبك؟ قال: يا أمير المؤمنين، فكرت في أمري فإذا أنا [قد] [٢] أخطأت فيما تكلمت به، ورأيت أني مصيب في مشاركة أمير المؤمنين في أمانته، قال: هيهات أخطأت استك الحفرة هناك يوم أعلنت الكلام وظننا أنك أردت الله به فكففنا عنك، فلما تبين لنا أنك أردت الدنيا جعلناك عظة لغيرك حتى لا يجترئ بعدك مجترئ على الخلافة، أخرجه يا عبد الجبار فاضرب عنقه، فأخرجه فقتله.

أخبرنا عبد الرحمن القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن على بن ثابت، قال: أخبرني أبو الفضل محمد بن عبد العزيز بن المهدي [الخطيب] [٣] قال: حدثنا الحسن بن محمد بن القاسم المخزومي، قال: حدثنا أحمد بن موسى بن مجاهد، قال: حدثنا أبو العيناء، قال: حدثنا الأصمعي، قال: [٤] صعد أبو جعفر المنبر فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أذكرك من أنت في ذكره، فقال أبو جعفر: مرحبا مرحبا، لقد ذكرت جليلا، وخوفت عظيما، وأعوذ بالله ممن إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزة بالإثم، والموعظة منا بدت، ومن عندنا خرجت، وأنت يا قائلها فاحلف بالله ما الله أردت بها، إنما أردت أن يقال: قام فقال فعوقب فصبر، وأهون بها من قائلها، وإياكم معشر الناس وأمثالها. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. فعاد إلى خطبته كأنما يقرأها من قرطاس.

وكان [٥] المنصور يشتغل في صدر نهاره بالأمر والنهي والولايات، وسجن

---

[١] في الأصل: «خلتك عن» . وما أوردناه من ت.

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، أوردناه من ت.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٣٩/٤

[٣] ما بين المعقوفتين: من تاريخ بغداد.

[٤] الخير في تاريخ بغداد ١٠/ ٥٦.

[٥] في الأصل: «كان» . وما أوردناه من ت.." (١)

"السائح بما قالوه وصنعوا له من الشعير عدة أرغفة ووضعوها له في حبل فكان يفطر الحافظ أبي بكر، وقعد للتدريس، ونفع الله به كل من قرأ عليه وانتشر علمه.

وكانت بالإسكندرية امرأة متعبدة هي خالة أبي الطاهر بن عوف فخطبته وتزوجها وبنى بها في المدينة، وكان لها ابن من أهل الدنيا كثير التخليط فصعب ذلك عليه وعمد إلى خنجر واستتر في المدرسة.

فلما أقبل الليل قصد البيت الذي كان فيه أمه مع الفقيه فلم يجد فيه أحدا ووجد كل واحد منهما قد قام إلى ورده، وسمع صوت الفقيه يقرأ في الصلاة، فأقام الصوت وخنجره في يده، فلما قرب منه وهو عازم على قتله حالت بينه وبينه سارية من سواري مساكن المدرسة، وضرب فيها بوجهه وخر مغشيا عليه، والفقيه لا يشعر.

فلما طلع الفجر نزل إلى المدرسة فصلى الصبح ودرس وتصرفت زوجه في أثناء ذلك فوجدت ابنها متجندلا لا يعقل فكلمته فلم يكلمها.

فلما فرغ الفقيه من التدريس صعد إلى منزله فأعلمته زوجه بمكان ابنها، فصعد نحوه فوجده على تلك الحال فجرد يده على وجهه، وتفل وتكلم بكلمات ففتحت عينيه، فلما أبصر الفقيه قال له: هات يدك فأنا تائب إلى الله تعالى، لا عصيته بعد اليوم أبدا، ولا تركتك في هذا الموضع، انتقل إلى دار أهلك فاسكنها بالفعل وحسنت توبة الابن بعد ذلك.

أخبرني شيخي أبي بكر المفضل عبد المجيد، بن دليل قال: كنت أبيت أكثر الليالي بمدرسة الحافظ أبي بكر فسمعته ذات ليلة قد قام إلى ورده على عادته وافتتح [من سورة الصافيات حتى] بلغ إلى قوله تعالى {وقفوهم إنهم مسؤولون} ولم يزل يردد هذه الآية ويبكي إلى أن طلع الفجر.

وحدثني أيضا: أصاب الفقيه مرض." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٤١/٧

(٢) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ابن عميرة ص/١٣٧

"وقال من أخرى:

دارت دوائر صدغه فكأنما ... حامت على تقبيل نقطة خاله

وقال من أخرى:

لنا حاجب حاز المعالي بأسرها ... فأصبح في أخلاقه واحد الخلق

فلا يغترر منه الجهول بشره ... فشدة صوت الرعد من أثر البرق

٧- وقال أبو الوليد أبو حفص بن برد الأصغر:

هو الحسن كالجواد ... بريح الصبا حذي

زين إذ جاء سابقا ... بعذارى زمرذ

وقال أيضا:

وجه لمصباح السماء مباه ... بيدي الشباب عليه رشح مياه

نادى عليه الحسن حين لقيته ... هذا المنمنم في طراز الله

وقال يصف كلف البدر:

والبدر كالمرآة غير صقلها ... عبث العذارى فيه بالأنفاس

والليل ملتبس بضوء صباحه ... مثل التباس النقس بالقرطاس

وقال في مبتلى:

بحر سقم ماج في أعطافه ... فرمى في جلده بالزبد

كان مثل السيف إلا أنه ... حمل الدهر عليه فصدي

٨- وقال الأديب أبو مروان عبد الملك بن زيادة الطيبي:

يا من مدامي ونقلي ... بوجنتيه وفيه

هلا جزيت فؤادي ... بعض مالك فيه

وقال:

عجبا أن يكون ساكن قلبي ... راتعا منه في بساتين حبي

جازني كيف شئت إلا أترك ... الذنب إذا كان فرط حبك ذنبي

٩- وقال الوزير أبو عبد اله محمد بن مسعود:

ريم إذا رمت أن أكلمه ... كلمني من جفونه **خنجر**

كأن خيلانه ووجنته ... سماء حسن نجومها تزهر

وقام في خده لعاشقه ... عذر بذاك العذار إذ عذر

وقال:

فتور ألحاظك ١ذاك الذي ... أعار أعضائي هذا الفتور

وقال من قصيدة:

قد صيغ من فضة بيضاء صافية ... ووشح الحسن خديه بتذهيب

يا غائبا قد أطالت كف غيبته ... على لظى الشوق والأحزان تقليبي

ومنها:

سجن وقيد وأعداء منيت بهم ... لا يسأمون مع الأيام تعذيبي

وقال:

ظلت أسقيها رشا في جفنه ... سنة تورث عيني أرقا

فكأن لكأس في أنمله ... صفرة النرجس تعلو الورقا

أصبحت شمسا وفوه مغربا ... وبد الساقي المحيي مشرقا

فإذا ما غربت في فمه ... تركت في الخد منه شفقا

وغمام هطل شؤبوبه ... نادم الروض فغني وسقى

وكأن الورد يعلوه الندى ... وجنة المعشوق تندى عرقا

١٠- وقال أبو جعفر اللمائي:

قد قلت إذ سار السفين بهم ... والبين ينهب مهجتي نهبا

لو أن لي ملكا أصول به ... لأخذت كل سفينة غصبا

قال:

وكان للإيقاع فوق ... قضيب منطقه بيان

فكأنما يدي فم ... وقضيبه فيها لسان

١١- أبو محمد بن مالك القرطبي:

مضى القطر والأضحى ولا نيل يقتضى ... فلم أخفقت وحدي إليك مطالبي

سأرحل عنكم دون زاد لبلغة ... وتلك لعمري سبة في العواقب

وقال:

وأكثر ما نخشاه طغيان ثروة ... فإنا نرى الإنسان يطغى إذا استغنى

وقال من قصيدة:

فلم أذل ساحبا أذيال بردته ... حتى عثرت بأرداني فأرداني

ومنها:

وليس فضلك مطويا صحيفته ... فيستدل على ضمن بعنوان

فالصبح أبين لألاء لمبصره ... من أن يعان بشرح أو ببيان

١٢- وقال الأديب أبو محمد عبد العزيز القرطبي (المشهور بالمنفتل) :

كأن ليلتنا والصبح يتبعها ... زنجية ہربت قدام رومي

وقال:

ولما تجلى الليل والبرق لامع ... كما سل زنجي حسامنا من التبر

وقال:

مالي بجور الحبيب من قبل ... هل حاكم عادل فيحكم لي؟

حمرة خديه من دمي صبغت ... ويدعي أنها من الخجل

وقال:

قد فؤادي بحسن قده ... وسد باب الكرى بصده

وقال:

إن جفاني الكرى وواصل قوما ... فله العذر في التخلف عني

لم يخل الهوى لجسمي شخصا ... فإذا جاءني الكرى لم يجدني

وقال:

يأبى غزال زارني ... يشفي الفؤاد المدنفا

عانقته فكأنني ... يعقوب عانق يوسفا

وقال:

كنت أدعوك للعناق ولكن ... أتقي أن تذوب من أنفاسي

وقال:

تبدو على أضراسه صفرة ... كأنه من فمه قد خرى

وقال:." (١)

"نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي أربعا

وقال وينظر على قول المعري:

يود أن ظلام الليل دام له ... وزيد فيه سواد القلب والبصر

وللتهامي:

وتود لو جعلت سواد قرونها ... وسواد عينيها سواد عذارى

ولابن هانئ: قد أظلموا بالدهم منها فجرهم=فتكورت شمس النهار تغضبا

استأنفوا بشياتها فجرا فلو ... عقدوا نواصيها أعادوا الغيهبا

أما قوله فيكاد يوهمك المديح نسيبا: من قول أبي تمام:

طاب فيه المديح والتذ حتى ... فاق وصف الديار والتشبيبا

قال ابن بسام وقوله:

إن السيوف إذا ما طاب جوهرها ... في أول الطبع لم يعلق بها الطبع

من قول ابن حبيب:

والسيف ما لم يلف فيه صيقل ... من سيخه لم ينتفع بصقاله

وقوله:

رأى أنه أضحى هزيرا مصمما ... فلم يعد أن أمسى ظليما مشردا

من قول المتنبي:

وأتيت معتزما ولا أسد ... ومضيت منهزما ولا وعل

وقال أبو عبد الله بن الخياط المكفوف:

---

(١) لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة الأسعد بن مماتي ص/٦

ويزهر في يمناه نور من الظبا ... له من رؤوس الدار عين كمائم

فهو ينظر إلى قول المتنبي:

سقافنا وحيانا بك الله إنما ... على العيس نور والخدور كمائم

وقال أبو بكر بن عمار:

ندامى وما غير السيوف أزاهر ... لديهم وما غير الغمود كمائم

وقال:

سيوف إذا غيلت حنان بقفرة ... فمنهن في أعناقهن تمائم

وهو كقول المتنبي:

وكأن بها الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم

وقال أيضا:

وعضارة الأيام تأبى أن ترى ... فيها لأبناء الذكاء نصيب

وكذا من صحب الليالي طالبا ... جدا ونهما فإنه المطلوب

قال علي بن بسام وهو من قول المتنبي:

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من أن أجمع الجد والصعبا

ومن قول ابن رشيق صاحب العمدة:

أشقى لجدك أن تكون أديبا ... أو أن يرى فيك الورى تهذيبا

ما دمت مستويا ففعلك كله ... عوج وإن أخطأت كنت مصيبا

كالنقش ليس يتم معنى ختمه ... حتى يكون كتابه مقلوبا

وقال عبد الرحمن بن فتوح:

نشر الغمام رداءه فتقعت ... خجلا بن للناظرين ذكاء

كأنما من تحته ... سر تضيق بكتمه الظلماء

قال ابن بسام وهذا من قول ابن عبد ربه:

نهار لاح في سربال ليل ... فاعرف الرواح من البكور

وعين الشمس ترنو من بعيد ... رنو البكر من خلف الستور

قال ابن المعتز القائل فيها:

تظل الشمس ترمقنا بطرف ... حتى لحظه من خلف ستر

تحاول فتق غيم وهو يأبى ... كعنين يحاول فتق بكر

وابن الرومي في الشجن يوم الدين:

ظلت تلاحظنا وقد بعثت ... ضوءا يلاحظنا بلا لهب

ولمحمد بن عثمان بن أبي عامر:

فكأن الشمس بكر حجبت ... وكأن الغيم ستر قد سدل

قال ابن فتوح:

تسير ويقرعها رعدها ... لتعدو بسوط له من ذهب

قال ابن بسام وهذا من قول ابن برد:

بخاتي توضع في سيرها ... وقد قرعت بسياط الذهب

وقال ابن فتوح:

وإذا ما عرته علة قد رأسه ... فيختال في ثوب جديد من العمر

قال ابن بسام وهذا من قول:

وصفراء تؤنس طلابها ... بقد يقطع أنفاسها

ولم أر من قبلها مثلها ... تعيش إذا قطعوا رأسها

والميكالي في مثله:

أعددت لليل إذا الليل غسق ... قضبان تبر عريت من الورق

يغني الندامى ضوؤها عن الفلق ... شفاؤها إن مرضت ضرب العنق

وقال الأسعد بن إبراهيم بن أسعد القرطبي:

بقمر لوى من فوقه ... من صدغ غالية حنش

أهوى ليلثم جمرة ... من وجنتيه فانكمش

قال ابن بسام وأملح منه قول تميم بن المعز:

طمعت تقبله عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها **خنجرا**

ولغيره:

من رأى الورد فوق قطر نداه ... لم يعب فوق وجنتي جدريا

أنا شمس أردت في الأرض مشيا ... فنثرت النجوم حليا عليا

وفي هذا المعنى قال ابن السراج صاحب كتاب الوصول:

لي قمر جدر لما استوى ... فزاده حسنا وزادت همومي." (١)

"واشترت عنه أحاديث قبيحة، فلما قطع آمال الناس من بني جهور وأخملهم وتسمى بالسلطان. كان في بني جهور عبد الملك الأصغر من إخوته فأنف منه وعزم على الفتك به، من غير استشارة أحد في أمره. فلما كان يوم السبت سبع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين، أعد له رجاله في قصر أبيه، وأقام هو ينتظره. وأرسل عن أبيه رسولا كان يوجه إليه. فلما وصل إلى باب ابن جهور وأراد النزول على حجر لاصق قام إليه عبد الملك **بخنجر** مع أعده لقتله، فضربه به. وخرج عليه الرجالة فأكملوا قتله. وقطع رأسه، وطيف به على رمح ومثل الناس به وركب عبد الملك إلى دار اللذة المختصة به، فملكها واحتوى على كل ما فيها وعلى أصغر غلمانه، واجتاز بالسجن فأطلق كل من كان فيه. وسمع أبوه محمد ابن جهور الخبر، فخرج مدهوشا فرآه مجتذلا فارتاع، وركب إلى الجامع وأظهر المسرة بقتل ابن السقا. وأعلنوا الشماتة به وقتل من حاشيته عشرون رجلا، واعتصم أخوه بمنارة المسجد فنجا من القتل، ونهب مسجد ابن السقا وأخذت ثرياه.

ذكر من كان معاصرا لمن ورد على المغرب من المشرق

فصل كان أبو القاسم علي المغربي الوزير من أذكياء الناس. استظهر القرآن الكريم وعدة كتب مجردة في اللغة ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار للشعر القديم ونظم الشعر وتصرف في فنون النثر. وبلغ من الحظ إلى ما قصر عنه نظراؤه، ومهر في الحساب واختصر كتاب إصلاح المنطق، وكل ذلك قبل استكماله أربع عشرة سنة. ولما أوقع الحاكم صاحب مصر بأبيه وأهل بيته ونذر دمه، خرج من مصر هاربا، حتى إذا وصل مكة (شرفها الله) تعالى، حمل أبا الفتوح على القيام بها، وقرب عليه ما كان يستبعده وجسره على أخذ ما كان بها من محاريب الذهب والفضة فضربها دنانير ودراهم وفرقها فيمن تبعه من الفرسان.

---

(١) لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة الأسعد بن مماتي ص/٥٠

ثم سار يدعو إليه حتى بلغ الرملة وصعد منبرها فتلا من غير تحميد ولا صلاة قول الله تعالى ذكره (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا) وأومأ بيده إلى مصر يعني الحاكم يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم. أنه كان من المفسدين. (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) ثم عاد إلى أبي الفتوح (وهذه) لذلك. فلما رآه عاجزا فارقه، وخرج إلى العراق ودخل الكوفة على سلطانهم ثم خافه وزير قرواس فتقرب إليه بالمال، وأشار عليه بالرحيل، فسار إلى ميافارقين وأميرها نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي فتقلد وزارته بعد طول مقام وخلع المرقعة والصوف ولبس المسك الشفوف وقال:

تبدل من مرقعة ونسك ... بأنواع الممسك والشفوف

وعن له غزال ليس يحوي ... هواه ولا رضاه يلبس صوف

فعاد أشد ما كان انهماكا ... كذلك الدهر مختلف الظروف

ثم (روسل) في وزارة الموصل فسار إليها وتقلدها، وبالغ في الإجحاف والاعتساف وآذى أعيان الناس. ثم روسل في وزارة بغداد وأميرها يومئذ أبو علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن ركن الدولة ابن علي، فأمر ونهى وولى وعزل ونقض وأبرم، وبلغ إلى أعلا منزلة من سعة النعمة ونفاذ الكلمة. ثم إن أبي علي أوقع ببعض من كان يتهمه من الأتراك، وكان الوزير بن المغربي قد نهاه عن ذلك، وأشار إليه بغيره فما قبل منه واضطربت الأمور اضطرابا اضطرهما جميعا إلى الهرب والاستجارة بالعرب. وقد قيل إن إخراجه الملك معه إنما كان لغرض في أن لا ينفرد بهجنة التسحب ثم روسل أبو علي في العود إلى باب سلطانه، فعاد وأقام الوزير أبو القاسم بالموصل، وقد كثر أتباعه فأقام بها يسيرا واستشعر تقصيرا به من صاحبها فاستأذنه في الرجوع إلى ميافارقين فدخلها وتلقاه نصر الدولة بالإعظام واقطعه من الأموال والضياع ما أراد. ثم روسل في وزارة بغداد فاستأذن نصر الدولة فخلا به وبين مراده وأعانه على المسير فلما كاد يستقل وكان خوف نصر الدولة عاقبة أمره، وأشير عليه بما كفاية أمره منه، فسقاه شربة كان فيها هلاكه. وكان الوزير لما أحس بالموت أوصى أن يحمل إلى الكوفة، فيدفن في حجرة أعدها هناك بإزاء قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فسير تابوته في أحسن حالة وأجمل أبهة إلى أن دفن في الموضع الذي أراداه.." (١)

(١) لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة الأسعد بن مماتي ص/٩١

"حتى أشهد لك، فمضيا إلى الأمير، فقال الصقلبي: إن هذا ضربني وشجني واعتدى علي، فجحد الحبشي، فقال الصقلبي: هذا يشهد لي، فنزل أبو علقمة عن بغلته وجلس بين يدي الأمير فقال له الأمير: بم تشهد يا أبا علقمة، فقال: أصلح الله الأمير، بينا أنا أسير على كودني هذا إذ مررت بهذين العبدين، فرأيت هذا الأسحم قد مال على هذا الأبقع فحطأه على فدفد ثم ضغطه برضفتيه في أحشائه حتى ظننت أنه تدمج جوفه، وجعل يلج بشناتره في جحمتيه يكاد يفقأهما، وقبض على صنارتيه بمبرمه وكاد يجذهما جذا، ثم علاه بمنسأة كانت معه فعفجه بها، وهذا أثر الجريال عليه بينا، وأنت أمير عادل. فقال الأمير: والله ما أفهم مما قلت شيئا، فقال أبو علقمة: قد فهمناك إن فهمت، وعلمناك إن علمت، وأديت إليك ما علمت، وما أقدر أن أتكلم بالفارسية؛ فجعل الأمير يجهد أن يكشف الكلام فلا يفعل حتى ضاق صدره، فقال للصقلبي: أعطني **خنجرا**، فأعطاه وهو يظن أنه يريد أن يستقيد له من الحبشي، فكشف الأمير رأسه وقال للصقلبي: شجني خمسا وأعفني من شهادة هذا.

(الصنارتان: الأذنان بلغة حمير. الكودن: الغليظ من الدواب. وحطأه صرعه. والفدفد: الغليظ من الأرض. ورضفتاه: ركبتاه. وشناتره: أصابعه والجحمتان: العينان لغة يمانية. والمنسأة: العصا. عفجه: أي ضربه بها. والجريال: الأحمر فاستعاره للدم) .

قال ابن جني: وأخبرنا عثمان بن محمد، حدثنا محمد بن القاسم، قال حدثني محمد بن المرزبان وأبو الحسين علي بن محمد المقرىء قال: تبيغ بأبي علقمة الدم وهو في بعض القرى، فقال لابنه «١» جئني بحجام، فأتاه به فقال له: لا تعجل حتى أصف لك ولا تكن كامرىء خالف ما أمر به ومال إلى غيره، اشدد قصب المحاجم، وأرهف ظبة المشارط، وأسرع الوضع وعجل النزع، وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا، لا تردن آتيا ولا تكرهن آبيا؛ فوضع الحجام محاجمه في قفته وقال:." (١)

"أخبرنا مكي بن ربان [١] بن شبة النحوي بإسناده إلى يحيى بن يحيى عن، مالك، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا بين ظهري [٢] الناس، إذ جاء رجل فساره، فلم ندر [٣] ما ساره به حتى جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهر: أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟ قال: بلى، ولا شهادة له [قال: أليس يصلي؟

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٦٣٩/٤

قال: بلى، ولا صلاة له] [٤] فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولئك الذين نهاني الله عنهم [٥] »
.

روى عروة بن عياض، عن عبيد الله بن عدي أنه قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وذكر الحديث. أخرجه الثلاثة.

٣٤٦٧- عبيد الله بن عمر

(ب د ع) عبيد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، أبو عيسى. تقدم نسبه عند أخيه «عبد الله [٦]
» .

ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من شجعان قريش وفرسانهم، سمع أباه، وعثمان بن عفان، وأبا موسى، وغيرهم.

روى زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عمر ضرب ابنه عبيد الله بالدرة، وقال: أتكتني بأبي عيسى؟ وهل كان له من أب؟! وشهد عبيد الله صفين مع معاوية، وقتل فيها. وكان سبب شهوده صفين أن أبا لؤلؤة لما قتل أباه عمر رضي الله عنه فلما دفن عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، قيل لعبيد الله: قد رأينا أبا لؤلؤة والهرمزان نجيا، والهرمزان يقلب هذا **الخنجر** بيده، وهو الذي قتل به عمر، ومعهما «جفينة» وهو رجل من العباد جاء به سعد بن أبي وقاص يعلم الكتاب [٧] بالمدينة «وابن

---

[١] في المطبوعة: «رباب» وهو خطأ. ولمكى ترجمة في العبر للذهبى: ٥/ ٨. ويصحح اسمه فيما سبق: ١/ ١٥.

[٢] في الموطأ: «بين ظهراني الناس» .

[٣] في الموطأ: «فلم يدر بالبناء للمجهول.»

[٤] سقط من المخطوطة والمطبوعة. أثبتناه عن المسند.

[٥] الموطأ، كتاب الصلاة، باب جامع الصلاة. والحديث رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن ابن شهاب بإسناده مثله. المسند: ٥/ ٤٣٢، ٤٣٣.

[٦] ينظر الترجمة ٣٠٨٠: ٣/ ٣٤٠.

[٧] يعنى: يعلمهم الكتابة.." (١)

"وسع الناس كلهم عدله غيري. فأضمر على قتله، فاصطنع له خنجرا له رأسان، وشحذه وسمه، ثم أتى به الهرمزان فقال: كيف ترى هذا؟ قال: أرى، أنك لا تضرب به أحدا إلا قتلته.

قال: فتحين أبو لؤلؤة عمر، فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر- وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يقول: «أقيموا صفوفكم» ، فقال كما كان يقول، فلما كبر ووجأه [١] أبو لؤلؤة في كتفه، ووجأه في خاصرته، وقيل: ضربه ست ضربات، فسقط عمر، وطعن بخنجره ثلاثة عشرة رجلا، فهلك منهم سبعة وأفرق [٢] منهم ستة، وحمل عمر فذهب به. وقيل: إن عمر قال لأبى لؤلؤة: ألا تصنع لنا رحى؟ قال: بلى، أصنع لك رحى يتحدث بها أهل الأمصار. ففزع عمر من كلمته، وعلي معه، فقال علي: إنه يتوعدك يا أمير المؤمنين.

قال: وأنبأنا أبي، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمر بن حيويه، أنبأنا أحمد بن معروف، أنبأنا الحسين [٣] بن محمد، حدثنا محمد بن سعد، أنبأنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل بن يونس، عن كثير النواء، عن أبي عبيد، مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت مع علي فسمعنا الصيحة على عمر، قال:

فقام وقمت معه، حتى دخلنا عليه البيت الذي هو فيه فقال: ما هذا الصوت؟ فقالت له امرأة:

سقاه الطبيب نبيذا فخرج، وسقاه لبنا فخرج، وقال: لا أرى أن تمسي فما كنت فاعلا فافعل. فقالت أم كلثوم: وا عمراه! وكان معها نسوة فبكين معها، وارتج البيت بكاء، فقال عمر: والله لو أن لي ما على الأرض من شيء لافتديت به من هول المطلع. فقال ابن عباس:

والله إني لأرجو أن لا تراها إلا مقدار ما قال الله تعالى: وإن منكم إلا واردها ١٩: ٧١ [٤] ، إن كنت- ما علمنا- لأمير المؤمنين، وأمين المؤمنين، وسيد المؤمنين، تقضي بكتاب الله، وتقسم بالسوية.

فأعجبه قولي، فاستوى جالسا فقال: أتشهد لي بهذا يا ابن عباس؟ قال: فكففت، فضرب على كتفي فقال: اشهد [٥] . فقلت: نعم، أنا أشهد [٦] .

---

[١] وجأه: ضربه.

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٤٢٣/٣

[٢] أي نجا: وبريء.
[٣] في المطبوعة: «الحسن بن محمد» . وصوابه الحسين، وقد مضى هذا السند مرارا، وللحسين بن محمد ترجمة في العدة للذهبى ٢/ ٨٣، وفي العبر: «الحسين بن محمد بن فهم» ، والصواب «فهم» بالقاف، ينظر المشتبه للذهبى: ٥١١.
[٤] سورة مريم، آية: ٧١.
[٥] في الطبقات الكبرى لابن سعد: أشهد لي بهذا يا بن عباس؟
[٦] الطبقات الكبرى: ٣/ ١/ ٢٥٥.." (١)

"وبه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الكبير من الأخوة بمنزلة الأب» . أخرجه الثلاثة.
عثيم: بضم العين المهملة، وفتح الثاء المثلثة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وآخره ميم.
٤٤٩٥- كليب أبو منفعة
(ب د ع) كليب أبو منفعة.
روى عنه ابنه منفعة. روى يحيى الحماني، عن الحارث بن مرة الحنفي، عن كليب بن منفعة بن كليب الحنفي، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا رسول الله، من أبر! قال:
«أمك وأباك، وأختك وأخاك ومولاك الذي يلي ذلك، حقا واجبا ورحمة موصولة» .
رواه عبد الصمد بن عبد الوارث عن الحارث بن مرة وضمضم بن عمرو. قالا: حدثنا كليب ابن منفعة، عن جده أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أبر. نحوه.
ورواه ضمضم بن عمرو، عن كليب قال: قال جدي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ... نحوه مرسلا.
وروى أحمد بن مسلم، عن الحارث، عن كليب بن منفعة، عن سراج بن مجاعة قال:
أتى جدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فذكر نحوه. أخرجه الثلاثة [١] .
٤٤٩٦- كليب
(س) كليب.
قاله أبو موسى، أورده أبو بكر بن أبي علي في الصحابة، وروى له عن صخر بن عكرمة، عن كليب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب، ما خلى الله عز وجل

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٦٧٥/٣

بين المؤمن وبين الذنب أبدا» . أخرجه أبو موسى.

٤٤٩٧- كليب

(ب) كليب.

له صحبة. قتله أبو لؤلؤة يوم قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الزهري: طعن أبو لؤلؤة اثني عشر رجلا، مات منهم ستة، منهم: عمر، وكليب.

وعاش منهم ستة، ثم نحر نفسه **بخنجره**.

---

[١] الاستيعاب، الترجمة ٣١٩٠: ٤/ ١٧٦٢.." (١)

"٣٤٧٣- عبيد الله بن عمر

ب د ع: عبيد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، أبو عيسى تقدم نسبه عند أخيه عبد الله ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من شجعان قريش وفرسانهم، سمع أباه، وعثمان بن عفان، وأبا موسى، وغيرهم.

روى زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عمر ضرب ابنه عبيد الله بالدرة، وقال: أتكتني بأبي عيسى؟ وهل كان له من أب؟ !.

وشهد عبيد الله صفين مع معاوية، وقتل فيها، وكان سبب شهوده صفين، أن أبا لؤلؤة لما قتل أباه عمر رضي الله عنه، فلما دفن عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، قيل لعبيد الله: قد رأينا أبا لؤلؤة والهرمزان نجيا، والهرمزان يقلب هذا **الخنجر** بيده، وهو الذي قتل به عمر، ومعهما جفينة، وهو رجل من العباد جاء به سعد بن أبي وقاص يعلم الكتاب بالمدينة وابن فيروز، وكلهم مشرك إلا الهرمزان، فغدا عليهم عبيد الله بالسيف، فقتل الهرمزان وابنته وجفينة، فنهاه الناس فلم ينته، وقال: والله لأقتلن من يصغر هؤلاء في جنبه، فأرسل إليه صهيب عمرو بن العاص، فأخذ السيف من يده، وصهيب كان قد وصى إليه عمر بالصلاة عليه، ويصلي بالناس إلى أن يقوم خليفة، فلما أخذ عمرو السيف وثب عليه سعد بن أبي وقاص فتناصبا، وقال: قتلت جاري وأخفرتني! فحبسه صهيب حتى سلمه إلى عثمان لما استخلف، فقال عثمان: أشيروا علي في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق، فأشار عليه المهاجرون أن يقتله، وقال

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ١٩٩/٤

جماعة منهم عمرو بن العاص: قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم! أبعد الله الهرمزان وجفينة، فتركه وأعطى دية من قتل، وقيل: إنما تركه عثمان لأنه قال للمسلمين: من ولي الهرمزان؟ قالوا: أنت، قال: لقد عفوت عن عبيد الله، وقيل: إن عثمان سلم عبيد الله إلى القماذيان بن الهرمزان ليقتله بأبيه، قال القماذيان، فأطاف بين الناس وكلموني في العفو عنه، فقلت: هل لأحد أن يمنعني منه؟ قالوا: لا، قلت: أليس إن شئت قتلته؟ قالوا: بلى.

قلت: لقد عفوت عنه.

قال بعض العلماء: لو لم يكن الأمر هكذا لم يقل الطعانون على عثمان: عدل ست سنين، ولقالوا: إنه ابتدأ أمره بالجور، لأنه عطل حدا من حدود الله.

وهذا أيضا فيه نظر، فإنه لو عفا عنه ابن الهرمزان لم يكن لعلي أن يقتله، وقد أراد قتله لما ولي الخلافة، ولم يزل عبيد الله كذلك حيا حتى قتل عثمان، وولي علي الخلافة، وكان رأيه أن يقتل عبيد الله، فأراد قتله فهرب منه إلى معاوية، وشهد معه صفين، وكان على الخيل، فقتل في بعض أيام صفين قتلته ربيعة، وكان على ربيعة زياد بن خصفة الربعي، فأتت امرأة عبيد الله، وهي بحرية ابنة هانئ الشيباني تطلب جثته، فقال زياد: خذيها، فأخذتها ودفنته.

وكان طويلا، قيل: لما حملته زوجته على بغل كان معترضا عليه، وصلت يداه ورجلاه إلى الأرض، ولما قتل اشترى معاوية سيفه، وهو سيف عمر، فبعث به إلى عبد الله بن عمر، وقيل: بل قتله رجل من همدان، وقيل: قتله عمار بن يسار، وقيل: قتله رجل من بني حنيفة، وحنيفة من ربيعة، وكانت صفين في ربيع الأول من سنة سبع وثلاثين.

أخرجه الثلاثة.." (١)

"خلافته رضي الله عنه وسيرته

(١٢٣٤) أنبأنا محمد بن محمد بن سرايا، وغير واحد، بإسنادهم، عن محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا عبيد الله، حدثنا أبو بكر بن سالم، عن سالم، عن عبد الله بن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب، فاستحالت غربا،

---

(١) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ٥٢٢/٣

فلم أر عبقريا يفري فريه، حتى روي الناس، وضربوا بعطن "
وهذا لما فتح الله على عمر من البلاد، وحمل من الأموال، وما غنمه المسلمون من الكفار.
وقد ورد في حديث آخر: " وإن وليتموها، يعني الخلافة، تجدوه قويا في الدنيا، قويا في أمر الله "، وقد تقدم.
(١٢٣٥) قال أحمد بن عثمان: أنبأنا أبو رشيد، أنبأنا أبو مسعود سليمان، أنبأنا أبو بكر بن مردويه الحافظ، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا هاشم بن مرثد، حدثنا أبو صالح الفراء، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، حدثنا شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، أو عن زيد بن وهب، أن سويد بن غفلة الجعفي دخل على علي بن أبي طالب في إمارته، فقال: يا أمير المؤمنين، إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما أهل له من الإسلام ...
وذكر الحديث، قال: فلما حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة، قال: " مروا أبا بكر أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني "، فصلى بالناس سبعة أيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قبض الله نبيه ارتد الناس عن الإسلام، فقالوا: نصلي ولا نعطي الزكاة، فرضي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر منفردا برأيه، فرجح برأيه رأيهم جميعا، وقال: والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لجاهدتهم عليه، كما أجاهدهم على الصلاة، فأعطى المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا، فمضى رحمة الله عليه وترك الدنيا وهي مقبلة، فخرج منها سليما، فسار فينا بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ننكر من أمره شيئا، حتى حضرته الوفاة، فرأى أن عمر أقوى عليها، ولو كانت محاباة لآثر بها ولده، واستشار المسلمين في ذلك، فمنهم من رضي، ومنهم كره، وقالوا: أتؤمر -[١٥٧]- علينا من كان عنانا وأنت حي؟ فماذا تقول لربك إذا قدمت عليه؟ قال: أقول لربي إذا قدمت عليه: إلهي أمرت عليهم خير أهلك، فأمر علينا عمر، فقام فينا بأمر صاحبيه، لا ننكر منه شيئا، نعرف فيه الزيادة كل يوم في الدين والدنيا، فتح الله به الأرضين، ومصر به الأمصار، لا تأخذه في الله لومة لائم، البعيد والقريب سواء في العدل والحق، وضرب الله بالحق على لسانه وقلبه، حتى إن كنا لنظن أن آلة السكينة تنطق على لسانه، وأن ملكا بين عينيه يسدده ويوفقه، الحديث.
(١٢٣٦) قال: وأنبأنا ابن مردويه، حدثنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن القاسم البزار، حدثنا يحيى بن مسعود، حدثنا عبد الله بن محمد بن أيوب، حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن الهاشمي،

عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب، قال: " إن الله جعل أبا بكر، وعمر حجة على من بعدهما من الولاة إلى يوم القيامة، فسبقا والله سبقا بعيدا، وأتعبا والله من بعدهما إتعابا شديدا، فذكرهما حزن للأمة، وطعن على الأئمة "

(١٢٣٧) أنبأنا عبد الوهاب بن هبة الله، إذنا، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنبأنا الحسن بن علي، أنبأنا أبو عمر، أنبأنا أبو الحسن، أنبأنا الحسين بن القهم، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا محمد بن عمر، حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن.

ح، قال: وأخبرنا بردان بن أبي النضر، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، قال: وأنبأنا عمرو بن عبد الله بن عنبسة، عن أبي النضر، عن عبد الله البهي، دخل حديث بعضهم في بعض، أن أبا بكر الصديق لما مرض دعا عبد الرحمن، يعني ابن عوف، فقال له: " أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال عبد الرحمن: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني! قال أبو بكر: وإن! فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرني عن عمر، فقال: أنت أخبرنا به! فقال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأن ليس فينا مثله! فقال أبو بكر: يرحمك الله! والله لو تركته ما عدوتك، وشاور معهما سعيد بن زيد أبا الأعور، وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضى، ويسخط للسخط، الذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، وسمع بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخول عبد الرحمن، وعثمان على أبي بكر وخلوتهما به، فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته؟، فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفونني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم، استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني ما قلت لك من وراءك ثم -[١٥٨]- اضطجع، ودعا عثمان بن عفان، فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، أنني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرا، فإن عدل، فذلك ظني به، وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت، ولا أعلم الغيب، {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} ، والسلام عليكم ورحمة الله، ثم أمر بالكتاب فختمه، ثم أمره فخرج بالكتاب مختوم ومعه عمر

بن الخطاب، وأسد بن سعية القرظي: فقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم، وقال بعضهم: قد علمنا به، قال ابن سعد: على القائل، وهو عمر، فأقروا بذلك جميعا ورضوا به وبايعوا، ثم دعا أبو بكر عمر خاليا، فأوصى بما أوصاه به، ثم خرج فرفع أبو بكر يديه مدا، ثم قال: اللهم، إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم ما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيي، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما فيه رشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضرني، فاخلفني فيهم، فهم عبادك، ونواصيهم بيدك، وأصلح لهم ولاتهم، واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده، وأصلح له رعيته

وروى صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه: أنه دخل على أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مفيقا، فقال له عبد الرحمن: " أصبحت بحمد الله بارئا، فقال أبو بكر: تراه؟ قال: نعم، قال: إني على ذلك لشديد الوجع، وما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي، إني وليت أمري خيركم في نفسي، فكلكم ورم من ذلك أنفه، يريد أن يكون الأمر له، قد رأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج، وتألموا من الاضطجاع على الصوف الأذربي، كما يألم أحدكم أن ينام على حسك السعدان ".

(١٢٣٨) أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو الحسين بن النقور، أنبأنا عيسى بن علي، أنبأنا أبو القاسم البغوي، حدثنا داود بن عمرو، حدثنا يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية، عن الصلت بن بهرام، عن يسار، قال: لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال: يا أيها الناس، إني قد عهدت عهدا أفترضون به؟ فقال الناس: قد رضينا يا خليفة رسول الله، فقال علي: لا نرضى إلا أن يكون عمر بن الخطاب

(١٢٣٩) أنبأنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبي، أنبأنا الشريف -[١٥٩]- أبو طالب علي بن حيدرة بن جعفر العلوي الحسيني وأبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد الأسدي، قالا: أنبأنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم، أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة، حدثنا سليمان بن عبد الحميد المهراني، أنبأنا عبد الغفار بن داود الحراني، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاري، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، عن سليمان بن أبي خيثمة، عن جدته الشفاء، وكانت من المهاجرات الأول، وكان عمر إذا دخل

السوق أتاها، قال: سألتها من أول من كتب: عمر أمير المؤمنين؟ قالت: كتب عمر إلى عامله على العراقين: أن ابعث إلي برجلين جلدين نبيلين، أسألهما عن أمر الناس، قال: فبعث إليه بعدي بن حاتم، ولبيد بن ربيعة، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد، فاستقبلا عمرو بن العاص، فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقلت: أنتما والله أصبتما اسمه، وهو الأمير، ونحن المؤمنون، فانطلقت حتى دخلت على عمر، فقلت: يا أمير المؤمنين، فقال: لتخرجن مما قلت أو لأفعلن! قلت: يا أمير المؤمنين، بعث عامل العراقين بعدي بن حاتم، ولبيد بن ربيعة، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم استقبلاني، فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقلت: أنتما والله أصبتما، اسمه هو الأمير، ونحن المؤمنون

وكان قبل ذلك يكتب: من عمر خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرى الكتاب من عمر أمير المؤمنين، من ذلك اليوم.

وقيل: إن عمر قال: إن أبا بكر كان يقال له: يا خليفة رسول الله، ويقال لي: يا خليفة خليفة رسول الله، وهذا يطول، أنتم المؤمنون، وأنا أميركم.

وقيل: إن المغيرة بن شعبة، قال له ذلك، والله أعلم.

سيرته

وأما سيرته فإنه فتح الفتوح، ومصر الأمصار، ففتح العراق، والشام، ومصر، والجزيرة، وديار بكر، وأرمينية، وأذربيجان، وأرانيه، وبلاد الجبال، وبلاد فارس، وخوزستان، وغيرها.

وقد اختلف في خراسان، فقال بعضهم: فتحها عمر، ثم انتقضت بعده ففتحها عثمان، وقيل: إنه لم يفتحها، وإنما فتحت أيام عثمان، وهو الصحيح.

وأدر العطاء على الناس، ونزل نفسه بمنزلة الأجير، وكآحاد المسلمين في بيت المال، ودون الدواوين، ورتب الناس على سابقتهم في العطاء، والإذن، والإكرام، فكان أهل بدر أول الناس دخولا عليه، وكان على أولهم، وكذلك فعل بالعطاء، وأثبت أسماءهم في -[١٦٠]- الديوان على قربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ ببني هاشم، والأقرب فالأقرب.

(١٢٤٠) أنبأنا القاسم بن علي بن الحسن، إجازة، أنبأنا أبي، أنبأتنا فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلويه، قالت: أنبأنا أبو بكر أحمد بن الخطيب، أنبأنا أبو بكر الحيري، أنبأنا أبو العباس الأصم، أنبأنا الربيع، قال: قال الشافعي: أخبرني عمي محمد بن علي بن الحسن، أو غيره، عن مولى لعثمان بن عفان،

قال: بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف، إذ رأى رجلا يسوق بكرين، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح، ثم دنا الرجل، فقال: انظر من هذا؟ فنظرت، فقلت: أرى رجلا معتما بردائه، يسوق بكرين، ثم دنا الرجل فقال: انظر، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: هذا أمير المؤمنين، فقام عثمان، فأخرج رأسه من الباب، فإذا نفح السموم، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: بكران من إبل الصدقة تخلفا، وقد مضي بإبل الصدقة، فأردت أن ألحقهما بالحمى، وخشيت أن يضيعا، فيسألني الله عنهما، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هلم إلى الماء والظل ونكفيك، فقال: عد إلى ظلك، فقلت: عندنا من يكفيك! فقال: عد إلى ظلك، فمضى، فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا! فعاد إلينا فألقى نفسه

روى السري بن يحيى، حدثنا يحيى بن مصعب الكلبي، حدثنا عمر بن نافع الثقفي، عن أبي بكر العبسي، قال: دخلت حين الصدقة مع عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، فجلس عثمان في الظل، وقام علي على رأسه يملي عليه ما يقول عمر، وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر، عليه بردتان سوداوان، متزر بواحد وقد وضع الأخرى على رأسه، وهو يتفقد إبل الصدقة، فيكتب ألوانها وأسنانها، فقال علي لعثمان: أما سمعت قول ابنة شعيب في كتاب الله عز وجل: {إن خير من استأجرت القوي الأمين} ، وأشار علي بيده إلى عمر، فقال: هذا هو القوي الأمين.

(١٢٤١) أنبأنا غير واحد، إجازة، عن أبي غالب بن البناء، أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد بن فهد العلاف، حدثنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حماد الموصلي، حدثنا أبو الحسين محمد بن عثمان، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي العوام، حدثنا موسى بن داود الضبي، أنبأنا محمد بن صبيح، عن إسماعيل بن زياد، قال: مر علي بن أبي طالب على المساجد في شهر رمضان، وفيها القناديل، فقال: نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا

وروى حماد بن سلمة، عن يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: -[١٦١]- خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى مكة، فما ضرب فسطاطا، ولا خباء حتى رجع، وكان إذا نزل يلقى له كساء أو نطع على الشجر، فيستظل به.

وروى موسى بن إبراهيم المروزي، عن فضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد، قال: أنفق عمر بن الخطاب في حجة حجها ثمانين درهما من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى المدينة، قال: ثم جعل يتأسف ويضرب

بيده على الأخرى، ويقول: " ما أخلقنا أن نكون قد أسرفنا في مال الله تعالى ".
(١٢٤٢) أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم، إذنا، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو غالب بن البناء، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمر بن حيويه وأبو بكر بن إسماعيل، قالا: أنبأنا يحيى بن محمد، أنبأنا الحسين بن الحسن، أنبأنا ابن المبارك، عن مالك بن مغول، أنه بلغه أن عمر بن الخطاب، قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون، أو قال: أيسر لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر {يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية}
وله في سيرته أشياء عجيبة عظيمة، لا يستطيعها إلا من وفقه الله تعالى، فرضي الله عنه وأرضاه، بمنه وكرمه.
مقتله رضي الله عنه
(١٢٤٣) أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن الشافعي، أنبأنا أبو العشائر محمد بن خليل، أنبأنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان، أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان، حدثنا عبد الله بن الحسن الهاشمي، حدثنا عبد الأعلى بن حماد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، حدثنا قتادة، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف، فضربه برجله، وقال: " اثبت أحد، فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان "
(١٢٤٤) أنبأنا القاسم بن علي بن الحسن، كتابة، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو محمد بن طاوس، أنبأنا -[١٦٢]- طراد بن محمد، وأنبأنا به عاليا أبو الفضل عبد الله بن أحمد، أنبأنا طراد بن محمد، إجازة إن لم يكن سماعا، أنبأنا الحسين بن بشران، أنبأنا أبو علي بن صفوان، أنبأنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، عن يحيى بن سعيد بن المسيب، أن عمر بن الخطاب لما نفر من منى، أناخ بالأبطح، ثم كوم كومة من البطحاء، فألقى عليها طرف ردائه، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم، كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط! فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن فمات.
(١٢٤٥) أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم، أنبأنا أبي، أنبأني أبو محمد بن الأكفاني، أنبأنا عبد العزيز الكناني، أنبأنا تمام بن محمد وعبد الرحمن بن عثمان وعقيل بن عبد الله، قال: وأخبرني أبو محمد بن الأكفاني، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عقيل بن الكريزي، أنبأنا أبو محمد بن أبي نصر التميمي، أنبأنا

أحمد بن القاسم بن معروف، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب، عن الزهري، أخبرني محمد بن جبير بن مطعم، عن جبير بن مطعم، قال: " حججت مع عمر آخر حجة حجها، فبينا نحن واقفون على جبل عرفة، صرخ رجل فقال: يا خليفة، فقال رجل من لهب، وهو حي من أزد شنوءة يعتافون: ما لك؟ قطع الله لهجتك، وقال عقيل: لهاتك، والله لا يقف عمر على هذا الجبل بعد هذا العام أبدا، قال جبير: فوقعت بالرجل اللهبي فشتمته، حتى إذا كان الغد وقف عمر وهو يرمي الجمار، فجاءت عمر حصاة عائرة من الحصى الذي يرمي به الناس، فوقعت في رأسه، ففصدت عرقا من رأسه، فقال رجل: أشعر أمير المؤمنين ورب الكعبة، لا يقف عمر على هذا الموقف أبدا بعد هذا العام، قال جبير: فذهبت ألتفت إلى الرجل الذي قال ذلك، فإذا هو اللهبي، الذي قال لعمر على جبل عرفة ما قال.

لهب: بكسر اللام، وسكون الهاء

(١٢٤٦) أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن الفقيه، بإسناده، عن أبي يعلى، حدثنا أحمد بن إبراهيم البكري، حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، قال: خطب عمر الناس، فقال: رأيت كأن ديكا نقرني نقرة أو نقرتين، ولا أدري ذلك إلا لحضور أجلي، فإن عجل بي أمر، فإن الخلافة شورى في هؤلاء الرهط الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض

-[١٦٣]-

(١٢٤٧) وأنبأنا أحمد بن عثمان، أنبأنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أنبأنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم، أنبأنا أبو بكر بن مردويه، حدثنا عبد الله بن إسحاق، حدثنا محمد بن الجهم السمري، حدثنا جعفر بن عون، أنبأنا محمد بن بشر، عن مسعر بن كدام، عن عبد الملك بن عمير، عن الصقر بن عبد الله، عن عروة، عن عائشة، قالت: " بكت الجن على عمر قبل أن يموت بثلاث، فقالت:

أبعد قتيل بالمدينة أصبحت له الأرض تهتز العضاه بأسوق

جزى الله خيرا من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفتق

فما كنت أخشى أن يكون مماته بكفي سبنتى أخضر العين مطرق.

قيل: إن هذه الأبيات للشماخ، أو لأخيه مزرد.

(١٢٤٨) أنبأنا مسمار بن عمر بن العويس النيار وأبو عبد الله الحسين بن أبي صالح بن فناخسرو، وغيرهما، بإسنادهم إلى محمد بن إسماعيل، حدثنا موسى بن إسماعيل، أنبأنا أبو عوانة، عن حصين، عن عمرو بن ميمون، قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وقف على حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف، قال: "كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمرا هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل، قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق: قالا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدا، قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب، قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر، وربما قرأ بسورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر، فسمعته يقول: قتلني، أو: أكلني الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينا وشمالا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، ممن يلي عمر، فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد، فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا، قال: يابن عباس، انظر من قتلني، فجال ساعة، ثم جاء المسجد، فقال: غلام المغيرة بن شعبة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله! لقد أمرت به معروفا! الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي -[١٦٤]- الإسلام، قد كنت أنت، وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقا، فقال: إن شئت فعلت، أي: إن شئت قتلنا، فقال: كذبت! بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم، واحتمل إلى بيعه، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه، فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء غلام شاب، فقال: أبشر، يا أمير المؤمنين، ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفافا، لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد

الله بن عمر، انظر ما علي من الدين، فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال، وانطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل لها: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب، قد أذنت، قال: الحمد لله، ما كان شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قبضت فاحملوني، ثم سلم، فقال: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة، والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو: الرهط، الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض.
فسمى: عليا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبد الرحمن بن عوف، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية فإذا أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة " ...
، وذكر الحديث، وقد تقدم في ترجمة عثمان بن عفان.
وروى سماك بن حرب، عن ابن عباس، أن عمر، قال لابنه عبد الله: " خذ رأسي عن -[١٦٥]- الوسادة فضعه في التراب، لعل الله يرحمني! وويل لي، وويل لأمي إن لم يرحمني الله عز وجل! فإذا أنا مت فأغمض عيني، واقصدوا في كفني، فإنه إن كان لي عند الله خير أبدلني ما هو خير منه، وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلبي، وأنشد:
ظلوم لنفسي غير أني مسلم أصلي الصلاة كلها وأصوم "
(١٢٤٩) أنبأنا أبو محمد، أخبرنا أبي، أنبأتنا أم المجتبى العلوية، قالت: قرأ علي إبراهيم بن منصور، أخبرنا أبو محمد بن المقرئ، أنبأنا أبو يعلى، أنبأنا أبو عباد قطن بن نسير الغبري، أنبأنا جعفر بن سليمان، حدثنا ثابت، عن أبي رافع قال: كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة بن شعبة، وكان يصنع الأرحاء، وكان المغيرة يستغله

كل يوم أربعة دراهم، فلقي أبو لؤلؤة عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل علي غلتي، فكلمه يخفف عني، فقال له عمر: اتق الله، وأحسن إلى مولاك، ومن نية عمر أن يلقى المغيرة فيكلمه ليخفف عنه، فغضب العبد، وقال: وسع الناس كلهم عدله غيري، فأضمر على قتله، فاصطنع له **خنجرا** له رأسان، وشحذه وسمه، ثم أتى به الهرمزان، فقال: كيف ترى هذا؟ قال: أرى أنك لا تضرب أحدا إلا قتلته، قال: فتحين أبو لؤلؤة عمر، فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر، وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يقول: أقيموا صفوفكم، فقال كما كان يقول، فلما كبر وجأه أبو لؤلؤة في كتفه، ووجأه في خاصرته، وقيل: ضربه ست ضربات، فسقط عمر، وطعن **بخنجره** ثلاثة عشر رجلا، فهلك منهم سبعة وأفرق منهم ستة. وحمل عمر فذهب به، وقيل: إن عمر قال لأبي لؤلؤة: ألا تصنع لنا رحا؟ قال: بلى، أصنع لك رحا يتحدث بها أهل الأمصار، ففزع عمر من كلمته، وعلي معه، فقال علي: إنه يتوعدك يا أمير المؤمنين

(١٢٥٠) قال: وأنبأنا أبي، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمر بن حيويه، أنبأنا أحمد بن معروف، أنبأنا الحسين بن محمد، حدثنا محمد بن سعد، أنبأنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل بن يونس، عن كثير النواء، عن أبي عبيد مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كنت مع علي فسمعنا الصيحة على عمر، قال: فقام وقمت معه، حتى دخلنا عليه البيت الذي هو فيه، فقال: ما هذا الصوت؟ فقالت له امرأة: سقاه الطبيب نبيذا فخرج، وسقاه لبنا فخرج، وقال: لا أرى أن تمسي فما كنت فاعلا فافعل، فقالت أم كلثوم: واعمرا! وكان معها نسوة فبكين معها، وارتج البيت بكاء، فقال عمر: والله لو أن لي ما على الأرض من شيء لافتديت به من هول -[١٦٦]- المطلع، فقال ابن عباس: والله إني لأرجو أن لا تراها إلا مقدار ما قال الله تعالى: {وإن منكم إلا واردها} ، إن كنت، ما علمنا، لأمير المؤمنين، وأمين المؤمنين، وسيد المؤمنين، تقضي بكتاب الله، وتقسم بالسوية، فأعجبه قولي، فاستوى جالسا، فقال: أتشهد لي بهذا يابن عباس؟ قال: فكففت، فضرب على كتفي، فقال: اشهد، فقلت: نعم، أنا أشهد ".

ولما قضى عمر رضي الله عنه، صلى عليه صهيب، وكبر عليه أربعا

(١٢٥١) أنبأنا عبد الوهاب بن هبة الله بن أبي حبة، بإسناده، عن عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، أنبأنا علي بن إسحاق، أنبأنا عبد الله، أنبأنا عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن ابن أبي مليكة، أنه سمع ابن عباس، يقول: وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني،

إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحدا أحب إلي ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله، إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أكثر أن أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ذهبت أنا، وأبو بكر، وعمر، ودخلت أنا، وأبو بكر، وعمر، وخرجت أنا، وأبو بكر، وعمر "، وإن كنت أظن ليجعلنك الله معهما.

ولما توفي عمر صلي عليه في المسجد، وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسله ابنه عبد الله، ونزل في قبره ابنه عبد الله، وعثمان بن عفان، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف.

روى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن أبيه، أنه قال: طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين، وخمسة أشهر، وأحدا وعشرين يوما.

وقال عثمان بن محمد الأخنسي: هذا وهم، توفي عمر لأربع ليال بقين من ذي الحجة، وبويع عثمان يوم الأثنين لليلة بقيت من ذي الحجة.

وقال ابن قتيبة: ضربه أبو لؤلؤة يوم الأثنين لأربع بقين من ذي الحجة، ومكث ثلاثا، وتوفي، فصلى عليه صهيب، وقبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر.

وكانت خلافته عشر سنين، وستة أشهر، وخمس ليال، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل: كان عمره خمسا وخمسين سنة، والأول أصح ما قيل في عمر.

-[١٦٧]-

(١٢٥٢) أنبأنا أحمد بن عثمان بن أبي علي والحسين بن يوحن بن أتويه بن النعمان الباوردي، قالا: حدثنا الفضل بن محمد بن عبد الواحد بن عبد الرحمن البيلي الأصبهاني، أخبرنا أبو القاسم أحمد بن منصور الخليل البلخي، أنبأنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد الخزاعي، أنبأنا أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الشاشي، أنبأنا أبو عيسى الترمذي، قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن جرير، عن معاوية، أنه سمعه يخطب، قال: " مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأبو بكر، وعمر، وأنا ابن ثلاث وستين سنة "

وقال قتادة: طعن عمر يوم الأربعاء، ومات يوم الخميس.

وكان عمر أعسر يسر: يعمل بيديه، وكان أصلع طويلا، قد فرع الناس، كأنه على دابة.

قال الواقدي: كان عمر أبيض أمهق، تعلوه حمرة، يصفر لحيته، وإنما تغير لونه عام الرمادة، لأنه أكثر أكل الزيت، لأنه حرم على نفسه السمن، واللبن حتى يخصب الناس، فتغير لونه.

وقال سماك: كان عمر أروح كأنه راكب، وكأنه من رجال بني سدوس، والأروح: الذي يتدالى قدماه إذا مشى.

وقال زر بن حبيش: كان عمر أعسر يسر، آدم.

وقال الواقدي: لا يعرف عندنا أن عمر كان آدم إلا أن يكون رآه عام الرمادة.

قال أبو عمر: وصفه زر بن حبيش، وغيره، أنه كان آدم شديد الآدمة، وهو الأكثر عند أهل العلم.

وقال أنس: كان عمر يخضب بالحناء بحتا.

وهو أول من اتخذ الدرة، وأول من جمع الناس على قيام رمضان، وهو أول من سمي أمير المؤمنين، وأكثر الشعراء مراثيه، فمن ذلك قول حسان بن ثابت الأنصاري:

-[١٦٨]-

ثلاثة برزوا بفضلهم نضرهم ربهم إذا نشروا

فليس من مؤمن له بصر ينكر تفضيلهم إذا ذكروا

عاشوا بلا فرقة ثلاثتهم واجتمعوا في الممات إذ قبروا

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت زوج عمر بن الخطاب:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الإمام النجيب

فجعتني المنون بالفارس المـ ـعلم يوم الهياج والتلبيب

عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المنتاب والمحروب.

رزاح: بفتح الراء، والزاي.." (١)

"٤٥٠٣- كليب

ب: كليب له صحبة، قتله أبو لؤلؤة يوم قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الزهري: طعن أبو لؤلؤة اثني عشر رجلا، مات منهم ستة، منهم: عمر، وكليب، وعاش منهم ستة، ثم نحر نفسه بخنجره.

---

(١) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ١٥٦/٤

وكليب، هو الذي قيل لعمر: إن امرأة ماتت بالبيداء، فلم يدفنها أحد ممن مر عليها، ودفنها كليب، فقال: إني لأرجو لكليب بها خيرا.
أخرجه أبو عمر، والله أعلم.." (١)

"(خبيب بضم الخاء المعجمة، وفتح الباء الموحدة، بعدها ياء تحتها نقطتان، وآخره باء موحدة أيضا، والبكير بضم الباء الموحدة، تصغير بكر) .

ذكر إرسال عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان

ولما قتل عاصم وأصحابه بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب، قال عمرو: فخرجت أنا ومعي بعير لي وبرجل صاحبي علة، فكنت أحمله على بعيري حتى جئنا بطن يأجج، فعقلنا بعيرنا في الشعب وقلت لصاحبي: انطلق بنا إلى أبي سفيان لنقتله، فإن خشيت شيئا فالحق بالبعير، فاركبه والحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبره الخبر، وخل عني. وأوغل بالبلد يحث السياق.

فدخلنا مكة ومعي **خنجر** قد أعددته إن عاقني إنسان ضربته به، فقال لي صاحبي: هل لك أن نبدأ فنطوف ونصلي ركعتين؟ فقلت: إن أهل مكة يجلسون بأفنيتهم وأنا أعرف بها. فلم نزل حتى أتينا البيت فطفنا وصلينا، ثم خرجنا فمررنا بمجلس لهم، فعرفني بعضهم فصرخ بأعلى صوته: هذا عمرو بن أمية! فثار أهل مكة إلينا وقالوا: ما جاء إلا لشر، وكان فاتكا متشيطنا في الجاهلية. فقلت لصاحبي: النجاء! هذا الذي كنت أحذر، أما أبو سفيان فليس إليه سبيل، فانج بنفسك.

فخرجنا نشتد حتى صعدنا الجبل، فدخلنا غارا فبتنا فيه ليلتنا، ننتظر أن يسكن الطلب. قال: فوالله إني لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك التيمي يتخيل بفرس له، فقام على باب الغار، فخرجت إليه فضربته **بالخنجر**، فصاح صيحة أسمع أهل مكة، فأقبلوا إليه ورجعت إلى مكاني، فوجدوه وبه رمق، فقالوا: من ضربك؟ قال: عمرو بن أمية، ثم مات ولم يقدر يخبرهم بمكاني، وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبي، فاحتملوه.

ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب، ثم خرجنا إلى التنعيم، فإذا بخشبة خبيب وحوله حرس، فصعدت خشبته واحتملته على ظهري، فما مشيت به إلا نحو أربعين خطوة حتى نذروا بي فطرحته، فاشتدوا

(١) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ٤٧٢/٤

في أثري، فأخذت الطريق فأعيوا ورجعوا، وانطلق صاحبي فركب البعير وأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبره، وأما خبيب فلم ير بعد ذلك وكأن الأرض ابتلعته.." (١)

"والناس ونزلوا عليه، وتقدم زهرة نحو الفرس، وكانوا قد نزلوا بين الدير وكوثى، وقد استخلف النخيرخان ومهران على جنودهما شهريار، فنازلهم زهرة، فبرزوا إلى قتاله، وخرج شهريار يطلب المبارزة، فأخرج زهرة إليه أبا نباتة نائل بن جشعم الأعرجي، وكان من شجعان بني تيم، وكلاهما وثيق الخلق. فلما رأى شهريار نائلا ألقى الرمح ليعتنقه، وألقى أبو نباتة رمحه ليعتنقه أيضا، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا، ثم اعتنقا فسقطا عن دابتهما، فوقع شهريار عليه كأنه جمل، فضغطه بفخذه، وأخذ **الخنجر** وأراد حل أزرار درعه، فوقعت إصبعه في نائل فكسر عظمها، ورأى منه فتورا فبادر وجلد به الأرض، ثم قعد على صدره وأخذ **خنجره** وكشف درعه عن بطنه، وطعن به بطنه وجنبه حتى مات، وأخذ فرسه وسواريه وسلبه، وانهزم أصحابه فذهبوا في البلاد، وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد، فقدم إليه نائلا وألبسه سلاح شهريار وسواريه وأركبه برذونه وغنمه الجميع، فكان أول أعرجي سور بالعراق، وقام بها سعد أياما وزار مجلس إبراهيم الخليل – عليه السلام –.

وقيل: كانت هذه الوقعات سنة ست عشرة.

(نائل بالنون، وبعد الألف ياء تحتها نقطتان، وآخره لام) .

ذكر بهرسير وهي المدينة العتيقة وهي المدائن الدنيا من الغرب

ثم إن سعدا قدم زهرة إلى بهرسير فمضى في المقدمات، فتلقاه شيرازاد دهقان ساباط بالصلح، فأرسله إلى سعد، فصالحه على تأدية الجزية.

ولقي زهرة كتيبة بنت كسرى التي تدعى بوران، وكانوا يحلفون كل يوم أن لا يزول ملك فارس ما عشنا، فهزمهم وقتل هاشم بن عتبة – وهو ابن أخي سعد – المقرط – وهو." (٢)

"أجد حليتك وصفتك وأنك قد فني أجلك. قال: وعمر لا يحس وجعا! فلما كان الغد جاءه كعب فقال: بقي يومان. فلما كان الغد جاءه كعب فقال: مضى يومان وبقي يوم. فلما أصبح خرج عمر إلى

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٧/٢

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٣٥/٢

الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت كبر، ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته، وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي وكان خلفه، وقتل جماعة غيره.

فلما وجد عمر حر السلاح سقط، وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس، وعمر طريح، فاحتمل فأدخل بيته، ودعا عبد الرحمن فقال له: إني أريد أن أعهد إليك. قال: أتشير علي بذلك؟ قال: اللهم لا. قال: والله لا أدخل فيه أبدا. قال: فهبني صمتا حتى أعهد إلى النفر الذين توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو عنهم راض. ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا فقال: انتظروا أخاكم طلحة ثلاثا، فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم، أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس، أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل أقاربك على رقاب الناس، قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم وليصل بالناس صهيب.

ثم دعا أبا طلحة الأنصاري، فقال: قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل إليهم. وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان، أن يحسن إلى محسنهم ويعفو عن مسيئهم، وأوصي الخليفة بالعرب، فإنهم مادة الإسلام، أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم، وأوصي الخليفة بذمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يوفي لهم بعهدهم، اللهم هل بلغت؟ لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة، يا عبد الله بن عمر، اخرج فانظر من قتلني.

قال: يا أمير المؤمنين، قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة! يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى عائشة فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي – صلى الله عليه وسلم – وأبي بكر. يا عبد الله، إن اختلف القوم فكن مع الأكثر، فإن تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف، يا." (١)

"ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال: الحمد لله الذي بعث محمدا منا نبيا، وبعثه إلينا رسولا، فنحن بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حق إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السرى، لو عهد إلينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عهدا لأنفذنا عهده،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢/٤٢٨

ولو قال لنا قولا لجادلنا عليه حتى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم، لا حول ولا قوة إلا بالله، اسمعوا كلامي وعوا منطقي، عسى أن تروا (هذا الأمر) بعد هذا المجمع تنتضى فيه السيوف، وتخان فيه العهود، حتى تكونوا جماعة، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة، ثم قال:

فإن تك جاسم هلكت فإني ... بما فعلت بنو عبد بن ضجم

مطيع في الهواجر كل غي ... بصير بالنوى من كل نجم

فقال عبد الرحمن: أيكم يطيب نفسا أن يخرج نفسه من هذا الأمر؟ وذكر قريبا مما تقدم.

ثم جلس عثمان في جانب المسجد بعد بيعته، ودعا عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وكان قتل [قاتل] أبيه أبا لؤلؤة، وقتل جفينة رجلا نصرانيا من أهل الحيرة، كان ظهيرا لسعد بن مالك، وقتل الهرمزان، فلما ضربه بالسيف قال: لا إله إلا الله! فلما قتل هؤلاء أخذه سعد بن أبي وقاص وحبسه في داره وأخذ سيفه وأحضره عند عثمان، وكان عبيد الله يقول: والله لأقتلن رجالا ممن شرك في دم أبي، يعرض بالمهاجرين والأنصار، وإنما قتل هؤلاء النفر لأن عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة قتل عمر: رأيت عشية أمس الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون، فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، وهو الخنجر الذي ضرب به عمر، فقتلهم عبيد الله. فلما أحضره عثمان قال: أشيروا علي في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق! فقال علي: أرى أن تقتله. فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم! فقال." (١)

"عمرو بن العاص: إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان. فقال عثمان: أنا وليه، وقد جعلتها دية وأحتملها في مالي. وكان زياد بن لبيد البياضي الأنصاري إذا رأى عبيد الله يقول:

ألا يا عبيد الله ما لك مهرب ... ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر

أصبت دما والله في غير حله ... حراما وقتل الهرمزان له خطر

على غير شيء غير أن قال قائل ... أتتهمون الهرمزان على عمر

فقال سفيه، والحوادث جمة

:

نعم اتهمه قد أشار وقد أمر ... وكان سلاح العبد في جوف بيته

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢/٤٤٧

يقلبها والأمر بالأمر يعتبر

فشكا عبيد الله إلى عثمان زياد بن لبيد، فنهى عثمان زيادا، فقال في عثمان:

أبا عمرو عبيد الله رهن ... فلا تشكك بقتل الهرمزان

فإنك إن غفرت الجرم عنه ... وأسباب الخطا فرسا رهان

أتعفو إذ عفوت بغير حق ... فما لك بالذي تحكي يدان

فدعا عثمان زيادا فنهاه وشذبه

وقيل في فداء عبيد الله غير ذلك، قال الغماذيان بن الهرمزان: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، (فمر فيروز أبو لؤلؤة بالهرمزان ومعه **خنجر**) له رأسان فتناوله منه وقال: ما تصنع به؟ قال: أسن به. فرآه رجل، فلما أصيب عمر قال: رأيت الهرمزان دفعه إلى فيروز، فأقبل عبيد الله فقتله، فلما ولي عثمان أمكنني منه، فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، إلا أنهم يطلبون إلي فيه، فقلت لهم: ألي قتله؟ قالوا: نعم، وسبوا عبيد الله، قلت لهم: أفلكم منعة؟ قالوا: لا، وسبوه، فتركته لله ولهم، فحملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رءوس الناس.

والأول أصح في إطلاق عبيد الله لأن عليا لما ولي الخلافة أراد قتله، فهرب منه إلى معاوية بالشام، ولو كان إطلاقه بأمر ولي الدم لم يتعرض له علي.

ذكر عدة حوادث." (١)

"فجاء يوما صعصعة وبحير عند المهلب عليه قميص ورداء، فقعد خلفه، ودنا منه كأنه يكلمه، فوجأه **بخنجر** معه في خاصرته، فغيبه في جوفه، ونادى: يا لثارات بكير! فأخذ وأتي به المهلب، فقال له: بؤسا لك! ما أدركت بثأرك وقتلت نفسك، وما على بحير بأس. فقال: لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا، ولقد وجدت ريح بطنه في يدي. فحبسه، فدخل عليه قوم من الأبناء فقبلوا رأسه. ومات بحير من الغد، فقال صعصعة لما مات بحير: اصنعوا الآن ما شئتم، أليس قد حلت نذور أبناء بني عوف وأدركت بثأري؟ والله لقد أمكنني منه خاليا غير مرة فكرهت أن أقتله سرا. فقال المهلب: ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت من هذا. وأمر بقتله فقتل.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٤٨/٢

وقيل: إن المهلب بعثه إلى بحير قبل أن يموت، فقتله، ومات بحير بعده.

وعظم موته على المهلب، وغضبت عوف والأبناء وقالوا: علام قتل صاحبنا، وإنما أخذ بثأره؟ فنازعهم مقاعس والبطون، وكلهم بطون من تميم، حتى خاف الناس أن يعظم الأمر، فقال أهل الحجى: احملوا دم صعصعة، واجعلوا دم بحير ببكير، فودوا صعصعة، فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة:

لله در فتى تجاوز همه ... دون العراق مفاوزا وبحورا

ما زال يدئب نفسه وركابه ... حتى تناول في الحروب بحيرا

ذكر دخول الديلم قزوين وما كان منهم

كانت قزوين ثغر المسلمين من ناحية ديلم، فكانت العساكر لا تبرح مرابطة بها، يتحارسون ليلا ونهارا، فلما كان هذه السنة كان في جماعة من رابط بها محمد بن أبي سبرة الجعفي، وكان فارسا شجاعا عظيم الغناء في حروبه، فلما قدم قزوين رأى الناس يتحارسون فلا ينامون الليل، فقال لهم: أتخافون أن يدخل عليكم العدو مدينتكم؟ قالوا: نعم. قال: لقد أنصفوكم إن فعلوا، افتحوا الأبواب ولا بأس عليكم. ففتحوها. وبلغ ذلك الديلم فساروا إليهم وبيتوهم وهجموا إلى البلد، وتصايح الناس، فقال ابن أبي سبرة: أغلقوا أبواب المدينة علينا وعليهم، فقد أنصفونا وقاتلوهم.

فأغلقوا." (١)

"وفيها طعن عقبة بن سلم الهنائي، اغتاله رجل **بخنجر**، فمات ببغداذ.

وكان على اليمن: سليمان بن يزيد الحارثي، وعلى اليمامة: عبد الله بن مصعب الزبيري، وكان على البصرة: محمد بن سليمان، وعلى قضائها: عمر بن عثمان التيمي، وعلى الموصل: أحمد بن إسماعيل الهاشمي، وقيل موسى بن كعب، وباقي الأمصار كما تقدم.

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفي جعفر الأحمر أبو شيبة، والحسن بن صالح بن حي وكان شيعيا عابدا، وسعيد بن عبد العزيز التنوخي، وحماد بن سلمة، وعبد العزيز بن مسلم.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٨٧/٣

وفيها أفسد العرب في بادية البصرة بين اليمامة والبحرين، وقطعوا الطريق، وانتهكوا المحارم، وتركوا الصلاة، فأرسل المهدي إليهم جيشا، فقاتلهم، واشتد القتال، وصبر العرب، فظفروا، وقتلوا عامة العسكر المنفذ إليهم فقويت شوكتهم وزاد شرهم.." (١)

"مع اصفرار الشمس، فنزل فجلس ونحن صيام.

وكانت الخيل قد تقطعت لأنه ركب بغير علم الناس، فعلموا بعد مسيره. قال: وصلينا المغرب، وأقبل الليل، وإذا بفرسان بين أيديهم الشمع مشتعلا، مقبلين من طريق لبورة، فقال الحسن: أين طريق لبورة؟ فقلت: أرى عليه فرسانا ونيرانا، وأنا داهش لا أقف على حقيقة الأمر، حتى قربت (النيران فنظرت) ، فإذا المازيار مع القوهيار، فنزلا، وتقدم مازيار فسلم على الحسن، فلم يرد عليه السلام، وقال لرجلين من أصحابه: خذاه إليكما، فأخذاه، فلما كان السحر وجه الحسن مازيار معهما إلى سارية، وسار الحسن إلى هرمزاباذ، فأحرق قصر مازيار، ونهب ماله، وسار إلى خرماباذ، وأخذ إخوة مازيار فحبسوا هنالك، ووكلوا بهم، وسار إلى مدينة سارية، فأقام بها، وحبس مازيار.

ووصل محمد بن إبراهيم بن مصعب إلى الحسن بن الحسين، فسار به ليناظره في معنى المال الذي لمازيار وأهله، فكتب إلى عبد الله بن طاهر، فأمر الحسن بتسليم مازيار وأهله إلى محمد بن إبراهيم ليسير بهم إلى المعتصم، وأمره أن يستقصي على أموالهم ويحرزها، فأحضر مازيار وسأله عن أمواله، فذكر أنها عند خزانه، وضمن قوهيار ذلك، وأشهد على نفسه، وقال مازيار: اشهدوا علي أن جميع ما أخذت من أموالي ستة وتسعون ألف دينار، وسبع عشرة قطعة زمرد، وست عشرة قطعة ياقوت، وثمانية أحمال من ألوان الثياب، وتاج، وسيف مذهب مجوهر، **وخنجر** من ذهب مكلل بالجوهر، وحق كبير مملوء جوهرا، قيمته ثمانية عشر ألف ألف درهم، وقد سلمت ذلك إلى خازن عبد الله بن طاهر، وصاحب خبره على العسكر.

وكان مازيار قد استخلف هذا ليوصله إلى الحسن بن الحسين ليظهر للناس والمعتصم أنه آمنه على نفسه، وماله، وولده، وأنه جعل له جبال أبيه، فامتنع الحسن من قبوله، وكان أعف الناس.

فلما كان الغد أنفذ الحسن مازيار إلى المعتصم مع يعقوب بن المنصور، ثم أمر الحسن قوهيار أن يأخذ بغاله ليحمل عليها مال مازيار، فأخذها، وأراد الحسن أن ينفذ معه جيشا، فقال: لا حاجة لي بهم.." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٤٩/٥

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٦/٦

"ومن امتنع من ذلك، ضربه الديلم بالمقارع حتى يطيع، ففعلوا ذلك بهم، وكانت صورة قبيحة، يأنف منها أحقر الناس.

ثم ركب هو بنفسه مع خاصته، وهو يتوعد الأتراك، حتى صار إلى داره قرب العشاء، وكان قد ضرب قبل ذلك جماعة من أكابر الغلمان الأتراك، فحقدوا عليه وأرادوا قتله، فلم يجدوا أعوانا، فلما جرت هذه الحادثة انتهزوا الفرصة، وقال بعضهم: ما وجه صبرنا على هذا الشيطان؟ فاتفقوا وتحالفوا على الفتك به، فدخل الحمام، وكان كورتكين يحرسه في خلواته وحمامه، فأمره ذلك اليوم أن لا يتبعه، فتأخر عنه مغضبا، وكان هو الذي يجمع الحرس، فلشدة غضبه لم يأمر أحدا أن يحضر حراسته، وإذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه.

وكان له أيضا خادم أسود يتولى خدمته بالحمام، فاستمالوه فمال إليهم، فقالوا للخادم: ألا يحمل معه سلاحا؟ ، وكانت العادة أن يحمل معه **خنجرا** طوله نحو ذراع ملفوفا في منديل، فلما قالوا ذلك للخادم قال: ما أجسر؛ فاتفقوا على أن كسروا حديد **الخنجر**، وتركوا النصاب في الغلاف بغير حديد، فلفوه في المنديل كما جرت العادة لئلا ينكر الحال.

فلما دخل مرداويج الحمام، فعل الخادم ما قيل له، وجاء خادم آخر وهو أستاذ داره، (فجلس على باب الحمام، فهجم الأتراك إلى الحمام، فقام أستاذ داره) ليمنعهم، وصاح بهم، فضربه بعضهم بالسيف فقطع يده، فصاح بالأسود وسقط، وسمع مرداويج الضجة، فبادر إلى **الخنجر** ليدفع به عن نفسه، فوجده مكسورا، فأخذ سريرا من خشب كان يجلس عليه إذا اغتسل، فترس به باب الحمام من داخل، ودفع الأتراك الباب، فلم يقدروا على فتحه، فصعد بعضهم إلى السطح، وكسروا الجامات، ورموه بالنشاب، فدخل البيت الحار، وجعل يتلطفهم ويحلف لهم على الإحسان، فلم يلتفتوا إليه، وكسروا باب الحمام ودخلوا عليه فقتلوه.." (١)

"ورحل بهاء الدولة إلى قنطرة أربق، عازما على المسير إلى فارس، ودخل أبو العباس إلى دار المملكة وأخذ ما فيها من الأمتعة والأثاث المتخلف عن بهاء الدولة، إلا أنه لم يمكنه المقام لأن بهاء الدولة كان قد جهز عسكرا ليسير في البحر إلى البصرة، فخاف أبو العباس من ذلك، وراسل بهاء الدولة، وصالحه وزاد في أقطاعه، وحلف كل واحد منهما لصاحبه، وعاد إلى البصرة، وحمل معه كل ما أخذه من دار بهاء الدولة ودور الأكابر والقواد والتجار.

ذكر غزوة بهاطية

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٥/٧

في هذه السنة غزا يمين الدولة بهاطية من أعمال الهند، وهي وراء المولتان، وصاحبها يعرف ببحيرا، وهي مدينة حصينة، عالية السور، يحيط بها خندق عظيم، فامتنع صاحبها بها، ثم إنه خرج إلى ظاهرها، فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع، وطلب المدينة ليدخلها، فسبقهم المسلمون إلى باب البلد فملكوه عليهم، وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم، فقتل المقاتلة وسبيت الذرية وأخذت الأموال.

أما بحيرا فإنه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته وسار إلى رءوس تلك الجبال، فسير إليه يمين الدولة سرية، فلم يشعر بهم بحيرا إلا وقد أحاطوا به، وحكموا السيوف في أصحابه، فلما أيقن بالعطب أخذ **خنجرا** معه فقتل به نفسه، وأقام يمين الدولة ببهاطية حتى أصلح أمرها، ورتب قواعدها، وعاد عنها إلى غزنة، واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها وما يجب عليهم تعلمه، ولقي في عوده شدة شديدة من الأمطار وكثرتها، وزيادة الأنهار، فغرق منه من عسكره عظيم.." (١)

"واتصل بفخر الملك، فاتهمه القادر بالله لأنه من مصر، فأبعده فخر الملك، فقصد قرواشا بالموصل، فكتب له، ثم عاد عنه وتنقلت به الحال إلى أن وزر بعد مؤيد الملك الرخجي.

وكان خبيثا، محتالا، حسودا، إذا دخل عليه ذو فضيلة سأله عن غيرها ليظهر للناس جهله.

وفيها، في المحرم، قدم مشرف الدولة إلى بغداذ، ولقيه القادر بالله في الطيار، وعليه السواد، ولم يلق قبله أحدا من ملوك بني بويه.

وفيها قتل أبو محمد بن سهلان، قتله نبكير بن عياض عند إيذج.

ذكر الفتنة بمكة

في هذه السنة كان يوم النفر الأول يوم الجمعة، فقام رجل من مصر، بإحدى يديه سيف مسلول، وفي الأخرى دبوس، بعدما فرغ الإمام من الصلاة، فقصد ذلك الرجل الحجر الأسود كأنه يستلمه، فضرب الحجر ثلاث ضربات بالدبوس، وقال: إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد وعلي؟ فليمنعني مانع من هذا، فإني أريد [أن] أهدم البيت. فخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه. وكاد يفلت فثار به رجل فضربه **بخنجر** فقتله، وقطعه الناس وأحرقوه، وقتل ممن اتهم بمصاحبته جماعة وأحرقوا، وثارت الفتنة، وكان الظاهر من القتلى

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٣٩/٧

أكثر من عشرين رجلا غير من اختفى منهم.

وألح الناس، ذلك اليوم، على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب، وعلى." (١)

"ولما كان الحادي والعشرون من رمضان قدم الملك العادل من القدس، وفي هذا التاريخ وصل كتاب من الديوان العزيز النبوي يذكر فيه قصد الملك المظفر تقي الدين خلاط ويذكر فيه العناية التامة ببكتمر ويشفع في حسن بن قفجاق والتقدم بإطلاقه، وكان قد قبض عليه مظفر الدين بن زين الدين بإربل ويتقدم بمسير القاضي الفاضل إلى الديوان لبث حال وفصل أمر وسير الكتاب إلى الفاضل ليقف عليه ويكتب إلى تقي الدين.

ذكر أخبار يزك كان على عكا

ولصوص دخلوا في خيام العدو

ولما كان الثاني والعشرون أحضر لصوص فرسا وبغلة قد دخلوا إلى خيم العدو وسرقوهما، وكان قد رتب رحمه الله ثلاثمائة لص من شلوح العرب يدخلون ويسرقون منهم أموالهم وخيولهم ويسرقون الرجال أحيانا، وذلك أنه يكون الواحد منهم نائما فيوضع على حلقه **الخنجر** ثم يوقظ فيرى الشلح وقد وضع **الخنجر** على نحره فيسكت ولا يتجاسر أن يتكلم فيحمل وهو على هذا الوضع إلى أن يخرج من الخيم ويؤخذ أسيرا، وتكلم منهم جماعة." (٢)

"الذي يقول: منسرح:

كأن طرف المحب حين يرى ... حبيبه **خنجر** على كبده

قد يكره الشيء وهو منفعة ... ويطرف المرء عينه بيده

وله: بسيط:

كان شهري ربيع يوم ضحكته ... ويوم عبسته أيام تشرين

١٨٧ - محمد بن حامد القيرواني أبو عبد الله

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦٧٥/٧

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ٢٨٨/١

شاعر مجيد، خرج عن القيروان إلى الديار المصرية، وكان نزه النفس عن قصد الأداني، أنبأنا شهاب بن محمود الهروي، أخبرنا عبد الكريم بن محمد السمعاني، أنشدنا أبو الفتوح محمد بن الفضل المهرجاني بدرب زاخي، أنشدنا أبو القاسم نصر بن محمد بن علي بن زيرك الهمذاني بهمذان، أنشدنا والدي أبو بكر عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحد بن روزبه الفارسي، أنشدنا أبو عبد الله محمد بن حامد القيرواني بدمياط: خفيف:

فاسأل العرف إن أردت كريمايعرف العز والغنى واليسارا

فقليل الكريم يورث مجدا ... وكثير اللئيم يورث عارا

وإذا لم يكن من الذل بدفالق بالذل إن لقيت الكبارا

ليس إجلالك الكبار بذل ... إنما الذل أن تجل الصغارا

١٨٨ - محمد بن حمران بن أبي حمران الجعفي، لقبه الشويعر

لقبه بذلك بيت شعر قاله فيه امرؤ القيس بن حجر الكندي." (١)

"لقد غنيت أدهرا وأدهرا ... سكران لا آلف إلا المسكر

ولا أرى المعروف إلا المنكرا ... فان يكن سري قد تسررا

عنى وعاد الصفو مني كدرا ... وصرت هما حنفا مكسرا

وخان عيني ناظري وسكرا ... وطال ما كنت غضيضا أحورا

وطالما كنت فتى حزورا ... مزعفرا معطرا معنبرا

أسحب بردا وأجر مئزرا ... إذا مشيت للصبى التبخترا

ثم ضممت الكف إلا الخنصرا ... وقد حملت للمجون خنجرا

وظلت الكاعب تلحى المعصرا ... وهي ترى في كمثل ما ترى

سقيا لذاك ما ألذ منظرا ... بدلت بالنوم الطويل السهرا

ومت لا موتا ولكن كبرا ... ومن وقار المرء أن يوقرا

لزاجر من المشيب زجرا ... أن يألف العرف ويأبى المنكرا

---

(١) المحمدون من الشعراء القفطي، جمال الدين ص/٢١٧

٣١٤ - محمد بن سعيد بن ضضم بن الصلت بن المثنى بن المحلق الكلابي، أبو مهدي شاعر، وأبوه ضمضم الكلابي شاعر، وهو أعرابي فصيح، مدح محمد." (١)

"سرقسطة حين فرق المعتضد بالله بينه وبين المعتمد -لأنه شغله عن كثير من أمره فنفاه- وهي: من الطويل

علي، وإلا ما بكاء الغمائم ... وفي، وإلا ما نياح الحمائم

وعني أثار الرعد صرخة طالب ... لثأر وهز البرق صفحة صارم١

وما لبست زهر النجوم حدادها ... لغيري، ولا قامت له في مآتم٢

وفي هذه القصيدة يقول -يمدح المعتضد بالله-:

إذا ركبوا فانظره أول طاعن ... وإن نزلوا فارصده آخر طاعم٣

أبى أن يراه الله إلا مقلدا ... حميلة سيف أو حمالة غارم٤

ومن جيد نسيبه قوله في قصيدة يمدح بها المعتضد بالله: من الكامل

جاه الهوى -فاستشعروه- عاره ... ونعيمه -فاستعذبوه- أواره٥

لا تطلبوا في الحب عزا إنما ... عبدانه في حكمه أحراره٦

قالوا: أضربك الهوى فأجبتهم ... يا حبذاه وحبذا إضراره

قلبي هو اختار السقام لجسمه ... زيا، فخلوه وما يختاره

عيرتموني بالنحول وإنما ... شرف المهند أن ترق شفاره٧

وشمتم لفراق من آلفته ... ولربما حجب الهلال سراره٨

أحسبتم السلوان هب نسيمه ... أو أن ذاك النوم عاد غراره٩

إن كان أعيا القلب من حرب الجوى ... خذلته من دمعى إذا أنصاره١٠

١- الصارم: السيف القاطع.

٢- النجوم الزهر: المتلألئة.

---

(١) المحمدون من الشعراء القفطي، جمال الدين ص/٣٥١

٣- رصده رصدا ورصدا: رقبه.

٤- في رواية:

"أبى أن يراه الله غير مقلد

حمالة سيف............"

الحميلة: علاقة السيف ونحوه. الحمالة: الدية، أو الغرامة يحملها قوم عن قوم.

٥- الجاه: المنزلة والقدر. الأوار: اللهب، أو حر الشمس والنار.

٦- العبدان: العبيد، الواحد: عبد.

٧- المهند: السيف المصنوع في الهند. الشفار: جمع الشفرة: ما عرض وحدد من الحديد، كحد السيف والسكين والخنجر وغير ذلك.

٨- السرار: سرار الشهر: آخر ليلة فيه، ويقال: استسر القمر: خفي ليلة السرار.

٩- السلوان: النسيان مع طيب نفس. الغرار: القليل من النوم.

١٠- أعيا: تعب. الجوى: حرقة الحب والوجد.." (١)

"ذكر تحرك السلطان نحو سينوب وفتحها فى عهده المبارك

حين أطل وجه الربيع من وراء نقاب السحاب المضمخ بالكافور وبسط فراشو (١) الطبيعة بساطا متعدد الألوان على وجه الجبال والصحاري حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت (٢)، خطر للسلطان أن يتوجه إلى «سيواس»، فوجه عنان من يزدان به العالم إلى تلك الناحية.

وبينما كان السلطان جالسا ذات يوم في محفل ملكي وصل فجأة رسل من محافظي ثغور «سينوب» وسلموا رسالة مختومة لحضرة السلطان بأن «كيرالكس» تكور «جانيت» قد بالغ في الجناية، وتوغل في ممالك السلطان، وأحدث الكثير من التخريب والدمار. ورغم أن السلطان قد استبد به الانفعال بسماع ذلك الخبر، فقد تجنب إظهار انفعاله كي لا يفسد متعة الرفاق.

وفي اليوم التالي دعا بالأمراء وفاتحهم في الأمر، فأبعدوا النجعة بأسرهم في بيداء الغضب وغيضة الغيظ، وقالوا: لو أذن لنا سلطان العالم فإن خنجر مماليك السلطنة المتعطش لدماء الخبثاء يروى من مقسم المفرق في رأس ذلك الحقير، ويصبح ما زرع ببلاده حصيدا لمنجل القهر الذى تمسك به الجنود المنصورة.

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي ص/٨٦

فسأل السلطان بعض من كانوا قد رأوا «سينوب»، فأجابوا بأنه لا يمكن أخذها بالحرب، اللهم إلا إذا حوصرت زمنا طويلا حتى يلحق بأهلها الملل لقلة المؤن ونفاد الزاد، وألا يصل إليهم مدد من البر أو البحر، فعند ذاك وبهذه الوسيلة

---

(١) في الأصل: فراشان: أى الفراشون، و «الفراش: من يتولى أمر الفراش وخدمته ..

إلخ» اختاره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، انظر المعجم الوسيط.

(٢) يونس: الآية ٢٤.." (١)

"رطب اللسان بقول الله تعالى: وإن جندنا لهم الغالبون (١).

وذات يوم قال السلطان: ينبغي الوقوف بكل جدية أمام جيش الشام عند الصبح، ولنفصل في هذا الخصام بحكم الحسام. فأخذوا في التأهب والاستعداد طول الليل. وفي السحر حين ركب قائد السيارات حصان الفلك الأسود، وجرد في معرض ميدان الأفق الشرقي **خنجرا** من شعاع جال مسرعا هنا وهناك، لبس السلطان بنفسه لأمة الحرب، وراح الأمراء الكبار بأسرهم في الحديد، وولوا وجوههم صوب الخصم فرووا السيوف زمنا بأوداج الأعداء.

ولم تكن الحرب العوان قد كشفت عمن كان النصر معوانا له ومن لحق به الخذلان، ولم يكن الكاسر قد سلب المنكسر كرة الظفر حتي شوهد فارس أقبل ثم وضع رأسه على الأرض، وقال: أيها المليك، تولت عداك (٢) فعند الصبح سلك الملك الكامل مع إخوته طريق الشام، ففرح السلطان بتلك البشارة.

وأراد الملك الكامل وإخوته الدخول من طريق «دوزخ دره» «وباغنبك»، وكانت العساكر المنصورة تحرس هذين الممرين، فلما بلغوهما وبدا من المتعذر فتح ثغرة في الحصار المضروب اضطروا إلى التنادي بالمثل القائل «الفرار بقراب أكيس» (٣)، واتجهوا إلي طريق حصن «منصور»، فلما بلغوه أضرموا النار في القلعة وخربوها، وولوا وجوههم شطر مصر والقاهرة خوفا من بأس الدولة القاهرة:

وكفى الله المؤمنين القتال (٤).

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٧٣.

---

(١) أخبار سلاجقة الروم = مختصر سلجوقنامه مجهول - من أهل القرن السابع الهجري ص/٦٥

(٢) إضافة من أ. ع. ص ٤٣٨.
(٣) المثل العربي: «أن ترد الماء بماء أكيس».
(٤) الأحزاب: الآية ٢٥.." (١)

"وبعد ذلك اتفق أمير المجلس مع السلطان على أنه إذا ما حضر «كوبك» مجلس الأنس، يدفع السلطان الأنخاب لأمير الحرس فيحتسيها، ويستأذن في الخروج بحجة الرغبة في التبول، ويكون مع رفاقه مترصدين خروج «كوبك»، فإذا خرج أعملوا فيه السيف، وخلصوا العالم من بلائه. فشرب أمير الحرس الأنخاب وجلس في الدهليز يترصد خروجه، فلما خرج «كوبك» نهض واقفا احتراما له، فلما مر من أمامه أراد أن يضربه على قفاه بالعصا، فسقط العصا علي كتفه، فأمسك برقبة أمير الحرس، فسحب «طغان» أمير العلم سيفه وجرى خلف كوبك [فجرحه] فألقى بنفسه- خوفا على حياته- في «شرابخانة» السلطان، فلما رآه السقاة مضرجا بدمه تجمعوا عليه وبيد كل منهم سكين أو سيف أو **خنجر**/ وانتزعوا روحه النجسة ونفسه الخبيثة من جسده وألقوا بها في دركات الجحيم.

ولما أرسلوا روحه إلى سجين، أمر السلطان بتعليق جثته النجسة في مكان مرتفع كي تصبح عبرة لأولى الأبصار: فجعلوا أجزاء أعضائه في قفص حديدي، وعلقت في حبل متدل، وكان السلطان علاء الدين قد علق على نفس الحبل من كان لقبه «كمال» مشرف «قباد آباد» بسبب خبث «كوبك» وسعايته، فظلت جثة «كمال» معلقة هناك، وكان السلطان [علاء الدين] قد غضب على «كمال» وتعجل في عقوبته، فتملكه الندم فور تنفيذ العقوبة، وأخذ أقرباء كمال وعشيرته يتضرعون لإنزاله من هناك ودفنه، لكن السلطان كان يقول: والله لا ينزل حتى يعلق حاسده وقاصده مكانه (١).

---

(١) قارن أ. ع، ٤٨٢.." (٢)

"**والخنجر** القاطع، وبهجمة تصيد الأرواح أطاحوا بأربعة آلاف رجل من الخوارج، فلجأ بعض أولئك المدبرين إلى الأحمال والأطفال والعيال/، [فأقاموا ساترا من الأمتعة، كي يطلقوا من ورائه بالسهام] (١)، وأخذوا بما معهم من أقواس شديدة يلصقون الرجل في الشجرة بالسهم، فأحاط بهم الجند من كل ناحية،

---

(١) أخبار سلاجقة الروم = مختصر سلجوقنامه مجهول - من أهل القرن السابع الهجري ص/٢٣١
(٢) أخبار سلاجقة الروم = مختصر سلجوقنامه مجهول - من أهل القرن السابع الهجري ص/٢٦٠

ورفعوا الحجب والسواتر من أمام أولئك الكفرة (٢)، فشتتوا شملهم وبددوا جمعهم ثم أعملوا فيهم السيوف إعمالا، وأجروا الدماء أنهارا في الصحراء من أتباع الشيطان أولئك ولم يبقوا على كبير أو يحابوا شابا.

وحين وصل الجيش الكبير، كان أمراء الطلائع قد فرغوا من الأمر برمته، ولم يبقوا على أحد حيا إلا الأطفال ذوي السنتين أو الثلاث. وسيروا في الحال الرسل إلى حضرة السلطنة، وقسموا نساء الخوارج وأطفالهم وأمتعتهم فيما بينهم بعد إفراز خمس الخاص، وعادت العساكر- وفقا للحكم- إلى الأوطان، بينما لحق الأمراء بحضرة السلطنة.

...

---

(١) العبارة ل أ. ع، ٥٠٣، وعبارة الأصل مضطربة للغاية.

(٢) قارن أ. ع، أيضا ٥٠٣.." (١)

"الخزائن والأموال للبلاط الخاني في صحبة «أبي بكر الجويني» أمير العارض (١)، فخلا بذلك قصره- وفقا للحكم السماوي- من الحماة والحراس.

وفي هذا الوقت نفسه وصل الخبر بأن الملك «ركن الدين» قد عاد من خدمة [الخان الأعظم]، وأنه منحه السلطنة. وأن الأمراء الملازمين لموكبه قد خامرتهم فكرة التآمر على الصاحب، وأن أحكاما صدرت بالنفاذ في هذا الصدد.

وأن «صارم الدين اليسارو» [الخازن] و «فخر الدين سيواستوس» [غلام والدة السلطان غياث الدين] (٢) سيلحقان بهم ومعهما مرسوم بالقبض على الصاحب.

وأرسل جلال الدين قراطاي وابن الطوسي إلى الصاحب: حتى ولو وصل مثل هذا الحكم فإننا نعد سيدنا الصاحب حاكما وقدوة لنا. إلا أنه ينبغي عليه أن يتفضل من الآن فصاعدا بترك التبوش (٣)، ويأتي إلى الديوان بغلام أو غلامين أحدهما «دواتدار» (٤) والآخر «سرموزه دار» (٥).

ففر الاطمئنان من قلب الصاحب وزايله الهدوء بسبب تلك الرسالة، وأيقن في قرارة نفسه أن الحساد والأضداد يسعون للقبض عليه وإهلاكه. فلبس تشريفة «صاين خان»، ونصب بضعة غلمان كان يمتلكهم على الباب والسور. وأرسل

---

(١) أخبار سلاجقة الروم = مختصر سلجوقنامه مجهول - من أهل القرن السابع الهجري ص/٢٧٥

(١) قارن أ. ع، ٥٨٤.

(٢) إضافة من أ. ع، أيضا.

(٣) في الأصل: حواشى، وفي أ. ع ٥٨٤: بواشى، كلمة عربية، والتبوش يعني الإكثار من الاختلاط بالناس.

(٤) كذا في الأصل دواتدار، ومعناه حامل الدواة، منشئ، كاتب.

(٥) كذا في الأصل: سرموزه دار: وهو من يلبس الجرموق ويسمح له بأن يحمل **خنجرا** فوق رقبة حذائه. (برهان قاطع)، وانظر أيضا فيما سبق ص ١٣٧ هامش ٢.." (١)

"من فرط الغضب:

أيها القلب، لئن كنت واقعا في هوى الأرمن ... فأكون امرأة لو لم أخل ساحتك من الحزن (١)

ويا أيها الفلك، إن لم أتحايل لأطرد ... الثور من البيدر كنت أنا في البيدر (٢)

وغدا اسم ملك الأرمن من أجل ذلك البخل سمرا يسمر به الناس. وفي مثل هذه الأوقات تكون رعاية ولي النعمة شرطا لازما من شروط المروءة. ولو كان قد بعث إلي بكتاب في هذا الصدد، لكنت قد بذلت كل ما في ملكي».

وحين نال الصاحب الإذن من «پروانه» أرسل إلى السلطان رسالة جوابية مع بضعة أثواب ومشربة ذهبية وزنها خمسمائة مثقال وطرائف أخرى.

وبعد مدة بدأ الأضداد السعاية بين «پروانه» والصاحب، وحثوا پروانه على حبسه وإذلاله وقيده والتنكيل به، لكنه كان يخشى ويحتاط من ناحية الأمير «تاج الدين حسين» / ولد الصاحب، وكان لا نظير له في قيادة الجند والطعن **بالخنجر** والافتتان بالحياة العسكرية والسخاء. فقال شرف «ولد الخطير»: أنا أكفيكم أمره فأدعوه إلى وليمة في بيتي، فإن عزم على الخروج منعته.

(١) كذا في أ. ع، ٦٥٣، ومجمع الفصحاء، لرضا قلي خان، طبع طهران، ١٢٩٥ هـ، ١: ٣٧: خالى

(١) أخبار سلاجقة الروم = مختصر سلجوقنامه مجهول - من أهل القرن السابع الهجري ص/٣١٩

نكنم از تو حزن زن باشم. وفي الأصل: خالى نكنم زارزن ارزن باشم، ولا معنى لها يعتد به.

(٢) يعني أنه إن لم يفعل يصبح عرضة لأن يدوس عليه الثور في البيدر كالغلال ونحوها.." (١)

"ورثت هدى التذكار من قبل جرهم ... أوان ترقت في السماء النعائم

وما زلت للدين القويم دعامة ... إذا قلقت من حامليه الدعائم

ولابن معمعة قصيدة في ديك منها:

لي ديك حضنته وهو في البي ... ضة من منصب كريم الخيم

يأكل العفو كيف ما شاء من ما ... لي كأكل الوصي مال اليتيم

أبيض اللون أفرق العرف نظا ... ر بعين كأنها عين ريم

وعلى نحره وشاحان من شذ ... ر نثير ولؤلؤ منظوم

رافع راية من الذنب المش ... رف يسعى بها كسعي الظليم

وإذا ما مشى التبهنس مشي ال ... طرب المنتشي من الخرطوم

وسم الأرض وسم طين كتاب ... بخواتيم كاتب مختوم

وله خنجران في قصب السا ... قين قد ركبا لحفظ الحريم

وعليه من ريشه طيلسان ... صيغ من صنعة اللطيف الحكيم

وإذا ما رأيته بين خمس ... من دجاجاته كبار الجسوم

قلت ملك يخدمنه فتيات ... يتهادين بين زنج وروم

وترى عرفه فتحسبه التا ... ج على رأس كسروي كريم

ثاقب العلم بالمواقيت ليلا ... ونهارا وحاذق بالنجوم

ويحث الجيران حولي على الب ... ر كحث المدير كأس النديم." (٢)

"فبرزت إليه، فصاح وكبرت فصرعنى، فنظرت إلى خنجر فى قبائه، فأخذته وطعنته به، وعليه سواران ومنطقة، فقتلته فأخذته وأتيت به سعدا، فخطب الناس وقص قصته، وقال: إن سلبه بلغ اثنى عشر ألفا، وقد نفلناكه فكله هنيئا مريئا.

---

(١) أخبار سلاجقة الروم = مختصر سلجوقنامه مجهول - من أهل القرن السابع الهجري ص/٣٧٠

(٢) تحفة القادم ابن الأبار ص/٨٩

٢٤٥ - شبرمة:

بضم الشين والراء. مذكور فى الحج من المختصر والمهذب. ذكره ابن مندة، وأبو نعيم فى الصحابة، قالا: هو صحابى. توفى هو فى حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولم ينسباه، ولم يزيدا فى حاله.

٢٤٦ - شبل بن معبد الصحابى:

تكرر ذكره فى المهذب فى كتاب الشهادات، هو أحد الثلاثة الذين شهدوا بالزنا، وهو شبل بن معبد، وقيل: ابن خليد، وقيل: ابن خالد. قال الطبرى: شبل بن معبد بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن على بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار البجلى، وهو أخو أبى بكرة لأمه، وهم أربعة أخوة لأم اسمها سمية، وهم الشهود.

٢٤٧ - شداد بن أوس الصحابى، رضى الله عنه (١) :

مذكور فى المهذب فى أول الصيد والذبائح، وفى أوائل باب استيفاء القصاص. هو أبو يعلى، وقيل: أبو عبد الرحمن شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حزام، وهو ابن أخى حسان بن ثابت شاعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو أنصارى نجارى مدنى، سكن بيت المقدس، وأعقب به.

روى له عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمسون حديثا، روى البخارى منها حديثا ومسلم آخر. روى عنه ابنه يعلى وجماعة من التابعين. توفى ببيت المقدس سنة ثمان وخمسين، وقيل: إحدى وأربعين، وقيل: أربع وستين، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقبره بظاهر باب الرحمة باق إلى الأن، وحديثه المذكور فى المهذب: "إذا قتلتم فأحسنوا القتلة" (٢) . رواه مسلم. قالوا: وكان شداد عالما، حليما، كثير العبادة، والورع، والخوف من الله تعالى.

٢٤٨ - شرحبيل ابن حسنة الصحابى، رضى الله عنه:

مذكور فى المهذب فى كتاب السير فى قتل الشيخ الذى فيه رأى. وحسنة أمه، واسم أبيه عبد الله

---

(١) طبقات ابن سعد (٤٠١/٧) ، والتاريخ الكبير للبخارى (٢٥٩١/٤) ، والجرح والتعديل (١٤٣٤/٤) ، والاستيعاب (٦٩٤/٢) ، وأسد الغابة (٣٨٧/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٤٦٠/٢) ، والكاشف (٢٢٦٥/٢) ، وتاريخ الإسلام (١٨/٣) ، وتهذيب التهذيب (٣١٥/٤) ، والإصابة (٣٨٤٧/٢) . تقريب التهذيب (٢٧٥٢) ، وقال: "صحابي مات بالشام قبل الستين أو بعدها وهو ابن أخ حسان ابن ثابت

ع"..
(٢) أخرجه الطيالسى (ص ١٥٢، رقم ١١١٩) ، وأحمد (١٢٣/٤، رقم ١٧١٥٤) ، والدارمى (١١٢/٢، رقم ١٩٧٠) ، ومسلم (١٥٤٨/٣، رقم ١٩٥٥) ، وأبو داود (١٠٠/٣، رقم ٢٨١٥) ، والترمذى (٢٣/٤، رقم ١٤٠٩) ، وقال: حسن صحيح. وابن أبى شيبة (٤٥٥/٥، رقم ٢٧٩٢٩) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٨٢/٧، رقم ١١٠٧١) . وأخرجه

أيضا: النسائى (٢٢٧/٧، رقم ٤٤٠٥) ، وابن ماجه (١٠٥٨/٢، رقم ٣١٧٠) ، والطبرانى (٢٧٤/٧، رقم ٧١١٤) ، والبزار (٣٩٤/٨، رقم ٣٤٦٨) ، والديلمى (١٧٣/١، رقم ٦٤٨) .." [١]

"تعالى؛ وأخذ اللغة عن أبيه وعن أبي بكر الزبيدي وغيرهما.

والتياني: أظنه منسوبا إلى التين وبيعه، والله أعلم.

١٢٥ - (١)

تميم بن المعز الفاطمي

أبو علي تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي؛ كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب، وهو الذي بنى القاهرة المعزية - وسيأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى - وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته - وسيأتي ذكر الباقين إن شاء الله تعالى -؛ وكن تميم المذكور فاضلا شاعرا ماهرا لطيفا ظريفا، ولم يل المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز فوليها بعد أبيه، والعزيز أيضا أشعار جيدة وقد ذكرهما أبو منصور الثعالبي في " اليتيمة " (٢) ، وأورد لهما كثيرا من المقاطيع، فمن شعر تميم المذكور (٣) :

ما بان عذري فيه حتى عذرا ... ومشى الدجى في خده فتحيرا

همت تقلبه عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها خنجرا

والله لولا أن يقال تغيرا ... وصبا وإن كان التصابي أجدرا

لأعدت تفاح الخدود بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا وله أيضا (٤) :

---

(١) ترجمة تميم في الحلو السيراء ١: ٢٩١ ومسالك الأبصار (أول الجزء ١٢) ومقدمة ديوانه (ط. دار الكتب ١٩٥٧) .

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات النووي ٢٤٢/١

(٢) اليتيمة ١: ٣٠٨ وقد عاد الثعالبي فأفرد لتميم ذكرا ص: ٤٥٢ من الجزء نفسه.

(٣) أضيفت إلى الديوان: ٤٦٤ ولم تكن في الأصول، عن اليتيمة وغيرها.

(٤) ديوانه: ٣٩٨.." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء ومنطقة، فقال أبو البختري: حدثني جعفر بن محمد، يعني جعفر الصادق، عن أبيه قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء ومنطقة **مخنجرا** (١) **بخنجر**، فقال المعافى التميمي (٢) :

ويل وغول لأبي البختري ... إذا توافى الناس للمحشر

من قوله الزور وإعلانه ... بالكذب في الناس على جعفر

والله ما جالسه ساعة ... للفقه في بدو ولا محضر

ولا رآه الناس في دهره ... يمر بين القبر والمنبر

يا قاتل الله ابن وهب لقد ... أعلن بالزور وبالمنكر

يزعم أن المصطفى أحمدا ... أتاه جبريل التقي البري

عليه خف وقبا أسود ... **مخنجرا** في الحقو **بالخنجر** وحكى جعفر الطيالسي أن يحيى بن معين وقف على حلقته وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق، فقال له: كذبت يا عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأخذني الشرط، فقلت لهم: هذا يزعم أن رسول رب العالمين جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قباء، قال: فقالوا لي: هذا والله قاض كذاب، وأفرجوا عني.

وقال ابن قتيبة في كتاب " المعارف " (٣) : وكان أبو البختري ضعيفا في الحديث، وقال الخطيب في تاريخه (٤) : قال إبراهيم الحربي: قيل لأحمد بن حنبل تعلم أحدا روى " لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح " فقال: ما روى هذا إلا ذاك الكذاب أبو البختري.

وله من التصانيف كتاب " الروايات " (٥) . كتاب " طسم وجديس ". كتاب

---

(١) ن: محتجرا.

(٢) تاريخ بغداد: التيمي.

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣٠١/١

(٣) المعارف: ٥١٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٣: ٤٥٥.

(٥) ص ع ر: الرايات.." (١)

"فوضى على غير تعبية ولا أهبة، ودهمتهم خيل العدو، فقمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها، وتركت الأرض حصيدا خلفها، وصرع ابن عباد وأصابه جرح أشواه؛ وفر رؤساء الأندلس وأسلموا محلاتهم، وظنوا أنها وهية لا ترقع ونازلة لا تدفع، وظن الأذفونش أن أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين، فركب أمير المسلمين أحدق به أنجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل، فعمدوا إلى محلة الأذفونش فاقتحموها ودخلوها وقتلوا حاميتها، وضربت الطبول فاهتزت الأرض وتجاوبت الآفاق، وتراجع الروم إلى محلتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها، فصدموا أمير المسلمين فأفرج لهم عنها، ثم كر فأخرجهم منها، ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها، ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان، فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها، وتلاحق الأذفونش بأسود نفدت مزاريقه بالقذف، فأهوى ليضربه بالسيف، فلصق به الأسود وقبض على أعنته وانتضى **خنجرا** كان منتطقا به، فأثبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه، وكان وقت الزوال من ذلك اليوم، فهبت ريح النصر وأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه، وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه، فأخرجوهم عن محلتهم، فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم، والسيوف تصفعهم إلى أن لحقوا بربوة لجأوا إليها واعتصموا بها، وأحدقت بهم الخيل؛ فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من الربوة، وأفلتوا بعدما نشبت فيهم أظفارهم، واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الأثاث والآنية والمضارب والأسلحة، وأمر ابن عباد بضم رءوس قتلى الروم، فنشر منها أمامه كالتل العظيم، ثم كتب ابن عباد إلى ولده الرشيد كتابا وأطار به الحمام يوم السبت سادس عشر المحرم يخبره بالنصر.

وقد روي أيضا أن أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المعونة على ما هو بصدده، فوصل كتابه إلى المرية في هذا المعنى، وذكر فيه أن جماعة أفتوه." (٢)

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤٠/٦

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ١١٨/٧

"فافتتحها عنوة. ثم صار الى المدائن فحارب مرزبانها وضرب عنقه وقتل من جنوده مقتلة عظيمة. ثم ان عتبة كتب الى عمر يستأذنه في الحج. فاستعمل عمر على عمله المغيرة بن شعبة. ثم عزله واستعمل على ارض ميسان أبا موسى الاشعري وأمره ان يبتني بأرض البصرة خططا لمن عنده من العرب ويجعل كل قبيلة في محلة. وابتنوا لأنفسهم المنازل. وبنى بها مسجدا جامعا متوسطا. وعند فراغه من بناء مدينة البصرة اسكن فيها ذرية من كان بها من العرب وسار في جنوده الى جميع كور الأهواز فافتتحها الا مدينة تستر فإنهم امتنعوا لحصانتها. وفيها رحل هرقل من انطاكية الى القسطنطينية وهو يقول باليونانية سوزه [١] سورية. وهي كلمة وداع لارض الشام وبلادها. ثم مات هرقل وقام ابنه قسطنطين مكانه وبعد اربعة أشهر قتلته مرطياني امرأة أبيه بالسم وأقامت ابنها هريقل وسمته داود الحديث. فنقم ارباب الدولة أمره وخلعوه وملكوا قسطوس ابن القتيل.

وفيها افتتح عبد الله بن بديل [٢] أصفهان صلحا. وفيها فتح جرير البجلي همذان. وفيها كانت وقعة نهاوند. وفيها افتتح معاوية عسقلان بصلح في شهر رمضان. ومات عمر يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة ثلث وعشرين للهجرة وعمره ثلث وستون سنة. وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وسبعة عشر يوما. قتله ابو لؤلؤة فتى المغيرة بن شعبة في صلاة الفجر. وكان السبب في ذلك ان أبا لؤلؤة جاء اليه يشكو ثقل الخراج وكان عليه كل يوم درهمان. فقال له عمر: ليس بكثير في حقك فاني سمعت عنك انك لو أردت ان تدير الرحى بالريح لقدرت عليه. فقال: لأدرين لك رحى لا تسكن الى يوم القيامة. فقال: ان العبد أوعد ولو كنت اقتل أحدا بالتهمة لقتلت هذا. ثم ان الغلام ضربه **بالخنجر** في خاصرته طعنتين. فدعا عمر طبيبا لينظره فسقاه لبنا فخرج اللبن بينا [٣] . فقال له: أعهد يا امير المؤمنين.

وفي هذا الزمان اشتهر بين الاسلاميين يحيى المعروف عندنا بغرماطيقوس اي النحوي. وكان اسكندريا يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ويشيد عقيدة ساوري. ثم رجع عما يعتقده النصارى في التثليث. فاجتمع اليه الاساقفة بمصر وسألوه الرجوع عما

[١-] شوره ر سوره تصحيف سوره. وسوزه كلمة يونانية [؟] [؟] . وتأويله: كوني بسلام يا سوريا.

[٢-] بديل ر نديل.

[٣-)] راجع التاريخ الكامل لابن الأثير الجزء الثالث الصفحة الحادية والعشرين السطر الأخير. والطبيب الذي داواه قال ابن الأثير انه من بني الحرث بن كعب.." (١)

"هو عليه. فلم يرجع. فأسقطوه عن منزلته. وعاش الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية [١] . ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها انسة ما هاله ففتن به. وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه.

ومن الأطباء المشهورين في هذا الزمان بولس الاجانيطي طبيب مذكور في زمانه وكان خيرا خبيرا بعلل النساء كثير المعاناة لهن. وكانت القوابل يأتينه ويسألنه عن الأمور التي تحدث للنساء عقيب الولادة فينعم بالجواب لهن ويجيبهن عن سؤالهن بما يفعلنه.

فلذلك سموه بالقوابلي. وله كتاب في الطب تسع مقالات نقل حنين بن اسحق. وكتاب في علل النساء.

ومنهم مغنوس له ذكر بين الأطباء ولم نر له تصنيفا.

(عثمان بن عفان)

ويكنى أبا عمرو. بويع له لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلث وعشرين للهجرة. قيل لما ضرب ابو لؤلؤة عمر بالخنجر وشرب اللبن فخرج من جراحته فقالوا له: اعهد الى من تكون الخلافة بعدك. قال: لو كان سالم حيا لم اعدل به. قيل له: هذا علي بن ابي طالب وقد تعرف قرابته وتقدمه وفضله. قال: فيه دعابة اي مزاح. قيل: فعثمان بن عفان. قال: هو كلف بأقاربه. قيل: فهذا الزبير بن العوام حواري النبي عليه السلام. قال: بخيل. قيل: فهذا سعد. قال: فارس مقنب.

والمقنب ما بين الثلثين الى الأربعين من الخيل. قيل: فهذا طلحة ابن عم ابي بكر الصديق. قال: لولا بأو فيه اي كبر وخيلاء. قيل: فابنك. قال: يكفي ان يسأل واحد من آل الخطاب عن امرة امير المؤمنين. ولكن جعلت هذا الأمر شورى بين ستة نفر وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وابو عبيدة وسعد بن ابي وقاص الى ثلثة ايام.

فلما دفن عمر جاء ابو عبيدة الى علي بن ابي طالب فقال له: هل أنت مبايعي على

[١-)] «وكان مقامهم (المسلمين) على حصار الاسكندرية اربعة عشر شهرا فلما فتحوا الاسكندرية وهرب

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/١٠٢

من هرب من الروم مضى عمرو بن العاص في طلب من هرب من الروم في البر. فرجع من كان هرب منهم في البحر الى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين. فبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا. وقاتلوه قتالا شديدا على الحصن ثم فتحها. وهرب الروم ايضا الى المراكب. فكتب عمرو بن العاص الى عمر ابن الخطاب اني فتحت مدينة لا اصف ما فيها. غير اني أصبت فيها اربعة آلاف مسيد (مسجد) واربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية واربعمائة ملهى للملوك واثني عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر. واني فتحتها عنوة بغير عهد. ويعلمه ان المسلمين طلبوا قسمتها. فكتب اليه عمر بن الخطاب يقبح رأيه ويأمره ان لا يتجاوزها ولا يقسمها ويترك خرجها فيها للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم. فأقر بها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج» (من نسخة خطية من تاريخ سعيد بن البطريق) .." (١)

"عمر: اتق الله وأحسن إلى مولاك، فغضب العبد وقال: وسع الناس كلهم عدله غيري، فأضمر على قتله فاصطنع خنجرا له رأسان وسمه، ثم أتى به الهرمزان فقال: كيف ترى هذا قال: أرى أنك لا تضرب بهذا أحدا إلا قتلته قال: وتحين أبو لؤلؤة عمر فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر، وكان إذا أقيمت الصلاة يقول: أقيموا صفوفكم فقال كما كان يقول، فلما كبر وجأه أبو لؤلؤة في كتفه ووجأه في خاصرته فسقط عمر وطعن بخنجره ثلاثة عشر رجلا، هلك منهم سبعة وحمل عمر فذهب به إلى منزله وماج الناس حتى كادت الشمس تطلع، فنادى الناس عبد الرحمن بن عوف: يا أيها الناس الصلاة الصلاة ففزعوا إلى الصلاة، فتقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم بأقصر سورتين في القرآن، فلما قضى صلاته توجهوا إلى عمر فدعا عمر بشراب لينظر ما قدر جرحه، فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه فلم يدر أنبيذ هو أم دم، فدعا بلبن فشربه فخرج من جرحه فقالوا: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين قال: إن يكن القتل ثابتا فقد قتلت، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين كنت ... ثم ينصرفون، ويجيء آخرون فيثنون عليه فقال: أما والله على ما تقولون وددت أني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي، وإن صحبة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سلمت لي، فتكلم عبد الله بن عباس –وكان عند رأسه وكان خليطه كأنه من أهله وكان ابن عباس يقرئه القرآن– فقال: لا والله لا تخرج منها كفافا، فقد صحبت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فصحبته وهو عنك راض بخير ما صحبه صاحب وكنت له وكنت له وكنت له حتى قبض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو عنك راض، ثم صحبت خليفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فكنت

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/١٠٣

تنفذ أمره وكنت له وكنت له ثم وليتها يا أمير أنت، فوليتها بخير ما وليها وال، كنت تفعل وكنت تفعل، فكان عمر يستريح إلى حديث ابن عباس فقال له عمر: يابن عباس كرر علي حديثك فكرر عليه، فقال عمر: وأما والله، علام تقول؟! لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به اليوم." (١)

"محيطة بمدينتكم هذه منذ قدمها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولئن قتلتموه لتذهبن ثم لا تعود إليكم أبدا، أو إن السيف لا يزال مغمودا فيكم ووالله لئن قتلتموه ليسلنه عليكم ثم لا يغمد عنكم أبدا، أو قال: إلى يوم القيامة، وما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفا، ولا قتل خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا. أخرجه أبو الخير الحاكمي، وخرجه القاضي أبو بكر بن الضحاك مختصرا.

ذكر من قتله:

قال أبو عمر: يروى أن محمد بن أبي بكر دخل عليه فقال له قولا فاستحيا وخرج، ثم دخل رومان بن سرحان –رجل أزرق قصير من أصبح، معه **خنجر–** فاستقبله فقال: على أي دين أنت يا نعثل فقال عثمان: لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان، أنا على ملة إبراهيم حنيفا وما أنا من المشركين، فضربه على صدغه الأيسر فقتله فخر وأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها وكانت امرأة جسيمة، ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتا وقال: والله لأقطعن أنفه، فعاجل امرأته فقبضت على السيف فقطع إبهامها، فقالت لغلام لعثمان يقال له: رباح، ومعه سيف عثمان: أعني على هذا وأخرجه عني، فضربه الغلام بالسيف فقتله، وقيل: قتله جبلة بن الأيهم، وقيل: الأسود التجيبي، وقيل: يسار بن عياض.

وقد تقدم ذكر ذلك. وأكثرهم يروي أن قطرة من دمه أو قطرات سقطت على المصحف على قوله: {فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم} .

ذكر ما روي عنه من القول حين ضرب:

عن هارون بن يحيى أن عثمان جعل يقول حين ضرب، والدماء تسيل على لحيته: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم." (٢)

"و"أما السادسة عشرة" وهي ترك إقامة حدود الله تعالى في عبيد الله بن عمر، فنقول: أما ابنة أبي لؤلؤة فلا قود فيها لأنها ابنة مجوسي صغيرة تابعة له؛ وكذلك جفينة فإنه نصراني من أهل الحيرة، وأما

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ٤٠٩/٢

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ٧٢/٣

الهرمزان فعنه جوابان:

الأول: أنه شارك أبا لؤلؤة في ذلك ومالأه، وإن كان المباشر أبو لؤلؤة وحده، ولكن المعين على قتل الإمام العادل يباح قتله عند جماعة من الأئمة، وقد أوجب كثير من الفقهاء القود على الآمر والمأمور. وبهذا اعتذر عبيد الله بن عمر وقال: إن عبد الرحمن بن أبي بكر أخبره أنه رأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة يدخلون في مكان يتشاورون، وبينهم **خنجر** له رأسان مقبضه في وسطه، فقتل عمر في صبيحة تلك الليلة، فاستدعى عثمان عبد الرحمن فسأله عن ذلك فقال: انظروا إلى السكين، فإن كانت ذات طرفين فلا أرى القوم إلا وقد اجتمعوا على قتله، فنظروا إليها فوجدوها كما وصف عبد الرحمن؛ فلذلك ترك عثمان قتل عبيد الله بن عمر، لرؤيته عدم وجوب القود لذلك أو لتردده فيه، فلم ير الوجوب بالشك.

والجواب الثاني: أن عثمان خاف من قتله ثوران فتنة عظيمة؛ لأنه كان بنو تميم وبنو عدي مانعين من قتله ودافعين عنه، وكان بنو أمية أيضا جانحين١ إليه حتى قال له عمرو بن العاص: قتل أمير المؤمنين عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم! لا والله لا يكون هذا أبدا، ومال في بني جمح، فلما رأى عثمان ذلك اغتنم تسكين الفتنة وقال: أمره إلي وسأرضي أهل الهرمزان عنه.

و"أما السابعة عشرة" وهي إتمام الصلاة بمنى، فعذره في ذلك ظاهر، فإنه ممن لم يوجب القصر في السفر، وإنما كان يتجه كما رآه فقهاء

---

١ مائلين إليه.." (١)

"فاضلا متفننا توفي في رابع شهر ربيع الآخر كان ورد أربل في شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وستمائة من بغداد وذكر انه مدح الإمام المستنصر بالله وأجازه جائزة سنية وأول القصيدة المشار إليها.

البيض أخلق بالفتى والأسمر ... إن خانه البيض الدمى والأسمر

إن المهند والمثقف ملجأ ... لمسهد لسوى العلي لا يسهر

أيسومني سلطان حبك ذلة ... وبي المهامة والمهاوى اجدر

ولأن قتلت بسهم لحظك طالما ... قتل الضراغمة الغزال الأحور

كم زرت حيك واللهاذم والظبي ... في النقع من مهج الفوارس تقطر

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ١٠٠/٣

وخفيت سقما عنهم وكأنني ... في خاطر الظلماء وهم يخطر

٣٤ب -كم ذأ مني النفس عنك تجلداوالعاذلون بسر وجدي أخبر

كذب التجلد والعواذل والمنى ... لا كان صب عن حماك يصبر

من لي بوصلك والزمان مساعدي ... والعيش في سود الذوائب أخضر

والليل في عرس الوصال قميصه ... بالزاهرات مدرهم ومدنر

قد شد منطقة المجرة وامتطى ... بالتاج والإكليل فيها خنجر

- من أبيات مدحه بها - وقال

أعاتب عيني وهي أول من جنى ... وأزجر قلبي كي يحيد عن الحب

فإن قلت قلبي قال عيناك قد جنت ... وإن قلت يا عيني تحيل على القلب

وقد حرت بين اثنين كل بجهده ... يسوق بليات الغرام إلى لبي." (١)

"وقال أيضا رحمه الله:

لو كنت تشهدني وقد حمس الوغى ... في موقف ما الموت عنه بمعزل

لترى أنابيب القناة على يدي ... تجري دما تحت ظل القسطل

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

ألا من مبلغ المحبوب أني ... وقفت وللظبي حولي صليا

وأني جلت في جيش الأعادي ... برمحي وهو في فكري يجول

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

يا قوم قد بلغ قول الحيا ... عني إلى المحب بلا علم

من خنجري أطل من سيفي ... ورمحه أقصر من سهمي

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

لمنجنيق وللحصون وقائع ... فيها عجيب للذي يتفهم

يومي إليها بالركوع مخادعا ... فتخر ساجدة له وتسلم

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٧٤/١

لا تحقرن قليل السر إن له ... زيادة كضوارم النار في القبس

فحرب وائل صرع الباب أسعرها ... وحرب قيس حسها لطمة الفرس

وقوله في صفة الرياض والأزهار ونحوه:

مولاي قد وافى زمان لم يزل ... بقدومه تستبشر الندماء." (١)

"والعشرون من كسليو، يسرجون في الليلة الأولى سراجا، وفي الثانية اثنين، وكذلك حتى يسرجوا في الثامنة ثمانية سرج، وذلك تذكار أصغر ثمانية أخوة، قتل بعض ملوك اليونان، فإنه كان قد تغلب عليهم ملك من اليونان ببيت المقدس، وكان يفترع البنات قبل الإهداء إلى أزواجهن، وكان له سرداب قد أخرج منه حبلين عليهما جلجلان، فإن احتاج إلى امرأة حرك الأيمن فتدخل عليه، فإذا فرغ منها حرك الأيسر فيخلى سبيلها، وكان في بني إسرائيل رجل له ثمانية بنين وبنت واحدة، فتزوجها إسرائيلي وطلبها، فقال له أبوها: إن أهديتها إليك افترعها هذا الملعون، ووبخ بنيه بذلك، فأنفوا من ذلك، ووثب الصغير منهم فلبس ثياب النساء، وخبأ **خنجرا** تحت قماشه، وأتى باب الملك على أنه أخته، فلما حرك الجرس أدخل عليه فحين خلا به قتله وأخذ رأسه، وحرك الحبل الأيسر وخرج خلي سبيله، فلما ظهر قتل الملك، فرح بذلك بنو إسرائيل واتخذوه عيدا في ثمانية أيام تذكارا للأخوة الثمانية.

ومن أعيادهم المظال وهي سبعة أيام، أولها خامس عشر تشرين الأول، يستظلون فيها بالخلاف والقصب وغير ذلك، وهو فريضة على المقيم دون المسافر، وأمروا بذلك تذكارا لأظلال الله تعالى إياهم بالغمام في التيه، وآخر المظال وهو حادي عشرين تشرين، يسمى عرابا وتفسيره شجر الخلاف وغدعرابا، وهو اليوم الثاني والعشرون من تشرين يسمى التبريك وتبطل فيه الأعمال، ويزعمون أن التوراة فيه استتم نزولها، ولذلك يتبركون فيه بالتوراة، وليس في صياماتهم فرض غير صوم الكبور، هو عاشر يوم من تشرين اليهود، وابتداء الصوم من اليوم التاسع قبل غروب الشمس بنصف ساعة، إلى بعد غروبها من اليوم العاشر بنصف ساعة، تمام خمس وعشرين ساعة، وكذلك غيره من صياماتهم النوافل والسنن.

أمة النصارى

وهم أمة المسيح

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٤/٢٧٨

عليه السلام

من كتاب الملل والنحل للشهرستاني قال: وللنصارى في تجسد الكلمة مذاهب. فمنهم من قال: أشرقت على الجسد إشراق النور على الجسم المشف، ومنهم من قال: انطبعت فيه انطباع النقش في الشمعة، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن بالماء.

واتفقت النصارى على أن المسيح قتلته اليهود وصلبوه، ويقولون أن المسيح بعد أن قتل وصلب ومات، عاش فرأى شخصه شمعون الصفا، وكلمه وأوصى إليه، ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء. قال: وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، وكبارهم ثلاث فرق، الملكانية والنسطورية، واليعقوبية.

أما الملكانية فهم أصحاب ملكا الذي ظهر ببلاد الروم، واستولى عليها، فصار غالب الروم ملكانية، وهم يصرحون بالتثليث وعنهم أخبر الله تعالى بقوله: " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة " " المائدة: ٧٣ " وصرحت الملكانية." (١)

"التوبة إلى التمسيح بها.

قال ومنهم اليهودية ومن مذهبهم أن لا يعافوا شيئا، لأن الأشياء جميعها صنع الخالق، ويتقلدون بعظام الناس، ويمسحون رؤوسهم وأجسادهم بالرماد، ويحرمون الذبائح والنكاح، وجمع الأموال، ومنهم عبدة الشمس وعبدة القمر، ومنهم عبدة الأصنام، وهم معظمهم. ولهم أصنام عدة، كل صنم لطائفة، ويكون لذلك الصنم شكل غير شكل الصنم الآخر، مثل أن يكون أحدها بأيد كثيرة، أو على شكل امرأة ومعه حيات، ونحو ذلك.

ومنهم عباد الماء ويقال لهم الجلهكينية، ويزعمون أن الماء ملك، وهو أصل كل شيء، وإذا أراد الرجل عبادة الماء تجرد وستر عورته، ثم دخل الماء حتى يصل إلى وسطه، فيقيم فيه ساعتين أو أكثر، ويأخذ مهما أمكنه من الرياحين فيقطعها صغارا ويلقيها في الماء وهو يسبح، ويقرأ، وإذا أراد الانصراف، حرك الماء بيده ثم أخذ منه، فنقط على رأسه ووجهه، ثم يسجد وينصرف.

ومنهم عباد النار ويقال لهم الإكنواطرية، وصورة عبادتهم لها أن يحفروا في الأرض أخدودا مربعا ويؤججوا النار فيه، ثم لا يدعون طعاما لذيذا ولا شرابا لطيفا ولا ثوبا فاخرا ولا عطرا فائحا ولا جوهرا نفيسا إلا طرحوه

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٨٩/١

في تلك النار، تقربا إليها. وحرموا إلقاء النفوس فيها، خلافا لطائفة أخرى.
ومنهم البراهمة أصحاب الفكرة وهم أهل العلم بالفلك والنجوم، ولهم طريقة في أحكام النجوم تخالف طريقة منجمي الروم، والجحم، وذلك أن أكثر أحكامهم باتصالات الثوابت، دون السيارات، وإنما سموا أصحاب الفكرة لأنهم يعظمون أمر الفكرة، ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول، ويجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الفكر عن المحسوسات، فإذا تجرد الفكر عن هذا العالم، تجلى له ذلك العالم، فربما يخبر عن المغيبات، وربما يوقع الوهم على حي فيقتله، وإنما يصرفون الفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة المجهدة، وبتغميض أعينهم أياما، والبراهمة لا يقولون بالنبوات وينفونها بالكلية، ولهم على ذلك شبه مذكورة في الملل والنحل لا تليق بهذا المختصر. ومن كتاب ابن سعيد المغربي ونقله عن المسعودي: أن الهنود لا يرون إرسال الريح من بطونهم قبيحا، والسعال عندهم أقبح من الضراط، والجشاء أقبح من الفساء، ومما نقله عن المسعودي أيضا: إن الهنود يحرقون أنفسهم، وإذا أراد الرجل منهم ذلك أتى إلى باب الملك واستأذنه في إحراق نفسه، فإذا أذن له ألبس ذلك الرجل أنواع الحرير المنقوش، وجعل على رأسه إكليلا من الريحان، وضربت الطبول والصنوج بين يديه، وقد أججت له النيران، ويدور كذلك في الأسواق وحوله أهله وأقاربه، حتى إذا دنا من النار أخذ خنجرا بيده وشق به جوفه، ثم يهوي بنفسه في النار.
قال والزناء فيما بينهم مباح، قال ويعظمون نهر كنك، وهو نهر عظيم يجري في حدود الهند، من الشرق إلى الغرب، وهو حاد الانصباب، وللهنود رغبة في إتلاف نفوسهم بالتغريق في هذا النهر، ويقتلون أنفسهم على." (١)

"بجامع عمرو بن العاص.

ثم توجه إلى الإسكندرية ففتحها عنوة بعد قتال كثير، وفيها أعني سنة عشرين توفي بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مولى أبي بكر الصديق، واسم أمه حمامة، وهو من مولدي الحبشة، أسلم بعد إسلام أبي بكر الصديق، ولم يؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطلب من أبي بكر أن يرسله إلى الجهاد، فسأله أبو بكر أن يقيم معه فأقام معه حتى تولى عمر، فسأله عمر ذلك، فأبى بلال وسار إلى دمشق وأقام بها حتى مات ودفن عند الباب الصغير.
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين فيها كانت وقعة نهاوند مع الأعاجم وكان قد اجتمعوا في مائة وخمسين ألفا

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٩٤/١

ومقدمهم الفيرزان، فجرى بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة آخرها أن المسلمين هزموا الأعاجم وأفنوهم قتلا، وهرب الفيرزان مقدم جيش الأعاجم، فلما وصل إلى ثنية همذان، وجد بغالا محملة عسلا، فلم يقدر على المضي، فنزل عن فرسه وهرب في الجبل. فتبعه القعقاع راجلا وقتله فقال المسلمون إن لله جندا من عسل.

وفي هذه السنة فتحت الدينور والصيميرة وهمذان وأصفهان. وفي هذه السنة توفي خالد بن الوليد، واختلف في موضع قبره، فقيل بحمص، وقيل بالمدينة.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين فيها فتحت أذربيجان والري وجرجان فزوين وزنجان وطبرستان.

وفيها سار عمرو بن العاص إلى برقة، فصالحه أهلها على الجزية، ثم سار إلى طرابلس الغرب، فحاصرها وفتحها عنوة.

وفي هذه السنة غزا الأحنف بن قيس خراسان، وحارب يزد جرد وافتتح هراة عنوة، ثم سار إلى مرو روز، وكتب يزد جرد إلى ملك الترك يستمده، وإلى ملك الصغد وإلى ملك الصين يستمدهما، وانهزم يزد جرد إلى بلخ ثم سار إليه المسلمون فهزموه، وعبر يزد جرد نهر جيحون، ثم إن يزد جرد اختلف هو وعسكره، فإنه أشار بالمقام مع الترك، وأشار عسكره بمصالحة المسلمين والدخول في حكمهم، فأبى يزد جرد ذلك، فطرده عسكره، وأخذوا خزانته، وسار يزد جرد مع الترك في حاشيته، وأقام بفرغانة زمن عمر كله، وبقي عسكره في أماكنهم وصالحوا المسلمين.

وفيها توفي أبي بن كعب بن قيس، وهو من ولد مالك بن النجار، وكان يكنى أبا المنذر، أحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أمر الله تعالى رسوله عليه السلام أن يقرأ القرآن على أبي بن كعب المذكور، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرأ أمتي أبي بعدي، وقيل مات في سنة ثلاثين في خلافة عثمان، ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين.

مقتل عمر

رضي الله عنه

وفي هذه السنة طعن أبو لؤلؤة واسمه فيروز عبد المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب وهو في الصلاة، **بخنجر** في خاصرته، وتحت سرته، وذلك لست بقين من ذي الحجة من." (١)

"السجن كأنه مدرسة بكثرة القراءة والصلاة وتفقه عليه جماعة هنالك فلما علم صاحب الحصن خشي منه فأطلقه وله مصنف في الفروع أودعه جملة مستحسنة من الدرر ومن ذريته الفقهاء اليحيويون الآتي ذكر من استحق الذكر منهم مع أهل طبقته

ومنه الوزراء صدر الدولة المؤيدية وكانت وفاته يوم الجمعة لأربع خلون من صفر الكائن سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ولم يذكره ابن سمرة وإنما كتبت إلى بعض الفقهاء في ناحيته من ذريته أستخبره عن من يحققه من أصحابهم فأخبرني بهذا وما ذكرته عنه

ومن بعدان إبراهيم بن الفقيه يعقوب بن أحمد مقدم الذكر تفقه بأبيه وكان زاهدا ورعا ذكره ابن سمرة بذلك ومن قرية الملحمة وقد ذكرت أبو الخطاب عمر بن محمد بن عمر بن الفقيه أحمد بن الفقيه إبراهيم مقدم الذكر كان فقيها خيرا من ذريته الفقهاء بنو مضمون المعروفون بفقهاء الملحمة

قال الحافظ العرشاني الآتي ذكره أخبرني شيخي يحيى بن محمد عن جده هذا عمر أنه قال كنت بمكة عام كذا وأربعمائة فكنت يوما في الحرم عند القيلولة في شدة الحر وما في المطاف إلا رجل أو رجلان وإذا برجل عليه طمران مشتمل على رأسه أقبل يسير رويدا حتى قرب من الركن الأسود ولا أعلم ما يريد وأنا أنظر إليه فأخرج من تحته معولا وضرب الركن ضربة شديد ة حتى خفقه الخفقة التي فيه ثم رفع يده يريد يضربه ثانيا ليذهبه فابتدره رجل من أهل اليمن ثم من السكاسك كان في الطواف فطعنه **بخنجر** كان معه طعنة عظيمة فأسقطه فأقبل الناس من نواحي المسجد لينظروه فوجدوه وقد مات وهو رومي معه معول عظيم قد حد ليقطع به الركن ثم إن الناس أخرجوه من الحرم وجمعوا له الحطب وأحرقوه بالنار ولم أجد له تاريخا

ومن المشيرق ثم من بني ملامس الأخوان محمد وعلي ابنا أسعد الفقيه بن الفقيه خير بن الإمام يحيى بن عيسى بن ملامس أخذا عن أبيهما وسمعا عليه البخاري من جملة جماعة فمحمد سمعه سنة خمسمائة وعلي سمعه من جملة." (٢)

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ١٦٤/١

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجندي، بهاء الدين ٢٧٧/١

"يطوف في السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانيا فقال يا أمير المؤمنين أعدني على المغيرة بن شعبة فإن علي خراجا كثيرا قال فكم خراجك قال درهمان في كل يوم قال وأي شيء صناعتك قال نجار نقاش حداد قال ما أرى خارجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ثم قال لقد بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلت قال نعم قال فاعمل لي رحى قال لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب قال ثم أنصرف عمر رض = إلى منزله فلما كان من الغد جاء كعب الأحبار فقال يا أمير المؤمنين إعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام قال وما يدريك قال أجده في = كتاب الله التوراة قال عمر رض = إنك تجد عمر بن الخطاب في التوراة قال اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وإنه فني أجلك قال وعمر لا يجد وجعا ولا ألما قال فلما كان الغد جاءه كعب فقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان قال ثم جاءه من الغد فقال يا أمير المؤمنين ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها قال فلما كان الصبح خرج عمر بن الخطاب إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استووا دخل هو فكبر قال ودخل أبو لؤلؤة في الناس وفي يده **خنجر** له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته فهي التي قتلته فلما وجد عمر رض = حر السلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس وعمر مطروح قال ثم أحتمل فأدخل إلى داره وذكر الحديث بطوله ثم قال يا عبد الله بن عمر ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرين والأنصار يسلمون عليه ويقول لهم أعن ملأ منكم كان هذا فيقولون معاذ الله قال ودخل في الناس كعب الأحبار فلما نظر إليه عمر رض = أنشأ يقول ... وواعدني كعب ثلاثا أعدها ... ولا شك أن القول ما قاله كعب ...." (١)

".. وما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكفي سبنتي أزرق العين مطرق ...

وفي رواية عن زيد العمي قال لما مات عمر بن الخطاب رض = سمعوا نوح الجن عليه وهم يقولون ...
جزى خيرا من أمير وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق ...
وزاد في أخر هذه الأبيات ... فلقاك ربي في الجنان تحية ... ومن كسوة الفردوس لا تتمزق ...

٥ - ذكر قتل الهرمزان

(١) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان المالقي، أبو عبد الله ص/٣٦

روى سيف بن عمر التميمي عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد قال لما مات عمر رض = قام على الناس صهيب فلما جهز عمر رض = صلى عليه صهيب ودفن في بيت عائشة رض = مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رض = وقيل لعبيد الله بن عمر رض = بعدما فرغ من دفن عمر رض = قد رأينا أبا لؤلؤة والهرمزان نجيا والهرمزان يقلب هذا **الخنجر** بيده ومعهما جفينة وهو رجل من العباد جاء به سعد بن أبي وقاص رض = يعلم الكتاب بالمدينة وابن فيروز وابنته وكلهم مشرك إلا الهرمزان فعدا عليهم عبيد الله بن عمر بسيف فقتل الهرمزان وجفينة فنهاه الناس فلم ينته فقالوا وقال والله لأقتلن من يصير هؤلاء من جنبه فانصرفوا إلى صهيب وأخبروه فبعث إليه صهيب عمرو بن العاص فلم يزل به حتى أعطاه السيف ووثب عليه سعد بن أبي وقاص فتناصيا وقال قتلت جاري وأخفرتني وأتى به صهيبا فحبسه على الشورى حتى دفعه إلى عثمان." (١)

"يوم استخلف فأقاده

وروى أيضا عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر رض = غداة طعن عمر رض = قال مررت على أبي لؤلؤة لعنه الله تعالى عصر أمس ومعه جفينة والهرمزان وهم نجي فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم **خنجر** له رأسان نصابه في وسطه فانظروا بأي شيء قتل وقد تخلل أهل المسجد وخرج رجل من بني تميم فرجع إليهم التميمي وقد كان ألظ بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر رض = حتى أخذه فقتله وجاء **بالخنجر** الذي وصف عبد الرحمن بن أبي بكر رض = فسمع بذلك عبيد الله فأمسك حتى مات عمر ثم أشتمل على السيف فأتى الهرمزان فضربه فقتله فلما عضه السيف قال لا إله إلا الله ثم مضى حتى أتى جفينة وكان نصارنيا من أهل الحيرة ظئرا لسعد بن مالك أقدمه المدينة للملح الذي بينه وبينه ليعلم بالمدينة الكتابة فلما علاه بالسيف صلب بين عينيه وبلغ ذلك صهيبا فبعث إليه عمرو بن العاص فلم يزل به ويقول له السيف بأبي أمي حتى ناوله إياه وثاوره سعد فأخذ بشعره وجاؤوا إلى صهيب

وعن أبي الشهيد الحجبي عن ابن سابط قال لما بويع عثمان رض = دعا المهاجرين والأنصار فبدأ بالسابقين الأولين فخطب لهم فحمد الله وأثنى عليه وقال إنما أعتبر الناس بكم حتى لا أجد منكم أحدا فإن كنتم على الأمر عرفت أن الله في خلنقه نظرة وإن حلتم عن الأمر عرفت أن قد دلي." (٢)

---

(١) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان المالقي، أبو عبد الله ص/٣٨

(٢) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان المالقي، أبو عبد الله ص/٣٩

"بكم الناس وعلمت كيف أصنع وبمنزلتكم صالحي أهل زمان وحكمائهم فقولوا فيما أحدث عبيد الله بن عمر فقالوا القود القود ونادى جمهور الناس وهم من وراء ذلك لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر أبنه الله الله أبعد الله الهرمزان وجفينة فقال عثمان رض = متمثلا ولم يقل لهؤلاء ولا لهؤلاء شيئا

... من ذا يندد عني الناس معذرة ... أن رد جار أبي وهو مقتول

ينازع الليل بالبطحاء طعمته ... يقال من جار هذا غاله غول ...

فتفرق الناس وهم موقنون بأن سيقيده

وعن سعيد بن عبد الله عن عبد الله بن أبي مليكة قال لما ولي عثمان رض = قال له صهيب ما تقول في عبيد الله بن عمر فتمثل بهذين البيتين ثم حمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس كتاب الله بينكم فيه حلاله وحرامه فمن أتى حدا من حدود الله فيه والله فتفرق الناس وهم على اليقين من قتله فأقاده

والصحيح أن عبيد الله بن عمر لم يقد منه وأنه قتل يوم صفين مع معاوية كذا ذكره محمد بن سعد في كتاب الطبقات

وذكر أيضا سيف بن عمر في = كتاب الفتوح بإسناده عن أبي منصور قال سمعت القماذيات بن الهرمزان يحدث عن قتل أبيه قال قد كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض فمر فيروز بأبي ومعه **خنجر** له رأسان فتناوله منه وقال ما تصنع بهذا في هذه البلاد فقال آنس به فرآه رجل فلما أصيب عمر رض = قال قد رأيته يعني **الخنجر** وهو مع." (١)

"الحسن القتال، وبايع معاوية على أن يجعل العهد للحسن من بعده، وكان أصحاب الحسن يقولون: يا عار المؤمنين! فيقول لهم: العار خير من النار.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا، عن العباس بن هشام ابن الكلبي، عن أبيه: لما قتل علي بايع الناس الحسن بن علي فوليها سبعة أشهر وأحد عشر يوما. قال: وقال غير عباس: بايع الحسن بن علي أهل الكوفة، وبايع أهل الشام معاوية بإيلياء بعد قتل علي، وبويع بيعة العامة ببيت المقدس يوم الجمعة آخر ذي الحجة من سنة أربعين، ثم لقي الحسن بن علي معاوية بمسكن من سواد الكوفة في سنة إحدى وأربعين، فاصطلحا، وبايع الحسن معاوية.

وقال زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق: كان صلح معاية والحسن بن علي ودخول معاوية

---

(١) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان المالقي، أبو عبد الله ص/٤٠

الكوفة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين.

وقال زياد بن عبد الله، عن عوانة بن الحكم: بايع أهل العراق الحسن بن علي فسار حتى نزل المدائن، وبعث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على المقدمات، وهم اثنا عشر ألفا، وكانوا يسمون شرطة الخميس، قال: فبينا الحسن بالمدائن، إذ نادى مناد في عسكر الحسن: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل، فانتهب الناس سرادق الحسن حتى نازعوه بساطا تحته، ووثب على الحسن رجل من الخوارج من بني أسد، فطعنه **بالخنجر**، ووثب الناس على االأسدي فقتلوه، ثم خرج الحسن حتى نزل القصر الأبيض بالمدائن، وكتب إلى معاوية في الصلح. قال: ثم قام." (١)

"عسكره: ألا إن قيس بن سعد قد قتل، قال: فشد الناس على حجرة الحسن، فانتهبوها حتى انتهبت بسطه وجواريه، وأخذوا رداءة من ظهره، وطعنه رجل من بني أسد، يقال له: ابن أقيصر، **بخنجر** مسموم في أليته، فتحول من مكانه الذي انتهب فيه متاعه، ونزل الأبيض قصر كسرى، وقال: عليكم لعنة من أهل قرية، فقد علمت أن لا خير فيكم، قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا؟ ! ثم دعا عمرو بن سلمة الأرحبي (١) ، فأرسله، وكتب معه إلى معاوية ابن أبي سفيان يسأله الصلح ويسلم له الأمر على أن يسلم له ثلاث خصال: يسلم له بيت المال فيقضي منه دينه، ومواعيده التي عليه: ويتحمل منه هو ومن معه من عيال أبيه وولده وأهل بيته، ولا يسب علي وهو يسمع، وأن يحمل إليه خراج فسا ودرابجرد من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي، فأجابه معاوية إلى ذلك، وأعطاه ما سأل.

قال: ويقال: بل أرسل الحسن بن علي عبد الله بن الحارث ابن نوفل إلى معاوية حتى أخذ له ما سأل، فأرسل معاوية عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، فقدما المدائن إلى الحسن، فأعطاه ما أراد، ووثقا له، فكتب إليه الحسن أن أقبل، فأقبل من جسر منبج إلى مسكن في خمسة أيام وقد دخل اليوم السادس، فسلم إلى الحسن الأمر وبايعه ثم سارا جميعا حتى قدما الكوفة، فنزل الحسن القصر ونزل معاوية

---

(١) تصحفت في تهذيب ابن عساكر الي: الازجي".." (٢)

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٦/٢٤٤

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٦/٢٤٦

"أصبح معه خنجر (١) فاستقبله به، وقال: على أي دين أنت يا نعثل (٢) ؟ فقال عثمان: لست بنعثل ولكي عثمان بن عفان، وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين. قال: كذبت، وضربه على صدغه الأيسر، فقتله، فخر، وأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها. وكانت امرأة جسيمة، ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتا، فقال: والله لأقطعن أنفه فكشفت عن ذراعيها وقبضت على السيف فقطع إبهامها، فقالت: لغلام لعثمان يقال له رباح ومعه سيف عثمان: أعني على هذا وأخرجه عني فضربه الغلام بالسيف فقتله، وأقام عثمان يومه ذلك مطروحا إلى الليل فحمله رجال على باب ليدفنوه، فعرض لهم ناس يمنعونهم من دفنه فوجدوا قبرا قد كان حفر لغيره فدفنوه فيه، وصلى عليه جبير بن مطعم.

واختلف فيمن باشر قتله بنفسه فقيل: محمد بن أبي بكر ضربه بمشقص.

وقيل: بل حبسه محمد بن أبي بكر وأسعده غيره، وكان الذي قتله سودان بن حمران.

وقيل: بل ولي قتله رومان اليماني (٣) .

وقيل: بل رومان رجل من بني أسد بن خزيمة، وقيل: إن محمد بن أبي بكر أخذ بلحيته فهزها، وقال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن أبي سرح، وما أغنى عنك ابن عامر؟ فقال له: يا ابن أخي أرسل لحيتي، فوالله إنك لتجذب لحية كانت تعز على أبيك، وما كان أبوك يرضى مجلسك هذا مني. فيقال: إنه حينئذ تركه وخرج عنه.

ويقال: إنه حينئذ

---

(١) في الحاشية اشارة إلى أنها في نسخة أخرى"حجر.

(٢) جاء في حواشى النسخ تعليق للمؤلف نصه: نعثل اسم يهودي كان بالمدينة كان المنافقون يسمون عثمان به ذكر ذلك أبو نصر ابن ماكولا وغيره.

(٣) هكذا في الاصول. وفي المطبوع من الاستيعاب"اليمامي" (٣ / ١٠٤٥) .." (١)

"الهذلي المسعودي الكوفي أحد الأعلام وهو أخو أبي العميس عتبة: حدث عن عون بن عبد الله وعلي بن الأقمر وعلقمة بن مرثد وسعيد بن أبي بردة وزياد بن علاقة وعمرو بن مرة وطبقتهم. حدث عنه ابن المبارك وابن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي وأبو المغيرة الحمصي ويزيد بن هارون وجعفر بن عون وأبو

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٤٥٥/١٩

داود وأبو نعيم والمقبري وعلي بن الجعد وخلق. وكان مداخلا للدولة يلبس قباء أسود وفي وسطه **خنجر** وعلى رأسه الطويلة فتوقف بعض العلماء عن الأخذ عنه لذلك. وقد تغير بعض حفظه في الآخر. وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وابن المديني. وقال علي: قد كان يغلط في ما روى عن عاصم بن بهدلة وسلمة. وقال ابن نمير ثقة واختلط بأخرة. وقال النسائي: ليس به بأس. وعن مسعر قال: ما أعلم أحدا أعلم بابن مسعود من المسعودي وقال أبو حاتم: كان أعلم أهل زمانه بحديث ابن مسعود، تغير قبل موته بسنة أو بسنتين وقال شعبة: هو صدوق. قال طائفة: توفي سنة ستين ومائة١.

١٨٩- ٣٦/ ٥ ع- زياد بن سعد الحافظ أبو عبد الرحمن الخراساني ثم المكي شريك بن جريج: ثم سكن اليمن حدث عن عمرو بن دينار والزهري وعمرو بن مسلم الجندي وعنه مالك وابن عيينة وأبو معاوية وغيرهم مات كهلا. قال النسائي: ثقة ثبت، وقال ابن عيينة: كان عالما بحديث الزهري رحمة الله عليهم.

١٩٠- ٣٧/ ٥ ع- قرة بن خالد السدوسي الحافظ البصري: عن ابن سيرين وأبي رجاء العطاردي والحسن البصري ويزيد بن الشخير وعدة. وعنه حرمي بن عمارة وزيد بن الحباب وأبو عامر العقدي ويحيى القطان وبكر بن بكار ومسلم بن إبراهيم وخلق كثير. قال يحيى القطان كان من أثبت شيوخنا قلت توفي سنة أربع وخمسين ومائة٢.

أخبرنا أحمد بن هبة الله عن عبد المعز بن محمد وزينب بنت عبد الرحمن قالا أنا

---

١ وقيل ١٦٥.

١٨٩- تهذيب الكمال: ١/ ٤٤١. تهذيب التهذيب: ٣/ ٣٦٩. تقريب التهذيب: ١/ ٢٦٨. خلاصة تهذيب الكمال: ١/ ٣٤٤. الكاشف: ١/ ٣٣١. تاريخ البخاري الكبير: ٣/ ٢٥٨. الجرح والتعديل: ٣/ ٢٤٠٨. الوافي بالوفيات: ١٥/ ١٦. سير الأعلام: ٧/ ٢٨٥. طبقات الحفاظ: ٨٥. الثقات: ٦/ ٣١٩.

١٩٠- تهذيب الكمال: ٢/ ١١٢٧. تهذيب التهذيب: ٨/ ٣٧١ "٦٦٠". تقريب التهذيب: ٢/ ١٢٥. خلاصة تهذيب الكمال: ٢/ ٣٥٢. الكاشف: ٢/ ٣٩٩. تعجيل المنفعة: ٨٨٣. تاريخ البخاري الكبير: ٧/ ١٨٣. الجرح والتعديل: ٧/ ٧٤٧. تاريخ أسماء الثقات: ١١٦٢. ثقات: ٧/ ٣٤٢. تراجم الأحبار:

٣/ ٢٦٣. البداية والنهاية: ١٠/ ١١٢. سير الأعلام: ٧/ ٩٥ والحاشية.

٢ وقيل ١٥٥.." (١)

"٤٩٠٤ - عبد الرحمن بن عبد الله (١) المجاشعي.

عن نافع، عن أبي هرمز.

ضرب الفلاس على حديثه.

٤٩٠٥ - عبد الرحمن بن عبد الله بن مسلم.

عن سعيد بن بزيع.

ضعفه الدارقطني.

حرانى.

٤٩٠٦ - عبد الرحمن بن عبد الله، أبو سعيد، [خ، س] مولى بن هاشم.

قال أحمد بن حنبل: كثير الخطأ، وهو أيقظ من عبد الله بن رجاء.

قلت: وثقه أحمد أيضا.

روى عن قرة بن خالد، وشعبة، والطبقة.

ومات سنة سبع وتسعين ومائة.

وكان يلقب جردقة.

٤٩٠٧ - عبد الرحمن بن عبد الله [عو] بن عتبة [بن عبد الله] (٢) بن مسعود الهذلي المسعودي الكوفي، أحد الائمة الكبار.

سيئ الحفظ.

روى عن عمرو بن مرة، وعون بن عبد الله، وطائفة.

وعنه ابن مهدي، وأبو نعيم، وعلي بن الجعد، وكره بعض الائمة الرواية عنه، لان أبا نعيم أخبر أنه رآه في قباء أسود وشاشية، وفي وسطه خنجر، وبين كتفيه مكتوب بأبيض: فسيكفيكهم الله.

وقال الهيثم بن جميل: رأيته وقلنسوته أطول من ذراع مكتوب فيها: محمد يا منصور.

وثقه أحمد، وروى حنبل، عن أحمد، قال: سماع أبي النضر، وعاصم بن علي، وهؤلاء من المسعودي بعد

---

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي الذهبي، شمس الدين ١٤٧/١

ما اختلط.

وقال أبو الحسن بن القطان: اختلط حتى كان لا يعقل، فضعف حديثه، وكان لا يتميز في الاغلب ما رواه قبل اختلاطه مما رواه بعد.

[١٠٥ / ٣] قال أبو النضر: إنى لاعلم اليوم الذي اختلط فيه المسعودي: كنا عنده / وهو يعزى في ابن له إذ جاءه إنسان فقال: إن غلامك أخذ عشرة آلاف [درهم] (٣) وهرب، ففزع، وقال ودخل ثم خرج إلينا وقد اختلط.

قلت: أخوه أبو العميس عتبة بن عبد الله أوثق منه، وهو من رجال الصحاح.

---

(١) خ: عبد الرحمن بن عبد.

والمثبت في ل أيضا.

(٢) ليس في خ.

(٣) ليس في س.

(*)." (١)

"**بخنجر**، فبقي يوما وتوفي، وعاش نيفا وستين ستة أو دونها، رضي الله عنه.

ثم قتل ابن ملجم وأحرق ولله الحمد.

وفيها مات الأشعث بن قيس الكندي بالكوفة في ذي القعدة.

وكان شريفا مطاعا جوادا شجاعا. له صحبة. ثم ارتد، وحسن إسلامه. وكان أجل أمراء علي. وفيها مات معيقيب الدوسي. هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا بخلف. وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم. له حديثان.

سنة إحدى وأربعين

في ربيع الآخر سار أمير المؤمنين الحسن بن علي في جيوشه يقصد معاويه. وسار معاوية في جيوشه. فدخل العراق وتنازل الجمعان بمسكن من ناحية الأنبار. فرأى الحسن من عسكره الاختلاف عليه وقلة الخير. وكان سيدا وادعا لا يرى سفك الدماء. واتفق أنه وقع في معسكره هوشة وخبطة، ووقع النهب حتى

---

(١) ميزان الاعتدال الذهبي، شمس الدين ٥٧٤/٢

إنهم نهبوا فسطاطه، وضربه رجل من الخوارج **بخنجر** مسموم في إليته فخدشه. فتألم ومقت أهل العراق. ورأى الصلح أولى، تحقيقا لقول جده المصطفى صلى الله عليه وسلم: " إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

فراسل معاوية وشرط عليه شروطا بادر إليها معاوية بالإجابة، ثم سلم إليه الخلافة، على أن تكون الأمر من بعده للحسن، وعلى أن يمكنه أخذ ما شاء من بين المال ليقضي منه دينه وعداته وغير ذلك.." (١)

"فروى مجالد، عن الشعبي. ويونس بن أبي إسحاق، عن أبيه أن أهل العراق بايعوا الحسن، وسار بهم نحو الشام. وجعل على مقدمته قيس بعد سعد. وأقبل معاوية حتى نزل منبج. فبينا الحسن بالمدائن إذ نادى مناد في عسكره: قتل قيس بن سعد. فشد الناس على خيمة الحسن فنهبوها. وطعنه رجل **بخنجر**، فتحول إلى القصر الأبيض، وسبهم وقال: لا خير فيكم. قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا. ثم كتب إلى معاوية على أن يسلم إليه بيت المال، وأن لا يسب عليا بحضرته، وأن يحمل إليه خراج فسا ودارابجرد كل سنة. فأجابه.

فكتب إليه أن أقبل. فسار معاوية من منبج إلى مسكن في خمسة أيام. فسلم إليه الحسن الأمر، ثم سارا حتى دخلا جميعا الكوفة. وتسلم الحسن بيت المال، وكان فيه سبعة آلاف ألف درهم، فاحتملها وتجهز إلى المدينة، وأجرى معاوية على الحسن في السنة ألف ألف درهم.

وقال عمرو بن دينار: لما توفي علي بعث معاويه عهدا: إن حدث به حدث ليجعلن هذا الأمر إلى الحسن.

وصح في البخاري عن الحس البصري قال: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال.

فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى يقتل أقرانها.

فقال له معاوية، وكان والله خير الرجلين: أي عمرو. إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور المسلمين؟ من لي بنسائهم وضعفتهم؟ فبعث إليه برجلين عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز في الصلح.." (٢)

"ومنير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الخشاب، أبو العباس المصري المعدل، شيخ الخلعي. روى عن علي ابن عبد الله بن أبي مطر وجماعة. قال الحبال: "كان ثقة لا يجوز عليه تدليس ". توفي في

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٣٤/١

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٣٥/١

ذي القعدة.

سنة ثلاث عشرة وأربعمئة

فيها تقدم بعض الباطنية من المصريين، فضرب الأسود بدبوس، فقتلوه في الحال. قال محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي: قام فضرب الحجر ثلاث ضربات، وقال: إلى متى يعبد هذا الحجر، ولا محمد ولا علي أفيمنعني محمد مما أفعله، فإني اليوم أهدم أكثر هذا البيت، فاتقاه أكثر الحاضرين، وكاد أن يفلت، وكان أحمر أشقر جسيما طويلا، وكان على باب المسجد، عشرة فوارس ينصرونه، فاحتسب رجل ورماه **بخنجر**، ثم تكاثروا عليه، فهلك وأحرق، وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته، واختبط الوفد، ومال الناس على ركب المصريين بالنهب، وتخشن وجه الحجر، وتساقط منه شظايا يسيرة، وتشقق، وظهر مكسره أسمر يضرب إلى الصفرة، محببا مثل حب الخشخاش معمر، فعجن بالمسك واللك الفتات، وحشيت الشقوق وطليت، فهو يبين لمن يتأمله.

وفيها توفي بشيراز، سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة الديلمي، صاحب العراق وفارس، ولي السلطنة، وهو صبي بعد أبيه، وأرسل إليه القادر بالله، خلع الملك إلى شيراز، وقد قدم إلى بغداد في وسط مملكته، ورجع، وكانت دولته ضعيفة متماسكة، وعاش اثنين وعشرين سنة وخمسة أشهر.." (١)

"روى عن: هشام بن عروة، وعبيد الله بن عمر، وجعفر بن محمد، وجماعة.

وعنه: جابر بن سهل الصنعاني، ونوح بن هيثم، والربيع بن ثعلب، والمعافي بن سليمان بن واضح، وعبد الله بن محمد الأدرمي، وآخرون.

سكن بغداد، وولاه هارون الرشيد القضاء بعسكر المهدي، ثم عزله [١] .

ليس بثقة، وقد مدحه شاعر مرة، فوصلة بخمسمائة دينار [٢] .

قال يحيى بن معين: كان عدو الله، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال عثمان بن أبي شيبة، أرى أنه يبعث يوم القيامة دجالا [٣] .

وهو الذي روى حديث: «لا سبق إلا في خف أو حافر» . فزاد فيه: أو جناح، ليسر بذلك الخليفة [٤] .

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢٢٣/٢

عن أبي سعيد العقيلي قال: لما قدم الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي صلى الله عليه وسلم في قباء أسود ومنطقة، فقال أبو البختري: ثنا جعفر بن محمد، عن أبيه قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في قباء أسود، ومنطقة، محتجزا، فيها خنجر. فقال المعافى التيمي:

ويل وعول لأبي البختري ... إذا توافى الناس للمحشر [٥] .

من قوله الزور وإعلانه ... بالكذب في الناس على جعفر

والله ما جالسه ساعة ... للفقه في بدو ولا محضر

يزعم أن المصطفى أحمدا ... أتاه جبريل التقي السري

---

[١] تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥١.

[٢] الأبيات التي مدح بها، في تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥١.

[٣] تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥٥.

[٤] تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥٥.

[٥] في تاريخ بغداد: «إذا ثوى الناس في المحشر» ، والمثبت يتفق مع أخبار القضاة، وفيه: إذا توافي الناس في المحشر» .." (١)

"عليه خف وقبا أسود ... ممنطقا [١] في الحقو بالخنجر

[٢] .

عمر بن الحسن الأشناني- وليس بثقة-: ثنا جعفر الطيالسي، عن يحيى بن معين أنه وقف على حلقة أبي البختري، فإذا هو يحدث بهذا الحديث، فقال له: كذبت يا عدو الله. فأخذني الشرط، فقلت لهم: هذا يزعم أن رسول رب العالمين جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قباء. فقالوا لي: هذا والله قاض كذاب. وأفرجوا عني [٣] .

قال أحمد بن حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: ما أشك في كذب أبي البختري. إنه يضع الحديث.

وقال الكوسج: قال أحمد بن حنبل: أبو البختري أكذب الناس [٤] .

وقال أبو زرعة، وغيره: كذاب [٥] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٣/٤٩٢

وقال البخاري [٦] : سكتوا عنه.

قال ابن عساكر [٧] : هو وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب الأسدي.

وقال ابن سعد [٨] : تحول من المدينة إلى الشام، ثم قدم بغداد فولي القضاء بعسكر المهدي. ثم ولي المدينة بعد والد الزبير بن بكار. ثم عزل وقدم بغداد، فسكنها حتى مات سنة مائتين.

قال المبرد: روى لنا رجل [٩] باد الهيئة، ودخل على قوم يشربون فحطوا

[١] في تاريخ بغداد «مخنجرا» ، وفي أخبار القضاة «محتجزا» .

[٢] تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥٢، ٤٥٣، أخبار القضاة ١/ ٢٤٨ وفيهما زيادة.

[٣] تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥٣.

[٤] الجرح والتعديل ٩/ ٢٦.

[٥] الجرح والتعديل ٩/ ٢٦.

[٦] في تاريخه الكبير، وزاد: كان وكيع يرميه بالكذب، التاريخ الصغير ٢٢٣، الضعفاء الصغير ٢٧٨ رقم ٣٨٦.

[٧] في تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٤٥/ ٦١٨.

[٨] في طبقاته ٧/ ٣٣٢.

[٩] في الأصل «رجلا» .." (١)

"فله سلبه» . فقمت ثم قلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. ثم قال: «من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه» . فقمت ثم قلت: من يشهد لي. ثم الثالثة، فقمت، فقال: «مالك يا أبا قتادة؟» فاقتصصت عليه القصة. فقال رجل من القوم: صدق يا رسول الله، وسلب ذلك القتيل عندي، فأرضه منه. فقال أبو بكر الصديق: لاها الله ذا [١] ، يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله، فيعطيك سلبه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدق، فأعطه إياه» .

فأعطانيه. فبعث الدرع، فابتعت به مخرفا [٢] في بني سلمة. فإنه لأول مال تأثلته [٣] في الإسلام. أخرجه

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٣/٤٩٣

البخاري [٤] ، وأبو داود، عن القعنبي [٥] ، ومسلم [٦] . وقال حماد بن سلمة، عن إسحاق بن عبد الله، عن أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين: «من قتل قتيلا فله سلبه» . فقتل يومئذ أبو طلحة عشرين رجلا وأخذ أسلابهم. صحيح [٧] . وبه عن أنس، قال: لقي أبو طلحة أم سليم يوم حنين ومعها خنجر، فقال: يا أم سليم، ما هذا؟ قالت: أردت إن دنا مني بعضهم أن أبعج به بطنه. فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم. أخرجه مسلم [٨] .

---

[١] في الموطأ (٣٠٢) : «لا هاء الله إذا، لا يعمد ... » .

[٢] المخرف: البستان من النخل، وقيل نخلة أو نخلات يسيرة إلى عشرة، وما فوق ذلك فهو بستان.

[٣] تأثل الرجل المال: اكتسبه وجمعه واتخذه لنفسه.

[٤] صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلا فله سلبه (٤/ ١١٢- ١١٣) وكتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ٩: ٢٥ (٥/ ١٩٦) ، وأحمد في المسند ٥/ ١٢ و ٢٩٥ و ٣٠٦.

[٥] سنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب في السلب يعطى القاتل (٢/ ٧٠ رقم ٢٧١٧) .

[٦] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل (٤١/ ١٧٥١) .

[٧] أخرجه ابن أبي داود في الجهاد (٢٧١٨) باب في السلب يعطى القاتل، والدارمي في السير (٤٣) .

[٨] في كتاب الجهاد والسير (١٣٤/ ١٨٠٩) باب غزوة النساء مع الرجال، وأبو داود في الجهاد (٢٧١٨) باب في السلب يعطى القاتل. وأحمد في المسند ٣/ ١٠٩ و ١٩٠ و ٢٧٩ و ٢٨٦.." (١)

"الخادم ينطوي على إسلام، قلم ير أبا سعيد يصلي صلاة، ولا صام شهر رمضان. فأبغضه وأضمر قتله، فخلاه وقد دخل حماما في الدار ووثب عليه بخنجر فذبحه، ثم خرج ودعا بعض قواد أبي سعيد فقال له: كلم أبا سعيد.

فلما حصل ذبحه. ثم استدعى آخر، ففعل به كذلك حتى فعل ذلك بجماعة من الكبار، وكان شجاعا قويا جلدا.

ثم استدعي في الآخر رجلا، فدخل في أول الحمام، فإذا الدماء تجري، فأدبر مسرعا وصاح، فتجمع الناس.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢/٥٨٥

وقد مر ذلك في سنة إحدى وثلاثمائة.

وأخذ سعيد ذلك الخادم، فقرض لحمه بالمقاريض إلى أن مات. فلما كان في سنة خمس وثلاثمائة سلم سعيد الأمر إلى أخيه أبي طاهر، فاستجاب لأبي طاهر خلق وافتتنوا به، بسبب أنه دلهم على كنوز كان والده أطلعه عليها وحده، فوقع لهم أنه علم غيب، وتخير موضعا من الصحراء وقال: أريد أن أحفر هاهنا عينا. فقيل له: هنا لا ينبع ماء. فخالفهم وحفر فنبع الماء فازدادت فتنتهم به.

ثم استباح البصرة، وأخذ الحجيج، وفعل العظائم، وأرعب الخلائق وكثرت جموعه، وتزلزل له الخليفة.

وزعم بعض أصحابه به أنه إله [١] المسيح، ومنهم من قال هو نبي. وقيل هو المهدي، وقيل: هو الممهد للمهدي.

وقد هزم جيش الخليفة المقتدي غير مرة، ثم إنه قصد بغداد ليأخذها فدفع الله شره.

وقد قتل بحرم الله تعالى مقتلة عظيمة لم يتم مثلها قط في الحرم. وأخذ الحجر الأسود. ثم لم يمهله الله بعد ذلك. فلما أشفى على التلف سلم ملكه إلى أبي الفضل بن زكريا المجوسي العجمي.

قال محمد بن علي بن رزام الكوفي: قال لي ابن حمدان الطبيب: أقمت بالقطيف أعالج مريضا فقال لي رجل: أنظر ما يقول الناس. يقولون إن ربهم قد ظهر.

---

[١] في الأصل: «إلاه» .." (١)

"والده تنسب القاهرة المعزية. كان تميم أميرا شاعرا ظريفا لطيفا، وهو أخو العزيز.

ومن شعره:

أما والذي لا يملك الأمر غيره ... ومن هو بالسر المكتم أعلم

لئن كان كتماني المصيبة مؤلما ... لإعلانها عندي أشد وآلم

وبي كلما تبكي العيون أقله ... وإن كنت منه دائما أتبسم

وله:

ما بان عذري فيه حتى عذرا ... ومشى الدجى في خده فتحيرا

همت بقبلته [١] عقارب صدغه ... فاستل ناظره عليها خنجرا

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٤/٢٥

والله لولا أن يقال تغيرا ... وصبا وإن كان التصابي أجدرا

لأعدت تفاح الخدود بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا

جعفر بن محمد بن مكي، أبو العباس البخاري.

يروي عن: محمد بن المنذر شكر، ومحمد بن يوسف الفربري.

[روى] عنه: محمد بن أحمد غنجار، وأبو بكر عبد الله بن أحمد القفال المروزي، وعبد الله بن أحمد المنذوراني.

ومات في رمضان.

حباشة بن حسن [٢] ، أبو محمد اليحصبي القيرواني.

سمع من: زياد بن عبد الرحمن بن زياد، وإبراهيم بن عبد الله الزبيدي، وسمع بالأندلس من محمد بن معاوية القرشي.

وحج ورابط بثغور الأندلس، وجاهد وتعبد، وكان فقيها عالما.

توفي في جمادى الآخرة.

---

[١] هكذا في الأصل، وفي اليتيمة «تقبله» ١/ ٢٥٣، وكذلك في وفيات الأعيان ١/ ١٢٠١، وانظر الإضافات في ديوان تميم- ص ٤٦٤- طبعة دار الكتب ١٩٦٧.

[٢] في الأصل «خباسه» والتصحيح من (تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٢٨ رقم ٣٩٥) .." (١)

"يكن رجع الحاج بعد من منى قام رجل فقصد الحجر فضربه ثلاث ضربات بدبوس وقال: إلى متى يعبد الحجر ولا محمد ولا علي؟ فيمنعني محمد مما أفعله، فإني أهدم اليوم هذا البيت. فاتقاه أكثر الحاضرين وكاد يفلت. وكان أحمر أشقر تام القامة جسيما، وكان على باب المسجد عشرة من الفرسان على أن ينصروه، فاحتسب رجل فوجأه **بخنجر** وتكاثر عليه الناس فقتل وأحرق، وقتل جماعة ممن أتهم بمعاونته ومصاحبته، وأحرقوا بالنار.

وبانت الفتنة، فكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين رجلا غير ما أخفي، وألحوا في ذلك اليوم على المصريين بالنهب والسلب. وفي ثاني يوم ماج الناس واضطربوا.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٦/٥٥٤

وقيل: إنه أخذ من أصحاب الخبيث أربعة اعترفوا بأنهم مائة بايعوا على ذلك. فضربت أعناق الأربعة.

[تشقق الحجر الأسود]

وتخشن وجه الحجر من تلك الضربات، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار، وتشقق وخرج مكسره أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل الخشخاش.

فأقام الحجر على ذلك يومين، ثم إن بني شيبة جمعوا الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوا الشقوق وطلوها بطلاء من ذلك.

فهو يتبين لمن تأمله، وهو على حاله إلى اليوم [١] .

[()] الكوفيين» انتخبه الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي الصوري، - وهو بتحقيقنا- صدر عن: دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧ هـ. / ١٩٨٧ م.

[١] انظر خبر كسر الحجر الأسود في:

تاريخ الأنطاكي ٣٧٨، والمنتظم لابن الجوزي ٨/ ٨، ٩، والكامل في التاريخ ٩/ ٣٣٢، ٣٣٣ (حوادث سنة ٤١٤ هـ.) ، وتاريخ حلب للعظيمي ٣٢٥، وتاريخ الزمان لابن العبري ٨١، ودول الإسلام للذهبي ١/ ٢٤٦، والعبر، له ٣/ ١١٠، ١١١ رقم ٤١٣، ومرآة الجنان لليافعي ٣/ ٢٨، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٣٦، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٣، ١٤، ومآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي ١/ ٣٢٧، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٠، ٢٥١، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لقاضي مكة المالكي (بتحقيقنا) ج ١/ ٣١٤، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٣/ ١٩٧، ١٩٨.

وانظر: اتعاظ الحنفا ٢/ ١٣١. حيث يجعل الحادث في سنة ٤١٨ هـ.." (١)

"ويستأذنه أن يدخل المدينة ويقول: إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس:

إنه حداد نقاش نجار، فأذن له أن يرسل به، وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر، فجاء إلى عمر يشتكي شدة الخراج، قال: ما خراجك بكثير.

فانصرف ساخطا يتذمر، فلبث عمر ليالي [١] ثم دعاه فقال: ألم أخبر أنك تقول: لو شاء لصنعت رحى تطحن بالريح؟ فالتفت إلى عمر عابسا وقال:

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٤٨/٢٨

لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فلما ولي قال عمر لأصحابه: أوعدني العبد آنفا. ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس [٢] .

وقال عمرو بن ميمون الأودي: إن أبا لؤلؤة عبد المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان وطعن معه اثني عشر رجلا، مات منهم ستة، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا، فلما اغتم فيه قتل نفسه [٣] .

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: جئت من السوق وعمر يتوكأ علي، فمر بنا أبو لؤلؤة، فنظر إلى عمر نظرة ظننت أنه لولا مكاني لبطش به، فجئت بعد ذلك إلى المسجد الفجر فإني لبين النائم واليقظان، إذ سمعت عمر يقول: قتلني الكلب، فماج الناس ساعة، ثم إذا قراءة عبد الرحمن بن عوف.

وقال ثابت البناني، عن أبي رافع: كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة يصنع الأرحاء، وكان المغيرة يستغله [٤] كل يوم أربعة دراهم، فلقي عمر فقال: يا

---

[١] في النسخة (ع) «لياليا» ، وهو خطأ، لأن «ليالي» ممنوعة من الصرف.

[٢] طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤٥، تاريخ الخلفاء ١٣٣، وانظر تعليق الأستاذين الأخوين: علي وناجي الطنطاوي في: سيرة عمر بن الخطاب ٢/ ٦٠٧ حول هذه الرواية.

[٣] طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤٠، تاريخ الخلفاء ١٣٤.

[٤] هكذا في الأصل والمصادر الأخرى، وعند الحاكم في المستدرك «يستعمله» .." (١)

"أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي فكلمه، فقال: أحسن إلى مولاك، ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه، فغضب وقال: يسع الناس كلهم عدله غيري، وأضمر قتله واتخذ خنجرا وشحذه وسمه، وكان عمر يقول: «أقيموا صفوفكم» قبل أن يكبر، فجاء فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته، فسقط عمر، وطعن ثلاثة عشر رجلا معه، فمات منهم ستة، وحمل عمر إلى أهله وكادت الشمس أن تطلع، فصلى ابن عوف بالناس بأقصر سورتين، وأتي عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين، فسقوه لبنا فخرج من جرحه فقالوا: لا بأس عليك، فقال: إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت [١] ، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: كنت وكنت، فقال: أما والله وددت أني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي [٢] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٧٧/٣

وأثنى عليه ابن عباس، فقال: لو أن لي طلاع الأرض ذهبا [٣] لافتديت به من هول [٤] المطلع [٥] ، وقد جعلتها شورى في عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد. وأمر صهيبا أن يصلي بالناس، وأجل الستة ثلاثا [٦] .

وعن عمرو بن ميمون أن عمر قال: «الحمد لله الذي لم يجعل منيتي

---

[١] إلى هنا تنتهي الرواية عند الحاكم في المستدرك ٣/ ٩١.

[٢] طبقات ابن سعد ٣/ ٣٥٣، مجمع الزوائد ٩/ ٧٦، ٧٧ وفيه: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وأسد الغابة ٤/ ٧٥، مناقب عمر لابن الجوزي ٢١٧.

[٣] أي ما يملأ الأرض ذهبا حتى يطلع عنها ويسيل. (النهاية لابن الأثير) .

[٤] في طبعة القدسي ٣/ ١٦١ «هو» بدل «هول» والتصويب من طبقات ابن سعد ٣/ ٣٥٢ وغيره.

[٥] المطلع: الموقف يوم القيامة. (النهاية لابن الأثير) .

[٦] انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤٤، والمستدرك للحاكم ٣/ ٩٢، والاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٤٦٨، ٤٦٩، مجمع الزوائد ٩/ ٧٧، مناقب عمر لابن الجوزي ٢١٩، تاريخ الخلفاء ١٣٤.

وأجل الستة ثلاثا: أي ثلاثة أيام.." (١)

"قال المسور بن مخرمة: رأيت الهرمزان بالروحاء مهلا بالحج مع عمر.

[وروى إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده قال: رأيت الهرمزان مهلا بالحج مع عمر، وعليه حلة حبرة] [١] .

وقال علي بن زيد بن جدعان، عن أنس قال: ما رأيت رجلا أخمص بطنا ولا أبعد ما بين المنكبين من الهرمزان.

عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب، أن عبد الرحمن بن أبي بكر- ولم تجرب عليه كذبة قط- قال: انتهيت إلى الهرمزان وجفينة وأبي لؤلؤة وهم نجي فتبعتهم، وسقط من بينهم **خنجر** له رأسان نصابه في وسطه، فقال عبد الرحمن: فانظروا بم قتل عمر، فنظروا فوجدوه **خنجرا** على تلك الصفة، فخرج عبيد الله بن عمر بن الخطاب مشتملا على السيف حتى أتى الهرمزان فقال: اصحبني ننظر فرسا

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣/٢٧٨

لي- وكان بصيرا بالخيل- فخرج يمشي بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حد السيف قال: لا إله إلا الله فقتله. ثم أتى جفينة وكان نصرانيا، فلما أشرف له علاه بالسيف فصلب بين عينيه [٢] . ثم أتى بنت أبي لؤلؤة جارية صغيرة تدعي الإسلام فقتلها، وأظلمت الأرض يومئذ على أهلها، ثم أقبل بالسيف صلتا في يده وهو يقول: والله لا أترك في المدينة سبيا إلا قتلته وغيرهم، كأنه يعرض بناس من المهاجرين، فجعلوا يقولون له: ألق السيف، فأبى، ويهابونه أن يقربوا منه، حتى أتاه عمرو بن العاص فقال: أعطني السيف يا بن أخي. فأعطاه إياه. ثم ثار إليه عثمان فأخذ برأسه فتناصيا [٣] حتى حجز الناس بينهما. فلما ولي عثمان قال: أشيروا علي في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق، فأشار المهاجرون بقتله، وقال جماعة الناس: قتل عمر

---

[١] ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة دار الكتب.

[٢] تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٠.

[٣] أي تؤاخذا بالنواصي.." (١)

"ثم جلس عثمان في جانب المسجد ودعا بعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وكان محبوسا في دار سعد، وسعد الذي نزع السيف من يد عبيد الله بعد أن قتل جفينة والهرمزان وبنت أبي لؤلؤة، وجعل عبيد الله يقول: والله لأقتلن رجالا ممن شرك في دم أبي، يعرض بالمهاجرين والأنصار، فقام إليه سعد فنزع السيف من يده وجبذه بشعره حتى أضجعه وحبسه، فقال عثمان لجماعة من المهاجرين، أشيروا علي في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق، فقال علي: أرى أن تقتله، فقال بعضهم: قتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث [١] ولك على المسلمين سلطان، إنما تم هذا ولا سلطان لك، قال عثمان: أنا وليهم وقد جعلتها دية واحتملتها من مالي [٢] .

قلت: والهرمزان هو ملك تستر، وقد تقدم إسلامه، قتله عبيد الله بن عمر لما أصيب عمر، فجاء عمار بن ياسر فدخل على عمر فقال: حدث اليوم حدث في الإسلام، قال: وما ذاك؟ قال قتل عبيد الله الهرمزان، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ٢: ١٥٦ علي به، وسجنه.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٩٦/٣

قال سعيد بن المسيب: اجتمع أبو لؤلؤة وجفينة، رجل من الحيرة، والهرمزان، معهم **خنجر** له طرفان مملكه في وسطه، فجلسوا مجلسا فأثارهم

[()] وغيره عن رجال لا يعرفون أن عليا قال لعبد الرحمن خدعتني وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ... ٤٨: ١٠ إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائليها وناقليها. والله أعلم. والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيما وسقيمها، ومبادها وقويمها. والله الموفق للصواب» .

وانظر: تاريخ الطبري ٤/ ٢٣٨، ٢٣٩.

[١] في الأصل، ح (هذا الحديث) وهو وهم.

]٢] طبقات ابن سعد ٣/ ٣٥٥، ٣٥٦، تاريخ الطبري ٤/ ٢٣٩.." (١)

"دابة فوقع **الخنجر**، فأبصرهم عبد الرحمن بن أبي بكر، فلما طعن عمر حكى عبد الرحمن شأن **الخنجر** واجتماعهم وكيفية **الخنجر**، فنظروا فوجدوا الأمر كذلك، فوثب عبيد الله فقتل الهرمزان، وجفينة، ولؤلؤة بنت أبي لؤلؤة، فلما استخلف عثمان قال له علي: أقد عبيد الله من الهرمزان، فقال عثمان: ما له ولي غيري، وإني قد عفوت ولكن أديه [١] . ويروى أن الهرمزان لما عضه السيف قال: لا إله إلا الله. وأما جفينة فكان نصرانيا، وكان ظئرا لسعد بن أبي وقاص أقدمه للمدينة للصلح الذي بينه وبينهم وليعلم الناس الكتابة [٢] .

وفيها افتتح أبو موسى الأشعري الري، وكانت قد فتحت على يد حذيفة، وسويد بن مقرن، فانتقضوا [٣] . وفيها أصاب الناس رعاف كثير، فقيل لها سنة الرعاف، وأصاب عثمان رعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى. وحج بالناس عبد الرحمن بن عوف [٤] .

---

[١] ابن سعد ٣/ ٣٥٦، تاريخ الطبري ٤/ ٢٣٩- ٢٤٣.

[٢] تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٠.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣/٣٠٦

[٣] تاريخ خليفة ١٥٧.

[٤] تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٢ وانظر ٢٤٩.." (١)

"إلى عكا، ورجعوا فنزلوا بمرج الصفر، وسافرت عساكر الموصل [١] .

[اغتيال مودود صاحب الموصل]

ودخل مودود في خواصه دمشق، وأقام عند صاحبه طغتكين، وأمر عساكره بالبحر في الربيع ونزل هو وطغتكين يوم الجمعة في ربيع الأول للصلاة، ومشى ويده في يد طغتكين في صحن الجامع، فوثب على مودود باطني جرحه في مواضع، وقتل الباطني وأحرق [٢] .

قال أبو يعلى حمزة [٣] : ولما قضيت الجمعة تنفل بعدها مودود، وعاد هو والأتابك وحولهما من الأتراك والديلم والأحداث بأنواع السلاح من الصوارم والصمصامات والخناجر المجردة ما شاكل الأجمة المشتبكة، فلما حصلا في صحن الجامع وثب رجل لا يؤبه له، فقرب من مودود كأنه يدعو له ويتصدق عليه [٤] ، فقبض ببند قبائه، وضربه بخنجر أسفل سرته ضربتين، هذا والسيوف تنزل عليه. ومات مودود ليومه صائما. وكان فيه عدل وخير.

فقيل: إن الإسماعيلية قتلته.

وقيل: بل خافه طغتكين، فجهز عليه الباطني، وذلك بعيد.

قال ابن الأثير [٥] : حدثني والدي- رحمه الله- أن ملك الفرنج كتب إلى

---

[١] الكامل ١٠/ ٤٩٥، ٤٩٦، التاريخ الباهر ١٩، العبر ٤/ ١٢، الإعلام والتبيين ٢١.

[٢] انظر عن مقتل مودود في: تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٦٦ (تحقيق سويم) ٣١، والكامل في التاريخ ١٠/ ٤٩٦، ٤٩٧، وذيل تاريخ دمشق ١٨٧، وتاريخ الفارقي ٢٨٠ وفيه مقتله سنة ٥٠٨ هـ-.، وتاريخ دولة آل سلجوق ١٦١، ١٦٢، وتاريخ الزمان ١٣٤، وتاريخ مختصر الدول ١٩٩، وكتاب الروضتين ١/ ٦٩، والأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ١٣٣، وبغية الطلب (قسم السلاجقة) ١٥٠، ١٥١، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٤٥ و ٥٠، ٥١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٦، ودول الإسلام ٢/ ٣٥، والعبر ٤/ ١٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢، والدرة المضية ٤٧٦، ومرآة الجنان ٣/ ١٩٣، والبداية والنهاية

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٠٧/٣

١/ ١٧٣ (حوادث ٥٠٥ هـ.) ، و ١٧٦ (حوادث ٥٠٧ هـ.) . والإعلام والتبيين ٢٢، وعيون التواريخ ١٢/ ١ (حوادث ٥٠٥ هـ.) و ٣١ (حوادث ٥٠٧ هـ.) ، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٤٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٧، وشذرات الذهب ٤/ ٢٠، ٢١، وتاريخ الخلفاء ٤٣٠.

[٣] في ذيل تاريخ دمشق ١٨٧.

[٤] في ذيل تاريخ دمشق: «يتصدق منه» ، وهو الصحيح.

[٥] في الكامل ١٠/ ٤٩٧، والتاريخ الباهر ١٩.." (١)

"وقال جرير بن حازم: بايع أهل الكوفة الحسن بعد أبيه، وأحبوه أكثر من أبيه.

وعن عوانة بن الحكم قال: سار الحسن حتى نزل المدائن، وبعث قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفا، فبينا الحسن بالمدائن إذ نادى مناد ألا إن قيسا قد قتل، فاختبط الناس، وانتهب الغوغاء سرادق الحسن حتى نازعوه بساطا تحته، وطعنه رجل من الخوارج من بني أسد **بخنجر**، فوثب الناس على الرجل فقتلوه، لا رحمه الله، ونزل الحسن القصر الأبيض بالمدائن، وكاتب معاوية في الصلح [١] .

وقال نحو هذا: أبو إسحاق، والشعبي.

وروي أنه إنما خلع نفسه لهذا، وهو أنه قام فيهم فقال: ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا زيغ، لكن كنتم في منتدبكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم. وروي أن **الخنجر** الذي جرح به في إليته كان مسموما، فتوجع منه شهرا ثم عوفي [٢] ، ولله الحمد.

وقال أبو روق الهزاني: ثنا أبو الغريف [٣] قال: لما رد الحسن إلى الكوفة وبايع معاوية، قال له رجل منا يقال له أبو عامر: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك [٤] .

---

[١] الخبر في، تاريخ الطبري ٥/ ١٥٩ و ١٦٠، والكامل في التاريخ ٣/ ٤٠٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٢٣، ومرآة الجنان ١/ ١١٨، ١١٩، والبداية والنهاية ٨/ ١٤، ونهاية الأرب ٢٠/ ٢٢٥، ٢٢٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤/ ١٠، ومقاتل الطالبيين ٦٣.

[٢] في تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٢٥ إنه مرض أشهرا.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٥/٢٨

[٣] هو: عبيد الله بن خليفة الهمداني.

[٤] أخرجه البسوي في: المعرفة والتاريخ ٣/ ٣١٧ قال: حدثنا العباس بن عبد العظيم، حدثنا أسود بن عامر، حدثنا زهير بن معاوية، حدثنا أبو روق الهزاني، حدثنا أبو الغريف، قال: كنا في مقدمة الحسن بن علي اثنى عشر ألفا بمسكن مستميتين تقطر أسيافنا من الجد على قتال أهل الشام وعلينا أبو العمرطة، فلما جاءنا صلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من." (١)

"وأقام الموسم سعيد بن العاص [١] .

وفيها أمر معاوية على خراسان عبيد الله بن زياد [٢] .

وفيها قتل عائذ بن ثعلبة البلوي، أحد الصحابة، قتله الروم بالبرلس.

يزيد بن هارون: أنبأ حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه- أو عن أمه- أن أسماء بنت أبي بكر اتخذت خنجرا زمن سعيد بن العاص للصوص، وكانوا قد استعزوا بالمدينة، فكانت تجعله تحت رأسها.

---

[١] تاريخ خليفة ٢٢٢.

[٢] تاريخ خليفة ٢٢٢، تاريخ الطبري ٥/ ٢٩٢، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٣٩، مروج الذهب ٤/ ٣٩٨، الكامل في التاريخ ٣/ ٤٩٦.." (٢)

"٤٥٥- الحسين بن أحمد [١] بن أبي الفرج بن حفاظ البغدادي، اللبان [٢] .

شيخ دين، صالح. حدث عن محمد بن نسيم العيشوني.

ومات في ذي الحجة.

حرف الخاء

٤٥٦- خاموش [٣] ابن الأتابك أزبك صاحب أذربيجان.

ولد هذا أصم أبكم، فكان يفهمه ويفهم عنه رجل رباه. ولما استولى خوارزم شاه على بلاد خاموش جاء خاموش إلى خدمته بكنجة خاضعا، فقدم تحفا من جملتها حياصة [٤] كيكاوس ملك الفرس في الزمن القديم، فيها عدة جواهر لا تقوم منها قطعة بذخشاني ممسوح طولاني في قدر كف، أفخر ما يكون، قد

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤/٦

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٥٦/٤

نقر فيها اسم كيكاوس، فكان السلطان خوارزم شاه يشدها في الأعياد إلى أن كبسه التتار بآمد، فظفروا بهذه الحياصة ونفذوها إلى القان جنكزخان.

وأقام الملك خاموش مديدة في الخدمة، فلم يحظ بعناية إلى أن رقت حاله، ففارق خوارزم شاه، ودخل إلى حصن الألموت [٥] ، فأدركه الموت بعد شهر. ذكر ذلك الشهاب النسوي في «سيرة خوارزم شاه» .

٤٥٧- خليل بن إسماعيل [٦] بن علي بن علوان بن زويزان. المولى جمال الدولة، رئيس قصر حجاج، وإليه تنسب قطائع ابن زويزان.

---

[١] انظر عن (الحسين بن أحمد) في: التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٩٤ رقم ٢٣٦١.

[٢] قيده المنذري.

[٣] كتب المؤلف- رحمه الله- ترجمة خاموش هذا ملحقة بحاشية نسخته في غير هذا الموضع، وكتب عند هذا الموضع: «خاموش يرتب هنا» فرتبنا ترجمته حيث أراد.

وانظر عن (خاموش) في: الوافي بالوفيات ١٣/ ٢٨٦ رقم ٣٤٧، وقاموس الرجال للتستري ٣/ ٢٠٨٩ (طبعة طهران ١٣٧٩ هـ-) .

[٤] الحياصة: نطاق عريض يلف فوق السروال، ويعلق بها **الخنجر**. (انظر المعجم المفصل لدوزي- ص ١٤٥- ١٤٧) .

[٥] هو حصن الإسماعيلية.

[٦] انظر عن (خليل بن إسماعيل) في: الوافي بالوفيات ١٣/ ٣٩٤ رقم ٤٩٢، والدارس في تاريخ المدارس ٢/ ٢٤٧.." (١)

"وقال صالح جزرة: حدثني سليمان بن داود القزاز سمعت أبا داود يقول:

سمعت من شعبة سبعة آلاف حديث، وسمع غندر سبعة آلاف، أعربت عليه ألف حديث، وأعرب علي

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣١٤/٤٥

ألف حديث.

وقال مسلم بن إبراهيم: كان شعبة إذا قام سائل في مجلسه لا يحدث حتى يعطى أو يضمن له.

وقال أبو عاصم: كنا عند شعبة وقد أقبل على رجل خراساني، فقيل له:

تقبل على هذا وتدعنا! قال: وما يؤمنني أن معه **خنجرا** يشق بطني.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن خداش حدثني جريش ابن أخت جرير ابن حازم قال: رأيت شعبة في النوم فقلت: أي الأعمال وجدت أشد عليك؟

قال: التجوز في الرجال.

وقال عبيد بن يعيش: ثنا يونس بن بكير سمعت شعبة يقول: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث واكتم علي.

وقال شعبة: قلت ليونس بن عبيد: سمع الحسن من أبي هريرة؟ قال:

لا ولا حرفا.

وقال غندر: لما حضرت شعبة الوفاة لم يأذن لأحد إلا ليحيى بن سعيد وإنما غمض عينيه يحىي بن سعيد.

قلت: اتفقوا على وفاة شعبة سنة ستين ومائة بالبصرة. ويقال: إنه مات في أول السنة.

وقيل: عاش ثمانيا وسبعين سنة.

وقد حرر المدائني وفاته فقال: مات يوم أيوب [١] .

---

[١] كذا، ولم أجده في تهذيب المزي ولا في تهذيب التهذيب.." (١)

"من قال: هو ابن الحصين أو حصين.

المسعودي [١] ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الهذلي المسعودي الكوفي أحد الأعلام، وهو أخو أبي العميس [٢] .

روى عن علقمة بن مرثد وسعيد بن أبي بردة وعلي بن الأقمر وزياد بن علاقة وعبد الجبار بن وائل وعمرو بن مرة وعون بن عبد الله ويزيد الفقير وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وطائفة.

وعنه ابن المبارك وابن عيينة وطلق بن غنام وعبد الرحمن بن مهدي ويزيد ابن هارون وأبو المغيرة الحمصي

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٣٢/٩

وجعفر بن عون وأبو داود وأبو عبد الرحمن المقري وأبو نعيم وعلي بن الجعد وخلق.

وكان رئيسا نبيلا يداخل الخلفاء.

قال أبو نعيم: رأيته في عباء [٣] أسود وشاشية وفي وسطه خنجر وبين كتفيه بياض (فسيكفيكهم الله) فتوقف أناس في الأخذ عنه لذلك.

وقال الهيثم بن حميد: رأيته وفي وسطه خنجر وقلنسوة أطول من ذراع مكتوب عليها (محمد يا منصور) .

وقال أحمد بن حنبل: ثقة وسماع أبي النضر وعاصم بن علي وهؤلاء من المسعودي بعد ما اختلط إلا أنهم احتملوا السماع منه.

---

[١] الجرح ٥/ ٢٥٠، التاريخ ٥/ ٢٩٩، المجروحين ٢/ ٤٨، التهذيب ٦/ ٢١٠، المشاهير ١٠٢، التقريب ١/ ٤٨٧، المعرفة والتاريخ (راجع فهرس الأعلام) ، التاريخ لابن معين ٢/ ٣٥١ رقم ١٦٠٧.

[٢] سبقت ترجمته في الكنى من الطبقة السابقة.

[٣] في الأصل «قباء» .." (١)

"ووزر له نجيب الدولة علي بن أحمد الجرجرائي (١) ولولده، وكان نبيلا محتشما من بيت وزارة، لكنه أقطع اليدين من المرفقين.

قطعهما الحاكم سنة أربع وأربع مائة لكونه خانه، فكان يعلم العلامة (٢) عنه القاضي أبو عبد الله القضاعي (٣) .

وهي الحمد لله شكرا لنعمته (٤) .

وفي أول ولاية الظاهر أقدم متولي بتنيس ما تحصل عنده، فكان ألف ألف دينار، وألفي ألف درهم.

قال المحدث محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي الكوفي:

في سنة ثلاث عشرة لما صليت الجمعة والركب بعد بمنى، قام رجل فضرب الحجر الأسود بدبوس (٥) ثلاثا، وقال:

إلى متى يعبد الحجر فيمنعني (٦) محمد مما أفعله؟ فإني اليوم أهدم هذا البيت، فاتقاه الناس، وكاد يفلت، وكان أشقر، أحمر، جسيما، تام القامة، وكان على باب المسجد عشرة فرسان على أن ينصروه.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٩/٤٨١

فاحتسب رجل، فوجأه **بخنجر**، وتكاثروا عليه، فأحرق، وقتل جماعة من أصحابه وثارت الفتنة، فقتل نحو العشرين، ونهب المصريون.

وقيل: أخذ أربعة من أصحابه، فأقروا بأنهم مائة تبايعوا على ذلك، فضربت أعناق الأربعة، وتهشم وجه الحجر.

وتساقط منه شظايا.

---

(١) نسبة إلى جرجرايا، وهي قرية من ارض العراق.

انظر ترجمته في " الإشارة إلى من نال الوزارة ": ٣٥ - ٣٧.

(٢) المراد بها التوقيع. راجع الكلام عنها في " خطط المقريزي ": ٢ / ٢١١.

(٣) هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي، القضاعي، الفقيه الشافعي، صاحب كتاب " الشهاب "، وله كتاب " خطط مصر "، كان مفننا في عدة علوم توفي سنة / ٤٥٤ / هـ بمصر.

" وفيات الأعيان ": ٤ / ٢١٢ - ٢١٣.

(٤) " وفيات الأعيان ": ٣ / ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٥) عمود على شكل هراوة مدملكة الرأس.

(٦) في " المنتظم ": ٨ / ٨ " إلى متى يعبد الحجر، ولا محمد ولا علي يمنعني عما أفعله ".." [١]

"قال الواقدي: كان سعيد بن المسيب من أعبر الناس للرؤيا، أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر، وأخذت عن أبيها.

معن بن عيسى: حدثنا شعيب بن طلحة، عن أبيه:

قالت أسماء لابنها: يا بني، عش كريما، ومت كريما، لا يأخذك القوم أسيرا (١) .

قال هشام بن عروة: كثر اللصوص بالمدينة؛ فاتخذت أسماء **خنجرا** زمن سعيد بن العاص، كانت تجعله تحت رأسها (٢) .

قال عروة: دخلت أنا وأخي - قبل أن يقتل - على أمنا بعشر ليال، وهي وجعة.

فقال عبد الله: كيف تجدينك؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٥/١٨٥

قالت: وجعة.

قال: إن في الموت لعافية.

قالت: لعلك تشتهي موتي؛ فلا تفعل.

وضحكت، وقالت: والله، ما أشتهي أن أموت حتى تأتي على أحد طرفيك: إما أن تقتل فأحتسبك؛ وإما أن تظفر فتقر عيني، إياك أن تعرض على خطة فلا توافق، فتقبلها كراهية الموت (٣) .

قال: وإنما عنى أخي أن يقتل، فيحزنها ذلك.

وكانت بنت مائة سنة.

---

(١) شعيب بن طلحة مختلف فيه، قال ابن معين: لا أعرفه، وقال أبو حاتم: لا بأس به، ونقل الحافظ الضياء عن الدارقطني قوله فيه: متروك، وقال معن: لا يكاد يعرف.

وذكره ابن حبان في " الثقات ".

(٢) أخرجه ابن سعد ٨ / ٢٥٣، ولفظه: أن أسماء بنت أبي بكر اتخذت **خنجرا** زمن سعيد بن العاص للصوص، وكانوا قد استعروا بالمدينة، فكانت تجعله تحت رأسها.

وأخرجه الحاكم في " المستدرك " ٤ / ٦٤، وزاد فيه: فقيل لها: ما تصنعين بهذا؟ قالت: إن دخل علي لص بعجت بطنه، وكانت عمياء، وقد تحرفت في الأصل " زمن " إلى " روى ".

(٣) ذكره المؤلف في " تاريخ الإسلام " ٣ / ١٣٥.." (١)

"بريرة مغيثا، وحبه لها (١) .

٥٥ - أم سليم الغميصاء بنت ملحان الأنصارية * (خ، م، د، ت، س)

ويقال: الرميصاء.

ويقال: سهلة.

ويقال: أنيفة.

ويقال: رميثة

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢/٢٩٣

بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية، الخزرجية.

أم خادم النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ أنس بن مالك.

فمات زوجها مالك بن النضر، ثم تزوجها أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري، فولدت له أبا عمير، وعبد الله.

شهدت حنينا وأحدا.

من أفاضل النساء.

قال محمد بن سيرين: كانت أم سليم مع النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم أحد، ومعها **خنجر** (٢) .

حماد بن سلمة: عن ثابت، عن أنس:

أن أم سليم اتخذت **خنجرا** يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله! هذه أم سليم معها **خنجر**.

فقالت: يا رسول الله! إن دنا مني مشرك بقرت به بطنه (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري ٩ / ٣٥٩، وقد تقدم بتمامه في الصفحة ٣٠٢ تعليق (٣) .

(*) مسند أحمد: ٦ / ٣٧٦ و٤٣٠، طبقات ابن سعد: ٨ / ٤٢٤، طبقات خليفة: ٣٣٩، المعارف: ٢٧١، ٣٠٨، الجرح والتعديل: ٩ / ٤٦٤، الاستبصار: ٣٦ - ٣٧، الاستيعاب: ٤ / ١٨٤٧، جامع الأصول: ٩ / ١٥١، أسد الغابة ٧ / ٣٤٥، تهذيب الكمال: ١٧٠٣، مجمع الزوائد: ٩ / ٢٦١، تهذيب التهذيب: ١٢ / ٤٧١، الإصابة: ١٢ / ٢٦٥ و١٣ / ٢٢٦، خلاصة تذهيب الكمال: ٤٩٨.

(٢) ابن سعد ٨ / ٤٢٥.

(٣) إسناده صحيح، وهو في " الطبقات " ٨ / ٤٢٥.." [1]

"وفي شعبان سنة إحدى وثمانين نازل صلاح الدين الموصل، وترددت الرسل بينه وبين صاحبها عز الدين، وتمرض، وتأخر إلى حران، واشتد مرضه، وحلفوا لأولاده بأمره (١) ، وأوصى عليهم أخاه العادل (٢) ، ثم مر بحمص، وقد مات صاحبها ناصر الدين محمد (٣) ، ابن عمه، فأعطاها لولده المجاهد شيركوه وله اثنتا عشرة سنة.

وفي سنة ثلاث وثمانين افتتح صلاح الدين بلاد الفرنج، وقهرهم، وأباد خضراءهم، وأسر ملوكهم على حطين.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢/٣٠٤

وكان قد نذر أن يقتل أرناط (٤) صاحب الكرك، فأسره يومئذ، كان قد مر به قوم من مصر في حال الهدنة، فغدر بهم، فناشدوه الصلح، فقال ما فيه استخفاف بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وقتلهم، فاستحضر صلاح الدين الملوك، ثم ناول الملك جفري (٥) شربة جلاب ثلج، فشرب، فناول أرناط، فشرب، فقال السلطان للترجمان: قل لجفري: أنت الذي سقيته، وإلا أنا فما سقيته.

ثم استحضر البرنس أرناط في مجلس آخر، وقال: أنا أنتصر لمحمد -صلى الله عليه وسلم- منك.

ثم عرض عليه الإسلام، فأبى، فحل كتفه بالنيمجاه (٦) ، وافتتح عامه ما لم يفتحه ملك، وطار صيته في الدنيا، وهابته الملوك.

ثم وقع النوح والمأتم في جزائر البحر وإلى رومية، ونودي بالنفير إلى

---

(١) يعني حلف الناس لاولاد صلاح الدين وذلك بسبب اشتداد المرض عليه.

(٢) يريد: جعله وصيا عليهم.

(٣) قيل: مات من كثرة شرب الخمر، وقيل إن السلطان دس له من سمه، وكلها إشاعات ترد عند المؤرخين.

(٤) هو الأمير رينو دي شاتيلون = Prince Renaud de Chatillon

(٥) وهو: Geoffri de Lusignan

(٦) النيمجاه: **خنجر** مقوس يشبه السيف القصير، وهو معرب (نيمجه) (راجع تعليق المرحوم الشيال على سيرة صلاح الدين: ٧٩ وراجع مستدرك دوزي) .." [١]

"الفسوي: حدثنا حجاج بن أبي منيع، حدثنا جدي، عن الزهري، عن أنس، قال:

تعاهد ثلاثة من أهل العراق على قتل: معاوية، وعمرو بن العاص، وحبيب بن مسلمة.

وأقبلوا بعد بيعة معاوية بالخلافة حتى قدموا إيلياء، فصلوا من السحر في المسجد، فلما خرج معاوية لصلاة الفجر كبر، فلما سجد انبطح أحدهم على ظهر الحرسي الساجد بينه وبين معاوية حتى طعن معاوية في مأكمته.

فانصرف معاوية، وقال: أتموا صلاتكم.

وأمسك الرجل، فقال الطبيب: إن لم يكن **الخنجر** مسموما، فلا بأس عليك.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢١/٢٨٥

فأعد الطبيب عقاقيره، ثم لحس **الخنجر**، فلم يجده مسموما، فكبر، وكبر من عنده.

وقيل: ليس بأمير المؤمنين بأس (١) .

قلت: هذه المرة غير المرة التي جرح فيها وقتما قتل علي -رضي الله عنه - فإن تلك فلق أليته (٢) ، وسقي أدوية خلصته من السم، لكن قطع نسله.

أيوب بن جابر: عن أبي إسحاق، عن الأسود:

قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة؟

قالت: وما يعجب؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر، وقد ملك فرعون مصر أربع مائة سنة (٣) .

زيد بن أبي الزرقاء: عن جعفر بن برقان (٤) ، عن يزيد (٥) بن الأصم،

---

(١) رجاله ثقات، وجد حجاج: اسمه عبيد الله بن أبي زياد الرصافي.

وإيلياء: اسم مدينة بيت المقدس، وقوله: " طعن في مأكمته " المأكمة: العجيزة.

وقد أورد الفسوي في " تاريخه " ١ / ٤١٣ خبرا بمعناه من طريق الوليد بن مسلم، حدثنا عن عبد الرحمن بن نمر، عن الزهري، أخبرني خالد بن عبد الله بن رباح السلمي أنه صلى مع معاوية يوم طعن بإيلياء ...

(٢) فلق، تصحفت في المطبوع إلى " قلق "، و" الالية " بفتح الهمزه: العجيزة، وقد كسرت همزتها في المطبوع وهو خطأ.

(٣) ذكره ابن كثير ٨ / ١٣١ نقلا عن ابن عساكر بإسناده عن أبي داود الطيالسي بهذا الإسناد.

(٤) برقان، بضم الباء وقد تحرف في المطبوع إلى " زبرقان " بزيادة زاي في أوله.

(٥) تحرف في المطبوع إلى " مؤمل ".." [1]

"حقن الدماء، ويكره الفتن، ورأى من العراقيين ما يكره.

قال جرير بن حازم: بايع أهل الكوفة الحسن بعد أبيه، وأحبوه أكثر من أبيه.

وقال ابن شوذب: سار الحسن يطلب الشام، وأقبل معاوية في أهل الشام، فالتقوا، فكره الحسن القتال، وبايع معاوية على أن جعل له العهد بالخلافة من بعده، فكان أصحاب الحسن يقولون له: يا عار المؤمنين.

فيقول: العار خير من النار (١) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٤٣/٣

وعن عوانة بن الحكم، قال:

سار الحسن حتى نزل المدائن، وبعث على المقدمة قيس بن سعد في اثني عشر ألفا، فبينا الحسن بالمدائن إذ صاح صائح: ألا إن قيسا قد قتل.

فاختبط الناس، وانتهب الغوغاء سرادق الحسن حتى نازعوه بساطا تحته، وطعنه خارجي من بني أسد **بخنجر**، فقتلوا الخارجي، فنزل الحسن القصر الأبيض، وكاتب معاوية في الصلح.

وروى نحوا من هذا: الشعبي، وأبو إسحاق (٢) .

وتوجع من تلك الضربة أشهرا، وعوفي.

قال هلال بن خباب: قال الحسن بن علي:

يا أهل الكوفة! لو لم تذهل نفسي عليكم إلا لثلاث لذهلت؛ لقتلكم أبي، وطعنكم في فخذي، وانتهابكم ثقلي (٣) .

قال النبي –صلى الله عليه وسلم – في الحسن: (إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين

---

(١) ذكره الحافظ في " الفتح " ١٣ / ٥٦، ونسبه لابن أبي خيثمة.

(٢) أبو إسحاق هو السبيعي، واسمه عمرو بن عبد الله الهمداني، وقد تحرف في المطبوع إلى " ابن إسحاق ".

(٣) الثقل: متاع المسافر وحشمه.." [1]

"عن الحرمازي: خطب الحسن بن علي بالكوفة، فقال:

إن الحلم زينة، والوقار مروءة، والعجلة سفه، والسفه ضعف، ومجالسة أهل الدناءة شين، ومخالطة الفساق ريبة (١) .

زهير: عن أبي إسحاق، عن عمرو بن الأصم:

قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة.

قال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله (٢) .

قال جرير بن حازم: قتل علي، فبايع أهل الكوفة الحسن، وأحبوه أشد من حب أبيه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٤٥/٣

وقال الكلبي: بويع الحسن، فوليها سبعة أشهر وأحد عشر يوما، ثم سلم الأمر إلى معاوية.
وقال عوانة بن الحكم: سار الحسن حتى نزل المدائن، وبعث قيس بن سعد على المقدمات، وهم اثنا عشر ألفا، فوقع الصائح: قتل قيس.
فانتهب الناس سرادق الحسن، ووثب عليه رجل من الخوارج، فطعنه **بالخنجر**، فوثب الناس على ذلك، فقتلوه.
فكتب الحسن إلى معاوية في الصلح (٣) .
ابن سعد: حدثنا محمد بن عبيد، عن مجالد، عن الشعبي، وعن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه:
أن أهل العراق لما بايعوا الحسن، قالوا له: سر إلى هؤلاء الذين عصوا الله ورسوله وارتكبوا العظائم، فسار إلى أهل

---

(١) " تهذيب ابن عساكر " ٤ / ٢٢٢ وفيه " والوفاء مروءة ".
(٢) " تهذيب ابن عساكر " ٤ / ٢٢٢، و" البداية " ٨ / ٤١ عن ابن سعد، حدثنا الحسن بن موسى وأحمد بن يونس، قالا: حدثنا زهير بن معاوية، حدثنا أبو إسحاق عن عمرو الأصم.
(٣) " الطبري " ٥ / ١٥٩ و١٦٠، و" البداية " ٨ / ١٤، و" تهذيب ابن عساكر " ٤ / ٢٢٣." (١)
"الشام، وأقبل معاوية حتى نزل جسر منبج، فبينا الحسن بالمدائن، إذ نادى مناد في عسكره: ألا إن قيس بن سعد قد قتل.
فشد الناس على حجرة الحسن، فنهبوها حتى انتهبت بسطه، وأخذوا رداءه، وطعنه رجل من بني أسد في ظهره **بخنجر** مسموم في أليته، فتحول، ونزل قصر كسرى الأبيض، وقال: عليكم لعنة الله من أهل قرية، قد علمت أن لا خير فيكم، قتلتم أبي بالأمس، واليوم تفعلون بي هذا.
ثم كاتب معاوية في الصلح على أن يسلم له ثلاث خصال: يسلم له بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده ويتحمل منه هو وآله، ولا يسب علي وهو يسمع، وأن يحمل إليه خراج فسا ودرابجرد كل سنة إلى المدينة، فأجابه معاوية، وأعطاه ما سأل (١) .
ويقال: بل أرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل إلى معاوية حتى أخذ له ما سأل، فكتب إليه الحسن: أن

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣/٢٦٣

أقبل.

فأقبل من جسر منبج إلى مسكن في خمسة أيام، فسلم إليه الحسن الأمر، وبايعه حتى قدما الكوفة.

ووفى مءاوية للحسن ببيت المال، وكان فيه يومئذ سبعة آلاف ألف درهم؛ فاحتملها الحسن، وتجهز هو وأهل بيته إلى المدينة، وكف معاوية عن سب علي والحسن يسمع.

وأجرى معاوية على الحسن كل سنة ألف ألف درهم.

وعاش الحسن بعد ذلك عشر سنين (٢) .

وأخبرنا عبد الله بن بكر، حدثنا حاتم بن أبي صغيرة، عن عمرو بن دينار:

أن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما توفي علي بعث إلى الحسن، فأصلح ما بينه وبينه سرا، وأعطاه معاوية عهدا إن حدث به حدث والحسن حي ليسمينه، وليجعلن الأمر إليه.

فلما توثق منه الحسن، قال ابن جعفر: والله إني لجالس عند الحسن، إذ أخذت لأقوم،

---

(١) " تهذيب ابن عساكر " ٤ / ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) " تهذيب ابن عساكر " ٤ / ٢٢٤.." [1]

"مجالد: عن الشعبي، وعن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، وعن غيرهما، قالوا:

بايع أهل العراق الحسن، وقالوا له: سر إلى هؤلاء.

فسار إلى أهل الشام، وعلى مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفا.

وقال غيره: فنزل المدائن، وأقبل معاوية، إذ نادى مناد في عسكر الحسن: قتل قيس.

فشد الناس على حجرة الحسن، فانتهبوها، حتى انتهبوا جواريه، وسلبوه رداءه، وطعنه ابن أقيصر **بخنجر** مسموم في أليته، فتحول، ونزل قصر كسرى، وقال: عليكم اللعنة، فلا خير فيكم.

ابن أبي شيبة: حدثنا زيد (١) بن الحباب، عن حسين بن واقد، حدثني عبد الله بن بريدة:

أن الحسن دخل على معاوية، فقال: لأجيزنك بجائزة لم أجز بها أحدا.

فأجازه بأربع مائة ألف، أو أربع مائة ألف ألف، فقبلها (٢) .

وفي (مجتنى) ابن دريد: قام الحسن بعد موت أبيه، فقال: والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣/٢٦٤

كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين؛ دينكم أمام دنياكم، فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين؛ قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي، فخاذل، وأما الباكي، فثائر.

ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة؛ فإن أردتم الموت، رددناه عليه، وإن أردتم الحياة قبلناه.

قال: فناداه القوم من كل جانب؛ التقية التقية.

فلما أفردوه، أمضى الصلح.

يزيد: أخبرنا العوام بن حوشب، عن هلال بن يساف: سمعت الحسن

---

(١) في الأصل " يزيد " وهو خطأ.

(٢) إسناده حسن.." (١)

"يخطب، ويقول: يا أهل الكوفة! اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم، وإنا أضيافكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت} [الأحزاب: ٣٣] .

قال: فما رأيت قط باكيا أكثر من يومئذ (١) .

أبو عوانة: عن حصين بن عبد الرحمن، عن أبي جميلة ميسرة بن يعقوب:

أن الحسن بينما هو يصلي، إذ وثب عليه رجل، فطعنه **بخنجر**.

قال حصين: وعمي أدرك ذاك، فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه، فمرض منها أشهرا، فقعد على المنبر، فقال: اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وأضيافكم الذي قال الله فينا.

قال: فما أرى في المسجد إلا من يحن بكاء (٢) .

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن أبي موسى:

سمع الحسن يقول: استقبل -والله - الحسن بن علي معاوية بكتائب مثل الجبال.

فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها.

فقال له معاوية - وكان والله خير رجلين -: أي عمرو! إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢٦٩/٣

المسلمين، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم؟!

فبعث إليهم برجلين من قريش؛ عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه.

فأتياه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها.

قالا: فإنا نعرض عليك كذا وكذا، ونطلب إليك، ونسألك.

قال: فمن لي بهذا؟

قالا: نحن

---

(١) " تهذيب ابن عساكر " ٤ / ٢٢٥.

(٢) وأخرجه الطبراني (٢٧٦١) ، وأورده الهيثمي في " المجمع " ٩ / ١٧٢، وقال: رجاله ثقات.." [1]

"ولد: في خلافة عبد الملك بن مروان، بعد الثمانين.

وحدث عن: عون بن عبد الله بن عتبة، وسعيد بن أبي بردة، وزياد بن علاقة، وعلقمة بن مرثد، وعلي بن الأقمر، وعمرو بن مرة، وعبد الجبار بن وائل، وأبي بكر بن حزم قاضي المدينة، ويزيد الفقير، وعدة.

حدث عنه: ابن المبارك، وسفيان بن عيينة، وعبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون، وجعفر بن عون، وأبو المغيرة الخولاني، وطلق بن غنام، وأبو داود الطيالسي، وأبو عبد الرحمن المقرئ، وأبو نعيم، وآخرون.

وخاتمتهم: علي بن الجعد.

وكان فقيها كبيرا، ورئيسا نبيلا، يخدم الدولة، وله صورة (١) .

قال أبو نعيم: رأيته في قباء أسود وشاشية، وفي وسطه **خنجر**، وبين كتفيه كتابة بأبيض: {فسيكفيكهم الله، وهو السميع العليم} [البقرة: ١٣٧] .

فتوقف أناس في الأخذ عنه لذلك.

وقال الهيثم بن جميل: رأيته في وسطه **خنجر** وقلنسوة أطول من ذراع، مكتوب عليها: محمد يا منصور.

قال أحمد بن حنبل: هو ثقة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣/٢٧٠

وسماع أبي النضر، وعاصم بن علي، وهؤلاء منه، بعد ما اختلط، إلا أنهم احتملوا السماع منه.

وروى: عثمان بن سعيد، عن يحيى بن معين: ثقة.

وقال علي بن المديني: ثقة، قد كان يغلط فيما روى عن: عاصم بن بهدلة، وعن سلمة.

قال محمد بن عبد الله بن نمير المسعودي: ثقة، اختلط بأخرة.

---

(١) أي: منزلة.." (١)

"للحديث (١) - فيقول: لا تحدث، وإلا استعديت عليك السلطان.

أبو زيد الهروي: عن شعبة:

لأن أقع من السماء إلى الأرض، أحب إلي من أن أدلس.

قال صالح بن محمد جزرة: حدثني سليمان بن داود القزاز، سمعت أبا داود يقول:

سمعت من شعبة سبعة آلاف حديث، وسمع منه غندر مثلها، أغربت عليه ألف حديث، وأغرب هو علي ألفا.

قال شعبة: وقفوهم تصدقوا أو تكذبوا.

سمعه منه: أبو عبيدة الحداد.

قال مسلم بن إبراهيم: كان شعبة إذا قام سائل في مجلسه، لا يحدث حتى يعطى أو يضمن له.

قال أبو عاصم: كنا عند شعبة، وقد أقبل على رجل خراساني، فقيل له: تقبل على هذا وتدعنا؟!

قال: وما يؤمنني أن معه خنجرا يشق بطني به.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن خداش، حدثني حريش ابن أخت جرير بن حازم، قال:

رأيت شعبة في النوم، فقلت: أي الأعمال وجدت أشد عليك؟

قال: التجوز في الرجال (٢) .

قال عبيد بن يعيش: سمعت يونس بن بكير، سمعت شعبة يقول:

اكتم علي: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث.

وقال شعبة: قلت ليونس بن عبيد: سمع الحسن من أبي هريرة؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٩٤/٧

قال: لا، ولا حرف.

---

(١) زيادة من: " تهذيب الأسماء ": ١ / ٢٤٥، وفيه: " ... وإلا اشتكيت عليك إلى السلطان ".

(٢) التجوز: الترخص. والمعروف عن شعبة أنه كان يتشدد في تنقيد الرواة ولا يترخص في ذلك.." (١)

"على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس.

وقال عمرو بن ميمون الأودي: إن أبا لؤلؤ عبد المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان طعن معه اثنا عشر رجلا، مات منهم ستة، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا، فلما اغتم فيه قتل نفسه.

وقال عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: جئت من السوق وعمر يتوكأ علي، فمر بنا أبو لؤلؤة، فنظر إلى عمر نظرة ظننت أنه لولا مكاني بطش به، فجئت بعد ذلك إلى المسجد الفجر فإني لبين النائم واليقظان، إذ سمعت عمر يقول: قتلني الكلب، فماج الناس ساعة، ثم إذا قراءة عبد الرحمن بن عوف.

وقال ثابت البناني، عن أبي رافع: كان أبو لؤلؤة عبدا للمغيرة يصنع الأرحاء، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم، فلقي عمر، فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي فكلمه، فقال: أحسن إلى مولاك، ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه، فغضب وقال: يسع الناس كلهم عدله غيري، وأضمر قتله واتخذ خنجرا وشحذه وسمه، وكان عمر يقول:

"أقيموا صفوفكم" قبل أن يكبر، فجاء فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته، فسقط عمر، وطعن ثلاث عشر رجلا معه، فمات منهم ستة، وحمل عمر إلى أهله، وكادت الشمس أن تطلع، فصلى ابن عوف بالناس بأقصر سورتين، وأتي عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين، فسقوه لبنا فخرج من جرحه، فقالوا: لا بأس عليك، فقال: إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت. فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: كنت وكنت، فقال: أما والله وددت أني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي.." (٢)

"الشام فكسر بهم ولم يغرقوا فرجعوا فأسلموا، وفرض لهم عمر في ألفين ألفين، وسمى الهرمزان عرفطة.

قال المسور بن مخرمة: رأيت الهرمزان بالروحاء مهلا بالحج مع عمر.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢١٦/٧

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين راشدون/٩٠

وروى إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، قال: رأيت الهرمزان مهلا بالحج مع عمر، وعليه حلة حبرة.

وقال علي بن زيد بن جدعان عن أنس قال: ما رأيت رجلا أخمص بطنا ولا أبعد ما بين المنكبين من الهرمزان.

عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر -ولم تجرب عليه كذبة قط- قال: انتهيت إلى الهرمزان وجفينة وأبي لؤلؤة وهم نجي فتبعتهم، وسقط من بينهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فقال عبد الرحمن: فانظروا بما قتل عمر، فنظروا بما قتل عمر، فنظروا فوجدوه خنجرا على تلك الصفة، فخرج عبيد الله بن عمر بن الخطاب مشتملا على السيف حتى أتى الهرمزان، فقال: اصحبني ننظر فرسا لي -وكان بصيرا بالخيل- فخرج يمشي بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حد السيف قال: لا إله إلا الله فقتله. ثم أتى جفينة وكان نصرانيا، فلما أشرف له علاه بالسيف فصلب بين عينيه. ثم أتى بنت أبي لؤلؤة جارية صغيرة تدعي الإسلام فقتلها، وأظلمت الأرض يومئذ على أهلها، ثم أقبل بالسيف صلتا في يده وهو يقول: والله لا أترك المدينة سبيا إلا قتلته وغيرهم، كأنه يعرض بناس من المهاجرين، فجعلوا يقولون له: ألق السيف فأبى ويهابونه أن يقربوا منه حتى أتاه عمرو بن العاص فقال: أعطني السيف يا ابن أخي. فأعطاه إياه، ثم ثار إليه عثمان فأخذ." (١)

"المسلمين سلطان، إنما تم هذا ولا سلطان لك، قال عثمان: أنا وليهم وقد جعلتها دية واحتملتها من مالي.

قلت: والهرمزان هو ملك تستر، وقد تقدم إسلامه، قتله عبيد الله بن عمر لما أصيب عمر، فجاء عمار بن ياسر فدخل على عمر، فقال: حدث اليوم حدث في الإسلامن قال: وما ذاك؟ قال: قتل عبيد الله الهرمزان، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون علي به، وسجنه.

قال سعيد بن المسيب: اجتمع أبو لؤلؤة وجفينة، رجل من الحيرة، والهرمزان، معهم خنجر له طرفان مملكة في وسطه، فجلسوا مجلسا فأثارهم دابة فوقع الخنجر، فأبصرهم عبد الرحمن بن أبي بكر، فلما طعن عمر حكى عبد الرحمن شأن الخنجر واجتماعهم وكيفية الخنجر، فنظروا فوجدوا الأمر كذلك، فوثب عبيد الله فقتل الهرمزان، وجفينة، ولؤلؤة بنت أبي لؤلؤة، فلما استخلف عثمان قال له علي: أقد عبيد الله من الهرمزان، فقال عثمان: ما له ولي غيري، وإني قد عفوت ولكن أديه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين راشدون/١٤١

ويروى أن الهرمزان لما عضه السيف قال: لا إله إلا الله. وأما جفينة فكان نصرانيا، وكان ظئرا لسعد بن أبي وقاص أقدمه إلى المدينة للصلح الذي بينه وبينهم، وليعلم الناس الكتابة.

وفيها: افتتح أبو موسى الأشعري الري، وكانت قد فتحت على يد حذيفة، وسويد بن مقرن، فانتقضوا.

وفيها: أصاب الناس رعاف كثير، فقيل لها: سنة الرعاف، وأصاب." (١)

"فضربته بالسيف على حبل عاتقه، فأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني. فأدركت عمر فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله. ثم إن الناس رجعوا، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه". فقمت ثم قلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. ثم قال: "من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه". فقمت ثم قلت: من يشهد لي. ثم الثالثة، فقمت، فقال: "ما لك يا أبا قتادة"؟ فاقتصصت عليه القصة. فقال رجل من القوم: صدق يا رسول الله، وسلب ذلك القتيل عندي، فأرضه منه.

فقال أبو بكر الصديق، لاها الله إذا، يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله، فيعطيك سلبه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صدق فأعطه إياه". فأعطانيه. فبعت الدرع، فابتعت به مخرفا في بني سلمة. فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام. أخرجه البخاري، وأبو داود عن القعنبي، ومسلم.

وقال حماد بن سلمة، عن إسحاق بن عبد الله، عن أنس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين: "من قتل قتيلا فله سلبه". فقتل يومئذ أبو طلحة عشرين رجلا وأخذ أسلابهم صحيح.

وبه، عن أنس، قال: لقي أبو طلحة أم سليم يوم حنين ومعها **خنجر**، فقال: يا أم سليم، ما هذا؟ قالت: أردت إن دنا مني بعضهم أن." (٢)

"يسرجون في الليلة الأولى سراجا وفي الثانية اثنين وكذا في الثامنة ثمانية سرج وذلك تذكار أصغر ثمانية إخوة قتل بعض ملوك اليونان فإنهم كان قد تغلب عليهم ملك من اليونان ببيت المقدس كان يفترع البنات قبل الإهداء إلى أزواجهن وله سرداب قد أخرج منه حبلين عليهما جلجلان فإن احتاج إلى امرأة حرك الأيمن فتدخل عليه فإذا فرغ منها حرك الأيسر فيخلي سبيلها وكان في بني إسرائيل رجل له ثمانية بنين وبنت واحدة تزوجها إسرائيلي وطلبها فقال أبوها إن أهديتها افترعها الملعون ودعا بنيه لذلك فأنفوا

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين راشدون/١٦٧

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين سيرة ٢/٢٠٤

ووثب الصغير منهم فلبس ثياب النساء وخبأ **خنجرا** وأتى باب الملك على أنه أخته فحرك الجرس فأدخل عليه فحين خلا به قتله وأخذ رأسه وحرك الحبل الأيسر وخرج فخلى سبيله فأفرح ذلك بني إسرائيل واتخذوه عيدا تذكارا بالإخوة الثمانية.

ومنها " المظال " سبعة أيام أولها خامس عشر تشرين الأول يستظلون فيها بالخلاف والقصب وغيره فريضة على المقيم تذكارا لإظلالهم بالغمام في التيه وآخرها وهو حادي عشر تشرين يسمى " عرابا " تفسيره شجر الخلاف وعرعراب وهو الثاني والعشرون من الخميس يسمى " التبريك " تبطل فيه الأعمال ويتبركون فيه بالتوراة وفيه استتم نزولها بزعمهم.

وليس في صومهم فرض غير " صوم الكبور " عاشر تشرينهم وابتداء الصوم من التاسع قبل الغروب بنصف ساعة إلى بعد غروب العشاء من العاشر بنصف ساعة تمام خمس وعشرين ساعة وكذلك صياماتهم النوافل والسنن.

(أمة النصارى)

أمة المسيح، وللنصارى في تجسد الكلمة مذاهب منهم من قال أشرقت على الجسد إشراق النور على الجسم المشف ومنهم من قال انطبعت فيه انطباع النقش في الشمعة ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء واتفقت النصارى أن المسيح قتله اليهود وصلبوه ويقولون إن المسيح بعد أن قتل وصلب ومات عاش فرأى شخصه شمعون الصفا وكلمة وأوصى إليه ثم فارق الدنيا وصعد السماء.

قال الشهرستاني في الملل والنحل: افترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وكبارهم ثلاث فرق الملكانية والنسطورية واليعقوبية.

أما " الملكانية " فأصحاب ملك ظهر بالروم واستولى عليها فغالب الروم ملكانية مصرحون بالتثليث، قال تعالى {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة} ويصرحون أن المسيح ناسوت كلي قديم أزلي من قديم أزلي وقد ولدت مريم إلها أزليا والقتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معا وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة

على الله تعالى وتقدس، وعلى المسيح حقيقة وذلك لما وجدوا في الإنجيل أنك أنت الابن الوحيد ولما رووا عن المسيح أنه قال حين كان يصلب أذهب إلى أبي وأبيكم وحرموا أربوس لما قال القديم." (١)

"ومنهم " عباد النار " الأكنواطرية عبادتهم أن يحفروا أخدودا مربعا ويؤججوا به النار ثم لا يدعون طعاما لذيذا ولا ثوبا فاخرا ولا شرابا لطيفا ولا عطرا فائحا ولا جوهرا نفيسا إلا طرحوه في تلك النار تقربا إليها وحرموا إلقاء النفوس فيها خلافا لطائفة أخرى.

ومنهم " البراهمة " أصحاب فكرة وعلم بالفلك والنجوم تخالف طريقتهم منجمي الروم والعجم لأن أكثر أحكامهم باتصالات الثوابت دون السيارات يعظمون أمر الفكر ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول ويجتهدون في صرف الفكر عن المحسوسات ليتجرد الفكر عن هذا العالم ويتجلى له ذلك العالم فربما يخبر عن المغيبات وربما يوقع الوهم على حي فيقتله وإنما يصرفون الفكر عن المحسوسات بالرياضية البليغة المجهدة وبتغميض أعينهم أياما والبراهمة لا يقولون بالنبوات ولهم على ذلك شبه والهنود لا يرون إرسال الريح من بطونهم قبيحا والسعال أقبح عندهم من إرسال الريح والجشاء.

ومنهم من يحرق نفسه فيأتي إلى باب الملك يستأذنه في ذلك ويلبس أنواع الحرير المنقوش ويتكلل بالريحان وتضرب الطبول والصنوج بين يديه ويدور كذلك في الأسواق وحوله أهله وأقاربه ثم يدنو من النار المؤججة له ويأخذ خنجرا يشق به جوفه ثم يهوي بنفسه في النار، والزنى فيهم مباح ويعظمون نهر كبك وهو نهر عظيم في حدود الهند من الشرق إلى الغرب ومنه نهر إلى بلاد سجستان وهو حاد الانصباب ويرغبون في إغراق نفوسهم به ويقتلون نفوسهم على شطه ويتهادون ماءه كما نتهادى نحن ماء زمزم.

وللهند ممالك منها " مملكة المايكين " من أعظم ممالكهم على بحر اللان وعليه السند ولا يدرك قعره هو أول بحارهم من جهة الغرب وهي أقرب ممالكهم إلينا وأكثر محمود بن سبكتكين غزو هذه وفتح كثيرا منها ومن مدنها العظام لاهور على جانبي نهر عظيم مثل بغداد.

ويلي المايكين " مملكة القنوج " بلادها الجبال منقطعة عن البحر من ملكها سمي بوده ونهر مهران وهو نهر السند أصله من بلاد القنوج ولها أصنام يتوارثون عبادتها ويزعمون أن لها مائتي ألف سنة.

وتجاورها " مملكة قمار " على البحر ينسب إليها العود وهم يحرمون الزنى من بين الهند من ملكها سمي زهم ويحاذيه من جهة البحر المهراج ملك الخزر.

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٧٦/١

وآخر ممالك الهند من جهة الشرق " مملكة ببارس " تلي الصين طويلة عرضها عشرة أيام وجزائر بحر الهند في غاية الكثرة وهي في البحر قبالة هذه الممالك.

(أمة السند)

غربي الهند وبلادهم قسمان الأول على جانب البحر وهو اللان من مدنه المنصورة والمولتان والدبيل والمسلمون غالبون عليه.." (١)

"إن وسوست في وجهه فسوة ... يقل لها يا طيبها نخره

وكل زناء يرى بولة ال ... قحبة في صبحته نشره

وكل بنت ما لها عذرة ... لكن هواها من بني عذره

سحاقة قد كلكلت بظرها ... وما لها في دلكها شعره

وكل خمار وفي كفه ... كأس على عاتقه جره

ومن حشيشي سطيل على ... شاربه قد بقلت خضره

ومن بني حام له مزرة ... صفى لها صاحبه المزره

وكل بغاء به أبنة ... مبادل أبغى من الإبره

وكل جلاد على خلوة ... عمرة هاجت به عميره

ومن خيالي ومن مطرب ... وزامر قد جاء في الزمره

فقلت يا إبليس ماذا الذي ... أسال من مقلتك العبره

وما الذي أزعج أشياعك النو ... كى وإن كانوا ذوي شره

فقال لي: يا بأبي أنت قد ... وقعت في مس أخت ما أكره

قلت جيوشي ووهى منصبي ... وعدت لا أمر ولا إمره

وأصبح الخمار لا يلتقي ... في بيته كوزا ولا جره

ومنزل المزار صفر وقد ... علته من ذلته صفره

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٨١/١

وبات قلي الفار في حسرة ... وقلبه يقلى على جمره

وكاد أن يسطو الحشيشي وأن ... يجرح **بالخنجر** والشفره." [١]

"(ويريك من مثل الدمشق ملاءة ... لم ترمها عين رنت بعيوب)

(ترنو إلى عينيه إذ يذكيهما ... فتقول ماء جال في الهوب)

قال ابن الأبار معاني هذه الأبيات من قول أبي العلاء المعري

(أيا ديك عدت من اياديك صيحة ... بعثت بها ميت الكرى وهو نايم)

(عليك ثياب خاطها الله قادرا ... بها ريمتك العاطفات الروايم)

(وتاجك معقود كأنك هرمز ... تباهي به أملاكه وتوايم)

(وعيناك سقط ما خبا عند قرة ... كلمعة برق ما لها الدهر شايم)

(ورثت هدى التذكار من قبل جرهم ... أوان ترقت في السماء النعايم)

(وما زلت للدين القويم دعامة ... إذا قلقت من حامليه الدعايم)

واورد ابن الأبار لابن معمعة قصيدة في ديك منها

(لي ديك حضنته وهو في البي ... ضة من منصب كريم الحيم)

(يأكل العفو كيف ما شاء من ما ... لي كأكل الوصي مال اليتيم)

(أبيض اللون افرق العرف نظا ... ئر بعين كأنها عين ريم)

(وعلى نحره وشاحان من شذ ... ر نثير ولؤلؤ منظوم)

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٤٢٩/٤

(رافع راية من الذنب المش ... رف يسعى بها كسعى الظليم)

(وإذا ما مشى التبهنس مشى ... الطرب المنتشى في الخرطوم)

(وسم الأرض وسم طين كتاب ... بحواتيم كاتب مختوم)

(وله خنجران في قصب السا ... قين قد ركبا لحفظ الحريم)

(وعليه من ريشه طيلسان ... صيغ من صنعة اللطيف الحكيم)

(وإذا ما رأيته بين خمس ... من دجاجاته كبار الجسوم)

(قلت ملك يخدمنه فتيات ... يتهادين بي زنج وروم)

(وترى عرفه فتحسبه التا ... ج على رأس كسروى كريم)

(ثاقب العلم بالمواقيت ليلا ... ونهارا وحاذق بالنجوم)

(ويحث الجيران حولي على الب ... ر كحث المدير كأس النديم)
)
قلت وقصيدة ابن زريق الكاتب التي يرثى بها ديكه من أجل القصايد في هذا المعنى وستأتى في ترجمته وما أحسن قول القايل
(يا رافعا قوس السماء ولا بسا ... للحسن روض الحزن غب سماء)." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢/١٨٩

"وله أيضا

(تجلى لنا شمعة تشابهني ... وقدا ولونا وادمعا وفنا)

قلت شعر جيد وله أرجوزة في مخارج الحروف محمد بن حرب بن خربان أبو عبد الله الواسطي النشائي وقيل النشاستجى روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود قال أبو حاتم صدوق توفي سنة خمس وخمسين وماتين

التميمي البصري محمد بن الحرث التميمي البصري من عبد شمس بن زيد مناة بن تميم قال ابن المرزبان مأموني يقول)

(كأن طرف المحب حين يرى ... حبيبه **خنجر** على كبده)

(قد يكره الشيء وهو منفعة ... ويطرف المرء عينه بيده)

العبشمي والى مصر محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة العبشمى أبو القسم قتله شيعة عثمان بفلسطين سنة ثمان وثلثين للهجرة وكان أبوه أبو حذيفة قد استشهد يوم اليمامة وكان ابنه محمد صغيرا فكفله عثمان بن عفان رضى الله عنه واحسن كفالته ورباه واجمل تربيته فلما ترعرع سأل عثمان أن يوليه ولاية فأبى فتنسك وتعبد وقيل أنه خرج إلى مصر وبها عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل عثمان فوفد عبد الله بن سعد على عثمان فانتزى محمد بن أبي حذيفة على مصر وأخذها فلما عاد ابن سعد إليها منعه من دخولها فرجع ابن سعد إلى عسقلان وأقام بها وأقام ابن أبي حذيفة على مصر حتى ولى على عليه السلام على مصر قيس بن سعد وعزل عنها ابن أبي حذيفة فخرج إلى الشام فقتله مولى لعثمان وقال هشام بن الكلبي استأذن محمد عثمان في غزو البحر فأذن له وخرج إلى مصر فلما رأى الناس وزهده وعبادته اعظموه واطاعوه وكان جهورى الصوت فكبر يوما خلف ابن سعد تكبيرة أفزعته فشتمه ابن سعد وقال أنت حدث أحمق ولولا ذلك قاربت بين خطاك وكان ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر يعيبان على عثمان توليته ابن سعد ويؤلبان عليه فكتب ابن سعد إلى عثمان أخبره فكتب إليه عثمان أما ابن أبي بكر فيوهب لأبيه ولعايشة وأما ابن أبي حذيفة فابنى وتربيتي وهو فرخ قريش فكتب ابن سعد أن هذا الفرخ قد نبت ريشه وما بقى إلا أن يطير فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلثين ألفا وكسوة فجمع محمد المصريين ووصع المال في المسجد وقال أن

عثمان يريد أن يخدعني ويرشوني عل ديني وفرقه فيه فازداد في عيون القوم وازدادوا طغيانا على عثمان فاجتمعوا وبايعوا محمدا على رياستهم فلم." (١)

"ذاق برد الظلالفي لهيب الجمرواهتدى في الضلالببروق الثغر

(شق خد الشقيق ... منه خد أنيق)

(والقوام الرشيق ... فيه معنى دقيق)

(كم سقاني الرحيق ... من فم كالعقيق)

(بعد ذاك الزلالما حلالي صبري ... والقوام الممالقام فيه عذري)

(غصن بان يميس ... في رياض الزهر)

(ريقه الخندريس ... في زلال ظهر)

)

(فيه در نفيس ... في عقيق بهر)

جفنه حين صالفي خبايا صدريلو كفاني النباللاكتفى بالسحر ومن موشحات الموصلي وقد عارض موشحة للقاضي الفاضل رحمه الله تعالى وسيأتي في ترجمته إن شاء الله

(بي من حوى الحسن كلهوفاق غيد الأكله ... بدر تمام مصورما فيه نقص الأهلة)

(فشعر لليالي ... وفرقه للصباح)

(وجفنه للنصال ... وقده للرماح)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٤٣/٢

(وريقه للزلال ... وثغره للأقاح)

(فلو رأى قيس دلهأنساه حسن المذله ... ولو تعناه عنترسلا محبة عبله)

(لي جنة وحرير ... بخده واحمراره)

(ونضرة وسرور ... بصدغه واخضراره)

(أعنبر أم عبير ... يجري بخط عذاره)

(يحار فيه ابن مقلهحماه جفن ومقله ... فذا يجرد **خنجروذا** يفوق نبله)

(من حمرة وبياض ... الاجتماع تولد)

(في وجنة كالرياض ... جنانها الخال أسود)

(وبالصحاح المراض ... صان النقي من الخد)

(وكنتن أضمرت قبلهلذا الجميل الجبله ... بنظرة لي تظهروتلتقي الصدغ غفله)

(فخده للهيب ... ونشره للغوالي)

(وردفه للكثيب ... وجيده للغزال)

(وعطفه للقضيب ... ووجهه للهلال)

(مذ أطلع الصدغ نملهفقلت للقلب نم له ... لعل بالصبر تظفربوصله يا موله)." (١)

"ونشأ الحسن كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عابدا عالما جوادا فاضلا مهيبا وقورا حليما فصيحا وحج خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد معه

ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات حتى أنه يعطي الخف ويمسك النعل

وقال ابن سيرين كان الحسن يجيز الرجل الواحد بمائة ألف درهم وكان رضي الله عنه مطلاقا قيل إنه أحصن بسبعين امرأة وقلما تفارقه أربع حرائر وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه

وكان يوم الجمل على الميمنة وقيل على الميسرة وكان يكره القتال ويشير على أبيه بتركه

وبويع بعد قتل أبيه بالخلافة بايعه أهل الكوفة وكانوا تسعين ألفا أو نحوها وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه فبقي فيها ستة أشهر أو سبعة أو نحو ذلك فتمت بها خلافة النبوة ثلاثين سنة

ثم إنه صالح معاوية سنة إحدى وأربعين بسواد الكوفة فسمي عام الجماعة وسلم الأمر إليه وكان هذا هو الصلح الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الحسن فوالله والله بعد أن ولي لم يهرق في خلافته ملء محجمة من دم وكان أهل العراق قد خذلوه في قتال معاوية ونهب سرادقه وطعن **بخنجر** فكتب إلى معاوية بالصلح فقدم عليه وبايعه على أن جعل العهد من بعده للحسن واشترط عليه أخذ ما في بيت المال وكان سبعة آلاف ألف درهم وأن لا يسب عليا وهو يسمع وأن يحمل إليه خراج فسا ودارابجرد من أرض فارس كل عام إلى المدينة ما بقي فأجابه معاوية إلى ذلك ثم كان يجري عليه كل سنة ألف ألف درهم ولم يحمل إليه الخراج

وعرض للحسن رجل فقال يا مسود وجوه المسلمين وقال آخر يا مسخم وجوه المؤمنين)

وكان أصحابه يقولون يا عار المؤمنين فيقول لهم العار خير من النار

ثم إنه مات مسموما قيل إن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس أمرها بذلك يزيد بن معاوية لتكون ولاية العهد له ووعدها أن يتزوجها فلما مات الحسن قال يزيد والله لم نرضك للحسن فكيف نرضاك لأنفسنا ولم يتزوجها

وكان الحسن توضع تحته طست وترفع أخرى نحوا من أربعين يوما فقال الطبيب هذا رجل قطع السم أمعاؤه

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٦/٢٠١

وأقام نساء بني هاشم عليه النواح شهرا

ولما مات ارتجت المدينة صياحا وكان قد أوصى أن يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن تخاف فتنة فحال مروان بمن معه دون ذلك فقال والله لا يدفن في الحجرة وقد دفن عثمان في البقيع وبلغ ذلك معاوية فاستصوبه فدفن عند قبر أمه فاطمة وصلى عليه سعيد بن العاص وهو أمير المدينة." (١)

"العطاء والرزق ولكنهم لم يصبروا وسلوا السيف مع من سل فصار عن الكفار مغمد وعلى المسلمين مسلولا إلى يوم القيامة وقال موسى بن طلحة أتينا عائشة نسألها عن عثمان فقالت اجلسوا أحدثكم عما جئتم له إنا عتبنا على عثمان في ثلاث خلال فلم تذكرهن فعمدوا إليه حتى إذا ماصوه كما يماص الثوب بالصابون اقتحموا عليه العقر الثلاثة حرمة البلد الحرام والشهر الحرام وحرمة الخلافة ولقد قتلوه وانه لمن أوصلهم للرحم واتقاهم لربه وقال الزبير بن عبد الله أخبرتني جدتي وكانت خادمة لعثمان قالت كان لا يوقظ نائما من أهله إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه وكان يصوم الدهر وقال ابن عمر أذنب عثمان ذنبا عظيما يوم التقى الجمعان بأحد فعفا الله عنه وأذنب فيكم ذنبا صغيرا فقتلتموه وقتل عثمان بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة وكان أول من دخل عليه الدار محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته فقال دعها يا ابن أخي فوالله لقد كان أبوك يكرمها فاستحيا وخرج ثم دخل رومان بن سرحان رجل أزرق قصير محدود ومعه خنجر فاستقبله به وقال على أي دين أنت يا نعثل فقال لست بنعثل ولكن عثمان بن عفان وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما أنا من المشركين قال كذبت وضربه على صدغه الأيسر فقتله فخر رضي الله عنه وأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتا فقال والله لأقطعن انفه فعالج المرأة فكشف عن ذراعيها وقبض على السيف فقطع إبهامها فقالت لغلام لعثمان معه سيف يقال له رباح اعني على هذا وأخرجه عني فضربه الغلام بالسيف فقتله وأقام عثمان يومه ذلك مطروحا إلى الليلة وقيل إن الذي قتله محمد بن أبي بكر ضربه بمشقص وقيل بل قتله سودان بن حمران وقيل بل رومان اليماني وقيل غيره وقيل إن محمد بن أبي بكر اخذ بلحيته يهزها فقال ما أغنى عنك معاوية ما أغنى عنك ابن أبي سرح ما أغنى عنك ابن عامر قال ابن عبد البر وأكثرهم يروي أن قطرة أو قطرات من دمه سقطت على المصحف على قوله {فسيكفيكهم} البقرة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٢/٦٨

١٣٧ وقال كنانة مولى صفية بنت حيي شهدت مقتل عثمان فأخرج من الدار أمامي أربعة من شباب قريش مخرجين بالدم محمولين كانوا يدرؤون عن عثمان الحسن بن علي وعبد." (١)

"وما أمر به ومال إلى غيره اشدد قصب المحاجم وأرهف ظبة المشاريط وأسرع الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك لهزا ولا تزدن آتيا ولا تكرهن آبيا فوضع الحجام محاجمه في قفته وقال يا قوم هذا رجل قد ثار به مرار ولاينبغي أن يخرج دمه في هذا الوقت وانصرف وقال يوما لغلامه أصعقت العتاريق فقال له الغلام زقفيلم فقال أبو علقمة وما زقفيلم فقال الغلام وما صعقت العتاريق قال قلت لك أصاحت الديوك فقال الغلام وأنا قلت لك لم يصح منها شيء وكان يوما يسير على بغلة فنظر إلى عبدين حبشي وصقلبي فإذا الحبشي قد ضرب بالصقلبي الأرض وأدخل ركبتيه في بطنه أصابعه في عينيه وعض أذنيه وضربه بعصا فشجه وأسال دمه فاستشهد الصقلبي بأبي علقمة فقال احمله إلى الأمير فحمله وقال لأبي علقمة اشهد لي فنزل عن بغلته وجلس بين يدي الأمير فقال له بم تشهد يا أبا علقمة فقال أبو علقمة أصلح الله الأمير بينا أنا أسير على كوذني هذا إذ مررت بهذين العبدين فرأيت هذا الأسحم قد مال على هذا الأبقع فمطأه على فدفد ثم ضغطه برضفتيه في أحشائه حتى ظننت أنه يدمج جوفه وجعل يلج بشناتوه في جحمتيه يكاد يفقؤهما وقبض على صنارتيه بمبرمه فكاد يجذهما جذا ثم علاه بمسنأة كانت معه فعجفه بها وهذا أثر الجريال بينا وأنت أمير عادل فقال الأمير والله ما فهمت شيئا مما قلته فقال أبو علقمة قد فهمناك إن فهمت وأعلمناك إن علمت وأديت إليك ما علمت وما أقدر أن أتكلم بالفارسية فجعل الأمير يجهد أن يكشف الكلام ولا يفعل حتى ضاق صدر الوالي فقال للصقلبي أعطني خنجرا فأعطاه فكشف له رأسه فقال له شجنى خمسا وأعفني من شهادة هذا علقمة الشاعر كان موجودا في سنة سبع وثمانين وأربعمائة وهو من شعراء بدر الجمالي أمير الجيوش قيل إن الشعراء وقفوا بباب بدر المذكور فلم يأذن لأحد منهم وخرج بدر إلى الصيد فخرج علقمة الشاعر في إثره وعمل في عمامته ريش النعام كأنه مظلوم فلما قرب منه أنشده // (من الكامل) //

(نحن التجار وهذه أعلاقنا ... ذر وجود يمينك المتباع)

(قلب وفتشها بسمعك إنما ... هي جوهر تختاره الأسماع)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٠/٢٠

(كسدت علينا بالشام وكلما ... قل النفاق تعطل الصناع)

(فأتاك بحملها إليك تجارها ... ومطيها الآمال والأطماع)." (١)

"من هو فقيل عمر بن الخطاب فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته فبكى عمر بن الخطاب فقال أعليك يغار أو قال أغار يا رسول الله وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتني في المنام والناس يعرضون علي عليهم قمصهم قمص منها إلى كذا ومنها إلى كذا ومر علي عمر بن الخطاب يجر قميصه فقيل يا رسول الله ما أولت ذلك قال الدين

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر وقال أيضا ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر وقال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر

وقال حذيفة كان علم الناس كلهم قد دس في جحر مع علم عمر وقال ابن مسعود لو وضع علم أحياء العرب في كفة ميزان ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم ولمجلس كنت أجلسه مع عمر أوثق في نفسي من عمل سنة وقال عمر رضي الله عنه ما سبقت أبا بكر قط إلى خير إلا سبقني إليه ولوددت أني شعرة في صدر أبي بكر)

وذكر الزبير قال قال عمر لما ولي كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقال لي خليفة خليفة يطول هذا فقال له المغيرة بن شعبة أنت أميرنا ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين قال فذاك إذن

وتزوج عمر رضي الله عنه زينب بنت مظعون فولدت له عبد الله وحفصة وعبد الرحمن

وتزوج مليكة الخزاعية فولدت له عبيد الله وقيل أمه وأم زيد الأصغر أم كلثوم بنت جرول

وتزوج بنت الحارث هشام المخزومية فولدت له فاطمة وتزوج جميلة بنت عاصم بنت ثابت فولدت له عاصما وتزوج أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء فولدت له زيدا ورقية وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل التي تزوجها بعده الزبير

واستشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مصدرا من الحج في آخر سنة ثلاث وعشرين للهجرة طعنه أبو

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٤٩/٢٠

لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بخنجر ذي رأسين نصابه في وسطه وهو كامن له قي زوايا المسجد بغلس وطعن معه اثني عشر رجلا مات منهم." (١)

"وقد تقدم ذكره في حرف العين وجمال الدين هو الأكبر كان فقيها جيدا قرأ التنبيه واشتغل بالحاوي الصغير كثيرا وكان ينقل من الرافعي ومن الروضة كثيرا ذكر لي جماعة أنه كان فقيه النفس وكان جوادا بما يملكه واشتغل على القاضي شرف الدين بن البارزي وتنقل في القضاء بالبلاد الحلبية وربما أنه تعدى السبعين وكان ضعيف العربية توفي رحمه الله تالى في أواخر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مائة في طاعون حلب

١٧٤ – ابن معزوز المرسي يوسف بن معزوز أبو الحجاج القيسي المرسي إمام النحو مصنف شرح الإيضاح للفارسي وله رد على الزمخشري في المفصل أخذ عن أبي إسحاق بن ملكون والسهيلي تخرج به جماعة أئمة وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس وعشرين وست مائة

١٧٥ – الزانكي يوسف بن المغيرة بن أبان اليشكري أبو يعقوب الزانكي بالزاي والألف والنون والكاف ويعرف بالأخضر قال محمد بن داود بن الجراح الكاتب أبو يعقوب الزانكي مجهول الشعر من أهل البصرة وقال غيره قدم مدينة السلام من البصرة وقد صفر شيبا له وخنجر لحيته وهو مؤتزر بإزار أحمر مرتد بآخر مثله ينشد أبا نواس في جامع البصرة لنفسه في أبي دلف // (من الكامل) //

(الشمس تنهض بأنفاس العقرب ... والظل يقدح في حمام الجندب)

(والليل محشوش بأنفاس الدجى ... والنجم من عال من متصوب)

(فاصبح نديمك من سلافة قرقف ... جادت بدرتها ولما تخلب)

(ظعنت بمبزلها فاتبع كوبها ... من دنها مثل انقضاض الكوكب)

(فاصطب منها في الزجاج وعلها ... بمسلسل حمد السباسب أصهب)

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٢/٢٨٥

(فالراح مخرسة وألسن نورها ... نطق بكل بيان حسن معرب)

(ومتوج عكفت بصحن فنائه ... خيلان من بكر العراق وتغلب)

(نفسي أبا دلف فداؤك والقنا ... في النقع من متقصف ومخضب)

فقال له أبو نواس أرويت من شعري شيئا أم لا قال لا قال لم قال لأنك كثير الإحالة غير متسق الشعر قال وما ذاك ويلك فذكر شيئا كثيرا من شعره عابه به فشتمه أبو نواس وقام عن الحلقة." (١)

"البهائم في شوارع المدينة، ففعلوا ذلك، فصاح الناس، وقالوا: ارتد الآشعث، اشرف عليهم من الدار، فقال: يا أيها الناس إني قد تزوجت عندكم ولو كنت في بلادي لأولمت وليمة مثلي ولكن قلت: اقتلوا ما حضر من هذه البهائم وكل من له منها شيءفليأتني أسلم له قيمته. وكان في أول الإسلام ممن هاجر من أهل اليمن في ثمانين رجلا من قومه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه عمرو بن معد يكرب الزبيدي من زبيد، رتدا معا بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أسلما في أيام أبي بكر وحسن إسلامهما، وشهد المشاهد المشهورة بهما هكذا ذكر الإمام ابن سمرة في كتابه الموسوم بطبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار رؤساء الزمن. وفي السنة المذكورة استشهد أمير المؤمنين سامي المفاخر والمناقب أبو الحسن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، ولا زالت نفحات رحمته واصلة إليه، وثب عليه أشقى من أجرم عبد الرحمن بن ملجم الخارجي، فضربه في يافوخه **بخنجر**، فبقي يوما ثم قتل ابن ملجم وأحرق وما كان كفوءا لشجاعة علي رضي الله عنه ولا عليه من ذوي الاقتدار لولا مساعدة الأقدار ولقد صدق فيه الذي قال:

وما كنت من أنداده يا ابن ملجم ... ولولا قضاء ما أطقت له عينا

وليس في الخلفاء الأربعة ولا في غيرهم من الصحابة من هو أقرب نسبا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواه، فإنه يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عبد المطلب، بين كل واحد منهما وبينه أب واحد. فهو صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وهو علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم الرسول وزوج البتول، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٥٩/٢٩

بن عبد مناف أول هاشمية ولدت الهاشمي، ويكنى أبا الحسن، وكناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا تراب لما وجده نائما في المسجد وقد علق التراب بجسمه، فأيقظه صلى الله عليه وآله وسلم وقال: " قم أبا تراب " ويلقب أيضا حيدرة، كانت أمه قد أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة، فخلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قميصه وألبسه إياها وتولى دفنها، وقال: "كانت أحسن خلق الله صنيعا إلي بعد أبي طالب "، وكان قتله رضي الله عنه صبيحة ليلة الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان وقد نيف على ستين. وقيل ابن ثلاث وستين. وقيل ثمان وخمسين، وصلى عليه ابنه الحسن، ودفن في قصر الإمارة عند الجامع وغيب قبره، وكانت خلافته أربع سنين وأربعة أشهر وأياما، وكان إسلامه وهو ابن ثمان سنين. وقيل تسع، وقيل غير ذلك.." (١)

"سعد، وأقبل معاوية حتى نزل منبج، فبينما الحسن بالمداين إذ نادى مناد في عسكره: قتل قيس بن سعد، فشد الناس على خيمة الحسن فنهبوها، وطعنه رجل **بخنجر**، فتحول إلقصر الأبيض وسبهم وقال: لا خير فيكم قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون بي هذا. ثم ذكروا أمورأ أخرى في الصلح رأيت حذفها أصلح ومن إثباتها أملح.

وفي السنة المذكورة توفيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر. وقيل توفيت سنه خمس وأربعين. وصفوان بن أمية الجمحي، وكان قد شهد اليرموك أميرا وله رواية في صحيح مسلم. فهو من أشراف قريش وأعيانهم قيل ملك قنطارا من الذهب.

وقيل توفي فيها لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المشهور الذي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم " أصلق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد ألاكل شيء ما خلا الله باطل "، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إسلامه. وقيل: مات في إمرة عثمان بالكوفة ابن مائة وخمسين سنة.

سنة اثنتين وأربعين

فيها توفي عثمان الحجبي، وغزا عبد الرحمن بن سمرة سجستان فافتتح بعضها، وسار راشد بن عمرو وشن الغارات وتوغل في بلاد السند.

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٨٩/١

سنة ثلاث وأربعين

فيها افتتح عقبة بن نافع بعض بلاد السودان، وسبي بسر بن أبي أرطأة بأرض الروم وتوفي عمرو بن العاص السهمي أمير مصر ليلة عيد الفطر، وكان من الدهاة أولي الحزم والرأي، وولي امرة جيش ذات السلاسل. وذكر أبو العباس المبرد في كتاب الكامل أن عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس رضي الله عنهم فقال: يا أبا عبد الله كنت أسمعك كثيرا ما تقول: وددت لو رأيت رجلا حضرته الوفاة حتى أسأله عن ما يجد. فكيف تجد؟ قال: اجد كأن السماء مطبقة على الأرض، وكأني بينهما، وكأنما وأتنفس من خرم ابنة ثم قال: اللهم خذ مني حتى ترضى، فدخل عليه ولده عبد الله فقال له: يا ولدي خذ ذلك الصندوق. فقال: لا حاجة لي به. فقال: انه مملوء مالا. فقال: لا حاجة ىي به، ليته مملوء بعرا، ثم رفع يده وقال: اللهم إنك أمرت فعصينا، ونهيت فارتكبنا فلا بري فاعتذر، ولا قوي فانتصر، ولكن لا إله إلا." (١)

"سنة ثلاث عشرة وأربع مائة

فيها تقدم بعض الباطنية من المصريين إلى الحجر الاسود، فضربه بدبوس، فقتلوه في الحال. قال محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي: قام يضرب الحجر ثلاث ضربات، وقال: إلى متى يعبد الحجر؟ ولا محمد ولا علي فيمنعني ما أفعله، فإني اليوم أهدم هذا البيت. فأنفاه أكثر الحاضرين، وكاد أن يفلت وكان أحمر أشقر جسيما طويلا وكان على باب المسجد عشر فوارس ينصرونه، فاحتسب رجل، ووجأه **بخنجر**، ثم تكاثروا عليه، فهلك، وأحرق، وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته، واختبط الوفد، ومال الناس على ركب مصريين بالنهب. وتخشن وجه الحجر، وتساقط منه شظايا يسيرة، وتشقق، وظهر مكسرة أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل الخشخاش، فعجن الفتات بالمسك، وأكد، وحشيت الشقوق، وطلبت، فهو يبين لمن تأمله. وفيها توفي عالم الشيعة وإمام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيد وبابن المعلم أيضا، البارع في الكلام والجدل والفقه. وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية. قال ابن أبي طي: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، وقال غيره: كان عضد الدولة ربما زار الشيخ المفيد، وكان شيخا ربعة نحيفا أسمر، عاش ستا وسبعين سنة، وله اكثر من مائتي مصنف، كانت جنازته مشهودة، وشيعه ثمانون ألفا من الرافضة والشيعة، وأراح الله منه. وكان

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١/٩٧

موته في رمضان.

سنة أربع عشرة وأربع مائة

فيها توفي الشيخ أبو الحسن، المعروف بابن جهضم الهمداني، شيخ الصوفية بالحرم الشريف ومؤلف كتاب بهجة الأسرار في التصوف وفيها توفي الحافظ ابن الحافظ أبو القاسم تمام بن محمد البجلي الرازي الدمشقي. وفيها توفي القاضي عبد الجبار بن أحمد، من رؤوس أئمة المعتزلة وشيوخهم." (١)

"النهار

قال محمد بن مقاتل فسألته عن ذلك قال بلغني في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (حبب إلي الصلاة في الحيطان) وذلك أن أهل اليمن يسمون البستان الحائط

قال محمد بن الحسين فخرجت إلى حائط لي لأصلي فيه الفجر رغبة في الثواب والأجر فعارضني لص جريء القلب خفيف الوثب في يده **خنجر** كلسان الكلب ماء المنايا يجول على فرنده والآجال تلوح في حده فضرب بيده إلى صدري ومكن **الخنجر** من نحري وقال لي بفصاحة لسان وجراءة جنان انزع ثيابك واحفظ إهابك ولا تكثر كلامك تلاق حمامك ودع عنك التلوم وكثرة الخطاب فلا بد لك من نزع الثياب فقلت له يا سبحان الله أنا شيخ من شيوخ البلد وقاض من قضاة المسلمين يسمع كلامي ولا ترد أحكامي ومع ذلك فإني من نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة أما تستحيي من الله أن يراك حيث نهاك

فقال لي يا سبحان الله أنت أيضا أما تراني شابا ملء بدني أروق الناظر وأملأ الخاطر وآوي الكهوف والغيران وأشرب ماء القيعان والغدران وأسلك مخوف المسالك وألقي بيدي في المهالك ومع ذلك فإني وجل من السلطان مشرد عن الأهل والأوطان وحشي أن أعثر بواحد مثلك وأتركه يمشي إلى منزل رحب وعيش رطب وأبقى أنا هنا أكابد التعب وأناصب النصب وأنشأ اللص يقول." (٢)

"وقال حسان رضي الله عنه أيضا يمدح أصحاب الرجيع ويسميهم بشعره كما ذكره ابن إسحاق رحمه الله تعالى: صلى الإله على الذين تتابعوا * يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا رأس السرية مرثد وأميرهم * وابن البكير

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٣/٢٢

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٩/٣٢٩

أمامهم وخبيب وابن لطارق وابن ذثنة منهم * وافاه ثم حمامه المكتوب (١) والعاصم المقتول عند رجيعهم *كسب المعالي إنه لكسوب منع المقادة أن ينالوا ظهره * حتى يجالد إنه لنجيب قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

سرية عمرو بن أمية الضمري قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن] (٢) عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عوف (٣) (وزاد بعضهم على بعض) قالوا: كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: أما أحد يغتال محمدا فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا؟ فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله. وقال له: إن أنت وفيتني (٤) خرجت إليه حتى أغتاله، فإني هاد بالطريق خريت، معي خنجر مثل خافية النسر.

قال: أنت صاحبنا.

وأعطاه بعيرا ونفقة وقال: اطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد.

قال قال العربي: لا يعلمه أحد.

فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا وصبح ظهر الحي (٥) يوم سادسة، ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى فقال له قائل: قد توجه إلى بني عبد الأشهل، فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل، فعقل راحلته، ثم أقبل يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده.

فلما دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إن هذا الرجل يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريده.

فوقف وقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحني على رسول الله صلى اللہ عليه وسلم كأنه يساره، فجبذه أسيد بن حضير وقال: تنح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجذب بداخل إزاره فإذا الخنجر فقال: يا رسول الله: هذا غادر.

فأسقط في يد الأعرابي وقال: دمي دمي يا محمد.

وأخذه أسيد بن حضير يلببه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أصدقني ما

---

(١) لم ينون طارق لضرورة الشعر، على مذهب الكوفيين، والبصريون لا يرونه ضروريا.

(٢) سقطت من الاصل واستدركت من الطبري: ٣ / ٣٢.

(٣) في رواية البيهقي: عون.

(٤) في رواية البيهقي: قويتني.

(٥) في البيهقي: الحرة.

صبح سادسه (*)." (١)

"أنت وما أقدمك؟ فإن صدقتني نفعك الصدق وإن كذبتني فقد اطلعت على ما هممت به.

قال العربي فأنا أمن؟ قال وأنت آمن.

فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ثم دعا به من الغد فقال قد آمنتك فاذهب حيث شئت، أو خير لك من ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك أنت رسول الله، والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي.

وضعفت (١) ثم اطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان، ولم يطلع عليه أحد، فعرفت أنك ممنوع، وأنك على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان.

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم وأقام أياما ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم بن حريس (٢) اخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه.

قال عمرو فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بعيرنا، وقال لي صاحبي: يا عمرو هل لك في أن نأتي مكة فنطوف بالبيت سبعا، ونصلي ركعتين فقلت [أنا أعلم بأهل مكة منك إنهم إذا أظلموا رشوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و] (٣) إني أعرف بمكة من الفرس الأبلق.

فأبى علي فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعا (٤) وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال: عمرو بن أمية واحزناه.

فنذر (٥) بنا أهل مكة فقالوا ما جاء عمرو في خير.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٤/٧٩

وكان عمرو فاتكا في الجاهلية.

فحشد أهل مكة وتجمعوا، وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل.

قال عمرو: فدخلت في غار، فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا في الجبل، وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التميمي يختلي لفرسه حشيشا فقلت لسلمة بن أسلم: إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة، وقد انفضوا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا، قال فخرجت إليه فطعنته طعنة تحت الثدي **بخنجري** فسقط وصاح، فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت إلى مكاني فدخلت فيه] (٦) وقلت لصاحبي لا تتحرك، فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك؟ قال: عمرو بن أمية الضمري.

فقال أبو سفيان: قد علمنا إنه لم يأت لخير.

ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فإنه

كان بآخر رمق فمات، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن

---

(١) في البيهقي: وضعفت نفسي.

(٢) في الاصل حريش، وهو تحريف، وما أثبتناه من شرح المواهب ٢ / ١٧٨.

(٣) سقط من الاصل واستدركت من تاريخ الطبري ٣ / ٣٢ وفي البيهقي: وأنا أعرف أهل مكة إنهم أمسوا انفجعوا بأفنيتهم.

(٤) كذا في الاصول والطبري، وفي البيهقي: سبعا وهو مناسب أكثر.

(٥) في الطبري: فتبادرنا، وفي البيهقي: فنيد بنا.

(٦) من الطبري، وفي البيهقى: ودخلت الغار.

(*)." (١)

"عنا الطلب ثم] خرجنا [إلى التنعيم] (١) فقال صاحبي: يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي ننزله؟ فقلت له: أين هو؟ قال هو ذاك مصلوب حوله الحرس.

فقلت: أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئا فانج إلى بعيرك فاقعد عليه، فأت رسول الله صلى الله عليه

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٤/ ٨٠

وسلم فأخبره الخبر، ودعني فإني عالم بالمدينة.

ثم استدرت (٢) عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعا حتى استيقظوا فخرجوا في أثري، فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها - يعني صوتها ثم أهلت عليه التراب برجلي، فأخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا وكنت لا أدري مع بقاء نفسي فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، وأقبلت حتى أشرفت على الغليل: غليل ضجنان (٣) فدخلت في غار معي قوسي وأسهمي **وخنجري**، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بني الدبل بن بكر أعور طويل يسوق غنما ومعزى، فدخل الغار وقال: من الرجل؟ فقلت رجل من بني بكر فقال: وأنا من بني بكر ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنى ويقول: فلست بمسلم ما دمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا فقلت في نفسي: والله إني لأرجو أن أقتلك.

فلما نام قمت إليه فقتله شر قتلة قتلها أحد قط، ثم خرجت حتى هبطت، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان

الأخبار، فقلت: استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته، فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشددته وثاقا ثم أقبلت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدمت المدينة أتى صبيان الأنصار وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون: هذا عمرو، فاشتد الصبيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه، وأتيته بالرجل قد ربطت إبهامه بوتر قوسي فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ثم دعا لي بخير.

وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام.

رواه البيهقي (٤) .

وقد تقدم أن عمرا لما أهبط خبيبا لم ير له رمة ولا جسدا فلعله دفن مكان سقوطه.

والله أعلم.

وهذه السرية إنما استدركها ابن هشام على ابن إسحاق وساقها بنحو من سياق الواقدي لها لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر.

فالله أعلم ولله الحمد.

سرية بئر معونة (٥) وقد كانت في صفر منها وأغرب مكحول رحمه الله حيث قال: إنها كانت بعد الخندق.

قال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز، عن أنس بن مالك قال: بعث رسول

(١) ما بين معكوفين من الطبري.

(٢) في الطبري والبيهقي: اشتددت.

(٣) الغليل: منابت الطلح، وضجنان: موضع بعينه.

(٤) رواه الطبري في تاريخه ج ٣ / ٣١ - ٣٢.

والبيهقي عنه في دلائله ج ٣ / ٣٣٣ - ٣٣٧.

(٥) انظر في غزوة بئر معونة: طبقات ابن سعد ٢ / ٥١ سيرة ابن هشام ٣ / ١٩٣ مغازي الواقدي ١ / ٣٣٧ تاريخ الطبري ٣ / ٣٣ ابن حزم ص ١٧٨، عيون الاثر ٢ / ٦١، النويري ١٧ / ١٣٠ دلائل النبوة للبيهقي ٣ / ٣٣٨.

(*)." (١)

"صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو آخذ بثفر (١) بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " من هذا؟ " قال ابن أمك يا رسول الله.

قال ابن إسحاق: ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعني وكان إسلامه بعد مدخولا وكانت الأزلام بعد معه يومئذ - قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا بطل السحر اليوم.

فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك فوالله لئن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة أنبا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك: أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم فجعلوها صفوفا يكثرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله.

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٨١/٤

ثم قال " يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله " قال: فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح.

قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ " من قتل كافرا فله سلبه " قال فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم (٢) ، وقال أبو قتادة: يا رسول الله إني ضربت رجلا على حبل العاتق وعليه درع له فأجهضت عنه فانظر من أخذها قال: فقام رجل فقال: أنا أخذتها فأرضه منها وأعطنيها، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال

عمر: والله لا يفئها الله على أسد من أسد الله ويعطيكها، فقال رسول الله صلى الله علىه وسلم " صدق عمر " (٣) قال ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها **خنجر** فقال أبو طلحة ما هذا؟ فقالت إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج في بطنه، فقال أبو طلحة: أما تسمع ما تقول أم سليم؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله أقتل من بعدها من الطلقاء انهزموا بك، فقال: " إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم " (٤) وقد روى مسلم منه قصة **خنجر** أم سليم، وأبو داود قوله " من قتل قتيلا فله سلبه " كلاهما من حديث حماد بن سلمة به.

وقول عمر في هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، ثنا أبي، ثنا نافع أبو غالب، شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوي: يا أبا حمزة بسن أي الرجال كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ بعث؟ فقال: ابن أربعين سنة، قال ثم كان ماذا؟ قال ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة، ثم قبضه الله إليه.

قال بسن أي الرجال هو

---

(١) الثفر: السير في مؤخر السرج.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل من طريق عبد الواحد بن غياث عن حماد.

ج ٥ / ١٥٠.

(٣) روى البيهقي الخبر في دلائله ج ٥ / ١٤٨.

(٤) رواه مسلم في الصحيح ٣٢ كتاب الجهاد ٥٧ باب حديث ١٣٤، والبيهقي في الدلائل ٥ / ١٥٠.
(*)." (١)

"منها نحو المدائن فلقوا جمعا آخر من الفرس فاقتتلوا قتالا شديدا وبارزوا أمير الفرس، وهو شهريار، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له نائل الأعرجي أبو نباتة من شجعان بني تميم، فتجاولا ساعة بالرماح، ثم ألقياها فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما، ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض، فوقع شهريار على صدر أبي نباتة، وأخرج خنجرا ليذبحه بها، فوقعت أصبعه في فم أبي نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه، وأخذ الخنجر فذبح شهريار بها وأخذ فرسه وسواريه وسلبه، وانكشف أصحابه فهزموا، فأقسم سعد على نائل ليلبس سواري شهريار وسلاحه، وليركبن فرسه إذا كان حرب فكان يفعل ذلك.
قالوا: وكان أول من تسور بالعراق، وذلك بمكان يقال له كوثى (١) .
وزار المكان الذي حبس فيه الخليل وصلى عليه وعلى سائر الأنبياء، وقرأ * (وتلك الأيام نداولها بين الناس) * الآية [آل عمران: ١٤٠] .
وقعة نهر شير (٢) قالوا: ثم قدم سعد زهرة بين يديه من كوثى إلى نهرشير فمضى إلى المقدمة وقد تلقاه شيرزاد (٣) إلى ساباط بالصلح والجزية فبعثه إلى سعد فأمضاه، ووصل سعد بالجنود إلى مكان يقال له مظلم ساباط، فوجدوا هنالك كتائب كثيرة لكسرى يسمونها بوران، وهم يقسمون كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا، ومعهم أسد كبير لكسرى يقال له المقرط، قد أرصدوه في طريق المسلمين فتقدم إليه ابن أخي سعد، وهو هاشم بن عتبة، فقتل الأسد والناس ينظرون وسمي
يومئذ سيفه المتين (٤) وقبل سعد يومئذ رأس هاشم، وقبل هاشم قدم سعد (٥) .
وحمل هاشم على الفرس فأزالهم عن أماكنهم وهزمهم وهو يتلو قوله تعالى * (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) * فلما كان الليل ارتحل المسلمون ونزلوا نهر شير فجعلوا كلما وقفوا كبروا وكذلك حتى كان آخرهم مع سعد فأقاموا بها شهرين ودخلوا في الثالث وفرغت السنة.
قال ابن جرير: وفيها حج بالناس عمر وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد، وعلى الشام أبو عبيدة، وعلى الكوفة والعراق سعد، وعلى الطائف يعلى بن أمية (٦) وعلى البحرين

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٧٤/٤

(١) في فتوح الواقدي: كوثاريا.
وكوثى موضع بالعراق في أرض بابل، وكوثى العراق كوثيان: أحدهما كوثى الطريق والآخر كوثى ربى وبها مشهد الخليل عليه السلام وبها مولده وبها طرح إبراهيم في النار.
(٢) كذا بالاصل وفي الطبري والكامل والبلاذري: بهرسير.
وفي فتوح الواقدي: نهمشير.
(٣) في الواقدي: سرزاد.
(٤) في الطبري: المنن.
(٥) كذا في الطبري والكامل: أما الواقدي فقال في فتوح العراق ٢ / ١٩٨: ان هاشم بن المرقال قتل سرزاد وذكر بقية القصة كالاصل.
(٦) في الطبري: منية.
(*)." (١)

"عن ظهره وأخرج من الدقيق في القدر، وألقى عليه من الشحم، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة، ثم أنزلها عن النار وقال: إيتيني بصحفة.
فأتي بها فغرفها ثم تركها بين يدي الصبيان وقال: كلوا، فأكلوا حتى شبعوا - والمرأة تدعو له وهي لا تعرفه - فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل على فقال: يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم.
وقيل: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رأى عمر وهو يعدو إلى ظاهر المدينة فقال له: إلى أين يا أمير المؤمنين؟ فقال: قد ند بعير من إبل الصدقة فأنا أطلبه.
فقال: قد أتعبت الخلفاء من بعدك.
وقيل: إنه رأى جارية تتمايل من الجوع فقال: من هذه؟ فقالت ابنة عبد الله: هذه ابنتي.
قال: فما بالها؟ فقالت: إنك تحبس عنا ما في يدك فيصيبنا ما ترى.
فقال: يا عبد الله، بيني وبينكم كتاب الله، والله ما أعطيكم إلا ما فرض الله لكم، أتريدون مني أن أعطيكم ما ليس لكم: فأعود خائنا؟.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٧١/٧

روي ذلك عن الزهري.

وقال الواقدي: حدثنا أبو حمزة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم عن أبي عمرو قال:

قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق أمير المؤمنين؟ قالت: النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يا أمير المؤمنين هو " وأول من حياه بها المغيرة بن شعبة " وقيل غيره.

فالله أعلم.

وقال ابن جرير: حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري، حدثتني أم عمرو بنت حسان الكوفية - وكان قد أتى عليها مائة وثلاثون سنة - عن أبيها قال: لما ولي عمر قالوا: يا خليفة رسول الله.

فقال عمر: هذا أمر يطول، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم.

فسمي أمير المؤمنين.

وملخص ذلك أن عمرو رضي الله عنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته، وانتشرت رعيته، وخاف من التقصير، وسأل الله أن يقبضه إليه، وأن يمن عليه بالشهادة في بلد النبي صلى الله عليه وسلم، كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك، وموتا في بلد رسولك، فاستجاب له الله هذا الدعاء، وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة في المدينة النبوية وهذا عزيز جدا، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل، الرومي الدار، وهو قائم يصلي في المحراب، صلاة الصبح من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين، فضربه ثلاث ضربات، وقيل ست ضربات، إحداهن تحت سرته قطعت السفاق فخر من قامته، واستخلف عبد الرحمن بن عوف، ورجع العلج بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر (١) رجلا مات منهم ستة، فألقى عليه عبد الله بن

---

(١) كذا في الاصل وابن سعد، وفي الاستيعاب اثنا عشر رجلا، وقال ابن سعد: ثلاثة عشر رجلا مات منهم تسعة.

(*)". (١)

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٥٤/٧

"وقينة، فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له: يا هذا قد فرعت فأفرع فخرج ملبسا سلاحه وخرجت معه فضربت له قبة في المسجد وخرج علي يقول: الصلاة الصلاة، فأتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر: - قال ابن جرير: هو ابن أبي مياس المرادي.

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة *كمهر قطام بينا (١) غير معجم ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وقتل (٢) علي بالحسام المصمم

فلا مهر أغلا من علي وإن غلا * ولا فتك إلا دون فتك (٣) ابن ملجم وقد عزى ابن جرير هذه الأبيات إلى ابن شاس (٤) المرادي وأنشد له ابن جرير في قتلهم عليا: ونحن ضربنا مالك الخير حيدرا * أبا حسن مأمومة فتقطرا ونحن خلعنا ملكه من نظامه * بضربة سيف إذ علا وتجبرا ونحن كرام في الهياج أعزة * إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين في زمن التابعين وهو عمران بن حطان وكان أحد العباد ممن يروي عن عائشة في صحيح البخاري فقال فيه: يا ضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا إني لأذكره يوما فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا وأما صاحب معاوية - وهو البرك - فإنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم فضربه بالسيف، وقيل **بخنجر** مسموم فجاءت الضربة في وركه فجرحت أليته ومسك الخارجي فقتل، وقد قال لمعاوية: اتركني فإني أبشرك ببشارة، فقال: وما هي؟ فقال: إن أخي قد قتل في هذا اليوم علي بن أبي طالب، قال: فلعله لم يقدر عليه، قال: بلى إنه لا حرس معه، فأمر به فقتل (٥) ، وجاء الطبيب فقال لمعاوية: إن جرحك مسموم فإما أن أكويك وإما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك فقال معاوية: أما النار فلا طاقة لي بها، وأما النسل ففي

---

(١) في الطبري ٦ / ٨٧ والاخبار الطوال ص ٢١٤: من.

(٢) في الطبري والاخبار الطوال: وضرب.

(٣) كذا بالاصل والاخبار الطوال.

وفي نسخة والطبري: ولا قتل دون قتل.

(٤) في الطبري ٦ / ٨٧: ابن أبي مياس.

وفي سمط النجوم العوالي ٢ / ٤٦٨ الفرزدق، وفي شرح النهج ٢ / ١٧١ والكامل للمبرد ص ٥٤٩ هذه

الابيات منسوبة إلى ابن ملجم لعنه الله.

وفي الاخبار الطوال ص ٢١٤ قال الشاعر، وفي فتوح ابن الاعثم: يقول العبدي، وزاد على الابيات ثلاثة أبيات أخرى ٤ / ١٤٧.

(٥) في مروج الذهب ٢ / ٤٦٤: قال بعض الناس حبسه حتى جاءه خبر قتل علي فأطلقه.

وفي رواية في الكامل ٣ / ٣٩٣: قيل إن معاوية لم يقتله إنما قطعت يده ورجله وبقي إلى أن ولي زياد البصرة وقد صار إليها البرك وولد له، فقتله زياد وصلبه.

(*)." (١)

"يزيد وعبد الله ما تقر به عيني.

فسقاه شربة (١) فبرأ من ألمه وجراحه واستقل وسلم رضي الله عنه.

ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع وجعل الحرس حولها في حال السجود، فكان أول من اتخذها معاوية لهذه الحادثة.

وأما صاحب عمرو بن العاص - وهو عمرو بن بكر - فإنه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد في ذلك اليوم فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة - وهو خارجة بن أبي حبيبة (٢) من بني عامر بن لؤي وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجي فقتله وهو يعتقده عمرو بن العاص، فلما أخذ الخارجي قال: أردت عمرا وأراد الله خارجة، فأرسلها مثلا، وقتل قبحه الله، وقد قيل إن الذي قالها عمرو بن العاص، وذلك حين جئ بالخارجي فقال: ما هذا؟ قالوا قتل نائبك خارجة، ثم أمر به فضربت عنقه.

والمقصود أن عليا رضي الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الإمارة بالكوفة خوفا عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته، هذا هو المشهور ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدري أين ذهب فقد أخطأ وتكلف مالا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع، وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة، حكاه الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الحافظ عن أبي بكر الطلحي، عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ، عن مطر أنه قال: لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة،

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٦٤/٧

هذا قبر المغيرة بن شعبة.

قال الواقدي: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر كم كان سن علي يوم قتل؟ قال: ثلاثا وستين سنة.

قلت: أين دفن؟ قال: دفن

بالكوفة ليلا وقد غبي عن دفنه، وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمان وخمسين سنة، وقد قيل إن عليا دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة.

قاله الواقدي، والمشهور بدار الإمارة.

وقد حكى الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دكين، أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع عند قبر فاطمة، وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضل منهم فأخذته طئ يظنونه مالا فلما رأوا أن الذي في الصندوق ميت ولم يعرفوه دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحد أين قبره، حكاه الخطيب أيضا.

وروى الحافظ ابن عساكر عن الحسن قال: دفنت عليا في حجرة من دور آل جعدة.

وعن عبد الملك بن عمير قال: لما حفر خالد بن عبد الله أساس دار ابنه يزيد

---

(١) كذا بالاصل والطبري والكامل، وفي الاخبار الطوال ص ٢١٥: أمر (الطبيب) أن يقطع ما حول الوجأة من اللحم.

خوفا من أن يكون **الخنجر** مسموما.

(٢) كذا بالاصل والكامل، وفي الطبري ٦ / ٨٧: خارجة بن حذافة، وقال في مروج الذهب ٢ / ٤٦٤ كان قاضي مصر.

(*)." (١)

"من معبد، وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة، ووثقه ابن معين وغيره في حديثه، وقال الحسن البصري: إياكم ومعبدا فإنه ضال مضل، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله.

وقال سعيد بن عفير: بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله، وقال خليفة بن خياط:

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٦٥/٧

مات قبل التسعين فالله أعلم، وقيل إن الأقرب قتل عبد الملك له والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا (١) وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة، وفيها قتل بكير بن وشاح، قتله بجير (٢) بن ورقاء الصريمي، وكان بكير من الأمراء الشجعان، ثم ثار لبكير بن وشاح رجل من قومه يقال له صعصعة بن حرب العوفي الصريمي، فقتل بجير بن ورقاء الذي قتل بكيرا، طعنه بخنجر وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فحمل إلى منزله وهو بآخر رمق، فبعث المهلب بصعصعة إليه، فلما تمكن منه بحير بن ورقاء قال ضعوا رأسه عند رجلي، فوضعوه فطعنه بجير بحربته حتى قتله ومات على إثره.

وقد قال له أنس بن طارق (٣) : اعف عنه فقد قتلت بكير بن وشاح، فقال: لا والله لا أموت وهذا حي ثم قتله وقد قيل إنه إنما قتل بعد موته فالله أعلم.

فتنة ابن الأشعث قال أبو مخنف: كان ابتداؤها في هذه السنة، وقال الواقدي: في سنة ثنتين وثمانين، وقد ساقها ابن جرير في هذه السنة فوافقناه في ذلك، وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان الحجاج يبغضه وكان هو يفهم ذلك ويضمر له السوء وزوال الملك عنه، فلما أمره الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره، وأمره بدخول بلاد رتبيل ملك الترك، فمضى وصنع ما قدمناه من أخذه بعض بلاد الترك، ثم رأى لأصحابه أن يقيموا حتى يتقووا إلى العام المقبل، فكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج يستهجن رأيه في ذلك ويستضعف عقله ويقرعه بالجبن والنكول عن الحرب، ويأمره حتما بدخول بلاد رتبيل، ثم أردف ذلك بكتاب ثان ثم ثالث مع البريد، وكتب في جملة ذلك يابن الحائك الغادر المرتد، امض إلى ما أمرتك به من الإيغال في أرض العدو وإلا حل بك ما لا يطاق.

وكان الحجاج يبغض ابن الأشعث: ويقول هو أهوج أحمق حسود، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقاتله، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله، وجده الأشعث ارتد عن

---

(١) قاليقلا: بارمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد.

(معجم البلدان) .

(٢) في الطبري وابن الاثير: بحير.

(٣) في الطبري ٨ / ٧: طلق.

(*)." (١)

"وراء ظهره، فأمر كل فارس أن يحمل بين يديه شاة وعلى عنقه شاة، وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد، وحمل هو معه شاة وخاضوا النهر، فما خلصوا منه جيدا حتى دهمهم خاقان من ورائهم في خيل دهم، فقتلوا من وجدوه لم يقطع النهر وبعض الضعفة، فلما وقفوا على حافة النهر أحجموا وظن المسلمون أنهم لا يقطعون إليهم النهر، فتشاور الأتراك فيما بينهم، ثم اتفقوا على أن يحملوا حملة واحدة - وكانوا خمسين ألفا - فيقتحمون النهر، فضربوا بكؤساتهم ضربا شديدا حتى ظن المسلمون أنهم معهم في عسكرهم، ثم رموا بأنفسهم في النهر رمية واحدة، فجعلت خيولهم تنخر أشد النخير، وخرجوا منه إلى ناحية المسلمين فثبت المسلمون في معسكرهم، وكانوا قد خندقوا حولهم

خندقا لا يخلصون إليهم منه، فبات الجيشان تتراءى ناراهما، فلما أصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذي للمسلمين فقتل منهم خلقا وأسر أمما وإبلا موقرة، ثم إن الجيشين تواجهوا في يوم عيد الفطر حتى خاف جيش أسد أن لا يصلوا صلاة العيد، فما صلوها إلا على وجل، ثم سار أسد بمن معه حتى نزل مرج بلخ، حتى انقضى الشتاء، فلما كان يوم عيد الأضحى خطب أسد الناس واستشارهم في الذهاب إلى مرو أو في لقاء خاقان، أو في التحصن ببلخ.

فمنهم من أشار بالتحصن، ومنهم من أشار بملتقاه والتوكل على الله، فوافق ذلك رأي أسد الأسد، فقصد بجيشه نحو خاقان، وصلى بالناس ركعتين أطال فيهما، ثم دعا بدعاء طويل، ثم انصرف وهو يقول: نصرتم إن شاء الله، ثم سار بمن معه من المسلمين فالتقت مقدمته بمقدمة خاقان، فقتل المسلمون منهم خلقا وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه، ثم ساق أسد فانتهى إلى أغنامهم فاستاقها، فإذا هي مائة ألف وخمسون ألف شاة، ثم التقى معهم، وكان خاقان إنما معه أربعة آلاف أو نحوها، ومعه رجل من العرب قد خامر إليه، يقال له الحارث بن سريج (١) ، فهو يدلهم على عورات المسلمين. فلما أقبل الناس هربت الأتراك في كل جانب، وانهزم خاقان ومعه الحارث بن سريج (١) يحميه ويتبعه، فتبعهم أسد، فلما كان عند الظهيرة انخذل خاقان في أربعمائة من أصحابه، عليهم الخز ومعهم الكؤسات، فلما أدركه المسلمون أمر بالكؤسات فضربت ضربا شديدا ضرب الانصراف ثلاث مرات فلم يستطيعوا الانصراف، فتقدم المسلمون فاحتاطوا على

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٤٣/٩

معسكرهم فاحتازوه بما فيه من الأمتعة العظيمة، والأواني من الذهب والفضة، والنساء والصبيان، من الأتراك ومن معهم من الأسارى من المسلمات وغيرهم، مما لا يحد ولا يوصف لكثرته وعظمه وقيمته وحسنه.

غير أن خاقان لما أحس بالهلاك ضرب امرأته **بخنجر** فقتلها، فوصل المسلمون إلى المعسكر وهي في آخر رمق تتحرك، ووجدوا قدورهم تغلي بأطعماتهم، وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها، فاتفق أنه لعب بالنرد مع بعض الأمراء (٢) فغلبه الأمير فتوعده خاقان بقطع اليد، فحنق عليه

---

(١) من الطبري وابن الاثير وابن الاعثم، وفي الاصل شريح وهو تحريف.

(٢) في ابن الاثير ٥ / ٢٠٥: كور صول.

وانظر الطبري ٨ / ٢٣٨.

(*)." (١)

"وألف حمل من متاع تستر * أنفع للمسكين من لقط النوى من طبخ الديك ولا يذبحه * طار من القدر إلى حيث انتهى من دخلت في عينه مسلة * فسله من ساعته كيف العمى والذقن شعر في الوجوه طالع *كذلك العقصة من خلف القفى إلى أن ختمها بالبيت الذي حسد عليه وهو قوله: من فاته العلم وأخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوى قدم مصر في سنة ثنتي عشرة وأربعمائة وامتدح فيها خليفتها الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم واتفقت وفاته بها في رجبها.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة فيها جرت كائنة غريبة عظيمة، ومصيبة عامة، وهي أن رجلا من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء، وذلك أنه لما كان يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات، وقال: إلى متى نعبد هذا الحجر؟ ولا محمد ولا علي يمنعني مما أفعله، فإني أهدم اليوم هذا البيت، وجعل يرتعد، فاتقاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه، وذلك لأنه كان رجلا طوالا جسيما أحمر اللون أشقر الشعر، وعلى باب الجامع جماعة من الفرسان، وقوف ليمنعوه ممن يريد منعه من هذا الفعل، وأراده بسوء، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه **خنجر** فوجأه بها، وتكاثر الناس عليه فقتلوه وقطعوه قطعا، وحرقوه بالنار، وتتبعوا أصحابه فقتلوا منهم جماعة، ونهبت أهل مكة الركب المصري، وتعدى النهب

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٥٣/٩

إلى غيرهم، وجرت خبطة عظيمة، وفتنة كبيرة جدا، ثم سكن الحال بعد
أن تتبع أولئك النفر الذين تمالاوا على الإلحاد في أشرف البلاد غير أنه قد سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار، وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة، محببا مثل الخشخاش، فأخذ بنو شيبة تلك الفلق فعجنوها بالمسك والك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت، فاستمسك الحجر واستمر على ما هو عليه الآن، وهو ظاهر لمن تأمله.

وفيها فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك، أبو علي الحسن، وزير شرف الملك بواسط، ورتب له الخزان والأشربة والأدوية والعقاقير، وغير ذلك مما يحتاج إليه.

وفيها توفي من الأعيان ... ابن البواب الكاتب صاحب الخط المنسوب، علي بن هلال أبو الحسن بن البواب، صاحب أبي الحسين بن." (١)

"محمد بن أحمد ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو الحسن (١) الهاشمي، خطيب جامع المنصور، كان ممن يلبس القلانس الطوال، حدث عن ابن رزقويه وغيره، روى عنه الخطيب، وكان ثقة عدلا شهد عند ابن الدامغاني وابن ماكولا فقبلاه توفي عن ثمانين سنة ودفن بقرب قبر بشر الحافي.

محمد بن أحمد بن شاره

ابن جعفر أبو عبد الله الأصفهاني، ولي القضاء بدجيل، وكان شافعيا، روى الحديث عن أبي عمرو بن مهدي، توفي ببغداد ونقل إلى دجيل من عمل واسط، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة في يوم الخميس حادي عشر المحرم حضر إلى الديوان أبوالوفا علي بن محمد بن عقيل العقيلي الحنبلي، وقد كتب على نفسه كتابا يتضمن توبته من الاعتزال، وأنه رجع عن اعتقاد كون الحلاج من أهل الحق والخير، وأنه قد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك، وإن الحلاج قد قتل بإجماع علماء أهل عصره على زندقته، وأنهم كانوا مصيبين في قتله وما رموه به، وهو مخطئ، وأشهد عليه جماعة من الكتاب، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر فسلم عليه وصالحه واعتذر إليه، فعظمه.

وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه كان السلطان قد سار في أول هذه السنة يريد أن يغزو بلاد

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٧/١٢

ما وراء النهر، فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمي، فأوقف بين يديه فشرع يعاتبه في أشياء صدرت منه، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها، فقال للسلطان: يا مخنث ومثلي يقتل هكذا؟ فاحتد السلطان من ذلك وأمر بإرساله وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطأه، وأقبل يوسف نحو السلطان فنهض السلطان عن السرير خوفا منه، فنزل عنه فعثر فوقع فأدركه يوسف فضربه **بخنجر** كان معه في خاصرته فقتله، وأدرك الجيش يوسف فقتلوه، وقد جرح السلطان جرحا منكرا، فتوفي في يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة، ويقال إن أهل بخارى لما اجتاز بهم نهب عسكره أشياء كثيرة لهم، فدعوا عليه فهلك.

---

(١) في الكامل لابن الاثير ١٠ / ٧٢: أبو الحسين.

(*) ". (١)

"هبة الله بن أحمد (١) بن السيبي [قاضي الحريم بنهر معلى، و] (٢) مؤدب الخليفة المقتدي بأمر الله، سمع الحديث، وتوفي في محرم هذه السنة، وقد جاوز الثمانين، وله شعر جيد، فمنه قوله: رجوت الثمانين من خالقي * لما جاء فيها عن المصطفى فبلغنيها فشكرا له * وزاد ثلاثا بها إذ وفا وإني لمنتظر وعده * لينجزه لي، فعل أهل الوفا ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة وفيها كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه **بخنجر** كانت معه، فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب فملكها، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها، مثل حران والرها وقلعة جعبر، وكان جعبر شيخا كبيرا قد عمي، وله ولدان، وكان قطاع الطريق يلجأون إليها فيتحصنون بها، فراسل السلطان سابق بن جعبر في تسليمها فامتنع عليه، فنصب عليها المناجيق والعرادات

ففتحها وأمر بقتل سابق، فقالت زوجته: لا تقتله حتى تقتلني معه، فألقاه من رأسها فتكسر، ثم أمر بتوسيطهم بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت، فلامها بعض الناس فقالت: كرهت أن يصل إلي التركي فيبقى ذلك عارا علي، فاستحسن منها ذلك، واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة أقسنقر، التركي وهو جد نور الدين الشهيد، واستناب على الرحبة وحران والرقة وسروج والخابور محمد بن شرف الدولة مسلم وزوجه

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٢٩/١٢

بأخته زليخا خاتون، وعزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر، وسلمها إلى العميد أبي علي البلخي، وخلع على سيف الدولة صدقة بن دبيس الأسدي، وأقره على عمل أبيه، ودخل بغداد في ذي القعدة (٣) من هذه السنة، وهي أول دخلة دخلها، فزار المشاهد والقبور ودخل على الخليفة فقبل يده ووضعها على عينيه، وخلع عليه الخليفة خلعا سنية، وفوض إليه أمور الناس، واستعرض الخليفة أمراءه ونظام الملك واقف بين يديه، يعرفه بالأمراء واحدا بعد واحد، باسمه وكم جيشه وأقطاعه، ثم أفاض عليه الخليفة خلعا سنية، وخرج من بين يديه فنزل بمدرسة النظامية، ولم يكن رآها قبل ذلك، فاستحسنها إلا أنه استصغرها، واستحسن أهلها ومن بها وحمد الله وسأل الله أن يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم، ونزل بخزانة كتبها وأملى جزأ

---

(١) في الكامل ١٠ / ١٤٦: محمد.

(٢) استدركت من الكامل، سقطت من الاصل.

(٣) في الكامل ١٠ / ١٥٥: ذي الحجة.

(*)." (١)

"أحمد بن عبد الله بن عطاء (١) ، فتعب المسلمون بسببها، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها، وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنا وقطع رأسه، وطاف به في الأقاليم، ثم نقض هذه القلعة حجرا حجرا، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة، وكان الناس يتشاءمون بهذه القلعة، يقولون: كان دليلها كلبا، والمشير بها كافرا،

والمتحصن بها زنديقا.

وفيها وقعت حروب كثيرة بين بني خفاجة وبين بني عبادة، فقهرت عبادة خفاجة وأخذت بثأرها المتقدم منها، وفيها استحوذ سيف الدولة صدقة على مدينة تكريت بعد قتال كثير.

وفيها أرسل السلطان محمد الأمير جاولي سقاوو إلى الموصل وأقطعه إياها، فذهب فانتزعها من الأمير جكرمش بعد ما قاتله وهزم أصحابه وأسره، ثم قتله بعد ذلك ؛ وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلا وإحسانا، ثم أقبل قلج أرسلان بن قتلمش فحاصر الموصل فانتزعها من جاولي، فصار جاولي إلى الرحبة، فأخذها ثم أقبل إلى قتال قلج فكسره وألقى قلج نفسه في النهر الذي للخابور فهلك.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٦٠/١٢

وفيها نشأت حروب بين الروم والفرنج فاقتتلوا قتالا عظيما ولله الحمد، وقتل من الفريقين طائفة كبيرة، ثم كانت الهزيمة على الفرنج لله الحمد رب العالمين.

قتل فخر الملك أبو المظفر وفي يوم عاشوراء منها قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك، وكان أكبر أولاد أبيه، وهو وزيره السلطان سنجر بنيسابور، وكان صائما، قتله باطني، وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن علي وهو يقول له: عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة، فأصبح متعجبا، فنوى الصوم ذلك اليوم، وأشار إليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل، فما خرج إلا في آخر النهار فرأى شابا يتظلم وفي يده رقعة فقال: ما شأنك؟ فناوله الرقعة فبينما هو يقرأها إذ ضربه **بخنجر** بيده فقتله، فأخذ الباطني فرفع إلى السلطان فقرره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك، وكان كاذبا، فقتل وقتلوا أيضا.

وفي رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم علي بن جهير وخرب داره التي كان قد بناها أبوه، من خراب بيوت الناس، فكان في ذلك عبرة وموعظة لذوي البصائر والنهى، واستنيب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغاني، ومعه آخر.

وحج بالناس فيها الأمير تركمان واسمه أليرن، من جهة الأمير محمد بن ملكشاه.

وفيها توفي من الاعيان..

---

(١) تقدم أنه أحمد بن عبد الملك بن عطاش.

(*)." (١)

"الأمير بيدمر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطرزين، فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلعة ومعهم جبريل، فدخل القضاة وسلموا القلعة بما فيها من الحواصل إلى الأمير استبغا بن الابو بكري انتهى.

دخول السلطان محمد بن الملك أمير حاج بن الملك محمد بن الملك قلاوون إلى دمشق في جيشه وأمرائه لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة رجع القضاة إلى الوطاق الشريف، وفي صحبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلعة، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم وذويهم،

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢٠٦/١٢

فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون، فخلع على القضاة الأربعة

وانصرفوا راجعين مجبورين، وأما الأمراء المذكورون فإنهم أركبوا على خيل ضعيفة، وخلف كل واحد منهم وساقي أخذ بوسطه قبل، وفي يد كل واحد من الوساقية **خنجر** كبير مسلول لئلا يستنقذه منه أحد فيقتله بها، فدخل جهرة بين الناس ليروهم ذلتهم التي قد لبستهم، وقد أحدق الناس بالطريق من كل جانب، فقام كثير من الناس، الله أعلم بعدتهم، إلا أنهم قد يقاربون المائة ألف أو يزيدون عليها، فرأى الناس منظرا فظيعا، فدخل بهم الوساقية إلى الميدان الأخضر الذي فيه القصر، فأجلسوا هنالك وهم ستة نفر: الثلاثة النواب وجبريل وابن استدمر، وسادس، وظن كل منهم أن يفعل بهم فاقرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأرسلت الجيوش داخلة إلى دمشق أطلابا في تجمل عظيم، ولبس الحرب بنهر النصر وخيول وأسلحة ورماح، ثم دخل السلطان في آخر ذلك كله بعد العصر بزمن، وعليه من أنواع الملابس قباز بخاري، والقبة والطبر (١) يحملها على رأسه الأمير سيف الدين تومان تمر، الذي كان نائب طرابلس، والأمراء مشاة بين يديه، والبسط تحت قدمي فرسه، والبشائر تضرب خلفه فدخل القلعة المنصورة المنصورية لا البدرية.

ورأى ما قد أرصد بها من المجانيق والأسلحة، فاشتد حنقه على بيدمر وأصحابه كثيرا، ونزل الطارمة، وجلس على سرير المملكة ووقف الأمراء والنواب بين يديه، ورجع الحق إلى نصابه، وقد كان بين دخوله ودخول عمه الصالح صالح في أول يوم من رمضان، وهذا في التاسع والعشرين منه، وقد قيل إنه سلخه والله أعلم.

وشرع الناس في الزينة.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء سلخ الشهر نقل الأمراء المغضوب عليهم الذين ضل سعيهم فيما كانوا أبرموه من ضمير سوء للمسلمين إلى القلعة فأنزلوا في أبراجها مهانين مفرقا بينهم، بعد ما كانوا بها آمنين حاكمين، أصبحوا معتقلين مهانين خائفين، فجاروا بعد ما كانوا رؤساء،

---

(١) الطبر: كلمة فارسية معناها الفأس، والذي يحمله حول السلطان عند ركوبه في المراكب وغيرها يسمى الطبردار (التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ٢٢٨) .." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٢٧/١٤

"متواليات، وقال: إلى متى نعبد هذا الحجر؟ ولا محمد ولا علي يمنعني مما أفعله، فإني أهدم اليوم هذا البيت، وجعل يرتعد، فاتقاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه، وذلك لأنه كان رجلا طوالا جسيما أحمر اللون أشقر الشعر، وعلى باب الجامع جماعة من الفرسان، وقوف ليمنعوه ممن يريد منعه من هذا الفعل، وأراده بسوء، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه **خنجر** فوجأه بها، وتكاثر الناس عليه فقتلوه وقطعوه قطعا، وحرقوه بالنار، وتتبعوا أصحابه فقتلوا منهم جماعة، ونهبت أهل مكة الركب المصري، وتعدى النهب إلى غيرهم، وجرت خبطة عظيمة، وفتنة كبيرة جدا، ثم سكن الحال بعد أن تتبع أولئك النفر الذين تمالئوا على الإلحاد في أشرف البلاد غير أنه قد سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار، وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة، محببا مثل الخشخاش، فأخذ بنو شيبة تلك الفلق فعجنوها بالمسك والك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت، فاستمسك الحجر واستمر على ما هو عليه الآن، وهو ظاهر لمن تأمله. وفيها فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك، أبو على الحسن، وزير شرف الملك بواسط، ورتب له الخزان والأشربة والأدوية والعقاقير، وغير ذلك مما يحتاج إليه.

وفيها توفى من الأعيان

ابن البواب الكاتب

صاحب الخط المنسوب، على بن هلال أبو الحسن ابن البواب، صاحب أبى الحسين بن سمعون الواعظ، وقد أثنى على ابن البواب غير واحد في دينه وأمانته، وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها، وخطه أوضح تعريبا من خط أبي علي بن مقلة، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل. قال ابن الجوزي: توفى يوم السبت ثانى جمادى الآخرة منها، ودفن بمقبرة باب حرب، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها قوله:

فللقلوب التي أبهجتها حرق ... وللعيون التي أقررتها سهر

فما لعيش وقد ودعته أرج ... وما لليل وقد فارقته سحر

قال ابن خلكان: ويقال له الستري، لأن أباه كان ملازما لستر الباب، ويقال له ابن البواب وكان قد أخذ الخط عن عبد الله بن محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزار، وقد سمع أسد هذا على النجاد وغيره، وتوفى سنة عشر وأربعمائة، وأما ابن البواب فإنه توفي في جمادى الأولى من هذه السنة، وقبل في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، وقد رثاه بعضهم فقال:

استشعرت الكتاب فقدك سالفا ... وقضت بصحة ذلك الأيام

فلذاك سودت الدوي كآبة ... أسفا عليك وشقت الأقلام

ثم ذكر ابن خلكان أول من كتب بالعربية، فقيل إسماعيل عليه السلام، وقيل أول من." (١)

"من أهل الحق والخير، وأنه قد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك، وأن الحلاج قد قتل بإجماع علماء أهل عصره على زندقته، وأنهم كانوا مصيبين في قتله وما رموه به، وهو مخطئ، وأشهد عليه جماعة من الكتاب، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر فسلم عليه وصالحه واعتذر إليه، فعظمه

وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملك شاه

كان السلطان قد سار في أول هذه السنة يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر، فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمي، فأوقف بين يديه فشرع يعاتبه في أشياء صدرت منه، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها، فقال للسلطان: يا مخنث ومثلي يقتل هكذا؟ فاحتد السلطان من ذلك وأمر بإرساله وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطأه، وأقبل يوسف نحو السلطان فنهض السلطان عن السرير خوفا منه، فنزل عنه فعثر فوقع فأدركه يوسف فضربه **بخنجر** كان معه في خاصرته فقتله، وأدرك الجيش ي وسف فقتلوه، وقد جرح السلطان جرحا منكرا، فتوفي في يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة، ويقال إن أهل بخارى لما اجتاز بهم نهب عسكره أشياء كثيرة لهم، فدعوا عليه فهلك.

ولما توفي جلس ولده ملك شاه على سرير الملك وقام الأمراء بين يديه، فقال له الوزير نظام الملك: تكلم أيها السلطان، فقال: الأكبر منكم أبي والأوسط أخي والأصغر ابني، وسأفعل معكم ما لم أسبق إليه. فأمسكوا فأعاد القول فأجابوه بالسمع والطاعة. وقام بأعباء أمره الوزير نظام الملك فزاد في أرزاق الجند سبعمائة ألف دينار، وسار إلى مرو فدفنوا بها السلطان، ولما بلغ موته أهل بغداد أقام الناس له العزاء، وغلقت الأسواق وأظهر الخليفة الجزع، وخلعت ابنة السلطان زوجة الخليفة ثيابها، وجلست على التراب، وجاءت كتب ملك شاه إلى الخليفة يتأسف فيها على والده، ويسأل أن تقام له الخطبة بالعراق وغيرها. ففعل الخليفة ذلك، وخلع ملك شاه ع ى الوزير نظام الملك خلعا سنية، وأعطاه تحفا كثيرة، من جملتها عشرون ألف دينار، ولقبه أتابك الجيوش، ومعناه الأمير الكبير الوالد، فسار سيرة حسنة، ولما بلغ قاورت موت أخيه ألب أرسلان ركب في جيوش كثيرة قاصدا قتال ابن أخيه ملك شاه، فالتقيا فاقتتلا فانهزم أصحاب

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٤/١٢

قاورت وأسر هو، فأنبه ابن أخيه ثم اعتقله ثم أرسل إليه من قتله.

وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلايين فاقتتلوا فقتل منهم خلق كثير، واحترق جانب كبير من الكرخ، فانتقم المتولي لأهل الكرخ من أهل باب البصرة، فأخذ منهم أموالا كثيرة جناية لهم على ما صنعوا. وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس.

وفيها ملك صاحب سمرقند وهو محمد ألتكين مدينة ترمذ. وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوي.." (١)

"محمد بن علي بن المطلب

أبو سعد الأديب، كان قد قرأ النحو والأدب واللغة والسير وأخبار الناس، ثم أقلع عن ذلك كله، وأقبل على كثرة الصلاة والصدقة والصوم، إلى أن توفي في هذه السنة عن ست وثمانين سنة، رحمه الله.

محمد بن طاهر العباسي

ويعرف بابن الرجيحى، تفقه على ابن الصباغ، وناب في الحكم، وكان محمود الطريقة، وشهد عند ابن الدامغاني فقبله.

منصور بن دبيس

ابن علي بن مزيد، أبو كامل الأمير بعد سيف الدولة، كان كثير الصلاة والصدقة، توفي في رجب من هذه السنة، وقد كان له شعر وأدب، وفيه فضل، فمن شعره قوله:

فإن أنا لم أحمل عظيما ولم أقد ... لهاما ولم أصبر على كل معظم

ولم أحجز الجاني وأمنع جوره ... غداة أنادى للفخار وأنتمي

فلا نهضت لي همة عربية ... إلى المجد ترقى بى ذرى كل محرم

هبة الله بن أحمد بن السيبي

[قاضى الحريم بنهر معلى، و] مؤدب الخليفة المقتدي بأمر الله، سمع الحديث، وتوفي في محرم هذه السنة، وقد جاوز الثمانين، وله شعر جيد، فمنه قوله:

رجوت الثمانين من خالقي ... لما جاء فيها عن المصطفى

فبلغنيها فشكرا له ... وزاد ثلاثا بها إذ وفى

وإني منتظر وعده ... لينجزه لي فعل أهل الوفا

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٠٦/١٢

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

وفيها كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه **بخنجر** كانت معه، فسار السلطان ملك شاه من أصبهان إلى حلب فملكها، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها، مثل حران والرها وقلعة جعبر، وكان جعبر شيخا كبيرا قد عمي، وله ولدان، وكان قطاع الطريق يلجئون إليها فيتحصنون بها، فراسل السلطان سابق بن جعبر في تسليمها فامتنع عليه، فنصب عليها المناجيق والغرادات ففتحها وأمر بقتل سابق، فقالت زوجته: لا تقتله حتى تقتلني معه، فألقاه من رأسها فتكسر، ثم أمر بتوسيطهم بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت، فلامها بعض الناس فقالت: كرهت أن يصل إلي التركي فيبقى ذلك عارا علي، فاستحسن منها ذلك، واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة آقسنقر التركي وهو جد نور الدين الشهيد، واستناب على الرحبة وحران والرقة وسروج والخابور:." (١)

"فهرب منه كلب فاتبعه إلى رأس الجبل فوجده، وكان معه رجل من رسل الروم، فقال الرومي: لو كان هذا الجبل ببلادنا لاتخذنا عليه قلعة، فحدا هذا الكلام السلطان إلى أن ابتنى في رأسه قلعة أنفق عليها ألف ألف دينار، ومائتي ألف دينار، ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبد الله بن عطاء، فتعب المسلمون بسببها، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها، وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنا وقطع رأسه، وطاف به في الأقاليم، ثم نقض هذه القلعة حجرا حجرا، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة، وكان الناس يتشاءمون بهذه القلعة، يقولون: كان دليلها كلبا، والمشير بها كافرا، والمتحصن بها زنديقا.

وفيها وقعت حروب كثيرة بين بنى خفاجة وبين بنى عبادة، فقهرت عبادة خفاجة وأخذت بثأرها المتقدم منها. وفيها استحوذ سيف الدولة صدقة على مدينة تكريت بعد قتال كثير. وفيها أرسل السلطان محمد الأمير جاولي سقاوو إلى الموصل وأقطعه إياها، فذهب فانتزعها من الأمير جكرمش بعد ما قاتله وهزم أصحابه وأسره، ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلا وإحسانا، ثم أقبل قلج أرسلان بن قتلمش فحاصر الموصل فانتزعها من جاولي، فصار جاولي إلى الرحبة، فأخذها ثم أقبل إلى قتال قلج فكسره وألقى قلج نفسه في النهر الذي للخابور فهلك. وفيها نشأت حروب بين الروم والفرنج

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٣٠/١٢

فاقتتلوا قتالا عظيما ولله الحمد، وقتل من الفريقين طائفة كبيرة، ثم كانت الهزيمة على الفرنج ولله الحمد رب العالمين.

قتل فخر الملك أبو المظفر

وفي يوم عاشوراء منها قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك، وكان أكبر أولاد أبيه، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور، وكان صائما، قتله باطني، وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن علي وهو يقول له: عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة، فأصبح متعجبا، فنوى الصوم ذلك اليوم، وأشار إليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل، فما خرج إلا في آخر النهار فرأى شابا يتظلم وفي يده رقعة فقال: ما شأنك؟ فناوله الرقعة فبينما هو يقرؤها إذ ضربه **بخنجر** بيده فقتله، فأخذ الباطني فرفع إلى السلطان فقرره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك، وكان كاذبا، فقتل وقتلوا أيضا. وفي رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم علي بن جهير وخرب داره التي كان قد بناها أبوه، من خراب بيوت الناس، فكان في ذلك عبرة وموعظة لذوي البصائر والنهى، واستنيب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغاني، ومعه آخر. وحج بالناس فيها الأمير تركمان واسمه اليرن، من جهة الأمير محمد بن ملك شاه.." (١)

"سبب خروج بيدمر من القلعة وصفة ذلك

لما كان يوم الأحد الثامن والعشرين منه أرسل قضاة القضاة ومعهم الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي، والشيخ سراج الدين الهندي الحنفي، قاضي العسكر المصري للحنفية، إلى بيدمر ومن معه ليتكلموا معهم في الصلح لينزلوا على ما يشترطون قبل أن يشرعوا في الحصار والمجانيق التي قد استدعى بها من صغد وبعلبك، وأحضر من رجال النقاعين نحو من ستة آلاف رام فلما اجتمع به القضاة ومن معهم وأخبروه عن السلطان وأعيان الأمراء بأنهم قد كتبوا له أمانا إن أناب إلى المصالحة، فطلب أن يكون بأهله ببيت المقدس، وطلب أن يعطى منجك كذا بناحية بلاد سيس ليسترزق هنالك، وطلب استدمر أن يكون باشمقدارا للأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي. فرجع القضاة إلى السلطان ومعهم الأمير زين الدين جبريل الحاجب كان، فأخبروا السلطان والأمراء بذلك، فأجيبوا إليه، وخلع السلطان والأمراء على جبريل خلعا، فرجع في خدمة القضاة ومعهم الأمير استبغا بن الأبو بكري، فدخلوا القلعة وباتوا هنالك كلهم، وانتقل الأمير بيدمر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطرزين، فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٦٧/١٢

القلعة ومعهم جبريل، فدخل القضاة وسلموا القلعة بما فيها من الحواصل إلى الأمير استبغا بن الأبو بكرى، انتهى.

دخول السلطان الملك المنصور محمد بن الملك المظفر أمير حاج بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون

«إلى دمشق في جيشه وجنوده وأمرائه وأبهته» .

لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة رجع القضاة إلى الوطاق الشريف، وفي صحبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلعة، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم وذويهم، فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون، فخلع على القضاة الأربعة وانصرفوا راجعين مجبورين، وأما الأمراء المذكورون فإنهم أركبوا على خيل ضعيفة، وخلف كل واحد منهم وساقى أخذ بوسطه قبل، وفي يد كل واحد من الوساقية خنجر كبير مسلول لئلا يستنقذه منه أحد فيقتله بها، فدخل جهرة بين الناس ليروهم ذلتهم التي قد لبستهم، وقد أحدق الناس بالطريق من كل جانب، فقام كثير من الناس، الله أعلم بعدتهم، إلا أنهم قد يقاربون المائة ألف أو يزيدون عليها، فرأى الناس منظرا فظيعا، فدخل بهم الوساقية إلى الميدان الأخضر الذي فيه القصر، فأجلسوا هنالك وهم ستة نفر: الثلاثة النواب وجبريل وابن استدمر، وسادس، وظن كل منهم أن يفعل بهم فاقرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأرسلت الجيوش داخلة إلى دمشق أطلابا في تجمل عظيم، ولبس الحرب بنهر النصر وخيول وأسلحة ورماح، ثم دخل السلطان في آخر ذلك كله بعد العصر بزمن، وعليه." (١)

"صلى الإله على الذين تتابعوا ... يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا

رأس السرية مرثد وأميرهم ... وابن البكير أمامهم وخبيب

وابن لطارق وابن دثنة منهم ... وافاه ثم حمامه المكتوب

والعاصم المقتول عند رجيعهم ... كسب المعالي إنه لكسوب

منع المقادة أن ينالوا ظهره ... حتى يجالد إنه لنجيب

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

سرية عمرو بن أمية الضمري على إثر مقتل خبيب

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٨٦/١٤

قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن [١]] عمرو بن أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبى عوف (وزاد بعضهم على بعض) قالوا: كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: ما أحد يغتال محمدا فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا. فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له:

إن أنت وفيتني خرجت إليه حتى أغتاله، فإني هاد بالطريق خريت، معي **خنجر** مثل خافية النسر.

قال: أنت صاحبنا. وأعطاه بعيرا ونفقة وقال: اطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد. قال قال العربي لا يعلمه أحد. فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا وصبح ظهر الحي يوم سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى فقال له قائل: قد توجه إلى بني عبد الأشهل فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده. فلما دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إن هذا الرجل يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريده. فوقف وقال أيكم ابن عبد المطلب؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يساره فجبذه أسيد بن حضير وقال: تنح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجذب بداخل إزاره فإذا **الخنجر** فقال: يا رسول الله هذا غادر. فأسقط في يد الأعرابي وقال: دمي دمي يا محمد. وأخذه أسيد بن حضير يلببه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصدقني ما أنت وما أقدمك فإن صدقتني نفعك الصدق وإن كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به. قال العربي فأنا آمن؟ قال وأنت آمن. فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ثم دعا به من الغد فقال قد آمنتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك

---

[١] هذه الزيادة وما بعدها من أمثالها منقولة عن الطبري ٣: ٣٢." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٦٩/٤

"أنت رسول الله والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت ثم اطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان. فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم وأقام أياما ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة ابن أسلم بن حريش اخرجا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه.
قال عمرو فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقيدنا بعيرنا وقال لي صاحبي: يا عمرو هل لك في أن نأتي مكة فنطوف بالبيت سبعا ونصلي ركعتين فقلت [أنا أعلم بأهل مكة منك انهم إذا أظلموا رشوا أفنيتهم ثم جلسوا بها و [١]] انى أعرف بمكة من الفرس الأبلق. فأبى علي فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعا وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال:
عمرو بن أمية وا حزناه. فنذر بنا أهل مكة فقالوا ما جاء عمرو في خير. وكان عمرو فاتكا في الجاهلية. فحشد أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل.
قال عمرو فدخلت في غار فتغيبت عنهم حتى أصبحت وباتوا يطلبوننا في الجبل وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يختلي لفرسه حشيشا فقلت لسلمة بن أسلم إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا، قال فخرجت اليه فطعنته طعنته تحت الثدي بخنجري فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت الى مكاني فدخلت فيه] وقلت لصاحبي لا تتحرك، فأقبلوا حتى أتوه وقالوا من قتلك؟ قال عمرو بن أمية الضمري. فقال أبو سفيان قد علمنا أنه لم يأت لخير. ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا فإنه كان بآخر رمق فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [الى التنعيم] فقال صاحبي يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي ننزله؟ فقلت له: أين هو؟ قال هو ذاك مصلوب حوله الحرس. فقلت أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئا فانح إلى بعيرك فاقعد عليه فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ودعني فإني عالم بالمدينة. ثم استدرت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعا حتى استيقظوا فخرجوا في أثري فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها يعني صوتها ثم أهلت عليه التراب برجلي فأخذت طريق الصفراء فأعيوا ورجعوا وكنت لا أدرى مع بقاء نفسي فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وأقبلت حتى

أشرفت على الغليل غليل ضجنان فدخلت في غار معي قوسي وأسهمي وخنجري فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بنى الديل بن بكر أعور طويل يسوق غنما ومعزى فدخل الغار وقال: من الرجل؟ فقلت رجل من

---

[١] هذه الزيادة وما بعدها من الطبري ٣: ٣٢." (١)

"ابن إسحاق قال ابن إسحاق: والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الإسلام حين أسلم وهو آخذ بثفر بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «من هذا؟» قال ابن أمك يا رسول الله. قال ابن إسحاق: ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان صخر بن حرب- يعنى وكان إسلامه بعد مدخولا وكانت الأزلام بعد معه يومئذ- قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية- يعني لأمه- وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا بطل السحر اليوم. فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك فو الله لئن ير بنى رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن. وقال الإمام أحمد حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبا إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم فجعلوها صفوفا يكثرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله» ثم قال «يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله» قال فهزم الله المشركين ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح. قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ «من قتل كافرا فله سلبه» قال فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم، وقال أبو قتادة: يا رسول الله إني ضربت رجلا على حبل العاتق وعليه درع له فأجهضت عنه فانظر من أخذها قام فقام رجل فقال أنا أخذتها فأرضه منها وأعطنيها، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: والله لا يفئها الله على أسد من أسد الله ويعطيكها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صدق عمر» قال ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها خنجر فقال أبو طلحة ما هذا؟ فقالت إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج في بطنه، فقال أبو طلحة: أما تسمع ما تقول أم سليم؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله أقتل

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٤/٧٠

من بعدها من الطلقاء انهزموا بك، فقال: «إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم» وقد روى مسلم منه قصة خنجر أم سليم، وأبو داود قوله «من قتل قتيلا فله سلبه» كلاهما من حديث حماد بن سلمة به. وقول عمر في هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا أبي ثنا نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوي: يا أبا حمزة بسن أي الرجال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بعث؟ فقال: ابن أربعين سنة، قال ثم كان ماذا؟ قال ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة، ثم قبضه الله إليه. قال بسن أي الرجال هو يومئذ؟ قال كأشب الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه، قال يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي." (١)

"فأتي بقميص كتان فقال: ما هذا؟ قالوا: كتان. قال: وما الكتان؟ فأخبروه فنزع قميصه فغسل ورقع وأتي به فنزع قميصهم ولبس قميصه. فقال له الجلومس: أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئا غير هذا وركبت برذونا لكان ذلك أعظم في أعين الروم. فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلا، فأتي ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه بها فقال: احبسوا احبسوا، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأتي بجمله فركبه.

وقال إسماعيل بن محمد الصفار: حدثنا سعد ان بن نصر حدثنا سفيان عن أيوب الطائي عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، قال: فصك في صدره وقال: أو لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة- أعني سنة خمس عشرة- كانت بين المسلمين وفارس وقعات في قول سيف بن عمر. وقال ابن إسحاق والواقدي: إنما كان ذلك في سنة ست عشرة، ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بينهم، وذلك حين بعث عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره بالمسير إلى المدائن، وأن يخلف النساء والعيال بالعقيق [١] في خيل كثيرة كثيفة. فلما تفرغ سعد من القادسية بعث على المقدمة

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣٢٧/٤

زهرة بن حوية، ثم أتبعه بالأمراء واحدا بعد واحد، ثم سار في الجيوش وقد جعل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على خلافته مكان خالد بن عرفطة، وجعل خالدا هذا على الساقة، فساروا في خيول عظيمة، وسلاح كثير، وذلك لأيام بقين من شوال من هذه السنة، فنزلوا الكوفة وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن، فلقيه بها بصبهرى ىـي جيش من فارس فهزمهم زهرة وذهبت الفرس في هزيمتهم إلى بابل وبها جمع كثير ممن انهزم يوم القادسية قد جعلوا عليهم الفيرزان، فبعث زهرة إلى سعد فأعلمه باجتماع المنهزمين ببابل، فسار سعد بالجيوش إلى بابل، فتقابل هو والفيرزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لفة الرداء، وانهزموا بين يديه فرقتين ففرقة ذهبت إلى المدائن، وأخرى سارت إلى نهاوند، وأقام سعد ببابل أياما ثم سار منها نحو المدائن فلقوا جمعا آخر من الفرس فاقتتلوا قتالا شديدا وبارزوا أمير الفرس، وهو شهريار، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له نائل الأعرجي أبو نباتة من شجعان بني تميم، فتجاولا ساعة بالرماح، ثم ألقياها فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما، ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض، فوقع شهريار على صدر أبي نباتة، وأخرج **خنجرا** ليذبحه بها، فوقعت أصبعه في فم أبي نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه، وأخذ **الخنجر** فذبح شهريار بها وأخذ

---

[1] العقيق: كذا في الأصلين وفي ابن جرير بالعتيق (بالتاء المثناة فوق) .." (١)

"فأعود خائنا؟] [١] . روى ذلك عن الزهري. وقال الواقدي: حدثنا أبو حمزة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم عن أبي عمرو قال:

قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق أمير المؤمنين؟ قالت: النبي صلى الله عليه وسلم قال «أمير المؤمنين هو» وأول من حياه بها المغيرة بن شعبة» وقيل غيره فالله أعلم.

وقال ابن جرير: حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري حدثتني أم عمرو بنت حسان الكوفية- وكان قد أتى عليها مائة وثلاثون سنة- عن أبيها قال: لما ولي عمر قالوا: يا خليفة خليفة رسول الله. فقال عمر: هذا أمر يطول، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم. فسمي أمير المؤمنين.

وملخص ذلك أن عمر رضي الله عنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته، وانتشرت رعيته، وخاف من التقصير، وسأل الله أن يقبضه إليه،

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٧/٦٠

وأن يمن عليه بالشهادة في بلد النبي صلى الله عليه وسلم، كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك، وموتا في بلد رسولك، فاستجاب له الله هذا الدعاء، وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة في المدينة النبوية وهذا عزيز جدا، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل، الرومي الدار، وهو قائم يصلي في المحراب، صلاة الصبح من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة من هذه السنة **بخنجر** ذات طرفين، فضربه ثلاث ضربات. وقيل ست ضربات، إحداهن تحت سرته قطعت السفاق فخر من قامته، واستخلف عبد الرحمن بن عوف، ورجع العلج **بخنجره** لا يمر بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنسا فانتحر نفسه لعنه الله، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه- وذلك قبل طلوع الشمس- فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول: نعم، ولا حظ في الإسلام لمن تركها. ثم صلى في الوقت، ثم سأل عمن قتله من هو؟ فقالوا له: هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يدي رجل يدعي الإيمان ولم يسجد لله سجدة. ثم قال: قبحه الله، لقد كنا أمرنا به معروفا- وكان المغيرة قد ضرب عليه في كل يوم درهمين ثم سأل من عمر أن يزيد في خراجه فإنه نجار نقاش حداد فزاد في خراجه إلى مائة في كل شهر- وقال له: لقد بلغني أنك تحسن أن تعمل رحى تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة: أما والله لأعملن لك رحى يتحدث عنها الناس في المشارق والمغارب- وكان هذا يوم الثلاثاء عشية- وطعنه صبيحة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة. وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده في ستة ممن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، وهم عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير

---

[١] من أول السطر الخامس عشر من الصحيفة نمرة ١٣٣ إلى هنا سقط من المصرية.." (١)

"إني لأذكره يوما فأحسبه ... أو في البرية عند الله ميزانا

وأما صاحب معاوية- وهو البرك- فإنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم فضربه بالسيف، وقيل **بخنجر** مسموم فجاءت الضربة في وركه فجرحت أليته ومسك الخارجي فقتل، وقد قال لمعاوية: اتركني فإني أبشرك ببشارة، فقال: وما هي؟ فقال: إن أخي قد قتل في هذا اليوم علي بن أبي طالب، قال:

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٣٧/٧

فلعله لم يقدر عليه، قال: بلى إنه، لا حرس معه، فأمر به فقتل، وجاء الطبيب فقال لمعاوية: إن جرحك مسموم فإما أن أكويك وإما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك فقال معاوية: أما النار فلا طاقة لي بها، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني. فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحة واستقل وسلم رضي الله عنه. ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع وجعل الحرس حولها في حال السجود، فكان أول من اتخذها معاوية لهذه الحادثة.

وأما صاحب عمرو بن العاص- وهو عمرو بن بكر- فإنه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد في ذلك اليوم فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة- وهو خارجة بن أبي حبيبة من بني عامر بن لؤي وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجي فقتله وهو يعتقده عمرو بن العاص، فلما أخذ الخارجي قال: أردت عمرا وأراد الله خارجة، فأرسلها مثلا، وقتل قبحه الله، وقد قيل إن الذي قالها عمرو بن العاص، وذلك حين جيء بالخارجي فقال: ما هذا؟ قالوا قتل نائبك خارجة، ثم أمر به فضربت عنقه.

والمقصود أن عليا رضي الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الإمارة بالكوفة خوفا عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته، هذا هو المشهور ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدرى أين ذهب فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع، وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة، حكاه الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الحافظ عن أبي بكر الطلحي عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ عن مطر أنه قال: لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة. قال الواقدي: حدثني أبو بكر ابن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر كم كان سن علي يوم قتل؟ قال: ثلاثا وستين سنة. قلت: أين دفن؟ قال: دفن بالكوفة ليلا وقد غبي عن دفنه، وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانية وخمسين سنة، وقد قيل إن عليا دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة. قاله الواقدي، والمشهور بدار الامارة. وقد حكى الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دكين أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣٢٩/٧

"ابن معاوية يوما فغنت الجارية، فلما سمعها يزيد افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية، فبعث يزيد رجلا من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفا كثيرة، وأنس به، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد. وكان الحسن البصري يذم ابن جعفر على سماعه الغنى واللهو وشرائه المولدات، ويقول: أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الحجاج يقول: إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب، وقيل إنه لم يصل إليها، وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها. أسند عبد الله ابن جعفر ثلاثة عشر حديثا.

أبو إدريس الخولاني

اسمه عائذ الله بن عبد الله، له أحوال ومناقب، كان يقول: قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دنس في ثياب نقية، وقد تولى القضاء بدمشق، وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل.

معبد الجهني القدري

يقال إنه معبد بن عبد الله بن عليم، راوي حديث: «لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب» .

وقيل غير ذلك في نسبه، سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم.

وشهد يوم التحكيم، وسأل أبا موسى في ذلك ووصاه ثم اجتمع بعمرو بن العاص فوصاه في ذلك فقال له: أيها يا تيس جهنة ما أنت من أهل السر والعلانية، وإنه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل. وهذا توسم فيه من عمرو بن العاص، ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر، ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له سوس، وأخذ غيلان القدر من معبد، وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة، ووثقه ابن معين وغيره في حديثه، وقال الحسن البصري: إياكم ومعبدا فإنه ضال مضل، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله.

وقال سعيد بن عفير: بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله، وقال خليفة بن خياط: مات قبل التسعين فالله أعلم، وقيل إن الأقرب قتل عبد الملك له والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة، وفيها قتل بكير بن وشاح، قتله بجير بن ورقاء الصريمي، وكان بكير من الأمراء الشجعان، ثم ثار لبكير ابن وشاح رجل من

قومه يقال له صعصعة بن حرب العوفي الصريمى، فقتل بجير بن ورقاء الذي قتل بكيرا، طعنه **بخنجر** وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فحمل إلى منزله وهو بآخر رمق، فبعث." (١)

"بما فيه من الأمتعة العظيمة، والأواني من الذهب والفضة، والنساء والصبيان، من الأتراك ومن معهم من الأسارى من المسلمات وغيرهم، مما لا يحد ولا يوصف لكثرته وعظمه وقيمته وحسنه. غير أن خاقان لما أحس بالهلاك ضرب امرأته **بخنجر** فقتلها، فوصل المسلمون إلى المعسكر وهي في آخر رمق تتحرك، ووجدوا قدورهم تغلي بأطعماتهم، وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها، فاتفق أنه لعب بالنرد مع بعض الأمراء فغلبه الأمير فتوعده خاقان بقطع اليد، فحنق عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله فقتله، وتفرقت الأتراك يعدو بعضهم على بعض، وينهب بعضهم بعضا، وبعث أسد إلى أخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان، وبعث إليه بطبول خاقان- وكانت كبارا لها أصوات كالرعد- وبشيء كثير من حواصله وأمتعته، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحا شديدا، وأطلق للرسل أموالا جزيلة كثيرة من بيت المال. وقد قال بعض الشعراء في أسد يمدحه على ذلك: -

لو سرت في الأرض تقيس الأرضا ... تقيس منها طولها والعرضا

لم تلق خيرا إمرة ونقضا ... من الأمير أسد وأمضى

أفضى إلينا الخير حتى افضا ... وجمع الشمل وكان ارفضا

ما فاته خاقان إلا ركضا ... قد فض من جموعه ما فضا

يا ابن شريح قد لقيت حمضا ... حمضا به تشفى صداع المرضى

وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري المغيرة بن سعيد وجماعة من أصحابه الذين تابعوه على باطله، وكان هذا الرجل ساحرا فاجرا شيعيا خبيثا، قال ابن جرير: ثنا ابن حميد ثنا جرير عن الأعمش قال: سمعت المغيرة بن سعيد يقول: لو أراد أن يحيى عادا وثمودا وقرونا بين ذلك لأحياهم.

قال الأعمش: وكان المغيرة هذا يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور، أو نحو هذا من الكلام. وذكر ابن جرير له غير ذلك من الأشياء التي تدل على سحره وفجوره. ولما بلغ خالدا أمره أمر بإحضاره فجيء به في ستة نفر أو سبعة نفر، فأمر خالد فأبرز سريره إلى المسجد، وأمر بإحضار أطناب القصب والنفط فصب فوقها، وأمر المغيرة أن يحتضن طنبا منها، فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنبا

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٩/٣٤

واحدا وصب فوق رأسه النفط، ثم أضرم بالنار. وكذلك فعل ببقية أصحابه.

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ويلقب بكثارة، واتبعه جماعات من الخوارج دون المائة، وقصدوا قتل خالد القسري، فبعث إليهم البعوث فكسروا الجيوش واستفحل أمرهم جدا لشجاعتهم وجلدهم، وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش، فردوا العساكر من الألوف المؤلفة، ذوات الأسلحة والخيل المسومة، هذا وهم لم يبلغوا المائة، ثم إنهم راموا قدوم الشام لقتل الخليفة." (١)

"[سرية عمرو بن أمية الضمري]

على إثر مقتل خبيب

قال الواقدي: حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري، وعبد الله بن جعفر، عن عبد الواحد بن أبي عون وزاد بعضهم على بعض، قالوا: كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: ما أحد يغتال محمدا؟ فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا؟ فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله، وقال له: إن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله، فإني هاد بالطريق خريت، معي **خنجر** مثل خافية النسر. قال: أنت صاحبنا. وأعطاه بعيرا ونفقة، وقال: اطو أمرك ؛." (٢)

"فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد. قال: قال العربي: لا يعلمه أحد. فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا، وصبح ظهر الحرة صبح سادسة، ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى، فقال له قائل: قد توجه إلى بني عبد الأشهل. فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته، ثم أقبل يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجده في جماعة من أصحابه، يحدث في مسجده، فدخل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: إن هذا الرجل يريد غدرا، والله حائل بينه وبين ما يريده. فوقف وقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن عبد المطلب فذهب يجنئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يساره، فجبذه أسيد بن حضير وقال: تنح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجذب بداخلة إزاره، فإذا **الخنجر**، فقال: يا رسول الله، هذا غادر. فأسقط في يد الأعرابي، وقال: دمي دمي يا محمد. وأخذ أسيد بن حضير يلببه،

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣٢٣/٩

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥١٧/٥

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اصدقني، ما أنت وما أقدمك؟ فإن صدقتني نفعك الصدق، وإن كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به. قال العربي: فأنا آمن؟ قال: فأنت آمن." (١)

"أمسوا انفجعوا بأفنيتهم، فأبى علي فانطلقنا فأتينا مكة فطفنا أسبوعا وصلينا ركعتين، فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال: عمرو بن أمية! وأخبر أباه فنذر بنا أهل مكة فقالوا: ما جاء عمرو في خير. وكان عمرو فاتكا في الجاهلية، فحشد أهل مكة وتجمعوا، وهرب عمرو، وسلمة وخرجوا في طلبهما، واشتدوا في الجبل. قال عمرو: فدخلت غارا فتغيبت عنهم حتى أصبحت، وباتوا يطلبوننا في الجبل، وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا، فلما كان الغد ضحوة، أقبل عثمان بن مالك بن عبيد التيمي يختلي لفرسه حشيشا، فقلت لسلمة بن أسلم: إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا. فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا. قال: فخرجت إليه فطعنته طعنة تحت الثدي **بخنجري** فسقط وصاح، فأسمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم، ودخلت الغار، وقلت." (٢)

"لصاحبي: لا تتحرك. فأقبلوا حتى أتوه، وقالوا: من قتلك؟ قال: عمرو بن أمية الضمري. فقال أبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأت لخير. ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا، فإنه كان بآخر رمق فمات، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم، فحملوه، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى خرجنا، فقال صاحبي: يا عمرو بن أمية هل لك في خبيب بن عدي ننزله؟ فقلت له: أين هو؟ قال: هو ذاك مصلوب، حوله الحرس. فقلت: أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئا فانح إلى بعيرك فاقعد عليه، فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ودعني، فإني عالم بالمدينة. ثم اشتددت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري، فما مشيت به إلا عشرين ذراعا حتى استيقظوا، فخرجوا في أثري فطرحت الخشبة، فما أنسى وقعها دب - يعني صوتها - ثم أهلت عليه التراب برجلي، فأخذت طريق الصفراء، فأعيوا ورجعوا، وكنت لا أدرك مع بقاء نفس، فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، وأقبلت حتى أشرفت على الغميم غميم ضجنان فدخلت في غار معي قوسي وأسهمي **وخنجري**، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بني بكر من بني الديل." (٣)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥/٥١٨

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥/٥٢٠

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥/٥٢١

"مدخولا، وكانت الأزلام معه يومئذ -: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ كلدة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا بطل السحر اليوم. فقال له صفوان: اسكت، فض الله فاك، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك «أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم، فجعلوها صفوفا يكثرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله ". ثم قال: " يا معشر الأنصار، أنا عبد الله ورسوله " قال: فهزم الله المشركين، ولم يضرب بسيف ولم يطعن برمح. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: " من قتل كافرا فله سلبه ". قال: فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم. وقال أبو قتادة: يا رسول الله، إني ضربت رجلا على حبل العاتق وعليه درع له، فأجهضت عنه، فانظر من أخذها. قال: فقام رجل فقال: أنا أخذتها، فأرضه منها وأعطنيها. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: والله لا يفيئها الله على أسد من أسد الله ويعطيكها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صدق عمر ".» قال: «ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها **خنجر**، فقال أبو طلحة: ما هذا؟ فقالت: إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج به بطنه. فقال أبو طلحة: أما تسمع ما تقول أم سليم؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، اقتل من بعدنا من الطلقاء؛ انهزموا بك. فقال: " إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم» .

وقد روى مسلم منه قصة **خنجر** أم سليم، وأبو داود قوله: «من قتل قتيلا فله سلبه» كلاهما من حديث حماد بن سلمة به. وقول عمر في هذا مستغرب، والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا أبي، ثنا نافع أبو غالب شهد أنس بن مالك قال: «فقال العلاء بن زياد العدوي: يا أبا حمزة بسن أي الرجال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بعث؟ فقال: ابن أربعين." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٧/٧

"لأيام بقين من شوال من هذه السنة، فنزلوا الكوفة، وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن، فلقيه بها بصبهرى في جيش من فارس، فهزمهم زهرة، وذهبت الفرس في هزيمتهم إلى بابل، وبها جمع كثير ممن انهزم يوم القادسية، قد جعلوا عليهم الفيرزان، فبعث زهرة إلى سعد، فأعلمه باجتماع المنهزمين ببابل، فسار سعد بالجيوش إلى بابل، فتقابل هو والفيرزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لفة الرداء، وانهزموا بين يديه فرقتين، ففرقة ذهبت إلى المدائن، وأخرى سارت إلى نهاوند، وأقام سعد ببابل أياما، ثم سار منها نحو المدائن فلقوا جمعا آخر من الفرس، فاقتتلوا قتالا شديدا وبارزوا أمير الفرس، وهو شهريار، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له: نايل الأعرجي أبو نباتة من شجعان بني تميم فتجاولا ساعة بالرماح، ثم ألقياها فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما، ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض، فوقع شهريار على صدر أبي نباتة، وأخرج **خنجرا** ليذبحه بها، فوقعت أصبعه في فم أبي نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه، وأخذ **الخنجر** فذبح شهريار بها وأخذ فرسه وسواريه وسلبه، وانكشف أصحابه فهزموا، فأقسم سعد على نايل ليلبس سواري شهريار وسلاحه، وليركبن فرسه إذا كان حرب، فكان يفعل ذلك، قالوا: وكان أول من تسور بالعراق. وذلك بمكان يقال له كوثى. وزار المكان الذي حبس فيه الخليل، وصلى عليه وعلى سائر الأنبياء، وقرأ: {وتلك الأيام نداولها بين الناس} [آل عمران: ١٤٠] الآية [آل عمران: ١٤٠] .

[وقعة بهرسير]

قالوا: ثم قدم سعد زهرة بين يديه من كوثى إلى بهرسير، فمضى إلى." (١)

"وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله، عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته، وانتشرت رعيته وخاف من التقصير، وسأل الله أن يقبضه إليه، وأن يمن عليه بالشهادة في بلد النبي، صلى الله عليه وسلم، كما ثبت عنه في " الصحيح " أنه كان يقول: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك، وموتا في بلد رسولك. فاستجاب الله له هذا الدعاء، وجمع له بين هذين الأمرين؛ الشهادة في المدينة النبوية. وهذا عزيز جدا، ولكن الله لطيف لما يشاء، تبارك وتعالى. فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل، الرومي الدار، وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الصبح من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة من هذه السنة **بخنجر** ذات طرفين، فضربه ثلاث ضربات، وقيل: ست ضربات. إحداهن تحت سرته قطعت الصفاق فخر

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٩/٦٦٧

من قامته، واستخلف عبد الرحمن بن عوف، ورجع العلج **بخنجره** لا يمر بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنسا فانتحر نفسه، لعنه الله، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه - وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول: نعم، ولا حظ في الإسلام لمن تركها. ثم صلى في الوقت، ثم سأل عمن قتله من هو؟ فقالوا له أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يدي رجل يدعي الإيمان، ولم يسجد لله سجدة. ثم قال: قبحه الله، لقد كنا." (١)

"ونحن كرام في الهياج أعزة

إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا

وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين في زمن التابعين، وهو عمران بن حطان - وكان أحد العباد ممن يروي عن عائشة في " صحيح البخاري " - فقال فيه:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوما فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

وأما صاحب معاوية - وهو البرك - فإنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم، فضربه بالسيف، وقيل: **بخنجر** مسموم. فجاءت الضربة في وركه فجرحت أليته، ومسك الخارجي فقتل، وقد قال لمعاوية: اتركني فإني أبشرك ببشارة. فقال: وما هي؟ فقال: إن أخي قد قتل في هذه الليلة علي بن أبي طالب قال: فلعله لم يقدر عليه. قال: بلى، إنه لا حرس معه. فأمر به فقتل، وجاء الطبيب إلى معاوية فقال: إن جرحك مسموم ؛ فإما أن أكويك وإما أن أسقيك شربة فيذهب السم، ولكن ينقطع نسلك. فقال معاوية: أما النار فلا طاقة لي بها، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني. فسقاه شربة، فبرأ من ألمه وجراحه، وانقطع النسل وسلم من ذلك، رضي الله عنه. ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع، وجعل الحرس حولها في حال السجود، فكان أول من اتخذها معاوية ؛ لهذه الحادثة.." (٢)

"[ثم دخلت سنة إحدى وثمانين]

[الأحداث التي وقعت فيها]

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨٩/١٠

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٩/١١

ففيها: فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا، وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة، وفيها قتل بكير بن وشاح ؛ قتله بحير بن ورقاء الصريمي، وكان بكير من الأمراء الشجعان، ثم ثار لبكير بن وشاح رجل من قومه يقال له: صعصعة بن حرب العوفي الصريمي. فقتل بحير بن ورقاء الذي قتل بكيرا ؛ طعنه **بخنجر**، وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة، فحمل إلى منزله وهو بآخر رمق، فبعث المهلب بصعصعة إليه، فلما تمكن منه بحير بن ورقاء قال: ضعوا رأسه عند رجلي. فوضعوه، فطعنه بحير بحربته حتى قتله، ومات على إثره. وقد قال له أنس بن طارق: اعف عنه، فقد قتلت بكير بن وشاح. فقال: لا والله، لا أموت وهذا حي. ثم قتله. وقد قيل: إنه إنما قتل بعد موته، فالله أعلم.

[فتنة ابن الأشعث]

قال أبو مخنف: كان ابتداؤها في هذه السنة. وقال الواقدي: في سنة." (١)

"[ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

وفيها جرت كائنة غريبة، ومصيبة عظيمة، وهي أن رجلا من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء، وذلك أنه لما كان يوم الجمعة وهو يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليقبله، فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات، وقال: إلى متى يعبد هذا الحجر؟ ولا محمد ولا علي يمنعني مما أفعله، فإني أهدم اليوم هذا البيت، وجعل يرتعد، فاتقاه أكثر الحاضرين، وتأخروا عنه ؛ وذلك أنه كان رجلا طوالا جسيما، أحمر اللون، أشقر الشعر، وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن أراده بسوء، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه **خنجر**، فوجأه بها، وتكاثر عليه الناس، فقتلوه وقطعوه قطعا وحرقوه، وتتبعوا أصحابه، فقتل منهم جماعة، ونهبت أهل مكة ركب المصريين، وتعدى النهب إلى غيرهم أيضا، وجرت خبطة عظيمة وفتنة كبيرة جدا، ثم

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٢/٣٠٥

سكن الحال بعد أن تتبع أولئك النفر الذين تمالئوا على الإلحاد في أشرف البلاد، غير أنه سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار، وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة، محببا مثل الخشخاش، فأخذ." (١)

"[ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

في يوم الخميس حادي عشر المحرم حضر إلى الديوان أبو الوفا علي بن محمد بن عقيل العقيلي الحنبلي، وقد كتب على نفسه كتابا يتضمن توبته من الاعتزال ومخالطة أهله، وأنه رجع عن اعتقاد كون الحلاج من أهل الخير، وقد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك، وأنه قد قتل بإجماع علماء أهل عصره، وقد كانوا مصيبين وهو مخطئ، وشهد عليه جماعة في الكتاب، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر، فسلم عليه وصالحه واعتذر إليه، وعظمه، ولله الحمد والمنة.

[وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه]

كان السلطان قد سار في أول هذه السنة في مائتي ألف مقاتل يريد غزاة ما وراء النهر فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له: يوسف الخوارزمي، فأوقف بين يديه فشرع يعاتبه في أشياء صدرت منه، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها، فقال للسلطان: يا مخنث أمثلي يقتل هكذا؟ فاحتد السلطان من ذلك، وأمر بإرساله، وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطأه، وأقبل يوسف نحو السلطان فنهض السلطان عن السرير، فنزل فعثر، فوقع فأدركه يوسف فضربه **بخنجر** كان في يده في خاصرته، وأدركه الجيش فقتلوه، وقد جرح السلطان جرحا منكرا، فتوفي في يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة ويقال إن أهل بخارا." (٢)

"[ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

وفيها كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه **بخنجر** كانت معه فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٩٣/١٥

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٧/١٦

فملكها، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها وهي حران والرها وقلعة جعبر، وكان جعبر شيخا كبيرا قد عمي وله ولدان، وكان قطاع الطريق يلجئون إليها فيتحصنون بها فراسل السلطان جعبر بن سابق في تسليمها فامتنع عليه، فنصب عليها المجانيق والعرادات ففتحها وأمر بقتل صاحبها سابق، فقالت زوجته لا تقتله حتى تقتلني معه فألقاه من ورائها فتكسر، ثم أمر بتوسيطه بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت، فلامها بعض الناس في ذلك فقالت: كرهت أن يصل إلي التركي فيبقى ذلك عارا علي. فاستحسن منها ذلك واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة آق سنقر التركي وهو جد نور الدين الشهيد واستناب على الرحبة وحران." (١)

"من الفريقين طائفة كبيرة ثم كانت الهزيمة بعد كل حساب على الفرنج.

وفي يوم عاشوراء منها قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك، وكان أكبر أولاده، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور، وكان صائما، قتله باطني، وكان قد رأى في تلك الليلة: الحسين بن علي وهو يقول له: عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة، فأصبح متعجبا فنوى الصوم ذلك اليوم، وأشار عليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل، فما خرج إلا في آخر النهار، فرأى شابا يتظلم وفي يده رقعة، فقال: ما شأنك؟ فناوله الرقعة، فبينما هو يقرؤها إذ ضربه **بخنجر** بيده فقتله، فأخذ الباطني فرفع إلى السلطان فقرره، فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك - وكان كاذبا - فقتل وقتلوا أيضا.

وفي صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم علي بن جهير وخرب داره التي كان قد بناها أبوه من خراب بيوت الناس، فكان في ذلك عبرة وموعظة لذوي البصائر والنهى، واستنيب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغاني.

وحج بالناس في هذه السنة تركماني من جهة السلطان محمد بن ملكشاه.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن المظفر أبو المظفر الخوافي الفقيه الشافعي قال ابن خلكان: كان أنظر أهل زمانه، تفقه على إمام الحرمين، وكان أوجه تلامذته." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٠٢/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٩٦/١٦

"بشمقدار للأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي، فرجع القضاة إلى السلطان، ومعهم الأمير زين الدين جبريل الحاجب – كان – فأخبروا السلطان والأمراء بذلك، فأجيبوا إلى ما طلبوا، وخلع السلطان والأمراء على جبريل خلعا، فرجع في خدمة القضاة، ومعهم الأمير أسنبغا بن الأبو بكري، فدخلوا القلعة، وباتوا هنالك كلهم، وانتقل الأمير بيدمر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطرزين، فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلعة ومعهم جبريل، فدخل القضاة، وسلموا القلعة بما فيها من الحواصل إلى الأمير سيف الدين أسنبغا بن الأبوبكري.

[دخول السلطان محمد ابن الملك أمير حاج ابن الملك محمد ابن الملك قلاوون إلى دمشق] في جيشه وأمرائه

لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة رجع القضاة إلى الوطاق الشريف، وفي صحبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلعة، وقد أعطوا الأمان مِن جهة السلطان ومن معهم وذويهم، فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون، فخلع على القضاة الأربعة، وانصرفوا راجعين مجبورين، وأما الأمراء المذكورون فإنهم أركبوا على خيل ضعيفة، وخلف كل واحد منهم وشاقي آخذ بوسطه، قيل: وفي يد كل واحد من الوشاقية خنجر كبير." (١)

"وعوجل بالقتل مع من حضر منهم. وتولى الملك بعده ولده محمد، واستمر سلطانه إلى ذي الحجة من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة، وقتل بظاهر جبل الفتح «١» . وولي بعده أخوه مولانا السلطان أبو الحجاج لباب هذا البيت، وواسطة هذا العقد، وطراز هذه الحلية، ثم اغتاله ممرور من أخابيث السوقة، قيضه الله إلى شهادته، وجعله سببا لسعادته، فأكب عليه في الركعة الآخرة من ركعتي عيد الفطر، بين يدي المحراب، خاشعا، ضارعا، في الحال الذي أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، وضربه بخنجر مهيئ للفتك به، في مثل ذلك الوقت، كان، زعموا، يحاول شحذه منذ زمان، ضربة واحدة، على الجانب الأيسر من ظهره، في ناحية قلبه، فقضى عليه، وبودر به فقتل.

وولي الأمر بعده محمد «٢» ، ولده أكبر بنيه، وأفضل ذويه، خلقا وخلقا وحياء وجودا، ووقارا وسلامة وخيرية، ودافع دولته من لا يعبأ الله به «٣» ؛ ثم تدارك الأمر سبحانه، وقد أشفى، ودافع وكفى، بما يأتي

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٦٤٠

في محله إن شاء الله. وهو أمير المسلمين لهذا العهد، متع الله به، وأدام مدته، وكتب سعادته، وأطلق بالخير يده، وجعله بمراسيم الشريعة من العاملين، ولسلطان يوم الدين من الخائفين، المراقبين، بفضله.

وقد أتينا بما أمكن من التعريف بأحوال هذه الحضرة على اختصار. ويأتي في أثناء التعريف برجالها كثير من تفصيل ما أجمل، وتتميم ما بدأ، وإيضاح ما خفي بحول الله تعالى.." (١)

"الرأي، عارفا بتدبير الحرب، حمي الأنف، عظيم السطوة، مشهور الإقدام، مرتكبا للعظيمة. قال بعض من عرف به من المؤرخين: وهو وإن كان قائد فرسان، هو حليف فتنة وعدوان، ولم يصحب قط متشرعا، ولا نشأ في أصحابه من كان متورعا، سلطه الله على الخلق وأملى له فأضر بمن جاوره من أهل البلاد، وحبب إليه العيث في العباد.

سيرته: كان جبارا قاسيا، فظا غليظا، شديد النكال، عظيم الجرأة والعبث بالخلق؛ بلغ من عيثه فيهم إحراقهم بالنار، وقذفهم من الشواهق والأبراج، وإخراج الأعصاب والرباطات على ظهورهم، عن أوتار القسي بزعمه، وضم أغصان الشجر العادي بعضها إلى بعض، وربط الإنسان بينها، ثم تسريحها، حتى يذهب كل غصن بحظه من الأعضاء؛ ورآه بعض الصالحين في النوم بعد موته، وسأله ما فعل الله بك فأنشده: [البسيط]

من سره العيث في الدنيا بخلقة من ... يصور الخلق في الأرحام كيف يشا

فليصبر اليوم صبري تحت بطشته ... مغللا يمتطي جمر الغضا فرشا

شجاعته: زعموا أنه خرج من المواضع التي كانت لنصره متصيدا، وفي صحبته محاولو اللهو وقارعو أوتار الغناء، في مائة من الفرسان، ونقاوة أصحابه؛ فما راعهم إلا خيل العدو هاجمة على غرة، في مائتي فارس ضعف عددهم؛ فقالوا: العدو في مائتي فارس، فقال: وإذا كنتم أنتم لمائة، وأنا لمائة، فنحن قدرهم؛ فعد نفسه بمائة.

ثم استدعى قدحا من شرابه، وصرف وجهه إلى المغني؛ وقال: أعد لي تلك الأبيات، كان يغنيه بها فتعجبه: [الخفيف]

يتلقى الندا بوجه حيي ... وصدور القنا بوجه وقاح

هكذا هكذا تكون المعالي ... طرق الجد غير طرق المزاح

فغناه بها، واستقبل العدو، وحمل عليه بنفسه وأصحابه، حملة رجل واحد، فاستولت على العدو الهزيمة،

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٤٢/١

وأتى على معظمهم القتل، ورجع غانما إلى بلده.

ثم ضربت الأيام، وعاود التصيد في موضعه ذلك، وأطلق بازه على حجلة، فأخذها، وذهب ليذكيها، فلم يحضره خنجر ذلك الغرض في الوقت، فبينما هو يلتمسه، إذ رأى نصلا من نصال المعترك من بقايا يوم الهزيمة، فأخذه من التراب، وذبح به الطائر، ونزل واستدعى الشراب؛ وأمر المغني فغناه بيتي أبي الطيب «١» .: " (١)

"الأشجار، فأمعنوا في إفسادها، وبرز حاميتها، فناشبت الناس القتال، فحميت النفوس، وأريد منع الناس، فأعيا أمرهم وسال منهم البحر، فتعلقوا بالأسوار، وقيل للسلطان: بادر بالركوب، فقد دخل الربض «١» ، فركب ووقف بإزائها، فدخل البلد «٢» عنوة، واعتصم أهله بالقصبة، فدخلت أيضا القصبة عنوة، وانطلقت أيدي الغوغاء على من بها من ذكر وأنثى كبيرا أو صغيرا «٣» ، فساءت القتلة، وقبحت الأحدوثة، ورفعت من الغد آكام من الجثث صعد ذراها المؤذنون، وقفل إلى غرناطة بنصر لا كفاء «٤» له، فكان «٥» دخوله من هذه الغزاة في الرابع والعشرين لرجب المذكور.

وفاته: ولما «٦» فصل من مرتش نقم على أحد الرؤساء من قرابته، وهو ابن عمه محمد بن إسماعيل، المعروف بصاحب الجزيرة، أمرا تقرعه عليه، وبالغ في الإهمال له «٧» ، وتوعده بما أثار حفيظته، فأقدم عليه بالفتكة الشنعاء التي ارتكبها منه بباب قصره، بين عبيده وأرباب دولته «٨» ، آمن ما كان سربا، وأعز سلطانا «٩» وجندا؛ وذلك يوم الاثنين ثالث يوم من دخوله من مرتش، بعد أن عاهد في الأمر جملة من القرابة والخدام، فوثب به، وهو مجتاز بين السماطين من ناسه إلى مجلس «١٠» كان يجلس فيه للناس، فاعتنقه وانتضى «١١» خنجرا كان ملصقا في ذراعه، فأصابه بجراحات ثلاث؛ إحداهن في عنقه، بأعلى ترقوته، فخر صريعا. وصاح بكر وزيره، فعمته سيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك، ووقعت الرجة، وسلت السيوف، وتشاغل كل بمن يليه، واستخلص السلطان من يديه، وحيل بينه وبينه؛ وحين تشاغل القوم بالوزير، رفع السلطان وظن أنه قد أفلت جريحا، فوقع البهت، وبادروا الفرار، فسدت المذاهب، فقتلوا حيث وجدوا. وأخذت الظنة قوما من أبريائهم، فامتحنوا «١٢» ، ونهب «١٣» الغوغاء دورهم، وعلقت بالجدران

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١/١٥٣

أشلاؤهم، وكان يوما عصيبا، وموقفا صعبا، واحتمل السلطان إلى بعض دور قصره، وبه صبابة روح، أشبه." (١)

"إسحاق الطيار. ومنهم أبو عبد الله بن محمد الكرموني، وكان بصيرا بتفسير الرؤيا، فمن عجائب شأنه، أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق مع من كان فيه، من أهل تلمسان أيام محاصرته لها، فرأى أبا جمعة علي التلالسي الجرايحي منهم، كأنه قائم على ساقية دائرة، وجميع أقداحها وأقواسها تصب في نقير في وسطها، فجاء ليشرب، فاغترف الماء، فإذا فيه فرث ودم، فأرسله، واغترف فإذا هو كذلك، ثلاثا أو أكثر، ثم عدل إلى خاصة ماء، فجاءها وشرب منها. ثم استيقظ، وهو النهار، فأخبره، فقال: إن صدقت الرؤيا، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن. قال: كيف؟ قال: الساقية الزمان، والنقير السلطان، وأنت جرايحي، تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم، وهذا ما لا يحتاج معه إلى دليل، فأخرج، فوجد السلطان مطعونا **بخنجر**، فأدخل يده في جوفه، فناله الفرث والدم، فخاط جراحته وخرج، فرأى خاصة ماء، فغسل يده وشرب. ولم يلبث السلطان أن توفي، وسرحوا من كان في سجنه. ومن أشياخه الإمام نسيج وحده، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الآبلي التلمساني، وهو رحلة الوقت في القيام على الفنون العقلية، وإدراكه وصحة نظره.

حدث قال: قدم على مدينة فاس، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي، عرف بابن المسفر، رسولا من صاحب بجاية. وزاره الطلبة، فكان مما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين، يستشكلون كلاما وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتب فخر الدين، واستشكله الشيخ معهم. وهذا نصه: ثبت في بعض العلوم العقلية، أن المركب مثل البسيط في الجنس، والبسيط مثل المركب في الفصل، وأن الجنس أقوى من الفصل، فأخبروا بذلك الشيخ الآبلي لما رجعوا إليه، فتأمله ثم قال: هذا كلام مصحف، وأصله أن المركب قبل البسيط في الحس، والبسيط قبل المركب في العقل، وأن الحس أقوى من العقل، فأخبروا ابن المسفر، فلج، فقال لهم الشيخ: التمسوا النسخ، فوجدوا في لفظ بعضها كما قال الشيخ.

رحلته: رحل «١» إلى بجاية مشرقا، فلقي بها جلة، منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي، ابن المسفر «٢» . ومنهم قاضيها أبو عبد الله محمد ابن الشيخ." (٢)

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢١٠/١

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١٢٤/٢

"الوقار، المكفولة الذيل، أنيسة مشيخة الجماعة، القاطنة من الحمراء العلية، بباب ابن سماعة، فحين عطفت عليها، وصرفت زمام راحلتي إليها، ووقفت بإزاء فنائها، ولكنها وقوف المشفق من فنائي وفنائها، وقلت لها: كيف حالك أيتها الجارة، الساكنة بنجدة الحجارة، الواعظة للقريب والبعيد، بمقامها صامتة على الصعيد:

[الطويل]

سقاك من الغر الغوادي مطيرها ... ولا زلت في خضراء غض نظيرها

فما أحقك من باسقة بالترحيب، وأقربك من رحمات السميع المجيب، خلتها اهتزت عند النداء اهتزاز السرور، وتمايلت أكمامها تمايل الثمل المسرور، ثم قالت لسائلها، بلسان وسائلها، عند مشاهدة مثلي تقول العرب: عينها فرارها، وابن جدها للناظرين اصفرارها، وجملة بخيتي، بعد إتمام تحيتي، أن الدهر عجم قناتي، ومس الكبر كدر سناتي، وما عسى أن أبث من ثكناتي، وجل علاتي من تركيب ذاتي.

ولكني أجد مع ذلك أن وقاري، حسن لدى الحي احتقاري، وكثرة قناعتي، أثمرت إضاعتي، وكمال قدي، أوجب قدي، فما أنس م الأشياء، لا أنس عدوان جعسوس «١» ، من لعبوش اليهود أو المجوس، يفحص بمديته عن وريدي، ويحرص على مد جريدي، ويجدع كل عام بخنجره أنفي، وكلما رمت كف إذايته عني، كشم كف، فلو رأيتم صعصعة أفناني، وسمعتم عند جدم بناني، قعقعة جناني، والدمع لما جفاني، يفيض من أجفاني، والجعسوس الخبيث المنحوس قد شد ما حد بأمراسه، ورفعه لبيعة كفره على راسه، بعد الأمر بوضعه على أسنمة القبور، حسبما ثبت في الحديث المشهور، لحملتكم يا بني سام وحام، على الغيرة وشائج الأرحام، فقد علمتم بنص الأثر أني عمتكم القديمة، وإن لم أكن لذلك بأهل فإني لكم اليوم خديمة، أو من ذرية الفريق الموجب المضروب به المثل يوم السقيفة، لمن رام من أشراف الأندلس أن يكون إذ ذاك خليفة. وخالة أبي كانت النخلة البرشاء الكبيرة، التي حادثها الأمير عبد الرحمن بالرصافة «٢» القريبة من كورة إلبيرة. فكيف." (١)

"تطلع النفس الفقيرة، للأعراض التافهة الحقيرة، والإمامة العظمى، أجل عندنا وأسمى، من أن تلحظ بعينها تلك الملاحظ، ولواصل لديها مراتبها وأفكارها ببيانه وتبيانه عمرو بن بحر الجاحظ، إذ هي كافأ الله فضلها ولا قلص ظلها كالسحاب، نجود بغيثها على الآكام والضراب، ومنابت الشجر من التراب، فضلا

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٧٥/٤

عن الخدمة والأتراب، فليس يضيع مع جميل نظرها ذو نسب، ولا يجهل في أيامها السعيدة مقدار منتسب إلى حسب. وإن وقعت هفوة صغيرة، أعقبتها حسنة كبيرة، وممن أثيرة، ونعم كثيرة. ولم لا، وروح أمرها، ومذهب نصرة جمرها، علم السادة للقادة الأكابر، المغرم بجبر كل كسير، وناهيك من به جابر الرازي، ذكر مآثره بعرف أطيب الطيب، الوزير أبو عبد الله بن الخطيب. والمطلوب منه لهذه الشجرة الثرما، الغريبة الشما، التي أصلها ثابت وفرعها في السما، إنما هو يسير بنا، وظهير اعتنا، وخنجر يرما، لعل عباسة أديم دوها أن تذهب. وأكمام كباسة قنوها أن تفضض بنعيم النضارة ثم تذهب، ويعود إليها شرخ شبابها، وتستحكم صفرة ثيابها، وخضرة جلبابها، وذلك كله بمن اللطيف الخبير، من أسهل العمل على مجد الأمير، وفضل الوزير، إذ هما، دام عزهما، على بينة من أن الإحسان ألقاح، والشكر نتاجه، والثناء إكليل، وهو في الحقيقة تاجه. قال المسلم: ومن يا إخوتي، لعلي بمعارضة الحافظ أبي علي، ولو أني اشتملت شملة النضر بن شميل، وأصبحت أفصح من عامر بن الطفيل، وأخطب من شبيب، وأشعر من حبيب، وجزت من طرق الجدال، منازل نقدة صدور الأبدال. وعلى أنه ما قال إلا حقا، فبعدا للمرء وسحقا. ولكني أقسم عليكم بمقدر الضيا والحلك، ومسخر نجوم الفلك، بإصابة الأعراب، وأصحاب الإغراب، وأرباب فنون الإعراب، ألا ما تأملتم فصول هذه المقالة، وأفتيتم بما يترجح فيها لديكم من نسخ أو فسخ أو إجادة أو إقالة، فأنتم علماء الكلام، وزعماء كتائب الأقلام، والمراجعات بين شقاشق الرجال شنشنة معروفة، وطريقة إليها الوجوه في كثير من المخاطبات مصروفة، لا زلتم مذكورين في أهل البيان، مشكورين على بذل الفضل مدى الأحيان. والله سبحانه يجعل التوفيق حاديكم، ونور العلم هاديكم، ومنه نسل، جل اسمه، التطهير من كل معابة، والسمح فيما تخلل هذه المقامة من دعابة، والتحية الكريمة مع السلام الطيب المعاد، يعتمد من يقف عليها من الآن إلى يوم المعاد، والرحمات والمسرات، والبركات والخيرات، من كاتبها علي بن عبد الله بن الحسن، أرشده الله.." (١)

"ألهنشه قلعة يحصب الماسة الجوار من حضرته، واستيلائه عليها، وعلى باغة. ثم منازلة الجزيرة الخضراء عشرين شهرا، أوجف خلالها بجيوش المسلمين من أهل العدوتين إلى أرضه. ثم استقر منازلا إياها إلى أن فاز بها قداحه، والأمر لله العلي الكبير، في قصص يطول ذكره، تضمن ذلك «طرفة العصر» من تأليفنا. ثم تهنأ السلم، والتحف جناح العافية والأمنة برهة، رحمه الله.

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٤/٧٧

وفاته «١» : وما استكمل أيام حياته، وبلغ مداه، أتم ما كان شبابا واعتدالا وحسنا وفخامة وعزا، حتى أتاه أمر الله من حيث لا يحتسب، وهجم «٢» عليه يوم عيد الفطر، من عام خمسة وخمسين وسبعمائة، في الركعة الأخيرة، رجل من عداد الممرورين «٣» ، رمى بنفسه عليه، وطعنه بخنجر كان قد أعده «٤» ، وأغرى بعلاجه، وصاح، وقطعت الصلاة، وقبض عليه، واستفهم، فتكلم بكلام مخلط، واحتمل إلى منزله، على فوت لم يستقر به، إلا وقد قضى، رحمه الله ورضي عنه، وأخرج ذلك الخبيث «٥» للناس، وقتل وأحرق بالنار، مبالغة في التشفي، ودفن السلطان عشية اليوم في مقبرة قصره لصق والده «٦» ، وولي أمره ابنه أبو عبد الله محمد، وبولغ في احتفال قبره، بما أشف على من تقدمه، وكتب عليه ما نصه:

«هذا قبر السلطان الشهيد، الذي كرمت أحسابه وأعراقه، وحاز الكمال خلقه وأخلاقه، وتحدث بفضله وحلمه شام المعمور وعراقه، صاحب الآثار السنية، والأيام الهنية، والأخلاق الرضية، والسير المرضية. الإمام الأعلى، والشهاب الأجلى، حسام الملة، علم الملوك الجلة، الذي ظهرت عليه عناية ربه، وصنع الله له في سلمه وحربه. قطب الرجاحة والوقار، وسلالة سيد الأنصار، حامي حمى الإسلام برأيه ورايته، المستولي في «٧» ميدان الفخر على غايته، الذي صحبته عناية الله في بداية أمره وغايته، أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن السلطان الكبير، الإمام الشهير، أسد دين الله، الذي أذعنت الأعداء لقهره، ووقفت الليالي «٨» والأيام عند نهيه وأمره. رافع ظلال العدل في الآفاق، حامي حمى السنة بالسمر الطوال والبيض الرقاق، مخلد صحف الذكر الخالد والعز الباقي، الشهيد السعيد المقدس أبي الوليد، ابن الهمام الأعلى الطاهر النسب والذات، ذي العز البعيد الغايات، والفخر الواضح الآيات، كبير الخلافة النصرية، وعماد الدولة الغالبية، المقدس." (١)

"من هو أفضل مني، في الوجه الذي تحب، تعفيني فقال له: نعم {فدله عيسى ابن مسكين. وكان بالحضرة حمديس؛ فقال: إنه، والله} أيها الأمير، صاحبنا عند سحنون. جمع الله فيه خلال الخير بأسرها {فأرسل فيه إبراهيم إلى كورة الساحل، وأوصله إلى نفسه، وقال: تدري لم بعثت لك؟ قال: لا. قال: لأشاورك في رجل قد جمع الله فيه خلال الخير. أردت أن أوليه القضاء، وألم به شعث هذه الأمة؛ فامتنع. قال: يلزمه أن يلي. قال: تمنع. قال: يجبر على ذلك} قال: تمنع. قال: يجلد {قال: قم} فأنت هو {قال: ما أنا الذي وصفت} وتمنع. فأخذ الأمير بمجامع ثيابه، وقرب السيف من نحره؛ فتقدم إليه بخنجره. قال

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٤/٢٩١

حمديس: وكنت في المجلس؛ فقمت من مكاني، لئلا يصيبني من دمه. فلم يزل به حتى ولى على شروط، منها قال له: أستعفيك في كل شهر {قال: نعم} قال: وأجعلك، وبني عمك، وجندك، وفقراء الناس، وأغنياءهم في درجة واحدة. قال: نعم {قال: ولم توجه ورائي، وكذا وكذا. فمتى لم تف لي بشرط، عزلت نفسي. قال: نعم} وعرض عليه عند ذلك الكسوة والصلة. فامتنع وقال له: أنا رجل طويل الصمت، قليل الكلام، غير نشيط في أمور، ولا أعرف أهل البلد. فقال له الأمير: عندي مولى نشيط، قد تدرب في الأحكام. أنا أضمه إليك: يكون عنك كتابا يصدر عنك في القول. فما رضيت منه، أمضيت؛ وما سخطت، رددت. فضم إليه عبد الله بن محمد بن مفرج. قال المخبر: فكثيرا ما كنت آتي مجلسه وهو صامت لا يتكلم؛ وابن مفرج يقضى. وسئل عن فرط انقباضه في قضائه. فقال: ابتليت بجبار عنيد، خفت أن يبعث إلي من طعامه، أو يدعوني إليه. ولا آتيه؛ فحملت نفسي على ذلك، ليقطع طمعه مني {ومن كلام هذا القاضي رحمه الله} : من قاس الأمور، علم المستور. من حصن شهوته، صان قدره. في تقلب الأحوال، علم جواهر الرجال. الحسن النية، يصحبه التوفيق. المعاش مذل لأهل العلم. كفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك. قارب الناس في عقولهم، تسلم من غوائلهم. وكان، إذا تحدث عن أيام قضائه، يقول: كنت." (١)

"ودفعهم الى الجهاد على عادته وأوصاهم، فلقوا عدوا من الأكراد المشركين فدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، فأبوا وقاتلوهم وهزموهم وقتلوا وسبوا وقسموا الغنائم، ورأى سلمة جوهرا في سفط فاسترضى المسلمين وبعث به إلى عمر فسأل الرسول عن أمور الناس حتى أخبره بالسفط فغضب وأمر به فوجئ في عنقه، وقال: أسرع قبل أن تفترق الناس ليقسمه سلمة فيه فباعه سلمة وقسمه في الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفا.

مقتل عمر وأمر الشورى وبيعة عثمان رضي الله عنه

كان للمغيرة بن شعبة مولى من نصارى العجم اسمه أبو لؤلؤة وكان يشدد عليه في الخراج، فلقي يوما عمر في السوق فشكى إليه وقال: أعدني على المغيرة فإنه يثقل علي في الخراج درهمين في كل يوم، قال: وما صناعتك؟ قال نجار حداد نقاش، فقال: ليس ذلك كثير على هذه الصنائع وقد بلغني انك تقول أصنع رحى تطحن بالريح فاصنع لي رحى. قال: أصنع لك رحى يتحدث الناس بها أهل المشرق والمغرب، وانصرف، فقال عمر: توعدني العلج. فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة واستوت الصفوف ودخل أبو لؤلؤة

---

(١) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا = تاريخ قضاة الأندلس النباهي ص/٣١

في الناس وبيده **خنجر** برأسين نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات إحداها تحت سرته، وقتل كليبا بن أبي البكير الليثي، وسقط عمر فاستخلف عبد الرحمن بن عوف في الصلاة واحتمل الى بيته.

ثم دعا عبد الرحمن وقال: أريد أن أعهد إليك، قال: أتشير علي بها قال: لا.

قال: والله لا أفعل. قال: فهبني صمتا حتى أعهد إلى النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض. ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن معهم، وقال انتظروا طلحة ثلاثا فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم، وناشد الله من يفضي إليه الأمر منهم أن يحمل أقاربه على رقاب الناس، وأوصاهم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم وبعفو [١] عن مسيئهم، وأوصى بالعرب فإنهم مادة الإسلام أن تؤخذ صدقاتهم في فقرائهم، وأوصى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم، ثم قال: اللهم قد بلغت لقد تركت الخليفة من بعدي

[١] مقتضى سياق الجملة ان يقول «يعفى» .." (١)

"ودار عبد الرحمن لياليه كلها يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوافي المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس ويشيرهم إلى صبيحة الرابع، فأتى منزل المسور بن مخرمة وخلا فيه بالزبير وسعد أن يتركا الأمر لعلي أو عثمان [١] فاتفقا على علي، ثم قال له سعد بايع لنفسك وأرحنا فقال: قد خلعت لهم نفسي على أن أختار ولو لم أفعل ما أريدها [٢] . ثم استدعى عبد الرحمن عليا وعثمان فناجى كلا منهما إلى أن رضوا بل إلى أن صلوا الصبح ولا يعلم أحد ما قالوا. ثم جمع المهاجرين وأهل السابقة من الأنصار وأمراء الأجناد حتى غص المسجد بهم، فقال: أشيروا علي، فأشار عمار بعلي ووافقه المقداد. فقال ابن أبي سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان ووافقه عبد الله بن أبي ربيعة، فتفاوضا وتشاتما ونادى سعد: يا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس. فقال: نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا. ثم قال لعلي: عليك عهد الله وميثاقه لتعلمن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده، قال: أرجو أن أجتهد بل أن أفعل بمبلغ علمي وطاقتي. وقال لعثمان مثل ذلك فقال: نعم. فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان، وقال: اللهم اشهد أني قد جعلت ما في عنقي من ذلك في عنق عثمان فبايعه الناس. ثم قدم طلحة في ذلك اليوم فأتى عثمان، فقال له عثمان: أنت على الخيار في الأمر

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥٦٨/٢

وإن أبيت رددتها. فقال: أكل الناس بايعوك؟ قال: نعم.

قال: رضيت، ولا أرغب عما أجمعوا عليه.

وكانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض، ومر أبو لؤلؤة بالهرمزان وبيده **الخنجر** الذي طعن به عمر فتناوله من يده وأطال النظر فيه ثم رده إليه، ومعهم جفينة نصراني من أهل الحيرة. فلما طعن عمر من الغداة قال عبد الرحمن بن أبي بكر لعبيد الله بن عمر: اني رأيت هؤلاء الثلاثة يتناجون فلما رأوني افترقوا وسقط منهم هذا **الخنجر**، فعدا عبيد الله عليهم فقتلهم ثلاثتهم، وأمسكه سعد بن أبي وقاص وجاء به الى عثمان بعد البيعة وهو في المسجد فاشار علي بقتله، وقال عمرو بن العاص: لا يقتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم، فجعلها عثمان دية واحتملها وقال انا وليه. ثم قال عثمان وصعد المنبر وبايعه الناس كافة، وولى لوقته سعد بن أبي

[١] وفي النسخة الباريسية: لعلي وعثمان.

[٢] وفي نسخة ثانية: على ان اختار ولم افعل ما أردتها.." (١)

"الناس إلى قتلهم واعتقدوا جهادهم وثاروا بهم في كل وجهة فقتلوهم وقتلتهم العامة بأصفهان، وكانوا قد ظهروا بها عند محاصرة السلطان بركيارق أصفهان وبها أخوه محمد وأمه خاتون الجلالية، وفشت فيها دعوتهم وكثر فيها الاغتيال من أتباعهم فثاروا بهم، وقتلوهم وحفروا الأخاديد وأوقدوها بالنيران، وجعلوا يأتون بالباطنية فيلقونهم فيها، وتجرد جاولي سقاور، وكان واليا بفارس للجهاد فيهم، وتحيل عليهم بجماعة من أصحابه أظهروا الهروب إليهم فأوثقوا [١] بهم وسار هو من بعد ذلك إلى همذان فأغزاهم. ثم صار الباطنية من بعد ذلك إلى همذان لقتل أمراء السلجوقية غدرا فكان يقصد أحدهم أميرا من هؤلاء وقد استبطن **خنجرا** واستمات. حملهم على ذلك السلطان بركيارق، واستعان بهم على أمر أخيه فكان أحدهم يعرض نفسه بين يدي الأمير حتى يتمكن من طعنه فيطعنه، ويهلك غالبا ويقتل الباطني لوقته، فقتلوا منهم كذلك جماعة، ولم ظهر بركيارق على أخيه محمد انتشروا في عسكره واستعانوا بطائفة منهم، وتهددوا بالقتل على ذلك حتى ارتاب أمراء العسكر بأنفسهم، وخافوا عاديتهم ولازموا حمل السلاح، وشكوا إلى بركيارق بذلك وبما يلقونه منهم ومن عسكر أخيه فيما يرمونهم به من الاتحاد بهؤلاء الباطنية فأذن في قتلهم، وركب والعسكر

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥٧٠/٢

معه فتتبعوهم بالقتل، حتى أن الأمير محمدا من أعقاب علاء الدولة بن كاكويه، وكان صاحب مدينة يزد أتهم برأيهم فهرب وقتل. وكتب إلى بغداد في أبي إبراهيم الأسترابادي وكان بركيارق بعثه رسولا فأخذ هنالك وقتل، واستلحموا في كل جهة واستلحم المتهمون وانطلقت عليهم الأيدي في كل ناحية وذلك سنة ست وثمانين. ولما استفحل أمر السلطان محمد بعد أخيه بركيارق زحف إلى قلعة شاه در التي بها أحمد ابن غطاش لقربها من أصفهان سرير ملكه، فجمع العساكر والأمم وخرج في رجب من أول المائة السادسة، وأحاط بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ، ورتب الأمراء لقتالها نوبا. ولما اشتد الأمر بهم سألوا فتوى الفقهاء في أمرهم وكتبوا ما نصه: ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين في قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وكتبه ورسله، وأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق، وإنما يخالفون في الإمام هل يجوز للسلطان مساعدتهم ومراعاتهم وأن يقبل طاعتهم وبحرسهم من كل أذى أم لا؟

---

[١] الصحيح ان يقول: ووثقوا بهم.." (١)

"المسير إليها على ما بينه وبين ايلك خان من المداخلة. ثم هلك خلف سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وأبقى السلطان على ولده عمر، وكان خلف كثير الغاشية من الوافدين والعلماء، وكان محسنا لهم، ألف تفسيرا جمع له العلماء من أهل إيالته، وأنفق عليهم عشرين ألف دينار، ووضعه في مدرسة الصابوني بنيسابور. ونسخه يستغرق عمر الكاتب، إلا أن يستغرق في النسخ. واستخلف السلطان على سجستان أحمد الفتحي من قواد أبيه ورجع إلى غزنة. ثم بلغه انتقاض أحمد بسجستان فسار إليهم في عشرة آلاف، ومعه أخوه صاحب الجيش أبي المظفر نصر والتوتناش الحاجب، وزعيم العرب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي فحاصرهم، وفتحها ثانية، وولى عليها أخاه صاحب الجيش نصر بن سبكتكين مضافة إلى نيسابور فاستخلف عليها وزيره أبا منصور نصر بن إسحاق. وعاد السلطان محمود إلى بلخ مضمرا غزو الهند.

هكذا مساق خبر السلطان محمود مع خلف بن أحمد وخبر سجستان عند العيني.

وأما عند ابن الأثير فعلى ما وقع في أخبار دولة بني الصفار.

(غزوة بهاطية والملتان وكوكبر)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ١٢٣/٤

ولما فرغ السلطان محمود من سجستان اعتزم على غزو بهاطية من أعمال الهند، وهي وراء الملتان، مدينة حصينة عليها أنطاق من الأصبوان وآخر من الخنادق، بعيدة المهوى. وكانت مشحونة بالمقاتلة والعدة، واسم صاحبها بجير، فعبر السلطان إليها جيحون وبرز إليه بجير فاقتتلوا بظاهر بهاطية ثلاثة أيام. ثم انهزم بجير وأصحابه في الرابع وتبعهم المسلمون إلى باب البلد فملكوه عليهم، وأخذتهم السيوف من أمامهم ومن ورائهم فبلغ القتل والسبي والسلب والنهب فيهم مبالغه. وسار بجير في رءوس الجبال فستر في شعابها وبعث السلطان سرية في طلبه فأحاطوا به، وقتلوا من أصحابه. ولما أيقن بالهلكة قتل نفسه **بخنجر** معه. وأقام السلطان محمود في بهاطية حتى أصلح أمورها، واستخلف عليها من يعلم أهلها قواعد الإسلام. ورجع إلى غزنة فلقي في طريقه شدة من الأمطار في الوحل وزيادة المدد في الأنهار، وغرق كثير من عسكره. ثم بلغه عن أبي الفتوح والي الملتان أنه ملحد، وأنه يدعو أهل ولايته إلى مذهبه فاعتزم على جهاده، وسار كذلك ومنعه سيجور من العبور لكثرة المدد، ابن خلدون م ٣١ ج ٤." (١)

"السروج، وتجعل على ظهور الأتراك ويقودونهم إلى اصطبلات الخيل، ومن امتنع من ذلك ضرب، فأمسكوا ذلك على أقبح الهيئات، واصطنعوا [١] ذلك عليه، واتفقوا على الفتك به في الحمام. وكان كورتكين يحرسه في خلواته وحمامه، فسخطه ذلك اليوم وطرده، فلم يتقدم إلى الحرس لمراعاته وداخلوا الخادم الذي يتولى خدمته في الحمام في أن يفقده سلاحه، وكان يحمل **خنجرا** فكسر حديد **الخنجر** وترك النصاب لمرداويج، فلم يجد له حدا فأغلق باب الحمام ودعمه من ورائه بسرير الخشب الذي كان صاعدا عليه، فصعدوا إلى السطح وكسروا الجامات ورموه بالسهام فانحجر في زوايا الحمام وكسروا الباب عليه وقتلوه. وكان الذي تولى كبر ذلك جماعة من الأتراك، وهم توزون الذي صار بعد ذلك أمير الأمراء ببغداد، ويارق بن بقراخان ومحمود بن نيال الترجمان [٢] ويحكم [٣] الذي ولي إمارة الأمراء قبل توزون. ولما قتلوه خرجوا إلى أصحابهم فركبوا ونهبوا قصر مرداويج وهربوا. وكان الديلم والجيل بالمدينة فركبوا في أثرهم فلم يدركوا منهم إلا من وقفت دابته فقتلوهم، وعادوا لنهب الخزائن، فوجدوا العميد قد أضرمها نارا. ثم اجتمع الديلم والجيل وبايعوا أخاه وشمكير بن زيار وهم بالري، وحملوا معهم جنازة مرداويج، فخرج وشمكير وأصحابه لتلقيهما على أربع فراسخ حفاة، ورجع العسكر الذي كان بالأهواز إلى وشمكير واجتمعوا عليه، وتركوا الأهواز لياقوت فملكها، وقام وشمكير بملك أخيه مرداويج في الديلم والجيل، وأقام بالري،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤/٤٨١

وجرجان في ملكه. وكتب السعيد بن سامان إلى محمد بن المظفر صاحب خراسان، وإلى ماكان بن كالي صاحب كرمان بالمسير إلى جرجان والري، فسار ابن المظفر إلى قومس ثم إلى بسطام، وسار ماكان على المفازة إلى الدامغان واعترضه الديلم من أصحاب وشمكير في جيش كثيف فهزموهم ولحق بنيسابور آخر ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وجعلت ولايتها لماكان بن كالي فأقام بها. وسار أبو علي بن الياس إلى كرمان بعد انصراف ماكان عنها فملكها وصفت له بعد حروب شديدة طويلة مع جيوش السعيد بن سامان. وكان له الظفر آخرا. وأما الأتراك الذين قتلوا مرداويج فافترقوا في هزيمتهم

---

[١] حسب مقتضى السياق ينبغي ان تكون: اضطغنوا وقد تكون محرفة أثناء النسخ.

[٢] ياروق وابن بغرا ومحمد بن ينال الترجمان: ابن الأثير ج ٨ ص ٣٠١.

[٣] بجكم: المرجع السابق.." (١)

"العباسي كبير حلب بالأموال وطالبه أن يمهل حتى يكاتب السلطان ملك شاه ودس الى تاج الدولة تتش صاحب دمشق يستدعيه لملكها فجاء لذلك ومعه أرسوس أكسك وكان خائفا على نفسه من السلطان ملك شاه لفعلته في أمر فاستجار بتتش وأقطعه المورس وسار معه لهذه الحرب وبادر سليمان بن قطلمش الى اعتراضهم وهم على تعبية وأبلى أرتق في هذه الحروب وانهزم سليمان وطعن نفسه **بخنجر** فمات وغنم تتش معسكره وبعث الى ابن الحثيثي العباسي فيما استدعاه اليه فاستمهله الى مشورة السلطان ملك شاه وأغلظ في القول فغضب تتش وداخله بعض أهل البلد فتسورها وملكها واستجار ابن الحثيثي بالأمير أرتق فأجاره وسمع له.

(استيلاء ابن جهير على ديار بكر)

ثم بعث ابن جهير سنة ثمان وسبعين ابنه زعيم الرؤساء ابا القاسم الى حصار آمد ومعه جناح الدولة اسلار فحاصرها واقتلع شجرها وضيق عليها حتى جهدهم الجوع وغدر بعض العامة في ناحية من سوره، ونادى بشعار السلطان واجتمع اليه العامة لما كانوا يلقون من عسف العمال النصارى فبادر زعيم الرؤساء الى البلد وملكها وذلك في المحرم وكان أبوه فخر الدولة محاصرا لميافارقين ووصل اليه سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد بمدد العساكر فاشتد الحصار وسقطت من السور ثلمة في سادس جمادى فنادوا بشعار السلطان

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥٦٨/٤

ومنعوا ابن جهير من البلد واستولى على أموال بني مروان وبعثها مع ابنه زعيم الرؤساء الى السلطان فسار مع كوهراس الى بغداد ثم فارقه الى السلطان بأصبهان ولما انقضى أمر ميافارقين بعث فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر فحاصرها وقام بعض أهلها بدعوة السلطان وفتحوا مما يليهم بابا قريبا دخل منه العسكر فملكوا البلد وانقرضت دولة بني مروان من ديار بكر والبقاء لله ثم أخذ السلطان ديار بكر من فخر الدولة بن جهير وسار الى الموصل فأقام بها الى أن توفي سنة ثلاث وثمانين.

(استيلاء السلطان ملك شاه علی حلب وولاية آقسنقر عليها)

لما ملك تاج الدولة تتش مدينة حلب وكان بها سالم بن ملك بن مروان ابن عم مسلم بن قريش وامتنع بالقلعة وحاصره تتش سبعة عشر يوما حتى وصل الخبر بمقدم أخيه السلطان ملك شاه وقد كان ابن الحثيثي كتب اليه يستدعيه لما خاف من تتش فسار من أصبهان." (١)

"(ملك اليمن)

كان فيمن حضر عند السلطان ببغداد كما قدمناه عثمان حق أمير التركمان صاحب قرمسيس وغيرها فأمره السلطان أن يسير في جموع التركمان للحجاز واليمن فيظهر أمرهم هناك وفوض الى سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد فولى عليهم أمير اسمه ترشك وسار الى الحجاز فاستولى عليه وأساء السيرة فيه حتى جاء أمير الحجاز محمد بن هاشم مستغيثا منهم ثم ساروا سنة خمس وثمانين الى اليمن وعاثوا في نواحيه وملكوا عدن وأساءوا السيرة في أهلها وأهلكوا ترشك سابع دخولها وأعاده أصحابه الى بغداد فدفنوه بها.

(مقتل الوزير نظام الملك)

ثم ارتحل السلطان ملك شاه الى بغداد سنة خمس وثمانين فانتهى الى أصبهان في رمضان وخرج نظام الملك من بيته بعد الإفطار عائدا الى خيمته فاعترضه بعض الباطنية في صورة متظلم فلما استدناه لسماع شكواه طعنه **بخنجر** فأشواه وعثر الباطني في أطناب الخيام ودخل نظام الملك الخيمة فمات لثلاثين سنة من وزارته واهتاج عسكره فركب اليه السلطان وسكن الناس ويقال أن السلطان ملك شاه وضع الباطني على قتله لما وقع منه ومن بنيه من الدالة والتحكم في الدولة وقد كان السلطان دس على ابنه جمال الدين من قتله سنة خمس وسبعين كان بعض حواشي السلطان سعى به فسطا به جمال الدين وقتله فأحقد السلطان بذلك وأخذ عميد خراسان فقتله خنقا فدس لخادم من خدم جمال الدين بذلك وأنهم إذا تولوا

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ١٠/٥

قتله بأنفسهم كان أحفظ لنعمتهم فسقاه الخادم سما ومات وجاء السلطان الى نظام الملك وأغراه به وما زال بطانة السلطان يغضون منه ويحاولون السعاية فيه الى أن ولى حافده عثمان بن جمال الملك على مرو وبعث السلطان اليها كردن من أكابر المماليك والأمراء شحنة ووقعت بينه وبين عثمان منازعة في بعض الأيام فأهانه وحبسه ثم أطلقه وجاء الى السلطان شاكيا فاستشاط غضبا وبعث فخر الملك البارسلان الى نظام الملك وأغراه به وما زال يقول إن كنت تابعا فقف عند حدك وان كنت شريكي في سلطاني فافعل ما بدا لك وقرر عليه فعل حافده وسائر بنيه في ولايتهم وأرسل معه نكبرذ من خواصه ثقة على ما يؤديه من القول ويجيبه الآخر فانبسط لسان نظام الملك يعدد الوسائل منه والمدافعة عن السلطان وجمع الكلمة وفتح الأمصار في كلام طويل حملته عليه الدالة وقال في آخره ان شاء فله مؤيد مرو آتي ومتى." (١)

"نظام الملك فمال الى طاعة أرغون وملكه البلد وسار الى بلخ وكان بها فخر الملك بن نظام الملك ففر عنها ووصل الى همدان ووزر لتاج الدولة تتش كما مر وملك ارسلان أرغون بلخ وترمذ ونيسابور وسائر خراسان وأرسل الى السلطان بركيارق وزيره مؤيد الملك في تقرير خراسان عليه بالضمان كما كانت لجده داود ما عدا نيسابور فأعرض عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمه تتش ثم عزل بركيارق مؤيد الملك عن الوزارة بأخيه فخر الملك واستولى فخر الملك البارسلان على الأمور فقطع ارسلان مراسلة بركيارق فبعث حينئذ عمه بورسوس [١] في العساكر لقتاله فانهزم ارسلان الى بلخ وأقام بورسوس بهراة وسار أرسلان الى مرو وفتحها عنوة وخربها واستباحها وسار اليه بورسوس من هراة سنة ثمان وثمانين وكان معه مسعود بن تأخر [٢] الذي كان أبوه مقدم عساكر داود ومعه ملك شاه من أعاظم الأمراء فبعث اليه ارسلان واستماله فمال اليه ووثب لمسعود بن تأخر وابنه فقتلهما في خيمته فضعف أمر بورسوس وانفض الناس عنه وجيء به أسيرا الى أخيه أرسلان أرغون فحبسه بترمذ ثم قتله في محبسه بعد سنة وقتل أكابر خراسان وخرب أسوارها مثل سودان ومرو الشاهجان وقلعة سرخس ونهاوند ونيسابور وصادر وزيره عماد الملك بن نظام الملك على ثلاثمائة ألف دينار ثم قتله واستبد بخراسان وكان مرهف الحد كثير العقوبة لمواليه وأنكر على بعضهم يوما بعض فعلاته وهو في خلوة وضربه فطعنه الغلام **بخنجر** معه فقتله وذلك في المحرم من سنة تسعين.

ولاية سنجر على خراسان

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ١٤/٥

ولما قتل ارسلان أرغون ملك أصحابه من بعده صبيا صغيرا من ولده وكان السلطان بركيارق قد جهز العساكر لخراسان للقتال ومعه الأتابك قماج ووزيره علي بن الحسن الطغرائي وانتهى اليه مقتل أرسلان بالدامغان فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فملكها في جمادى سنة تسعين وأربعمائة وملك سائر خراسان وسار الى بلخ وكان أصحاب أرسلان قد هربوا بابنه الذي نصبوه للملك الى جبل طخارستان وبعثوا يستأمنون له ولهم فأمنهم السلطان وجاءوا بالصبي في آلاف من العساكر فأكرمه السلطان وأقطعه ما

---

[١] ورد اسمه في الكامل ج ١٠ ص ٧٥ بوري برش.

[٢] ورد اسمه في الكامل ج ١٠ ص ٢٦٣ مسعود بن تاجر.." (١)

"(مقتل فخر الملك بن نظام الملك) قد ذكرنا قبل أن فخر الملك بن نظام الملك كان وزيرا لتتش ثم حبسه ولما هزمه بركيارق ووجده في محبسه أطلقه وكان أخوه مؤيد الملك وزيرا له فمال إليه فخر الدولة بسعاية مجد الملك الباسلاني واستوزره سنة ثمان وثمانين ثم فارق وزارته ولحق بسنجر بن ملك شاه بخراسان فاستوزره فلما كان في آخر المائة الخامسة جاء باطني يتظلم إلى باب داره فأدخله يسمع شكواه فطعنه **بخنجر** فقتله وأمر السلطان سنجر بضربه فأقر على جماعة من الناس وقتل.

ولاية جاولي سكاور [١] على الموصل وموت جكرمش

كان جاولي سكاور قد استولى على ما بين خوزستان وفارس فعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة في أهلها فلما استقل السلطان محمد بالملك خافه جاولي وأرسل السلطان إليه الأمير مودود بن أنوتكين فتحصن منه جاولي وحاصره مودود ثمانية أشهر ودس جاولي إلى السلطان بطلب غيره فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر فسار إليه بأصبهان وجهزه في العساكر لجهاد الافرنج بالشام واسترجاع البلاد منهم وكان جكرمش صاحب الموصل قد قطع الحمل فأقطع السلطان الموصل وديار بكر والجزيرة لجاولي فسار إلى الموصل وجعل طريقه على بغداد على البواريخ [٢] فاسباحها أياما ثم سار إلى أربل وكان صاحبها أبو الهيجاء بن برشك الكردي الهرباني [٣] إلى جكرمش يستحثه فسار في عسكر الموصل والقوا قريبا من اربل فانهزم أصحاب جكرمش وكان يحمل في المحفة [٤] فقاتل عنده غلمانه وأحمد بن قاروت بك فخرج وانهزم إلى الموصل ومات وجيء بجكرمش فحبسه ووصل من الغد إلى الموصل فولوا ازنكين بن جكرمش وأقام

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢١/٥

بالجزيرة وقام بأمره غزغلي مولى أبيه وفرق الأموال والخيول وكتب إلى قلج أرسلان صاحب بلاد الروم ميتا وكان قد شيد الموصل وبنى أسوارها وحصنها بالخندق وبينما هو كذلك سار إليه قلج ارسلان من بلاد الروم باستدعاء غزغلي كما تقدم وانتهى إلى نصيبين فرحل جاولي عن الموصل ثم جاء البرسقي شحنة بغداد

---

[١] وفي بعض النسخ سكاوو.

[٢] وفي الكامل البوزيج والأصوب: البوازيج كما في معجم البلدان.

[٣] وفي الكامل: فأتاه كتاب أبي الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني صاحب أربل لذكر استيلاء جاولي على البوازيج.

[٤] كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٤٢٣: وأرسل إليه أبو الهجاء عسكره مع أولاده، فاجتمعوا بقرية باكلبا من أعمال أربل.." (١)

"بدران صاحب الموصل في طلب دبيس بن مزيد عند ما أظهر الدولة العلوية في الحلة وأعمالها فهزمهم دبيس والبساسيري كما تقدم في أخبارهم ثم عصى على السلطان البارسلان بعد طغرلبك وقصد الري ليملكه وقاتله البارسلان سنة ست وخمسين فانهزم عسكر قطلمش ووجد بين القتلى فتجمع له البارسلان وقعد للعزاء فيه كما تقدم في أخبارهم وقام بأمره ابنه سليمان وملك قونية وأقصرا وغيرهما من الولاية التي كانت بيد أبيه وافتتح أنطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقد كانوا ملكوها منذ خمس وخمسين وأربعمائة فأخذها منهم وأضافها إلى ملكه وقد تقدم خبر ملكه إياها في دولتهم وكان لمسلم بن قريش صاحب الموصل ضريبة على الروم بأنطاكية فطالب بها سليمان بن قطلمش فامتعض لذلك وأنف منه فجمع مسلم العرب والتركمان لحصار أنطاكية ومعه جق أمير التركمان والتقيا سنة ثمان وسبعين وانحاز جق إلى سليمان فانهزم العرب وسار سليمان بن قطلمش لحصار حلب فامتنعت عليه وسألوه الإمهال حتى يكاتب السلطان ملك شاه ودسوا إلى تاج الدولة تتش صاحب دمشق يستدعونه فأغذ السير واعترضه سليمان بن قطلمش على تعبية فانهزم وطعن نفسه **بخنجر** فمات وغنم تتش معسكره وملك بعده ابنه قلج أرسلان وأقام في سلطانه ولما زحف الإفرنج إلى سواحل الشام سنة تسعين وأربعمائة جعلوا طريقهم على القسطنطينية فمنعهم من ذلك ملك الروم حتى شرط عليهم أن يعطوه أنطاكية إذا ملكوها فأجابوا لذلك

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥/٤٤

وعبروا خليج القسطنطينية ومروا ببلاد قلج أرسلان بن سليمان بن قطلمش فلقيهم في جموعه قريبا من قونية فهزموه وانتهوا الى بلاد ابن ليون الارمني فمروا منها الى أنطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فاستعد للحصار وأمر بحفر الخندق فعمل فيه المسلمون يوما ثم عمل فيه النصارى الذين كانوا بالبلد من الغد فلما جاءوا للدخول منعهم وقال أنا لكم في مخلفكم حتى ينصرف هؤلاء الإفرنج وزحفوا إليه فحاصروه تسعة أشهر ثم عدا بعض الحامية من سور البلد عليهم فادخلوهم من بعض مسارب الوادي وأصبحوا في البلد فاستباحوه وركب بغيسيان للصلح فهرب ولقيه حطاب من الأرمن فجاء برأسه إلى الإفرنج وولي عليها بمشد من زعماء الإفرنج وكان صاحب حلب وصاحب دمشق قد عزما على النفير إلى أنطاكية لمدافعتهم فكاتبهم بالمسالمة وأنهم لا يعرضون لغير أنطاكية فأوهن ذلك من عزائمهم وأقصروا عن انجاد باغيسيان وكان التركمان قد انتشروا في نواحي العراق وكان كمشتكين بن طبلق المعروف أبوه بالدانشمند ومعناه المعلم عندهم قد ملك سيواس من بلاد الروم مما يلي أنطاكية وكان بملطية مما يجاورها متغلب آخر من التركمان وبينه وبين الوانشمند حروب." (١)

"سماط وبني أبي كواية. ولما أحكم مداخلتهم في شأنه آذنه عشاء للشورى معه في بعض المهمات، وطعنه بخنجره فأشواه وهلك لحينه. واستقل يوسف بن منصور بإمارة الزاب ووصله مرسوم السلطان بالتقليد والخلع على العادة، وأجرى الرسم في الدعاء له على منابر عمله.

وكان السلطان قد استدعى محمد بن سيد الناس من الثغر ببجاية [١] ، وفوض له أمور ملكه، فهاجت نار العداوة والإحن القديمة بما بينه وبين يوسف بن منصور عامل الزاب، وهم به لولا ما أخذ بحجزته من الشغل الشاغل للدولة بتحيف آل زيان وهلك الحاجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة في نكبة السلطان إياه كما ذكرناه، وعقد لمحمد بن الحكيم على القيادة وجعل بيده زمام العساكر، وفوض له في سائر القرى والضواحي، فأجرى رياسته وحكمه في دولته وتغلب على أمره على حين فرغ السلطان من الشغل بمدافعة عدوه، وحط ما كان من أمرهم على كاهل دولته. ونهض السلطان أبو الحسن إلى آل يغمراسن فقلم أظفار اعتدائهم [٢] وفل شبا عزائمهم كما شرحنا قبل، فأذكى القائد محمد بن الحكيم مع يوسف بن منصور نار العداوة، وأثار له من السلطان كأمن الحفيظة وصرف وجوه العزائم إلى حمله على الجادة وتقويمه عن المراوغة في الطاعة، وناهضه بالعساكر مرات ثلاثا يدافعه في كلها بتسليم الجباية إليه. ثم كانت بينه وبين

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ١٨٧/٥

علي بن أحمد كبير الزواودة فتن وحروب دعا إليها منافسة علي في استئثاره بمال الجباية دونه فواضعه الحرب، ودعا العرب إلى منازلته مموها بالدعاء إلى السنة، وحشد أهل ريغة لذلك ونازلة، وانحرف عنه ابنه يعقوب ودخل إلى بسكرة فأصهر له ابن مزني في أخته بنت منصور بن فضل، وعقد له عليها، فحسن دفاعه عنه، وبعث ابن مزني عن سليمان بن علي كبير أولاد سباع، وقريع علي بن أحمد في شئونه، فكان عنده ببسكرة يغاديه القتال ويراوحه إلى أن امتنع ابن مزني.

ورحل علي بن أحمد عن بسكرة وصار مع ابن مزني إلى الاتفاق والمهادنة أعوام الأربعين من المائة الثامنة. ثم كانت غزاة القائد بن الحكيم إليه نهض من إفريقية بعد أن نازل بلاد الجريد، واقتضى طاعتهم ومغارمهم، واسترهن ولد ابن يملول. ثم

---

[١] وفي نسخة ثانية: لحجابته.

[٢] وفي نسخة ثانية: أعدائهم.." (١)

"الغريب. ونفس عن مختنقهم بمهلك السلطان يوسف بن يعقوب على يد خصي من العبيد، فأسخطته بعض النزعات الملوكية فاعتمده في كسر بيته ومخدع نومه، وطعنه **بخنجر** قطع أمعاءه، وأدرك فسيق إلى وزرائه فمزقوه أشلاء. ولم يبق شيء من بقايا عهدهم كما ذكرناه والأمر لله وحده. وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وساكني مدينتهم كأنما نشروا من الأجداث. وكتبوا لها في سكتهم ما أقرب فرج الله استغرابا لحادثتها.

(وحدثني) شيخنا محمد بن إبراهيم الآيلي قال: جلس السلطان أبو زيان صبيحة يوم الفرج وهو يوم الأربعاء في خلوة زوايا قصره، واستدعى ابن حجاف خازن الزرع فسأله كم بقي من الأهراء والمطامير المختومة؟ فقال له: إنما بقي عولة اليوم وغد فاستوصاه بكتمانها. وبينما هم في ذلك دخل عليه أخوه أبو حمو فأخبروه فوجم لها، وجلسوا سكوتا لا ينطقون. وإذا بالخادم دعد قهرمانة القصر من وصائف بنت السلطان أبي إسحاق وحظية أبيهم خرجت من القصر إليهم، فوقفت وحيتهم تحيتها وقالت: تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم ما لنا وللبقاء، وقد أحيط بكم وأسف عدوكم لاتهامكم، ولم يبق إلا فواق بكيئة لمصارعكم. فأريحونا من معرة السبي، وأريحوا فينا أنفسكم وقربوا إلى مهالكنا فالحياة في الذل عذاب

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥٩١/٦

والوجود بعدكم عدم. فالتفت أبو حمو إلى أخيه وكان من الشفقة بمكان وقال: قد صدقتك الخبر فما تنظر بهن؟ فقال: يا موسى أرجئني ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا، ولا تشاورني بعدها فيهن، بل سرح اليهود والنصارى إلى قتلهن وتعال إلي نخرج مع قومنا إلى عدونا فنستميت، ويقضي الله ما يشاء. فغضب أبو حمو وأنكر الأرجاء في ذلك، وقال: إنما نحن والله نتربص المعرة بهن وبأنفسنا، وقام عنه مغضبا وجهش السلطان أبو زيان بالبكاء. قال ابن حجاف: وأنا بمكاني بين يديه لا أملك متأخرا ولا متقدما إلى أن غلب عليه النوم فما راعني إلا حرسي الباب يشير إلي أن اذن السلطان بمكان رسول من معسكر بني مرين لسيدة القصر، فلم أطق رجع جوابه إلا بإشارة وانتبه السلطان من خفيف إشارتنا فزعا، فأذنته واستدعاه.

فلما وقف بين يديه قال له: إن يوسف بن يعقوب هلك الساعة، وأنا رسول حافده أبي ثابت إليكم، فاستبشر السلطان واستدعى أخاه وقومه حتى أبلغ الرسول رسالته." (١)

"بجاية بين القبائل من برابرتها الكتاميين في مواطن بني ورياكل منذ أول دولة الموحدين، وأقطعوهم على العسكرة معهم، ولما ضعفت جنود الموحدين وقل عددهم انفردوا بالعسكرة مع السلطان، وصار لهم بذلك اعتزاز وزبون على الدولة.

وكان الأمير أبو عبد الله هذا قد أصاب منهم لأول أمره، وقتل محمد بن تميم من أكابر مشيختهم، وكان صاحبه فارح مولى ابن سيد الناس عريفا عليه من عهد أبيه الأمير أبي زكريا، وكان مستبدا على المولى أبي عبد الله، فلما نزل عن إمارته للسلطان أبي عنان سخط ذلك ونقمه عليه، وأسرها في نفسه ولم يبدها لكماله، وسرحه أميره مع عمر بن علي الوطاسي لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره، فوصل إليها وشكا إليه الصنهاجيون مغبة أمرهم في ثقل الوطأة وسوء الملكة فأشكاهم ودعاهم إلى الثورة ببني مرين، والقيام بدعوة الموحدين للمولى أبي زيان صاحب قسنطينة، فأجابوه وتواعدوا بالفتك بعمر بن علي بمجلسه من القصبة.

وتولى كبرها منصور بن الحاج من مشيختهم، وباكره بداره على عادة الأمراء، ولما أكب عليه ليلثم أطرافه طعنه **بخنجره**، وفر إلى بيته جريحا فولجوا عليه واستلحموه. وثارت الغوغاء من أهل البلد في ذي الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة.

وركب الحاجب فارح وهتف الهاتف بدعوة المولى أبي زيد صاحب قسنطينة، وطيروا بالخبر واستدعوه، فتثاقل عن إجابتهم، وبعث مولى ابن المعلوجي للقيام بأمرهم.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ١٢٩/٧

وبلغ الخبر إلى السلطان فاتهم المولى أبا عبد الله بمداخلة حاجبة، فاعتقله بداره.
واعتقل وفدا من ملاء بجاية كان ببابه، وثبتت آراء المشيخة من أهل بجاية، وتمشت رجالاتهم وأولو الرأي والشورى منهم في الفتك بصنهاجة والعلج، وداخلهم القائد هلال مولى ابن سيد الناس من المعلوجي، وعلي بن محمد بن ألميت حاجب الأمير أبي زكريا يحيى، ومحمد ابن الحاجب أبي عبد الله بن سيد الناس وتواعدوا للفتك بفارح يوم وصول النائب من قبل صاحب قسنطينة، فجهروا بالنكير على الحاجب، ودعوه إلى المسجد ليؤامروه. ونذر بأمرهم فاعتد دار شيخ الفتيا أحمد بن إدريس فاقتحموا عليه الدار، وباشره مولاه محمد بن سيد الناس، فطعنه وأشواه، ورمي بشلوه من سقف الدار، وقطع رأسه، فبعثوا به إلى السلطان، وفر منصور بن الحاج وقومه صنهاجة من البلد، وكان بالمرسي أحمد بن سعيد القرموني من خاصة السلطان، جاء في السفن لبعض حاجاته من تونس، ووافى مرسي بجاية يومئذ فأنزلوه." (١)

"أبو نعيم ولا ابن منده في كتابيهما، ولا استدركه أبو موسى المديني في " التتمة "، ولا ذكره ابن الجوزي في " التلقيح "، وذكره أبو عمر ابن عبد البر، فقال: كليب رجل من الصحابة، قتله أبو لؤلؤة، ثم قتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ذكر عبد الرزاق عن معمر، سمعت الزهري يقول: أن أبا لؤلؤة طعن اثني عشر رجلا، فمات منهم ستة، منهم عمر، وكليب، وعاش منهم ستة، ثم نحر نفسه **بخنجره**. انتهى.
قال: وفي الأسماء محمد بن محمد بن تمام بن جرار الاباري، حدث عن داود بن خطيب القرية.
قلت: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن تمام بن جرار بن محمود ابن سرايا الصحراوي من أهل قرية بيت الآبار، أجاز لجماعة من مشايخنا، وسمع منه بعضهم عن العماد داود بن عمر بن يوسف بن خطيب بيت الآبار.." (٢)

"فيأووا عنده وعرف يونس بمقاصده. ثم إن السلطان تلطف مع صاحب مصياف وبذل له مالا كثيرا حتى ندب له من الفداوية طائفة. فبعثهم السلطان إلى يونس فأواهم وأعلمهم بالغرض فانتظروا وقتا يصلح للوثوب مدة أيام إلى أن ركب النوين الكبير جوبان يريد مدينة توريز وركب آقوش الأفرم وقراسنقر إلى جانبيه. فخرج اثنان من الفداوية أحدهما للأفرم والآخر لقراسنقر فبدر أحدهما وضرب آقوش الأفرم فاتقى الضربة

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣٨٤/٧

(٢) توضيح المشتبه ابن ناصر الدين الدمشقي ٣٤١/٢

بيده وكان عليه قرضية فانشق كمه وجرحت يده وجبن الآخر عن قراسنقر لقتل الفدواي. ووقع الحذر وكبست الفنادق والخانات بتوريز وقبض على يونس فقام الوزير ناصر الدين خليفة بن خواجا علي شاه معه حتى تخلص من القتل. ولم يصب قراسنقر بسوء وعولج الأفرم حتى برئ من جراحته واحترسا على أنفسهما ومن غرائب الاتفاق فيما سبق أنه كان لقراسنقر فراش من العليقة وله معرفة بأهل مصياف فتتبع نواحي توريز حتى ظفر بفداوي رسله السلطان الناصر محصد لقتل قراسنقر فإذا هو أخوه فاستماله وقربه من قراسنقر. فأعطاه قراسنقر مائة دينار ورتب له في كل شهر ثلاثمائة درهم وخدم عنده فراشا رفيقا لأخيه وزاد في الإنعام عليه حتى بلغت عطيته له خمسمائة دينار. فأعلم هذ الفداوي قراسنق بما ندب إليه من قتله وضمن له أنه يعرفه بجميع من يرد من الفداوية. فسر قراسنقر بذلك وأعلم جوبان والوزير ناصر الدين خليفة فكبسوا على جماعة ممن دلهم عليهم فظفروا بواحد وفر بعضهم وقتل بعضهم نفسه وجيء بالفداوي المقبوض عليه فعوقب حتى مات ولم يعترف بشيء. واشتد الأمر بتوريز وغيرها على الغرباء وقصاد السلطان تطالعه بذلك في كل وقت إلى أن كتبوا إليه نائب بغداد بلغه عن تاجر أنه اشترى مملوكين للسلطان بمائة وعشرين ألف درهم فأحضر نائب بغداد التاجر وألزمه بإحضارهما فافتدى بأربعمائة دينار حتى تركه وأخرجه من بغداد. فبعث التاجر بطائفة من الفداويةِ لقتله وقتل قراسنقر فتفرقوا بالأردو وتوريز وبغداد وأقاموا في الانتظار لانتهاز الفرصة. فبينا نائب بغداد يوما وقد مر في الشارع إذا وثب عليه أحد الفداوية وصاح. ياللملك الناصر وضربه **بالخنجر** في صدره ومر يعدو فلم يقدر عليه. وعاد الفداوي إلى مصياف وكتب إلى السلطان الناصر محمد بما جرى وقتل نائب بغداد. فلما بلغ ذلك قراسنقر وجوبان اشتد حذرهما وألزم قراسنقر فراشه وأخاه الفداوي حتى دلاه على." (١)

"تسع وثلاثين إلى نظر الدولة واستقر عوضه في استيفاء الصحبة أخوه كريم الدين حتى أمسك مع أبيه في نوبة النشو وعوقبوا. ثم توجه بعد موت أبيه إلى القدس وأقام به مدة. ثم طلب وولى نظر البيوت فاستعفى منها وولى نظر النظار بالشام. ثم استعفى منها أيضا وقدم القاهرة حتى ولى نظر الجيش بعد ابن زنبور وأضيف اليه نظر الخاص وكان فاضلا كريما درس بعدة مواضع. توفي تاج الدين أبو الفضايل أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام في رابع شوال تحت العقوبة كما تقدم. وهو أحد كتاب مصر المعدودة وكان يخدم جريدته بيده ولا يحتاج إلى كشف عامل ولا غيره بل يكاد أن يعمل محاسبة كل أحد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/٣٢٥

من ذهنه لفرط ذكائه وشدة فطنته مع العفة والأمانة أو التشدد على الناس والتوفير من الأرزاق حتى لم يعهد أنه جرى على يده رزق لأحد بل ما برح يومر المال للسلطان إلى أن كان من أمره ما كان. وكان لا يراعى أحدا ولا يحابى ويكثر من المحاققة والضبط. توفي الأمير سيف الدين أياجى نائب قلعة دمشق وتوفى الشريف علاء الدين أبو الحسن على بن عز الدين حمزة بن الفخر على بن الحسن الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة الحسيني الحلبي نقيب الأشراف بحلب. قدم القاهرة وكتب بديوان الإنشاء مدة ثم عاد إلى حلب وولى وكالة بيت المال ونقابة الأشراف لها حتى مات وقد أناف على السبعين. وتوفي الوزير الصاحب موفق الدين أبو الفضل هبة الله بن سعيد الدولة إبراهيم في يوم الجمعة ثاني عشرين ربيع الآخر. وكان كاتبا مجيدا مشكور السيرة. له بر ومعروف. باشر أولا نظر الدولة ثم تنقل إلى الوزارة فلم يزل وزيرا حتى مات ودفن بتربته من القاهرة وكانت جنازته حفلة. وتوفي متملك الأندلس أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن الأحمر في صلاة عيد الفطر طعن **بخنجر** وهو ساجد فكانت منيته.." (١)

"الإسكندرية للقتال والحرب والنزال فتعمرت القلاع التي من جهة البحر والجزيرة بالرماة الكثيرة وانتشر الناس على السور وصار برماة الجرخ معمور فخرج من مراكب الفرنج قارب يجس الميناء بقميرة فرمى المسلمون عليه بالسهام فولى هاربا حتى لصق بالمراكب. فلما كان بعد الغروب أوقدت الفوانيس على السور فضاء السور بالنور وبات المسلمون متأهبين بالسور محدقين والعدو خانس لم يتحرك من الموضع الذي أرسى به. وصارت تلك المراكب منضمة بعضها إلى بعض كالطوق الصغير في البحر الكبير فاستهون المسلون أمره وقالوا: ما يقدر هذا على هذه المدينة المسورة الحصينة. والقلاع المشيدة المتينة. فلما كان بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة انتشر على الساحل بالجزيرة خلق من المسلمين كثيرة منهم من معه سيفه وترسه ومنهم من معه نبله وقوسه ومنهم من معه رمحه **وخنجره** ومنهم من ليس عليه سوى ثوبه الذي يستره وبعضهم قد لبس الزرد المنضد وبعضهم من هو عاري مجرد. وكانت الباعة خرجوا من البلد بطباليهم وقدورهم ودسوتهم ملآنة بالطعام يبيعونه على من بالجزيرة من الخاص والعام وذلك من ليلة الخميس ليكسبوا معايشهم وهم معلنون بلعن كل راهب وقسيس وذلك من غير خوف من المراكب التي رؤيت يوم الأربعاء في البحر. ثم إنهم ما فزعوا من الإفرنج باجتماع أفروطتهم يوم الخميس بل صاروا يلعنون القبرسي كلعنهم لإبليس لأنهم فيما تقدم لهم من بيعهم على الطوائف المتقدم ذكرهم. فكان أحدهم يغضب إذا أنقص له المشترى حبة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢١٦/٤

أو حبتين ويفرح إذا غلب المشتري بحبة واحدة فيصير البائع كما قال الشاعر: لاتغضب السوقي فبالحبة ترضيه وأخذ الفلس من يده كأخذ الفرس من فيه فصاروا يشترون من الباعة ويأكلون كما كانوا في خروجهم مع الطوائف يعهدون وليس كل منهم مفكر في أسطول الإفرنج ولا منه خائف. وصارت الحرافيش والعوام يشتمون القبرسي بالصريح ويسبونه بكل لفظ قبيح والقبرسي يسمعهم من مراكبه وهو ساكن وكل من معه لم ينطق بكلمة بل كل منهم صامت فقيل: إن القبرسي رمى من أعلى الجزيرة في الليل جواسيسه في زي لباس المسلمين مستعربين كالشياطين فاحتاطوا بالمسلمين متجسسين فرأوهم من لباس الحرب عارين فاشتروا كما قيل من المأكول وأتوا به لصاحب قبرس بالأسطول وقالوا: له ليس بالجزيرة أحد من الشجعان وليس بها إلا من هو من لباس الحرب عريان يأكلون ويشربون وبعضهم يحفر في الرمل حفائر وبها ينامون فلما كان قبل الشمس من يوم الجمعة. أقبلت." (١)

"عجلان لتلقيه على العادة وقبل الأرض ثم خف الجمل. وعندما انحنى ليقبل عقب الرمح وثب عليه فداويان ضربه أحدهما **بخنجر** في جنبه وضربه الآخر **بخنجر** في عنقه وهما يقولان: غريم السلطان فخر ميتا وترك نهاره ملقى ثم حمله أهله وواروه وكان كبيش على بعد فقتل الفداوية رجلا يظنونه كبيشا ففر كبيش وأقام الأمراء لابسين السلاح سبعة أيام خوفا من الفتنة. فلم يتحرك أحد ولبس الشريف عنان خلعته وتسلم مكة وخطب له بها. وفي تاسع عشرينه: قدمت رسل الحبشة بكتاب ملكهم الحطي واسمه داود بن سيف أرعد ومعهم هدية على أحد وعشرين حمالا فيها من ظرائف بلادهم ومن جملتها قد ملئت قد صيغ على قدرالحمص. ومات في هذه السنة من الأعيان أديب مصر بدر الدين أحمد بن الشرف محمد بن الوزير الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا في يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الآخرة. بمدينة مصر عن نيف وسبعين سنة. وتوفي الشريف أبو سليمان أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسني أمير مكة في حادي عشرين شعبان عن نيف وستين سنة. بمكة ودفن بالمعلا وكان حسن وتوفي الشيخ المعتقد شهاب الدين أحمد بن شرف الدين عبد الهادي بن الشيخ أبي العباس أحمد الشاطر الدمنهوري الأديب الشاعر ذو الفنون في المحرم وهو عائد من الحج. وتوفي شهاب الدين أحمد بن محمد بن على الزركشي – أمن الحكم – فجأة في ليلة الجمعة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٠٦/٥

تاسع عشر شهر ربيع الأول. واتهم أنه سم نفسه فإنه نقص من مال الأيتام عليه نحو خمسمائة ألف درهم ذهبت كأمس الذاهب.." (١)

"الإصطبل وأنزل بموضع من قلعة دمشق وحده وقد ضيق عليه وأفرد من خدمه إلى ليلة السبت سادس عشره دخل عليه ثلاثة أحدهم ابن مبارك أخو الخليفة وآخر من ثقات الأمير شيخ وآخر من ثقات الأمير نوروز ومعهم رجلان من المشاعلية فعندما رآهم ثار إليهم ودافع عن نفسه فساوره الرجلان حتى صرعاه بعدما أثخنا جراحه. وتقدم إليه بعض صبيان الفداوية **بخنجر** فخنقه وقد أصابته الجراحة في خمسة مواضع. فلما ظن أنه قد أتى على نفسه وقام عنه تحرك فعاد وخنقه مرة ثانية حتى قوى عنده أنه هلك تركه فإذا به يتحرك فعاوده مرة ثالثة وفرى أوداجه **بخنجر** وسحب بعدما سلب جميع ما عليه من الثياب. وألقى على مزبلة مرتفعة عن الأرض تحت السماء وهو عاري البدن يستر عورته وبعض فخذيه سراويله وعيناه مفتوحتان والناس تمر به ما بين أمير ومملوك قد صرف الله قلوبهم عنه. وغوغاء العامة وأراذل الغلمان تعبث بلحيته ويديه ورجليه طول نهار السبت نكالا من الله له فإنه كان مستخفا بعظمة الله سبحانه فأراه الله قدرته فيه: لا تيأسن على شيء فكل فتى إلى منيته يستن في عنق بأيما بلدة تقدر منيته ألا يسارع إليها طالعا يسق وقد أخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة: حدثنا يزيد بن أبي حبيب أن قيس بن سعد بن عبادة – رضي الله عنه – قال: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: من شدد سلطانه بمعصية الله عز وجل أوهن الله كيده إلى يوم القيامة. فلما كانت ليلة الأحد: حمل وكفن بعدما غسل وصلى عليه ودفن بمقبرة باب الفراديس بموضع يعرف بمرج الدحداح ولم يكن له جنازة مشهودة ولا عرف من تولى غسله وكفنه ويقال أنه تصدق عليه بالكفن فسبحان المعز المذل. وقد كان الأمير شيخ لا يريد قتله وعزم على أن يحمله مع الأمير طوغان الدوادار إلى الإسكندرية ويسجنه بها فقام الأمير نوروز والأمير بكتمر حلق في قتله قياما بذلا فيه جهدها فإن الأمير يشبك بن أزدمر ممن امتنع من الموافقة على قتله وشنع في ذلك واحتج بالأيمان التي حلفت له فتقوى نوروز وبكتمر بالخليفة فإنه اجتهد هو وكاتب السر فتح الله في ذلك وحمي الفقهاء والقضاة على الكتابة بإراقة دمه. وتجرد قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفي لذلك

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٩٢/٥

وكافح من خالف في قتله وأشهد على نفسه أنه حكم بقتله شرعا فأمضى قتله وقتل كما تقدم ذكره. وكان الناصر هذا أشأم ملوك الإسلام فإنه خرب بسوء تدبيره جميع أراضي مصر." (١)

"على الأمير ناصر الدين محمد بن منجك أحد خواص السلطان وقدم عليه في سابع صفر وقد بعث إليه بأمان السلطان وخلع عليه وأنزله فلما ظن أنه أمن تصرف في أشغاله وركب في أرجاء دمشق. فبينما هو في ذات يوم قد وقف بسوق الخيل – هو وابن منجك – إذ دعاه إلى الدخول على الأمير نكباي نائب الغيبة بدمشق فدخل معه إليه ووقف أصحابه – وهم نحو العشرين – على خيولهم خارج باب السعادة فما هو إلا أن استقر بابن بشارة المجلس أشار ابن منجك إلى نكباي بطرفه أن اقبضه فأحيط به فأخذ ليدفع عن نفسه وسل سيفه فقبض عليه فسل **خنجره** وجرح به من تقدم إليه فتكاثرت السيوف على رأسه وأخذ وقيد وقبض على العشرين من أصحابه ووسط منهم أربعة عشر واعتقل أربعة مع ابن بشارة ثم حمل محتفظا به فاعتقل. وفي سابع عشره: أخذ قاع النيل فجاء أربعة أذرع تنقص إصبعين. ونودي بزيادة ثلاثة أصابع. وقدم الخبر بأن ابن السلطان وصل إلى نكدة في ثامن عشر شهر ربيع الآخر فتلقاه أهلها وقد عصت عليه قلعتها فنزل عليها وحصرها وركب عليها المنجنيق وعمل النقابون فيها وأن محمد بن قرمان تسحب من مدينة نكدة في مائة وعشرين فارسا هو وولده مصطفى. وفي سلخه: رسم للأمير التاج الشويكي أن يتوجه إلى البلاد الشامية مبشرا بولادة الأمير أحمد ابن السلطان فسار من غده. شهر جمادى الآخرة أوله الأحد: أهل والسلطان ملازم الفراش وقد تزايد ألمه والأسعار مرتفعة والخبز يعز وجوده بالأسواق أحيانا لكثرة اختزان الغلال طلبا للزيادة في أسعارها. وفي خامسه: أفرج عن شمس الدين محمد الهروي ونزل إلى داره في هيئة جميلة. وفي ثاني عشره: قدم الخبر بأن ابن السلطان حاصر قلعة نكدة سبعة وعشرين يوما إلى أن أخذها عنوة في رابع عشر جمادى الأولى وقبض على من فيها وقيدهم وهم مائة وثلاثة عشر رجلا ثم توجه في سادس عشره إلى مدينة لارندة.." (٢)

"وحديد وآلات حربية وأواني فعرض الجميع على السلطان فكان يوما مشهودا لم يعهد مثله في الدولة التركية والجركسية فرسم ببيع الأسرى وتقويم الأصناف فابتدئ في البيع من يوم الاثنين سابع عشرينه بحضرة الأمير جقمق العلاي أمير أخور. وتوفي البيع عن السلطان الأمير أينال الششماني فاشتراهم الناس على

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٢٥/٦

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥٠٢/٦

اختلاف طبقاتهم. ورسم أن لا يفرق بين الأولاد وآبائهم ولا بين قريب وقريبه فكانوا يشترونهم جميعا. وأنفق السلطان في طائفة من الغزاة ثلاثة دنانير ونصف لكل واحد وفي طائفة سبعة دنانير لكل واحد. وفي هذا الشهر: تعذر وجود اللحم بالأسواق أياما وإن وجد فإنه قليل جدا وغلت أسعار أكثر الأقوات إلا القمح. وفيه أنشأ زين الدين عبد الباسط بناحية بركة الحاج بستانا وساقية ماء وعمر فسقية كبيرة شهر ذي القعدة أوله الجمعة: ويوافقه عيد الصليب. كان ماء النيل على عشرين ذراعا تنقص إصبعا واحدا وقل ما عهد مثل هذا. وفي يوم الاثنين رابعه: اتفق بالقاهرة حادثة شنعاء لم ندرك مثلها وهي أن رجلا من العشير ببيروت من سواحل الشام – يقال له شعث بن أبي بكر بن الحمراء – قدم ليسعى في بعض تعلقاته فخرج سحر هذا اليوم من داره على فرسه ومعه غلامه وقد سايره رجل من أهل بلاده وأخذ يحادثه حتى وصلا بين القصرين عند شروق الشمس فأخرج الرجل خنجرا وضرب به ابن الحمراء ضربة وأتبعها بأخرى فسقط عن فرسه. وساق الرجل فرسه فلم يتبعه أحد. وبقي ابن الحمراء طريحا عدة ساعات ثم دفن. وبلغ الخبر السلطان فطلب القاتل فلم يقدر عليه. وكان سبب هذا أن ابن الحمراء قتل والد هذا الرجل من سنين عديدة وابنه هذا صبي فتحول إلى القاهرة وربي بها وصار من جملة الأجناد بخدمة الأمراء. فلما قدم ابن الحمراء في هذه الأيام القاهرة تردد إليه هذا الرجل من أجل أنه من أهل بلاده فأنس به وغفل عما كان منه إلى أن جاءه الرجل في هذا اليوم على عادته وركب معه فوجد الفرصة قد أمكنته من عدوه ففعل ما فعل وأخذ بثأره.." (١)

"حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي، والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين، ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفي إلا ضربت عنقه، وإني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة.

وأقبل أبو سعيد بعد إطلاق العباس على جمع الخيل، وإعداد السلاح، ونسج الدروع والمغافر، واتخاذ الإبل، وإصلاح الرجال، وضرب السيوف والأسنة، واتخاذ الروايا والمزاد والقرب، وتعليم الصبيان الفروسية، وطرد الأعراب من قريته، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال، وإصلاح أراضي المزارع وأصول النخل، وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقدها، ونصب الأمناء على ذلك، وأقام العرفاء على الرجال، واحتاط على ذلك كله، حتى بلغ من تفقده أن الشاة إذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٢٢/٧

لهم، ويدفع الرأس والأكارع والبطن إلى العبيد والإماء، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله، ثم يدفعه إلى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات، ويفتل منه حبال، ويسلم الجلد إلى الدباغ، ثم إلى خرازى القرب والروايا، والمزاد؛ وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفا فأعمل منه، ثم يجمع ذلك كله إلى خزائن.

فكان ذلك دأبه لا يغفله، ويوجه كل قليل خيلا إلى ناحية البصرة، فتأخذ من وجدت، وتصير بهم إليه ويستعبدهم، فزادت بلاده، وعظمت هيبته في صدور الناس.

وواقع بني ضبة وقائع مشهورة فظفر بهم، وأخذ منهم خلقا، وبنى لهم حبسا عظيما جمعهم فيه، وسده عليهم، ومنعهم الطعام والشراب، فصاحوا فلم يغثهم، فمكثوا على ذلك شهرا، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى، ويسيرا بحال الموتى وقد تغذوا بلحوم الموتى، فحصاهم وخلاهم فمات أكثرهم.

وكان قد أخذ من عسكر العباس خادما له جعله على طعامه وشرابه، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا صلاة واحدة، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره، فأضمر الخادم قتله، حتى إذا دخل الحمام معه وكانت الحمام في داره فأعد الخادم خنجرا ماضيا." (١)

"يعتمدون عليه ويرجعون إلى رأيه. فأحضره الوزير، وفاوضه في أمر اليازوري، وأخذ رأيه فيما يعمل مع؛ فأشار عليه بأن يحسن للخليفة أن يقلده القضاء، ظنا منه أنه إذا تقلد القضاء فإنه يقع في أمر كبير، ويشغله ذلك عن ملازمة السيدة، فيجد الوزير سبيلا إلى استخدام ولده مكانه، ويتقوى له الأمر فيه، ويملك جهة الخليفة والسيدة. وكان قد تكلم في قاضي القضاة من أيام أبي سعيد، وذكر أن أمور الناس ناقصة في حكوماته، وأن له غلمانا قد استحوذوا على الحكم، وهم الذين يوقفون أمور الناس؛ فاستخدم أبو سعيد شاهدا يعرف بابن عبدون، خليفة القاهرة، وتقدم إلى قاضي القضاة ألا يفصل حكما بين اثنين إلا بحضوره. وضبط ابن عبدون أمر الحكم ضبطا شديدا؛ وكان الخصوم يجتمعون بباب القاضي والشهود بين يديه، فلا يمضي حكما إلا في دعوى بين اثنين، وما يحتاج إليه من إقامة بينة، أو منازعة أمرأة مع بعل لها في فرض، وما يجري هذا المجرى. وأما في تثبيت أو قصص مستعجمة الحكم، وما يحتاج فيه إلى مناظرات ومنازعات فلا يتكلم في شيء من ذلك إلا عند حضور ابن عبدون؛ وحجج الناس يحتاط عليها في قمطر، وتحمل بين يدي القاضي؛ فإذا حضر ابن عبدون أحضرت وفصل الحكم فيما بين أصحابها. وما زال كذلك حتى

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١٦٤/١

حضر إليه خصم في مرات، فخاف عليه وتشفع إليه بأصدقائه، فلم يعره فرضة يوما حتى خرج من مجلس قاضي القضاة وركب، فتقدم إليه وقبل ركابه، وخضع له وتلطف في أمره، فلم يلتفت إليه؛ فعاد إلى من خرج إليه من الشهود وسألهم سؤاله، فانتهره. فلما أيس منه وثب عليه **بخنجر** وخرق به بطنه، فخر إلى الأرض ميتا. وأخذ الرجل إلى أبي سعيد، فنكل به وقطع يديه ورجليه، وضرب عنقه. ثم استخدم أبو سعيد بعد ابن عبدون القضاعي وابن أبي زكرى وأقامهما خليفتي قاضي القضاة، وأمرهما بسلوك طريق ابن عبدون في الأحكام؛ فلم يقوما مقامه، وكانا يجاملان القاضي؛ فعاد الأمر إلى ما كان عليه قبل ابن عبدون، إلا في فصل الأحكام فإنها كانت لا تنفصل إلا بحضورهما. فثقل ذلك على القاضي لاستيلاء غلمانه عليه، واتهامه أن أمور الناس واقفة، وأنه لا ينفذ له حكم ولا أمر ولا نهي.." (١)

"وقال أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا المبارك بن فضالة، حدثنا الحسن بن أبي الحسن، حدثنا أبو بكرة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس، وكان الحسن بن علي يثب على ظهره، إذا سجد، ففعل ذلك غير مرة، قالوا له: إنك لتفعل بهذا شيئا ما رأيناك تفعله بأحد.

قال: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين» قال: فلما ولي لم يهرق في خلافته محجمة من دم.

وأخرجه إسماعيل الخطبي من طريق حماد بن زيد، عن علي بن زيد وهشام، عن الحسن نحوه.

قال: فنظر إليهم أمثال الجبال في الحديد، فقال: أضرب هؤلاء بعضهم ببعض في ملك من ملك الدنيا، لا حاجة لي به.

وقال العباس الدوري: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة. قال: قدم الحسن بن علي على معاوية، فقال: لأجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحدا قبلك، ولا أجيز بها أحدا بعدك، فأعطاه أربعمائة ألف.

وقال ابن أبي خيثمة: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ضمرة عن ابن شوذب، قال: لما قتل علي سار الحسن في أهل العراق ومعاوية في أهل الشام، فالتقوا، فكره الحسن القتال، وبايع معاوية على أن يجعل العهد له من بعده، فكان أصحاب الحسن يقولون له: يا عار أمير المؤمنين، فيقول: العار خير من النار.

وأخرج ابن سعد من طريق مجالد عن الشعبي وغيره، قال: بايع أهل العراق بعد علي الحسن بن علي، فسار

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢/٢٠٤

إلى أهل الشام وفي مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفا يسمون شرطة الجيش، فنزل قيس بمسكن من الأنبار، ونزل الحسن المدائن، فنادى مناد في عسكر الحسن. ألا إن قيس بن سعد قتل، فوقع الانتهاب في العسكر حتى انتهبوا فسطاط الحسن، وطعنه رجل من بني أسد **بخنجر**، فدعا عمرو بن سلمة الأرحبي، وأرسله إلى معاوية يشترط عليه: وبعث معاوية عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر فأعطيا الحسن ما أراد، فجاء له." (١)

"ذكره موسى بن عقبة في مهاجرة الحبشة، وكذا ذكره ابن إسحاق والطبري في الذيل.

١٧٦٦ ز- حطان التميمي اليربوعي:
ذكره ابن فتحون في الذيل، قال سعيد بن يحيى الأموي: حدثنا أبي، حدثني من سمع حصين بن عبد الرحمن، حدثنا عمرو بن ميمون الأودي. قال: إني لقائم خلف عمر ما بيني وبينه إلا ابن عباس فوصف قصة قتله، فلما رأى ذلك رجل من المهاجرين يقال له حطان التميمي اليربوعي طرح عليه برنسا فلما ظن أبو لؤلؤة أنه مقتول أمر **الخنجر** على أوداجه فذبح نفسه.
قلت: والقصة في صحيح البخاري، وليس فيها تسمية حطان.
وفي قصة أخرى أن الذي طرح عليه البرنس هاشم بن عتبة، وفي أخرى عبد الله بن عوف. فالله أعلم.

الحاء بعدها الفاء

١٧٦٧- حفشيش «١»

: تقدم في الجيم.

١٧٦٨- حفص بن حليمة السعدية:
التي أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم، أخو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة. وقفت له على رواية من أمه من طريق محمد بن عثمان اللخمي، عن محمد بن إسحاق، عن جهم بن أبي جهم، عن عبد الله بن جعفر، عن حفص بن حليمة، عن أمه، عن آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم في قصة

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٦٤/٢

ميلاده صلى الله عليه وسلم.

١٧٦٩- حفص بن السائب «٢»
: روى ابن شاهين من طريق محمد بن جعفر البلخي عن هارون بن حفص بن السائب، عن أبيه. قال: سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصا.

١٧٧٠- حفص بن أبي العاص «٣»
: بن بشر بن عبد بن دهمان بن عبد الله بن أبان الثقفي، أخو عثمان بن أبي العاص الصحابي المشهور.
ذكره ابن سعد في الطبقات الصغرى فيمن نزل البصرة من الصحابة. وقال في الكبرى:
كتبناه مع إخوته عثمان والحكم ولم يبلغنا أن له صحبة. وذكره خليفة في التابعين.
قلت: قد تقدم غير مرة أنه لم يبق قبل حجة الوداع أحد من قريش ومن ثقيف إلا أسلم، وكلهم شهد حجة الوداع. [وهذا القدر كاف في ثبوت صحبة هذا.

(١) أسد الغابة ت (4١٢٠) ، الاستيعاب ت (٦٠٢) .
(٢) أسد الغابة ت (١٢٠٦) .
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٩.." (١)

"عن النعمان بن بزرج- بضم الموحدة والزاي وسكون الراء بعدها جيم- قال: خرج الأسود العنسي، فذكر قصة غلبته على صنعاء اليمن وقتل باذام عامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستصفى امرأته المرزبانة لنفسه فتزوجها وكانت تكرهه لما صنع بقومها، قال:
فأرست إلى داذويه وكان خليفة باذام وإلى فيروز وإلى خرزاذ بزرج وجرجست الفارسيين، فائتمروا على قتل الأسود، وكان على بابه ألف رجل للحرس، فجعلت المرزبانة تسقيه الخمر، فكلما قال لها شوبيه سقته صرفا حتى سكر وقام فدخل في الفراش وهو من ريش، وعمد داذويه وأصحابه إلى الجدار فنضحوه بالخل، وحفروا بحديدة حتى فتحوه، ودخل داذويه وجرجست فهابا أن يقتلاه، ودخل فيروز وابن بزرج فأشارت

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٨٥/٢

إليهما المرأة أنه في الفراش، فتناول فيروز رأسه فعصر عنقه فدقها، وطعنه خرزاذ **بالخنجر** فشقه، ثم احتز رأسه وخرجوا.

وأورده البيهقي في «الدلائل» من هذا الوجه، وذكر غيره أن الذي احتز رأسه قيس بن مكشوح المرادي، ثم إن قيسا خاف من الطلب بدم العنسي، فخرج فيروز ليسقي فرسه فخلا قيس بداذويه وهو شيخ كبير فضربه بالسيف حتى برد، فحمله فألقاه في مكانه.

ولما بلغ الخبر قيسا لم يعد إلى بيته، ورفع الأمر إلى أبي بكر الصديق، فأحلف قيسا يمينا أنه لم يقتل داذويه فحلف. ثم سأل عمر عمرو بن معديكرب من قتل العنسي؟ فقال:

فيروز. قال: من قتل داذويه؟ فقال: قيس، فقال عمر: بئس الرجل قيس إذا.

وله ذكر في ترجمة جشيش «١» الديلمي في حرف الجيم.

الدال بعدها الثاء

٢٤٢٢

ز- دثار بن سنان «٢» بن النمر:

بن قاسط، مخضرم. له ذكر في ترجمة الحطيئة، ومن شعر دثار هذا:

تقول خليلتي لما اشتكينا ... سيدركنا بنو القرم الهجان

فقلت ادعي وأدعو إن أندى ... لصوت أن ينادي داعيان

فمن يك سائلا عني فإني ... أنا النمري جار الزبرقان

«٣» [الوافر]

٢٤٢٣ ز- دثار بن عبيد:

بفتح أوله- ابن الأبرص.

____

)١) من أ: حسيس.

(٢) من أشيبان.

(٣) تنظر الأبيات من الأغاني ٢/ ١٩٠.." (١)

"وأخرج الزبير بن بكار من طريق ربيعة بن عثمان، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال:

جاءت «١» امرأة عبيد الله بن عمر إلى عمر فقالت له: يا أمير المؤمنين، اعذرني من أبي عيسى. قال: ومن أبو عيسى؟ قالت: ابنك عبيد الله. قال: يا أسلم. اذهب فادعه ولا تخبره فذكر القصة.

وهذا كله يدل على أنه كان في زمن أبيه رجلا، فيكون ولد في العهد النبوي. وفي صحيح البخاري أن عمر فارق أمه لما نزلت: ولا تمسكوا بعصم الكوافر [الممتحنة:

١٠] .

قلت: وكان نزولها في الحديبية في أواخر سنة سبع.

وفي البخاري قصة «٢» في باب «نقيع» : التمر ما لم يسكر من كتاب الأشربة: وقال عمر: إني وجدت من عبيد الله ريح شراب، فإني سائل عنه، فإن كان يسكر جلدته. وهذا وصله مالك عن الزهري، عن السائب بن يزيد- أن عمر خرج عليهم، فقال ... فذكره، لكن لم يقل عبيد الله. وقال فلان.

وأخرجه سعيد بن منصور، عن ابن عيينة، عن الزهري، فسماه، وزاد: قال ابن عيينة: فأخبرني معمر عن الزهري، عن السائب، قال: فرأيت عمر يجلدهم.

قال أبو عمر: كان عبيد الله من شجعان قريش وفرسانهم. ولما قتل «٣» أبو لؤلؤة عمر عمد عبيد الله ابنه هذا إلى الهرمزان وجماعة من الفرس فقتلهم.

وسبب ذلك ما أخرجه ابن سعد من طريق يعلى بن حكيم، عن نافع، قال: رأى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق السكين التي قتل بها عمر، فقال: رأيت هذه أمس مع الهرمزان وجفينة، فقلت: ما تصنعان بهذه السكين؟ فقالا: نقطع بها اللحم، فإنا لا نمس اللحم.

فقال له عبيد الله بن عمر: أنت رأيتها معهما؟ قال: نعم، فأخذ سيفه ثم أتاهما فقتلهما واحدا بعد واحد، فأرسل إليه عثمان، فقال: ما حملك على قتل هذين الرجلين؟ فذكر القصة.

وأخرج الذهلي في الزهريات، من طريق معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب- أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال- حين قتل عمر: إني انتهيت إلى الهرمزان وجفينة وأبي لؤلؤة وهم نجي، فنفروا مني، فسقط من

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٢/٣٣١

بينهم **خنجر** له رأسان نصابه في وسطه، فانظروا

---

(١) في أ: جاءته.

(٢) في أ: أيضا.

(٣) في أ: قتله.." (١)

"بماذا قتل «١» ! فنظروا فإذا **الخنجر** على النعت الذي نعت عبد الرحمن، فخرج عبيد الله مشتملا على السيف، حتى أتى الهرمزان، فقال: اصحبني ننظر إلى فرس لي وكان الهرمزان بصيرا بالخيل، فخرج يمشي بين يديه، فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حر السيف قال:

لا إله إلا الله، ثم أتى جفينة وكان نصرانيا فقتله، ثم أتى بنت أبي لؤلؤة جارية صغيرة فقتلها، فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها ثلاثا. وأقبل عبد الله بالسيف صلتا، وهو يقول:

والله لا أترك بالمدينة شيئا إلا قتلته. قال: فجعلوا يقولون له: ألق السيف، فيأبى ويهابوه إلى أن أتاه عمرو بن العاص، فقال له: يا ابن أخي، أعطني السيف، فأعطاه إياه، ثم ثار إليه عثمان، فأخذ بناصيته حتى حجز الناس بينهما، فلما استخلف عثمان قال: أشيروا علي فيما فعل هذا الرجل. فاختلفوا، فقال عمرو بن العاص: إن الله أعفاك أن يكون هذا الأمر، ولك على الناس سلطان، فترك ،ودى الرجلين والجارية.

وقال الحميدي: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، قال: قال علي: لئن أخذت عبيد الله لأقتلنه بالهرمزان.

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة، قال: كان رأي علي أن يقتل عبيد الله بالهرمزان لو قدر عليه.

وقد مضى لعبيد الله بن عمر هذا ذكر في ترجمة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

وقيل: إن عثمان قال لهم: من ولي الهرمزان؟ قالوا: أنت. قال: قد عفوت عن عبيد الله بن عمر.

وقيل: إنه سلمه للعماديان «٢» بن الهرمزان، فأراد أن يقتص منه فكلمه الناس، فقال:

هل لأحد أن يمنعني من قتله؟ قالوا: لا. قال: قد عفوت.

وفي صحة هذا نظر، لأن عليا استمر حريصا على أن يقتله بالهرمزان، وقد قالوا: إنه هرب لما ولى الخلافة إلى الشام. فكان مع معاوية إلى أن قتل معه بصفين، ولا خلاف في أنه قتل بصفين مع معاوية. واختلف في قاتله، وكان قتله في ربيع الأول سنة ست وثلاثين.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٤٢/٥

٦٢٥٦

- عبيد الله بن معمر بن عثمان «٣» بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب التيمي «٤» :

---

(١) في أ: قتل عمر.

(٢) في د: وقيل إنه سلمه سيدنا عثمان إلى ابن الهرمزان، وفي ل، ه بياض.

(٣) في أ، د، ل، ه: معمر بن غنم.

(٤) أسد الغابة ت (٣٤٨٠) ، الاستيعاب ت (١٧٤١) .." [١]

"ذكره أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب له، فقال: قدم فدفد بن خنافة البكري على أبي سفيان بمكة، وكان فدفد فاتك بني بكر، فاتفق مع أبي سفيان على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعشرين ناقة، ودفع إليه خنجرا مسموما، قال فدفد: خرجت من عند أبي سفيان وأنا نشوان. فلما صحوت فكرت في عظيم ما أقدمت عليه، فسرت حتى إذا كنت بالروحاء في ليلة مظلمة ما أرى موضع أخفاف الناقة، فلاح لي وميض البرق، وإذا بهاتف من جوف الوادي يقول:

رسول أتى من عند ذي العرش صادقا ... على طرق الخيرات للناس واقف

[الطويل] فظننته بعض السيارة، وقصدت الصوت، فلما بلغت موضعه تسمعت فلا حس، فقف شعري، وعلمت أنه بعض الجن، فأنشأت أقول:

لك الخير قد أسمعتني قول هاتف ... ونبهت حوسا قلبه غير خائف

[الطويل] فأجابني وكأنه تحت ناقتي:

لحا الله أقواما أرادوا محمدا ... بسوء ولا أسقاهم صوب ماطر

عكوفا على الأوثان لا يتركونها ... وقد أم دين الله أهل البصائر

[الطويل] فمضيت لوجهي، وفي ما سمعت،

فأصبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بني عبد الأشهل يتحدث، وقد أخبرهم عن كل ما اتفق،

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٥/٤٣

وقال: سيطلع عليكم الآن، فلا تهيجوه، وكنت لا أعرفه، فقلت لصبي: أين هو محمد القرشي الذي قدم عليكم؟ فنظر إلي متكرها، وقال: ويلك! ثكلتك أمك! لولا أنك غريب جاهل لأمرت بقتلك! ألا تقول: أين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ هو ذاك عند النخلة العوجاء عند أصحابه، فائته فإنك إذا رأيته أكبرته، وشهدت بتصديقه، وعلمت أنك لم تر قبله مثله،

قال: فنزلت عن راحلتي، ثم أتيته، فأخبرني بما اتفق لي مع أبي سفيان ومع الهاتف، ثم دعاني إلى الإسلام فأسلمت، وهو القائل:

ألا أبلغا صخر بن حرب رسالة ... بأني رأيت الحق عند ابن هاشم

رأيت امرأ يدعو إلى البر والتقي ... عليما بأحكام الهدى غير ظالم

فأخبرني بالغيب عما رأيته ... وأسررته من معشر في مكاتم

[الطويل]." (١)

"أبيك كتابا فيدق أنفه، ويأخذ المفاتيح، ويخرج لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاجته» ، فكان الأمر كذلك. وأخذ قيس لرسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وسق.

٨٧١٨- نسطاس:

مولى صفوان بن أمية الجمحي.

شهد أحدا مع المشركين ثم أسلم وحسن إسلامه، فكان يحدث عن يوم أحد، قال:

كنت ممن تخلف في العسكر ولم يقاتل يومئذ عبد إلا وحشي وصؤاب غلام بني عبد الدار، قال: فاقتتلوا ساعة، فأقبل أصحابنا منهزمين، فدخل أصحاب محمد عسكرنا ونحن في رحالنا، فكنت فيمن أسر، فانتهب العسكر أقبح نهب، فنحن على ما نحن عليه إذ نظرت إلى الخيل مقبلة.. فذكر قصة، ذكر ذلك الواقدي، وفيها: ولقد رأيت رجلا من المسلمين ضم صفوان بن أمية إليه حتى ظننت أنه سيموت حتى أدركته وبه رمق.. فوجأته بخنجر معي فوقع فسألت بعد ذلك عنه، فقيل رجل من بني ساعدة ثم هداني الله بعد للإسلام.

وذكر ابن إسحاق أن نسطاسا المذكور هو الذي تولى قتل زيد بن الدثنة رفيق خبيب بن عدي.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٢٧١/٥

٨٧١٩- نسير:
بالتصغير، ابن العنبس «١» بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري.
ذكره أبو سعد في شرف المصطفى، وتقدم في الموحدة، وذكر الاختلاف فيه، ويزاد هنا أن الخطيب ذكره في المؤتلف بالنون، وساق نسبه من عند ابن عمارة بن القداح، فقال:
ولد عنبس بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب بن عمرو بن مالك بن الأوس.

٨٧٢٠- نسير بن عنبس.
له صحبة، وشهد مشاهد كثيرة، وكان يقال لعنبس والده فارس الحواء، واستشهد نسير يوم جسر أبي عبيد، واستشهد ولد ولده عبد الله بن سهل بن نسير بالقادسية.
قلت: وقد ذكرت ولد ولده عبد الله فيما مضى.

٨٧٢١- نسير:
بن يحيى الأنصاري، مولى عثمان بن حنيف. سيأتي في الثالث.

النون بعدها الشين والصاد
٨٧٢٢- نشيط بن مسعود:
بن أمية بن خلف الجمحي، أبو غليظ. مشهور بكنيته، مختلف في اسمه، وسيأتي في الكنى.

---

(١) أسد الغابة ت (٥٢١٠) .." (١)

"فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم يدان ... فذكر قصته معه في تأمينه. قال: فأسلم الهرمزان، وفرض له عمر.
وقال يحيى بن آدم في كتاب «الخراج» ، عن الحسن بن صالح، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: فرض عمر للهرمزان في ألفين.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٣٣٦/٦

وقال علي بن عاصم، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن أنس: قدم الهرمزان على عمر ... فذكر قصة أمانه، فقال عمر: أخرجوه عني، سيروه في البحر، ثم قال كلاما، فسألت عنه، فقيل لي: إنه قال: اللهم اكسر به، فأنزل في سفينة، فسارت غير بعيد، ففتحت ألواحها فوقعت في البحر، فذكرت قوله: اكسر به، ولم يقل غرقه، فطمعت في النجاة، فسبحت، فنجوت فأسلمت.

وروى الحميدي في النوادر، عن سفيان، عن عمرو بن دينار، عن ابن شهاب، عن عبد الله بن خليفة: رأيت الهرمزان مع عمر رافعا يديه يدعو ويهلل.

وأخرج الكرابيسي في «أدب القضاء» بسند صحيح إلى سعيد بن المسيب- أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال لما قتل عمر: إني مررت بالهرمزان وجفينة وأبي لؤلؤة وهم نجي، فلما رأوني ثاروا، فسقط من بينهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فانظروا إلى الخنجر الذي قتل به عمر، فإذا هو الذي وصفه، فانطلق عبيد الله بن عمر، فأخذ سيفه حين سمع ذلك من عبد الرحمن، فأتى الهرمزان فقتله، وقتل جفينة، وقتل بنت أبي لؤلؤة صغيرة، وأراد قتل كل سبي بالمدينة، فمنعوه ... فلما استخلف عثمان قال له عمرو بن العاص: إن هذا الأمر كان، وليس لك على الناس سلطان، فذهب دم الهرمزان هدرا.

٩٠٦٧- هريم بن جواس التميمي:

أحد بني عامر، من بني كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

له إدراك، وهو مخضرم، وكان يهاجي الأغلب العجلي الراجز الماضي ذكره في حرف الألف في القسم الأول. ذكره المرزباني في معجم الشعراء، وذكر أنه وافقه بسوق عكاظ، فقال له:

قبحت من سالفة ومن قفا ... عبد إذا ما رسب القوم طفا

فما صفا عدوكم ولا صفا ... كما شرار البقل أطراف السفا

[الرجز] فقال له: من أنت؟ ويلك! قال:." (١)

"تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولها قصص مشهورة، منها ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح أن أم سليم اتخذت خنجرا يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٤٤٩/٦

ومنها قصتها المخرجة في الصحيح لما مات ولدها ابن أبي طلحة، فقالت لما دخل:
لا يذكر أحد ذلك لأبي طلحة قبلي، فلما جاء وسأل عن ولده قالت: هو أسكن ما كان، فظن أنه عوفي، وقام فأكل ثم تزينت له وتطيبت فنام معها، وأصاب منها، فلما أصبح قالت له: احتسب ولدك، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «بارك الله لكما في ليلتكما» ، فجاءت بولد وهو عبد الله بن أبي طلحة، فأنجب ورزق أولادا، قرأ القرآن منهم عشرة كملا.
وقال الصحيح أيضا عن أنس- أن أم سليم لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: يا رسول الله، هذا أنس يخدمك، وكان حينئذ ابن عشر سنين، فخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ قدم المدينة حتى مات، فاشتهر بخادم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، روى عنها ابنها أنس، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وآخرون.
وذكر أبو عمر نسبها من كتاب ابن السكن بحروفه، لكن قال: اسم أمها مليكة، والذي في كتاب ابن السكن اسم أمها أنيقة- نبه عليه ابن فتحون، وكأن أبا عمر أخذه عن ابن سعد، فإنه جزم بأن أمها مليكة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة.

١٢٠٧٨- أم سليمان بنت أبي حكيم:
يقال: هي والدة سليمان بن أبي حثمة «١» .
وتقدم أن اسمها الشفاء، وقال: هي غيرها. قال أبو عمر: أم سليمان، وقيل أم سليم العدوية، وقال بعضهم: أم سلمة. روى عنها عبد الله بن الطيب أو الطبيب- أنها قالت:
أدركت من النساء وهن يصلين مع النبي صلى الله عليه وسلم الفرائض.
قلت: وصله ابن مندة من طريق أحمد بن يونس، عن ابن شهاب، عن ابن أبي ليلى، عن عبد الكريم، عن عبد الله بن فلان، عن أم سليم بنت أبي حكيم- فذكره، ولم يقل في آخره الفرائض. قال: ورواه محمد بن عبد الوهاب، عن ابن شهاب، فقال: عن أم سلمة بنت حكيم.
قلت: رواية بنت عبد الوهاب وصلها الطبراني في الأوسط، عن موسى بن هارون،

(١) أسد الغابة ت (٧٤٨٠) .." (١)

"[٤٧٢] "شاه" بن شيرماميان١ الخراساني عن قتيبة بن سعيد متهم بوضع الحديث له في لبس السواد قال ابن حبان يضع الحديث انتهى قال ابن حبان حدث ببغداد سمع منه علي بن موسى بن حمزة اليريعي ببغداد سنة المستعن فذكر عن قتيبة عن ابن لهيعة عن رباح العلائي عن جابر رضي الله عنه رفعه "أتاني جبرائيل وعليه قباء اسود ومنطقة وخنجر فقلت ما هذا قال يأتي على الناس بعد الإسلام كهذا فقلت يا حبيبي من يكون رئيسهم قال من ولد العباس يتبعهم أهل خراساني فقلت أيش يملك ولد العباس قال يملك ولد العباس الوبر والمدر والسرير والمنبر إلى المحشر والملك المبشر".

[٤٧٣] "ذ- الشاه" بن القرع أبو بكر روى عن الفضل بن عياض وعنه محمد بن فوز بن هانئ القرشي قال ابن مأكولا لا أعرفه روى حديثه الإدريسي.

١ شاه بن بشر - ميزان.." (٢)

"على السور فلم يجد أحدا فعاد إلى القلعة، فركب شيخ ودخل من باب القصر وملك المدينة ونزل بدار السعادة، وامتدت أيدي الغوغاء إلى النهب فبالغوا، ونزل المستعين في البلد، ويقال إن دمرداش لما رأى أن حال الناصر تلاشى احتال لنفسه فقال للناصر: أروح أنا وابن أخي واجمع عسكرا من التركمان وغيرهم فمال الناصر لكلامه وأعطاه مالا كثيرا لذلك فتوجه من دمشق ومعه نحو مائتي نفس، فلما رأى الذين مع الناصر ذلك خارت قواهم ووهنوا، فرأى الناصر علامة الخذلان فقال لهم: من شاء أن يستوثق لنفسه فليفعل، فتفرقوا، ثم تحول شيخ إلى الإصطبل، وأنزل بكتمر جلق في دار السعادة، فلما كان يوم الأحد بعث الناصر يطلب الأمان ويستحلف الأمراء، فحلفوا له على ما أراد وأرسلوا له أخا الخليفة لأمه محمد بن مبارك الطازي فطال بينه وبينه الكلام ولم يفترقا على طائل فعاد والرمي عليهم من أعلى القلعة فعادوا الحصار، فاضطره الأمر إلى أن ينزل ليلة الاثنين ومعه أولاده يحمل بعضهم ويحمل معه بعضهم وهو يمشي من باب القلعة إلى الإصطبل، فلما رآه شيخ قام وقبل الأرض وأجلسة بصدر المجلس فسكن روعه

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٨/٤١٠

(٢) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٣/١٣٦

فبات تلك الليلة، وأصبح شيخ يوم الاثنين فلم يجتمع به، واجتمع الأمراء عند المستعين يوم الثلثاء بدار السعادة فاشتوروا فيما يصنعونه بالناصر، فاتفق رأيهم على أن يمضوا فيه حكم ابن العديم، فأخذ في ليلة الأربعاء من الإصطبل فحبس في مكان من القلعة وحده لا يصل إلا من يناوله حاجة المأكول والمشروب خاصة وترك فريدا إلى ليلة السبت سادس عشر صفر، فدخل عليه محمد بن مبارك الطازي ورجل من خواص شيخ وآخر من خواص نوروز ورجلان من المشاعلية، فلما رآهم أحس بالشر فقام ودافع عن نفسه فبادره المشاعلية حتى صرعاه بعد ما أثخنا جراحه وتقدم أحدهما فخنقه، فلما ظن أنه أتلفه قام عنه فتحرك فعاد مرة بعد مرة ففرى أوداجه **بخنجر** كان معه ثم سحبه بعد ما سلبه فألقاه على مزبلة تحت السماء ليس عليه سوى لباسه وعيناه مفتوحتان، يمر به القريب والبعيد وقد صرف الله قلوبهم عنه فلا أحد يترقق له ولا يحن له بل ربما مد بعضهم يده فعبث بلحيته ثم حمل." (١)

"أن المطيع اشتراه من أبي طاهر القرمطي وفيه نظر؛ لأن أبا طاهر مات قبل خلافة المطيع في سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة بهجر من جدري هلكه فلا رحم الله منه مغرز إبرة على ما ذكره ابن الأثير وغيره. ولما أخذه القرمطي هلك تحته أربعون جملا ولما حمل أعيد إلى مكانه حمل على قعود أعجف فسمن تحته. قال المسبحي: كانت مدة كينونة الحجر الأسود عند القرمطي وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام. وفي كتاب " السير " من شرح الطحاوي لأبي بكر الرازي: استحقاق القتل لا يزول عن القرامطة المتسمية بالباطنية لعنهم الله بزعمهم أنهم مقرون بكلمة التوحيد والنبوة؛ لأنهم ينقضون ذلك للحال بقولهم: إن للشريعة باطنا مرادا غير ما نقلته الأمة، وكذلك أشباههم من معاير الملحدين. انتهى. قال الذهبي في " العبر " في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة: تقدم بعض الباطنية من البصريين فضرب الحجر الأسود بدبوس فقتلوه في الحال. قال محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي: قام فضرب الحجر ثلاث ضربات. قال: إلى متى يعبد الحجر؟ ولا محمد ولا علي فيمنعني محمد مما أفعله، فإني اليوم أهدم هذا البيت. فالتفاه أكثر الحاضرين وكان أن يفلت، وكان أحمر أشقر جسيما طويلا، وكان على باب المسجد عشرة فوارس ينصرونه فاحتسب رجل ووجأه **بخنجر**، ثم تكاثروا عليه فهلك وأحرق، وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته واختبط الوفد، ومال الناس على ركب البصريين بالنهب، وتخشن وجه الحجر وتساقط منه شظايا يسيرة وتشقق، وظهر مكسره أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل الخشخاش، فأقام الحجر على ذلك يومين ثم إن بني

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢/٥١٠

شيبة جمعوا الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوا الشقوق وطلوها بطلاء من ذلك فهو بين لمن تأمله. وذكر ابن الأثير: أن هذه الحادثة كانت في سنة أربع عشرة وأربعمائة. وذكر المسبحي: أن نافع بن محمد الخزاعي دخل الكعبة فيمن دخلها للنظر إلى الحجر الأسود لما كان في الكعبة بعد رد القرامطة له، وأنه تأمل الحجر الأسود فإذا." (١)

"ذكر وفاة عمر رضي الله عنه

: يروى أنه خرج يطوف بالسوق بعد حجته فلقيه أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام للمغيرة بن شعبة وكان نصرانيا، وقيل: مجوسيا، أعدا علي المغيرة بن شعبة فإن علي خراجا كثيرا، قال: فكم خراجك؟ قال: درهمان في كل يوم، قال: فإيش صناعتك؟ قال: نقاش نجار حداد. قال: فما أرى خراجك كثير على ما تصنع من الأعمال، ثم قال له: وبلغني أنك قلت: لو أردت أن أعمل رحى يتحدث بها من بين المشرق والمغرب ثم انصرف، فقال عمر: لقد توعدني العلج آنفا، ثم أتى عمر منزله فجاءه كعب الأحبار فقال: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، فقال: وما يدريك؟ فقال: أجد في كتاب الله التوراة، فقال عمر: الله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة، قال: اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وإنه قد فنى أجلك، فلما كان من الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان، ثم جاءه بعد ذلك فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبحها، فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات، إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته وسقط عمر، وظهر العلج لا يمر على أحد يمينا أو شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة، وقيل: ستة، وطرح عليه رجل من المسلمين برنسا واحتضنه من خلفه فنحر العلج نفسه، وأخذ عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فصلى بالناس بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون، وحمل عمر إلى منزله ودخل عليه المهاجرون والأنصار يسلمون عليه، ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول: وواعدني كعب ثلاثا أعدها ... ولا شك أن القول ما قاله كعب وما بي حذار الموت إني لميت ... ولكن حذار الذنب يتبعه ذنب طعن يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد حجة تلك السنة، وقيل: طعن يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وقيل: لثلاث ليال بقين من ذي الحجة، وبقي ثلاثة أيام بعد الطعنة ثم توفي، واستأذن عائشة رضي الله عنها أن يدفن مع صاحبيه فأذنت له، وقالوا

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/١٧٨

له: أوصى استخلف، فقال: ما أجد أحدا أولى ولا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمي عثمان وعليا والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن بن عوف فهم أهل." (١)

"زبانية النيران تكره وجهه ... وحين تراه تستعيذ جهنم

قد نزع الله من قلبه المرحمة، وجبل فؤاده على المأثمة فأرغبوه أن يختلهما، ويقتلهما، وكانت عين سليمان خان رمدا، وقد سكن في حجر دايته وتهدى فدخل عليه ذلك الظالم من ساعته، واغتاله وهو راقد في حجر دايته، وضربه في جنبه **بخنجر**، وأنفذه من الجنب الآخر، فارتفع الضجيج والولولة، ووقع العجيج في الناس والزلزلة، وعم المأتم أمه الوالهة وأهلها، وطفق الناس يبكون عليها ولها، والظاهر أن هذه الأمور، كانت بإشارة تيمور، وعسكر ذلك الظلوم الكفار، ما كان يخلو عن مثل هذه الشرور والأشرار، ولو كان فاعله من غيرهم، لكن لعلة المصاحبة والمرافقة كان يسير بسيرهم

حكاية

لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيرة، كان مع واحد منهم أسيرة، كشفت أيدي النوائب قناع عصمتها ولطمتها، وعلى يدها بنت لها." (٢)

"ثم أخذت **خنجرا** فوضعته في لبتها، واتكأت عليه بقوتها، فنفذ من قفاها، وأحرقت بنارها كل من رآها، فدفنا في قبر واحد، وأمسى لسان حالهما ينشد

أجارتنا إنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

وصفا لشاه رخ ممالك ما وراء النهر وخراسان، وخوارزم وجرجان، وعراق العجم ومازندران، وقندهار والهند وكرمان، وجميع بلاد العجم إلى حدود أذربيجان، وإلى يومنا هذا أعني سنة أربعين وثمانمائة، ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنه ولطفه والحمد لله رب العالمين، " وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم " " فصل " في صفات تيمور البديعة وما جبل عليه من سجية وطبيعة وكان تيمور طويل النجاد، رفيع

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/٣٢٣

(٢) عجائب المقدور في أخبار تيمور ابن عربشاه ص/٧٩

العماد، ذا قامة شاهقة، كأنه من بقايا العمالقة، عظيم الجبهة والرأس، شديد القوة والبأس، عجيب الكون، أبيض اللون، مشروبا بحمرة، غير مشوب بسمرة، فخيم الأطراف، عريض الأكتاف، غليظ الأصابع،." (١)

"فشعره لليالي ... وفرقه للصباح

وجفنه للنصال ... وقده للرماح

وريقه للزلال ... وثغره للأقاح

فلو رأى قيس دله ... أنساه حسن المدلة

ولو تمعناه عنتر ... سلا محبة عبلة

لي جنة وحرير ... بخده واحمراره

ونضرة وسرور ... بصدغه واخضراره

أعنبر أم عبير ... يجري بخط عذارة

يحار فيه ابن مقلة ... حماه جفن ومقلة

فذا يجرد **خنجر** ... وذا يفوق نبله

من حمرة وبياض ... الاجتماع تولد

في وجنة كالرياض ... جنانها الخال أسود

وبالصحاح المراض ... صان النقي من الخد." (٢)

"ومات عمر -[رضي الله عنه]- مقتولا، طعنه أبو لؤلؤة فيروز - غلام المغيرة بن شعبة - **بخنجر** في خاصرته، وهو في صلاة الصبح في يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة -. قاله معدان بن أبي طلحة وزيد بن أسلم، وتابعهما غير واحد -. إنتهى.

قلت: ودام جريحا، إلى أن توفي، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة، وهو بن أربع - أو خمس - وخمسين سنة؛ [لأن مولده كان بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة] . والأصح أنه مات وهو ابن ثلاث وستين [سنة]- في عمر النبي -[صلى الله عليه وسلم]- وأبي بكر الصديق -[رضي الله عنه]-.

---

(١) عجائب المقدور في أخبار تيمور ابن عربشاه ص/٤٣٧

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٢٧٢/١

وكانت خلافته عشر سنين ونصفا.

ومات عمر ولم يعهد بالخلافة لأحد، وجعلها شورى في ستة من الصحابة العشرة وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد -[رضوان الله عليهم]-.." (١)

"الأنصاري الظفري أخو أبي سعيد الخدري لأمه وقتادة الأكبر، شهد قتادة وقعة بدر، وأصيبت عينه ووقعت على خده في يوم أحد فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فغمز حدقته وردها إلى موضعها فكانت أصح عينيه؛ وفيها توفى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ابن لؤي أبو حفص القرشي العدوي الفاروق، استشهد في يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة وقيل لأربع، وسنه يوم مات نيفت على ستين سنة، وقيل غير ذلك على أقوال كثيرة، ضربه أبو لؤلؤة واسمه فيروز عبد المغيرة بن شعبة **بخنجر** في خاصرته وهو في صلاة الصبح فمات بعد ثلاثة أيام، وتولى الخلافة بعده عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وكانت خلافته عشر سنين ونصف لأنه ولي بعد وفاة أبي بكر الصديق في ثامن جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

قلت: ويضيق هذا المحل عن ذكر شيء من بعض مناقبه وما ورد في حقه من الأحاديث، وقد ذكرنا ذلك في غير هذا المكان.

أمر النيل في هذه السنة، الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعا، مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا.

*** السنة الخامسة من ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر وهي سنة أربع وعشرين من الهجرة- فيها سار منويل الخصي إلى الإسكندرية فسأل أهل مصر عثمان إرسال عمرو بن العاص لقتال منويل المذكور، فجاء إليها عمرو وحارب حتى افتتحها الفتح الثاني في هذه السنة، وقيل: بل كان ذلك في سنة خمس وعشرين وهو الأصح؛ وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ وفيها- في قول سيف- عزل عثمان سعدا عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط." (٢)

"وتوفى الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى الناصرى، نائب طرابلس. مات بها وتولى عوضه منجك اليوسفى الوزير أخو بيبغا أرس، وكان أيتمش وافر الحشمة لين الجانب بعيد الشر قريب الخير، وعنده عقل

---

(١) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ابن تغري بردي ١/ ٥٢

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١/ ٧٨

وسكون ووقار، ولى الحجوبية والوزارة بالديار المصرية، ثم ولى نيابة دمشق مدة سنين، إلى أن قبض عليه وسجن بثغر الإسكندرية، ثم أطلق وولى نيابة طرابلس بعد بكلمش الناصرى فدام على نيابتها إلى أن مات «١» .

وتوفى السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج صاحب الأندلس وما والاها، طعن **بخنجر** فى جبينه فى يوم عيد الفطر، فمات منه وتسلطن بعده ابنه أبو عبد الله محمد بن يوسف «٢» .

وتوفى الأمير سيف الدين إياجى بن عبد الله الناصرى، نائب قلعة دمشق، كان شجاعا مقداما أظهر فى فتنة الأمير بيبغا أرس أمرا عظيما من حفظ قلعة دمشق وقاتل بيبغا أرس قتالا عظيما وقام فى ذلك أتم قيام.

وتوفى الأمير سيف الدين مغلطاى بن عبد الله الناصرى، بطالا فى عاشر شهر رمضان، وكان من أعيان مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخاصكيته وتولى رأس نوبة ثم صار أمير شكار ثم ولى الأمير آخورية الكبرى، ثم أمسك وحبس بعد أمور وقعت له ثم أطلق وأخرج الى الشام بطالا، فدام به إلى أن مات رحمه الله تعالى «٣» .." (١)

"وعند ما انحنى وثب عليه فداويان، ضربه أحدهما **بخنجر** في عنقه وهما يقولان:

غريم السلطان فخر ميتا وتم نهاره ملقى حتى حمله أهله وواروه وكان كبيش على بعد، فقتل الفداوية رجلا آخر يظنوه كبيشا وأقام أمير الحاج لابس السلاح سبعة أيام خوفا من الفتنة، فلم يتحرك أحد، ثم خلع أمير الحاج على الشريف غنان باستقراره أمير مكة عوضا عن محمد المذكور وتسلمها.

ثم في تاسع عشرين ذى الحجة قدمت رسل الحبشة بكتاب ملكهم الحطى واسمه داود بن سيف أرعد ومعهم هدية على [أحد «١» و] عشرين جملا، فيها من طرائف بلادهم، من جملتها قدور قد ملئت حمصا صنع من ذهب إذا رآه الشخص يظنه حمصا وغير ذلك.

ثم في يوم السبت سابع عشر صفر من سنة تسع وثمانين وسبعمائة قدم الأمير ألطنبغا الجوبانى نائب الكرك باستدعاء، فأخلع عليه السلطان باستقراره في نيابة دمشق عوضا عن إشقتمر الماردينى وعزل إشقتمر ولم تكمل ولايته على دمشق عشرة أشهر وأقام ألطنبغا الجوبانى بالقاهرة ثلاثة أيام وسافر في يوم تاسع عشره بعد ما أنعم عليه الملك الظاهر بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم فضة وفرس بسرج ذهب وكنبوش زركش وأرسل إليه الأمير أيتمش بمائة ألف درهم وعدة بقج ثياب واستقر مسفره الأمير قرقماس الظاهرى وخرج الجوبانى

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٠٠/١٠

من مصر بتجمل عظيم.

ثم رسم باستقرار الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك المهمندار في نيابة حماة عوضا عن الأمير سودون العثمانى، واستقر سودون العثمانى على إقطاع محمد بن المهمندار المذكور بحلب.." (١)

"وأقام محبوسا بالبرج إلى ليلة السبت سادس عشر صفر المذكور- دخل عليه ثلاثة نفر [هم] «١» الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك شاه الطازى أخو الخليفة المستعين بالله لأمه، وآخر من ثقات شيخ، وآخر من أصحاب نوروز، ومعهم رجلان من المشاعلية «٢» ، فعند ما رآهم الملك الناصر فرج قام إليهم فزعا، وعرف فيما جاءوا ودافع عن نفسه، وضرب أحد الرجلين بالمدورة صرعه، ثم قام الرجل هو ورفيقه ومشوا عليه وبأيديهم السكاكين، ولا زالوا يضربونه بالسكاكين المذكورة وهو يعاركهم بيديه وليس عنده ما يدفع عن نفسه به حتى صرعاه بعد ما أثخنا جراحه فى خمس مواضع من بدنه، وتقدم إليه بعض صبيان المشاعلية فخنقه وقام عنه، فتحرك الملك الناصر، فعاد إليه وخنقه ثانيا حتى قوى عنده أنه مات، فتحرك، فعاد إليه ثالثا وخنقه، وفرى أو داجه بخنجر كان معه، وسلبه ما عليه من الثياب، ثم سحب برجليه حتى ألقى على مزبلة مرتفعة من الأرض تحت السماء، وهو عارى البدن، يستر عورته وبعض فخذيه سراويله، وعيناه مفتوحتان، والناس تمر به ما بين أمير وفقير ومملوك وحر. قد صرف الله قلوبهم عن دفنه ومواراته. وبقيت الغلمان والعبيد والأوباش تعبث بلحيته وبدنه.

واستمر على المزبلة المذكورة طول نهار السبت المذكور، فلما كان الليل من ليلة الأحد حمله بعض أهل دمشق وغسله وكفنه. ودفنه بمقبرة باب الفراديس»

احتسابا لله تعالى. بموضع يعرف بمرج الدحداح، ولم تكن جنازته مشهودة، ولا عرف من تولى غسله ومواراته.." (٢)

"فوجأه بخنجر واحتوشه «١» الناس فقتلوه، وقطعوه وأحرقوه بالنار، وثارت الفتنة؛ فكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين غير ما أخفى منهم. وتقشر بعض وجه الحجر فى وسطه من تلك الضربات وتخشن. وزعم بعض الحجاج أنه سقط منه ثلاث قطع، وكأنه نقب ثلاثة نقوب، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار؛ وموضع الكسر أسمر يضرب إلى صفرة، محبب مثل الخشخاش. فجمع بنو شيبة ما تفرق منه وعجنوه

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٤٦/١١

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٤٨/١٣

بالمسك، وحشوا تلك المواضع وطلوها بطلاء من اللك «٢» فهو بين لمن تأمله، وهو على حاله الى اليوم» . انتهى.

ثم بعد هذه الواقعة بلغ الظاهر هذا أن السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عظم أمره، فأحب أن يكتب إليه كتابا يدعوه إلى طاعته؛ فكتب إليه وارسل إليه بالخلع، وأن يخطب باسمه بتلك البلاد. وكان أبوه الحاكم بأمر الله أرسل إليه قبل ذلك، فخرق محمود بن سبكتكين كتاب الحاكم وبصق فيه؛ ومات الحاكم وفي قلبه من ذلك أمور، وقد ذكرنا ذلك في ترجمته. فلما علم الظاهر هذا بما كان والده الحاكم عزم عليه من أمر محمود المذكور أخذ هو أيضا في ذلك، وكاتب السلطان محمودا؛ فلم يلتفت محمود لكتابه، وبعث به وبالخلع الى الخليفة القادر العباسى، وتبرأ من الظاهر هذا. فجمع القادر القضاة والأشراف والجند وغيرهم ببغداد، وأخرج الخلع الى باب النوبى، وكانت سبع جبب وفرجية ومركب ذهب، وأضرمت النار وألقيت الثياب فيها، وسبك المركب الذهب، فظهر منه أربعون ألف دينار وخمسائة، وقيل: أخرج منه دراهم هذا العدد؛ فتصدق بها الخليفة القادر على ضعفاء بنى هاشم.

وبلغ الظاهر فقامت قيامته، وانكف عن مكاتبة محمود بعدها.." (١)

"أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا.

*** [ما وقع من الحوادث سنة ٥٠٢]

السنة السابعة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة اثنتين وخمسمائة.

فيها توفى إسماعيل بن إبراهيم بن العباس بن الحسن الشريف أبو الفضل الحسينى الدمشقى المعروف بابن أبى الجن. كان فقيها فاضلا ثقة. ولى قضاء دمشق مدة، وبها توفى.

وفيها توفى ملك المغرب تميم بن المعز بن باديس أبو يحيى صاحب إفريقية، وينتهى نسبه إلى يعرب بن قحطان، قاله السمعانى. ولد سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وعاش ثمانين سنة، وأقام فى الإمرة ستا وأربعين سنة، وخلف مائة ولد لصلبه، قاله صاحب مرآة الزمان؛ قال: لأنه كان مغرى بالجوارى مع اهتمامه بالملك؛ وقيل: إنه مات وله خمسون ولدا. وكان مقامه بالمهدية. وكان عظيم القدر شاعرا جوادا ممدحا. وله ديوان شعر. ومن شعره:

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٥١/٤

[الكامل]

ما بان عذرى فيه حتى عذرا «١» ... ومشى الدجى فى خده فتحيرا

همت تقبله عقارب صدغه ... فأسل ناظره عليها خنجرا

والله لولا أن يقال تغنى «٢» ... وصبا وإن كان التصابى أجدرا

لأعدت تفاح الخدود بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا." (١)

"معاوية) . فأمر الخليفة بكشط الميم ورد القصة؛ فبقيت «الخادم العاوى» .

وكانت وفاته بأصبهان. ومن شعره وأجاد إلى الغاية:

[الطويل]

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى ... أعز وأحداث الزمان تهون

وظل يرينى الخطب كيف اعتداؤه ... وبت أريه الصبر كيف يكون

وفيها توفى الأمير مودود صاحب الموصل. كان قدم الشام لمساعدة الأتابك ظهير الدين طغتكين وكسر الفرنج. وكان مودود هذا يدخل كل جمعة فيصلى بجامع دمشق ويتبرك بمصحف عثمان رضى الله عنه. فدخل على عادته ومعه الأتابك طغتكين يمشى فى خدمته والغلمان حوله بالسيوف مسللة؛ فلما صار فى صحن الجامع وثب عليه رجل لا يؤبه له، وقرب من مودود هذا كأنه يدعو له، وضربه بخنجر أسفل سرته ضربتين، إحداهما نفذت إلى خاصرته، والأخرى إلى فخذه، والسيوف تأخذه من كل ناحية؛ وقطع رأسه ليعرف شخصه فما عرف.

ومات مودود من يومه، وكان صائما فلم يفطر، وقال: والله ما ألقى الله إلا صائما.

وكان من خيار الملوك دينا وشجاعة وخيرا. ولما بلغ السلطان محمدا شاه السلجوقى موته أقطع الموصل والجزيرة لآق سنقر البرسقى، وأمره بتقديم عماد الدين زنكى والرجوع إلى إشارته. وزنكى هذا هو والد الملك العادل نور الدين محمود المعروف بالشهيد، المنشئ «١» لدولة بنى أيوب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع وخمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإصبعان.." (٢)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٩٨/٥

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٠٧/٥

"الحسد وهو – مع ذلك يكابد – ويتجلد ولم يقابل أحدا منهم بنظم ولا نثر ثم رام قطع هذه المادة فأنشأ السفر إلى الحج فحج وزار المدينة النبوية وعاد في البحر فأقام يسيرا وصار يتودد لأكثر من أشير إليهم ثم رجع بعد صلاته على العلم البقليني إلى الحرمين في البحر أيضا وصحبته مبرات لأهلهما فوصل المدينة في رمضان سنة ثمان وستين فأقام بها حتى رجع لمكة صحبة الركب الشامي فحج ثم عاد إليها أيضا فأقام بها إلى نصف شعبان من التي تليها ثم رجع من الينبع لمكة فاستمر بها إلى ربيع الأول سنة سبعين فشهد المولد ثم رجع في البحر إلى المدينة أيضا فأقام بها حتى مات مبطونا في ثالث عشر شوال منها بعد أن تعلل معظم رمضان وصلي عليه في ظهر يومه بالروضة ودفن بالبقيع بين السيد إبراهيم والإمام مالك رضي الله عنهما وغبط بذلك كله وتفرق الناس جهاته وكان رحمه الله فاضلا بارعا ذكيا وجيها حسن المحاضرة والمفاكهة والمعاملة شديد التخيل كثير التحري في الطهارة مديما للضحى والإكثار من الصيام والقيام والتلاوة مع خضوع وخشوع متحرزا في ألفاظه وتحسين عبارته متأنقا في ملبسه ومشيته ومسكنه وخدمه وهيبته عطر الرائحة حسن العمة بهيجا في أموره كلها بارا بكثير من الفقهاء ساعيا في إيصال البر إليهم حسن السفارة لهم ولغيرهم ممن يقصده من جيرانه فمن دونهم مقبول الكلمة خصوصا عند الزيني بن مزهر صاحبه وقد جر إليه خيرا كثيرا وحصل لفقراء الحرمين بواسطته بر وفضل وبالجملة كان في أواخر عمره حسنة من حسنات دهره وممن بالغ في أذيته وتقبيح سيرته وطويته ورميه الدائم بالعظائم البقاعي بحيث قال لي الشيخ شهاب قد عجزت عن استرضائه ليكف كل ذلك لكونه لما بلغه قوله في قصيدته:

وما أنيسي إلا السيف في عنقي

قال: يستحق مع ملاحظة كون الناس استحسنوا قصيدة الشهاب في ختم فتح الباري على قصيدة ذاك وكونه عمل مرثية لشيخنا على روي قصيدته الثقيلة ووزنها فكانت بديعة الانسجام والرقة مع أنه لم يبرزها تحاميا عن الشر إلى ذلك بل كاد مرة أن يقتله فإنه برك عليه في مجلس الإملاء **والخنجر** بيده هذا مع طارحة بينهما فكان جواب البقاعي:

أيا من سما حذقا وحفظا ومقولا

... وكان أياما أحمدا وكذا قسا

معاذ إلهي أن أفرط في الذي ... جعلت لنا بسطا بنظمك أو أنسى

وبين يدي الله تلتقي الخصوم وقد صحبته كثيرا وسمعت من نظمه ونثره ما كتبت منه جملة في المعجم والوفيات وغيرهما وكتبت عنه القصيدة المشار إليها وأودعتها." (١)

"قصيدة صاحب الترجمة في ختم فتح الباري على قصيدته وكونه عمل مرثية لشيخنا على روى قصيدته الثقيلة وزنها فكانت بديعة الانسجام والرقة مع انه لخوفه من شره لم يبرزها إلى غير ذلك بل كاد مرة أن يقتله فإنه برك عليه في مجلس الإملاء **والخنجر** بيده هذا مع مطارحة بينهما فكان جواب البقاعي:

(أيا من سما حذقا وحفظا ومقولا ... فكان إياسا أحمدا وكذا قسا)

(معاذ إلهي أن أفرط في الذي ... جعلت لنابسطا بنظمك أو أنسى)

وبين يدي الله تلتقي الخصوم، وقد صحبته كثيرا وسمعت من نظمه ونثره مما كتبت منه جملة في المعجم والوفيات وغيرهما وكتبت عنه القصيدة المشار إليها وأودعتها في الجواهر بل)

وسمعت أيضا ولكنه لم يسمح لي بكتابتها لما قلت ومن نظمه في مليح منجم:

(لمحبوبي المنجم قلت يوما ... فدتك النفس يا بدر الكمال)

(براني الهجر واكشف عن ضميري ... فهل يوما أرى بدري وفي لي)

أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الصدر أبو البركات بن المجد المكراني الشافعي نزيل مكة وأخو محمد الآتي. / اشتغل في الفقه والعربية والصرف ونحوها يسيرا ولازمني بمكة في المجاورة الثالثة فسمع على كثيرا ومن ذلك مجالس من شرحي للألفية بحثا وكتبت له إجازة وهو ساكن جامد اضطرب في اسم أبيه فقال مرة هكذا ومرة عبد القادر لكونه لا يعرفه إلا بلقبه وكأن إسماعيل أصح.

أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم شهاب الدين أبو العباس بن المجد القاهري الحريري الجوهري القادري الحنفي أحد نوابهم ويعرف بابن إسماعيل. / ولد في سنة خمس وأربعين وثمانمائة والتي بعدها ومات أبوه وهو حمل فلما ترعرع حفظ القرآن والعمدة والقدوري وألفية ابن مالك والجرومية وعرض في سنة ستين فما بعدها على العلم البلقيني وابن الديري والأقصرائي والعز الحنبلي والقرافي آخرين ممن أجازه بل عرض جميع

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي، شمس الدين ١/٩٩

فصول أبقرات في الطب على الصدر السبكي وأماكن منها على الشرف بن الخشاب ،وغيرهما من رؤساء الطب ومهرته ثم أعرض عن تعاطي ذلك وأقبل على الاشتغال فاخذ عن التقي الشمني الفقه والعربية والحديث وجل ذلك بقراءته وكذا عن الأمين الأقصرائي والسيف والكافياجي ولازم الزين قاسما حتى حمل عنه الكثير جدا في الفقه وأصوله والحديث وأوقاف الخصاف وجملة من رسائله وتصانيفه وسمع عليه مختصر مشكل الآثار لابن رشد وكذا اشتدت عنايته." (١)

"الخزائن وتمكن من الأمراء والعساكر ببذله لهم الأموال العظيمة حتى دخلوا في طاعته سيما وفيه رفق وتودد مع حسن سياسة وصدق لهجة وجميل صورة فلما قارب سمرقند تلقاه من بها وهم يبكون وعليهم ثياب الحداد ومعهم التقادم فقبلها منهم ودخلها وجثة جده في تابوت أبنوس بين يديه وجميع الملوك والأمراء مشاة مكشوفة رءوسهم حتى دفنوه وأقاموا عليه العزاء أياما ثم أخذ صاحب الترجمة في تمهيد مملكته، وملك قلوب الرعية بالاحسان واستفحل أمره وجرت حوادث إلى أن مات بالري مسموما في سنة تسع، ونحرت زوجته ساد ملك نفسها **بخنجر** من قفاها فهلكت من ساعتها ودفنا في قبر واحد، ثم قتل والده أميران بعده بقليل، وولي مكانه بير عمر، وطول يوسف بن تغري بردى ترجمته تبعا للمقريزي في عقوده.

٧٤٠ - خليل بن أبي البركات بن موسى صلاح الدين بن سعد الدين ويعرف كسلفه بابن أبي الهول /. أحد كتاب المماليك. مات في رمضان سنة ثلاث وثمانين وهو صاحب الجامع الذي ببركة قرموط، وكان مسجدا قديما فوسعه وعمل فيه خطبة ورتب فيه أرباب وظائف، وحج غير مرة.

٧٤١ - خليل بن أبي بكر بن علي بن عبد الحميد غرس الدين الأندلسي الأصل القاهري الشافعي والد الشمس محمد وأخو عمر / الآتيين ويعرف كسلفه بابن المغربل. نشأ فحفظ القرآن وقطعة من التنبيه ثم اشتغل بالقيام بعياله وتزوج صالحة ابنة النور علي بن السراج بن الملقن وأنجبها ولده المشار إليه وداوم التلاوة والعبادة حتى مات في ثامن عشر رمضان سنة ثمان وثلاثين عن أربع وستين سنة.

خليل بن حسن بك بن علي بك بن قرا يلوك. /

٧٤٢ - خليل بن حسن بن حرز الله / قاضي الفلاحين. كانوا يرجعون إليه في أمور الفلاحة وكان شاهدا ببعض المراكز وقد حضر على الحجار وغيره. مات في جمادى الآخرة سنة إحدى. ذكره شيخنا في أنبائه.

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١/ ٢٣٤

٧٤٣ - خليل بن خضر العجمي. / حديث بالخليل سنة أربع وثمانمائة في جماعة بالمسلسل بالأولية عن الميدومي. رواه لنا عنهم التقي أبو بكر القلقشندي.

٧٤٤ - خليل بن دنكز / أحد الأمراء العشرات. مات في صفر سنة ثلاث. أرخه العيني.

٧٤٥ - خليل بن سبرج بكسر المهملتين بينهما موحدة ساكنة وآخره جيم / وضبطه شيخنا في سنة تسعين من تاريخه بضم أوله وثالثه فيحرر غرس الدين الكمشبغاوي كمشبغا خازندار صرغتمش المالكي كان أبوه نائب قلعة مصر." (١)

"وخمسين وستمائة وتزيا بزي أهل قونية فولد له سليمان فسلك طريق أبيه في خدم القرمانية والسلجوقية وعرف بالشجاعة وتولى بعض الحصون وصارت له أتباع وأعوان كثيرة وخرج عن طاعة المشار إليهم وأخذ في غزو الكفار حتى افتتح عدة حصون وافتتح برصافي حدود الثلاثين وسبعمائة ثم ما يليها وانتشرت عساكره وتزايدت أمواله ومات عن حفيده أردن علي بن عثمان فملك بعده واستفحل أمره وواصل غزو الكفار أيضا وافتتح عدة حصون تلى خليج قسطنطينية فحسده ملوك الروم وخافوا تسلطه عليهم وكانت ممالكهم منقسمة بين جماعة فكان كل يروم قتاله فيكفه أرباب دولته لعلمهم بعدم مقاومته وربما قاتله بعضهم وانهزم غير مرة ولازال ملكه يعظم وجنده يتزايد وهو قائم بنشر العدل في رعيته وبتقريب العلماء والصلحاء إلى أن مات وخلفه ابنه أرخان سالكا طريقته ثم ابنه مراد وكان شجاعا مقداما طوالا أسمر اللون أقنى الأنف ولم يقتصر على ما بيديه بل ركب البحر ولم يركبه أحد من آبائه وغزا ما يقابل كالى بولى فأخذها وهي التي تلى قبلى خليج قسطنطينية ثم أخذ كالى بولى أيضا وفتح أراضي قسطنطينية شيئا بعد شيء وحاصر الفرنج والأفلاق والانكرس وغيرها حتى أذعنوا لحمل الجزية وأخذ في إظهار العدل وجعل سائر الأمور معذوقة بقضاة الشرع واستكثر من العساكر إلى أن انتدب لقتاله بعض ملوك الفرنج وسار لحربه في نحو ثلثمائة ألف فلما التقى الجمعان قصد مراد ملك الفرنج بنفسه وحمل عليه بمن معه إلى أن قبض عليه وصارا يتعالجان على فرسيهما والعسكران يتقابلان فألقى الكافر مرادا عن فرسه ووقع عليه وضربه **بخنجر** كان معه فلم يتمكن منه ثم أخذ يضرب وجهه بما على رأسه من الخوذة حتى أثخن جراحه وأخذت الكافر سيوف أصحاب ابن عثمان فدقته دقا إلى أن تلف وحملوا أميرهم إلى مخيمه وهو يجود بنفسه فأشار بولاية ابنه أبي يزيد صاحب الترجمة من بعده وبإمساك صوجى ابنه الآخر وقتله لأن أمه نصرانية وقد

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٩٤/٣

دخل بلاد الكفر مرارا وتنصر ثم بعد مات بعد نحو عشرين سنه في المملكة واستقر ابنه وقتل الآخر فكان ما أشير إليه من نشر العدل وقد طول المقريزي في عقوده ترجمة أبي يزيد في نحو نصف كراس والله أعلم (أبو يزيد) الأردبيلي شيخ مسجد خان الخليل في محمد بن أحمد بن محمد بن هلال ٤٨٧ (أبو يزيد) من طرباي الأشرفي برسباي رأس نوبة الجمدارية ووالد حافظ الدين محمد وأحمد الماضيين مات في ليلة الثلاثاء ثالث عشرى ذي القعدة." (١)

"بالقمامة وخطب عمر هناك خطبة بليغة١.

وفي هذه السنة سار سعد٢ في جنود عظيمة وخلف الحريم بالعتيق٣ مع جيش كثيف، فجاءبا. . . ٤ فوجد عسكرا من الفرس فهزمهم، ففرقة ذهبت إلى المدائن، وفرقة إلى نهاوند، فسار سعد نحو المدائن فلقوا جمعا آخر فاقتتلوا قتالا شديدا، وبارز أمير الفرس فبرز إليه نائل الأعرجي٥ من شجعان بني تميم، فتجاولا / [٥٨ / ب] بالرماح ثم ألقياها، وتقاتلا بالسيوف ثم تعانقا، وسقطا عن فرسيهما، فوقع أمير الفرس على صدر نائل وأخرج **خنجرا** ليذبحه بها فوقعت أصبعه في فم نائل فقضمها حتى شغله عن نفسه، وألقى **الخنجر** فأخذه فذبحه بها٦.

ثم كانت وقعة بهرسير٧ وقد قاتل سعد في دربها طوائف كثيرة، وكانوا

---

١ ابن كثير: التاريخ ٤/٥٥، ٥٦، ٥٧، والخبر بنحوه في الطبري: التاريخ ٣/٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، من طريق سيف بن عمر.

٢ ابن أبي وقاص.

٣ في الأصل: (العقيق) وهو تحريف. وفي معجم البلدان 4/٨٣: "عتيق الشاجة: قرية بين أذربيجان وبغداد استولت عليها دجلة فخربتها، واسم الموضع معروف إلى الآن ". وفي تاريخ الطبري: (العقيق) .

٤ مطموس في الأصل بمقدار كلمة.

٥ في الأصل: (الأعرج) وهو تحريف. والأعرجي، نسبة للأعرج، وهو الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، قطع رجله غيلان بن مالك بن عمرو تميم. (انظر: جمهرة النسب للكلبي ص ٢٣٤، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٢١) .

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١١/١٤٩

٦ ابن كثير: التاريخ٤/٦١، ٦٢، الطبري: التاريخ٣/٦١٩، ٦٢١من طريق سيف ابن عمر.

٧ في الأصل، وتاريخ ابن كثير: (نهر شير) وهو تصحيف. والمثبت من الطبري، وفي معجم البلدان ١/٥١٥: (بهرسير) من نواحي سواد بغداد قرب المدائن. قال أبو مقرن:

تولى بنو كسرى وغاب نصيرهم ... على بهر سير فاستهد نصيرها

ولما فرغ سعد من القادسية نزل بهر سير ففتحها".." (١)

"تقول: لو أشاء١ لصنعت رحى تطحن بالريح؟ ". فالتفت العبد ساخطا عابسا إلى عمر، ومع عمر رهط، فقال: "لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها"، فلما ولي العبد أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم: "أوعدني العبد آنفا"، فلبث ليالي، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على **خنجر** ذي رأسين نصابه [في] ٢ وسطه، فمكن في زاوية من زوايا المسجد في غلس السحر، فلم يزل هنالك حتى خرج عمر يوقظ الناس٣ للصلاة – صلاة الفجر – وكان عمر يفعل ذلك، فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات، إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاقين٤، وهي التي قتلته، ثم انحاز أيضا على أهل المسجد فطعن من يليه، حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلا، ثم انتحر **بخنجره**.

فقال عمر حين أدركه النزف: "قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس". / [١١٧/ أ] ثم غلب عمر النزف حتى غشي عليه. قال ابن عباس: "فاحتملت عمر في رهط حتى أدخلته بيته، ثم صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف فأنكر الناس صوت عبد الرحمن"، قال ابن عباس: "فلم أزل عند عمر، ولم يزل في غشية واحدة حتى أسفر، فلما أسفر أفاق فنظر في وجوهنا، فقال: "أصلى الناس؟ "، قلت: نعم. قال: "لا إسلام لمن ترك الصلاة"، ثم دعا بوضوء فتوضأ ثم صلى، ثم قال: "اخرج يا ابن عباس فسل٥ من قتلني؟ ". فخرجت حتى فتحت باب الدار فإذا الناس مجتمعون جاهلون بأمر عمر، فقلت: من طعن

---

١ في الأصل: (لو شاء) .

٢ سقط من الأصل.

٣ في الأصل: (اللناس) ، وهو تحريف.

---

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن المبرد ٢/٤٣٨

٤ الصفاق: جلدة رقيقة تحت الجلد الأعلى وفوق اللحم. (النهاية ٣/٣٩) .

٥ في الأصل: (فلي) .." (١)

"العبد آنفا، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على **خنجر** ذي رأسين، نصابه في وسطه، فكمن بزاوية من زوايا المسجد في الغلس١، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة، فلما دنى منه طعنه ثلاث طعنات٢. أخرجه ابن سعد.

وقال عمرو بن ميمون الأنصاري: إن أبا لؤلؤة عبد المغيرة طعن عمر **بخنجر** له رأسان، وطعن معه اثني عشر رجلا مات منهم ستة، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا، فلما اغتم فيه قتل نفسه.

وقال أبو رافع: كان أبو لؤلؤة عبد المغيرة يصنع الأرحاء، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم، فلقى عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي فكلمه، فقال: أحسن إلى مولاك، ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه، فغضب، وقال: يسع الناس كلهم عدله غيري، وأضمر قتله، واتخذ **خنجرا** وشحذه وسمه، وكان عمر يقول: أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر، فجاء فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر، وطعن ثلاثة عشر رجلا معه فمات منهم ستة، وحمل عمر إلى أهله، وكادت الشمس تطلع، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين، وأتي عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين، فسقاه لبنا فخرج من جرحه، فقالوا: لا باس عليك، فقال: إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: كنت، وكنت، فقال: أما والله لوددت أني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي، وأن صحبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سلمت لي، وأثنى عليه ابن عباس فقال: لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من هول المطلع، وقد جعلتها شورى في عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وأمر صهيبا أن يصلي بالناس، وأجل الستة ثلاثا٣. أخرجه الحاكم.

وقال ابن عباس: كان أبو لؤلؤة مجوسيا.

وقال عمرو بن ميمون: قال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، ثم قال لابنه: يا عبد الله انظر ما علي من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوها، فقال: إن وفى مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فاسأل في بني عدي، فإن لم تف أموالهم فاسأل في قريش، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل: يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه، فذهب إليها فقالت: كنت أريده -تعني المكان-

---

(١) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن المبرد ٣/٨٠٩

لنفسي، ولأوثرنه اليوم على نفسي، فأتى عبد الله فقال: قد أذنت، فحمد الله تعالى وقيل له: أوص يا أمير المؤمنين واستخلف، قال: ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو راض عنهم، فسمى الستة، وقال: يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله من

---

١ ظلمة آخر الليل، مختار الصحاح "٤٧٨" غلس.

٢ أخرجه ابن سعد في الطبقات "٢/٢٩٢".

٣ أخرجه الحاكم في المستدرك "٣/٩١".." (١)

"وقال عثمان: أرى مالا كثيرا يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يلتبس الأمر، فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة، يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا، وجندوا جنودا فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وكانوا من نساب قريش، فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا فبدءوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة، فلما نظر فيه عمر قال: ابدءوا بقرابة النبي -صلى الله عليه وسلم- الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله١.

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال: دون عمر الديوان في المحرم سنة عشرين.

وأخرج عن الحسن قال: كتب عمر إلى حذيفة: أن أعطي الناس أعطيتهم وأرزاقهم، فكتب إليه: إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير، فكتب إليه عمر: إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا لآل عمر، اقسمه بينهم.

وأخرج ابن سعد عن جبير بن مطعم قال: بينما عمر واقف على جبل عرفة سمع رجلا يصرخ، ويقول: يا خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسمعه رجل آخر وهم يعتافون فقال: ما لك! فك الله لهواتك؟ فأقبلت على الرجل فصحت عليه، فقال جبير: فإني الغد واقف مع عمر على العقبة يرميها إذ جاءت حصاة عائرة٢ ففتقت رأس عمر فقصدت، فسمعت رجلا من الجبل يقول: أشعرت ورب الكعبة ولا يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبدا، وقال جبير: فإذا هو الذي صرخ فينا بالأمس، فاشتد ذلك علي٣.

---

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي ص/١٠٨

وأخرج عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين إذ صدرنا عن عرفة مررت بالمحصب فسمعت رجلا على راحلته يقول: أين كان عمر أمير المؤمنين؟ فسمعت رجلا آخر يقول: ههنا كان أمير المؤمنين، فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته٤ فقال:

عليك سلام من إمام وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

فلم يتحرك ذلك الركب ولم يدر من هو، فكنا نتحدث أنه من الجن، فقدم عمر من تلك الحجة، فطعن **بالخنجر** فمات٥.

---

١ أخرجه ابن سعد في الطبقات "٢/ ٢٥٣، ٢٥٤".

٢ حصاة عائرة: لا يدري من رماها، النهاية "٣/٣٢٨".

٣ أخرجه ابن سعد في الطبقات "٢/٢٨٤".

٤ أي: رفع صوته بالغناء، قيل: أصله أن رجلا قطعت رجله فكان يرفع المقطوعة على الصحيحة ويصيح من شدة وجعها بأعلى صوته فقيل لكل رافع صوته: رفع عقيرته. النهاية "٣/٢٧٥".

٥ أخرجه ابن سعد في الطبقات "٢/٢٨٣".." (١)

"بيت المقدس. قال ابن كثير: فكان ذلك من أغرب الاتفاقات وأعجبها (١) .

وفي سنة سبع أيضا انفرد المصريون بالحج، ولم يحج أحد من بلاد العراق لفساد الطرقات بالأعراب؛ وكذا في سنة ثمان.

وفي سنة إحدى عشرة وأربعمائة، قال ابن المتوج: عز القوت، ثم هان بعد أراجيف عظيمة. وفي أيام الحاكم، قال ابن فضل الله في المسالك: زلزلت مصر حتى رجفت أرجاؤها، وضجت الأمة لا تعرف كيف جارها، فقال محمد بن قاسم بن عاصم شاعر الحاكم:

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليا ... نجل الهدى وسليل السادة الصلحا

---

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي ص/١١٥

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها ... وإنما رقصت من عدله فرحا

وكانت أيام الحاكم من سنة ست وثمانين وثلثمائة إلى سنة إحدى عشرة وأربعمائة.

وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. قال ابن كثير: جرت كائنة غريبة ومصيبة عظيمة؛ وهي أن رجلا من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء، فلما كان يوم الجمعة، وهو يوم النفر الأول، طاف هذا الرجل بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود، جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات، وقال: إلى متى يعبد هذا الحجر؟! ولا محمد ولا علي يمنعني عما أفعله، فإني أهدم اليوم هذا البيت، فاتقاه أكثر الحاضرين، وتأخروا عنه، وذلك أنه كان رجلا طويلا جسيما، أحمر أشقر، وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن أراده بسوء، فتقدم غليه رجل من أهل اليمن، معه خنجر، وفاجأه بها، وتكاثر عليه الناس فقتلوه، وقطعوه قطعا، وتتبعوا أصحابه، فقتل منهم جماعة ونهب أهل مكة ركب المصريين، وجرت فتنة عظيمة جدا، وسكن الحال، وأما الحجر

---

(١) ١٢: ٥.." (١)

"ونصركم عل الأعداء واورثكم البلاد ومكن لكم في الأرض فلا يكون جزاؤه منكم إلا الشكر وإياكم والعمل بالمعاصي فإن العمل بالمعاصي كفر للنعم وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم ثم نزل وحضرت الصلاة فقال يا بلال ألا تؤذن لنا رحمك الله قال بلال يا أمير المؤمنين والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صل الله عليه وسلم ولكن سأطيعك إذا أمرتني في هذه الصلاة وحدها فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من المسلمين يومئذ أطول بكاء من أبي عبيدة ومعاذ ابن جبل حتى قال لهما عمر حسبكما رحمكما الله فلما قضى صلاته انصرف أمير المؤمنين راجعا إلى المدينة واجتهد فيما هو بصدده من إقامة شعائر الإسلام والنظر في مصالح المسلمين والجهاد في سبيل الله ولم يزل كذلك حتى توفي رضي الله عنه ونفعنا به وجمع بيننا وبينه في دار كرامته إنه ولي الحسنات وغافر السيئات عنه وكرمه وقد حكى المصنفون لفضائل بيت المقدس قصة الفتح من طرق كثيرة بروايات وألفاظ مختلفة فأحسن ما رأيته منها ما نقلته هنا والله الموفق (ذكر وفاة عمر رضي الله عنه) روي أنه خرج لصلاة الصبح في جماعه

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٢٨٤

فضر به أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ــ لما وقف يصلي ــ **بخنجر** برأسين وطعنه ثلاث طعنات إحداهما تحت سرته وهي التي قتلته وطعن اثن عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة ثم نحر نفسه **بخنجره** فمات لعنة الله ولما طعنه أبو لؤلؤة وقع عل الأرض ثم قال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا نعم قال مروه يصل بالناسي وقال لولده عبد الله انظر من الذي." (١)

"يوسف بن الكسار بالحطب، وأراد إحراق حانوت النجارة التي للضارب، فمنعه أهل السوق، فهاش **بخنجره** وأتى إلى علي بن الحبال اللحام بالسويقة المحروقة، ولم يكن له يد في قتل رفيقه، فضربه **بخنجره** في رقبته، فهرب ومات بعد ساعة.

ثم أتى الوالي وختم على حوانيت السويقة المحروقة، ثم ذهب إلى المضروب أولا فمر على أحد زعر الشويكة، فهرب إلى زقاق ينفذ إلى بستان، وفي الزقاق بيت الخواجا ابن الماجوري، فدخل الوالي بجماعته إلى الزقاق، وهجموا على حريم ابن الماجوري، ونهبوا له غالب موجوده، وخرجوا وختموا على باب البستان عجزا عن تحصيل الهارب، وأمر بدفن المقتولين في اليوم المذكور.

ويوسف بن الطيان هو الذي عارض شيخنا محيي الدين النعميي ومعه رفيقه أحمد المعتوه، وفي صبحة يوم الجمعة حادي عشر رمضان من السنة الماضية، وأخذا شاشه، وأرادا إعدامه، فسلمه الله منهما، وهما ورفيقهما الهارب اللحام من حين قتلوا الشريف المذكور قد تجبروا على السرقة والتجني في البساتين، ونهب دواب الناس، والسفر إلى صفد وطرابلس وغيرهما في بيع ما أخذوه، وعرف ذلك أهل الحارات بحيث أنهم صاروا في غنية بعد فقر، وهم في هيئة مجرمة من لبس الأبشات بالكمام الكبار، لتستر البولاد الذي حاملوه خوفا من أعدائهم.

وفي هذه الأيام كثر الكلام عن السلطان الجديد قانصوه الغوري، وأشاعوا عجزه، وكان قد عزم كثير من الناس على الحج، ثم أراد بعضهم ترك ذلك، وتردد بعضهم، وقوي عزم بعضهم، بواسطة قيام نائب الغيبة برد بك تفاح، وإقامته تمرباي القجماسي المشهور بأبي قوره في أمرة الحج، في ثالث عشر شوال.

وفيها غلا القمح إلى قريب كل كيل بثلاثين درهما، والدبس بأكثر من ثلثمائة القنطار؛ وبلغني أن الزرع غير المسقي تلف في جميع البلاد الحورانية.

وفي يوم الاثنين ثاني عشريه خرج الوفد من دمشق إلى الحجاز، وأميرهم تمرباي القجماسي، وخرج معه

---

(١) الأنس الجليل أبو اليمن العليمي ٢٥٨/١

حج كثير من الأروام والحلبيين والدمشقيين وغيرهم.

وفي يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة منها، ورد مرسوم شريف إلى دمشق، بأن الأمراء الذين أطلقوا من حبس القلعة يأتون إلى مصر، وكان قد انضم إليهم جماعة أخر من المنفيين، وقد سالموا وعاطوا بدمشق، وجميعهم بالقلعة؛ وبلغ ما يحتاجون إليه من الشعير في كل يوم." (١)

"والشهاب الرملي، إلى كاتب السر فسلما ثم رجعا، ثم بعد ظهر اليوم ذهب الرملي إلى المحلي، الذي يعضده، فسلم عليه ورجع، ففي الحال جاءه قاصد ابن موسى وأخذه إلى الترسيم.

ثم قبل المغرب أتى القاضي شهاب الدين الحمصي، إلى الشيخ تقي الدين وولده، وجيء بالعشاء فأكلوا؛ ففي أثنائه جاء قاصد ابن موسى وأخذ ولد الشيخ، ولم يتم عشاءه بحضرة والده، وذهب به إلى الترسيم أسوة بالرملي وحطا عند السيد إبراهيم الصلتي، ثم غلظ على الصلتي، ورفع إلى القلعة، وطلب منه عشرة آلاف دينار، وأن المصريين ترجموا قاضي المالكية خير الدين قبل دخوله مصر، ولم يترجموا الشيخ تقي الدين، بل أنكروا عليه في فتواه، في الواقعة الحيطية.

وفي يوم الخميس ثالث عشريه نودي بدمشق، من قبل نائب الغيبة الخزندار، أن على كل حارة جماعة من الزعر، يخرجون مددا لملك الأمراء ببلاد حوران، إلى قتال العرب، وان تكون كلفتهم من مال عرفاء الحارات، لا على الناس؛ فعرضوا يوم السبت خامس عشريه، ثم في يوم الخميس سافروا.

وفي يوم الجمعة مستهل ربيع الأول منها، وهو سلخ حزيران، اشتهر بدمشق بأنه رسم على السيد كمال الدين بن حمزة، وعلى قاضي المالكية بدمشق خير الدين، وأنه لما أحضر على السلطان سأله ما السبب لهذا الاختلاف، فأنطقه الله بشيء كان سببا لنصر المحب الأسلمي، فقال: حظوظ النفس، وضغائن في القلوب؛ فقال السلطان: في هذا الجواب كفاية، فكيف تكون الأحكام الشرعية بالحظوظ والضغائن؟ فجعل ذلك حجة له، بعد أن كان جانبه مترجما، ولا قوة إلا بالله.

وفيها اشتهر أن إبراهيم بن علي بن سبيل، كبير السفارة بدرب الحجاز، توفي بالحبس بمصر، لأنه كان، هو وأبو قورة القجماسي، السبب في تعطيل طريق الحج الشامي، واستمر أبو قورة بالحبس.

وفي يوم الأحد سابع عشره ضرب نائب الغيبة لرجل أزعر من العريم بالمقارع ضربا مبرحا، وأشهره في البلد، وأمر أن لا يحمل أحد خنجرا، وأشهره في البلد، وأمر أن لا يحمل أحد خنجرا؛ ففي تلك الحال أتى

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/١٩٤

شخص في صورة فلاح، وعليه بشت مطيلس، حتى لا يعرف، وقبض عبد القادر يبن قرنبع، ورماه من أعلى المصطبة، وضربه **بالخنجر**، فقتله، ثم هرب، وقيل أنه هو الذي قتل ولده.." (١)

"وفي يوم الاثنين ثامن عشره دخل من مصر إلى دمشق، حاجبها الكبير الجديد، برد بك تفاح، ولم يتلقاه النائب لوجع يده وتلقاه القاضيان المالكي والحنبلي، وبقية أرباب الدولة، ونزل في بيت ابن بيغوت، الذي كان به يخشباي.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره أخبر رجل أتى من مصر، أنه شاهد سودون العجمي مخلوعا عليه بالأمرة الكبرى، في يوم الاثنين سابع عشري ربيع الأول المذكورة قبله.

وفيه كتبت ورقة وأوصلت إلى السيد كمال الدين بن حمزة، بها أمور ابن زريق بن البصروي، زوج بنته من المصرية، وما هو عليه وما أشيع عنه من الفواحش، وكان قد كتب كتابه في ليلة الاثنين تاسع عشر رمضان، سنة خمس عشرة وتسعمائة، على مائتي دينار، وكان وكيل السيد في الإيجاب القاضي برهان الدين الإخنائي، ووكيل الزوج الشيخ بها الدين بن سالم، والشهود يونس بن شعبان، وبركات بن سقط، وأولم لذلك وقرئ له مولد بقراءة ابن البزة.

وفي يوم الأربعاء سابع عشريه أفرج النائب عن جماعة من المحابيس، لأجل عافيته من وجع يده من السقطة من الفرس.

وفي يوم الخميس ثامن عشريه جلس تقي الدين في مجلسه على العادة، ونودي بالزينة بدمشق وفي تاليه يوم الجمعة ركب وصلى بالجامع الأموي على العادة.

وفي يوم الأحد مستهل جمادى الأول منها، سلم شيخنا محيي الدين النعيمي على النائب، شرقي الاصطبل، عقب لعب مماليكه الصغار بالرمح، والخيل الخاص تسير قدامه، فقال له النائب: ما أرخت في أمر الصوفي؟ فقال: ما أرخت من أمره شيئا، فقال: أما سمعت قوله في كتابه إلى السلطان:

السيف **والخنجر** ريحاننا ... أف على النرجس والآس

شرابنا دماء أعدائنا ... وكاسنا جمجمة الراس

فأجيب على لسان السلطان في كتابه بقولة:

العلم والحلم ريحاننا ... والجود والإحسان للناس

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٢٦٧

شمسنا العدل لكل الورى ... مع شدة القوة والباس

شرابنا الذكر وكأس التقى ... أف على جمجمة الراس

وفي يوم الاثنين ثانيه قرئ مرسوم ورد على يد شخص جوخي، كان سافر مع." (١)

"الأمراء الراجعين مع ولد السلطان إلى دمشق، في اصطبل دار السعادة، واتفقوا أيضا على أن ولوا طرابلس، وصفد لشخصين آخرين، وخلع عليهم، ومشوا مع الغزالي إلى دار السعادة، ونادي بالأمان وفتحت أبواب دمشق بعد غلقها، وحرج على الغز أن لا يسافروا إلى مصر، حتى يأتي جواب طومان باي الدوادار الكبير من مصر.

وفي يوم الأحد عاشره وصل أدربش دوادار النائب سيباي، بعد أن كان جزم أهله والناس بقتله، راكبا حمارا مع بعض الفلاحين إلى قارا، وركب منها إلى دمشق فرسا، وفرح به أهله بذلك فرحا شديدا، وأردبش هذا هو ناظر الخاتونية العصمتية، وخلع عليه الغزالي.

وشاع بدمشق أن ملك الروم سليم خان دخل قلعة حلب، وتسلم المال الذي بها، ووزنه، وأرصده، وأقام بالقلعة نائبا له، قيل بحضرة الخليفة والقضاة.

وفي يوم السبت سادس عشره وصل دوادار الغزالي إلى دمشق، بعد أن كان وجهه أستاذه إلى حلب، ليكشف خبر ملك الروم، وأخبر عنه أنه ملك حلب بأمان من أهلها، وكذا قلعتها. وقد كان نائبها تسحب مع العسكر المهزوم، وأنه بالتحقيق أخذ جميع ما فيها من المال، ويقال إنه مائة وثمانية عشر حملا، خلا ما كان فيها قبل ذلك، وملكها لشخص من جهته.

ثم سد أبواب حلب خلا بابين، أحدهما من جهة الروم، والآخر من جهة دمشق؛ وسكن في القلعة، وعلى سور البلد أناس من رماة البندق، أخذ جميع ما فيها من الودائع عند أهلها للمنهزمين، وأحسن إلى فقهائها وفقرائها، ودهخل تحت طاعته نائب حلب خير بك، فأكرمه.

وفي يوم الأحد سابع عشره ولي الغزالي حمص وحماة لشخصين، وتوجه متسلمهما إليهما. وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره شاع بدمشق أن السلطان لم يمت، وأنه وصل إلى مصر ومعه سيباي، وفيه عرض العسكر بالمصطبة.

وفي يوم الأربعاء عشريه عزم أهل ميدان الحصى الغزالي، لوليمة صنعوها له، فذهب إليهم، وصحبته المحب

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٢٨٨

ناظر الجيش. وفي هذه الساعة أتى اثنان ـحمويان إلى غلام مصري، كان أمرهما بالمعروف، فضرباه **بخنجر** بحضرة أهل السويقة المحروقة حتى مات، ثم هربا فعدا خلفهما جماعة فأدرك أحدهما وقتل.

وفي هذا اليوم جاء ابن الحنش إلى المزة، في جماعات من الخيل، حين طلبه الغزالي." (١)

"وفي يوم السبت تاسعه جاء عمر الإسكاف بالعتيبة، المتصوف، إلى عند المحيوي بن العربي بجماعته، وهم معظمون له، فذكر، ثم أخذ يفسر الخواطر على طريقة الشيخ علي بن ميمون، متشبها به، وليته لم يفعل ذلك، فإنه رجل عامي، بخلاف الشيخ علي فإنه عالم عامل. وفيه قتل الزعر شيخ باب الجابية بن قديدار، عند باب داره، غربي مسجد هشام.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره دقت البشائر بدار السعادة، بسب أنه جاء الخبر من عند النائب، بأنه كبس على أمير العرب جفيمان، وهو نازل على معان، فجاءه النذير، ففر هو وأعيان جماعته وحريمهم إلى الجون، فنزل بالبرية، وظفر النائب بضعفة جماعته وبعض جمال وغنم، ثم عزم النائب على الرجوع على الكرك إلى الرملة، فيجلس هناك إلى أن يأتي الحاج، وقد جاءه الخبر مع العربان الطائعة بأنهم بخير، وأنهم مرخصون.

وفي يوم الخميس رابع عشره سافر قاضي البلد للدورة على بلاده، بعد أن زار البـاب الصغير، ولم يزر المحيوي بن العربي كما هو عادة الأروام عد سفرهم، وتوجه على مسجد القصب، وعلى وسطه **خنجر** لطيف وسيف مسقط، وأقام المحيوي بن يونس عوضا عنه في عرض الأوراق، وصهر خير بك نائب مصر، قازان غر الجركسي، في التكلم على العمارة الخنكغارية، مع مشاورة البرهان بن الأخنائي نائبه.

وفي يوم الجمعة ثاني عشريه صلى غائبه بالجامع الأموي على العلامة شس الدين محمد بن النجمي الحنفي، توفي بمكة ولم يخلف بعده فيها مثله علما وعملا. وفي يوم الاثنين خامس عشريه دقت بشائر دمشق، بسبب وصول كتاب من النائب من بيت المقدس، بالتهنئة بسلامة الحاج.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشريه وصل إلى دمشق، ومر علينا بالصالحية، الأمير يوسف سنان الرومي، جاء متكلما على البلاد البقاعية، وما انضاف عليها، عوضا عن حسن باك، ومعه نحو المائة رمح، وقدامه نحو العشرين بندقانيا، ولا قاه الأمير إسماعيل بن الأكرم، والأمـير أبو بكر بن طالوا، ونزل بالمرجة.

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٣٣٥

وفي يوم الأربعاء سابع عشريه وصلت كتب الحاج، وفيها أن هذه الحجة كانت طيبة لحصول الرخص والأمان بالطريق ومكة المشرفة، وأن الوقفة كانت يوم الجمعة، ولكن كان في الجمال رائحة.." (١)

"اللباس غير مكترث بمداراة الناس يقول الحق ويعمل به راجيا للثواب من ربه وقد ذهب عمره بالتجرد والانفراد ولم يقيد نفسه بقيودالاهل والاولاد وكان رحمه الله نافذ الكلام صاحب القبول التام موقرا عند الملوك والوزراء مقبولا لدى الحكام والامراء بحيث لا يرد له كلام ولا يفوته مرام ولا يعوزه مطلوب سبحان من سخر له القلوب

ومنهم المولى شمس الدين احمد ابن الشيخ مصلح الدين المشتهر بمعلم زاده

كان الشيخ مصلح الدين المزبور من المشايخ المقبولة في الدولة العثمانية على ما ذكر مفصلا في الشقائق النعمانية ينتهي نسبه الى قطب العارفين وقدوة الواصلين العمدة المفخم الشيخ إبراهيم بن ادهم قرأ رحمه الله في اوان طلبه على المولى سعد بن عيسى بن امير خان ثم صار معيدا لدرس المولى محيي الدين المشتهر بداية وهو مدرس باحدى المدارس الثمان وكان له عنده رتبة جليلة ومنزلة جزيلة يحكى انه مرض وهو يسكن في بعض الحجرات فعاده المولى المرحوم فيها ثلاث مرات ولما صار ملازما منه درس اولا بمدرسة بايزيد باشا بمدينة بروسه بعشرين ثم بمدرسة واجد باشا بكوتاهيه بخمسة وعشرين ثم بمدرسة القاضي الاسود بتره بثلاثين ثم بالمدرسة **الخنجرية** في بروسه باربعين ثم بالمدرسة المشهورة بمناستر في المدينة المسفورة بخمسين ثم نقل الى مدرسة رودس بالوظيفة المزبورة ثم عاد الى مغنيسا بسبعين ثم قلد قضاء حلب ثم نقل الى قضاء بروسه ثم صار قاضيا بالعسكر في ولاية اناطولي وبقي فيه عدة اشهر فنقل الى قضاء العسكر في ولاية روم ايلي ودام فيه خمس سنين كان بينه وبين عطاء الله معلم السلطان مصاهرة واتصال فحصل له بسببه شوكة العظمة والاقبال فنال ما نال من الامتعة والاموال ولم يقدر احد على المعارضة والسؤال الى ان اشرف المولى عطاء الله جلبي على الموت والانتقال فتحرك عداه واغتنموا الفرصة على اذاه ودب عقاربهم وقام." (٢)

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٣٨٩

(٢) الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه طاشكبري زاده ص/٤٢٥

"وممن تشرفت بنظمه هذه القلادة المولى علي بن عبد العزيز المشتهر بأم الولد زاده

كان ابوه قد تولى قضاء حلب في الدولة العثمانية على ما هو المذكور في الشقائق النعمانية نشأ رحمه الله متأنقا في رياض المعارف والعلوم ومتدرجا في معارج المنثور والمنظوم فاقتطف من ازاهيرها ابهاها واجتنى من ثمارها الذها واحلاها وسقته شآبيب العلوم زلالها ومدت دوحة المعارف عليه ظلالها وجدد من مباني العلوم ما خلق ودرس وشيد قواعد البيان وأسس ولما صار ملازما من المولى محيي الدين الفناري درس بمدرسة بايزيد باشا في مدينة بروسه بخمسة وعشرين ثم بمدرسة والده بقسطنطينية بثلاثين ثم بمدرسة هراز غراد باربعين ثم بالمدرسة **الخنجرية** في بروسه بخمسة وأربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم انفصل وبقي في شدائد العزل عدة سنين وجرعه الدهر الغشوم بكاسات الغموم والهموم وألبسه ملابس الذل والهوان حتى اضطره الى مضايق الامتحان ونعما قيل ... لا تنكري يا عز ان ذل الفتى ... ذو الاصل واستعلى لئيم المحتد
ان البزاة رؤوسهن عواطل ... والتاج معقود برأس الهدهد ...

ثم قلد مدرسة ابي ايوب الانصاري عليه رحمة الباري ثم نقل الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان ثم قلد قضاء حلب فباشره بالعفة والامانة والنزاهة والديانة وقبل ان يقضي منه الوطر غاض منهل عيشه وتكدر ومات بعد عدة اشهر ولم يكمل سنة في شهر محرم سنة احدى وثمانين وتسعمائة كان رحمه الله عالما اديبا وفاضلا لبيبا مبرزا في ميدان الفضل والبراعة حائزا قصبات السبق في مضمار هذه الصناعة حمل الوية العلم والادب بأيدي الهمة والطلب فملك تخوم اسرار كلام العرب وقلد جيد الزمان بخرائد بدائع البيان وقد اثبت من هذه الخرائد ما يزين به صدور الصحف والجرائد في رسالته القلمية يسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه." (١)

"بقسطنطينية في المدرسة الخاتونية بعشرين ثم مدرسة الامير بخمسة وعشرين ثم مدرسة بنت السلطان بايزيد خان المعروف **بخنجرلي** بثلاثين ثم مدرسة يلدرم خان عليه الرحمة والغفران بأربعين الكل في مدينة بروسه ثم مدرسة علي باشا الجديدة ثم نقل الى احدى المدرستين المتجاورتين بأدرنه ثم نقل الى احدى

---

(١) الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه طاشكبري زاده ص/٤٣٠

المدارس الثمان ثم نقل الى مدرسة السلطان سليم خان العتيقة ثم الى مدرسة السلطان سليم خان الجديدة توفي مدرسا بها في اول الربيع الاخر سنة تسع وثمانين وتسعمائة كان المرحوم مشاركا في العلوم حديد الذهن قوي المناظرة واسع التقرير كثير التلطف عاريا عن التكلف في الطعام واللباس ومعاملة الناس محبا للصلحاء مترددا الى مجالسهم اللطيفة ومستمدا من انفاسهم الشريفة غير انه كثير الاقتحام في مصالح الفئام باذلا عرضه الخطير في الامر الحقير عامله الله بلطفه الكثير

ومن المخاديم الاعيان وخلص ابناء العصر والاوان محمد بن المولى سنان

ولد رحمه الله وآثار النجابة في مطالع شمائله ظاهرة وانوار المجد والشرف في طوالع مخايله باهرة ونشأ في روضة المعارف مقتطفا من ازهارها ودوحة العلوم واللطائف مجتنيا من ثمارها حتى استأهل الحضور في مجالس الفحول والصدور فقرا مدة على ابيه وحصل عنده ما يعنيه ثم عكف على التحصيل والاستفادة من المولى احمد المعروف بقاري زاده وبعدبرهة من الزمان صار ملازما من المولى مصلح الدين الشهير ببستان ثم درس بمدرسة داود باشا بأربعين ثم صار وظيفته فيها خمسين ثم نقل الى المدرسة المعروفة بخانقاه ثم الى المدرسة الخاصكية ثم الى احدى المدارس الثمان ثم الى مدرسة السلطان محمد بن السلطان سليمان خان ثم الى احدى المدارس السليمانية ومات فيها في آخر الربيعين سنة سبع وثمانين وتسعمائة كان رحمه الله مخدوما عظيم الشان باهر البرهان من حدة ذهنه وصفاء فطنته وفرط ذكائه ونقاء قريحته ,قوة بحثه وحسن تقريره وتحرير المعضل وتصويره مع الاتساع وطول الباع في العلوم المتداولة كتب رحمه الله." (١)

"أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، نفعنا الله ببركاته، في أهل تلمسان المحصورين فلم يقبل شفاعتهم، فقال الشيخ سيدي أبو زيد كلاما معناه: إن سعادة يقضي هذا، ورجع الشيخ إلى فاس، فاتفق هذا العبد كان مع السلطان في الحمام، وكان له عليه حقد، فانتهز فيه الفرصة ووجأه **بخنجر**، فكان في ذلك حتفه، فنفس الله أهل تلمسان بعد حصارها نحو العشر سنين.

ولما وصل الخبر إلى سيدي أبي زيد بموت السلطان قال: وعبد الرحمن يموت، يعني نفسه؛ و " يموت ": بتشديد الميم، على لغة البربر؛ فتوفي رحمه الله ودفن بمسجد الصابرين، وقبره مشهور مقصود الإجابة، نفعنا الله به، وقد زرته مرارا لا أحصيها، ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله.

وقد أشار أبو عبد الله بن خميس في هذه القصيدة إلى ذلك الحصار وكان من الاتفاق الغريب، سرعة وقوع

---

(١) الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه طاشكبري زاده ص/٤٩٣

ما تمناه أبن خميس هذه من الخبر، بعد طول المحنة، واشتداد البلاء، ولم يتأخر ذلك عن تاريخ القصيدة غير أربعة أشهر.

ونص القصيدة:

سل الريح لم تسعد السفن أنواء ... فعند صباها من تلمسان أنباء." (١)

"اذهب زائرا إلى سيدي أبي العون، وقل له: أخوك فلان يسلم عليك، ولم يزد على ذلك، وقال له: انظر أول شيء يضيفك به، فأخبرني عنه إذا رجعت، فذهب المريد إلى الشيخ أبي العون، فأول شيء أقراه به قلقاس مطبوخ، ثم لما انقضت زيارته وأراد الرجوع إلى شيخه، قال له الشيخ أبو العون: إذا سألك شيخك عن أول طعام أكلته عندنا فقل له: قلقاس، فكان ذلك بداع كشف سيدي أبي العون، ولطائف إشاراته.

وحكي أن بعض الفقهاء ارتحل إلى الشيخ أبي العون يقصد الزيارة، فلما دخل على الشيخ أبي العون رأى ي جماعته الغث والسمين، والبر والفاجر، فقال في نفسه: لا ينبغي أن يكون أصحاب الشيخ كلهم إلا أخيارا، ولا يليق بصحبته مثل هؤلاء الأشرار، أو نحو هذا الكلام، فما استتم هذا الخاطر حتى قال له الشيخ أبو العون: يا أخي إن الشيخ عبد القادر الجيلاني – رضي الله تعالى عنه –كان في جماعته البر والفاجر، فأما الأبرار، فكانوا يزدادون به برا، وأما الأشرار، فكان الله يصلحهم بصحبته، فعرف الفقيه أن الشيخ كاشفه بخاطره، فاستغفر الله تعالى، واعتذر من الشيخ، ومن تصرفات الشيخ أبي العون في الوجود ما حكاه الشيخ موسى الكناوي رحمه الله تعالى، وهو أن امرأة من أهل حلب خرجت من الحمام في جماعة من النسوة، فاحتملها رجل من الجند من جماعة نائب حلب، وأراد أن يذهب بها إلى الفاحشة، وعجز الناس عن خلاصها، فجاء رجل يقال له: قاسم بن زنزل بزائين مفتوحتين بينهما نون ساكنة، وكان من أهل الشجاعة والزعارة، فضرب الجندي ليستخلص منه المرأة، فقضى عليه، فمضى قاسم لوجهه هاربا، ثم لما أصبح عاد إلى المدينة، ودخل الحمام، فلما أحس به نائب حلب بعث في طلبه جماعة، فدخلوا عليه الحمام، فقال لقيم الحمام: أعطني سراويلي وخنجري، فخرج عليهم، فتفرقوا عنه، فهرب منهم، ووثب إلى بستان هناك، واستغاث بأبي العون الغزي، وكان قد رأى الشيخ أبا العون قبل ذلك واعتقده، فحماه الله تعالى منهم ببركة الشيخ أبي العون، فاستمر على وجهه على طريق الساحل حتى دخل جلجوليا فدخل على الشيخ أبي العون ودخل تحت ذيله، فدعا له الشيخ وكاشفه بما وقع، وقال له: كيف تقتل مملوك السلطان؟ فاعتذر بما فعله

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢/٣٣٦

الجندي، فقال له: لك الأمان، ثم كتب الشيخ له كتابا إلى نائب دمشق قانصوه اليحياوي، وكتابا إلى نائب حلب، وقال له: اسق الماء واترك الزعارة، قال: نعم، ثم لما كتب له الكتاب إلى نائب حلب قال: يا سيدي أخاف أن لا يقبل ويقتلني، وكان في المجلس إذ ذاك الشيخ نعمة الصفدي فمد يده، وقال له: إن كلمك أقلع عينه بيدي، فأمسك أبو العون على يد الشيخ نعمة قبل أن يتم رفع يديه، وقال له: لو مكنته من رفع يده لقلع عينه، ثم ذهب قاسم إلى دمشق بكتاب الشيخ أبي العون إلى اليحياوي فأكرمه ودفع إليه نحو مائة درهم لكرامة الشيخ، ثم كتب إلى نانب حلب بإكرامه والعفو ءنه لأجل." (١)

"قاصدا يقال له: الأمير مغلباي الدوادار، فلما وصل إليه قبض عليه حتى وصل إليه قاصداه، فحلق لحيته، وأخذ جميع ما كان معه من متاع، وقال له: قل لأستاذك هذا خارجي وأنت مثله، وأنا أقاتلك قبله، والميعاد بيننا وبينك في مرج دابق، ثم سافر خلفه، وصار يأخذ كل بلد يدخله من أعمال ملك الغوري، فلما بلغ الغوري ذلك من قاصده ومن غيره خرج من حلب في نحو ثلاثين ألفا، وترك ولده في قلعتها، وكان خروجه منها يوم الثلاثاء عشري رجب بعد إقامته بها شهرين، وقد كان الغوري في أول الأمر مصمما على مباينة شاه إسماعيل حتى وقع في قلبه رعبه بسبب أن شاه إسماعيل كان قد قتل صاحب هراة، وولده قبرخان، فبعث

برأس الأب إلى ملك الروم السلطان سليم، وبرأس الابن إلى الغوري، وكتب إلى الأول رسالة مطلعها: برأس الأب إلى ملك الروم السلطان سليم، وبرأس الابن إلى الغوري، وكتب إلى الأول رسالة مطلعها:

نحن أناس قدغدا شأننا ... حب علي أبي طالب

يعيبنا الناس على حبه ... فلعنة الله على العائب

وكتب إلى الثاني رسالة مطلعها:

السيف والخنجر ريحاننا ... أف على النرجس والآس

وشربنا من دم أعدائنا ... وكأسنا جمجمة الرأس

فرد عليه الأول بهذين البيتين:

ما عيبكم هذا، ولكنه ... بغض الذي لقب بالصاحب

وكذبكم عنه وعن بنته ... فلعنة الله على الكاذب

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ٧٦/١

ورد عليه الثاني بمقاطيع منها قول شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف:

السيف **والخنجر** قد قصرا ... عن عزمنا في شدة الباس

لو لم ينازع حلمنا بأسنا ... أفنيت سلطا سائر الناس

فكانت هذه القصة محركة للسلطان سليم خان - رحمه الله تعالى - إلى السفر إلى قتال شاه إسماعيل، وشجعته السنة عليه، وأنهضه حب الشيخين إليه، وأما الغوري فوقع رعبها في قلبه حتى قرب رجلا أعجميا بسبب ذلك، وكان الأعجمي ينسج المودة في الباطن بينه وبين شاه إسماعيل حتى أخرجه من مصر قاصدا للإصلاح بينه وبين السلطان سليم، فلما كان مبطنا مودته لأهل البدعة رد الله تعالى كيده في نحره، وسلط عليه ملك الروم، فتوجه إليه السلطان سليم خلفه قاصده، وخرج الغوري إليه من حلب في التاريخ المذكور، فوصل." (١)

"وذهبت في سبيلها، ومضى لوجهه هاربا، فدخل الحمام فكبسه الجند وهو في الحمام، فقال للحمامي: إئتني بلباسي **وخنجري**، فخرج عليهم وتفرقوا عنه وطاح إلى بستان هناك واستغاث بأبي العون الغزي، وكان قاسم قد اجتمع بأبي العون قبل ذلك وشاهد بركاته، فحماه الله تعالى منهم ببركته، واستمر على وجهه على طريق الساحل إلى جلجوليا، فدخل على الشيخ فكاشفه الشيخ بما وقع وقال له: كيف تقتل مملوك السلطان، فاعتذر بما فعله الجندي ودخل تحت ذيل الشيخ فقال له: الشيخ: لك الأمان وكتب له كتابا إلى نائب دمشق قانصوه اليحياوي، وكتابا إلى نائب حلب. وقال له الشيخ: إسق الماء واترك الزعارة، فأكرمه قانصوه اليحياوي وأعطاه ألف درهم إكراما للشيخ أبي العون، وكتب به كتابا إلى نائب حلب يأمره فيه بإكرامه، وعدم التعرض له مما يؤذيه لأجل خاطر الشيخ أبي العون، وحذره من تكدير خاطر الشيخ عليه، فقدم قاسم على نائب حلب فأكرمه، وعفا عنه ببركة الشيخ واستمر قاسم في يومئذ يسقي الماء بيده في شربتين، ولزم طور الفقراء، وترك ما كان عليه من أطوار الشطار والزعار. قال ابن الحنبلي: توفي الشيخ قاسم في أواخر سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة.

قاسم بن عبد الكريم الفاسي

قاسم بن عبد الكريم المغربي الفاسي الأوراسي، كان أبوه بوابا بخان الليمون بدمشق، وكان هو من أتباع

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ٢٩٧/١

القاضي ولي الدين الفرفور، ثم قدم حلب فراش بها، وتزوج بها فاطمة بنت كاتب الأسرار المحب بن أجا بعد وفاة أبيها، واستولى على أموالها، وأوقاف أبيها وأبيه وجدها لأبيها الفخر عثمان بن غلبك فكثر ماله واتسعت دائرته، وقوي جأشه، وزاحم في المناصب الجليلة، وتولى نظر جامع حلب، وخالط أركان الدولة، ولم تسعه حلب فذهب إلى القاهرة، وتولى فيها نظر الأوقاف في سنة أربعين أو قبلها بمعونة الأمير جانم الحمزاوي ثم قيل أنه هو الذي دبر مع سليمان باشا تدبير قتل الأمير جانم، وولده الأمير يوسف، وشاع ظلمه بالقاهرة على ما ذكره ابن الحنبلي في تاريخه، وكان يرى السحر وقيل فيه:

قاسم الأسود أفعى ... قاء سما للعباد

كل من قد ذاق منه ... عاد منه كالرماد

ثم جاء عليه التفتيش في آخر عمره، وفتش عليه بالقاهرة، ثم شنق على باب زويله بعد أن رجمه الناس بما وجدوه من حجر أو مدر حين أخرج من الحبس، إلى موضع شنقه، وكان ذلك في سنة سبع وأربعين وتسعمائة.." (١)

"سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

فيها تقدم بعض الباطنية من المصريين، فضرب الحجر الأسود بدبوس ثلاث مرات، وقال: إلى متى يعبد [هذا] الحجر، ولا محمد ولا علي، أفيمنعني محمد مما أفعله، فإني اليوم أهدم [أكثر] هذه البيت، فاتقاه أكثر الحاضرين، وكاد [أن] يفلت، وكان أحمر أشقر جسيما طويلا، وكان على باب المسجد عشرة فوارس ينصرونه، فاحتسب رجل فوجأه [١] **بخنجر**، ثم تكاثوا عليه، فهلك وأحرق، وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته، واختبط الوفد، ومال الناس على ركب المصريين بالنهب، وتخشن وجه الحجر، وتساقط منه شظايا يسيرة، وتشقق، وظهر مكسورة [٢] أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل حب الخشخاش، فعجن الفتات بالمسك واللك [٣] وحشيت الشقوق وطليت، فهو يبين لمن تأمله.

وفيها توفي بشيراز، سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة الديلمي [٤] ، صاحب العراق وفارس، ولي السلطنة بعد

---

[١] جاء في «لسان العرب» (وجأ) : الوجء: اللكز، وجأه باليد والسكين: ضربه.

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ٢/٢٣٩

[٢] في «العبر» : «مكسرة» .

[٣] اللك: بالفتح شيء أحمر يصبغ به. انظر «مختار الصحاح» (لكك) .

[٤] انظر «العبر» (٣/ ١١٣) .." (١)

"السنة فمات بحمص في رابع شوال ورثاه حجاج بن عيسى بقوله:

لهفي على قاضي القضاة محمد ... إلف العلوم الفارس الركراكي

قد كان رأسا في القضا فلأجل ذا ... أسفت عليه عصابة الأتراك

ولما سمع شيخنا سراج الدين بموته قال: لله در عقارب حمص، وكانت هذه تعد من [١] نوادر شيخنا، إلى أن وجد في «ربيع الأبرار» أن أرض حمص [٢] لا تعيش فيها عقارب [٢] وإن أدخل فيها عقرب غريبة [٣] ماتت من ساعتها.

وفيها مراد بن أورخان ثالث ملوك بني عثمان [٤] .

ولي السلطنة بعد موت أبيه سنة إحدى وستين [٥] وسبعمائة، وكان شديد البطش والفتك في الكفار، وافتتح كثيرا من البلاد منها أدرنة، ولما ضاق الكفار به ذرعا أظهر واحد من ملوكهم الطاعة له، وقدم ليقبل يده فضرب السلطان **بخنجر** كان بيده، فاستشهد رحمه الله تعالى.

وفيها شرف الدين موسى بن عمر [بن منصور] [٦] اللوبياني الشامي [٧] .

ولد بعد سنة عشرين، وسمع من الحجار، وكان فقيها نبيها، أذن له ابن النقيب في الإفتاء، وكان يدرس ويفتي ويرتزق من الشهادة.

توفي في ربيع الأول.

---

[١] رواية «ط» : «في» .

[٢] رواية «ط» : «لا يعيش فيها عقرب» .

[٣] في «ط» : «غريب» .

[٤] انظر «تاريخ الدولة العلية العثمانية» ص (١٢٩- ١٣٦) بتحقيق الدكتور إحسان حقي، طبع دار النفائس.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦٩/٥

[٥] لفظة «وستين» سقطت من «آ» .

[٦] ما بين الحاصرتين سقط من «آ» .

[٧] انظر «إنباء الغمر» (٣/ ١٠٣) .." (١)

"الأفعال تأباها البهائم وتفر إلى الحياة خوفا من الموت ذكر هذا أبو الفتح أحمد بن المطرف في كتاب الترتيب فلت ورأيت في مروج الذهب ما نصه الهند تعذب أنفسها بالنار وقد تيقنت أن ما ينالها من النعم في المستقبل مؤجلا هو ما أسلفته وعذبت به أنفسها في هذه الدار معجلا ومنهم من يسير إلى الملك فيستأذنه في إحراقه نفسه ثم يدار به في الأسواق وقد أججت له نار عظيمة وقد وكل بها ناس لإيقادها فيسير في الأسواق والشوارع قدامه الطبول والصنوج وعلى بدنه أنواع من الحرير قد مزقها على جسده وحوله إخوته وأهله وقرابته وعلى رأسه إكليل من الريحان وقد قشر جلدة رأسه العليا وقد وضع مكانها الجمر وقد عمل عليه الكبريت والسندروس فيسير وهامته تحترق وروائح دماغه تفوح وهو يتبختر ويمضغ التنبل وحب الفوفل إلى أن ينتهي على تلك الحالة إلى النار وقد صارت كالتل العظيم قال ولقد حضرت ببلاد من الهند يقال لها صيمور فرأيت فتى من فتيانهم وقد طيف به على ما ذكرنا فلما دنا من النار أخذ **الخنجر** فوضعه على فؤاده فشقه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم قم قطعها **بالخنجر** ودفعها إلى بعض إخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم أهوى بنفسه في النار فسبحان مقسم العقول لا إله غيره أقول ذكرت بقول المسعودي الهند تعذب أنفسها إلى آخر ما ذكره قول القاضي ناصح الدين أبي بكر أحمد بن الأرجاني قاضي تستر الشاعر المشهور في وصف الشمعة حيث يقول // (من البسيط) //

(صفراء هندية في اللون إن نعتت ... والقد والدين إن أتممت تشبيها)

(فالهند تقتل بالنيران أنفسها ... وعندها أنها إذ ذاك تحييها)

وهذان البيتان له من قصيدة يمدح بها قاضي القضاة بفارس طاهر بن محمد صدرها بوصف الشمعة بما لم يسبق إلى مثله في سالف الأعصار ولم يشق له إلى غابر الزمن غبار وهي طويلة مشهورة." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٥٦٧/٨

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١٥٦/١

"بن حرب فيقتلاه ففطن لذلك وهرب وسبب ذلك أن أبا سفيان أرسل إلى النبي
من يقتله غدرا فأقبل الرسول ومعه **خنجر** ليغتاله فلما رآه النبي
قال إن هذا ليريد غدرا فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره فإذا **بالخنجر** فسقط في يده فقال
اصدقني ما أنت قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بخبره فخلى عنه
وبعث عمرو بن أمية ومعه سلمة بن أسلم ويقال جبار بن صخر إلى أبي سفيان وقال إن أصبتما منه غرة فاقتلاه ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان فأخبر قريشا بمكانه فخافوا وطلبوه وكان فاتكا في الجاهلية فحشد له أهل مكة وتجمعوا فهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التميمي فقتله وقتل آخر ولقي رسولين لقريش بعثا يتجسسان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله
وهو عليه الصلاة والسلام يضحك." (١)
"رسول الله
وهو عنهم راض عثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وقال الزهري كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو عامله على الكوفة يذكر له أن عنده غلاما عنده صنائع ويستأذنه أن يدخل المدينة ويقول إن عنده أعمالا كثيرة يحسنها فيها منافع للناس إنه حداد نقاش حجار فأذن له أن يرسل به وضرب عليه المغيرة بن شعبة مائة درهم في الشهر فجاء إلى عمر فشكا كثرة الخراج عليه فقال له عمر ما خراجك بكثير وأنت تحسن هذه الصنائع فانصرف ساخطا يتذمر ويقول وسع عدل عمر العالمين غيري فمكث عمر ليال ثم دعاه فقال له ألم أخبر أنك لو تشاء لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت إلى عمر عابسا وقال لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى قال عمر لأصحابه توعدني العبد آنفا ثم اشتمل العبد واسمه فيروز وكنيته أبو لؤلؤة على **خنجر** ذي رأسين فقبضه في وسطه فكمن له في زاوية من زوايا المسجد في الغلس وكان عمر يقول للناس حال القيام للصلاة أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر فجاء هذا الغلام المجوسي فيروز أبو لؤلؤة وقام حذاءه في الصف فلما كبر عمر للصلاة ضربه بين كتفيه وفي خاصرته فسقط قال عمرو بن ميمون إني لقائم في الصلاة وما بيني وبين عمر إلا ابن عباس فما هو إلا أن كبر بعد أن ضرب فسمعته رضي الله عنه يقول قتلني الكلب وطار العلج لا

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢/٩١٢

يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة أو تسعة فطرح رجل عليه برنسا وضمه فلما علم عدو الله أنه مأخوذ نحر نفسه ثم قال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي على يد أحد يدعي الإسلام." (١)

"منزلي إلا جنازة فبلغني عنك فخرجت أدب إليك قال أشعب فنظر إلي سالم ثم قال لي أشعب قلت أشعب قال ألم تكن عندي آنفا قلت ومن أين أكون عندك جعلني الله فداك وأنا أموت فجعل سالم يمسح عينيه ثم يقول ألم تأكل الهريس آنفا عندي فأقول هل بي آكل جعلني الله فداك مع العلة قال لا حول ولا قوة إلا بالله يا أشعب إني لأرى الشيطان يتمثل على صورتك وما أرى مجالستك تحل قال أشعب وفطن بي عبد الله بن عمرو فقال لى يا أشعب أتخدع خالي اصدقني خبرك قال قلت بالأمان قال بالأمان فحدثته حديثي فضحك ضحكا شديدا طويلا انتهى والحديث شجون يجر الفن منه إلى فنون والثانى من أولاده الذكور رضي الله عنه عبد الرحمن الأكبر شقيقه أمهما زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون الجمحي والثالث زيد الأكبر أمه أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله

رمي بحجر فمات وقد تقدم ذكره عند ذكر أمه أم كلثوم هذه رضي اللہ عنها والرابع عاصم أمه أم كلثوم جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح حمى الدبر وهي التي كان اسمها عاصية فسماها عمر جميلة فذهبت إلى النبى

ليغير لها اسمها فسماها كما سماها عمر جميلة وقد تقدم ذكر ذلك والخامس زيد الأصغر والسادس عبيد الله أمهما مليكة بنت جرول الخزاعية كان عبيد الله شديد البطش ولما قتل عمر قتل الهرمزان وقتل جفينة وهو رجل نصرانى وقتل ابنة صغيرة لأبى لؤلؤة فأخذ عثمان عبيد الله ليقتص منه فاعتذر بأن عبد الرحمن بن أبي بكر أخبره أنه رأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة وهو الرجل النصراني من أهل الحيرة يدخلون يتشاورون وبينهم خنجر له رأسان مقبضه في وسطه فقتل عمر صبيحة تلك الليلة فاستدعى عثمان عبد الرحمن بن أبي بكر فسأله فقال انظروا إلى السكين فإن كانت ذات طرفين فما أرى القوم إلا قد." (٢)

"(إذا ما احترزت سفاه السفيه ... علي فإني لا أسفه)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٥٠١/٢

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٥٠٨/٢

(فكم من فتى يعجب الناظرين ... له ألسن وله أوجه)

(ينام إذا حضر المكرمات ... وعند الدناءة يستنبه)

وأما خطبه ومواعظه ووصاياه فإنها لا تحصى وأدناها لا يستقصي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وكرم وجهه ومن والاه آمين

(خلافة أمير المؤمنين أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما)

قال الحافظ الذهبي في تاريخه دول الإسلام قال جرير بن حازم بايع أهل الكوفة الحسن بن علي بعد أبيه وأحبوه أكثر من أبيه ثم سار حتى نزل بالمدائن وبعث قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفا فبينما الحسن بالمدائن إذ نادى مناد ألا إن قيسا قد قتل فاختبط الناس وانتهبت الغوغاء سرادق الحسن حتى نازعوه بساطه تحته وطعنه رجل من الخوارج بخنجر مسموم في فخذه فوثب الناس على الرجل فقتلوه لا رحمه الله ونزل الحسن القصر الأبيض بالمدائن وكاتب معاوية في الصلح وقال نحو هذا ابن إسحاق والشعبي وروى أنه لما خلع نفسه قام فيهم فقال ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم لكن كنتم في مسيرتكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم وتوجع الحسن من تلك الطعنة ثم عوفي ولله الحمد ثم سار الحسن يريد الشام وأقبل معاوية وكان اجتماعهما بمسكن وهي أرض السواد من ناحية الأنبار قال ابن عيينة حدثنا أبو موسى قال سمعت الحسن البصري يقول استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص والله إني لأرى كتائب لا تولى أو تقتل أقرانها فقال معاوية." (١)

"جبة صوف وكساء وكان يلبسه بالليل ويصلي فيه وكان قد اطرح الملاهي وحرم الغناء وحسم عن الظلم وكان يشرف على الدواوين بنفسه ويجلس الكتاب بين يديه فتبرم به بابك التركي وانحصر وكان ظلوما غشوما فأمر المهتدي بقتله فلما قتل هاجت الأتراك ووقع الحرب بينهم وبين المغاربة فقتل من الفريقين أربعة آلاف وخرج المهتدي والمصحف في عنقه وهو يدعو الناس إلى نصرته والمغاربة معه وبعض العامة فحمل عليهم طنبغا أخو بابك فهزمهم ومضى المهتدي منهزما والسيف في يده وقد جرح جرحين حتى دخل دار محمد بن أبي داود فتجمعت الأتراك وهجموا عليه وأخذوه أسيرا وحمل على دابة وأردف خلفه سائس بيده

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٨٣/٣

خنجر وأدخل إلى دار بعضهم وجعلوا يصفعونه ويقولون اخلعها فأبى عليهم فسلم إلى رجل منهم فوطئ مذاكيره حتى قتله وتوفي في رجب سنة ست وخمسين ومائتين وكانت مدة خلافته سنة واحدة إلاخمسة عشر يوما عمره ثمان وثلاثون سنة وأربعة أشہر

(خلافة المعتمد على الله

أبي جعفر أحمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور لما قتل متغلبة الأتراك الخليفة المهتدي صبرا عمدوا إلى الحبس وأخرجوا ابن عمه أبا جعفر أحمد بن المتوكل ولقبوه بالمعتمد على الله وبايعوه سنة ست وخمسين أمه أم ولد اسمها فينان وكان له انهماك على اللذات واللهو فقدم أخاه طلحة بن المتوكل ولقبه بالموفق بالله وجعله ولي عهده ولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان له ولد صغير اسمه جعفر ولاه المغرب والشام والجزيرة ولقبه المفوض إلى الله وعقد لهما لواءين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط على أخيه الموفق بالله أنه إن حدث به الموت وولده صغير كان الموفق ولي عهده وإن كان حينئذ ولده كبيرا كان هو ولي عهده." (١)

"هذا ما قال بق ثم يحضر الأمراء الكبار ويأمر بذبحهم في الديوان فصار الشخص منهم إذا أضجع للذبح صوت صوت الغنم فيضحك ويطلقه وكانت له حركات من هذه الخرافات منها ما يضحك ومنها ما يبكي إلى أن سقط من أعين الناس والعسكر وسطوا عليه كما سطا بالحسام الأبتر وسلخوه من الملك كما سلخ الضعيفة **بالخنجر** ومزقوه كل ممزق ولعذاب الآخرة أكبر وسبت قتله أنه من غروره خرج متخفيا منفردا من خدمه وعبيده متباعدا عن خوله وحشمه فتوجه يمشي وحده إلى بر الجزيرة فكمن له عشرة أنفس من مماليك أبيه في خيمة على ممره فلما وصل إليهم خرجوا له من الخيمة فأمسكوا بلجام فرسه وضربوه بالسيوف إلى أن قطعوه وجاءوا به مقتولا إلى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه سنة ٩٠٤ أربع وتسعمائة وكانت مدة سلطنته ثلاث سنين

(ثم تولى بعده خاله الملك الظاهر قانصوه)

وهو خال هذا المقتول وكان أميا لا يعرف إلا بلسان الشركس قريب العهد ببلدہ لانه جلب للسطان قايتباي من بلاده وهو كبير قد وحظه الشيب وصار يرقبه بواسطة أخته زوجة قايتباي خوندام الناصر ولده وهي التي أقامته مقام ولدها الناصر وبذلت له الأموال والخزائن وأرادت إقامته وإصلاحه ولن يصلح العطار ما أفسد

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤٧٦/٣

الدهر فما استكملته الإيالة وما أهلوه للسلطنة والولاية فخلعوه من الملك أواخر سنه ٩٠٥ خمس وتسعمائة وكانت مدته سنة وسبعة أشهر

(ثم تولى بعده السلطنة أمير كبير جانبلاط)

وتلقب بالملك الأشرف في أوائل سنة خمس وتسعمائة ولم يتهن بالسلطنة ولا وافقه أحد عليها وخلع بعد ستة أشهر." (١)

"عثمان فكتب في وجه محمد رسول الله وفي الوجه الآخر اسمه الشريف وهو أول من رتب طبقات العساكر وسمى الطبقات المذكورة بأسمائها المشهورة وكان أول سلطنته ب بروسا وأعمالها ثم ملك عدة من البلاد الإسلامية وغزا الكفار وفتح ممالك متعددة وغنم بلادا وأموالا وبنى الجوامع ومساجد ومدارس ومطبخا للمسافرين وللمقيمين في غالب الممالك التي تحت سلطانه وعمر في الطرقات والمفاوز ومحال الخوف والمقطعة سبلا وخانات وقصورا وجسورا وأمثال ذلك من الخيرات العميمة وسلك سبيل العدل والجود والفضل والإحسان على نمط والده المرحوم الساكن بأعالي الجنان وتوفي السلطان أورخان حميدا سنة إحدى وستين وسبعمائة عن ثلاث وثمانين سنة

(ثم تولى السلطان مراد خان الغازي خدا وندكار)

(ابن السلطان أورخان)

وجلس على سرير الملك والسلطنة سنة إحدى وستين وسبعمائة في بروسا ولي السلطنة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح كثيرا من البلاد منها أدرنة سنة إحدى وستين وسبعمائة وهو أول من اتخذ المماليك وسماهم ينيشري يعني العسكر الجديد وألبسهم اللباد الأبيض المثني إلى خلف وسماه بركلة بالضم للموحدة وسكون الراء ثم توجه إلى فتح قوصوة فلما وصل إليها التقى الجمعان وانهزمت الكفار ثم اجتمعت النصارى على سلطانهم أسبوت فقاتلهم السلطان مراد قتالا عظيما فقتل سلطانهم فأظهر واحد من ملوكهم الطاعة وتقدم ليقبل يد السلطان فلما قرب أخرج خنجرا فضرب به السلطان مرادا فاستشهد فصار من يومئذ لا يدخل على السلطان أحد بسلاح بل يدخل بين رجلين يكتنفانه وكانت مدة سلطنته إحدى وثلاثين سنة وفي مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة عن السلطان مراد ما نصه كان ملكا جليلا ذا هيبة وعظمة وشدة بطش

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/٦٠

فتح الممالك العظيمة كقلعة نكبولي ونحوها وحاصر الفرنج برا وبحرا وضيق عليهم المسالك فانتدب لحربه بعض ملوكهم فلما التقى الجمعان وتصاف العسكران تحاربا وتعاركا وتضاربا." (١)

"فقصد السلطان ملك الفرنج وحمل عليه مرة بعد أخرى فتقاربا وتعاركا وتضاربا وهما على ظهور الخيل فسقطا معا على الأرض فانقلب عدو الله على السلطان وضربه **بالخنجر** صادف مقتله فأدركه عسكره واحتملوه إلى خيمته وهو يجود بنفسه فعهد بالملك إلى ابنه يلدرم بايزيد في التاريخ الآتي ذكره ومات بعد ذلك سنة ست وتسعين وسبعمائة رحمه الله تعالى

(ثم تولى السلطان يلدرم با يزيد ابن السلطان مراد الغازي)

ولما سمع بوفاة أبيه خنق أخاه يعقوب شلبي واشتغل بالفتوحات ففتح الأفلاق وقونية وآق سراي ونيكده وقيصرية وسلانيك وغيرها من البلاد ثم هرب بعض الأمراء من خدمة السلطان يلدرم ودخلوا عند تيمورلنك فحركوه وجاءوا به إلى بلاد الروم فالتقى العسكران في موضع يقال جبوق أواسي فانكسر السلطان يلدرم لكثرة من مع تيمور من العسكر كالجراد المنتشر فأخذ السلطان يلدرم وحبس ثم توفي بالحمى المحرقة سنة سبع وثمانمائة وكان ابنه الأمير محمد أمير أماسية فلما سمع بذكر ذلك خرج بعسكر أماسية خلف تيمور فأخذ جثة والده بعد حرب شديدة وكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة وتيمور ويقال تيمورلنك واللنك في اللغة الفارسية الأعرج لأنه كان به عرج كان ظهوره في عام سبعمائة وثلاث وسبعين وكان تاريخ ذلك لفظ عذاب قاله العلامة السيوطي في تاريخه وكان أول أمره راعيا للغنم ثم صار أمير آخور لبعض سلاطين العجم في سمرقند وبخارى فتغلب على مخدومه ولم يزل حتى تفرد بالسلطان وملك البلاد طرفا بعد طرف في أسرع زمن على أعجب أسلوب وذلك أنه إذا قصد محلا ورى بغيره فيهجم على ذلك المحل وأهله غافلون ثم يبدأ بقتل جميع من فيه من كل ذي روح ثم يتملك البلاد ويأخذ جميع ما فيها من الأموال والسلاح والطعام." (٢)

"يقبل ولا محمد ولا علي فيمنعني من ذلك فإني أهدم اليوم هذا البيت وجعل يرتعد فاتقاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه وذلك أنه كان رجلا طويلا جسيما أحمر اللون أشقر الشعر وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن أراده بسوء فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه **خنجر** فوجأه به

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٧٣/٤

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٧٤/٤

وتكاثر عليه الناس فقتلوه وقطعوه قطعا وحرقوه وتتبعوا أصحابه فقتل منهم جماعة ونهب أهل مكة ركب المصريين وتعدى النهب إلى غيرهم ثم إنه سكن الحال غير أنه سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل الخشخاش فأخذ بنو شيبة تلك الفلق فعجنوها بالمسك واللاذن واللك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت فاستمسك على ما هو عليه الآن وهو ظاهر لمن تأمله ولما بويع القائم العباسي سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة أمر أن يجهز الحاج فلم يقدر لاستيلاء العرب وانحلال إمرة بني بويه ثم خطب بمكة سنة سبع وعشرين وأربعمائة للمستنصر بن الظاهر العبيدي ولما كان سنة ثلاثين وأربعمائة تولى أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان رئيس مكة وبني سليمان وكانت مدة إمارته ثلاثا وأربعين سنة تم ولى بعده ابنه شكر بن أبي الفتوح وجرت له مع أهل المدينة خطوب ملك فى أثنائها المدينة وجمع بين الحرمين واستمر إلى أن مات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة فكانت مدته ثلاثا وعشرين سنة ولم يعقب ولا ولد له قط وقيل خلف بنتا هي التي تزوجها محمد بن جعفر أول أمراء الهواشم الآتي ذكرهم الآن وذكر ابن حزم أن عقب جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان انقرض وأن مكة وليها بعد شكر عبد كان له لأنه قال وقد انقرض عقب جعفر المذكور لأن ابنه أبا الفتوح لم يكن له ولد ألا شكر ولم يولد له وصار أمر مكة إلى عبد له انتهى كلام ابن حزم قال العلامة محمد بن جار الله في تاريخه الجامع اللطيف ثم ولي بعد شكر بنو أبي الطيب الحسنيون وهم من جماعة شكر الذين يقال لهم السليمانيون ولم يذكر العلامة الفاسي عدتهم وأما العلامة ابن خلدون فلم يذكر بني أبي الطيب." (١)

"كبيش فلما أراد أن يقبل الجمل على ما كان يفعله الشراكسة من الجهل وثب إليه اثنان من الزعر من المحمل كل واحد بيده خنجر طعناه فمات من حينه فعوجل بالعقوبة في هذه المدة اليسيرة إذ قد تقدم أن مدة ولايته مستقلا مائة يوم نسأل الله حسن الخاتمة ونعوذ به من سوء القضاء وفر عمه كبيش إلى جده فتبعوه فلم يحصلوه وألبسوا الشريف عنان بن مغامس الخلعة ودخلوا به مكة فوليها عنان بن مغامس فلما وصلوا إلى أجياد تلقاهم بعض أصحاب الشريف محمد من العبيد والقواد فتقاتلوا معهم فلم يلبثوا أن ولوا هربا وحج بالناس الشريف عنان والناس في غاية الاضطراب والخوف ثم لما عزم الحاج أرسل عنان إلى كبيش عسكرا ليخرجه من جدة ففر منها وسامح الشريف عنان الشيبيين فترك ما كان تأخذه الأشراف منهم بالقوة وهو خمسة آلاف درهم في كل عام وجانب من الكسوة مع البرقع وثوب مقام الخليل وجرى بينه

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢١٣/٤

وبين كبيش فتن وجموع ولم تصف البلاد له بحيث إنه عجز عن إقامة الجند والأشراف فأخذ حاصل السلطان وما فيه ونهب جدة وأموال التجار والمراكب غير مرة ثم إن كبيش المذكور عاد إلى جدة وحده فنهبها وعاث عبيده في الطرقات فخشي عنان من كثرتهم وأشرك معه في الإمرة ابني عمه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك ثم أخاه علي بن مبارك ثم دعا لهم معه على المنبر وزمزم وظن بذلك أن يقوي أمره ولم يساعده القدر فبلغت أحواله إلى السلطان برقوق بمصر فعزل عنان في رجب سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم ولى عوضه علي بن عجلان فوليها علي بن عجلان في السنة المذكورة بعد عزل عنان حنقا عليه لما اتفق في ولايته من استيلاء كبيش وجماعة عجلان وابنه أحمد ومن انضم إليهما وعجز عنان عن دفعهم عن الاستيلاء على جدة فوصل النجاب إلى عنان ليسلم مكة لعلي بن عجلان وجماعته في النصف الثاني من شعبان من السنة المذكورة فأقبل علي بن عجلان في جموع متقدما فمنعهم عنان وأصحابه من دخول مكة وامتنع هو وجماعته من آل أبي نمي من تسليم مكة لآل عجلان فتحارب الفريقان بالقرب من ثنية أذاخر في التاسع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فقتل كبيش بن." (١)

"جنايته وذلك ببركة سيد الجميع مولانا الشريف أحمد نظر الله إليه بعين عنايته ثم دخلت سنة سبع وتسعين وألف في يوم الثلاثاء عاشر ربيع الثاني منها برز مولانا الشريف أحمد رحمه الله تعالى في موكب عظيم قاصدا الشرق ومنه إلى بلاد عنزة فأقام بالمنحنى ثمانية أيام وفي يوم الخميس تاسع عشر الشهر المذكور بعد شروق الشمس توجه إلى حيث قصد في دعة الله وكلاءته وفي ليلة الإثنين ثالث عشري ربيع الآخر وقع بيت بحارة الشامية لبعض تجار المغاربة سقطت سقوفه فهلك تحته عشرة أنفس ذكور وإناث منهم الشريفة سلمى بنت السيد عبد الرحمن الشهير بالأسد وسبب ذلك سقوط جدار لجاره على سطحه فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وفي سابع عشري الشهر المذكور وصل قاصد من الديار الرومية يخبر بأن سليمان مير أخور ولى الوزراة العظمى ومعه منه إلى مولانا الشريف أحمد رحمه الله فرو عظيم من السمور بمقلب أخضر وكان مولانا الشريف بالمبعوث فتوجه به إليه الرسول فقابلته العساكر حين وصوله إلى المبعوث ولبسه مولانا الشريف وكتب له الجواب ومضى وفي ليلة السبت تاسع عشر جمادى الأولى توفي الخواجا زين العابدين حميدان والد الوزير عثمان فجأة بات تلك الليلة فأصبح ميتا فدفن ضحى اليوم المذكور رحمه الله تعالى وأسبغ رضوانه عليه ووالى وفي يوم الخميس رابع عشري الشهر المذكور كان انتقال

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢٦٤/٤

مولانا السيد محمد بن يعلى بن حمزة كذلك فجأة بالخبت اليماني فحمل إلى مكة ودفن بالمعلاة رحمه الله وفي سادس عشري جمادى الآخرة سطا على بعض الأتراك عبد له **بخنجر** فمات بعد خمسة أيام فقطع الغلام يداه ورجلاه وبرئ وعاش وفي يوم الخميس سادس عشر شوال وصل مولانا الشريف أحمد رحمه الله تعالى إلى مدينة جده

عائدا من بلاد عنزة فنزل بالمحل المعروف ببئر ميزان بالقرب منها وخرج إليه من أهلها القضاة والأعيان فقال به يومه ثم وصل منه إلى ضريح سيد الشهداء عم جده عليهما الصلاة والسلام فبات به ليلة الجمعة ثم." (١)

"وانظر محاسنه درا كمبسمه ... منه كدمعك در اللفظ ينتثر

منها:

عيناه في القلب أغصان الهوى غرسا ... ورب غرس جناه الصاب والصبر

أوليت للشوق قلبا ليس يرجع من ... هجر أيرجع ماء حيث ينحدر

ومن مديحها قوله:

يكاد بدر الدجى ينمى لطلعته ... لو كان يمشي على وجه الثرى القمر

قضى الإله بأن يفدى بحاسده ... فما له حسد باق لو عمر

والدهر لو أنه ناواه لانقلصت ... ظلاله ورأينا الناس قد حشروا

له عزائم زان الحلم سطوتها ... ينقد إن شامها الصمصامة الذكر

منها:

وافيت باكر لا أرجو سواه وما ... سواه ليس له نفع ولا ضرر

وجئت سبسب خطب من مناسمه ... بسيل ذوب اصطباري تملأ الحفر

وأينقي حين أحدوها بمدحك لا ... يكاد يلحقها من سرعة نظر

كأنها ابتلعت بيد الفلا وسرت ... في السحب تقصد حيث الغيث ينهمر

فظهرهن حرام إذ بلغن إلى ... ناد يحل بمن قد حله الوطر

منها:

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٥٦٨/٤

وهذه مدحي في طي أسطرها ... عبير ذكرك في الأقطار ينتشر

عذراء ترفل في ثوب البلاغ لها ... من القوافي حجول صاغها الخفر

ألفاظها كصخور في متانتها ... وكل لفظ به معناه منتقر

وله من قصيدة، أولها:

صبابة لا اصطبار يضمرها ... ومهجة لا خليل يعذرها

ودمعة لا الزفير ينضبها ... وزفرة لا الدموع تضمرها

وعشقة قد أبان أولها ... أن هلاك المحب آخرها

فكل نار وإن علت خمدت ... سوى التي وجنة تسعرها

ويح جريح اللحاظ علته ... في الطب حيث الطبيب خنجرها

ثبات عين الحبيب ليلته ... كالنجم لكن أبيت أسهرها

لولا الكرى قامت مرنحة ... لم تك أيدي الجفون تهصرها

لي زفرة لم أزل أصعدها ... ودمعة لم أزل أقطرها

ما العشق إلا كالكيمياء أنا ... دون جميع الأنام جابرها

تبسم إن كلمت مشاكلها ... ودر دمعي غدا يناظرها

هيفاء ما الغصن مثل قامتها ... لكن أعطافه أشايرها

أعشق من أجلها الكثيب إذا ... يضم أمثاله مآزرها

وأحسد البدر في محبتها ... فغيره لا يكاد ينظرها

وألثم المسك والعبيد عسى ... يكون مما فتت ظفائرها

لله ما في الهوى أعالج من ... لواعج في الهوى أصابرها

يا حبذا خلسة ظفرت بها ... في غفلة للزمان أشكرها

حيث لعهد غدت تمد يدا ... لم تدر أسرارها أساورها

يسألها خاطري الوصال ولا ... يجيب عنه إلا خواطرها

ليت ليالي الوصال لو رجعت ... أوليت قلبي معي فيذكرها

ومن مقاطيعه قوله:

لا تلم من شكا الزمان وإن لم ... تشف شكواه علة المجهود
إنما يحوج الكرام لشكوى ... شوق ما في طباعهم من جود
وهنا أذكر ثلاثة من بلغاء النثر والنظم، نسقهم الشهاب في مطالع خباياه نسق النظم.
فمنهم:

السيد محمد بن عمر العرضي
هو من ألقيت إليه في كرم الطبع أعنة السلم، فلولا توقد ذهنه لا خضر في يده القلم.." (١)

"من كراماته أنه أمر نفسه أن يأخذ على الحمار حمل حنطة ليطحنها فطلب النقيب منه عثمانيين لأجل اليسقية قال والله ما معي صبرهم فتوجه النقيب وفم العدل مربوط والحنطة نازلة عند فم العدل وعند عقبه حتى يحصل التعادل فلما وصل إلى اليسقي امتنع من ترك العثمانيين وقطع الحبل المربوط به فم العدل **بالخنجر** والحنطة متراكمة عند فم العدل فلم يسقط منها حبة واحدة فضج اليسقي بالبكاء وذهب إلى الشيخ تائبا خاضعا معتقدا ووالده شيخ عالم شرح البحاري على أساليب مجالس الوعظ وذكر فيه مسائل حسنة وفوائد نفيسة وله تأليف جمع فيه مناقب شيخه سعد الدين ومناقب أولاده من بعده وكانت وفاته سنة أربع وثلاثين وألف ودفن بزاوية جده رحمه الله تعالى
الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمود المعروف بابن الفرفور والفقيه الأديب الحنفي الدمشقي ذكره البديعي في ذكرى حبيب وقال في حقه هو من ذوي الحسب والعراقة وأرباب اللسن والطلاقة وآباؤه صدور الدروس وزينة الأزمنة والطروس
(جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم ... بعد الممات جمال الكتب والسير)
قلت وكان أحمد هذا واسطة عقدهم وفذلكة حساب مجدهم كما قال فيه أبو بكر بن أحمد الجوهري
(أبناء فرفور لقد حازوا العلى ... حتى علوا في المجد هام الفرقد)

(ورثوا الفضائل كابرا عن كابر ... وكمال ذلك بالشهاب الأحمد)
ولد بدمشق وقرأ بها على عبد الحق الحجازي وعلى غيره وكانت له مشاركة جيدة في الفقه وغيره ودرس

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢٨١/١

بالقضاعية الشافعية واتفق أن الدهر ضرب على صماخيه بصمام الصمم فكان ثقل تلك الحاسة زادته خفة فكان لا يجتمع إلا ببعض إخوان الفهم وألفوه وخلا بنفسه واشتغل بما هو الأهم من أمر معاشه ومعاده وكان له ما يقوم به من وقف أجداده وتعاني النظم وكان أكثر ما يميل طبعه إلى الأحاجي وله في علمها وحلها اليد الطولي فمن أحاجيه التي نظمها أحجية في نهروان كتب بها الأديب عبد اللطيف المنقاري وهي قوله

(يا من سقى الفضل ماء فكرته ... فمنه يحيا ربيعه الخصب)

(ما مثل من قال وهوذ وظمأ ... وارى الحنايا لحعفر نصب)." (١)

"الأمير شديد بن احمد الأمير حاكم العرب وهو من آل جبار حكام العرب أبا عن جد يقال أنهم من ذرية جعفر البرمكي ومقام هؤلاء في بلاد سلمية وعانا والحديثة ومن عادتهم أن من استولى منهم على خيمة المال والسلاح يكون حاكما على العرب جميعهم وذلك أن لهم خيمة من الشعر كبيرة جدا ولها نواطير وحرس بالنوبة في اليوم والليلة وكلها صناديق مقفلة بالأقفال الحديد المحكمة والصناديق مملوءة من الذهب والفضة والجوهر والسلاح وغير ذلك من نفائس الأشياء النفيسة وكان شديد استولى عليها بعد أبيه أحمد وكان ظالما جبارا عنيدا متكبرا خسيسا قبيح المنظر والفعل والوصف غير محسن في شيء من الأشياء ولم يزل حاكما إلى أن مات في سنة ثمان عشرة بعد الألف واتفق في هلكه عجيبة أنه كان في خيمة في بعض صحارى حلب وكان ابن عمه مدلج بن ظاهر معه في الخيمة وكان شديد يلعب بالشطرنج مع بعض أقاربه ولم يكن عنده من إخوته أحد فاختلس مدلج الفرصة في خلو الأمير فناداه وهو يلعب يا شديد يا شديد فقال نعم فما أتم قوله نعم إلا ومدلج قد ضربه بخنجر في بطنه خرج من ظهره ولم يحتج في إخراج روحه إلى ضربة أخرى ولقد أرسل الأمير فخر الدين بن معن مكتوبا يخبر فيه عن قتل شديد وقال في مكتوبه إن تاريخ قتله قد اتفق في هذه الكلمات وهي قوله مدلج قتل شديد ولد أحمد ومن العجب أن والد شديد أحمد كان قتل ظاهرا والد مدلج في بيته وهو ضيف عنده فقدر الله أن ولد المقتول قتل ولد القاتل قلت وهذا ظاهر هو ابن مدلج المترجم في الكواكب السائرة وهو ظاهر بن عساف بن عجل بن مظين بن قدموس كان أمير عرب الشام وله قوة وبطش بحيث يمسك الدرهم من الفضة بأصبعيه ويفركه فيذهب نقشه ويفتت

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١/٢٩٩

الحنطة بين أصبعيه ومن عجيب أمره أنه دخل عليه ولده قرموش وهو مريض ليقتله فضربه بسيف فقتله وشرب شخص لبنا حليبا وكان بيد امرأة فشكته إليه فاستخبره فأنكر وحلف بحياته أنه لم يشربه فطعنه برمح كان بيده فإذا اللبن خارج من جوفه فأمر المرأة بأخذ بعير من بعرانه عوض لبنها ومات على فراشه وذلك في سنة خمس وأربعين وتسعمائة انتهى

شرف الدين بن زين العابدين بن محيي الدين بن ولي الدين بن جمال الدين بن القاضي زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي وتقدم أبوه الإمام الجليل كان صدرا من صدور زمنه معظما عند العلماء مقبول الشفاعة." (١)

"على معاونة ابن جانبولاذ واغتنم الفرصة وما زال بابن معن حتى قوى رأس ابن جانبولاذ على المسير الى دمشق وانتهى حرمتها وانتهبوا ما أمكنهم نهبه من خارجها ثم ان السلطان عين الوزير مراد باشا لمقاتلة ابن جانبولاذ فلما وصل الى حلب قاتله وفتك فيه وفى أعوانه من السكبانية حتى كاد يستأصلهم فذهب أهل الشام اليه للشكاية على ابن معن فتوجه كيوان الى جانب الوزير وخدعه بمال كثير كان معه من ابن معن فترك الوزير ابن معن على حاله ثم رجع كيوان الى دمشق بالاموال السلطانية من عند ابن معن واستقر قليلا ثم عاد الى الفتن ورجع ابن معن الى التمرد على حكام الشام حتى وليها الحافظ أحمد باشا الوزير فكاتب فى شأنه الى عتبة السلطان فجهز اليه العساكر من أول ولاية أنا طولى الى أرض دمشق ثم خرج الى ابن معن فحصل له ولكيوان رعب شديد واقتضى رأيهما آخرا الى أن نزلا البحر ولحقا ببلاد الفرنج واستقرا هناك الى ان عزل الحافظ عن ولاية الشام فخرج كيوان من صيدا وحده وترك ابن معن فى بلاد الفرنج ليكشف له الحال فرأى محمد باشا الوزير قد صار سردارا على العجم ونزل حلب وأراد تصحيح أمر الشام فخرج اليه الامير يونس بن الحرفوش أمير بعلبك وكيوان وتوافقا معه على أن يهدما قلعة الشقيف وقلعة بانياس ويسلما اليه مالا وتعطى البلاد لابنه الامير على وطلبا الامان للامير فخر الدين فجاء من بلاد الفرنج وكان كيوان قد استقر بدمشق فأظهر أنه انفرد عن ابن معن واستقل بأمره فى الشام ثم ذهب الى مكة ورجع وقد أظهر كثيرا من عمل الخير وسمى نفسه الحاج كيوان وأمسك عن قبول هدية الناس وبقى فى انفراده وصدارته الى أن تحرك ابن معن على البقاع وخرج لمقاتلته الوزير مصطفى باشا الخناق نائب الشام وكان كيوان ممن سارع الى ابن معن لمعاونته ولما انكسر عسكر الخناق وقبض ابن معن عليه وقعت الفتنة بين

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢٢٢/٢

ابن معن وكيوان بسبب ذلك وآل الامر بينهما الى أن ضرب ابن معن كيوان **بخنجره** فى راسه فقتله وكان قتله فى صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وألف ودفن عند باب دمشق من أبواب بعلبك وقيل فى تاريخ قتله

(قال لى صاحبى وقد مات كيوان هلاكا ومن له الذكر يتلى ...)

(كيف راح الخبيث ناديت أرخ ... علم الله راح كيوان قتلا)

وأرخه أبو بكر العمرى شيخ الادب أيضا بقوله." (١)

"(واذا انساب فى جداوله الماء حساما جلى النسيم الفرندا ...)

(جنة والغصون فى حلل الازهار حور بها ترنح قدا ...)

(وتهادى معاطف البان سكرا ... بتهادى العناق أخذا وردا)

(وتدير الصبا كؤوس شذا النور على نغمة البلابل سردا ...)

(كيف جزت الطريق جوزا ومن خوفك دمعى بالسيل يسلك سدا ...)

(لو رعيت العهود أحسنت لكن ... قلما تحفظ المليحة عهدا)

وله من أخرى مطلعها

(صبابة لا اصطبار يضمرها ... ومهجة لا خليل يعذرها)

(ودمعة لا الزفير ينضبها ... وزفرة لا الدموع تضمرها)

(وعشقة قد أبان أولها ... ان هلاك المحب آخرها)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣٠٢/٣

(فكل نار اذا علت خمدت ... سوى التى جمرة تسعرها)

(ويح جريح اللحاظ علته ... فى الطب حيث الطبيب **خنجرها**)

(تبات عين الحبيب ليلته ... كالنجم لكن أبيت أسهرها)

(لولا الكرى قامت مرنحة ... لم تك أيدى الجفون تهصرها)

(لى زفرة لم أزل أصعدها ... ودمعة لم أزل أقطرها)

(ما العشق الا كالكيمياء أنا ... دون جميع الانام جابرها)

(تبسم ان كلمت مشاكلها ... ودر دمعى غدا يناظرها)

(هيفاء ما الغصن مثل قامتها ... لكن أعطافه أشايرها)

(أعشق من أجلها الكثيب اذا ... تضم أمثاله مآزرها)

(وأحسد البدر فى محبتها ... فغيره لا يكاد ينظرها)

(وألثم المسك والعبير عسى ... يكون مما فتت ظفائرها)

(لله ما فى الهوى أعالج من ... لو اعج فى الهوى أصابرها)

(يا حبذا خلسة ظفرت بها ... فى غفلة للزمان أشكرها)

(حيث لعهد غدت تمديدا ... لم تدر أسرارها أساورها)

(يسألها خاطرى الوصال ولا ... يجيب عنه الا خواطرها)

(ليت ليالى الوصال لو رجعت ... أو ليت قلبى معى فيذكرها ومن مقطوعاته قوله." [١]

"واعطى الفتيا للسباهية فبلغ الوزير الخبر فاسرع فى الدخول الى داره وفى ثانى يوم اجتمع اليه العسكر واختفى المفتى صنع الله ومحمود باشا ووجد فى مجلسه أبو الميامن فوجهت اليه مشيخة الاسلام ثم اقتضى الرأى ان يوجه ضابط الجند الى السباهية وكانوا مجتمعين بآت ميدان فهجم عليهم وفرق جمعهم ثم استحضر منهم بويراز عثمان واكوز محمود ودبه كور رضوان بعد تفتيش بليغ فقتلوا فى حضرة السلطان وفى أواخر ذى الحجة سنة احدى عشرة بلغ السلطان عن ولده محمود وهو اكبر أولاده بعض امور تتعلق بالملك فأحضره وقال له مالك تدخل فى امور الملك فأجابه بجواب ما أرضاه فضربه **بخنجر** فقتله وكان عمره نحو ثمان عشرة سنة ثم ندم على ذلك الندم الكلى وفى سنة اثنتى عشرة عين الوزير اليمشجى وزراء كثيرين وأمراء للمحافظة وتلافى أمر الطغاة بالصلح وانتقم من اعدائه وظهر له انه استقل بأمر الملك فتمرد وأجحف وكثر شاكو ظلمه وفساده فعزله السلطان فى سلخ ربيع الآخر وصيرياوز على باشا مكانه ومحمد باشا الجراح قائما مقام الوزير وفى هذا الاثناء أعطى ضابط الجند قاسم باشا رتبة الوزارة وفى أوائل جمادى الاولى طلب الجند اعادة اليمشجى الى الوزارة فغضب السلطان من جراءتهم فى الطلب فأرسل الى اليمشجى من قتله وكان ببستانه المعروف فى قصبة سوليجيه وفى خامس عشرى جمادى الآخرة عزل الجراح لمرض كان اعتراه وصير مكانه قاسم باشا وفى سلخ هذا الشهر ورد من محافظ بحجوان أمير باشا كتاب يذكر فيه ان شاه العجم نقض عقد الصلح واستأسر محافظ تبريز واضطرب أمر المسلمين فضمت تبريز الى وان واعتبرا وزارة ووجهتا لكافل حلب نصوح باشا مع ضم السردارية وفى ذلك الاثناء ورد من حسن باشا الساعتجى كتاب يذكر فيه ان الامر مقتض لعسكر يرسل الى تبريز فعين السلطان عسكرا جرارا وأردف بهم نصوح باشا الى هنا انتهت الوقائع الصادرة فى زمن السلطان محمد وقد ذكرنا تتمتها فى ترجمة ابنه السلطان أحمد وكانت ولادته فى الليلة السابعة من ذى القعدة سنة أربع وسبعين وتسعمائة وتوفى يوم الاحد سابع عشر رجب سنة

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٠٧/٤

اثنتى عشرة بعد الالف وحكى ابن نوعى انه وقع له فى ثانى عشرى جمادى الاولى وكان متوجها الى دار سعادته فاستقبله شخص مجذوب وقال له أيها الملك انه يحدث بعد ست وخمسين يوما حادثة عظيمة فلا تسكن غافلا عنها فاذا هى موته ومما نقل عنه انه قبل وفاته بثلاثة أيام جمع اليه سائر الوزراء والمفتى." (١)

"(قلت لابدع قد سمعنا قديما ... يوم موت الحمار عيد الكلاب)

يوسف بن عمران الحلبى الشاعر المشهور قال الخفاجى فى ترجمته أديب نظم ونثر فأصبح ذكره جمال الكتب والسير الا انه لعبت به ايدى النوى رحلة ونقله فجعل الآمال على كؤوس الآداب نقله وهو لعمرى اديب اريب ماله فى ضروب النظم ضريب وحاله غير محتاج لدليل انى ولا لمى فانه كما عرفت الشاعر الامى كما قيل

(أصبحت بين الناس اعجوبة ... بين ذوى المعقول والفهم)

(حموى جدى فاعجبوا وانظروا ... عمى خالى وأبى أمى)

وفى آخر عمره داسته اقدام النوب وادركته حرفه الادب فصبر على الايام المكدرة الى ان صفت وعلى الليالى الجائرة فما انصفت وقال السيد أحمد ابن النقيب الحلبى فى حقه هو أحد المشهورين بهذه الصناعة والمتعيشين بكسب هذه البضاعة وكان فى أول أمره ذا تجارة ومال ونباهة وحسن حال فقارن الادباء من ابناء عصره وتشبث باذيالهم وقصد أن ينخرط فى سلكهم وينسج على منوالهم فنثر ونظم واستسمن كل ذى ورم وأقام على ذلك مدة مديدة بحلب الى ان ادركته بها حرفة الادب فطاف بلاد الشام والقاهرة المعزية ثم توجه الى دار السلطنة السنيه وامتدح اكابر علمائها وانتجع ندى رؤسائها ومن شعره

(قولوا لمن بهزال الفقر يذكرنى ... ظننت انك فى أمن من المحن)

(فالشاة يؤكل منها اللحم ان عجفت ... وليس يؤكل لحم الكلب بالسمن)

وقد جمع ديوانا من شعره كتب عليه بعض الشعراء

(لشعر يوسف بحر فى تموجه ... يهدى لافهامنا روحا وريحانا)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢٢١/٤

(ذو منطق ساحر مطر وذا عجب ... للسحر ينشئه وهو ابن عمرانا)

ومن منتجات أشعاره قوله

(غصن تمايل فى قباء اخضر ... بين الكثيب وبين بدر نير)

(ريم أحم المقلتين اذا رنا ... فتن الانام بسحر طرف احور)

(يسطو على بأبيض من أسود ... ومن القوام اذا ثناه بأسمر)

(سلب النهى منه بقوسى حاجب ... اذ حل صبرى عقد بند **الخنجر)**." (١)

"وإن هم قد جنوا عمدا وجهلا ... وما راعوا وما طلبوا اعتذارا

فإن البدر لا يشنيه شيء ... من العجما صباحا أو جؤارا

وأنت على أذاهم ذو اقتدار ... على أن لا تسامي أو تباري

فطب نفسا فكلهم ذليل ... لعزتك اختيارا واضطرارا

وللسيد المذكور أيضا

ومالي والهم الذي أنا حامل ... ولي صلة من لطف ربي وعائد

إذا عادة الله التي أنا آلف ... تذكرتها هانت علي الشدائد

فلا تتقي هولا وارهب طارفا ... ولي ثقة بالله ما قام عابد

وأنشدني صاحبنا الشيخ أحمد الجوهري له قال كتب إلي وقد طلبت منه شرح النهج لابن أبي الحديد في بيتين من الشعر

أتاني نظمك المنضود يمشي ... من الاحسان في ثوب جديد

ووافى جوهري اللفظ لطفا ... ومعنى صيغ من در نضيد

سمحت بذاك وهو أجل قدرا ... لأن يأتيك بابن أبي الحديد

ربحنا في التجارة وارتضينا ... لطيف الدر عن ثقل الحديد

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٥٠٦/٤

قال فراجعته بقولي

أخا الهيجاء ذا الرأي السديد ... غياث الملتجي مأوى الطريد

طويل الباع في كسب المعالي ... بسيط الفضل كالبحر المديد

أتاني منك نظم فوق طرس ... كدر زان في نجر وجيد

فما أبصرت بيتا منه إلا ... وقلت بأنه بيت القصيد

فشعرك يعجز الشعراء عنه ... ونثرك مخجل لابن العميد

وقد حزت المعاني كالمعالي ... وقت بها على جمع عديد

فلا زالت بك الأيام تزهو ... وجاهك كل يوم في مزيد

قال وكتب أيضا

صوغ القريض على اختلاف رجاله ... ما بين حصبا لا تعد وجوهر

وإذا أردت بأن تفوز بدرة ... نظما فخذه من صحاح الجوهري

السيد محمد بن أحمد

بن الامام حاكم بندر المخا سابقا

رأيت منسوبا إليه في بعض الدفاتر بيتين دلا على إن حسام أدبه مرهف باتر وهما قوله

شبهت نرجسة وافى إلي بها ... خلي وقد جئت في التشبيه بالعجب

كف من الفضة البيضاء ساعدها ... زمرد حملت كأسا من الذهب

قلت حق له التصديق ووجب ... فقد جاء في التشبيه بالعجب

السيد إسماعيل بن إبراهيم الحجاف

كتب إلى السيد زيد بن علي المقدم الذكر قوله

يا غائبين وفي قلبي محلهم ... وعاتبين لبعد العهد بالكتب

وصفي لشوقي محال أن أسطره ... فالشوق نار وأقلامي من القصب

فأجابه الشيخ أحمد الجوهري عن ذلك

الشوق نار له الأقلام عاجزة ... عن أن تسطره في الصحف والكتب

لكن معجز قلبي قد أثار هوى ... مؤلفا بين نار الشوق والقصب

السيد محمد بن عبد القادر

المقاطعجي اليمني

أحد سحرة القريض. ومقتطفي نور روضه الأريض. نطق عن لسان الاحسان. ونثر من البلاغة رفرفها الخضر وعبقريها الحسان. إلى مجد ونسب. ومنطق يملك الأسماع إذا مدح أو نسب. وله ديوان يشتمل على غرر وقلائد. وفرائد تحسدها عقود الولائد وقفت عليه فاخترت منه قوله من قصيدة يمتدح بها السيد الحسن بن الامام القاسم أخا الامام محمد المؤيد ملك اليمن ويهنيه بعيد الفطر أولها

ألام هلال لاح أم نون حاجب ... بدا بجبين الأفق في ليلة الفطر

أم العيد من صافي اللجين **بخنجر** ... تمنطق أم سيفا تقلد من تبر

أقوس لملك الغرب صيغ بعسجد ... وعلق موتورا على قصره الدري

أم الكأس ساقي القوم ليلا أدارها ... ليسقى النداما قهوة العيد كالخمر

أشكل سوار ذاك أم شق دملج ... بساعد ليلي بأن في غرة الشهر

أم الغادة الحسناء خلخال ساقها ... ابانته للعشاق من كوة القصر

توهمت ليس الأمر ما قد ذكرته ... وشبهت والتشبيه يحسن في الشعر." (١)

"وما هو إلا هيكل في قلادة ... على طوق ملك قلد الملك بالفخر

هو السيد المعروف معروف جوده ... ومن كفه بالغيث تزري وبالبحر

هو الحسن الأخلاق والأسم من سما ... بهمته قدرا على فلك النسر

هزبر الوغى ليث الشري ضيغم العدى ... مؤيد أعلام المؤيد بالنصر

خضم الندى من في أكف عطائه ... زمام الغني المغني لراجيه باليسر

أتحسب إن السحب يمطر صيبا ... وإن بطون البحر تقذف بالدر

وما ذاك إلا أن نائل جوده ... أنال سحاب الغيث فانهل بالقطر

وما الدر إلا أن نيسان كفه ... حشا البحر حتى عاد فيضا إلى البر

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٢٦٤

وما أحمر شفاف اليواقيت مشرقا ... فأصبح منظوم العقود على النحر

ولكنه من نار غيظ حيائه ... توقد حتى صار في شعلة الجمر

وما انفتحت أكمام روض وعطرت ... بنفحتها الآفاق بالنور والزهر

ولكنه أخلاقه الغر أثرت ... وفيها سرت طيبا ففاح شذي النشر

وما غردت في الأيك يوما حمامة ... ولا ناح من شوق به صادح القمري

ولكنها تدعو الإله تضرعا ... ليبقى له ملك الولاية في القطر

وما اكتسب البدر المنير ضياءه ... من الشمس لما لاح في ليلة البدر

ولكن لاحت من محياه لمعة ... فعمته بالأنوار في عالم الأمر

وما البرق إلا لمحة من حسامه ... إذا شمته في الجو يلمع أو يسري

ولا ساعقات الجو إلا قواطع ... بأحكامه ان نقدتها يد القهر

وقائعه تنبي اللبيب بشأنه ... وأخباره تهدي التحير للفكر

هذا ما وقع عليه الاختيار منها وقد شبه الهلال في أولها بعشرة أشياء قال الصفدي وقد جمع بعض الأفاضل في أولها تشبيه الهلال ما يقارب السبعين قلت وجمع الشيخ جمال الدين بن نباتة جملة منها في قصيدته الرائية التي مدح بها الملك المؤيد صاحب حماه التي أولها قوله

يا شاهر اللحظ حبي فيك مشهور ... وكاسر الجفن قلبي منك مكسور

فإنه هناه فيها بعيد الفطر واستطرد فيها إلى تشبيه الهلال فقال

كان شكل هلال العيد في يده ... قوس على مهج الأعداء موتور

أو مخلب مده نسر السوء لهم ... فكل طائر قلب منه مذعور

أو منجل لحصاد الصوم منعطف ... أو خنجر مرهف الحدين مطرور

أو فصل تبر أجادت في هديته ... إلى جواد ابن أيوب المقادير

أو راكع الظهر شكرا في الظلام إلى ... من فضله في السماء والأرض مشكور

أو زورق جاء فيه العيد منحدرا ... حيث الدجى كعباب البحر مسجور

أولا فقل شفة للكأس مائلة ... تذكر العيش إن العيش مذكور

أولا فنصف سوار قام يطرحه ... كف الدجى حين عمته التباشير

أولا فقطعة قيد فك عن بشر ... أخنى الظلام عليه فهو مأسور
أولا فمن رمضان النون قد سقطت ... لما مضى وهو من شوال محصور
وزاد على ذلك فخر الدين بن مكانس في ارجوزته المشهورة التي سماها عمدة الحرفا. وقدوة الظرفا. فقال يصف ليلة أنس
يا طيبها من ليلة لو أنها طويلة ... ساعاتها قصار وكلها أنوار
بدا بها الهلال يزينها الجمال ... من جانب الغمامه كالحب في العمامه
ولمعة السراج والصدع في الزجاج ... وجانب المرآة والنصل في الفلاة
أو كشفاه الأكوس والحاجب المقوس ... قلت له حين وفا ورق لي وانعطفا
كغصن بان أعوج والفخ أو كالدملج ... معوجا كالنون وهيئة العرجون
يشبه طوق الدره في الصحو بين الخضره ... يا صفوة الأقمار يا مبدأ الأنوار." (١)
"كل ما غنى الهوى لي أرقص القلب وأطرب ... وغدا يسقيه كاسات صبابات فيشرب
فالذي يطمع في سلب هوى قلبي أشعب ... قلت للمحبوب حتام الهوى للقلب ينهب
وبميدان الصبا واللهوساء أنت تلعب ... قال ما ذنبي إذا شاهدت نار الخد تلهب
فهوى قلبك فيها ذاهبا في كل مذهب ... قلت هب أن الهوى هب فألقاه يهب هب
أفلا تنقذ من يه ... واك من نار تلهب
وقوله
طال في الحب غرامي إذ رمى المهجة رامي ... فأصاب القلب مجروحا بمسموم السهام
والهوى فوقي وتحتي وورائي وأمامي ... ويميني ويساري وهو لا شك أمامي
قايدا قلبي إلى نار هوان وهيام ... قلت للمحبوب حتام نيران الغرام
من ضريع الشوق والأحزان أكلي وطعامي ... وشرابي من حميم الهجر أغرى بي حمامي
لا تغنى في أراك الوصل في وقت حمامي ... قال قف واصبر على بلوى الهوى صبر الكرام
فعسى تحظى بجنا ... ت وصالي وسلامي
ومن موشحاته الفايقة

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٢٦٥

قل لأهل العذل لو وجدوا ... من رسيس الحب ما نجد

أوقدوا في كل جارحة ... زفرة في القلب تتقد

فاسعد الهايم. أيها اللايم ... فالهوى حاكم. إن عصى أحد

أو أراد القلب أن يردد ... سنة العشاق أو يبعد

قال سلطان الغرام اعبد ... خاضعا واسجد كما سجدوا

فاتركن الصب. دمعه ينصب ... فالهوى بالقلب يتحد

فاعذرن إن كنت لا تسعد ... لو تهم العين إن ترقد

صاح ناطور الهيام اقعد ... ساير العشاق ما رقدوا

فاتبع الزفره. وكف العبره ... لا تدع قطره. ليها الكمد

واترك الأقوال والأهوا ... وانتظم في سلك من تهوى

ظاميا في الحب لن تروى ... واردا في العشق ما وردوا

واقض بالحسره دايم الفكره ... واجهد القدره كلما جهدوا

واصطبر للضرب من بتار ... طرف ريم أدعج سحار

واصطبر للطعن من خطار ... مايس ما شانه أود

والحط الجؤذر قد نضا **الخنجر** ... طرفه الأحور حوله الأسد

بينما المجروح بسهام قد ... قلبه المفرى من قناة القد

راح مطعونا وإن يجحد ... فيه من كل الورى شهدوا

ها أنا القايل طرفه الذابل ... بل ومن ذابل قده عمدوا

فاسقني خمر الهوى يا ريم ... وادخلن في جنة النعيم

عاشقا من شانه التسليم ... وهو للعشاق مستند

مغرم يروى من حر جوى ... علم الأهوا كل من يرد

بجرود ذاخر لجي ... يغرق العشاق لا ينجي

مظلما من نوره الزنجي ... تبصر الأمواج ترتعد

قاتم الأعماق سفنه الأشواق ... تحمل العشاق تطرد

كم بها من صايح باكي ... يشتكي من لحظ فتاك

ظالم لا يرحم الشاكي ... قلبه مستجمد صلد

معجب مختال فإنك قتال ... حامل عسال لا يجد

غير طعن في حشا الناظر ... بعد ضرب الصارم الباتر

من غرير ساهر ماهر ... ما نجا من سحره أحد

كم وكم تيم. بل وكم هيم ... عاشقا مغرم شفه الكمد

كلما هاجت لظى الأشواق ... واعتدى في دمعه المهراق

سابحا في بحره الدقاق ... صاح يا سبوح يا صمد

سكن الحسره واحبس العبره ... وادفع العسره ما بقى جلد." (١)

"أقبلت في غلالة زرقاء ... لازوردية كلون سماء

فتأملت في الغلالة ألقى ... قمر الصيف في ليالي الشتاء

ليتني كنت للمليحة عقدا ... أو لثاما للوجه مثل الرداء

أو قميصا من الحرير خفيفا ... لاصقا بالفؤاد والأحشاء

ضربتني **بخنجر** العشق حتى ... صرت ملقى مخضبا بدمائي

تركتني على الطريق ونادت ... من يصلي على قتيل هوائي

ثم إني لما فرغت من قراءة الأشعار قالت لجاريتها: هات لي بذلة قماش، ثم غيرت ما كان عليها، وجلست ثم أمرت بإحضار المائدة وقالت: بسم الله، كل يا أبا الحسن.

فقلت: لا والله لا أكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضي حاجتي.

فقال: كان هذا من الأول لكن والله قد وقعت من عيننا برواحك إلى الأمير عمرو قبل مجيئك إلينا.

فقلت لها: أنا ما رحت.

فقالت: تكون شيخا وتكذب، أنت ما عبرت عليه ولقيت الطبيب، وهو يقول له: كيت وكيت، وجرى لك معه كذا وكذا، وهذا الكتاب في طي عمامتك وبالأمارة قال لك: إن ردت الجواب أعطيتك ألف دينار وإن لم ترد لي الجواب أعطيتك مائة دينار؟ فقلت: يا ستي من أعلمك بهذا؟ فقالت: أليس القائل يقول:

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣٠٦

قلوب العاشقين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرونا
وأنا يا شيخ أبا الحسن أعشق منه وأرى أكثر مما يراه.
فقلت: صدقت يا مولاتي، كان ذلك.
ثم ناولتها الكتاب ففضته وقرأته ثم إنها مزقته وبصقت عليه، وداسته ورمته في البركة. فلما رأيت ذلك قلت في نفسي: هذا بذاك وفرض الدين لا بد له من وفاء إلا أني حصل لي بعض غيظ على الألف دينار التي تفوتني، فنظرت غلي وعرفت مني ذلك فقالت: يا شيخ أبا الحسن مم غيظك؟ إن كان وعدك بألف دينار، فبت الليلة عندي وكل واشرب والتذ واطرب، وخذ لك غدا مني ألف دينار وامض في حفظ الله.
فقلت: يا سيدتي يكاد الأمير عمرو أن يموت.
فقالت: دعنا من هذا الكلام.." (١)

"جرابي، وكل ما فيه قماشي وثيابي، وقد ضاع ووجدته مع هذا الرجل.
فقال القاضي: ومتى ضاع منك؟ فقال الكردي: ضاع مني بالأمس.
فقال القاضي: إن كنت عرفته فصف لي ما فيه.
فقال الكردي: إن في جرابي هذا مرودين من لجين، وأكحالا لعينين، ومنديلا لليدين، ومشربتين مذهبتين، وشمعدانين ومكبتين وطبقين، وإبريقين، وصينية وطشتين، وقدر ودستين، ومغرفة وملعقتين، ومسلة ومقلمة وملبتين، وقعبا وقصعتين، ومخدة ونطعين، وجبة وفروتين، وبقرة وعجلتين، وعنزا وشاتين، ونعجة وخروفين، وقطين أبلقين، وجملا وناقتين، وبقرة وثورين، ولبوة وسبعين، ودبة وثعلبين، ومرتبة وسريرين، وطبقة وقاعتين، ورواقا ومقعدين، ومطبخا ببابين، وجماعة أكراد يشهدون أن الجراب جرابي.
فقال القاضي: فما تقول أنت يا علي؟ فتقدمت يا أمير المؤمنين، وقد بهتني كلامه فقلت: أعز الله مولانا القاضي، أنا ما في جرابي إلا دويرة حراب وأخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشبان يلعبون بالكعاب، وفيه عساكر وأطناب ومدينة بصرى وبغداد، وقصر كنعان بن شداد، وكور وحداد، وشبكة وصياد وعصا وأوتاد، وبنات وأولاد وألف قواد يشهدون أن الجراب جرابي.
فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال: يا سيدي القاضي، جرابي هذا معروف، وكل ما فيه موصوف، في جرابي هذا حصون وقلاع وقرى وضياع وطابق للصراع ووحوش وضباع ورجال يلعبون الطابة

---

(١) نوادر الخلفاء = إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس الإتليدي ص/١٦٣

والرقاع، وإن في جرابي هذا حجرة ومهرين وفحلا وحصانين ورمحين طويلين وسبعا وأرنبين، وسكينا وخنجرين، وبحرا وخليجين، وكمرا وجوختين، وعشاري وموكبين، وصاري وقريتين، وكورا ودكانين، ومنقلة ونردين، وعجوزا وقحبتين، وقوادا وشاطرين ومخنثا وعلقين وأعمى وبصيرين وأعرج وكسيحين وعيارا وأزعرين وجامعا ومدرستين وديرا وكنيستين وقسيسا وشماسين وبطركا وراهبين وقاضيا وشاهدين يشهدون أن الجراب جرابي.

فقال القاضي: ما تقول أنت يا علي.

فبادرت يا أمير المؤمنين، وقد امتلأت غيظا وزدت في الحمق وقلت: أيد الله مولانا القاضي! إن في جرابي هذا زردخانات صفاح، وخزائن سلاح، وألف كبش نطاح في عشرين مراح، وأربعين كلبا نباح، وبساتين وكروم عنب وتين وتفاح، وصورا وأشباحا وقناني وأقداحا وعرائس ملاحا ومغاني وأفراحا وهرجا وصياحا وعبدا وفلاحا وأخاه." (١)

"فانكر الحج راجعا، وصعد هو وجماعته إلى أعلى مكان، وعمل المتاريس وجعل الحج في جهة العدو في أسفل التل، وطالع القنبرات، وتهيأ للقتال، ثم مسك كبار الحج عنده، ورتب المدافع والقنبرات واستعد لقتال العسكر الراكب عليه، ولما كانت الناس يوم الجمعة آخر محرم السابق ذكره، ورد بكرة النهار من العساكر ما لا يحصيه إلا الله من ناحية برج الروس، حتى أخبرني من أثق به أنه قال: لي من العمر نحو الثمانين ما رأيت أكثر من هذا العسكر، حتى رحلت أهل القرى منهم.

ثم نزلوا دمشق وملوا المرجة واللوان وتلك النواحي، ورحلوا في الليل تلك الليلة، متوجهين إلى الباشا نواحي قبة الحاج. وقيل إن وراءهم باشات كثيرة.

تحركه نحو القدم

وكان يقدم دخول العسكر المرقوم، يوسف باشا طبل، وشركس محمد الموجه له دمشق في التاريخ عن ناصيف، مترسما، ثم رحل العسكر المذكور يوم السبت نزلوا عند القدم. وخيموا هناك، وكان بلغهم يوم الدخول مسكه الحج، فرجعوا في ثاني يوم لملاقات الحج وقتل الباشا، لكن يقدموا رجلا ويؤخروا أخرى، خوفا على الحج الشريف، لأنه يخشى الرمي من طرف الباشا والباشاوات الأخر، ومكثوا في القدم يوم الأحد لأن الحج يكون في الوسط.

---

(١) نوادر الخلفاء = إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس الإتليدي ص/١٩٥

سيرة ناصيف باشا:

وكان ناصيف مستعدا بمدافع نحو العشرين، وأيام الحج يصحبها معه على الجمال، واصطنعها غريبة الشكل، طويلة رفيعة، ومعه من القنبرات شيء كثير واستعداد تام، وكان شجاعا لا يعد الرجال، يهجم على الألف وحده، ويغير زيه، ويأمر العسكر بالتأخر عنه حال كونه في الأربعين، وكان بارعا في تدبير القتال وحيل الحرب. فأول ما بدأ به بالشام يوم دخوله أنه دخل مدرعا مغرقا بآلة الحرب، وكان لبس الدرع من حرستا ولبس البيضة على رأسه، والبيضة عليها كرخور أحمر لا يظهر وجهه لأحد من كثرة توشحه بالدراوي، وتقدم. ولفرسه، بركسات. خوفا من وهدة فيقع فيتمكن منه العدو.

وكان بلغه عن دمشق، بأن بها زربا للتركمان الحقلجية. ثم مكث أربعة أشهر لا يحرك ساكنا، لما أن دولة الشام والتركمان، لما لاقوا له جمعوا عسكرا كثيفا فوقع في الوهم، فرأى أن معاداتهم لا تخلص له، ولا خلاص إلا بالحيلة.

حكايته مع كليب

وكان لهم قوة باذخة، وكانوا أرسلوا لكليب بالجيء، فجاء ونزل دار قاسم آغا لصيق باب الله، عند الزيتون، وشكوا له أمر الباشا وأنهم خايفون من غدره، فقال لهم: أضع رمحي في سراياه، ومكث عند قاسم آغا باش زربا وكبيرهم، ثلاثة أيام، ولكن خفية، وربطوا معه على الباشا، وبلغ كل ذلك للباشا، فصبر عليهم إلى أن حج ورجع، فلما وصل لمرحلة المزيريب جاء كليب إلى عنده ليسلم، وذلك بالخيمة التي نصبت بعيدا عن الحج لأجل اجتماع الباشا بشيخ البلاد الحورانية، لأن شيخ البلاد لا يركن أن يدخل خيام الدولة خوفا من الغدر به.

وكان محمد بن كليب مع الباشا في الحج فكان يكرمه غاية الإكرام، وأعطاه من الذهب شيء كثير قدمه لأبيه، فاطمأن في ذلك ولم يعلم بما مكتوب عليه في تقدير الله. فلما صافحه للسلام عليه، وكان العرب واقفين بعيدين عنه وعن الخيمة؛ بمقدار بعيد، نحو رمية سهم، فضربه **بخنجر** كان معه أرماه، ثم احتز رأسه الجوخدار، ثم ضرب بارودة يعلم بالأمر العسكر، وأن كليب قتل، فهرعوا إلى عند الباشا، فهربت العرب هربا فاحشا وأبقوا بيوتهم ونجعهم، لا يلوون على شيء.

هروب التركمان الأشقياء

ثم إن الباشا حل من فوره خوفا من أن يشتغل العسكر بالنهب فينهب الحج ويؤخذ. ثم لما وصل ثاني يوم

أرسل للزربا عسكرا، فقام ابن الدرزي قاسم وخرج من داره على حصان ولم يبال بأحد، ثم تتابع الزربا خلفه ولم يخافوا من العسكر الوارد، وخلصوا وتركوا بيوتهم، فلما فاتوا أخذوا في النهب، وكان مع عسكر الباشا من الزربا، عمر شيخ الأتمزلي، وكان من أعيانهم، لكنه خرج عنهم ورتب ما وقع، وقال له أنا أكفيك أمرهم، وهرب ابن المهيني وكان عمل قصرا عاليا، عالي جدا، فأمر الباشا بهدمه وهدم داره وضبط موجوده وهدم أكثر بيوت الزربا، ثم حبس كبار الحقلجية وخرجوا على مال، ولم يعلم عنهم شيء وتركهم.

وقعاته مع أهل البلقاء الدروز

ثم بعد مدة تراجعوا وأرسل طيب خاطرهم فدخلوا للسرايا وألبسهم وأحسن إليهم وتركهم من خاطره.." (١)

"ذو القعدة، أوله الأربعاء أو الثلاثاء. يوم الأحد ثاني عشر الشهر كنا في سهرة عند أخينا وتابعنا السيد أحمد المستوي، وكانت مشتملة على ذكر الأولياء والصالحين، خالية من اللهو الهرج والمرج ولله الحمد، وتكلف كلفة باذخة جزاه الله خيرا. وكنا نحو سبعة أنفار، حتى خالية من الغناء والسماع والدخول ولعب المنقلة والشطرنج، كما هي عادة أهالي دمشق، ونسأله الحماية والمزيد من فضله، آمين.

زوج المؤلف

يوم الاثنين رابع عشر ذي القعدة، توفيت حرمتنا فاطمة بنت عبد الله، من أهالي الصالحية، كانت صالحة سليمة الصدر، تتحمل الأذى وتقنع بالميسور، ولا تعرف الصياح ولا ترادد في الجواب، وتكثر الصوم، ولها رقة في الكلام ومودة وتؤدة ودماثة الأخلاق، وصلي عليها بعد الظهر بيسير بالسليمية، ودفنت بالروضة الفسيحة بالصالحية، رحمها الله تعالى آمين.

خسوف القمر

وفي الخامس عشر، ليلة الأربعاء، كسف القمر، وكان آخر الليل، وصلى الناس جماعة بالخاتونية بالصالحية.

الشيخ مصطفى الخلوتي

وفي يوم الخميس، صلي على الشيخ مصطفى بن عمر الخلوتي، وكان صالحا وعليه اعتقاد، ودفن بالسفح غربي الجوعية بالصالحية، بعدما صلي عليه بجامع الأموي. وقيل صعدوا به عند الفجر، ولم يعلم به أحد، ولعله أوصى بذلك. وكان في بدايته أخذ طريق السادة الخلوتية عن شيخه عيسى بن كنان الخلوتي الصالحي، عفي عنه، آمين.

---

(١) يوميات شامية ابن كنان ص/٥٤

السيد أحمد نهجي زاده

وفيه توفي السيد أحمد نهجي زاده الخلوتي الرومي الأصل، وهو شيخ تكية أحمد شمسي باشا، شرقي القزمازية.

الشيخ محمد أبو المواهب

يوم الأربعاء، آخر القعدة، توفي الفقيه الشيخ محمد بن أبي المواهب مفتي الحنابلة بدمشق آنا ومدرس السياغوشية، ودفن بتربة الفراديس الشرقية عند أهله.

الحجة، أوله الخميس. فيه سافر باشة الجردة، كافل محروسة ترابلس، ثم كان محصل حلب في الأصل، ثم صار يتولى الباشويات.

رجل يقتل ولده

وفيه قتل رجل ولده **بخنجر** فجاء في خاصرته فمات في الحال، وكان أرسله في حاجة فأطال، والغضب من الشيطان، والتؤدة من الرحمن. وورد خبر: ما أعطي العبد خيرا من التؤدة والرحمة. قال عليه السلام: بعثت بمكارم الأخلاق.

يوم العيد، العاشر، يوم السبت، وعيد الناس، والوقفة كانت الجمعة بالثبوت لدى القاضي.

قتل المشد والشوباصي

وفي هذا الشهر، بلغ خبر، وذلك يوم الاثنين خامس الشهر، قتل المشد والشوباصي على البقاع، قتله الدروز أهل تلك البلاد لشدة ظلمه وعتوه وسفهه، وقطعوه حين نزل دير بالا، دخلوا عليه بالسيوف وقتلوا من جماعته بعض أناس، وكان ظلم ظلما كثيرا في تلك البلاد، ولا يفلت أحد من شره، والبغي مصرع مبتغيه وخيم، فقد ورد: اثنان يعجل الله عقوبتهما في الدنيا قبل الآخرة: البغي وعقوق الوالدين كذا أورد هذا الحديث الأردبيلي في تفسيره.

قصر منجك

يوم السبت، ثالث عشرين ذي الحجة كنا بقصر ابن منجك المطل على المرجة في الشرق القبلي، وكان جدده عبد الله باشا كافل دمشق سنة أربع وأربعين وماية وألف.

محرم الحرام سنة ١١٤٩

محرم الحرام سنة تسع وأربعين وماية وألف

١٢ – ٥ – ١٧٣٦م

الحكومة

وسلطان المملكة الرومية وبعض العربية والعجمية السلطان محمود بن مصطفى خان بن محمد خان بن عثمان، والباشا بالحج الشريف سليمان باشا، وقاضي الشام محمد صالح، والمفتي حامد أفندي، والمدرسون وبقية الناس على حالهم.

عملية سطو في دمشق

وأوله السبت، ثانيه نزلت الحرامية ليلا على دار ابن خليفة، من كتابة الدفتار والحرمين والمصريين، وكان في همة زواج أحد ولده، ونقل الجهاز إلى داره، فأصبحوا لم يجدوا شيئا من المتاع والحلي ونحوه على ما قيل، واتهم بعض الجيران، وحبس ناس منهم في الحبس، وحبس ناس وأطلق الناس.

سقبا، ومعالمها

وفي ليلة السبت الثامن من محرم الحرام، ذهبنا إلى سقبا إلى عند صاحبنا أبي علي يوسف السقباني. ومكثنا أربعة أيام وخمس ليال، وكان أيام الورد. وفيها زيارتان: عبد الله بن سلام الصحابي رضي الله عنه، وفيها الشيخ أبو عمرو من الأولياء، وعند مزاره بئر ماء طيبة حلوة خفيفة مهضمة، دون بقية المياه من غيرها، حتى من الشام، يؤخذ منها للمدينة، وهي أبرد من الثلج، معين دون مياه أبيار القرية المزبورة.." (١)

"تالله ما ذكر العقيق وأهله ... إلا وأجراه الغرام بمحجري

لولاه ما ذابت فرائد عبرتي ... بعد الجمود بحر نار تذكري

روحي الفداء لظبية الخدر التي ... بني الكناس لها بغاب القسور

لم انس زورتها ووجنات الدجى ... تنباع ذفراها بمسك أذفر

أمت وقد هز السماك قناته ... وسطا الضياء على الظلام بخنجر

والقوس معترض أراشت سهمه ... بقوادم النسرين أيدي المشتري

طورا أرى طوقي الذراع وتارة ... منها أرى الكف الخضيب بمسور

حتى بدا كسرى الصباح وأدبرت ... قوم النجاشي عن عساكر قيصر

(١) يوميات شامية ابن كنان ص/١٣٠

لما رأت روض البنفسج قد ذوى ... من ليلنا وزهت رياض العصفر
والنجم غار على جواد أدهم ... والفجر أقبل فوق صهوة أشقر." (١)

"وفي تلك الأيام وقع بيت بباب السريجة على امرأة وصبي صغير. في تلك الأيام أيضا قتل كردي وزوجته في محلة سوق ساروجا. وسبب ذلك أنه كان حاجا، ولما جاء وجدها متغيرة في أحوالها، ثم تبين أنها عابت في غيبته، وكان ذو كذا حسن وجمال فذبحها ولم يبال بأحد. وفي تلك الأيام أيضا قتل رجل ابنته في محلة سوق ساروجا، وهي ابنة أربع سنين، فبلغ حضرة أسعد باشا أمرها وأن تلك البنت أمها مطلقة وخالتها امرأة أبيها غير محبة لها، فدست لأبيها عليها بعض الكلام، وكان أبوها من الحمق والجنون على جانب عظيم، فضربها بالعصا ضربا مؤلما، ثم ربطها بشجرة داره وبقيت طول الليل مربوطة إلى الصباح، فجاء ليحلها فوجدها قد ماتت، وكانت ليلة ذات برد شديد، فأحضره أسعد باشا وأمر أن يضرب ضربا شديدا، فضرب ثم وضع بالحديد بعدما أخذ منه أموالا كثيرة. وفي يوم الأربعاء ثامن صفر الخير من هذه السنة توفي الشيخ محمد أبو قميص الكردي شيخ مدرسة المرادية. وسمي بأبي قميص لكونه إذا لبس قميصا لا ينزعه حتى يتقطع، وهذا غاية في الزهد، وقد كان صائما متهجدا، خرجت في جنازته الأكابر والأعيان لاعتقادهم في صلاحه، ودفن في تربة مرج الدحداح، ولما فتحت حجرته وجدوا عنده عشرين ثوبا من الكتان جددا وخمسة عشر نصف مقطع وسبعة قناطير حطب وعشرة أرطال أرز وقدرة سمن وقدرة عسل، وغير ذلك من المؤن. ووجدوا قدرة بها أرباع ريال ومثلها مصاري، وفيها ذهب وأمتعة وحوائج وبدراويتين ملآنتين قمصان، ووجدوا مقدار مئة كتاب قدورهم بثمن عظيم. فانظر إلى زهد مثل هذا، فقد ذهب الصالح بالطالح.

وفي يوم الجمعة عاشر صفر توفي الشيخ إبراهيم إمام القشماسية، وكان فقيها صالحا، ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله. وفي يوم الجمعة اثنين وعشرين من ربيع الأول توفي العالم النحرير الشيخ أحمد الحرستي أمين الفتوى في بيت العمادي رحمه الله.

وفي تلك الأيام باع رجل جرة زيت إلى رجل آخر، فقبض ثمنها بعدما وزنها؛ ثم حملها إلى دار الرجل، وقال: أبق عندك هذه الجرة، فبعد ساعة آتيك وأفرغها لك، قال: لا بأس بل أنا أفرغها وأي وقت جئت تجد الجرة، ثم ذهب صاحب الزيت، وبعد ساعة فرغها المشتري، فوجد بها أربع أواق من الزيت والباقي

---

(١) تذييل سلافة العصر الجزائري، عبد الله ص/٢٦

ماء صافيا، فطلب الرجل فلم يجده.

وفي يوم السبت سلخ ربيع الأول قتل قبقولي رجلا من الأشراف في مأذنة الشحم، ضربه بخنجر في صدره أخرجه من ظهره، وترك الخنجر مغروزا فيه، حتى أخرجه قاضي كشف عليه ثم ألقوا القبض على القاتل، وقامت الأشراف، وثبت عليه القتل فحبسوه في القلعة، وفي تلك الليلة خنقوه.

وفي يوم الأربعاء غرة جمادى الأولى توفي الشيخ محمد بن الشيخ شعيب الشهير بالشيخ جينة القاطن بحارة باب السريجة. كان رحمه الله ضحوك السن لطيفا على غاية من الصلاح، ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى. وفي ثامن جمادى الأولى اغتيل رجل شقي من الصالحية يعرف بالفستقي، كان كما قيل داهية دهماء ومصيبة عظماء، شجاع يرد مئة شجاع بعصا، سارق ما سمع بمثله بين اللصوص المشتهرين بالحيل، فمن حيله وشطارته التي ما سمع بنظيرها أنه متى وضع يده على أعلى حائط فمتى علق ظفره به صار أعلاه، والمدهش أن يكون ظهره للحائط، وإذا وضع في أي مكان وأغلق عليه الباب وقفل، خرج منه مهما كان، وهذا كله ولم يجاوز العشرين سنة من عمره، ثم إنه بغى على أهل الصالحية خصوصا وعلى غيرهم فأعياهم أمره، فجعلوا لشخص جعلا على قتله، فاغتاله بعد ما عمل معه صحبة، وقتله وراح وكأنه ما كان.

وفي يوم الثلاثاء جاء خبر إلى دمشق بأن ليلة الاثنين قتل حاكم بعلبك الأمير حسن، وقد كان خارجا من الجامع، فاغتاله ثلاثة أشخاص، ورموه بثلاث بنادق وفروا هاربين وحمل إلى داره. وفي اليوم الثاني توفي، وقد قيل بأن القاتلين له إخوته، حيث أن له من الإخوة سبعة، والله أعلم.

وفي تلك الأيام فرض والي الشام أسعد باشا على الزعماء والأكابر والتجار بأن يأتوا له من مدينة حماة بقمح، ويكون أجرته منهم، فذهب بعضهم وأتى بقمح كثير، فبيعت الغرارة بإحدى وثلاثين غرشا، ولم نستفد غير وجوده، وأما الغلاء فإنه باق بجميع الأصناف كما قدمنا تسعيره.." (١)

"ولبان وادي المنحني وأراكه ... وتنعمي في ظله الممدود

أيام عيشي في النضارة مشبه ... خضر العوارض في بياض خدود

أيام لا أنفك طالب رشفه ... من مبسم أو قبلة من جيد

أيام أجنى الوصل من غصن المنى ... وأرى جني الآمال غير بعيد

ما ينقضي ليل يضئ سناءه ... إلا ويعقبه كيوم العيد

---

(١) حوادث دمشق اليومية البديري الحلاق ص/٣٩

والوقت صاف والعيون قريرة ... والسمع خلو من ملام حسود

والحب واف والعذول مساعد ... مغض عن التقريع والتفنيد

كم جاءني فيها المفدى زائرا ... عفوا كغصن البانة الأملود

متورد الخدين من خفر الحيا ... متبسما عن لؤلؤ منضود

ومنها

آها على ذاك الزمان وطيبه ... وهني عيش مرفيه رغيد

ولبست من صافي الصبابة حلة ... زانت مطارف طارفي وتليدي

لا ناظري يهفو لطلعة أهيف ... والسمع لا يصغي لنغمة عود

والطرف ملآن الجفون من الكري ... خال من التعذيب والتسهيد

وشرعت في تبييض غر صحائفي ... من بعد ذاك الشين بالتسويد

وقوله رحمه الله تعالى

البدر من لمحانه ... والمسك من نفحاته

والند من أخلاقه ... والورد من وجناته

والشمس من أزراره ... والسحر من لحظاته

والدر من ألفاظه ... والشهد من رشفاته

وإذا مشى سرقت ظبا ... ء البان من لفتاته

يا مالكي رفقا بمن ... أضنيت قبل مماته

ذو خنجر ألحاظه ... أغنته عن طعناته

أواه واتلفي إذا ... شاهدت حسن صفاته

وحياته ما حلت عن ... حبيه لا وحياته

النار من زفراته ... والقطر من عبراته

فاعطف على صب كئي ... ب ذاب من حسراته

وتعلمت ورق الحما ... م السجع من أناته
يكفيه ما يلقاه من ... عذاله ووشاته." (١)

"لاسمعيل بك وجماعته وولوا على مصر محمد باشا من حيث أتى بعدما دفع المائة وعشرين كيسا التي اخذها من دار الضرب وصرفها على تجريدة اجرود ولم يزل محمد بك جركس ومحمد بك بن سيده ومن يلوذ بهم مصرين على حقدهم وعداوتهم للمترجم وهو يتغافل عنهم ويغضي عن مساويهم ويسامح زلاتهم حتى غدروا به وقتلوه بالقلعة على حين غفلة وذلك أنه لم يزل ذو الفقار تابع عمر اغا يطالب بفائظ حصته في قمن العروس ويكلم جركس يشفع له عند إسمعيل بك فيقول له: اطرد الصيفي من عندك وأرسل الي بعد ذلك ذا الفقار ويأخذ الذي يطلع له عندي إلى أن ضاق خناق ذي الفقار من الفشل والاعدام فطلع إلى كتخدا الباشا وشكا إليه حاله فقال له: وما الذي تريد نفعله قال: اريد أن أقتل ابن ايواظ عندما يأتي إلى هنا واعطوني صنجقية وعشرين كيسا فائظ من بلاده وكشوفية المنوفية فدخل الكتخدا واخبر مخدومه بذلك فأجابه إلى مطلوبه على شرط أن لا يدخلنا في دمه. فنزل ذو الفقار واخبر جركس بما حصل وطلب أن يكون ذلك بحضوره هو وإبراهيم بك فارسكور فأجابه إلى ذلك ولما اجتمعوا في ثاني يوم عند كتخدا الباشا دخل ذو الفقار وقدم له عرضحال إلى إسمعيل بك فأخذه وشرع يقرأ فيه وإذا بذي الفقار سحب الخنجر وضرب الصنجق به في مدوده وكان معه قاسم بك الصغير واصلان وقبلان وخلافهم مستعدين لذلك فعندما رأوه ضرب إسمعيل بك سحبوا سيوفهم وضربوا أيضا إسمعيل بك جرجا فقتلوه فهرب صاري علي وكتخدا الجاويشية مشاة إلى باب الينكجرية وقطعوا راس الأميرين وشالوا جثتهما إلى بيوتهما فغسلوهما وكفنوهما ودفنوهما بمدفن أبي الشوارب الذي بطريق الازبكية عند غيظ الطواشي وذلك في سنة ١١٣٦. ثم أرسلوا رأسيهما مسلوخين فدفنوهما أيضا وانقضت دولة إسمعيل بك ابن ايواظ. وكانت." (٢)

"إلى بركة الحج وكذلك خيام الأمراء وغيرهم وسالت السيول من باب النصر ودخلت البلد وامتلأت الوكائل بالمياه وكذلك جامع الحاكم وقتلت أناس في حواصل الخانات وصار خارج باب النصر بركة عظيمة متلاطمة بالامواج وأنهدم من دور الحسينية أكثر من النصف وكان امرا مهولا جدا.

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٥٦/٤

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١٨٣/١

وفيه حصل أيضا كائنة عبد الوهاب أفندي بشناق الواعظ وذلك أنه مات رجل من البشانقة من أهل بلده وكان قد جعله وصيا على تركته فاستولى عليها واستأصلها وكان للرجل المتوفي شركة بناحية الأسكندرية فسافر المذكور إلى الأسكندرية وحاز باقي التركة أيضا ورجع إلى مصر وحضر الوارث وطالبه بتركة مورثه فأظهر له شيئا نزرا فذهب الوارث إلى القاضي فدعاه القاضي وكلمه في ذلك فقال له أنا وصي مختار وأنا مصدق وليس عندي عندي خلاف ما سلمته له فقال له القاضي أنه يدعى عليك بكذا وكذا وعنده اثبات ذلك وطال بينهما الكلام وتطاول على القاضي واستجهله فطلع القاضي إلى الباشا وشكا له فأمر باحضاره فحضر في جمع الديوان وناقشوه فلم يتزلزل عن عناده إلى أن نسب الكل إلى الانحراف عن الحق فحنق الباشا منه وأمر برفعه من المجلس فقبضوا عليه وجروه وضربوه ورموا بتاجه إلى الأرض وحبسوه في مكان وصادف أيضا ورود مكتوب من ناحية المدينة من مفتيها كان أرسله المذكور إليه لسبب من الأسباب وذكر فيه الباشا بقوله التعيس الحربي وكذلك الأمراء بنحو ذلك فأرسله المفتي وأعاده على يد بعض الناس إلى إسمعيل بك حقدا منه عليه لكراهة خفية بينهما سابقة وأوصلة إسمعيل بك أيضا إلى الباشا فازداد غيظا وأرعد وأبرق وأحضر بشناق أفندي من محبسه وقت القائلة وأراه ذلك المكتوب فسقط في يده واعتذر فلطمه على وجهه ونتف لحيته وأراد أن يضربه **بخنجره** فشفع فيه أكابر أتباعه ثم أخذوه وسجنوه وامر بمحاسبته على ما أخذه من التركة فحوسب وطولب وبقي بالحبس حتى وفي ما طلع عليه وشفع فيه علي بك الدفتردار وخلصه من الترسيم." (١)

"منو الذي كان سارى عسكر برشيد فلم يزالوا معه حتى اوصلوه إلى المحكمة الكبرى بعد أن شقوا به المدينة.

وفي ذلك اليوم اعني يوم السبت وقعت نادرة عجيبة وهو أن سارى عسكر كلهبر كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذي بداره بالازبكية فدخل عليه شخص حلبي وقصده فاشار إليه بالرجوع وقال له ما فيش وكررها فلم يرجع وأوهمه أن له حاجة وهو مضطر في قضائها فلما دنا منه مد إليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده فمد إليه الآخر يده فقبض عليه وضربه **بخنجر** كان اعده في يده اليمنى أربع ضربات متوالية فشق بطنه وسقط إلى الأرض صارخا فصاح رفيقه المهندس فذهب إليه وضربه أيضا ضربات وهرب فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس فدخلوا مسرعين فوجدوا كلهبر مطروحا وبه بعض الرمق ولم

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٩٣

يجدوا القاتل فانزعجوا وضربوا طبلهم وخرجوا مسرعين وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل واجتمع رؤساؤهم وأرسلوا العساكر إلى الحصون والقلاع وظنوا أنها من فعل أهل مصر فاحتاطوا بالبلد وعمروا المدافع وحرروا القنابر وقالوا: لا بد من قتل أهل مصر عن آخرهم ووقعت هوجة عظيمة في الناس وكرشة وشدة انزعاج وأكثرهم لا يدري حقيقة الحال ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا في البستان المجاور لبيت سارى عسكر لمعروف بغيط مصباح بجانب حائط منهدم فقبضوا عليه فوجدوه شاميا فاحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده فوجدوه حلبيا واسمه سليمان فسألوه عن محل ماواه فأخبرهم أنه يأوي ويبيت بالجامع الأزهر فسألوه عن معارفه ورفقائه وهل أخبر أحد بفعله وهل شاركه أحد في رأيه واقره عل فعله أو نهاه عن ذلك وكم له بمصر من الأيام أو الشهور وعن صنعته وملته وعاقبوه حتى أخبرهم بحقيقة الحال فعند ذلك علموا ببراءة أهل مصر من ذلك وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة أهل البلد وقد كانوا ارسلوا أشخاصا من ثقاتهم تفرقوا في الجهات." (١)

"حد وهذا بيان الجروحات الأول في جنب الصدغ الثاني في الكف في عظمة الأصبع الخنصر الثالث بين الضلوع الشمالية الخامس في الشدق الشمالي والسادس في الصدر من الشقة الشمالية وشق نحو العرق ثم إلى تأييد ذلك وضعنا أسماءنا وخطنا فيه برفقة الدفتردار سارتلون تحريرا في سراية سارى عسكر مدير الجيوش في اليوم والشهر والساعة المرقومة أعلاه بامضاء باش حكيم وخط الجرايحي من أول مرتبة كازابيانكا والدفتردار سارتلون عن.

اول فحص سليمان الحلبي.

نهار تاريخه خمسة وعشرين في شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي في بيت سارى عسكر داماس مدبر الجيوش واحد فسيال من ملازمين بيت سارى عسكر العام حضر وبيده ماسك راجل من أهل البلد مدعيا أن هذا هو الذي قتل سارى عسكر العام كلهبر المنهوم المذكور انعرف من الستوين بروتاين المهندس الذي كان مع سارى عسكر حين انغدر لأنه أيضا انضرب برفقته بالخنجر ذاته وانجرح بعض جروحات.

ثانيا المتهوم المذكور انشاف بين جماعة سارى عسكر من حد الجيزة وانوجد مخبى في الجنينة التي حصل فيها القتل وفي الجنينة نفسها انوجد الخنجر الذي به انجرح سارى عسكر وبعض حوائج أيضا بتوع المتهوم

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣٥٨/٢

فحالا بدىء الفحص بحضور سارى عسكر منو الذي هو أقدم أقرانه في العسكر وتسلم في مدينة مصر والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا براشويش كاتم سر وترجمان سارى عسكر العام ومحرر من يد الدفتردار سارتلون الذي أحضره سارى عسكر منو لأجل ذلك المتهوم المذكور.

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته فجاوب أنه يسمى سليمان ولادة بر الشام وعمره أربعة وعشرون سنة ثم صنعته كاتب عربي وكانت سكنته في حلب." (١)

"ثم في ثالث ورابع يوم كرر عليه أيضا هذا السؤال وحالا ارسله إلى ياسين اغا في غزة لأجل أن يعطي له مصروفه وأنه من بعد هذا الكلام بأربعة أيام سافر من القدس إلى الخليل وهناك قعد كام يوم وما وصله ولا مكتوب من أحمد اغا وأما أحمد اغا المذكور كان أرسل خداما إلى غزة لأجل يخبر ياسين اغا بالذي اتفقوا عليه.

سئل كام يوم قعد في الخليل فجاوب عشرين يوما.

سئل لاي سبب قعد عشرين يوما في الخليل وهل في هذه المدة ما وصله مكاتيب من الإثنين الاغوات فجاوب أن السكة كانت ملانة عرب وأنه خائف منهم فالتزم يستنظر سفر القافلة التي سافر برفقتها وأنه كان في غزة في اواخر شهر ذي القعدة الموافق لغرة شهر فلوريال الفرنساوي.

سئل ايش عمل في غزة وآيش قال له ياسين اغا فجاوب أن ثاني يوم وصوله راح شاف الاغا والمذكور قال له أنه يعرف الشغل الذي هو سبب مشواره هذا وأنه اسكنه في الجامع الكبير وهناك مرار عديدة كان يروح يشوفه ليلا ونهارا ويتحدث معه في هذا الأمر ووعده أنه يرفع الغرائم عن ابيه وأنه دائما يجعل نظره عليه في كل ما يلزمه ثم بلغه عن كل الذي كان لازم يفعله كما شرح أعلاه وهذا صار سرا بينهم ثم أعطى له أربعين قرشا لمصروف السفر وبعد عشرة أيام سافر من غزة راكب هجين ووصل هنا بعد ستة أيام كما عرف سابقا وأن سفره من غزة كان في أوائل شهر ذي الحجة الموافق إلى نصف شهر فلوريال الفرنساوي فبقى باين أنه حين غدر سارى عسكر كان له واحد وثلاثون يوما في مدينة مصر.

سئل هل يعرف **الخنجر** الملغمط دم الذي قتل به سارى عسكر فجاوب نعم يعرفه.

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣٦١/٢

سئل من اين أحضر هذا **الخنجر** وهل أجد من الاغوات اعطاه له أم أجد خلافهم فجاوب أنه ما أجد اعطاه له وإنما بحيث أنه كان قصد قتل سارى عسكر توجه إلى سوق غزة واشترى أول سلاح شافه." (١)

"إسلامه وباعتمده أن المسمى منه جهاد وتهليك الغير المؤمنين فمما أنهى وأيقن أن هذا هوالايمان ومن ذلك الآن مارما بقي تردد أحمد اغا في بين ما نوى منه فوعد له حمايته وانعامه وفي الحال ارسله إلى ياسين اغا ضابط مقدار من جيوش الوزير بغزة وبعثه بعد أيام لمعاملته وأقبضه الدراهم اللازمة له وسليمان قد امتلأ من خباثته وسلك بالطرق فمكث واحد وعشرين يوم في بلد الخليل يجبرون منتظر فيه قبيلة لذهاب البادية وكل مستعجل ووصل غزة في أوائل شهر فلوريال الماضي وياسين اغا مسكنه بالجامع لاستحكام غيرته والمجنون يواجهه مرارا وتكرارا بالنهار والليل مدة عشرة أياما مكثه بغزة يعلمه وبعد ما أعطاه أربعين غرشا أسديا ركبه بعقبيه الهجين الذي وصل مصر بعد ستة أيام وممتن **بخنجر** دخل بأواسط شهر فلوريال إلى مصر التي قد سكنها سابقا ثلاث سنين وسكن بموجب تربياته بالجامع الكبير ويتحضر فيه للسيئة التي هو مبعوث لها ويستدعي الرب تعالى بالمناداة وكتب المناجاة وتعليقها بالسور مكانه بالجامع المذكور علاه وتأنس مع الأربعة مشايخ الذين قرأ والقرآن مثله وهم مثل مولودين ببر الشام وسليمان أخبرهم بسبب مراسلته وكان كل ساعة معهم متؤامرين به لكن ممنوعين بصعوبة ومخطرات الوحدة محمد الغزي والسيد أحمد الوالي وعبد الله الغزي وعبد القادر الغزي هم معتمدين سليمان بارتهان ما نواه ولا عاملوا شيء لممانعته أو لبيانه وعن مداومة سكونهم به صاروا مسامحين ومشتركين في قبحة القاتل هو منتظر واحد وثلاثين يوم معدودة بمصر فعقبة جزم توجهه إلى الجيزة وبذاك اليوم اعقد سره إلى الشركاء المذكورين أعلاه وكان كل شيء صار سهل جزم القاتل بمصنوعته الشنيعة وبيوم الغدوة طلع السر عسكر من الجيزة متوجها مصر وسليمان طوى الطرق ولحقه هلقدو حتى لزم أن يطروده مرارا مختلفة لكن هو المكار عقيب غدرا تعداه وفي يوم الخامس والعشرين من شهرنا الجاري وصل واختفى في جنينة السر عسكر لتقبيل يده فالسر عسكر لا أبي عن قيافة." (٢)

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٣٧٥

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٣٨٤

"يهودي سواء كان قبطيا أو روميا أو شاميا فإنهم من رعايا السلطان والماضي لا يعاد والعجيب أن بعض نصارى الاروام الذين كانوا بعسكر الفرنسيس تزيوا بزي العثمانية وتسلحوا بالاسلحة واليطقانات ودخلوا في ضمنهم وشمخوا بآنافهم وتعرضوا بالاذية للمسلمين في الطرقات بالضرب والسب باللغة التركية ويقولون في ضمن سبهم للمسلم فرنسيس كافر ولا يميزهم إلا الفطن الحاذق أو يكون له بهم معرفة سابقة.

وفيه ارسلوا هجانا إلى الحجاز ومعه فرمان بخبر الفتح والنصر وارتجال الفرنساوية من ارض مصر ودخول العثمانية ومكاتبات من التجار لشركائهم بإرسال المتاجر إلى مصر.

وفيه ارسلوا فرمانا أيضا إلى الإقاليم المصرية والقرى بعدم دفع المال إلى الملتزمين ولا يدفعون شيا إلا بفرمان من الوزير.

وفي يوم الإثنين قتلوا شخصا بالرميلة يسمى حجاجا كان متولى الأحكام ببولاق أيام الفرنسيس وجار وعسف وقتل معه آخر يقال أنه أخوه.

وفيه أيضا أشخاصا بالازبكية وجهات مصر.

وفيه ركب الوزير بثياب التخفيف وشق المدينة وتامل في الأسواق وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوانيت الباعة وأرباب الصنائع ومشاركتهم في ارزاقهم ثم توجه إلى المشهد الحسيني فزاره ثم عبر إلى دار السيد أحمد المحروقي وشرفه دبخوله إليه فجلس ساعة ثم ركب وأعطى أتباعه عشرين دينارا وذكر له أنه إنما قصد بحضوره إليه تشريفه وتشريف أقرانه وتكون له منقبة وذلك على ممر الأزمان وأما العسكر فلم يمتثلوا ذلك الأمر إلا أياما قليلة ووقع بسبب ذلك شكاوي ومشاكلات ومرافعات عند العظماء.

وفي يوم الثلاثاء وصل قاصد من دار السلطنة وعلى يده شال شريف من حضرة الهنكار السلطان سليم خان خطابا لحضرة الوزير ومعه **خنجر**." (١)

"وفي خامس عشرة تواترت الأخبار بوقوع حرب بين العسكر والأمراء القبالي وملك العسكر جهة من المنية بعدما اصطدموا عليها من البر والبحر فوصل الاخصام وحالوا بينهم وبين عسكرهم والمتاريس واجلوهم وقتل من قتل بين الفريقين واحترق عدة مراكب من مراكب العسكر وما فيها من المتاع والجبخانة وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانة وثياب وغير ذلك وانتشر عسكر القبليين إلى جهة بحري حتى وصلوا إلى زاوية المصلوب وحاصروا من في بوش والفشن وبني سويف وكذلك من بالفيوم وشرع الباشا واجتهد في تجهيز

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٤٨٢/٢

المطلوبات وتسهيل الاحتياجات وفيه حضرت سعاة من ثغر سكندرية وأخبروا بورود عدة مراكب انكلزيه إلى المينا وسألوا أهل الثغر عن مراكب فرنسيس وردت المينا أم لا ثم قضوا بعض اشغالهم وذهبوا.

وفي ليلة الأربعاء رابع عشرة وقعت حادثة وهو أن كاشفا من أكابر الارنؤد سكن ببيت ابن السكري الذي بالقرب من الحلوجي ويتردد عليه رجل من المنتسبين إلى الفقهاء يسمى الشيخ أحمد البراني خبيث الافعال يصلي إماما بالمذكور فرأى ما رابه منه مع فراشة فضربه **بالخنجر** والنبا بيت حتى ظن هلاكه واخرجه اتباعه وحملوه إلى منزله في خامس ساعة من الليل وبه بعض رمق ومات بعد ذلك وأخبر المشايخ بذلك ورفع القتيل إلى المحكمة وتغيب القاتل وامتنع المشايخ من حضور الجامع والتدريس بسبب ذلك وبسبب أولاد سعد الخادم سدنة ضريح سيدي أحمد البدوي وقد كانوا شكوا بعضهم وتعين بسبب ذلك كاشف علي أحمد بن الخادم وهجم داره وقبض على بناته ونسائه ونبشوا داره وفحروا ارضها للتفتيش على المال وطالت قصتهم من أواخر الشهر الماضي لوقت تاريخه وتكلم المشايخ مرارا مع الباشا في امرهم وهو يغالط طمعا في المال وقد كان سمع تهمتهم بكثرة المال وأن محمد باشا خسر وأخذ منهم سابقا في أيام ولايته مائة وخمسة وثمانين ألف ريال خلاف حق الطريق وذلك من.." (١)

"عظيمة في غاية العظم ولاثخن ليس لها نظير في هذا الوقت والأوان.

وفي سابعه حضر شاهين بك إلى بر الجيزة وبات بالقصر وضربوا لقدومه مدافع كثيرة من الجيزة وعمل له علي جربجي موسى الجيزاوي وليمة وفرض مصروفها وكلفتها على أهل البلدة واعطاه الباشا إقليم الفيوم بتمامه التزاما وكشوفية وأطلق له فيها التصرف وأنعم عليه أيضا بثلاثين بلدة من إقليم البهنسامع وكشوفيتها وعشرة بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التي ينتقيها ويختارها وتعجبه مع كشوفية الجيزة وكتب له بذلك تقاسيط ديوانية وضم له كشوفية البحيرة بتمامها إلى حد الإسكندرية واطلق له التصرف في جميع ذلك ومرسوماته نافذة في سائر البر الغربي.

وفي صبح يوم الأربعاء تاسعه ركب السيد عمر أفندي النقيب والمشايخ وطلعوا إلى القلعة باستدعاء ارسالية ارسلت إليهم في تلك الليلة فلما طلعوا إلى القلعة ركب معهم ابن الباشا طوسون بك ونزل الجميع وساروا إلى ناحية مصر القديمة وكان شاهين بك عدى إلى البر الشرقي بطائفة من الكشاف والمماليك والهوارة فسلموا عليه وكان بصحبتهم طائفة من الدلاة ساروا إمام القوم بطبلاتهم وسفافيرهم ومن خلفهم طائفة من

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٤٢/٣

الهوارة ومن خلفهم الكشاف والمماليك والسيد عمر النقيب والمشايخ ثم شاهين بك وبجانبه ابن الباشا وخلفهم الطوائف والأتباع والخدم وخلفهم النقاقير فساروا إلى ناحية جهة القرافة وزاروا ضريح الإمام الشافعي ثم ركبوا وساروا إلى القلعة وطلعوا من باب العزب إلى سراية الديوان وانفصل عنهم المشايخ ونزلوا إلى دورهم وقابلوا الباشا وسلم شاهين بك عليه فخلع عليه الباشا فروة سمور مثمنة وسيفا وخنجرا مجوهرا وتعابي وقدم له خيولا بسروجها وعزم عليه ابن الباشا فأذن له أن يتوجه صحبته إلى سرايته فركب معه وتغدى عنده ثم ركب بصحبته ونزلا من القلعة وذهب عند حسن باشا فقابله أيضا وسلم عليه وخلع عليه أيضا وقدم له خيولا وركب صحبتها وذهبوا عند طاهر باشا ابن اخت الباشا فسلم عليه أيضا." (١)

"جردوا جيشا إلى تلك الجهة فتوجه يوسف باشا إلى المزيريب وحصن قلعتها واستعد إليهم بجيش وحاربوهم وطردوهم ثم اضطربت الأخبار واختلفت الاقوال.

واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٢٥

فيه وردت الأخبار بورود قزلا راغا من طرف الدولة وعلى يده أوامر وخلعة وسيف وخنجر لمحمد علي باشا وصحبته أيضا مهمات وآلات مراكب ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ومحاربة الوهابية وهو يسمى عيسى أغا وأنه طلع إلى ثغر سكندرية.

وفي يوم السبت عاشره الموافق لسادس مسرى القبطي اوفي النيل وحصلت الجمعية وحضر كتخدا بك القاضي وباقي الأعيان وكسر السد بحضرتهم في صبحها يوم الأحد وجرى الماء في الخليج.

وفيه وصل الاغا شبرا وعملوا له هناك شنكا وحراقات وتعليقات قبالة القصر الذي انشأه الباشا بساحل شبرا وخرجوا لملاقاته في صبحها بعد ثلاث ليال في يوم الثلاثاء ثالث عشرة وعملوا له موكبا عظيما وطلع إلى القلعة وضربوا عند طلوعه إلى القلعة مدافع وهذا الآغا اسمر اللون حبشي مخصي لطيف الذات متعاظم في نفسه قليل الكلام وفي حال مروره كان بجانبه شخصان ينثران الذهب والفضة الإسلامبولي على الناس المتفرجين وحضر صحبته وصحبة اتباعه السكة الجديدة التي ضربت بإسلامبول من الذهب والفضة وهي دراهم فضة خالصة سالمة من الغش زنة الدرهم منها درهم وزنى كامل ستة عشر قيراطا يصرف بخمسة وعشرين نصفا من الانصاف المعاملة العددية المستعملة في معاملة الناس الآن وكذلك قطعة مضروبة وزن درهمين بالدرهم الوزني تصرف بخمسين وكذلك قطة مضروبة وزنها أربعة دراهم وتصرف بمائة نصف وقطعة

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢٢٧/٣

وزنها ثمانية دراهم وتصرف بمائتين وكذلك ذهب فندقلي إسلامي يصرف بأربعمائة نصف وأربعين نصفا ونصفه وربعه.." (١)

"وفي يوم الأربعاء حادي عشره بين الظهر والعصر كانت السماء مصحبة والشمس مضيئة صافية فما هو إلا والسماء والجو طلع به غيم وقتام ورياح نكباء غربية جنوبية واظلم ضوء الشمس وارعدت رعدتين الثانية اعظم من الأولى وبرق ظهر ضوؤه وامطرت مطرا متوسطا ثم سكن الريح وانجلت السماء وقت العصر وكان ذلك سابع بشنس القبطي وآخر يوم من نيسان الرومي فسبحان الملك الفعال مغير الشؤن والأحوال وحصل في تاليه يوم الجمعة مثل ذلك الوقت أيضا غيوم ورعود كثيرة ومطر ازيد من اليوم الاول.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٨

في ثاني عشره وصل في النيل على طريق دمياط أغا من طرف الدولة يقال له: قهوجي باشا السلطان فاعتنى الباشا بشأنه وحضر إلى قصره بشبرا وأمر بإحضار عدة من المدافع والآت الشنك وعملوا إمام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقدات ونبه على الطوائف بالاجتماع بملابسهم وزينتهم ووصل الآغا المذكور يوم الأحد فخرج الاغوات والسفاشية والصقلية وهم لابسون القوايق وجميع العسكر الخيالة ليلا فما طلعت الشمس حتى اجتمعوا بأسرهم جهة شبرا وانتظموا في موكب ودخلوا من باب النصر ويقدمهم طوائف الدلاة وأكابرهم ويتلوهم أرباب المناصب مثل الآغا والوالي والمحتسب وبواقي وجاقات المصرية ثم موكب كتخدا بك وبعده موكب الآغا الواصل وفي أثره ما وصل معه من الخلع وهي أربع بقج **وخنجران** مجوهران وسيف وثلاثة شلنجات عليها ريش مجوهرة وخلف ذلك العساكر الخيالة والتفكجية وخلفهم النوبة التركية فكان مدة مرورهم نحو ساعتين وربع وليس فيهم رجالة مشاة سوى الخدم وقليل من عسكر مشاة وأما بقية العسكر فهم متفرقون بالأسواق والازقة كالجراد المنتشر خلاف من يرد منهم في كل وقت من الاجناس المختلفة برا وبحرا فمن الخلع الواردة ما هو مختص بالباشا وهو فروة **وخنجر**." (٢)

"انتقل إلى مساعدة الآخرين وظهر في حفر بعض الأماكن منها صورة أماكن ومساكن وقيعان وحمام بعقوده واحواضه ومغاطسه ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كفرية قديمة وأخرى لم تفتح لا يعلم مافيها رفعوها للباشا مع تلك.

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٣٠٦/٣

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٤٠٤/٣

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه حضر الباشا إلى شبرا ووصل في أثره قهوجي باشا وعملوا له موكبا في صبيحة يوم الخميس وطلعوا إلى القلعة ومع الاغا المذكور ما أحضره برسم الباشا وولده إبراهيم باشا الذي بالحجاز وهو خلعتا سمور لكل واحد خلعة وخنجر مجوهر لكل واحد وشلنجان مجوهران وساعة جوهر وغير ذلك وقريء الفرمان بحضرة الجمع وفيه الثناء الكثير على الباشا والعفو عمن بقي من الوهابية وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة وكذلك عند ورودهم واستمر ضرب المدافع ثلاثة أيام في جميع الأوقات الخمس ونزل القابجي المذكور ببيت طاهر باشا ب الأزبكية وحضر أيضا عقبه أطواخ لكل من عباس بك بن طوسون باشا بن الباشا ولأحمد بك ابن طاهر باشا وفي ضمن الفرمان الاذن للباشا بتولية امريات وقبجيات لمن يختار.

وفي صبحها يوم الجمعة خلع الباشا على أربعة أو خمسة من أمرائه بقبجيات باشا وهم علي بك السلانكلي قابجي باشا وحسن اغا ازرجانلي كذلك وخليل أفندي حاكم رشيد وشريف بك.

واستهل شهر جمادي الثانية سنة ١٢٣٤

وفيه حضر محمد بك الدفتردار من الجهة القبلية فأقام أياما وعاد إلى قبلي وفي أواخره رجع الكثير من فلاحين الاقاليم إلى بلادهم من الاشرفية وهم الذين اتموا ما لزمهم من العمل والحفر ومات الكثير من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب.

وفي هذا الشهر حصل بعض موت بالطاعون فداخل الناس وهم يسبب ما حدث في أكابر الدولة والنصارى من التحجب وعمل الكورنتينات وهي." (١)

"قد أودع منه في شرح لامية العجم وغيرها مما يعرف به مقداره ولكثرة ملاحظته للمعاني البديعية صار الغث من شعره كثيرا وينضم إلى ذلك مايطربه به من المبالغة في حسنه فيزداد ثقلا وقد يأتي له ما هو من الحسن بمكان كقوله

(بسهم أجفانه رماني ... وذبت من هجره وبينه)

(إن مت مالي سواه خصم ... لأنه قاتلي بعينه)

وكان يختلس معاني شعر شيخه ابن نباته وينظمها لنفسه وقد صنف ابن نباته في ذلك مصنفا سماه خبز الشعير المأكول المذموم وبين سرقانه لشعره ومات بدمشق ليلة عاشر شوال سنة ٧٦٤ أربع وستين وسبعمائة

١٦٤ - خليل بن أمير ان شاه بن تيمورلنك

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٦٠١/٣

ملك بعد موت جده تيمور كما تقدم تحقيقه في ترجمته وكان ذلك في حياة والده وأعمامه لكونه كان معه عند وفاته في سنة ٨٠٧ فلم يجد الناس بدامن سلطنته واستولى على الخزائن وتمكن من الأمراء ببذله وفيه رفق وتودد مع حسن سياسة وصدق لهجة وجمال صورة وأخذ في تمهيد ملكه وملك قلوب الرعية فاستفحل أمره وجرت حوادث إلى أن مات بالري مسموما في سنة ٨٠٩ تسع وثمان مائة ونحرت زوجته المسماة شادملك نفسها **بخنجر** من قفاها فهلكت من ساعتها وقد وصف مؤلف سيرة تيمور من أحواله وأشعاره بلسان قومه ومزيد عشقه لزوجته هذه وإفراط محبته لها ما يقضى منه العجب حتى قال إنه يقف معها في قميص واحد يدخلان فيه جميعا لمزيد شغف كل واحد منهما بالآخر فلهذا." (١)

"المهابة واجتمعت النصارى عليه مع سلطانهم فقابلهم صاحب الترجمة وهزمهم وقتل سلطانهم وأسر جماعة من ملوكهم فأظهر واحد من الملوك الطاعة للسلطان وطلب تقبيل كفه فأذن له بذلك فلما قرب منه أخرج **خنجرا** كان أعده في كمه فضرب السلطان مراد فقتله وفاز بالشهادة في سنة ٧٩٢ اثنتين وتسعين وسبعمائة فصار القانون ألا يدخل على السلطان أحد إلا بعد تفتيش ثيابه ويكون بين رجلين يكتنفانه
مراد بن سليم بن سليمان بن سليم بن بايزيد بن أورخان ابن عثمان سلطان الروم

ولد سنة ٩٥٣ ثلاث وخمسين وتسعمائة وجلس على التخت سنة ٩٨٢ وهو من أعظم سلاطين الروم وأكابر ملوكها استولى على ما كان تحت يد آبائه من الممالك وزاد عليه فتوحات واسعة وهو الذي أتم عمارة الحرم الشريف بعد أن كان حصل فيه حريق أخرب كثيرا منه فأمر بهدمه جميعا والده السلطان سليم بن سليمان وشرع في عمارته على هيئة نفيسة وأسلوب غريب ثم مات بعد أن شرع في العمارة وكمله صاحب الترجمة وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في تاريخ كمال العمارة وهو هذا البيت بتمامه فإنه مع انسجامه وسلاسته وحسن نظمه جميعه تاريخ لتمام العمارة وهو
(جدد المسجد الحرام مراد ... دام سلطانه ودام زمانه)
وأرخ تمام العمارة بعضهم في نثر فقال عمر الحرم سلطان مراد

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع الشوكاني ٢٤٤/١

وقد وصف القطب الحنفي في الأعلام كيفية هذه العمارة وأطال في ذلك في آخر كتابه الأعلام وختم ترجمة صاحب الترجمة في ذلك الكتاب ولم يذكر تاريخ موته وهو في سنة ١٠٠٣ ثلاث وألف." (١)

"الناس إنه حداد نقاش نجار فأذن له عمر وضرب عليه مولاه كل شهر مائة فشكى إلى عمر شدة الخراج فقال له ما خراجك بكثير في جنب ما تعمل فانصرف ساخطا فلبث عمر ليالي فمر به العبد فقال عمر ألم أحدث أنك تقول لو شئت لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت إليه عابسا فقال لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فأقبل عمر على من معه فقال توعدني العبد فلبث ليالي ثم اشتمل على **خنجر** ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة وكان عمر يفعل ذلك فلما دنا عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهي التي قتلته

وفي صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال كيف فعلتما في أرض السواد أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق يعني من الخراج قالا حملناها أمرا هي له مطيقة ما فيها كبير فضل قال انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق قالا لا فقال عمر لئن سلمني الله تعالى لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدا قال فما أتت عليه رابعة حتى أصيب قال عمرو بن ميمون إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال استووا حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة واسمه فيروز فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين واسمه حطاب التميمي اليربوعي طرح عليه برنوسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فإنهم لا." (٢)

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع الشوكاني ٣٠١/٢

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٨٧/١

"وعلى سياق ابن خلكان إن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الأربعاء وكان الموعد بالمناجزة يوم السبت فغدر الأذفونش ومكر فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب أقبلت طلائع ابن عباد والروم في أثرها والناس على طمأنينة فبادر ابن عباد للركوب وانبث الخبر في العساكر فماجت بأهلها ورجفت الأرض وصارت الناس فوضى على غير تعبئة ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو فغمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الأرض حصيدا خلفها وصرع ابن عباد وأصابه جرح اشواه وفر رؤساء الأندلس وأسلموا محلاتهم وظنوا أنه وهي لا يرقع ونازلة لا تدفع وظن الأذفونش أن أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين فتقدم أمير المسلمين وأحدقت به أنجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل وقصدوا محلة الأذفونش فاقتحموها وقتلوا حاميتها وضربت الطبول وزعقت البوقات الأرض وتجاوبت الجبال والآفاق وتراجع الروم إلى محلتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها فقصدوه فأفرج لهم عنها ثم كر عليهم فأخرجهم منها ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فخالطوا الخيل وطعنوها فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها وتلاحق الأذفونش بأسود نفدت مزاريقه فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الأسود وقبض على عنانه وانتضى خنجرا كان متمنطقا به فأثبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه وكان وقت الزوال يوم الجمعة منتصف رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وهبت ريح النصر فأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أقفاءهم والسيوف تصفعهم والرماح تطعنهم إلى أن لحقوا بربوة لجؤوا إليها واعتصموا بها وأحدقت بهم الخيل فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من الربوة وأفلتوا من بعد ما نشبت فيهم أظفار المنية واستولى." (١)

"ترصد بباب دار السلطان للحاج محمد بن الطاهر ليفتكه وصاحبه فلما خرجا قام الطاهر بن مسعود إلى الأعوان فراودهم على إطلاق المسجونين فأبوا وقالوا إنهما مسجونان عن أمر السلطان فتصامم عن ذلك واستل خنجره وضرب إدريس البواب الوديي على ترقوته فخدشه وانتزع منه المسجون وتقدم لافتكاك أحمد بن المحجوب فأبى وانتهره وقال لا أخالف أمر السلطان وكان الودايا يظنون قيام العبيد معهم لحلفهم السابق فخذل الله فيما بينهم ثم أسرع الطاهر وابن الطاهر إلى فرسيهما فركباهما ونجوا إلى ناحية دار الدبيبغ وثارت

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢/ ٤٧

المغافرة بباب دار السلطان وحملوا السلاح وأخرجوا البارود والرصاص وقامت شيعة السلطان لمدافعتهم فكثرهم الودايا وهزموهم حتى أغلقوا عليهم باب المشور وسأل السلطان عن الهيعة فأعلم بالخبر وكان معه الحسن بن حمو واعزيز فقال له يا مولانا إن هؤلاء ما جسروا على هذا الفعل ببابك حتى عزموا على ما هو أكثر فدعا السلطان بفرسه وركبه مع الغروب وخرج من باب البجاة ومعه ابن واعزيز وبعض أصحابه خيلا ورجلا ولما علم الودايا بخروج السلطان ركبوا بقضهم وقضيضهم من فاس الجديد ومن قصبة شراقة فأدركوا السلطان عند قنطرة عياد فنزلوا إلى الأرض يقبلون حوافر فرسه ويتشفعون له ويتبرؤون من فعل أولئك السفهاء وكان الحال إذ ذاك حال مطر خفيف والشمس قد غربت أو كادت تغرب فساعدهم رحمه الله على الرجوع وأشار عليه الحاج محمد بن فرحون بأن يذهب معه إلى قصبة شراقة وكانت يومئذ لأهل السوس فذهب معه إلى داره من غير أن يطمئن إليه ولكن ذلك الذي اقتضاه الحال في تلك الساعة ولما استقر بدار ابن فرحون اجتمع عليه المغافرة والودايا وأهل السوس وأساء عليه المغافرة الأدب بل عزموا على الفتك به ولكن الله تعالى وقاه شرهم فاختلفت كلمتهم وتذامر أهل السوس فيما بينهم وقالوا لا يبيتن السلطان الليلة إلا بداره واستنهضوه فنهض رحمه الله وركب فرسه وصحبوه إلى داره في ذلك الليل فاستقر بها وبعد ذلك بأيام انتقل السلطان إلى بستان أبي الجلود خارج فاس الجديد على حين غفلة من الودايا وانحاز." (١)

"المرسلة إلا في شيء واحد هو إعطاء الحق لإنسان آخر مثله فلا يجوز له أن يظلمه وما عدا ذلك فلا سبيل لأحد على إلزامه إياه وهذا واضح البطلان لأن الله تعالى حكيم وما ميز الإنسان بالعقل إلا ليحمله هذه التكاليف الشرعية من معرفة خالقه وبارئه والخضوع له لتكون له بها المنزلة عند الله في العقبى {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض} الأحزاب ٧٢ الآية

واعلم أن الحرية الشرعية هي التي ذكرها الله في كتابه وبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وحررها الفقهاء رضي الله عنهم في باب الحجر من كتبهم فراجع ذلك وتفهمه ترشد وبالله التوفيق

وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف كمل بناء الدار الفيحاء التي أنشأها السلطان سيدي محمد رحمه الله بآجدال من ظاهر رباط الفتح بجوار ضريح جده سيدي محمد بن عبد الله وهي دار كبيرة حسنة البناء واسعة المقاعد والفناء يقال إنها من أخوات بديع المنصور ولما كمل بناؤها أمر السلطان رحمه الله أن يختم فيها فقهاء رباط الفتح صحيح البخاري أولا وفقهاء سلا ثانيا فدخلناها في جملتهم وتقصينا منازلها

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٣/٣٤

ومقاعدها فرأينا ما ملأ أبصارنا حسنا وإتقانا وعجيب صنعة

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف حدثت فتنة بفاس وذلك أن الناس كانوا في صلاة الجمعة بمسجد القرويين خامس ربيع الأول وكان فيهم التاجر الأمجد أبو عبد الله حبيب بن هاشم بن جلون الفاسي فلما سجد مع الناس شدخ بعض اللصوص رأسه بحجر كبير من أحجار التيمم التي تكون بالمسجد ثم انحنى عليه **بخنجر** كان بيده فقطع به صفاق بطنه وساوره التاجر المذكور وما بالعير من قماص ولما وقعت الضجة قطع الناس صلاتهم وخرجوا فارين من المسجد وتركوا ثيابهم ونعالهم ومصاحفهم وغير ذلك فقائل يقول إن الإمام المهدي قد خرج وآخر يقول إن الناس يذبح بعضهم بعضا في الجامع واهتزت المدينة ثم تراجع الناس بعد حين وأما اللص فإنه خرج شاهرا سلاحه حتى وصل إلى باب المسجد فكثره الناس وقبضوا عليه وانتزعوا السلاح من يده وكشفوه فإذا به قد أدار حبالا كثيرة من تحت الثياب." (١)

"للسلطان عن بجاية نقم فارح عليه ذلك وأسرها في نفسه إلى أن بعثه الحفصي المذكور مع الوطاسي لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره إلى المغرب فانتهى إلى بجاية وبينما هو يحاول ما أرسل في شأنه شكا إليه الصنهاجيون سوء ملكة بني مرين فنجع كلامهم فيه ونفث لهم بما عنده من الضغن ودعاهم إلى الثورة بالمرينيين والقيام بدعوة الحفصيين فأجابوه إلى ذلك وتواعدوا للفتك بعلي بن عمر الوطاسي بمجلسه من القصبة وتولى كبرها منصور بن إبراهيم بن الحاج من مشيختهم وباكره في داره على عادة الأمراء ولما أكب عليه ليلثم أطرافه طعنه **بخنجره** ثم ولج عليه الباقون فاستلحموه وذلك في ذي الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثارت الغوغاء بالبلد وهتف الهاتف بدعوة أبي زيد بن محمد بن أبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة وطيروا إليه بالخبر واستدعوه فتثاقل عنهم وبلغ الخبر إلى السلطان أبي عنان فاتهم أبا عبد الله الحفصي بمداخلة حاجبه فارح في ذلك فاعتقله بداره واعتقل وفدا من أشراف بجاية كانوا ببابه ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا أمرهم في الرجوع إلى طاعة السلطان أبي عنان واتفق رأيهم على أن يرقعوا هذا الخرق ويسدوا هذه الثلمة براس الحاجب فارح وصنهاجة الثائرين معه وداخلهم في ذلك القائد هلال مولى ابن سيد الناس ولما عزموا على أمرهم دعوا الحاجب فارحا إلى المسجد ليفاوضوه فيما نزل بهم فأحس بالشر ولجأ إلى دار الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس البجائي إمام بجاية ومفتيها فاقتحموا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس بطعنة فأنفذه ورمى بشلوه من أعلى الدار فاحتزوا رأسه وبعثوا به إلى

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١١٥/٣

السلطان أبي عنان وفر منصور بن إبراهيم بن الحاج وقومه صنهاجة عن البلد وسرح السلطان أبو عنان إليها حاجبه أبا عبد الله محمد بن أبي عمرو في الكتائب فدخلها فاتح سنة أربع وخمسين وسبعمائة وذهبت صنهاجة في كل وجه ولحق أصحاب الفعلة منهم بتونس وتقبض الحاجب ابن أبي عمرو على جماعة من غوغاء بجاية." (١)

"يتصل بها من جهاتها الأربع مماشي تمضي إلى قباب أخر منتخبة أيضا وطول هذا البستان ينيف على مائتي خطوة تقريبا وعرضه قريب من ذلك وهذا القدر هو مساحة ما بين القصرين أعني الدار الكبرى والقصر الأخضر ثم أصلح هذا الخليفة جامع المنصور الذي بالقصبة إذ كان متهدما يومئذ ثم أسس مسجدا آخر للخطبة بجوار قصره وهو المعروف اليوم بمسجد بريمة وهو مسجد حافل بديع وبنى مدرستين لطلبة العلم بالقصبة المذكورة وبنى حماما ببريمة وعمر مساجد غير ذلك للأحرار والعبيد وفرق الأموال على من انحاش إليه منهم لعمارة مساكنهم وبناء دورهم بعد أن كانت من الطين والقصب وكتب الكتائب وجند الأجناد فاجتمع لديه من العبيد ألف وخمسمائة كلهم فارس شاكي السلاح ومن عبدة وأحمر مثل ذلك ومن الرحامنة وأهل الحوز ألف فارس كذلك

ولما خرج العبيد بمكناسة على والده وقدموا عليه بمراكش مبايعين له عاتبهم وقدم مكناسة وأصلح بينهم وبين والده كما مر

ولما كانت سنة تسع وستين ومائة وألف غزا بلاد السوس ودوخها ومهد أقطارها وجبى أموالها وقرر الحامية بتارودانت منها ثم سار إلى آكادير فقبض على الطالب صالح الثائر به والمستبد بمال مرساه فسجنه واستصفى أمواله التي استفادها من المرسى ورتب الحامية في آكادير أيضا ثم إن الطالب صالحا المذكور ذبح نفسه في السجن وأفضى إلى ما قدم بعد أن ترك في القطر السوسي صيتا وذكرا وهو الذي يوجد طابعه على السلاح السوسي من مكحلة وسكين وخنجر إلى الآن وهو سلاح منتخب عندهم

وقفل الخليفة سيدي محمد رحمه الله إلى مراكش مؤيدا منصورا فمكث فيها أياما يسيرة ثم خرج غازيا بلاد الشاوية في السنة نفسها لما ظهر منهم من الفساد وقطع الطرقات ونهب المارة فقتل من أعيانهم عددا

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٣/١٨٥

وبعث الباقي في السلاسل إلى مراكش

ثم تقدم إلى أرض سلا فبات برباط الفتح وخرج إليه أهلها بالمؤن." (١)

"الثناء عليها والرضا عنها، فكتب القيصر الروسي: (لا شيء يسكن مثل غنائك) . وكتب إمبراطور ألمانيا: (إلى بلبل جميع الأزمان) وكتب الملكة (خرستيان) في أسبانيا: (ملكة تفتخر بأن تحسبك في جملة رعاياها) . وكتبت (فكتوريا) ملكة إنكلترا: (إذا صدقت كلمات الملك ليار القائل: (إن الصوت العذب موهبة) تكونين أنت يا عزيزتي إديلنه أغنى النساء) . والإمبراطور النمساوي والملكة (إيزابلا) وضعا إمضاءهما أيضا وكتبت ملكة البلجيك صورة المشرع الأول للأغنية الشهيرة، ثم يوجد في وسط المروحة هذه الكلمات: (أمد إليك يدي يا مليكة الطرب) مذيلة بهذا الإمضاء (بترس) رئيس الجمهورية الفرنساوية إن هذا الافتخار وهذا الاعتبار لم ينله أحد في العالم وما ذلك إلا لحسن الآداب من هذه المرأة التي بها جذبت إليها قلوب أكبر أهل الأرض.

أرجى ابنة أدرستوس

هي زوجة (بوليلينكيوس) اشتهرت بمحبتها لزوجها فغنها بعد انهزام الرؤساء السبعة أمام (طيوه) عاصمة المصريين القدماء ذهبت مع (انتيقونه) امرأة أخيها لتقدم لزوجها الواجبات الأخيرة فقتلت بأمر (كريون) ملك ذاك الزمان وماتت صابرة حبا في زوجها لكي تلحقه في حفرته.

أراكة ملكة قسطيلة

هي بكر (ألفونس السادس) وأخت (بتريسة) زوجة ملك البرتوغال تزوجت أولا ب (ريمون البرغوني) الذي جعله (ألفونس السادس) كونت جيليقة، ثم تزوجت سنة ١١٠٩ م (بألفونس لوبانلبود) ملك (نواره) و (أراغون) ثم كرهها زوجها هذا لابتذال الحرية في سلوكها وعنادها في طلب حقوق الملك إرثا عن أبيها (ألفونس السادس) ، ثم خلعت نائب ملك قسطيلة بواسطة زوجها الذي اتخذ له حزبا قويا هناك فأسرت وحجز عليها في (أراغون) ، لكنها فرت من السجن وطلبت إلى الكرسي فسخ عقد زوجيتها، فصالحها (ألفونس) مؤقتا، ثم طلقها ثانيا سنة ١١١١ م فلجأت إلى محاربته لتطرده من مملكتها فاكنسرت ومضت

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٩٦/٧

إلى جيليقة وكان لها من زوجها ولد (ألفونس الثامن) فنادت باسمه ملكا سنة ١١١٢ م وحكمت اسم محبوبها كونت (لاراه) في سنة ١١١٢ م فخلعه كبار قسطيلة ونادوا باسم (ألفونس الثامن) فلم تقبل ذلك أراكة إلا بعد معاركة انتشبت بينها وبين ابنها فأسرت وحجز عليها في دير (سردتها) فماتت فيه بعد أربع سنوات.

أريا الرومانية

قد اشتهرت بشجاعتها وذلك أن زوجها دخل في مؤامرة ضد الإمبراطور فحكم عليه بأن يقتل نفسه فكلي تشجعه أخذت خنجرا وطعنت به نفسها، ثم ناولته إياه وقالت: خذه فإنه لا يؤلم ففعل مثلها وماتا معا.

أرسلان خاتون

هي خديجة ابنة داود أخي السلطان (طغرلبك) السلجوقي تزوجها الخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة ٤٤٨ هجرية، ثم لما وقعت الوحشية بينهما أخذها (طغرلبك) بصحبته إلى الري سنة ٤٥٥ هجري) ثم أعيدت إلى بغداد سنة ٤٥٩ هجري واستقبلها الوزير فخر الدولة بن جهير على بعد فرسخ.

وهي التي دعتها امرأة السلطان ملك شاه في تزويج بابنتها بالخليفة المقتدي من غير اشتراط المهر لأنها كانت تعززت واشترطت حمل مهرها أربعمائة ألف دينار، فأشارت عليها أرسن خاتون بان تزوجها بدون اشتراط مهر فوثقت بكلامها، وفعلت ما أرادت وكانت المترجمة من النساء الكريمات الخيرات محبة للعلماء ولها جملة أوقاف على محلات خيرية مثل." (١)

"ولذلك لا ينبغي لي أن أكره ضيفي على مجاراتي.

وبعد أن فرغت من مناولة الطعام استدعتني إليها، فلما حضرت وجدتها تدخن بقضيب طويل، واستحضرت لي قضيبا لأدخن أيضا قال: وكنت قد رأيت أجمل نساء الشرق وأظرفهن يدخن مثلها فلم أستغرب ذلك، وكان الدخان ينبعث من شفتيها اللطيفتين على شكل أعمدة فتعطرت به الغرفة، وأقمنا نتحدث في أمورها وأطلت فيها التفكر فتبين لي أنها أشبه بالساحرات القديمات المشهورات وهي أشبه ب (سيرسه) معبودة الأقدمين، وأن عقائدها الدينية وإن كانت غامضة فهي مقتطفة بحذق من أديان مختلفة فقد جمعت بين

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢١

أسرار (الدروز وتسليم المسلمين واعتقادهم القدر، وانتظار اليهود مجيء المسيح، وعبادة النصارى للمسيح، وممارسة تعاليمه وآدابه، وزد على ذلك التصورات البعيدة الغريبة الناشئة عن فكر مشغوف بالشرق، ومتوقد بطول العزلة والانفراد وبعض إيضاحات أوضحها لها المنجمون العربيون فإذا تصورت ذلك كله انجلى لك شيء من هذا السر العظيم المستغرب الذي يؤثر في الإنسان ما يسميه جنونا ليتخلص من مشقة البحث وإمعان النظر فيه.

والحق أولى أن يقال: إن هذه المرأة غير مجنونة فإن للجنون أمارات واضحة تظهر في العنيني وليس له أثر البتة في تلك الألحاظ اللطيفة ويظهر الجنون أيضا في الكلام فإن صاحبه كثيرا ما ينقطع عن الحديث فترى فيه اختلالا وشططا أما حديثها فسامي المعاني رمزي متسلسل مرتبط منتسق قوي وفي مذهبي أن جنونها اختياري وأنها تعرف نفسها حق المعرفة ولها أسباب تحملها على التظاهر بما قد تظاهرت به وما أخذ القبائل العربية المجاورة للجبال من العجب من حذقها وبراعتها يدل دلالة واضحة على أن ما ترجم به من الجنون إنما هو وسيلة لبلوغ بعض مآرب ولا يخفى أن سكان أرض أجريت فيها العجائب وكثرت فيها الصخور والبراري وتلونت تصوراتهم بألوان جوهم لا يصيخون سمعا إلا إلى كلام نبي أو إلى كلام من كان ك (لاري ستنهوب) فإنهم يميلون إلى فن التنجيم والنبوات والوحي وما أشبه وقد عرفت ال (لاري) المذكورة ذلك واتضحت لها الحقيقة لما هي عليه من قوة الحذق، ولكن ربما ساقتها القوة المذكورة كما هو الغالب في أمثالها إلى الاهتداء إلى مذهب وضعته لغيرها.

وبعد أن جالت هذه التصورات في فكري قلت لها: لا ألومك إلا على أمر واحد، وهو أنك حسبت للحوادث حسابا فعاقك ذلك عن الوصول إلى مركز كان في طاقتك أن تصلي إليه. فأجابته: إنك تتكلم كمن يعتقد اعتقادا صحيحا في الإرادة البشرية، ويشك في فعل القدر، فقوتي على حالها لم تتغير غير أنني انتظر سنوح الفرصة ولا أجد في طلبها وقد أمسيت وحدي مهجورة بين هذه الصخور القفرة عرضة لمفاجئ جسور يطرق منزلي فينهب أمتعتي وحولي جماعة من الخدم الخائنين والعبيد الكنودين وهم ينهبونها في كل يوم ويتهددون حياتي أحيانا وفي المدة الأخيرة لم ينجني من الموت الأحمر إلا هذا **الخنجر** (وأرته إياه) الذي اضطرني الأمر إلى استخدامه لأدفع عني عبدا أسودا لئيما ربي في بيتي، ومع ذلك تراني سعيدة بقولي: الله كريم وأتوقع المستقبل الذي أخبرك به ويا حبذا لو كنت تحققه مثلي.

وبعد أن تباحثنا كثيرا وشربنا القهوة التي كان يأتي بها العبيد كل ربع ساعة مرة قالت لي: هلم، فإني سأسير

بك إلى مكان مقدس لا يدخله أحد من البشر وهو بستاني فدخلناه وجلسنا فيه مسروري الفؤاد لأنه من أجمل البساتين الشرقية التي رأيتها وكنا من وقت إلى آخر نجلس في الكشوك براحة ونتحدث على النسق الأول فلبثنا مدة على هذه الحالة ثم التفتت إلي وقالت: إذا كان القدر قد ساقك إلى هذا المكان وما بين نجمينا من الاتفاق يمكنني من مكاشفتك بأمور أخفيها عن كثيرين من بني البشر سأريك بعينك عجيبة من عجائب الطبيعة لا يعرف مستقبلها إلا أنا وأتباعي وهي التي ذكرها الأنبياء الشرقيون منذ قرون عديدة في نبواتهم، ثم فتحت بابا من أبواب البستان يشرف على حوش صغير فوقع نظري على حجرتين عربيتين جميلتين من أطيب أصل وأكمل شكل فقالت لي: هيا بنا فأريك هذه المهرة الكميت، ألم تتحفها الطبيعة بكل ما هو مكتوب عن المهرة التي ينبغي أن يركبها المسيح (وستوله مسرجة)." (١)

""طليطلة" وكان من بواعثها اعتقاد كثيرين من الأشراف أن البرنسيس "جوانا" التي أقسم لها أكابر الدولة بالطاعة بناء على طلب الملك لم تكن من صلبه بل من صلب "بلتران دولا كوبيا" عشيق الملكة فأعلن الثائرون انتقال الملك من "هنري" إلى أخيه "ألفونس" وجمعوا جيشا لإجراء ذلك فحاول الملك إسكان رؤسائهم بتزوج "إيزابيلا" بالدون "بدرو جيرون" الفاسق أخي مركيز "فلينا".

أما هي فقالت لأخيها: إن زوجتني به أشق صدره **بخنجر** وأرفع عن نفسي العار. غير أن الدون المذكور مات في طريقه إلى العرس وبعد ذلك بسنتين أي سنة ١٤٦٨ م توفي "ألفونس" فعرض الثائرون تاج الملك على "إيزابيلا" فرفضته وآثرت أن تجعل وارثة لأخيها فعاهد العصاة "هنري" على أن يطلق الملكة ويعترف بأن "إيزابيلا" وارثة لمملكتي "قسطيلة" و"لاون" وأن لها حقا في اختيار بعل تتزوجه برضاها ولم يلبث المجلس العالي أن قرر حق "إيزابيلا" في الإرث.

أما "هنري" فلا يبالي بشروط المعاهدة وحاول إكراه أخته على الاقتران بملك البورتغال غير أن السياسة والحب استمالاها على "فردينندو" برنس "أرغون" فتهددها أخوها بالحبس فلم تعبأ به وعزمت على أن تباشر الأمر بنفسها فردت الرسول الأرغوني بجواب مرض ووقع "فردينندو" على عقد الزواج في "سرفيرا" وذلك سنة ١٤٦٩ م وضمن لعروسه جميع حقوقها الملكية الأصلية في "قسطيلة" و"لاون" فأنفذ "هنري" في الحال فرقة من العساكر لإلقاء القبض على شقيقته، فهربت على بلاد الوليد وأرسلت إلى "فردينندو" تحثه على أن يوافيها بسرعة لإتمام الزواج فلم يتمكن "فردينندو" من يسير بخفر، لأن أباه كان يحارب عصاة

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٣٢

"قطالونيا" وكان بيت المال فارغا فلبسس ثوب خادم وسار متنكرا مع ستة رفقاء استأمنهم فلم يعرفه العساكر الذين أقامهم "هنري" لمنعه المرور وخرج من تلك المدينة بزي لائق فأغذوا السير على بلاد الوليد وتزوج "إيزابيلا "سنة ١٤٦٩ م.

فأعلن "هنري" أن أخته أضاعت جميع الحقوق التي تقررت لها بموجب المعاهدة، وجعل "جوانا" ولية عهده، فانقسمت البلاد إلى قسمين كبيرين متحاربين، وعضدت فرنسا الملك غير أن "إيزابيلا" كانت بحكمتها وفضائلها تستميل إليها أهالي "قسطيلة" شيئا فشيئا وتكتسب طاعتهم وأمانتهم.

وفي سنة ١٤٧٤ م توفي "هنري" وبعد يومين من وفاته أقيمت "إيزابيلا" ملكة في "سيروفيا" فأقسم لها كثيرون من الأشراف بالطاعة إلا أن حزب "جوانا" كان قويا فلم تعترف البلاد كلها بالملكة إلا بعد حرب جرت لها مع "الفونس" ملك البرتوغال، وكان قد خطب "جوانا" ومن ثم شرعت في أعمال تحلى بها تاريخ إسبانيا فأصلحت قوانين البلاد وأدارت الملكة الشؤون الداخلية وعضدت الآداب والصنائع وبذلت جهدها في تغير تصرفات زوجها فإنها كانت قرينة القساوة والخداع ومع أنها كانت روح الحرب التي شهرت على العرب وكانت تحارب فيها بنفسها وتلبس درعا لم يزل محفوظا إلى الآن في مدريد كانت تقاوم القساوة التي اتخذها الإسبانيول في تلك الأيام سياسة نحو الأمة المذكورة ولم تأمر بطرد اليهود من "قسطيلة" ولا سلمت على ذلك وزادها شهرة مساعدتها "كرستوفورس" كولومبوس" فاتح أميركا على إنفاذ مقاصده فإن الأسطول الذي اكتشف به أميركا جهز على نفقتها وضادت استرقاق الهنود الأميركان.

فلما وصل الأسرى الذين أرسلهم إليها "كرستوفورس" المذكور أمرت بإرجاعهم إلى بلادهم وبمساعدة الكردينال "كسيمنس" أصلحت الراهبات وبذلك جعلت للكنيسة في إسبانيا نظاما ثابتا راهنا كالنظام الذي سنته للدولة ولم يكن المال ولا علو المرتبة يشفعان عندها بالمذنبين، بل كان سيف العدل يعلو رقاب المجرمين من الأكابر والأصاغر والإكليروس على حد سواء، وكانت "إيرابيلا" جامعة بين عقل الرجال ومحاسن النساء وفضائل ناضرة عديمة النظير فباتت موضوعا محبوبا للمؤرخين في الأعصر التالية والإسبانيول الآن يحبون ذكرها كما كان رعاياها منهم يحبون شخصها.

أما الموت الفجائي الذي أصاب كلا من الدون "كارلوس" والدون "بدروجيرون" وأخيها "ألفونس" فلم يوقع عليها أقل شبهة مع أنه نالها ربح عظيم وكانت تحب زوجها حبا شديدا لا يعتريه." (١)

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٧٤

"ثم سار إلى الكاهنة وحاربها عند نهر "مسكيني" على مرحلة من "باغاية" و"محانة"، فانكسر المسلمون أمامها وقتلت منهم جما غفيرا، وأسرت جماعة منهم: خالد بن يزيد القيسي، فأطلقتهم جميعا ماعدا خالد بن يزيد أبقته عندها واتخذته لها ولدا لشجاعته وشرفه. ففارق حسان أفريقيا وكتب إلى عبد الملك أن يمده بالجيوش، وأقام بعمل برقة خمس سنوات ينتظر ورود الإفادة.

وفي هذه المدة ملكت "دهيا" افريقيا كلها وبعد الخمس سنوات سير عبد الملك إلى حسان الجنود والأموال، وأمره أن يناجز "دهيا" الكاهنة، فأرسل حسان رسولا سرا إلى خالد بن يزيد، فكتب إليه خالد يعرفه تفرق البربر بظلم الكاهنة ويأمره بالسرعة فسار حسان وعلمت الكاهنة فقالت: إن العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن إنما نريد المزارع والمراعي ولا أرى إلا أن أخرب أفريقيا حتى ييأسوا منها، قم فرقت أصحابها فخربوا البلاد وهدموا الحصون ونهبوا الأموال فلما قرب حسان من البلاد لقيه جم من أهلها من الروم يشكون إليه ظلم الكاهنة فسار إلى "فانيس" فلقيه أهلها بالأموال والطاعة، فجعل فيها عاملا، فسار على قعصة فأطاعه من بها، واستولى عليها وعلى "قسطيلة" ونفذ أمره وبلغ الكاهنة قدومه، فأحضرت ولديها وخالد بن يزيد وقالت لهم: إني مقتولة هذه المرة فامضوا إلحسان وخذوا لأنفسكم منه آمانا. فساروا إليه وبقوا معه، وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا، وأدركت الكاهنة فقتلت، ثم استأمن البربر إلى حسلان فأمنهم وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر ألفا فأجابوا فجعل على هذا العسكر أحب ابني الكاهنة المذكورين.

ديدرون ابنة الملك بقلوس

هي ملكة "سورو" زوجة "سيته" كاهن "هركليس" الذي كان أغنى الفينيقيين على بكرة أبيهم وأجملهم خلقا وخلقا ثار أخوها "بكاليون" بزوجها فقتله طمعا في استلاب كنوزه فجزعت عليه "ديدون" جزعا عظيما، ولم تطق بعده المكث في صور ففرت مع أخيها "برقا" وثوم ممن تغيروا على أخيها زاعمة أن زوجها المقتول قد أمرها بالرؤيا أن تبارح صور وكانت قد نقلت خفية على محل اسمه "كرنا" واقع بني صور وصيدا قسما جليلا من أمتعتها وثروتها فركبت من هناك سائرة إلى شمال فينيقية فعاجت بسيرها لجزيرة قبرص، وكان يوم عيد، فرأت على الشاطىء ربربا من أجمل بنات الجزيرة مجتمعا هناك للهو والمرح، فاختطف رجالها منهم وأقلعوا حتى إذا بلغوا سواحل "زوجيتا" تجاه جزيرة صقلية، استأذنت "ديدون" ملكها "برياس" في بناء قلعة فأذن لها على شريطة أن تبذل له خراجا فرضيت وبنت هناك قلعة بصرة ومعناه حصن باللغة الفينيقية فحرفه

اليونان فسموها "برسا" أي جلد الثور.

ثم اشترت منن ملك "موريطانيا" أرضا أنشأت فيها مدينة قرطاجنة الأفريقية، وذلك سنة ٨٦٠ قبل المسيح وكان "أيارياس" قد شغف بـها حبا فخطبها من نفسها ولما لم تسعها مخالفته حرصا على حياة قومها، وكانت مرتبطة مع زوجها المقتول بقسم أن لا تستبدله بآخر، طلبت مهلة ثلاثة أشهر لكي تستعد للزفاف عليه فلباها، ولكنها في نهاية المدة المذكورة علت رابية هناك وطعنت نفسها بخنجر فماتت. فكانت سيرتها موضوعا جميلا لكتبة الإفرنج يبنون عليها رواياتهم المفجعة وقد عثر المتأخرون على تمثلا ل "ديدون" منحوت بيد "كيرين" الشهير. قيل: إنه محفوظ الآن بدار الآثار في لندن.." (١)

"عن قوله

سلب العقول بتم حسن أنفس ... رشأ بسيف الجفن مردي الأنفس

رشقت لواحظه السهام بمهجتي ... أو ما ترى تلك الحواجب كالقسي

ماست معاطفه فخلت قوامها ... غصنا يفوق على القنا والمدعس

وغدا بلا شك بخنجر أنفه ... يفري الحشايا صاح والقلب القسي

أحبب به بدرا ربيع محاسن ... روض الجمال غدا بغير تلبس

سقيت بماء الحسن وردة خده ... واخضر شاربه كزئبر سندس

لو لم يكن جمع الزهور بهاؤه ... ما كنت تبصر عينه كالنرجس

كالأقحوان ترى ثناياه إذا ... ما لاح مبتسما بثغر ألعس

بل أنها تحكي لسمط لآلئ ... تحت العقيق من الشفاه اللعس

فيه المعتق من شهي رضابه ... يا بخت صب من طلاه يحتسي

حاز التقابل في الجمال فوجهه ... صبح وذاك الشعر حالك حندس

كالماء والنيران دارة صدغه ... فاقتبس ورد باللحظ أو بتهجس

كالظبي خلقا والهزبر سطاوة ... باللحظ يفرس كل أحوس حلبس

لله ليلة جمعنا في السفح إذ ... نلنا المرام وبغية المتملس

مع ذلك النفار عن وصلي وقد ... أمسى يطارحنا بلفظ مونس

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٩٤

والليل قد ألقى سجوف ظلامه ... ونجومه ترنو كأعين حرس
فظللت أحسو خندريس وصاله ... حتى أضاء الصبح حين تنفس
كضياء مولينا أخي الفخر الذي ... بمطارف المجد المؤثل مكتسي
زين الأفاضل بل فريدة عقدهم ... بل در تيجان العلا والقونس
قرم غدت مثل الكواكب خيمه ... وغدا كمثل البدر فوق الأطلس." (١)

"السيد عبيد الله كدك المدني

ماجد الكمال قرينه، والوقار خدينه، صاحب فصاحة ولسن، ومكانة في الأدب منها تمكن، ومشاركة في فنون المعارف، ومطارحة في فنون اللطائف، فمما صدحت به عنادب قريحته وإفهامه، في غياض طروسه على أملد أقلامه، قوله من قصيدة مجيبا بها حضرة الأديب السيد عمر بن عبد السلام المدرس، مكللة بدرر غزلها ونسيبها وهي قوله بقوله:

ولى زماني وانقضى منعمي ... لم يبق لي ذوقي ولا منعمي
كلا ولا قلبي يعي ذرة ... حتى ولا سمعي ولم أعلم
من مربع قد زرته إذ عفا ... خلي منه ليت لم أقدم
إن الزمان المعتدي قد رمى ... قلبي بسهم صائب مسهم
بالعضب بل بالرمح مع **خنجر** ... أومى إلي ليت لم يعزم
لو كان رمحا لاتقيت التي ... يا هل ترى عن أيها أحتمي
قالوا تصبر وارتجز واحتسي ... صرفا عقارا خلصت عن دم
قد عتقت من كرمة زانها ... كأس من البلور في معصم
تتسقي الأخلا من رحيق غدا ... ممزوجها مسك رضاب الفم
فصحت واشوقا لذاك الرضا ... ب المشتهى من لي بذا المبسم
إني لمن قد خانه دهره ... من للحزين المسهد المعدم
قالت أنا الخود التي جاد بي ... حبي لا أصغي إلى لومي
لا أختشي قول العذول الغبي ... كلا ولا أرجع عن مغرمي

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٦٤٥

إني إلى مغناك مأمورة ... بالسعي كي أحظى فقلت اسلمي

أهلا وسهلا قد صفا وقتنا ... يا حبذا الحظ السني فاقدمي." (١)

"ليس لي فرصة وقد فني العم ... ر بأني أقول أنت الحبيب

بل خلونا بقدر ما قلت أنت ال ... ح فلاح فقلت سيب النسيب

ومرضت فعادني قلت جاء ال ... ح فوافى فقلت كيم الطبيب

ومن نظمه أطال الله بقاه، وجعل في مدارج السعادة مرتقاه:

تأمل في بديع الحسن واعذر ... به صبا لقد خلع العذارا

من أحداق الورى قد صاغ خالا ... ومن أجفانها جعل العذارا

له لحظ ينادي من رآه ... هلموا واتركوا عشق العذارى

وله دام علاه تخميس على لامية العجم أوله:

الله عظم مقداري من الأزل ... وزادني شرفا كالشمس في الحمل

وإن رماني العدا بالنقص والزلل ... أصالة الرأي صانتني عن الخطل

وحلية الفضل زانتني عن العطل

ولي جدود لبند المجد قد رفعوا ... جميع الورى طبعا له تبع

وإنني مقتف آثار ما شرعوا ... مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع

والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

وله أحسن الله إليه، وأسبل جميل امتنانه علينا وعليه، موريا في اسم **خنجر**:

يا قاتلي بلحاظ ... سيوفها لي أشهر

إني لأضعف عنها ... يكفي لقتلي **خنجر**

وله ألبسه الله حلة السرور، وأجلسه على ذروة الحبور:

إشرب على البدرين شمس مدامة ... بدر السماء وبدرنا في المجلس

واغنم زمان الأنس لا تسمع لمن ... يلحو المتيم في ارتشاف الأكؤس

ما العيش إلا راحة في راحة ... تجلى عليك من الغزال الألعس

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٠٢١

يا أيها الظبي الذي ملك الحشا ... وغدا له شغل بقتل الأنفس

ارحم أميرا في هواك أهنته ... وغدا ذليلا للعيون النعس

ما هاب من جيش يضيق به الفضا ... وبدا طعينا بالقدود الميس." (١)

"وانتفع. وفي سنة ألف ومائتين وست وثلاثين لما قدم مولانا خالد إلى دمشق، أقامه في محله لإعطاء الطريق وإرشاد المسترشدين، ثم في سنة ألف ومائتين وثمان وثلاثين حضر إلى الشام لعدم قدرته على فراق أخيه، ثم هاجر إلى مكة وأقام بها سبع سنوات، ثم رجع إلى دمشق واستقام في التكية السليمانية يرشد المريدين، إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين وسبع وثمانين ودفن قرب قبر أخيه.

السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان

ولد سنة ألف ومائة وتسع وتسعين، وفي سنة ألف ومائتين واثنتين وعشرين جلس أخوه السلطان مصطفى على تخت الملك، وما استقر أمره ولا صفا له دهره، فأمر بقتل السلطان سليم، وبقتل المترجم ذي القدر العظيم، فنفذ أمره في الأول، وأما الثاني وهو المترجم لما جاءه جنود السلكان مصطفى الذين يريدون قتله، أراد الفرار فرشقه أحدهم **بخنجر** أصاب يده، فهرب وصعد على سطوح السرايا، فلما نظرته جماعة مصطفى باشا البيرقدار وكان من عصبة السلطان محمود، وضعوا له سلما فنزل إلى صحن الدار، حيث كان البيرقدار، وعندما نظر البيرقدار إلى المترجم فرح به فرحا عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه، وصار يقبل قدميه، ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة في رابع جمادى الأولى سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين، وأرسل البيرقدار المشار إليه جندا قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه، فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدرا أعظم، وسلمه زمام الأحكام، فأخذ يجتهد في أخذ الثأر من الذين قتلوا السلطان سليم، ثم شرع في تنظيم العسكر الجديد، وأرسل وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة، فلما حضروا أخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب وإنفاذ أوامر السلطان." (٢)

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٤٣٠

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٤٥٦

"السلطان مصطفى، وتبحث عن السلطان محمود، وإن السلطان محمود لما جاءه جنود السلطان مصطفى الذين يريدون قتله أراد الفرار فرشقه أحدهم **بخنجر** أصاب يده فهرب، وصعد على سطوح السرايا، فلما نظرته جماعة البيرقدار وضعوا له سلما فنزل إلى صحن الدار، حيث كان البيرقدار، وعندما نظر إليه البيرقدار فرح فرحا عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه وصار يقبل قدميه، ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة، وأرسل جندا قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدرا أعظم، وسلمه زمام الأحكام، فأخذ يجتهد في أخذ الثأر من الذين قتلوا السلطان سليم، ثم شرع في تنظيم العسكر الجديد، وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة، فلما حضروا أخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب، وإنفاذ أوامر السلطان طالبا رأيهم في ذلك، فصادقوه مذعنين لأمره، وتعهدوا بالمساعدة في كل من يؤول لنجاح المملكة، وفي الحال أخذ الصدر الأعظم في وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين، وأضمروا له السوء، وصاروا يطعنون فيه جهارا ويدعونه بالكافر، وعلقوا أوراقا، ولا زال الأمر في اضطراب إلى أن قتل السلطان مصطفى المترجم بإشارة من السلطان محمود، سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين رحمه الله تعالى. وفي ترجمة السلطان محمود زيادة تفصيل وبيان فليراجع هناك.

الشيخ مصطفى بن أحمد حسين بن أحمد بن عبد الرزاق الحلبي الولي المستغرق
المجذوب المشهور صاحب الأحوال الغريبة الباهرة، والكرامات البديعة العالية الظاهرة، كان كثير الإنشاد، من أقوال السادة الأمجاد، ومن." (١)

"نيكوبلي سنة ١٣٨٨ وبعد ان جمع شمل ما بقي من جيوشه داخل هذه المدينة اراد محاربة العثمانيين ثانية فخرج من نيكوبلي وهاجم الجيوش الاسلامية مهاجمة يائس فانهزم هزيمة لم يقم له بعدها قائمة ووقع اسيرا فضم السلطان مراد نصف بلاده اليه ولم يأمر بقتله بل منحه نعمة الحياة ورتب له ما يقوم بمعاشه مراعيا في ذلك مقامه السابق وعينه حاكما شبه مستقل على النصف الباقي ١٣٨٩ م ولما علم لازار ملك الصرب بانخذال رفيقه قرال البلغار مال بجيوشه قليلا جهة الغرب للانضمام إلى امراء البانيا الارنؤد فلم يمكنه السلطان مراد من ذلك بل جد السير في طلبه حتى لحقه في سهل قوص اوه سنة ١٣٨٩

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٥١٩

م وانتشب القتال بين الجيشين بحالة يشيب من هولها الولدان دافع في خلاله الصربيون دفاع الابطال وبقيت الحرب بينهما سجالا مدة من الزمن تناثرت فيها الرؤوس وزهقت النفوس واخيرا فر صهر الملك لازار المدعو فوك برانكوفتش ومعه عشرة آلاف فارس والتحق بجيش المسلمين فدارت الدائرة على الصربيين وجرح لازار ووقع اسيرا في ايدي العثمانيين فقتلوه وبهذه الواقعة المهمة التي بقي ذكرها شهيرا في اوروبا باسرها زال استقلال الصرب كما فقدت البلغار والرومللي والاناضول استقلالها من قبل وكما ستفقد اليونان وغيرها الاستقلال فيما بعد وبعد تمام النصر والغلبة للعثمانيين كان السلطان مراد يمر من بين القتلى اذ قام من بينهم جندي صربي اسمه ميلوك كوبلوفتش وطعن السلطان **بخنجر** طعنة كانت هي القاضية عليه بعد قليل فسقط القاتل قتيلا تحت سيوف الانكشارية لكن لم يفدهم قتله شيئا اذ اسلم السلطان الروح بعد ذلك بقليل بعد ان ضم كثيرا من البلاد إلى ما تركه." (١)

"قتل حسن بك لكل من حسين عوني باشا ومحمد راشد باشا

حسن بك المذكور هو ابن اسماعيل بك احد اعيان الجراكسة المهاجرين من بلادهم بعد دخولها ضمن املاك الروسيا وكان ياورا ليوسف عز الدين افندي نجل السلطان عبد العزيز الذي كان مشيرا للاوردي الهمايوني الخاص ولما توفي السلطان عبد العزيز اراد حسين عوني باشا السر عسكر ابعاده عن الاستانة فألحقه باحد الالايات بمدينة بغداد وامره بالسفر على عجل فامتنع فحبس بحسب الأصول العسكرية ثم أظهر الرغبة في السفر وطلب امهاله يومين لا غير للتأهب للسفر فأفرج عنه وفي مساء يوم الخميس ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ ١٦ يونيه سنة ١٨٧٦ تسلح باربعة مسدسات **وخنجر** ماض وقصد منزل عوني باشا فقيل له انه بمنزل مدحت باشا فذهب اليه ولما سأل الخدم عن حسين عوني باشا قالوا له انه مع سائر الوكلاء النظار في مجلس مخصوص فأوهمهم ان معه تلغرافا مهما يختص بالحربية يريد توصيله فورا للسر عسكر ثم انتظر برهة وطلع إلى المحل المجتمع فيه الوكلاء فوجد حارسا بالباب منعه عن الدخول فقال له من انت قال سالم آغا خادم الصدر الاعظم فقال اذهب وناد خادم حسين عوني باشا لأني مستعجل فنزل سالم آغا وعندها دخل حسن بك الغرفة واطلق غدارته على حسين عوني باشا فاصابه برصاصتين فقام للدفاع عن نفسه فاجهز عليه **بالخنجر** واصاب محمد راشد باشا ناظر الخارجية برصاصة في عنقه افقدته الحياة ثم قام احمد باشا قيصرلي ناظر البحرية وقبض على يد حسن بك فاثخنه جراحا

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية محمد فريد بك ص/١٣٥

حتى فر مع باقي الوزراء إلى غرفة اخرى تابعة لدائرة الحريم ووضعوا خلف الباب بعض امتعة ثقيلة ثم جاء احمد آغا رئيس خدم مدحت باشا واراد القبض عليه فقتله ثم حاول." (١)

"كشتكان خنجر تسليم را هر زمان از غيب جان ديكر است

تواجد الشيخ قطب الدين وغشي عليه، فحمله أصحابه الشيخ بدر الدين الغزنوي والقاضي حميد الدين الناكوري وغيرهما وأتوا به إلى بيته وكان القوال معهم يكرر البيت المذكور فلم يفق إلى ثلاثة أيام، واشتدت عليه الحالة في اليوم الثالث إلى أن توفي إلى رحمة الله سبحانه، كما في فوائد الفؤاد، وكان ذلك يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكان عمره يوم وفاته خمسين سنة، وقيل: اثنتين وخمسين، وقيل: خمسا وستين سنة، كما في مهرجهانتاب.

قال الشيخ محمد بن بطوطة المغربي في كتابه: إن سبب تسمية هذا الشيخ بالكعكي أنه كان إذا أتاه الذين عليهم الدين شاكين من الفقر أو القلة أو الذين لهم البنات ولا يجدون ما يجهزونهن به إلى أزواجهن يعطي من أتاه منهم كعكة من الذهب أو الفضة حتى عرف من أصل ذلك بالكعكي- انتهى.

قطب الدين الأيبك سلطان الهند

الملك الكبير قطب الدين الأيبك السلطان العادل الباذل، جلب من تركستان في صغر سنه، فاشتراه القاضي فخر الدين بن عبد العزيز الكوفي بمدينة نيسابور، وعلمه القرآن والخط وغير ذلك، ولما توفي القاضي المذكور اشتراه واحد من التجار المسلمين من أبناء القاضي وعرضه على شهاب الدين الغوري، فاشتراه وجعله من خواصه فتدرج إلى الإمارة.

ولما سار نحو الهند في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة أمره على عساكره وأقطعه سرستي، وسامانة، وكهرام وما والاها من البلاد والقلاع، فقام قطب الدين بالملك وأحسن السيرة في رعيته، ثم شن الغارة إلى ميرله فملكها، ثم سار إلى دهلي وقاتل صاحبها أشد قتال فهزمه ودخل دهلي وجعلها دار ملكه، ثم سار إلى قلعة كول في سنة تسعين وخمسمائة ففتحها عنوة وأخذ الغنائم الكثيرة.

---

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية محمد فريد بك ص/٥٨٢

ولحق بشهاب الدين حين قدومه إلى الهند فجعله شهاب الدين طليعة لعساكره وبعثه إلى قنوج فلقيه ملكها جي جند فقاتله أشد قتال حتى قتله وأقام بقلعة أسنى مدة من الزمان، فلما استقر أمره بتلك البلاد أراد أن يرجع إلى دهلي فسمع أن هيمراج خرج على كوله بن برتهي راج، وانتزع بلاد أجمير من يده، فسار نحوه بعساكره في إحدى وتسعين وخمسمائة فانهزم هيمراج وولي قطب الدين على أجمير أحد خواصه، ثم سار إلى كجرات ووصل إلى نهرواله فلقيه عساكر صاحبها قريبا من بلدة نهرواله، فقاتلها أشد قتال فقتل مقدم العساكر، وخرج صاحبها بهيم ديو إلى ناحية من نواحيها فغنم كثيرا من المال، ورحل إلى غزنة فمكث بها برهة من الزمان، ثم عاد إلى الهند وأتم بناء الجامع الكبير ببلدة دهلي في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

ولما قدم شهاب الدين سار في ركابه إلى تهنكر الذي سموها بعد ذلك بيانه ففتحها، ثم بعثه شهاب الدين إلى قلعة كواليار فصالح صاحبها سلكمن على مال يؤديه، وفي سنة سبع وتسعين سار إلى كجرات فوصلها سنة ثمان وتسعين فلقيه عسكر الهنود فقاتلوه قتالا شديدا، فهزمهم أيبك واستباح معسكرهم وما لهم فيها من الدواب وغيرها، وتقدم إلى نهرواله فملكها عنوة وهرب ملكها بهيم ديو فجمع وحشد فكثر جمعه، ولما علم أيبك أنه لا يقدر على حفظها إلا بأن يقيم هو فيها ويخليها من أهلها فيتعذر عليه ذلك فصالح صاحبها على مال يؤديه عاجلا وآجلا، وقيل: إنه دخل بها وملكها وولي عليها أحد خواصه ثم رجع إلى دهلي، وفي سنة تسع وتسعين سار إلى قلعة كالنجر فتحصن بها صاحبها فحاصرها وأدام الحصار وضيق على أهلها فصالحه صاحبها على مال يؤديه عاجلا وآجلا.

ثم سار إلى مهوبة فملكها ثم سار إلى بدايون فملكها أيضا.." (١)

"بأحمد آباد كجرات، ثم سافر إلى بيجابور وسكن بها، له حاشية على تفسير البيضاوي، توفي سنة أربع وثلاثين وتسعمائة.

مولانا شعيب الواعظ الدهلوي

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ١١٥/١

الشيخ العالم الصالح شعيب بن المفتي منهاج الحنفي الدهلوي، أحد العلماء المذكرين، قرأ العلم على والده وتفنن في الفضائل عليه، وكان حسن السيرة والصورة، غزير العلم كثير العمل، وكانت مواعظه مؤثرة في القلوب، لا يمكن لأحد أن يمر بموضع يذكر فيه فيتجاوز عنه بدون أن يستمع إلى وعظه، والعلماء كانوا يحضرون في مجالس وعظه ويتأثرون به.

مات سنة ست وثلاثين وتسعمائة، فدفن على الحوض الشمسي بدهلي القديمة، كما في أخبار الأخيار.

الشيخ شكر الكجراتي

الشيخ العالم الفقيه شكر النائطي الكجراتي، أحد عباد الله الصالحين، ولد ونشأ بقرية بهيمزي على مسيرة ثلاثة أيام من أحمد نكر، وقرأ العلم على أساتذة عصره ودرس وأفاد مدة مديدة، ثم ترك البحث والإشتغال وانقطع إلى الزهد والعبادة، توفي نحو سنة سبعين وتسعمائة، كما في كلزار أبرار.

القاضي شكر الله السندي

الشيخ العالم الفقيه القاضي شكر الله بن وجه الدين بن نعمة الله بن عرب شاه بن ميرك شاه بن المحدث جمال الدين الحسني الدشتكي الشيرازي ثم التتوي السندي، كان من العلماء المبرزين في الفقه والأصول والعربية، انتقل من هراة إلى قندهار سنة ست وتسعمائة، وإلى تته من بلاد السند سنة سبع وعشرين وتسعمائة، فولي القضاء بها في أيام شاهي بيك واستمر في القضاء سنين.

وكان فقيها محدثا تقيا، مشكور السيرة في القضاء مهابا رفيع القدر، لا يخاف في الله سبحانه أحدا، حتى قيل إن شاه حسين بن شاهي بيك ملك السند اشترى أفراسا من بعض التجار وماطله في أداء الثمن، فرفع التاجر القضية إلى القاضي، فأمر أن يحضر السلطان بين يديه ويقوم حيث ما قام التاجر، ثم قضى عليه بحق التاجر، فأرض السلطان التاجر، ثم قام القاضي من مقامه وخدم السلطان على جري العادة، فقعد السلطان عنده وأراه خنجرا كان معه، وقال له: جئت به لأقتلك لو عدلت عن الحق مهابة مني، فأخرج القاضي السيف من تحت وسادته وقال له: وضعت هذا السيف لأقتلك لو جاوزت عن

حدك، ثم خرج السلطان مسرورا وكان مطله في أداء الثمن لأجل الإمتحان، ثم بعد مدة من الزمان استعفى القاضي عن القضاء ولازم بيته معتزلا عن الناس، ذكره القانع في تحفة الكرام.

مولانا شمس الدين السلطانبوري

الشيخ الفاضل شمس الدين بن أحمد بن شمس الدين بن كمال الدين الملتاني ثم السلطانبوري، كان من العلماء المبرزين في المنطق والحكمة، وكان جده كمال الدين من تلامذة السيد الشريف زين الدين علي الجرجاني صاحب المصنفات المشهورة، ذكره محمد بن الحسن.

الشيخ شمس الدين الملتاني

الشيخ العالم الفقيه شمس الدين بن صدر الدين بن شهر الله الملتاني ثم اللاهوري، كان من نسل الشيخ الكبير بهاء الدين زكريا الملتاني، أخذ عن والده وقدم لاهور فسكن بها، توفي لأربع بقين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وتسعمائة، كما في أخبار الأصفياء.

الشيخ شمس الدين البيجابوري

الشيخ الفاضل العلامة شمس الدين الشطاري الشيرازي ثم البيجابوري، أحد العلماء المبرزين في الدعوة والتكسير والجفر الجامع، ولد ونشأ بشيراز وأخذ العلم عن أساتذة عصره، وصنف حاشيتة على تفسير البيضاوي، ثم قدم الهند وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد غوث الكواليري صاحب الجواهر الخمسة، وسكن بمدينة بجيابور خارج البلدة على خمسة أميال من تلك البلدة، واستقام على الطريقة مدة حياته مع قناعة وعفاف وتوكل واستغناء عن الناس.." (١)

"ينوب عن

السلطان في تلك المتصرفية وسماه فوجدار، ووواحدا من الأمراء يرفع إليه أمر العمال وسماه صدر شقدار، وأميرا يرفع إليه أمر المنصفين وسماه صدر المنصف، وفي كل إيالة كان يولي واحدا من كبار الأمراء ينوب عن السلطان في تلك الإيالة ويرفع إليه أمرهم جميعا، ويرفع

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٣٤٩/٤

إليه أمر العساكر المعينة في تلك الولاية.

وهو أول من أصلح نظام النقود وضربها ووضع لها قانونا، ونهى عن التخليط فيما بين الفلزات ونهى عن التلبيس فيها، وله غير ذلك من القوانين المفيدة لم نطلع على تفصيلها.

ومن مآثره أنه أسس شارعا كبيرا من سنار كانون أقصى بلاد بنكاله إلى ماء نيلاب من أرض السند، مسافتها ألف وخمسمائة كروه- والكروه في عرف أهل الهند ميلان من الأميال الإنكليزية- وأسس في كل كروه رباطا، ورتب بها مائدتين لأهل الإسلام خاصة وللهنادك خاصة، وأسس مسجدا في كل كرو من الآجر والجص، ووظف الموذن والمقرىء والإمام في كلس مسجد، وعين في كل رباط فرسين للبريد ويقال لها في لغة أهل الهند داك جوكي فكان يرفع إليه أخبار نيلاب إلى أقصى بلاد بنكاله كل يوم، وغرس الأشجار المثمرة من كهرني وجامن والأنبه وغيرها بجانبي الشارع الكبير، فيستظل بها المسافر ويأكل منها ما تشتهي نفسه، وكذلك غرس الأشجار المثمرة على الطريق من آكره إلى مندو- وبينهما مسافة ثلاثمائة كروه- وأسس الرباطات والمساجد، وبلغ الأمن والأمان في عهده مبلغا لا يستطيع أحد أن يمد يده في الصحراء إلى عجوز تحمل متاعها.

وكان شير شاه يتأسف على أنه نال السلطة في كبر سنه، ويقول: إن ساعدني الزمان أبعث رسالة إلى عظيم الروم وأسأله أن يركب بعساكره إلى بلاد الفرس ونحن نركب من ههنا إلى تلك البلاد، فندفع بمساعدة ملك الروم شر الأوباش الذين يقطعون طريق الحجاج، ونحدث شارعا آمنا إلى مكة المباركة، ولكن الأجل لم يمهله، فمات قبل بلوغه إلى تلك الأمنية، وكان ذلك في ثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة.

مولانا شيري اللاهوري

الشيخ الفاضل شيري بن يحيى الصياد اللاهوري، أحد الأفاضل المشهورين في الشعر والإنشاء- ولد ونشأ في كوكو- قرية من أعمال لاهور، وأخذ عن أبيه وتفنن عليه بالفضائل، وكان مفرط الذكاء جيد القريحة، اشتغل بقرض الشعر، وبلغ في العتابيات رتبة لم يبلغها أحد من معاصريه، له هر بنس كتاب في أخبار كشن عظيم الهنادك، ترجمة من اللغة الهندية إلى الفارسية بأمر أكبر شاه التيموري، وله ديوان شعر بالفارسية، ومن شعره قوله:

تا بزايد هر زمان كشوربر انداز آفتي فتنه در كوي حوادث كتخذا خواهد شدن

يا عقاب قرضخواه وخنجر ارباب شرك بار سر از ذمه كردن جدا خواهد شدن

فيلسوف كذب را خواهد كريبان باره شد خرقه بوش زهد را تقوى ردا خواهد شدن

شورش مغز است اكر در خاطر آرد جاهلي كز خلائق مهر بيغمبر جدا خواهد شدن

بادشاه امسال دعواي نبوت كرده است كر خدا خواهد بس از سالي خدا خواهد# شدن

توفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة في يوسف زئي من أرض ياغستان- ذكره البدايوني.

مولانا شير علي السرهندي

الشيخ الفاضل شير علي الحنفي الصوفي السرهندي، أحد المشايخ المشهورين، له رابطة بالسلاسل المشهورة لا سيما الطريقة القادرية، مات سنة خمس وثمانين وتسعمائة، كما في كلزار أبرار.

حرف الصاد

مرزا صادق الأردوبادي

مرزا صادق الشيعي الأردوبادي الفاضل الكبير، كان من أهل بيت العلماء والشيوخ، ولد ونشأ باردوباد من آذربيجان، وتأدب على عصابة العلوم الفاضلة، ثم قدم." (١)

"العلي ابن نظام الدين السهالوي، ثم سافر إلى رائي بريلي ولازم الشيخ محمد عدل النقشبندي البريلوي رحمه الله، وأخذ عنه الطريقة، وصحبه مدة، ودرس وأفاد ببلدة رائي بريلي، ثم رجع وولي العدل والقضاء بمدينة لكهنؤ، وكان كثير الدرس والإفادة، أخذ عنه غير واحد من العلماء، وله تعليقات على الكتب الدرسية.

القاضي ذو الفقار علي الحيدر آبادي

الشيخ الفقيه القاضي ذو الفقار علي بن القاضي يوسف الحنفي الشاهجهانبوري ثم الحيدر آبادي أحد العلماء المشهورين، ولي القضاء بحيدر آباد بعد ما توفي والده سنة أربعين ومائتين وألف في أيام سكندر جاه، واستقل به مدة حياته.

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٣٥٥/٤

مات سنة ستين ومائتين وألف، كما في تزك محبوبي.

حرف الراء

مهاراجه رتن سنكه البريلوي

الأمير الفاضل رتن سنكه بن بالك رام البريلوي ثم اللكهنوي فخر الدولة دبير الملك مهاراجه بهادر هوشيار جنك، كان من العلماء المبرزين في الهيئة والهندسة والإنشاء والشعر ومعرفة اللغات المتنوعة، ووالده بالك رام كان من الهنادك الوثنيين، وكان ناظر المدافع بلكهنؤ في أيام آصف الدولة، وأما رتن سنكه فإنه ولد ونشأ على مذهب جدوده، وقرأ العلم ونبغ في فنون شتى وفي اللغات العربية والفارسية والتركية والإنكليزية وسنسكرت، فقربه إليه غازي الدين حيدر وولاه الإنشاء بدايوانه، ولقبه منشي الملوك فاستقل به إلى أيام محمد علي شاه، ثم ولي الخراج، ولقبه محمد علي شاه المذكور بفخر الدولة دبير الملك مهاراجه رتن سنكه بهادر هوشيار جنك المتلقب في الشعر بزخمي، ثم لما حصحص عليه الحق رفض دين الآباء وأسلم سنة أربع وستين ومائتين وألف، وعاش بعد ذلك ثلاث سنين.

وله مصنفات عديدة منها حدائق النجوم في مجلد ضخم في الهيئة، ومنها ديوان الشعر الفارسي، ومن شعره قوله:

بخشد اكرم جان دم بسمل عجبي نيست آبي است وكر خنجر آن عهد شكن را

توفي سنة سبع وستين ومائتين وألف، كما في صبح كلشن.

مولانا رجب علي الجونبوري

الشيخ الفقيه رجب علي بن إمام بخش بن جار الله الحنفي الجونبوري أحد العلماء المذكرين، ولد ونشأ بمدينة جونبور وقرأ الكتب الدرسية على الشيخ سخاوة علي الجونبوري وقدرة علي الردولوي وأحمد علي الجرياكوتي، ثم أخذ الطريقة عن السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي، ثم تصدى للتذكير، وكان صالحا، متين الديانة، كبير الشأن، سافر في آخر عمره، للحج والزيارة.

مات سنة ست وتسعين ومائتين وألف، كما في مفيد المفتي.

الحكيم رحم علي السكندري

الشيخ الفاضل العلامة رحم علي بن بهره مند بن نواب بردل خان السكندري ثم الفرخ آبادي الحكيم

المشهور، كان من الأفاضل المبرزين في المنطق والحكمة والطب والشعر، قرأ الكتب الدرسية على الشيخ غلام نبي البريلوي والشيخ غلام حسين اللبكني، وأخذ الفنون الطبية عن الحكيم أيوب والمير كوجك والشيخ عوض علي الحسيني، الذين كانوا من الأطباء المشهورين في عصره، رحل إلى فرخ آباد ودرس بها مدة طويلة، أخذ عنه الحكيم شرف الدين السهاوري وخلق كثير.

ومن مصنفاته: بضاعة الأطباء وبدائع النوادر وبديع التجارب ومنتخب اللطائف وتذكرة." (١)

"أمته، تجد ذلك في مأكله وملبسه ومشربه، ثم عرفوا منه أنه للعامة قبل الخاصة يكل هؤلاء إلى ما لهم من الحول والحيلة في الحياة الدنيا ويقبل على عامة الناس وضعفتهم فيقويهم ويسودهم وينظر في صغار أمورهم وكبارها، لا يبالي بما يصيبه من تعب الجسم فيما هو بسببه، لذلك كانت قوة الأمة معه، وعرفوا منه أيضا خلالا أدبه فيها القرآن وهي: الحق والعدل والصدق والصبر على البأساء والضراء والوفاء بالعهد وهي صفات تحلى بها عمر رضي الله عنه فأتعب من بعده، وكان من أخص صفاته الجد المصحوب بالحزم مع التأني في الأمور والاستشارة في جليلها وصغيرها، لهذا من تتبع سيرته لا يراه فشل في أمر من الأمور، من ذلك الفتح العظيم الذي كان على عهده الذي توفق إليه صاحبه من أول عهده بالخلافة إلى وفاته. وسبب هذا التوفيق هو الجد والحزم وعدم التردد في الأمر وتمحيص الأشياء، شأن كل رجل عظيم يريد ما يقول وينال ما يريد، ولو بحثنا في التواريخ القديمة والحديثة لوجدنا في كل أمة رجلا أو رجالا من رجال السياسة والحرب تفتخر بهم لكن ليس من هؤلاء الرجال من اجتمعت فيهم الخصال السامية والأخلاق الحميدة التي اجتمعت في عمر رضي الله عنه.

نعم إن من مشهوري الرجال رجالا أسسوا ملكا عظيما أوسع من ملك عمر وافتتحوا من الممالك ما لم يفتحه ونالوا من السيادة على الشعوب الكثير فوق ما نال، لكن هل كان منهم من كان كعمر جبارا غير ظالم كريما غير مسرف عادلا لا عن ضعف شجاعا غير متهور قنوعا غير شره زاهدا بغير تصنع حليما من غير جبن تقيا غير متنطع؟ كلا لا سيما إذا نشأ بين قوم كقومه حالهم من البداوة معروف. والحاصل أن التاريخ حكم عدل وقد جاء تاريخ عمر حافلا بالخصال الحميدة والأمور الجسام التي جعلته سابقا على كل من أتى بعده وجعلت كبار أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشعرون بأن الإسلام فقد بفقده أثبت أركانه.

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٩٦٩/٧

وفاته رضي الله عنه

استشهد رضي الله عنه من طعنة **بخنجر** من أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وقت صلاة الغداة روى المؤرخون أنه شكا إلى عمر ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة ورجاه في تخفيفه واختلف المؤرخون في جواب عمر رضي الله عنه فقال بعضهم إنه وعده خيرا وعزم أن يذاكر المغيرة في تخفيف الخراج عنه. وهناك روايات أخرى تختلف في جوهرها عن هذه، ويؤخذ من أقوال المؤرخين أن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد الغلام عليه وعدم تخفيف الخراج عليه ولكنه كان نتيجة." (١)

"جيش لحماية تجارتها. فهو جيش لحفظ الحرية لا لسلبها وجبر الضعيف على الرضا بالعبودية.

لم يتجاوز جيش قرطاجنة خمسين الفا اكثرها من البربر والاسبان ويمدها زيادة على ذلك ايام الحرب بجنود كثيرة امراء البربر الذين تربطهم بها معاهدات.

وينقسم هذا الجيش الى ثلاثة أقسام:

١ - الجنود القرطاجنية وهم قليلون وغير حربيين.

٢ - الجنود المرتزقة: وهم من امم مختلفة. من اسبانيا مشاة، ومن الجزائر الشرقية رماة، ومن الغاليا والكورص وايطالية وصقلية.

٣ - الجنود الليبية والنوميدية. والاولون مشاة مجبورون على التجنيد. لان ليبية (١) وطنهم كانت في قبضة قرطاجنة وتحت نفوذها الفعلي. والاخيرون فرسان متطوعون. لان وطنهم نوميديا لم يكن تحت سيطرة قرطاجنة.

وكلا الجندين الليبي والنوميدي صبار على الشدائد شجاع مقدام له سلاح خفيف: نبل **وخنجر** وترس من جلد. وليس له سيف ولا مغفر ولا درع.

وهذا القسم الثالث هو الذي كون تاريخ قرطاجنة الحربي. خصوصا الجند النوميدي. فلولاه ما ذاقت قرطاجنة لذة الفوز والانتصار، ولا هدد حنبعل رومة ورام فتحها.

لذلك كان للنوميديين ميزة لم تكن لبقية الجيش القرطاجني. وكانوا لا يسمحون لها بالتقصير في حقوقهم. وقد ثاروا عليها مرارا لعجزها عن أداء واجباتهم.

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مخلوف، محمد بن محمد ٧٣/٢

(١) كانت ليبية تطلق على شمال أفريقية. وبعد مجيئ الفينيقيين اختصت بما يلى نوميديا شرقا. وليس المراد ليبية المعروفة اليوم جنوب طرابلس.." (١)

"ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود. ثم كملوا مناسك القبر بالتقصير هنالك والحلاق. واستمتعوا بخلافهم من الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق. وقربوا لذلك الوثن القرابين. وكانت صلاتهم ونسكهم وقرباتهم لغير الله رب العالمين فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضا، ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجرا وافر وحظا. فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف إلى البيت الحرام. فيقول: لا، ولو بحجتك كل عام. هذا ولم نتجاوز فيما حكينا عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم، إذ هي فوق ما يخطر بالبال ويدور بالخيال" اهـ

٢١٤ – رجع المسلمون في العجم إلى نجد فرحين بما آتاهم الله من النصر والغنائم ثم كان أن عثمان العراقي الرافضي ذهب متنكرا في زي الدراويش إلى الرياض، ونزل ضيفا على الإمام عبد العزيز وأظهر التنسك والطاعة وتعلم شيئا من القرآن، فأكرمه عبد العزيز وكساه ورتب له من يعلمه أركان الإسلام، وأقام ينتهز الفرصة لاغتيال الإمام سعود أو الإمام عبد العزيز. فحانت له في ١٠ رجب سنة ١٢١٨ حين كان قائما يتظاهر بصلاة العصر في الصف الثالث وراء الإمام عبد العزيز فلما أهوى الإمام عبد العزيز للسجود انتزع الخبيث من داخل ثيابه **خنجرا** قد أعده لفعلته الشنعاء وطعنه به في خاصرته فضج الناس وتألبوا عليه، فحاول طعن غير الإمام، فلم يمكنوه من ذلك، وقبضوا عليه. فقتلوه ضربا بالسيوف وحملوا الإمام إلى داره، فمات من هذه الطعنة رحمه الله.." (٢)

"بن عروة عن أبيه عن صفية – رضي الله عنهم – مثله، وزاد فيه: قال: هي أول إمرأة قتلت رجلا من المشركين. وأخرجه أيضا ابن أبي خيثمة، وابن منده من رواية أم عروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها عن جدتها صفية رضي الله عنها؛ وابن سعد من طريق هشام عن أبيه، كما في الإصابة. وأخرجه ابن عساكر من حديث صفية والزبير رضي الله عنهما – بمعناه، كما في الكنز. وأخرجه أيضا الطبراني؛ عن عروة) وأبو

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ١٤١/١

(٢) أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها محمد حامد الفقي ص/٨٤

يعلى، والبزار عن الزبير رضي الله عنه (وإسنادهما ضعيف) ؛ كما في مجمع الزوائد.

إتخاذ أم سليم خنجرا للقتال يوم حنين

وأخرج ابن أبي شيبة عن أنس قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك (إلى) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: ألم تر إلى أم سليم معها خنجر؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أم سليم: ما أردت إليه؟» قالت: أردت إن دنا لي أحد منهم طعنته به. كذا في كنز العمال. وأخرجه أيضا ابن سعد بسند صحيح، كما في الإصابة. وعند مسلم عن أنس رضي الله عنه أن أم سليم رضي." (١)

"الله عنها إتخذت يوم حنين خنجرا، فكان معها فرآها أبو طلحة، فقال يا رسول الله: هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما هذا الخنجر؟» فقالت: إتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك.

قتل أسماء بنت يزيد تسعة يوم اليرموك

وأخرج الطبراني عن مهاجر: أن أساء بنت يزيد بن السكن بنت عم معاذ بن جبل رضي الله عنهما قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاط. قال الهيثمي: ورجاله ثقات: انتهى.

الإنكار على خروج النساء في الجهاد إنكاره عليه السلام على أم كبشة

أخرج الطبراني عن أم كبشة رضي الله عنها – إمرأة من عذرة: عذرة بني قضاعة – أنها قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتأذن أن أخرج في جيش كذا وكذا. قال: لا. قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليس أريد أن أقاتل، إنما أريد أداوي الجرحى والمرضى، أو أسقي المرضى. قال: لولا أن تكون سنة ويقال: فلانة خرجت لأذنت لك، ولكن إجلسي. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح. انتهى.." (٢)

"هائلة انتهت سنة ٧١٧ هـ بمقتل بطرس. وفي سنة ٧٢٤هـ تحرك إسماعيل للجهاد، فامتلك بعض الحصون، وعاد إلى غرناطة ظافرا. وكان حازما مقداما جميل الطلعة جهير الصوت كثير الحياء بعيدا عن الصبوة. اغتاله ابن عم له (اسمه محمد ابن إسماعيل) بطعنة خنجر في غرناطة (١) .

---

(١) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي ٢/٢٢٣

(٢) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي ٢/٢٢٤

ابن فرج

(١٣١٠ - ١٣٦٧ هـ = ١٨٩٢ - ١٩٤٨ م)

إسماعيل بن فرج الموصلي: عارف بالفقه والحقوق. من أهل الموصل. له كتاب (القضاء الإسلامي وتاريخه - ط) (١) .

إسماعيل الفلكي = إسماعيل بن مصطفى

أبو العتاهية

(١٣٠ - ٢١١ هـ = ٧٤٨ - ٨٢٦ م)

إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي (من قبيلة عنزة) بالولاء، أبو اسحاق الشهير ب أبي العتاهية: شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع. كان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتا في اليوم، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل. وهو يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما. جمع الإمام يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ما وجد من (زهدياته) وشعره في الحكمة والعظة، وما جرى مجرى الأمثال، في مجلد، منه مخطوطة حديثة في دار الكتب بمصر، اطلع عليها أحد الآباء اليسوعيين فنسخها ورتبها على الحروف وشرح بعض مفرداتها، وسماها (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية - ط)

---

(١) الإحاطة ١: ٢٢١ واللمحة البدرية ٦٥ والنجوم الزاهرة ٩: ٢٥٠ وفيه: مولده سنة ٦٨٠ ووفاته ٧٢٠ هـ ومثله في الدرر الكامنة ١: ٣٧٥ وهو خطأ. وفي تاريخ دول الإسلام ٣: ٨ مقتله سنة ٧٢٧ خطأ أيضا.

(٢) معجم المؤلفين العراقيين ١: ١١٦.." (١)

"شريف، من أمراء مكة. وليها مشتركا مع أخيه حميضة، ثم اختلفا فاقتتلا ونشبت بينهما وقائع، واستقل سنة ٧١٥ هـ وقبض عليه سنة ٧١٨ فهرب، وأمسك فسجن إلى سنة ٧٢٠ وتجددت الحرب بينه

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٣٢١/١

وبين أخيه سنة ٧٣١ وكثر الضرر منهما، وقيل: إنه أظهر مذهب الزيدية، وأنكر عليه الملك الناصر ذلك فأرسل إليه عسكرا، ثم أمنه، فرجع إلى مكة ولبس الخلعة، وانفرد بالأمر سنة ٧٣٨ - ٧٤٥هـ ونزل عن الإمارة لأولاده، وتوفي بمكة (١) .

ابن رميح = أحمد بن محمد ٣٥٧

الرميصاء

(٠٠٠ - نحو ٣٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٥٠ م)

الرميصاء (أو الغميصاء) بنت ملحان ابن خالد بن زيد بن حرام، من بني النجار، وتعرف بأم سليم: صحابية، قال أبو نعيم في وصفها: (الطاعنة بالخناجر في الوقائع والحروب) وهي أم أنس بن مالك. وقتل زوجها مالك بعد ظهور الإسلام، فأسلمت. وخطبها أبو طلحة (زيد بن سهل) وكان على الشرك يعبد وثنا من خشب، فجعلت مهرها إسلامه، وأقنعته فأسلم. وكانت معه في غزوة (حنين) فشوهدت مع عائشة، مشمرتين تنقلان القرب وتفرغانها في أفواه المسلمين، والحرب دائرة، وترجعان فتملآنها. وشوهدت قبل ذلك، يوم (أحد) تسقي العطشى، وتداوي الجرحى (كما يقول ابن سعد) معها **خنجر**. وأخبارها كثيرة (٢) .

---

(١) شذرات الذهب ٦: ١٤٩ والدرر الكامنة ٢: ١١١ وفيه: وفاته سنة ٧٤٨ هـ

وخلاصة الكلام ٢٨ - ٣٠ والنجوم الزاهرة ١٠: ١٤٤.

(٢) حلية الأولياء ل أبي نعيم ٢: ٥٧ وفي القاموس: الرميصاء بنت ملحان، صحابية) وزاد الزبيدي في التاج ٤: ٣٩٩ (كبيرة القدر، ويقال فيها أيضا الغميصاء) . وفي صفة الصفوة ٢: ٣٥ (الغميصاء) ، وقيل الرميصاء، أو اسمها سهلة أو رميلة أو رميثة أو أنيفة) ومثله في طبقات ابن سعد ٨: ٣١٠ - ٣١٨ ووردت ترجمتها في الإصابة في ثلاثة مواضع: الرميصاء ٨: ٨٧ والغميصاء ٨: ١٥٣ وأم سليم ٨: ٢٤٣.." [١]
"سليمان (١)

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٣٣/٣

سليمان الحلبي

(١١٩١ - ١٢١٥ هـ = ١٧٧٧ - ١٨٠٠ م)

سليمان بن محمد أمين الحلبي: قاتل الجنرال كليبر (٢) (Kleber) بمصر. سوري الأصل.

ولد ونشأ بحلب، وأقام ثلاث سنوات في القاهرة، يتعلم بالأزهر. وعاد إلى حلب، فحج مرتين.

وزار القدس وغزة، وقابل بعض قواد الجيش العثماني، فعاهدهم على أن يقتل كليبر (قائد الجيش الفرنسي والحاكم العام، بمصر، بعد عودة بونابرت إلى فرنسة) وحمل من علماء غزة رسائل إلى بعض علماء الأزهر، يوصونهم بمساعدته. وقصد القاهرة، فقضى ٣١ يوما يتعقب كليبر حتى ظفر به يتمشى مع فرنسي آخر، فطعنه بخنجر كان يخفيه في ثيابه، عدة طعنات، مات كليبر على أثرها. وفر سليمان، فقبض عليه، وحوكم أمام

---

(١) تاريخ القادري - خ.

(٢) جان بابتيست كليبر Jean - Baptist Kleber قائد فرنسي. انظر ترجمته في (لاروس) .." [١]

"محكمة عسكرية فرنسية، فقضت باعدامه (صلبا على الخازوق، بعد أن تحرق يده اليمنى، ثم يترك طعمة للعقبان) ونفذ فيه ذلك، في تل العقارب، يوم ١٧ يونية ١٨٠٠ م. وعلقت إلى جانبه رؤوس ثلاثة من علماء الأزهر، كان قد أفضى إليهم بعزمه على القتل (١) ولم يفشوا سره. واحتفظ الفرنسيس بالهيكل العظمي من جسم سليمان، فوضعوه في متحف حديقة الحيوانات والنباتات في باريس، كما حفظوا جمجمته في غرفة التشريح بمدرسة الطب بباريس. وما زال الخنجر الذي طعن به كليبرمحفوظا في مدينة كاركاسون (Carcasson) بفرنسة (٢) .

سليمان البجيرمي

(١١٣١ - ١٢٢١ هـ = ١٧١٩ - ١٨٠٦ م)

سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي: فقيه مصري. ولد في بجيرم (من قرى الغربية بمصر) وقدم القاهرة صغيرا، فتعلم في الأزهر، ودرس، وكف بصره. له (التجريد - ط) أربعة أجزاء، وهو حاشية على شرح المنهج

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٣٣/٣

في فقه الشافعية، و (تحفة الحبيب – ط) حاشية على شرح الخطيب، المسمى بالإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، فقه، أربعة أجزاء، أيضا.
وتوفي في قرية مصطية، بالقرب من بجيرم (٣) .

الحوات
(١١٦٠ – ١٢٣١ هـ = ١٧٤٧ – ١٨١٦ م)
سليمان بن محمد بن عبد الله الشفشاوني الفاسي الشهير بالحوات:

---

(١) هم: الشيخ عبد الله الغزي، والشيخ محمد الغزي، والشيخ أحمد الوالي.
(٢) الجبرتي ٣: ١١٦ – ١٣٤ وتاريخ الحركة القومية للرافعي ٢: ١٩٣ ومجلة الكشاف – بيروت – تشرين الأول ١٩٢٩ ومحمد مسعود وعزيز خانكي، في الأهرام ٤ و ٥ يولية ١٩٣٩ والكافي لشاروبيم ٣: ٢٦٢ وأخطأ لاروس Nouveau Petit Larousse في ترجمة (كليبر) بحسبانه سليمان الحلبي أحد المماليك.
(٣) مقدمة شرح الأم للحسيني – خ. والجبرتي ٤: ٢٤ وخطط مبارك ٩: ١٣ ومعجم المطبوعات ٥٢٨.." (١)

"لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر. وكانت له تجارة بين الشام والحجاز. وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر (سنة ١٣ هـ بعهد منه. وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة. حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام. وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون بالوقائع. واتخذ بيت مال المسلمين، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا. وأول من دون الدواوين في الإسلام، جعلها على الطريقة الفارسية، لإحصاء أصحاب الأعطيات وتوزيع المرتبات عليهم. وكان يطوففي الأسواق منفردا. ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم. وكتب إلى عماله: إذا كتبتم لي فابدأوا بأنفسكم. وروى الزهري: كان عمر إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم، يبتغي حدة عقولهم. وله كلمات وخطب ورسائل غاية في البلاغة. وكان لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر.

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٣٣/٣

وكان أول ما فعله لما ولي، أن رد سبايا أهل الردة إلى عشائرهن وقال: كرهت أن يصير السبي سبة على العرب.

وكانت الدراهم في أيامه على نقش الكسروية، وزاد في بعضها " الحمد لله " وفي بعضها " لا إله إلا الله وحده " وفي بعضها " محمد رسول الله ". له في كتب الحديث ٥٣٧ حديثا.

وكان نقش خاتمه: "كفى بالموت واعظا يا عمر " وفي الحديث: اتقوا غضب عمر، فإن الله يغضب لغضبه.

لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاروق، وكناه ب أبي حفص. وكان يقضي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا في صفته: كان أبيض عاجي اللون، طوالا مشرفا على الناس، كث اللحية، أنزع (منحسر الشعر من جانبي الجبهة) يصبغ لحيته بالحناء والكتم. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي (غلام المغيرة بن شعبة غيلة، **بخنجر** في خاصرته وهو في صلاة الصبح.." (١)

"عبد الله، وشكا إليه أن ليس معه من الذهب غير **خنجره**، ففتح عودة صندوق ما ادخر. ثم دخل عبد الله " عمان " واتفق مع البريطانيين على أن يتولي إدارتها وإمارتها، وسميت وما حولها بشرقي الأردن، فأقبل عليه عودة يقول: أراك وقد أمروك، هونت عن قصد الشام! فتنكر له الأمير، وحبسه ليلة بعمان، ثم خشي غارة رجاله فأطلقه. رأيته يوما وهو متكئ فقيل لي إنه جريح في ظهره، فسألته فقال: أثر من ضربة سيف تهنا بعدها خمسة أيام في الصحراء لا نوم ولا ماء، وكاد الظمأ يقتلنا! وقيل في وصفه: كان كريما تجاوز حد السخاء. وتوفي في زيزياء (بالبلقاء) (١) .

عوذ

(٠٠٠ - ٠٠٠ = ٠٠٠ - ٠٠٠)

١ - عوذ بن سود بن الحجر بن عمران، من مزيقياء، من قحطان: جد جاهلي. ممن ينسب إليه همام بن يحيى (الآتية ترجمته) (٢) .

٢ - عوذ بن غالب بن قطيعة، من عبس بن بغيض من قحطان: جد جاهلي. من نسله حبيب بن قرفة العوذي، من الشعراء (٣) .

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٤٥/٥

العوذي = همان بن يحيى ١٦٤

عوص

(٠٠٠ - ٠٠٠ = ٠٠٠ - ٠٠٠)

عوص بن عوف بن عذرة بن زيد اللات، من كلب من القحطانية: جد جاهلي. بنوه قبيلة من كلب، قال أحد الشعراء:

---

(١) مذكرات المؤلف. والثورة العربية للورنس ٥٢ - ٥٦ وتاريخ شرق الأردن وقبائلها ٢٣١ وخمسة أعوام في شرقي الأردن ٢٥٩ وجريدة المتقبس ٢٩ ذي الحجة ١٣٤٢ ولويل توماس في كتابه " لورانس في بلاد العرب ".

(٢) و (٣) التاج ٢: ٥٧١ واللباب ٢: ١٥٧ ونهاية الأرب ٣٠٨.." [١]

"نسخة في الأسكوريال كتبت سنة ٧٧٣ هـ (١) .

ابن عجلان

(٧٦٨ - ٧٨٨ هـ = ١٣٦٦ - ١٣٨٦ م)

محمد بن أحمد بن عجلان بن رميثة ابن أبي نمي: شريف حسني، من أمراء مكة. ولد فيها، وشارك أباه في ادارة شؤونها سنة ٧٧٨ ثم استقل بإمارتها بعد وفاة أبيه (سنة ٧٨٨) فاستمر مئة يوم وقتله أبناء عمه، بمساعدة أمير الحج المصري لهم، على أبواب مكة (٢) .

المنتصر المريني

(٧٨٣ - بعد ٧٨٨ هـ = ١٣٨١ - بعد ١٣٨٦ م)

محمد بن أحمد أبي العباس ابن أبي سالم المريني أبو زيان: طفل، من ملوك الدولة المرينية في المغرب

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٩٤/٥

الأقصى، كان مع أبيه في الأندلس، ثم في فاس، واعتقل أبوه، فأرسل إلى بني الأحمر بغرناطة. وولي الملك المتوكل على الله (موسى بن فارس " ومات موسى. فعمد وزيره مسعود بن عبد الرحمن بن ما ساوي إلى محمد (صاحب الترجمة) وهو طفل، فأخذ له بيعة أهل فاس (سنة ٧٨٨) ولقبه بالمنتصر بالله، وحكم البلاد باسمه، فلم يستمر سوى ٤٣ يوما وخلع وأرسل إلى أبيه في الأندلس. ولم أجد له خبرا

(١) البستان ١٨٤ - ١٩٠ وجذوة الاقتباس ١٤٠ وفهرس الفهارس ١: ٣٩٤ ونفح الطيب ٣: ٢٠٣ والاستقصا ٢: ١٢٣ وشجرة النوادر ٤٣٦ والتعريف بابن خلدون ٤٩ - ٥٦ ونيل الابتهاج، بهامش الديباج ٢٦٧ و Brock 2: 310 (239) S 2: 335. والإعلام

ممن حل مراكش ٤: ٣٦.

(٢) العقود اللؤلؤية ٢: ١٨٩ وفي النجوم الزاهرة ١١: ٢٤٥ حكاية مقتله، كما يأتي: " لما قدم مكة الأمير آقبغا المارديني، أمير الحاج، خرج الشريف، محمد بن أحمد ابن عجلان أمير مكة لتلقيه على العادة، ونزل وقبل الأرض ثم قبل خف جمل المحمل، وعندما انحنى وثب عليه فداويان، ضربه أحدهما **بخنجر** في عنقه وهما يقولان: غريم السلطان! فخر ميتا ".." (١)

"إلى دمشق مع إخوته وأخواته وأمهم، ومنها إلى الرها، فهربوا إلى حلب، ونشأ المنصور بها وجعله صاحبها الملك الظاهر، في جملة أمرائه. واستمر على حاله إلى أن توفي (١) .

أبو زيان العبد الوادي

(٦٥٩ - ٧٠٧ هـ = ١٢٦١ - ١٣٠٨ م)

محمد (أبو زيان الأول) بن عثمان (أبي سعيد) بن يغمراسن بن زيان، من بني عبد الواد: السلطان الثالث من أسرة بني زيان بتلمسان. كان فاضلا لين الجانب. بويع بعد وفاة أبيه (سنة ٧٠٣ هـ وقاعدته (تلمسان) محصورة، تغاديها وتراوحها منجنيقات السلطان يوسف ابن يعقوب المريني، فصبر على مضض، حتى ضاق ذرع أهلها، فجمع أبو زيان بعض أعيانها (سنة ٧٠٦) واتفقوا على الخروج إلى العدو (فإما ملك أو هلك!) وعينوا لخروجهم يوم ٧ ذي القعدة (٧٠٦) وفي هذا اليوم وثب على السلطان يوسف خصي من مواليه،

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٣٢٩/٥

فاغتاله بطعنة **خنجر**، واضطرب قادة جيشه، فبرز أبو زيان فقتل أبا سالم المريني (ابن السلطان يوسف(وعقد الصلح مع أبي ثابت (حفيده) وفك الحصار عن تلمسان، بعد أن استمر ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام، وقد مات من أهلها فيه زهاء ١٢٠ ألف نسمة. ونهض السلطان أبو زيان وأخ له كنيته (أبوحمو) فأعادا إلى الطاعة من عصى من قبائل مغراوة وتجينوغيرهما. وعاد السلطان إلى تلمسان وقد (طهر البلاد من الفساد) فأمر بإصلاح ما هدمه الحصار من الدور والقصور، ولم يلبث أن وافته منيته. ومدة ملكه أربع سنوات إلا سبعة أيام (٢) .

---

(١) السلوك للمقريزي ١: ١٤٥ – ١٥٣ وابن إياس ١: ٧٤ والبداية والنهاية ١٣: ١٨ وحلى القاهرة ١٩٦ وفيه: وفاته سنة ٦٢٥؟.

(٢) بغية الرواد ١: ١٢١ – ١٢٦ ودائرة المعارف الإسلامية ١: ٣٤١ وفي روضة النسرين لابن الأحمر أنه ولي." (١)

"مساعد اليافي

(١٣٠٣ – ١٣٦٣ هـ = ١٨٨٦ – ١٩٤٣ م)

مساعد بن مصطفى بن محمد أبي النصر بن عمر العبدلي الحسيني اليافي: فاضل، من المشاركين في حركة اليقظة العربية الحديثة. ولد في طرابلس الشام، وتعلم بها في معهد (الفرير) وانتقل إلى مصر، فعمل في دار (المنار) وعين بوظيفة مالية في حكومة السودان (سنة ١٩١٠ – ١٢) وعاد إلى القاهرة، فتولى الترجمة في جريدة (المؤيد) مدة عامين. وترجم عن الفرنسية كتاب (الغارة على العالم الإسلامي – ط) ودعي في أواخر الحرب العامة الأولى إلى مكة، فسمي وكيلا للخارجية بقصر الملك حسين. ثم عاد إلى مصر وعمل في التجارة فأضاع ماله. وسافر إلى أميركا الجنوبية (سنة ١٩٢١) فذكر في رسالة خاصة بعث بها سنة ١٩٢٣ أنه قام بسياحة في أنحاء البرازيل، ووضع كتابا عنها ترجم إلى لغة تلك البلاد. وكان يجيد الفرنسية، ويحسن الإنكليزية والإيطالية، وتوفر في المهجر الأميركي على دراسة العبرية، فنشر أبحاثا فضح بها بعض أسرار الصهيونية. وبينما هو عائد إلى منزله في مدينة (تيوفيدو أوتوني) من مقاطعة (ميناس) ليلا، طعنه آثم من عمال الصهيونية، **بخنجر** في صدره، ووجد في الصباح مضرجا بدمه أمام داره (١) .

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٢٦١/٦

ابن مسافر = عبد الرحمن بن خالد ١٢٧

مسافر بن أبي عمرو

(٠٠٠ - نحو ١٠ ق هـ = ٠٠٠ - نحو ٦١٣ م)

مسافر بن أبي عمرو (واسمه ذكوان) ابن أمية بن عبد شمس: شاعر، من سادات بني أمية وأجوادهم في الجاهلية.

---

(١) من مذكرات السيد محب الدين الخطيب، بتصرف. وقد ساعده في ترجمة (الغارة على العالم الإسلامي) انظر فهارس دار الكتب ٨: ١٨٨.." (١)

"سنة ٧٣٣) وسنه إذ ذاك خمسة عشر عاما وثمانية أشهر. وكان في صباه كثير الصمت والسكون، فلم يمارس شيئا من أعمال الدولة إلا بعد أن توفرت له الحنكة والتجارب، فقام بأعباء الملك، وباشر بعض الحروب بنفسه. وقاتله الإسبانيون، فثبت لهم مدة، إلى أن " نفذ بالجزيرة القدر وأشفت الأندلس "كما يقول لسان الدين ابن الخطيب، فسدد الأمور، وتمكن بسعيه من تخفيف حدة الشدة. وفي أيامه كانت وقعة البحر بأسطول اروم، ثم الوقيعة على المسلمين بظاهر طريف، وتغلب العدو على قلعة يحصب (المجاورة لعاصمته) وعلى الجزيرة الخضراء (باب الأندلس) سنة ٧٤٣ وتمتع بالسلم في أعوامه الأخيرة. وبينما كان في المسجد الأعظم بحمراء " غرناطة " ساجدا في الركعة الأخيرة من صلاة عيد الفطر، هجم عليه " مجهول " وطعنه بسكين (أو خنجر) وقبض عليه، فسئل، فتكلم بكلام مختلط، فقتل وأحرق بالنار، وحمل السلطان إلى منزله فمات على الأثر. قال سيد أمير علي: وهو من أذكى وأشهر ملوك بني نصر (١)

.

يوسف بن إسماعيل

(٠٠٠ - بعد ٨١٢ هـ = ٠٠٠ - بعد ١٤٠٩ م)

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٢١٣/٧

يوسف بن إسماعيل بن إبراهيم: لغوي، بالعربية والفارسية. له " مشارع اللغة – خ " الجزء الأول منه، نسخة بديعة مبتورة الآخر، في خزانة الرباط (١٧١٤ ك) (٢) .

---

(١) اللمحة البدرية ٨٩ وأعمال الأعلام، القسم الثاني في أخبار الجزيرة الأندلسية ٣٥٠ – ٣٥٢ والدرر الكامنة ٤: ٤٥٠ والحلل السندسية، للأمير شكيب ٢: ٢٢٩ – ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٣، ٣١٢، ٣٢٤ وأزهار الرياض: انظر فهارسه. والإعلام، لابن قاضي شهبة – خ. وسيد أمير علي ٤٥٩.

(٢) وفي كشف الظنون ١٦٨٧ " فرغ من تأليفه يوم الخميس ٢٠ ذي الحجة ٨١٢ " وفيه: " هو لغة عربية مفسرة بالفارسية كالصراخ "؟.." (١)

"واتفقا على أن يكون ذلك يوم جمعة عقب خروج علي من الصلاة. وكان من عادة علي، عقب الخروج من الصلاة، أن يتنزه قليلا على شاطىء البحر، وكان إذا ركب، كان أخوه حسن وراءه في الموكب، فلما انتهى علي في ذلك اليوم من نزهته، وسار عائدا إلى قصره، انتهز حسن والغلام العبادي فرصة مروره في زقاق ضيق، وانقض حسن عليه **بخنجره**، فأصابه في يده، ثم حاول أن يثني الطعنة فلم يوفق ورده علي، وعندئذ حاول الغلام العبادي أن يطعن عليا بالرمح الذي يحمله، فنشب الرمح في الحائط لضيق الزقاق، وانقض رجال علي على الغلام العبادي فقتلوه، وفر حسن ناجيا بنفسه، وسار مسرعا إلى بلنسية، حيث لجأ إلى صهره، وزوج أخته الآخر. عبد الملك بن عبد العزيز، وهناك عاش في كنف أخته مغمورا حتى توفي (١).

وهكذا فشلت هذه المحاولة الغادرة في اغتيال علي بن مجاهد، وبرىء علي من جراحه واستقر في ملكه، واتفق الجميع على طاعته وتأييده. وحذا علي حذو أبيه في اتباع سياسة الحيدة والمودة مع جيرانه، وحاول مثل أبيه أن يوثق علائقه مع ملوك عصره بالمصاهرة، وكانت له بنات حسان يصفهن صاحب الذخيرة بأنهن كن " أحسن من الشموس، وأفتن من الطواويس " ويقول لنا إن ملوك الطوائف تنافسوا في الزواج منهن، وجعلهن والدهن علي عيونا على أزواجهن، معتمدا على ما تحققه له المصاهرة وصلة الرحم، من الرعاية والحماية (٢)، فزوج إحداهن للمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، وأخرى إلى المعتصم بن صمادح صاحب ألمرية، وتزوج هو من ابنة أحمد بن هود المقتدر بالله، بيد أنه كان من غرائب القدر أن هذه السياسة ذاتها،

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٢١٧/٨

وهي سياسة المصاهرة، كانت أيضا هي السبب في سقوط علي وضياع ملكه.
ولم نعثر على أية تفاصيل شافية عن الأحداث التي مرت بمملكة دانية أيام علي ابن مجاهد، ولا عن أعمال علي ذاته، وكل ما نستخلصه من الإشارات القليلة المتعلقة بحكمه، أنه جرى على نفس سىياسة أبيه في مخاصمة بني طاهر أصحاب مرسية، وأنه كان متحالفا مع أصحاب بلنسية ومربيطر وشنتمرية الشرق. وأما عن

(١) البيان المغرب ج ٣ ص ١٥٧ و ١٥٨.
(٢) الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول ص ٢٠٦.." (١)

"أعوام. بيد أن لدينا تفاصيل مقتله، وذهاب ملك بني تجيب على يده. وكان ذلك في غرة ذي الحجة سنة ٤٣٠ هـ (أغسطس ١٠٣٩ م) حينما نفذ إلى قصره في ذلك اليوم رجل من بني عمومته وقواده يدعى عبد الله بن حكيم، جاء بزعم السلام عليه، وكان يضمر له السوء منذ بعيد. وكان المنذر يجلس بين نفر قليل من خدمه الصقالبة، وليس عليه إلا غلالة، وهو يقرأ في كتاب في يده، فانقض عليه وطعنه في عنقه بسكين كان قد أعده، فقطع أوداجه، وفر الخدم في الحال ولم يبق منهم إلا خادم واحد شهم حاول الدفاع عن سيده، فصرعه عبد الله **بخنجره** ثم أجهز على منذر، واحتز رأسه، وأبرزها من غرفة في القصر مرفوعة على عصا، وهو يصيح هذا جزاء من عصى أمير المؤمنين هشاما، يريد بذلك الدعي الذي نصبه القاضي ابن عباد في إشبيلية، وزعم أنه الخليفة هشاما المؤيد، وذلك في سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م)، واعترف بخلافته عدد من أمراء الطوائف، ورفض يحيى التجيبي يومئذ الاعتراف به، وتابعه في ذلك ولده المنذر. ولما شهد الناس رأس منذر بهتوا وعقد الذعر ألسنتهم، وأرسل القاتل في الحال إلى القاضي والأعيان، فحضروا إلى القصر والقاتل جالس على فراش قتيله، وجثة منذر مضرجة بدمائها ملقاة إلى جانبه، فأعلن لهم أنه فعل ما فعل في سبيل الإصلاح العام، ودعا بالحكم لسليمان بن هود، وقيل بل دعا لنفسه واختاره بنو عمه للولاية فانصرف الناس، وقد بيتوا القضاء عليه.
وفي تلك الأثناء كان نبأ مصرع المنذر بن يحيى التجيبي قد ذاع في كل مكان، وهرع خاله إسماعيل بن ذى النون صاحب طليطلة إلى سرقسطة لتدارك الأمر، واشتد الهرج في سرقسطة، وكادت تعصف بها الفتنة،

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢٠١/٢

وهجم الناس على القصر لانتزاع القاتل ومعاقبته، فتحصن بالقصبة، وصمم على الدفاع عن نفسه، بيد أنه لما أيقن أنه سوف يقع في أيدي مهاجميه لا محالة، جمع ما استطاع من ذخائر القصر وتحفه، وخرج هاربا من باب خلفي في القصر، ولحق بقلعة روطة أحد معاقل سرقسطة المنيعة، وكان قد أعدها لذلك بمعاونة نفر من صحبه، وحمل معه في نفس الوقت أخوين للمنذر، وبعض أعيان منهم وزيره أبو المغيرة بن حزم، في الأصفاد ليكونوا رهائن لديه، واقتحم العامة قصر سرقسطة ونهبوه وخربوه، وعم الهرج والفوضى.." (١)

"الثبات، ويرغبهم في الاستشهاد، ودوي الطبول من حوله يصم الآذان. وينوه الأستاذ بيدال بتأثير وقع الطبول وضجيجها في اضطراب القشتاليين، ويقول إنه لم يسبق من قبل أن عرفت الجيوش الإسبانية، مثل هذا الضجيج الذي تهتز له الأرض، ومن جهة أخرى، فقد عمد المرابطون إلى القتال في صفوف متراصة متناسقة ثابتة، وهي أيضا خطة جديدة لهم في القتال، ولم يكن للفرسان النصارى عهد بمثلها، إذ كانوا معتادين على القتال الفردي. ومن ثم فقد ألفوا أنفسهم بالرغم من تفوقهم في السلاح، عاجزين عن مناهضة هذه الصفوف المتراصة التي تفوقهم بكثافتها وعديدها (١).

واشتد هجوم المرابطين في نفس الوقت بقيادة سير بن أبي بكر على مقدمة القشتاليين التي يقودها ألبارهانيس، واستردت جيوش الأندلس كل إقدامها وشجاعتها، وكثر القتل من الجانبين في صفوف القشتاليين. وكانت الضربة الأخيرة أن دفع يوسف بحرسه الأسود، وقوامه أربعة آلاف مقاتل إلى قلب المعمعة، واستطاع أحدهم أن يصل إلى ملك قشتالة، وأن يطعنه **بخنجره** في فخذه طعنة نافذة. وكانت الشمس قد أشرفت على المغيب، وأدرك ألفونسو وقادته وفرسانه أنهم يواجهون الموت، إذا استمروا في موقفهم، وعندئذ بادر ألفونسو في فل من صحبه وأشرافه إلى التراجع، والاعتصام بتل قريب حتى دخل الليل، فسار وصحبه تحت جنح الظلام، وتقدر الرواية من أفلت مع ملك قشتالة بنحو أربعمائة أو خمسمائة فارس، معظمهم جرحى. وكانت صفوف النصارى قد مزقت عندئذ في كل ناحية شر تمزيق، وتعالت أكوام الأشلاء والجرحى، وطورد الفارون في كل مكان، وهلك كثيرون منهم أثناء المطاردة، ولم ينقذ البقية الباقية من النصارى سوى دخول الظلام، وأمر يوسف بوقف المطاردة.

وأمضى المسلمون الليل في ميدان الحرب، يرقبون حركات النصارى، وفي صباح اليوم التالي أخذت فرسانهم

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢/٢٦٩

في مطاردة المتخلفين، وعمدت قوة أخرى إلى جمع الأسلاب وكانت عظيمة وافرة. ويشير يوسف في رسالته بالفتح إلى المعز بن باديس، إلى وفرة الغنائم من الخيل والبغال والحمير والثياب والأوبار

---

(١) راجع روض القرطاس ص ٩٥، والحلل الموشية ص ٤٢، وراجع أيضا: R.M.Pidal: ibid ; p. 335 & 339." (١)

"وفي نفس هذا العام، وقع حادث مروع بجامع قرطبة، هو مصرع قاضي قرطبة أحمد بن خلف التجيبي (أو أبو عبد الله بن الحاج وفقا لابن القطان).

وثب به أحدهم فطعنه **بخنجره**، وهو راكع حين صلاة الجمعة، فسقط مضرجا بدمه، ووقع بالجامع هرج عظيم، وأخرج المرابطون منه أميرهم تاشفين في حراسة قوية، وقبض على القاتل وقتل لحينه في صحن الجامع، وتوفي القاضي في مساء نفس اليوم، وهو الخامس والعشرون من صفر سنة ٥٢٩ هـ (١).

وتقص علينا الرواية النصرانية غزوة قام بها القشتاليون في سنة ١١٣٣ م ومعهم سيف الدولة المستنصر بن هود، في أراضي الأندلس، على غرار غزوة ألفونسو المحارب، وتقول لنا إن ألفونسو ريمونديس ملك قشتالة قسم جيشه لهذا الغرض إلى قسمين، بقصد تسهيل التموين والحركة، سار هو على رأس أحدهما، وقاد الآخر سيف الدولة، والدون ردريجو كونثالث دي لارا زعيم ليون. وعبر الجيشان جبال سييرا مورينا، (جبل الشارات)، واجتمعا على مقربة من قرطبة، وكان الفصل فصل الحصاد فأمر ملك قشتالة بانتساف حقول القمح والكروم والزيتون وغيرها، فساد الرعب بين المسلمين وهجروا السهول والقرى، إلى الحصون ومغائر الجبال، ووصل الجيش النصراني في زحفه إلى أحواز إشبيلية، وهو يحرق المزارع والقرى والقلاع المهجورة، ويدمر المساجد ويحرق المصاحف، ويقبض على الفقهاء ويعذبهم. وشمل هذا العيث المروع الذي كانت تقوم به سريات خفيفة من الفرسان النصارى، سائر المنطقة الواقعة ما بين قرطبة وإشبيلية، وامتلأت صفوف القشتاليين من الغنائم والأسرى والأقوات، ومن ثم سار ملك قشتالة إلى شريش، فخربها وهدمها، ثم سار إلى قادس. ولما رأى ذلك أمراء الأندلس، بعثوا إلى سيف الدولة يطلبون إليه أن يعمل ملك النصارى، على تحريرهم من نير المرابطين، فبعث إليهم بعد التفاهم مع ملك قشتالة يحثهم على انتزاع الحصون ومقاتلة المرابطين، وعندئذ يأتي هو وملك قشتالة لإنجادهم. بين أن الملك اعتزم أن يعود أدراجه على الأثر، وألا

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣٢٥/٢

يغامر بالبقاء في أرض لا يأمن مغبتها، وارتد إلى منطقة طليطلة (٢).

---

(١) البيان المغرب (الأوراق المخطوطة - هسبيرس ص ١٠ و ١٠١)؛ وابن القطان في نظم الجمان (المخطوط السابق ذكره).

(٢) M. Lafuente: ibid ; (cit. Cronica Alionso VII) ; Vol. III. p. 249." (١)

"مكانه وتبعه الموحدون إلا أبا الحسن، والشيخ أبا حفص، فاقتاد أبو الحسن الأمير إبراهيم وقتله، ثم جذبوا طلحة، وصيفه ليقتلوه، فلما اقترب من أبى الحسن، استل خنجرا كان يحتفظ به، وطعن أبا الحسن فقتله، وقتله الموحدون على الأثر، ويضيف البيذق إلى ذلك أن أبا الحسن كان قد أوثق زهاء ألف رجل من أبناء دكالة ليقتلهم، فلما قتل أطلق سراحهم، وعفى عنهم (١).

وهكذا زهق أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، صبيا في السادسة عشر من عمره، بعد أن حكم حكمه الإسمي المنكود مدى عامين، وزهق ضحية بريئة للحوادث، دون أن يضطلع منها بشيء، أو يعقد أو يحل منها أمرا ذا خطر، وقد كان حريا برجل عظيم مثل عبد المؤمن أن يحقن دم هذا الأمير الصغير، لو أنه استعمل الصرامة والحزم مع أولئك الأتباع الظمئين إلى الدماء. وبموت إبراهيم اختتم ثبت ملوك لمتونة، وانهار عرش بني يوسف ابن تاشفين، بعد أن لبث منذ تأسيس مراكش في سنة ٤٦٢ هـ، ثمانين عاما، ترفرف أعلامه الظافرة على أنحاء المغرب، وخمسين عاما ترفرف فوق جنبات الدولة المرابطية الكبرى بالمغرب والأندلس.

ويصف لنا البيذق بعد ذلك مصير أبى بكر بن تيزميت خادم علي بن يوسف، وكيف أمر الخليفة بقتله، لأنه هو الذي قبض على المهدي أيام وجوده بمراكش وحمله إلى السجن، وكيف غرر أبو بكر بالموحدين، وزعم أن لديه بمنزله آنية ملأى بالذهب، يريد أن يسلمها للموحدين، فبعث معه الخليفة باثني عشر رجلا ليتسلموا الذهب فأغلق الدار عليهم وقتلهم، وهم يشتغلون بالحفر بحثا عن الآنية المزعومة، فأخذ إلى الخليفة وأمر به فقتل (٢).

وكان عبد المؤمن قد دخل مراكش على أثر افتتاحها، ثم عاد منها في الحال إلى محلته، ورتب الأمناء على أبوابها. وبقيت مراكش بعد ذلك ثلاثة أيام لا يدخلها ولا يخرج منها أحد. ذلك أن الموحدين، كانوا يرون،

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١٤١/٣

في غلوائهم الدينية، أن مراكش هي مدينة المجسمين وأهل اللثام، الذين لعنهم المهدي، وأفتى بشركهم وتكفيرهم، فهي إذن مدينة نجسة، لا تصلح لنزول الموحدين الأطهار. وقال أشياخ الموحدين فوق ذلك إن المهدي امتنع عن سكنى مراكش،

---

(١) أخبار المهدي ابن تومرت سنة ١٠٤، والبيان المغرب القسم الثالث ص ٢٤.

(٢) أخبار المهدي ابن تومرت ص ١٠٥.." (١)

"ثلاثة أيام حتى قتل بباب قصره غيلة، وكان قاتله ابن عمه محمد بن إسماعيل صاحب الجزيرة، وقد حقد عليه لأنه انتزع منه جارية رائعة الحسن، ظفر بها فى موقعة مرتش، وبعث بها إلى حريمه بالقصر. ولما عاتبه محمد رده بجفاء وأنذره بمغادرة البلاط، فتربص به وطعنه **بخنجره** وهو بين وزرائه وحشمه، فحمل جريحا حيث توفى على الأثر، وكان مصرعه فى السادس والعشرين من رجب سنة ٧٢٥ هـ (يونيه سنة ١٣٢٥ م).

وكان السلطان إسماعيل يتمتع بخلال باهرة، وكان يشتد فى إخماد البدع وإقامة الحدود. وفى عهده حرمت المسكرات وطورد الفساد الأخلاقى، وحرم جلوس الفتيات فى ولائم الرجال، وعومل اليهود بشيء من الشدة، وألزموا أن يتخذوا لهم شعارا خاصا بهم، وهو عبارة عن العمائم الصفراء (١).

فخلفه ولده أبو عبد الله محمد وهو فتى يافع لم يجاوز الحادية عشرة من عمره، وكانت أمه نصرانية تدعى علوة، وأخذ له البيعة وزير أبيه أبو الحسن بن مسعود، وقام بكفالته بضعة أشهر حتى توفى، ثم خلفه فى الوزارة وكيل أبيه محمد بن أحمد ابن المحروق، فاستبد بالأمور واستأثر بكل سلطة؛ فحقد عليه السلطان الفتى وكان رغم حداثته مقداما قوى النفس، ولم يلبث أن بطش بوزيره المتغلب عليه، فقتل بأمره فى المحرم سنة ٧٢٩ هـ.

وكان من أوائل أعماله تجديد معاهدة الصداقة مع أراجون، وكان ملكها خايمى الثانى قد أوفد إليه سفيره يطلب إليه تجديد معاهدة الصلح والصداقة التى عقدت بينه وبين أبيه، وانقضى أجلها المحدد بانقضاء أعوامها الخمسة، فوافق السلطان على تجديدها بسائر نصوصها وشروطها، ووقعت المعاهدة الجديدة فى جمادى الثانية سنة ٧٢٦ هـ (مايو سنة ١٣٢٦ م) (٢).

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣/٢٦٥

ولأول عهده نشب الخلاف بينه وبين شيوخ الغزاة المغاربة، وعلى رأسهم عثمان بن أبى العلاء، وامتنعوا ببعض الثغور الجنوبية ولاسيما ألمرية، وانضم إليهم عم السلطان، محمد بن فرج بن إسماعيل، فقاموا بدعوته، ونشبت بين الفريقين عدة مواقع محلية، كان النصر فيها سجالا بينهما. وانتهز القشتاليون كعادتهم تلك

(١) الإحاطة ج ١ ص ٣٩٥ – ٤١٠؛ واللمحة البدرية ص ٧١ – ٧٤.

(٢) Archivo de la Corona de Aragon, No. 148." [١]

"وخلفه على العرش ولده ألفونسو الثالث، وكان ضعيفا سيىء الخلال، ولم يطل أمد حكمه سوى بضعة أعوام. وفى عهده اشتدت وطأة النبلاء وكثرت مطالبهم، وعجز ألفونسو عن مقاومتهم، وكان تخاذل العرش أمام طغيان الأشراف على هذا النحو، سببا فى اضطراب الأمور فى مملكة أراجون.

وتوفى ألفونسو الثالث سنة ١٢٩١ م دون عقب لأنه لم يتزوج، فخلفه على عرش أراجون أخوه الأصغر خايمى الثانى، وكان يتولى عرش صقلية منذ وفاة أبيه فى سنة ١٢٨٥ م حتى وفاة أخيه الأكبر. ورأى خايمى أن يوفق بين أراجون وبين مملكة نابل، فتزوج من بلانكا ابنة شارل دانجو، وساد السلم حينا بين أراجون وفرنسا. واستطال حكم خايمى حتى سنة ١٣٢٧ م، وكان عهده إصلاح واستقرار.

ثم خلفه فى الملك ولده ألفونسو الرابع، فحكم زهاء تسعة أعوام، وكان أميرا ضعيفا. وفى عهده زاد طغيان النبلاء ولاسيما فى أراجون وبلنسية، واشتد إرهاقهم للعرش حتى انتهوا بإرغام ألفونسو على إصدار المرسوم المعروف بمرسوم الإتحاد، وفيه يعترف العرش لهم بأنه لا تجوز معاقبتهم فيما يتعلق بالنفس أو المال إلا بحكم القانون، وأن يكون لهم حق اختيار القاضى الأكبر الذى يصدر أحكامه مستقلا عن مصادقة العرش، وأن يقوموا بالدفاع المسلح عن أنفسهم حيثما شعروا بما يهددهم.

وكان فى صدور هذا المرسوم افتئات لم يسبق له مثيل على سلطات العرش.

وكان بيدرو الرابع الذى خلف أباه ألفونسو على العرش سنة ١٣٣٦ م، أميرا قويا وافر العزم. وكان يتوق إلى كبح جماح أولئك النبلاء الذين طال طغيانهم، وإلغاء ذلك المرسوم الذى أرغم أبوه على إصداره. ولكن النبلاء تمسكوا بموقفهم، وتأهبوا للدفاع عن امتيازاتهم، واضطرمت أراجون بحرب أهلية بين العرش والنبلاء

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١٢١/٥

وانتهت بفوز بيدرو الرابع على النبلاء الخوارج فى موقعة آبلة سنة ١٣٤٨ م.
وأمعن بيدرو بعد ذلك فى مطاردة خصومه وقتلهم، وأرغم النبلاء على التنازل عن مرسوم الإتحاد، وقام بنفسه بتمزيقه أمام مجلس النواب فى سرقسطة، وبلغ من تلفهه على تمزيقه أن جرح يده **بخنجره**، وصاح عندئذ بأن الدم الملكى حقيق بأن يجرى فى سبيل إبطال مثل هذه الوثيقة، وعرف من جراء ذلك "بصاحب **الخنجر**". على أن بيدرو كان حكيما فى ظفره، فقد ترك للنبلاء الحق فى أن يحاكموا بمقتضى القانون، وأن تكفل حمايتهم من الأحكام التعسفية، وأكد احترامه لاستقلال القضاء، وترك للمدن حق الإعراب عن رأيها. وفى العام التالى (١٣٤٩ م)." (١)

"شوارع غرناطة، حتى غادرها من باب إلبيرة، ولم يره إنسان أو يسمع به بعد ذلك قط.
هذا ما تقوله الرواية القشتالية عن نهاية موسى بن أبى الغسان (١). ولكن مؤرخا اسبانيا قديما هو القس أنطونيو أجابيدا يحاول أن يلقى ضياء على مصيره، فيقول إن سرية من الفرسان النصارى تبلغ نحو الخمسة عشر، التقت فى ذلك المساء بعينه، على ضفة نهر " شنيل " بفارس مسلم قد دججه السلاح من رأسه إلى قدمه، وكان مغلقا خوذته شاهرا رمحه، وكان جواده غارقا مثله فى رداء من الصلب.
فلما رأوه مقبلا عليهم طلبوا إليه أن يقف وأن يعرف بنفسه، فلم يجب الفارس المسلم، ولكنه وثب إلى وسطهم وطعن أحدهم برمحه وانتزعه عن سرجه فألقاه إلى الأرض، ثم انقض على الباقين يثخن فيهم طعانا، وكانت ضرباته ثائرة قاتلة، وكأنه لم يشعر بما أثخنه من جراح، ولم يرد إلا أن يقتل وأن يسيل الدم، وكأنه إنما يقاتل للانتقام فقط، وكأنما يتوق إلى أن يقتل دون أن يعيش لينعم بظفره. وهكذا لبث يبطش بالفرسان النصارى حتى أفنى معظمهم، غير أنه أصيب فى النهاية بجرح خطر، ثم سقط جواده من تحته بطعنة أخرى، فسقط إلى الأرض، ولكنه ركع على ركبتيه واستل **خنجره**، وأخذ يناضل عن نفسه. فلما رأى أن قواه قد نضبت، ولم يرد أن يقع أسيرا فى يد خصومه، ارتد إلى ما ورائه بوثبة أخيرة، وألقى بنفسه إلى مياه النهر، فابتلعته لفوره، ودفعه سلاحه الثقيل إلى الأعماق.
يقول الراوية المذكور، إن هذا الفارس الملثم هو موسى بن أبى الغسان، وإن بعض العرب المتنصرين فى المعسكر الإسبانى، عرفوا جواده المقتول، وهى رواية لا بأس بها، غير أن الحقيقة لم تعرف قط (٢).

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١٧٧/٥

وما كادت أنباء الموافقة على عهد التسليم تذاع حتى عم الحزن ربوع غرناطة، وتسربت فى الوقت نفسه بعض أنباء غامضة عن المعاهدة السرية، وعما حققه أبو عبد الله ووزراؤه لأنفسهم من المغانم الخاصة، وسرى الهمس بين العامة، واضطرم سواد الشعب يأسا وسخطا على قادته، ولا سيما أبى عبد الله الذى اعتبر

---

(١) هذه هى رواية كوندى فيما نقل عن مصادر عربية غير معروفة Condé; ibid. V. III. p. 257

(٢) راجع هذه الرواية فى: Irving: Conquest of Granada ; Ch. 97." [(١)]

"اميركا الجنوبية، وقام بسياحة في انحاء البرازيل، وبينما كان عائدا إلى منزله في مدينة تيوفيد وأوتوني من مقاطعة ميناس طعنه احد الصهاينة **بخنجر** في صدره.

من آثاره: كتاب عن سياحته في انحاء البرازيل.

(ط) الزركلي: الاعلام ٨: ١٠٣، ١٠٤ مساور الكوفي (٠٠٠ – ١٥٠ هـ) (٠٠٠ – ٧٦٧ م) مساور بن سوار بن عبد الحميد الكوفي.

شاعر.

كان وراقا ينسخ الكتب، وروى الحديث، وتوفي نحو سنة ١٥٠ هـ.

من آثاره: شعر بخمسين ورقة.

(خ) الصفدي: الوافي ٢٤: ١٢٨، ١٢٩ (ط) ابن النديم: الفهرست ١: ١٦٢، الزركلي: الاعلام ٨: ١٠٥ المستهل بن الكميت (٠٠٠ – ١٥٠ هـ) (٠٠٠ – ٧٦٧ م) المستهل بن الكميت بن زيد الاسدي شاعر، من أهل الكوفة.

وفد على ابي العباس السفاح بالانبار، فأخذه الحرس وحبسوه، فكتب إلى ابي العباس شعرا فأطلقه وأحسن جائزته، ووفد بعد ذلك على المنصور وله معه حديث.

من آثاره: شعر في ٥٠ ورقة.

(ط) ابن النديم: الفهرست ١: ١٦٤، الزركلي: الاعلام ٨: ٢٠٧ مسدد بن مسرهد (٠٠٠ – ٢٢٨ هـ)

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥/٢٥٦

(٠٠٠ - ٨٤٣ م) مسدد بن مسرهد بن مسربل الاسدي البصري (أبو الحسن) محدث، حافظ ويقال: انه اول من صنف المسند بالبصرة.

(خ) الصفدي: الوافي ٢٤: ١٢٩، ١٣٠ (ط) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠: ١٠٧ - ١٠٩، حاجي خليفة: كشف الظنون ١٦٨٤.

مسرور الطبري (٠٠٠ - ٥٤٠ هـ) (٠٠٠ - ١١٤٥ م) مسرور بن علي بن سلامة الطبري (أبو عبد الله) فقيه، محدث.

سمع وحدث وصنف.

(خ) ابن عبد الهادي: كتاب في تراجم الرجال ٨١ / ١ مسعد نشو (القرن الثاني عشر الهجري) (القرن الثامن عشر الميلادي) مسعد نشو الدمشقي، الارثذكسي كاهن.

كان حيا في اواسط القرن الثامن عشر." (١)

"وإذا مس عرض امرئ بأذى هاج وأهاج من هو من ذوي دمه ولحمه، للاقتصاص ممن دنس عرضه. وهو لا يهدأ حتى يأخذ بثأره ممن داس على عرضه. فثأر العرض مثل ثأر القتل، لا يهدأ صاحبه ولا يهجع إلا إذا أخذ بثأره ممن تجاوز على عرضه. والغالب في عقوبة هذا الثأر الذبح. أي بقطع الرأس عن الجسد. يذبح حتى في حالة إذا كان قد توفي من طعنة بخنجر يقضي عليه، فإنه يذبحه عندئذ. ويكون هذا غسلا للعار الذي ألحقه ذلك المتجاسر بعرض القاتل.." (٢)

"الاغتيال:

الغيلة: هي الخديعة وإيصال الشر إلى إنسان من حيث لا يعلم ولا يشعر١. وقد كان معروفا بين الجاهليين، شجع على ظهوره وانتشاره بينهم عرف الأخذ بالثأر، والتنافس الذي كان بينهم على الرئاسة والوجاهة، وقواعد مجتمع ذلك الوقت التي كانت تقيم وزنا كبيرا للكلمة، وللمدح والهجاء، ولتقديم شخص على شخص في الجلوس في المجالس، فكانت هذه الأمور وأمثالها تدفع من يتعرض لها على الانتقام ممن أهانه والتربص به وتتبع آثاره حتى يتمكن من قتله أو اغتياله.

وقد اتبع المغتالون أساليب شتى في الاغتيال. منها الطعن بالرمح أو الخنجر أو بالسكين، ومنها الذبح،

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٢٢٤/١٢

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٦٥/٨

والخنق، ومنها اللجوء إلى الحيلة بدس السم في الشراب أو الطعام، إلى غير ذلك من أسباب الغيلة.
والغيلة غير الفتك. ذكر أن الفتك أن يقتل الرجل الرجل مجاهرة. وهو أن يأتي الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشد عليه فيقتله، وإن لم يكن أعطاه أمانا قبل ذلك، ولكن ينبغي له أن يعلمه ذلك.
قال المخبل السعدي:
إذ فتك النعمان بالناس محرما ... فمن لي من عوف بن كعب سلاسله
وكان النعمان بعث إلى "بني عوف بن كعب" جيشا في الشهر الحرام، وهم آمنون غارون فقتل فيهم وسبا٢.
ولمحمد بن حبيب السكري، كتاب ذكر فيه أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، وأسماء من قتل من الشعراء٣. بدأ فيه ب "جذيمة الأبرش"

---

١ تاج العروس "٨/ ٥٣"، "غيل".
٢ تاج العروس "٧/ ١٦٦"، "فتك".
٣ نوادر المخطوطات، "القاهرة ١٩٥٤م"، المجموعة السادسة "تحقيق عبد السلام هارون".." (١)

"وهلك بمعنى مات، معروف عند أهل اللغة١. وقد وردت اللفظة بهذا المعنى في نص النمارة الذي يعود تأريخه إلى سنة ٣٢٨م. وأما المنية، فالموت كذلك في نظر علماء اللغة، لأن المنى القدر والموت قدر علينا٢. وأما الحتف، فهو الموت أيضا، وجمعه حتوف. وهو معنى مجازي جاهلي متأخر، ورد في المثل: "مات حتف أنفه". أي على فراشه من غير ضرب ولا قتل ولا غرق ولا حرق، وخص الأنف لأنهم كانوا يتخيلون أن روح الرجل تخرج من أنفه، فإن جرح خرجت من جراحته. وهناك مثل آخر يشبهه وهو "مات حتم فيه" لأن الفم مجرى النفس كذلك٣.
وترادف لفظة "الميت" و"ميت" لفظة "جنز" في العربيات الجنوبية٤.
وذكر علماء العربية أن الجنازة الميت٥، فهي في معنى لفظة "جنز" الواردة في المسند.
وقريب من معنى "مات حتف نفسه"، ما ورد في بعض النصوص الصفوية من تعبير "رغم مني"٦، فإنه يريد أن الشخص لم يمت قتلا، وإنما مات رغما منه، مات بمنيته وبأجله.
ويعبر مصطلح "مات بحد السيف" أو "مات صبرا"، عن معنى أن الوفاة لم تكن طبيعية، وإنما كانت قتلا،

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٦٥/٨

إما بضرب عنقه، وإما بوسائل أخرى من وسائل التعذيب، صبر عليها ذلك الشخص، حتى مات.

وورد: "الموت الأبيض" و"الموت الأحمر". الأبيض الفجأة، أي ما يأتي فجأة، ولم يكن قبله مرض يغير لونه. والأحمر الموت بالقتل لأجل الدم٧.

والانتحار، أي: قتل الإنسان نفسه، معروف عند الشعوب القديمة، ويكون إما بإزهاق الإنسان روحه باستعمال آلة حادة، مثل سكين أو **خنجر** وما شابه ذلك، وإما برمي الشخص نفسه من محل مرتفع، أو بإغراق نفسه، أو بإحراق

---

١ اللسان "١٢/ ٣٩٤"، تاج العروس "٧/ ١٩٤".

٢ اللسان "٢٠/ ١٦١"، تاج العروس "١٠/ ٣٤٧".

٣ اللسان "١٠/ ٣٨٢"، تاج العروس "٦/ ٦٤"، القاموس "حتف".

٤ South Arabian Inscriptions, P. 430

٥ تاج العروس "٤/ ١٨"، "جنز".

٦ Annual Of the Department Of Antiquities of Jordan, II. 1953, P. 20

7 تاج العروس "5/ 10"، "بيض".."(١)

"فيكرون عليه. يضعون مكانا يكون مركز ثقلهم والملجأ لهم، يلتجئون إليه، ثم ينطلقون منه للكر على العدو، وقد اتبعوا أيضا أسلوب القتال صفوفا، بأن يقف المحاربون صفوفا، يحاربون دون كر ولا فر١.

ولا بد للمحارب من أسلحة يحارب بها ويدافع بها عن نفسه. ويستعمل العرب لفظة سلاح وعدة المحارب في مقابل Arms = Armour في الإنجليزية و"ملديم" Malddim و"كليم" Kelim و"حليضه" Hallizah في العبرانية٢. ويراد بها كل ما يستعمله ويحمله الجندي من وسائل الحرب من هجوم ودفاع.

والسيف هو السلاح الرئيسي في القتال. استعمل في الهجوم وفي الدفاع عن النفس. ويطلق العبرانيون عليه وعلى **الخنجر** لفظة "خ ر ب" "خريب"٣. وقد يكون السيف قصيرا أيضا. وهو ذو حد واحد وذو حدين. وقد يكون رأسه مدببا حادا يستعمل للطعن، أما الضرب فيكون بحد السيف. والسيوف الجيدة هي السيوف المصنوعة من الفولاذ ومن الحديد النقي الجيد. وقد اشتهرت سيوف اليمن، وبعض السيوف المستوردة

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٤٨/٩

من الخارج. ويقال لحديدة السيف: "النصل"، وتقابل هذه اللفظة لفظة "لهب" "لهيب" في العبرانية، من أصل "لهب"، وذلك للمعان السيف الذي يشبه اللهب عند عرضه في الشمس٤.

وللسيف أسماء كثيرة ترد في كتب اللغة، بعضها أسماء وبعضها نعوت وصفات صارت في منزلة الأسماء للسيف. ومن أسماء السيف: "الجنثي" والجمع: "الجنثية"، يقال: إنها إنما سميت جنثية نسبة إلى الجنثي، وهو الحداد ٥.

ويعرف الحداد بالقين عند الجاهليين. أما الذي يقوم بصقل السيف، فهو "الصيقل"٦.

وقد اشتهرت أنواع من السيوف عند العرب، تفاخروا بها، لجودتها

---

١ بلوغ الأرب "٢/ ٥٦ وما بعدها"، اللسان "٥/ ١٣٥"، تاج العروس "٣/ ٤٦٧، ٥١٩".

٢ Hastings, Dictionary, I, P.154

٣ لسان العرب "٩/ ١٦٦"، تاج العروس "٦/ ١٤٩"، المفضليات "ص٩٨" "أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون"، شرح المعلقات السبع، للزوزني "٧٠ وما بعدها" "الطبعة الثالثة".

٤ Smith, Dictionary, Vol, I, P.110, The Bible Dictionary Vol. I, P.Iii.

٥ شمس العلوم، الجزء الأول، القسم الثاني "ص٣٦٢"، المعاني "٢/ ١٠٣٠".

٦ شمس العلوم، الجزء الأول، القسم الثاني "ص٣٦٢".." (١)

"وكان في أصحاب رسول الله صحابي اشتغل بعمل السيوف في الجاهلية هو "خباب بن الأرت"، وكان من المسلمين الأولين الذين أعلنوا إسلامهم، وعذبوا فيه١.

ويتبين من دراسة وتقصي مصادر السيوف عند العرب الجاهليين، أن العرب كانوا آنذاك يستوردونها من أماكن مختلفة، وأن استيرادها كان تجارة مربحة. وأن تجارها كانوا يفتشون في كل مكان من أسواق العالم المعروفة بصنع وبيع الأسلحة لشراء الأسلحة منها. فاستورد بعضهم أنواعا من السيوف المصنوعة من الهند. وقد عرف السيف الجيد المصنوع بالهند بـ"المهند"٢. واشتهر الروم بصنع السيوف الجيدة، وكذلك الفرس. وقد تفنن في تزويق السيوف وفي إكسائها بماء الذهب أو الفضة، وقد اشتهرت الروم بإكساء السيوف ماء الذهب، ويقال لذلك: "الدجال"٣.

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٩٤/١٠

والخنجر أقصر من السيف، ويستعمل في المباغتة في الغالب وفي الهجوم وفي الدفاع عن النفس. وهو مثل السيف أيضا ذو حد وذو حدين، ويوضع في قراب يحمل في وسط الجسم. وهو لا يزال كثير الاستعمال لسهولة استعماله وإخفائه على حين قل استعمال السيوف، أو مات، لعدم ملاءمتها للقتال الحديث. ولرخص الخناجر، بالنسبة إلى السيوف، كانت كثيرة الاستعمال حملها معظم الناس حتى الفقراء لحماية أنفسهم من أذى الإنسان والحيوان. وقد استعملت في أثناء الالتحام بالحروب، حيث يشتبك المحاربون بعضهم ببعض، فيكون الخنجر من الأسلحة الملائمة للفتك بالعدو.

والرمح: سلاح يستعمل لطعن العدو، يستعمله الفارس في الغالب. له رأس منبل حاد، يطعن به. وقد يكون له رأس آخر. يثبت به في الأرض. وهو يختلف طولا ووزنا. وهو من الأسلحة القديمة، ولا يزال معروفا، تستعمله بعض القبائل والشعوب البدائية. يصنع من حديد أو من معدن آخر، كما يكون من أعواد الأشجار القوية أو القصب القوي، وأجود الرماح عند العرب، "الرماح الآزنية"، أو "الرماح اليزنية"، يقال: إنها نسبت إلى

---

١ الإصابة "١/ ٤١٦".

٢ المعاني الكبير "٢/ ١١٠٣".

٣ المعاني الكبير "٢/ ١٠٧١".." (١)

"وتحلى الجاهليون بحلي مصنوعة من الجلد أيضا. ومن هذه الحلي الجمانة، وهي سفينة من أدم ينسج، وفيها خرز من كل لون، تتوشحه المرأة١.

ويصنع الخوان من الجلد في بعض الأحيان، ويراد به ما يؤكل عليه الطعام، وهو من الألفاظ المعربة٢. وأما الصفن، فخريطة الراعي، يكون فيها طعامه وزاده وما يحتاج إليه، وقيل: هو مثل الركوة٣.

و"العياب": هي أوعية من الأدم، ويقال للواحد منها: "عيبة"، يوضع فيها المتاع والثياب، وتطلق أيضا على الزبيل الذي ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين٤. و"الشن": الوعاء المعمول من أدم، فإذا يبس فهو شن، وفي المثل: "وافق شن طبقه"؛ يضرب لكل اثنين أو أمرين جمعتهما حالة واحدة اتصف بها كل منهما، وهناك قصص عن أصل هذا المثل٥.

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٩٦/١٠

واستعمل النصارى واليهود "الزنار"، يشدونه في وسطهم على القميص أو الثوب أو المسوح الذي يلبسونه، ويتدلى أحد طرفيه إلى قريب من القدمين. ويصنع من الجلد أو الحرير أو القطن أو الوبر أو شعر الماعز، وقد يشد على الوسط عدة مرات. وقد يوضع فيه محل لحفظ منديل فيه، أو محبرة وحبر إذا كان صاحبه من الرهبان أو الكتاب، وقد يوضع خنجر أو سلاح حاد فيه، وهو يشبه في فائدته الحزام في الوقت الحاضر. وإذا اشتغل الفلاح أو الأعرابي أو غيرهما بعمل ما رفع الطرف الأسفل من قميصه إلى الزنار أو الحزام؛ ليسهل عليه العمل، وقد يضع في عبه أي: القسم الواقع فوق الزناد من جهة الصدر أشياء عديدة يحملها معه مثل خبزه وطعامه أو نقوده أو أشياء أخرى يحتاج إليها في ترحاله٦.

وقد كان الجاهليون يستفيدون من جلود السمك أيضا، يصنعون منها أشياء متعددة. فالسفن مثلا وهو جلد الأطوم، وهي سمكة في البحر ذات جلد خشن

---

١ تاج العروس "٩/ ١٦٣".

٢ تاج العروس "٩/ ١٩٤".

٣ المغرب "ص٣٠٤".

٤ البرقوقي "ص٥٨".

٥ اللسان "١٠/ ٢١٤".

٦ Hastings, Dict., of the christ, vol., I, p.٤٩٨". (١)

"ونرى في هذه الصورة تمثال رجل صنع من النحاس، تظهر على شعر رأسه نتوءات بارزة كأنها الخرز، ربما تمثل زينة، أو تعبر عن شعر صاحبها المتموج. أما الوجه، فلا يمثل وجه أهل اليمن، بل كأنه يمثل وجها لـ"بوذا"، أي: وجها متأثرا بالفن الهندي الصيني القديم. الأنف فيه ضخم، والفم كبير، وقد غطي الجسم بقميص له رأس يغطي الرقبة ويصل إلى الحنك، وتجد القميص مفتوحا تحت الخصر، وأما أعلى القميص فمغلق، وقد شد على الخصر "خنجر" مستقيم، على طريقة أهل اليمن في حمل الخناجر إلى هذا اليوم، وقد مدت اليد اليمنى إلى أعلى، وظهرت أصابع الكف واضحة مفصلة. أما اليد اليسرى، فقد مدت إلى أعلى قليلا، وكفها مقبوض، مكونا ثقبا، يظهر أنه صنع لوضع عصا في الثقب، أو شيئا آخر يرمز إلى

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي14/279

سيادة ومنزلة اجتماعية. ونجد الجسم لا يتناسب مع ضخامة الرأس والكتفين، فهو ضئيل ضعيف. ونجد الأذن صغيرة بالنسبة إلى الرأس. وقد وضعت في مقدم الشعر. ونرى أن الوجه حليق، مما يدل على أن." (١)

"وماء مكارم الأخلاق منه ... يكاد يرد صاعدة الزفير

وأغراس الأماني في يديه ... تهز معاطف الروح النضير ويدل ما تبقى من رسائله على أ، ه تعرف في حضرة غليالم إلى القائد غارات ابن جوشن " خاصة المملكة الغليلمية بصقلية " وفي كتاب له كتبه إليه شكر على ما لقيه في جنابه من حفاوة وإكرام " فقد فارق جنابها (الحضرة) الكريم ممتلىء اليد نعمة، والفم نغمة والخاطر آمالا، والناظر أموالا، اصطناعا منها، وتفضلا أبى الله أن يصدر إلا عنها " (١) .

وكات كذلك السديد الحصري وهو اسم يذكرنا بمنافس ابن الحجر الذي يسميه هوجر فلقندو Sedictus وفي كتابه إليه دعابة تدور حول شهر رمضان، وأنه شهر عظيم البركة، ثقيل الحركة، ودعاء لعله أن يمضي سريعا، ويقضي بخنجر الفطر صريعا (٢) . ولكنه كان أكثر أنسا بشخص ثالث اسمه ابن فاتح وهو شيخ فقيه أديب بصقلية، يطلب إليه في رسالة عونا على السفر " فإن رأت (الحضرة) أن تيسر له أسباب سفره، وتفتح له أبواب ظفره، قبل خروج ركابها العالي، فلسان شكره ينقلب دعاء، ويكون له سمع الإجابة وعاء " (٣) .

فهذه الرسائل قد عرفتنا بثلاثة من المسلمين في بلرم ولعلهم كانوا جميعا من رجال الدولة ومن الزعماء في بني قومهم.

ولكن ابن قلاقس في صقلية اختص بمدائحه أبا القاسم بن الحجر، ابن حمود زعيم المسلمين حينئذ في الجزيرة والذي نعرفه من التاريخ أن أبا القاسم

---

(١) ترسل ابن قلاقس: ٣٤ من نسخة خطية رقم ٦١٧ أدب بالتيمورية.

(٢) المصدر نفسه: ٤٧ – ٤٨.

(٣) لمصدر نفسه: ٤٣.." [٢]

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٧٨/١٥

(٢) العرب في صقلية إحسان عباس ص/٢٨٩

"الخيل، فرمحت بفرسانها ١، وترجل معهم عدد آخر من الأجناد: فآمن الله المسلمين وقذف الرعب في قلوب المشركين ٢. وطحنوا بين العسكرين المسلمين. ودارت الدائرة على قوات الفونسو، وجرح جرحا بالغا، إذ لصق به عبد أسود طعنه في فخذه **بخنجر**، فتسلل ومعه حوالي خمسمائة فارس مثخنين جراحا وانسحب من المعركة، وفر جيشه، وطورد الفارون في كل مكان، حتى دخل الظلام فأمر ابن تاشفين بالكف عن المطاردة، وتسلل الفونسو مع جماعته في جنح الظلام فارا إلى طليطلة، حيث توفي أكثرهم في الطريق، ولم يدخل معه طليطلة إلا حوالي مائة فارس ٣.

لقد استمرت المعركة يوما واحدا لا غير، حطم الله شوكة العدو الكافر، ونصر المسلمين، وأجزل لديهم نعمه، وأظهر بهم عنايته، وأجمل لديهم صنعه ٤. وكل الدلائل (التي بيناها) تشير أن خطة أمير المسلمين كانت حسم المعركة بسرعة حتى وإن كثرت الخسائر، وذلك لاستغلال حماس المسلمين وقبل أن تفتر همة أمراء الطوائف. وتحققت خطته بأمر الله.

واستشهد عدد كبير من المسلمين بينهم عدد من العلماء الفضلاء وأعيان الناس. ومن العلماء: ابن رميلة صاحب البشرى، وقد ترجم له ابن بشكوال في الصلة ٥فوصفه بأنه: "كان كثير الصدقة وفعل المعروف، واستشهد بالزلاقة مقبلا غير مدبر عام ٤٧٩ هـ". واستشهد العالم أبو مروان عبد الملك المصمودي قاضي مراكش ٦. والفقيه أبو رافع الفضل ولد الحافظ العالم الأندلسي الفقيه الأديب أبي محمد بن حزم، قضى في معركة الزلاقة شهيدا ٧.

وهكذا كان العلماء على المقدمة في كافة الميادين، حصون الأمة وقادتها، ومثالها، قدوة للمسلمين، مثالا صافيا نقيا دائما، لا ينزوون عن الأحداث، ويبرزون في صفاء الجود والنعمة، لا سيما علماء القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعلماء الشريعة، والتاريخ،

---

١ نفح الطيب جـ٤ ص ٣٦٨/ ابن خلكان جـ٦ ص ١١٦.

٢ الحلل الموشية ص ٤٣/ تاريخ المغرب الكبير ص ٧٢٥.

٣ نفح الطيب جـ٤ ص ٣٦٩/ الروض المعطار ص ٩٣.

٤ نفح الطيب جـ٤ ص ٣٦٧/ أعمال الأعلام جـ٣ ص ٢٤٤.

٥ ٦٨ رقم ١٤٤/ وانظر نفح الطيب جـ٤ ص ٣٦٩/ الروض المعطار ص ٩٣.

٦ الروض المعطار ص ٩٤- ٩٥.

٧ وفيات الأعيان جـ٣ ص ٣٢٩/ وقد حدث عن والده: سير أعلام النبلاء جـ١٨ ص ١٨٦.." (١)

"من عهده تثبت أنه أخضع شمال النوبة وشيد هناك إحدى القلاع وبدأ وضع سياسة لإدارة هذه البلاد بتعيين حاكم عسكري عليها وإسناد شئونها المالية والإدارية إلى أمير نخن "إقليم الكاب".

ويبدو من نصوص خلفها أحمس أن ثلاث سيدات كان لهن أكبر الأثر في حياته بصفة خاصة وفي تاريخ مصر في تلك الآونة بصفة عامة. وأولى هذه السيدات هي "تتي شري" جدة أحمس التي ظل وفيا لذكراها وبنى لها قبرا رمزيا في أبيدوس وضع به وضع به لوحة تذكارية، وثانيتهن هي والدته "إعح حتب" التي لعبت دورا خطيرا في الكفاح ضد الهكسوس يشير إليه ولدها أحمس في لوحة أقامها بالكرنك بقوله: "امدحوا سيدة البلاد وسيدة جزر البحر المتوسط، فاسمها مبجل في جميع البلاد الأجنبية، وهي التي تضع الخطط للناس، زوجة ملك وأخت ملك وأم ملك وهي العظيمة القديرة، وهي التي تهتم بشئون مصر ... جمعت جيشها وهيأت الحماية للناس وأعادت الهاربين وجمعت شتات المهاجرين، وهدأت ما حل بالصعيد من خوف، وأخضعت من كان فيه من العصاة ز.. إلخ"١. ونظرا لما يبدو من تأثر بعض حلي هذه الملكة وخنجرها ببعض المظاهر الفنية التي سادت جزر بحر إيجة؛ فإن نفرا من المؤرخين يميل إلى الاعتقاد بأن هذه الملكة تنتمي أصلا إلى جزيرة كريت؛ ولكن لا يوجد ما يؤيد ذلك؛ وإنما يحتمل أن تلك المؤثرات كانت ترجع إلى وجود علاقات بين مصر وكريت في ذلك الوقت؛ بل ولا يستبعد أنهما كانا متحالفين، وبمقتضى هذا التحالف قدم أهل كريت بعض المعاونة للمصريين في كفاحهم ضد الهكسوس وأن "إعح حتب" لعبت دورا هاما في هذا التحالف.

أما السيدة الثالثة فهي "أحمس نفرتاري" التي كانت زوجة لكل من أخويها "كاموزا" و"أحمس" على التوالي وقد عبدت منذ أواخر الأسرة

---

١ Breasted, AR II, - 29; Urk. IV 14-24.." (٢)

---

(١) الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة في الأندلس جميل عبد الله محمد المصري ص/١٩٥

(٢) معالم تاريخ الشرق الأدني القديم محمد أبو المحاسن عصفور ص/١٥٩

"قد عابوا على عثمان رضي الله عنه ذلك، وأنهم سوغوا خروجهم به، وقصارى ما يثبت من كلام المحب، أن هذا وقع فعلا، دون الجزم بأصحابه ولا بعصرهم، فيحتمل أن يكون قد وقع من الرافضة بعد الفتنة بمئات السنين.

وعدم إقامة حد القتل على عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يعد عيبا في عثمان رضي الله عنه فإن ابنة أبي لؤلؤة؛ ابنة لمجوسي تابعة له، لا قود فيها، ومثلها جفينة، فإنه نصراني من أهل الحيرة، وقد اتهم بالمشاركة في قتل عمر رضي الله عنه لما كان بينه وبين أبي لؤلؤة من مجانسة، وقد ذكر لعبيد الله بن عمر: أنه رؤي عند الهرمزان حين قتل عمر، فاتهم بمشاركة أبي لؤلؤة وممالأته والمعين على قتل الإمام العادل يرى جماعة من الأئمة قتله، بل أوجب كثير من الفقهاء القود على الآمر والمأمور.

واعتذر عبيد الله بن عمر بذلك وقال: "إن عبد الرحمن بن أبي بكر أخبره، أنه رأى أبا لؤلؤة، والهرم-زان، وجفيـ-نة يدخلون في مكان يتشاورون، وبينهم **خنجر** له رأسان مقبضه في وسطه، وقتل عمر صبيحة تلك الليلة، فاستدعى عثمان رضي الله عنه عبد الرحمن فسأله عن ذلك، فقال: انظرو إلى السكين، فإن كانت ذات طرفين فلا أرى القوم إلا وقد اجتمعوا على قتله، فنظروا إليها فوجدوها كما وصف عبد الرحمن، فلذلك ترك عثمان رضي الله عنه قتل عبيد الله بن عمر، لرؤيته عدم." (١)

"وقال مالك بن عبد الله وكان من المسيرين:

مضت لابن أروى في كميل ظلامة ... عفاه له والمستقيد يلام

وقال له لا أقبح اليوم مثلة ... عليك أبا عمرو وأنت إمام

رويدك رأسي والذي نسكت له ... قريش بنا على الكبير حرام

وللعفو أمن يعرف الناس فضله ... وليس علينا في القصاص أثام

ولو علم الفاروق ما أنت صانع ... نهى عنك نهيا ليس فيه كلام"١.

٦١- قال الطبري: "وكتب إلي السري٢ عن شعيب عن سيف عن أبي منصور٣ قال: سمعت القماذبان٤ يحدث عن قتل أبيه٥ قال: كانت العجم٦ بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمر فيروز بأبي، ومعه **خنجر** له رأسان، فتناوله منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد، فقال: آنس به، فرآه رجل فلما أصيب عمر قال: رأيت هذا مع الهرمزان، دفعه إلى فيروز.

---

(١) فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه محمد بن عبد الله غبان الصبحي ١/١١٦

فأقبل عبيد الله فقتله، فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه، ثم قال:

---

١ تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤٠٣ -٤٠٤) .

٢ السري بن يحيى بن السري التميمي، تقدمت ترجمته.

٣ أبو منصور لم أجد له ترجمة.

٤ القماذبان بن الهرمزان.

٥ الهرمزان قاتل عمر رضي الله عنه.

٦ العجم خلاف العرب (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ٤/ ١٤٩) .." (١)

"وعندما اضطر المسلمون للجلاء عن حمص قبل معركة اليرموك، طلب أبو عبيدة من عامله على الخراج أن يعيد ما كان قد أخذه من أهل حمص إليهم، "فإنه لا ينبغي لنا إذا لم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئا"١.

واجتمع حبيب بن مسلمة بأهل حمص ورد عليهم ما لهم، فقالوا له: "ردكم الله إلينا، ولعن الذين كانوا يملكوننا من الروم، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا بل غصبونا، وأخذوا ما قدروا عليه من أموالنا، لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم، والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم"٢.

الجيش البيزنطي ٣:

عندما بحثنا في أوضاع الإمبراطورية الفارسية، تناولنا أوضاع الجيش الفارسي من حيث تشكيلاته، وعدته وتكتيكه العسكري، وحتى نستكمل الدراسة العسكرية للقوى المسلحة التي واجهها المسلمون أثناء الفتوح، نبحث هنا أوضاع الجيش البيزنطي.

لقد وضع الإمبراطور موريس، والقائد بلزاريوس أساس الجيش البيزنطي، وزاد الإمبراطور هرقل من كفاءته، وقدرته القتالية، وانتصر به على الفرس، والصقالبة والآفار.

أعاد الإمبراطور موريس تنظيم الهيكل العام للجيش، ووضع أسس التجنيد، ورفع عديد الوحدة القتالية إلى أربعمائة، وجعلها الوحدة الأساسية للجيش، ثم جمع عددا من هذه الوحدات في مجموعة واحدة يتراوح عديدها بين ستة وثمانية آلاف، وسماها "الفرقة".

---

(١) فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه محمد بن عبد الله غبان الصبحي ٧٨٤/٢

وتشكل فرقة الفرسان الثقيلة عماد الجيش البيزنطي بما لها من أهمية كبيرة، ويرتدي الفارس قميصا معدنيا من رقبته حتى الفخذين، ويحمل درعا مستديرا، كما يرتدي قلنسوة على رأسه، وقفازا طويلا يغطي اليدين إلى ما بعد الرسغ، وينتعل حذاء من الصلب، وزودت جياد الضباط، وقوات الخط الأمامي بمقدمة حديد لحمايتها، وجهزت الجياد بسروج مريحة، وركاب حديدي.

يستخدم الفارس أثناء القتال سيفا عريضا، **وخنجرا** وقوسا، ويحمل جعبة مملوءة بالسام وحربة طويلة، ويثبت بلطة في سرج جواده أحيانا.

---

١ الأزدي: فتوح الشام، ص١٥٥.

٢ المصدر نفسه: ص١٣٨، البلاذري: ص١٤٣.

٣ مونتغمري، فيلد مارشال: الحرب عبر التاريخ ص١٩٤- ٢٠٢.." (١)

"ابن شعبة، وهو من زعماء ثقيف بالطائف، أما اسمه فهو فيروز أبو لؤلؤة المجوسي، وهو فارسي الأصل من سبي نهاوند، وكان قد شكا إلى الخليفة ثقل خراجه.

ففي فجر يوم الأربعاء "لأربع بقين من شهر ذي الحجة عام ٢٣هـ/ ٢٣ تشرين الثاني عام ٦٤٤م"١، خرج عمر من منزلة ليؤم الناس لصلاة الفجر، حتى إذا انتظم جمع المصلين، بدأ ينوي للصلاة ليكبر، ودخل في تلك اللحظة رجل ظهر فجأة بجانبيه، وطعنه **بخنجر** له نصلان حادان، ثلاث طعنان أو ست إحداها تحت سرته، وشعر عمر بحر السلاح، فالتفت إلى المصلين باسطا يديه يقول: "أدركوا الكلب فقد قتلني"٢، وحاول القاتل الفرار، فتصدى له المصلون، فراح يطعنهم يمينا وشمالا فأصاب ثلاثة عشر منهم، ثم إن عبد الله بن عوف أتاه من ورائه، وألقى عليه رداءه وطرحه أرضا، وعندما أيقن فيروز أنه مقتول لا محالة، انتحر **بخنجره٣** مسدلا الستار على دوافع أهم، وأخطر قضية واجهت المسلمين حتى ذلك الوقت؛ لأنها كانت فاتحة لحوادث مماثلة سوف تواجه المسلمين في المستقبل.

كانت الطعنة التي أصابت عمر تحت سرته قاتلة، فلم يستطع الوقوف من أثرها وسقط طريحا، فاستخلف عبد الرحمن بن عوف على الصلاة بالناس، ونقل إلى منزله وهو ينزف دما، ولما علم أن أبا لؤلؤة هو الذي طعنه، حمد الله الذي لم يجعل قاتله يحاجه عند الله بسجدة سجدها له، وتوفي بعد ثلاث ليال، ودفن

---

(١) تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية محمد سهيل طقوش ص/١٢٦

يوم الأحد مستهل محرم من عام ٢٤هـ بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر بعد أن استأذن عائشة٤.
كان لمقتل عمر مقدمات تكشف عن إنذار وجهه إليه أبو لؤلؤة، وتحذير من كعب الأحبرا، أحد كبار أحبار اليهود في المدينة، فقد خرج عمر يوما بعد عودته من الحج يطوف في السوق، فلقيه أبو لؤلؤة، فقال له: "يا أمير المؤمنين أعدني –انصرني– على المغيرة بن شعبة، فإن علي خراجا كثيرا، وقال عمر: كم خراجك؟ قال: درهمان في كل يوم، قال عمر: وما صناعتك؟ قال: نجار، نقاش، حداد، قال عمر: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال. قد بلغني أنك تقول: لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلت، قال: نعم. قال عمر: فأعمل لي رحى، قال: لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب، ثم انصرف عنه، قال عمر:

---

١ الطبري: ج٤ ص١٩٣، ١٩٤، اليعقوبي: ج٢ ص٥٢.
٢ ابن قتيبة، ج١ ص٢٣.
٣ ابن كثير: ج٧ ص١٣٧.
٤ الطبري: ج٤ ص١٩٢، ١٩٣.." (١)

"لقد توعدني العبد آنفا"١، ودخل عمر منزله دون أن يكترث
جديا بهذا التهديد، فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار، فقال له: "يا أمير المؤمنين، فإنك ميت في ثلاثة أيام"، وأعاد عليه القول في اليوم الثاني، وفي الغداة
من ذلك اليوم قال له: "ذهب يومان وبقي يوم وليلة، وهي لك إلى صبيحتها"٢. وقد شهد عبد الرحمن بن أبي بكر أنه رأى **الخنجر** الذي طعن به عمر مع الهرمزان الأمير الفارسي، وجفينة أحد نصارى الحيرة وأبي لؤلؤة، أثناء اجتماع لهم، مما دفع عبيد الله بن عمر، وهو في ثورة غضب إلى قتل الهرمزان وجفينة٣.
إن حادثة على هذا المستوى تحتاج إلى إثباتات مقنعة قبل الحكم الموضوعي على دوافعها، وقد اندثرت مع قتل الأشخاص الثلاثة، إذ إن إقدام أبي لؤلؤة على قتل الرجل الأول في الدولة، لأمر يخرج عن القواعد المألوفة إلا إذا كان به مس من الجنون، وهذا لم تشر إليه الرواية التاريخية٤، وفي هذه الحالة لا يستطيع الباحث أن يتجاهل ربط هذه القضية بعوامل خارجية بعد رفض الأسباب الهزيلة التي تناقلها المؤرخون

---

(١) تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية محمد سهيل طقوش ص/٣٥٩

التقليديون حول ثقل خراج حول ثقل خراج أبي لؤلؤة، ولا أستبعد أن يكون كعب الأحبار مشتركا فيها، أو مطلعا على خيوطها، إذ إن تحذيره لعمر، وتحديده ليوم القتل وساعته، له دلالته، والمعروف أن اليهود أخذوا يتآمرون ضد الإسلام في كل بلد وصل إليه، ويدبرون الاغتيالات لحكام هذه البلاد المسلمة، وبدأت مؤامرتهم الدنيئة باغتيار عمر مستعينين بالفرس الموجودين في المدينة، لقد قضى عمر على الإمبراطورية الفارسية، وأخرج البيزنطيين من بلاد الشام ومصر، كما أخرج اليهود من جزيرة العرب، فأضمروا الحقد للإسلام والمسلمين بعامة، ولعمر بخاصة، فحاكوا هذه المؤامرة التي كان أبو لؤلؤة أداتها التنفيذية، وروي عن عمر قوله حين علم بأن أبا لؤلؤة هو الذي طعنه: "قد كنت نهيتكم عن أن تجلبوا علينا من علوجهم أحد، فعصيتموني"

قد تكون حادثة الاغتيال تصب في مصلحة بعض المتذمرين من بقايا التجار، وأصحاب الثروات الذين وجدوا في نظام عمر الصارم ضربة لمصالحهم الحيوية، والمعروف أن عمر فرض رقابة مشددة على انتقال الشخصيات الحجازية إلى المدن

---

١ الطبري: ج٤ ص١٩١.

٢ المصدر نفسه.

٣ المصدر نفسه: ص٢٤٠.

٤ بيضون: ص١٠١.." (١)

"وفي مجال التصوف فقد أثر الغزالي في فكر العالم الفرنسي المشهور (بسكال) صاحب الحجة المشهورة في إثبات وجود الآخرة والتي تسمى رهان بسكال، حيث حاول إقناع المنكرين للآخرة الإيمان بوجودها، وهذه الحجة ذكرها الغزالي في معظم كتبه (٢٣). أما تفسير الاتفاق بين آراء الغزالي وآراء بسكال حول هذه الحجة، فإن بسكال عرف كلام الغزالي إما عن طريق مستشرق معاصر لبسكال، أو أنه عرف آراء الغزالي أثناء إطلاعه على كتاب (**خنجر** الإيمان) لريموندو مارتين، والذي ثبت أن بسكال استفاد منه وهو يكتب دفاعه عن الدين (٢٤). هذا مع العلم أن الإمام الغزالي عرف في أوروبا بأنه صاحب كتاب مقاصد الفلاسفة، لا صاحب كتاب الإحياء (٢٥).

---

(١) تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية محمد سهيل طقوش ص/٣٦٠

كما كان لمحيي الدين بن عربي الأندلسي أثر كبير على عقول النساك الأوروبيين، والذين حببه إليهم أنه دعى إلى وحدة الأديان.

ومن المعروف أن أول الفلاسفة الصوفيين من أهل الغرب هو (جوهان أوكهارت) الألماني الذي عاش في القرن التالي لعصر محيي الدين بن عربي (القرن الثالث عشر) ودرس في جامعة باريس التي كانت تعتمد على الثقافة الأندلسية في الحكمة والعلوم (٢٦). وأثر محيي الدين بن عربي في دانته الشاعر الإيطالي المشهور الذي استمد مادة غزيرة لكتابه (الكوميديا الإلهية) من التصورات الأخروية الإسلامية، وبخاصة ما ورد منها عند ابن عربي (٢٧).

أما في مجال الفكر العلمي فتأثير الأندلس كبير جدا، فكانت مدارس الطب الأوروبية تستخدم الكتب الطبية العربية المترجمة إلى اللاتينية وبخاصة كتب الرازي وابن سينا (٢٨). فكتاب الحاوي للرازي كان أحد الكتب التسعة التي تتكون منها مكتبة الكلية الطبية في باريس عام ١٣٩٥ م، وعندما أراد الملك لويس الحادي عشر استنساخه اضطر

---

(٢٣) ينظر، إحياء علوم الدين، ج، ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢٤) عبد الرحمن بدوي، دور العرب، ص ٢٧ - ٢٨ - ضياء أولكن، " أثر الفكر العربي الإسلامي "، ص ٤١٢ - ٤١٣.

(٢٥) السامرائي، دراسات، ص ٣٩٤.

(٢٦) حسني أحمد، الحضارة العربية، ص ٩٧ - عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص ٩٧.

(٢٧) عبد الرحمن بدوي، دور العرب، ص ٤٩ وما بعدها.

(٢٨) لويس يونغ، العرب وأوروبا، ص ١٢٨.." (١)

"ومع أن الملك كان ينسب إلى الآلهة بل واعتبر في نظر المصريين إله كما يتضح ذلك من الألقاب التي كان يتخذها١، كذلك كانوا يشيرون إليه بلفظ: "الإله"، "حور الذي في القصر"، "الإله الطيب" ... إلخ، وبعد موته يطلقون عليه: الإله العظيم، إلا أن فكرة ألوهية الملك الحي لم تمثل ماديا إلا ابتداء من

---

(١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس مجموعة من المؤلفين ص/٤٨٣

عصر الأسرة الثامنة عشر، فمنذ أقدم العصور لم تنشأ معابد لعبادة الملك وهو على قيد الحياة إذ إن أقدم ماعثر عليه من معابد لعبادة الملك وهو مازال حيا كان من عهد أمنحتب الثالث٢، ومن الممكن أن تكون الفكرة التي ابتدعتها حتشبسوت في معبدها بالدير البحري والتي حاكاها أمنحتب الثالث في معبد الأقصر من تصوير مولدهما كأن الإله آمون نفسه قد اتصل جنسيا بوالدتيهما وأنجبهما من صلبه مما جعل فكرة إنشاء معبد لعبادة أمنحتب الثالث لشخصه مقبولة لديه إلا أنه لم يبدأها في مصر إذ لم تبدأ عبادة شخص الملك الحي في مصر إلا منذ عهد رمسيس الثاني.

ومادام الملوك يتمتعون بمثل هذه المكانة فإنه كان لابد من أن يمتازوا عن رعاياهم في زيهم وزينتهم وإن كان لباسهم في أقدم العصور يتسم بالبساطة لا يزيد على إزار قصير ذو شريط يمتد فوق الكتف الأيسر وحزام مثبت به ذيل حيوان من الخلف ويوضع فيه **خنجر** من الأمام وهذا الزي يشبه ما كان يلبسه صيادو الوحوش في أقدم العصور

---

١ الألقاب الخمسة الشائعة هي: حور، الربتان –المنتسب إلى الإلهتين: نخبت إلهة الوجة القبلي، ووادجيت إلهة الوجة البحري–، ملك مصر العليا والسفلى، حور الذهبي، ابن رع.

٢ في سد نجا، سيصب، صلب بشمال السودان.." (١)

"كحرس للجبانات والمناطق الصحراوية، وفي عهد الفوضى الأول كانوا يعملون في جيوش المقاطعات وظلوا كذلك يستخدمون في الجيش في عهد الدولة الوسطى، أما في الدولة الحديثة؛ فكانوا يؤلفون فرقا حربية تعمل في حفظ الأمن إلى جانب بعض النواحي الإدارية الأخرى، وقد زادت العناصر الأجنبية في الجيش ابتداء من عصر الأسرة التاسعة عشر حتى أصبحوا في العصر المتأخر يشكلون غالبية الجيش المصري، وكان يرأسهم رؤساء من بني جلدتهم. ومما يلاحظ في هذا الصدد أن جماعات الشردان والليبين أخذت تسود في أواخر عصر الدولة الحديثة بينما أفسحت مكانها في عصر النهضة "الأسرة ٢٦" وما بعدها للعناصر اليونانية.

وكما تطور الجيش في تكوينه تطورت كذلك الأسلحة التي استخدمها؛ ففي فجر التاريخ كان السلاح الشائع الاستعمال هو الهراوة "دبوس القتال" ذات الرأس الحجري التي ظلت تبين في النقوش حتى أواخر

---

(١) معالم حضارات الشرق الأدنى القديم محمد أبو المحاسن عصفور ص/٢٩

العصور الفرعونية كسلاح تقليدي يستخدمه الفرعون في تحطيم رءوس أعدائه. وفي عصر الدولة القديمة كان الجنود يسلحون بفئوس للقتال وبالقسي والسهام. وفي عهد الفوضى الأولى ظل استخدام القسي والسهام إلى جانب استخدام الحراب الطويلة والتروس في حالة الالتحام عن قرب، ولم يزد تسليح الجنود في عهد الدولة الوسطى عن ذلك كثيرا؛ غير أن بعض الجنود كانوا يكتفون بالتسلح بمجرد مقلاع فقط. ومن المحتمل أن **الخنجر** استعمل في مختلف العصور؛ ولكنه لم يمثل مع الجنود في صورهم إلا نادرا. وقد تغير شكل الفأس النحاسية في الدولة الوسطى حتى أصبحت تبدو كأنها السلاح الذي تطور إلى السيف المنحني." (١)

---

(١) معالم حضارات الشرق الأدني القديم محمد أبو المحاسن عصفور ص/٩٨